شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالد

الجزء التاسع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع العاشر

في إزالة الشبهات عن آيات
وردت في حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات

قال اللَّه تعالى: ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ [الضحى/٧].

اعلم أنه قد اتفق العلماء على أنه ﷺ ما ضل لحظة واحدة قط، وهل هو جائز عقلاً على الأنبياء ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ـ قبل النبوة.

قالت المعتزلة: هو غير جائز عقلاً لما فيه من التنفير.

وعند أصحابنا: أنه جائز في العقول، ثم يكرم اللَّه من أراده بالنبوة، إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع لنبي، قال اللَّه تعالى: ﴿**ما ضل**

(النوع العاشر)

(**في إزالة الشبهات:**) جمع شبهة، وهي ما يرى دليلاً، وليست بدليل، لفساد القيا أو لغير ذلك (**عن آيات وردت في حقه عليه الصلاة والسلام، متشابهات،**) محتملات، لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر، إلا بالفحص والنظر، أو دل القاطع على أن ظاهرها غير مراد، ولم يدل على المراد، وتطلق المتشابهات أيضًا على ما استأثر اللّه بعلمه، وليس بمراد هنا.

(**قال اللّه تعالىٰ:** ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾) [الضحىٰ/٧]، أي: منها هذه الآية، لأن القواطع دلت على أن ظاهرها ليس بمراد، وأفاد هذا بنقل الإجماع، بقوله: (**اعلم أنه قد اتفق العلماء على أنه** ﷺ **ما ضل لحظة واحدة** (**قط؛**) بأن ظن باللّه ما هو محال عليه، (**وهل هو،**) أي الضلال المفهوم من قوله: ما ضل، (**جائز عقلاً على الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين قبل النبوة، قالت: المنزلة هو غير جائز عقلاً لما فيه،**) أي: تجويز تلبسهم به وظهوره عليهم، (**من التنفير**) عن اتباعهم بعد الوحي وإجابتهم للإيمان والطاعة، ولا يخفى أن هذه علة باردة، فالتنفير فعل المنفر، وأي فعل في تجويز العقل، فالتجويزات العقلية لا يلزم منها شيء البتة، فالعقل يجوز انقلاب البحر دمًا والحجر ذهبًا، ونحو ذلك قرره شيخنا، (**وعند أصحابنا**) أهل السنّة (**أنه جائز في العقول،**) وهو أبلغ في اتباعهم، لأنه حيث جاز عقلاً، ولم يقع علم أنهم مصطفون عند اللّه صادقون فيما أخبروا به عنه (**ثم يكرم اللّه من أراده بالنبوة**) بالعصمة من ابتدائه إلى منتهاه فحذف صلة يكرم ولذا عدل عن أن يقول ثم يكرمهم (**إلا أن الدليل السمعي، قام على أن هذا الجائز لم يقع لنبي**) من الأنبياء أصلاً (**قال اللّه تعالىٰ:** ﴿**ما ضل صاحبكم، وما غوى**﴾. [النجم/٢]، (**قاله الإمام فخر الدين**) الرازي: ويقال عليه الآية

صاحبكم وما غوى﴾ [النجم/٢] قاله الإمام فخر الدين.

وقال الإمام أبو الفضل اليحصبي في «الشفاء»: والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته، والتشكيك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل على إشراق أنوار المعارف، ونفحات ألطاف السعادة،

في حق نبينا، فكيف صح جعلها دليلاً على جميع الأنبياء إذ لا يلزم من نفي ذلك عنه نفيه عنهم، ثم هي إنما سيقت في مقام نفي ما نسبه المشركون إليه، وكان بعد النبوة، والجواب: أما الأول، فالعلة في نفي الضلال العصمة لإكرام الله تعالى له بالنبوة، وهذه العلة يشاركه فيها جميع الأنبياء، فالآية نص فيه وقياس في باقيهم، وأما الثاني، فالأفعال بمنزلة النكرات والنكرة، نعم فكأنه قال: ما صدر منه ضلال لا قبل النبوة ولا بعدها.

(**وقال الإمام أبو الفضل**) عياض (**اليحصبي**،) العلم الشهير (**في الشفاء**:) وأما عصمتهم من هذا الشيء قبل النبوة، فللناس فيه خلاف، (**والصواب**،) أي: القول الموافق للواقع، وللأدلة الدالة على أن خلافة خطأ من قائله؛ (**أنهم معصومون**،) محفوظون، مصونون (**قبل النبوة من الجهل بالله تعالى**)، أي: بوجود ذاته (**وصفاته**)، فلا يجهلون شيئًا منها (و) معصومون أيضًا من (**التشكيك**) لأنفسهم (**في شيء من ذلك**).

وفي نسخة: أو التشكيك بالعطف بأو الفاصلة، أي: لا يقع في نفسهم شك في الذات ولا في صفة من صفاتها، لأن فطرتهم جبلت على التوحيد والإيمان، وأما قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾، فالمراد به ما لا يعلم بالوحي، كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة، (**وقد تعاضدت**،) أي: تفوت مأخوذ من العضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، ولكون عمل الإنسان واعتماده بذلك، قيل: عضدته بمعنى قويته، قاله الراغب.

وقال التلمساني: أي قوى بعضها بعضًا، تفاعل من اثنين لقيام كل واحد من الأخبار مع صاحبه حتى حصلت القوة التامة بذلك (**الأخبار والآثار**) بمعنى، وقيل: الخبر المرفوع والأثر، قول الصحابي ومن دونه، والمراد بها ما اشتهر من أحوالهم وصفاتهم المأثورة، المعروفة عند كل أحد، (**عن الأنبياء**) كلهم والمرسلين بأسرهم، وليس المراد أنه نقل عنهم، بل عرف عنهم وفي حقهم، فلم يصب من قدر، وعن غيرهم(**بتنزيههم**،) أي: تبرئتهم (**عن هذه النقيصة**،) بصاد مهملة، أي: الصفة المنقصة لمن اتصف بها (**منذ ولدوا**) إلى آخر عمرهم، (**ونشأتهم**) بالجر عطف على تنزيههم، أي: وبنشأتهم، أي: ابتداء خلقهم لا زمن شبابهم، كما توهم (**على التوحيد**،) وهو عدم الشرك (**والإيمان**) بالله وبكل ما يجب الإيمان به، (**بل**) للانتقال على سبيل

ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نبيء واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل.

ثم قال: وقد استبان بما قررناه ما هو الحق من عصمته ﷺ عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعًا، وقبلها سمعًا ونقلاً، ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعًا، عقلاً وشرعًا، وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله

الترقي (**على إشراق،**) أي: شدة ظهور (**أنوار المعارف**) في أحوالهم وأقوالهم: أي: معرفة ذات الله وصفاته، وكل ما يتعلق به، (**ونفحات:**) جمع نفحة، وهي الروائح الطيبة التي تفوح (**ألطاف السعادة،**) أي: كونهم سعداء الدارين، فشبه ما يلوح منهم من أماراتها برائحة طيب، يعبق، فيملأ الكون، (**ولم ينقل أحد من أهل الأخبار**) عن أحد غيره (أن **أحدًا نبيء،**) بهمز آخره، أي: صيره الله نبيًا (**واصطفي،**) أي: اصطفاه الله واختاره (**ممن عرف بكفر وإشراك،**) عطف خاص على عام (**قبل ذلك،**) أي: نبوته واصطفائه، (**ومستند**) اسم مفعول، أي: ما يستند إليه ويعلم به (**هذا الباب،**) أي: باب معرفة أحوال الأنبياء، (**النقل**) عن الأخبار والآثار، ويؤيده العقل الدال على أنه تعالىٰ لا يختار من خلقه لنبوته إلا من كان كذلك، فليس المراد الحصر، وقد عقبه عياض بما يدل على موافقة العقل للنقل، (**ثم قال**) بعدكلام طويل في الأجوبة عن آيات وأحاديث: ليس المراد ظاهرها.

(**وقد استبان،**) أي: تبين: والسين للتأكيد لا الطلب، ولأن ما يثبت من شأنه أن يناقش فيه (**بما قررناه،**) الباء للسببية، فإذا تأملته بأن لك (**ما هو الحق من عصمته ﷺ عن الجهل بالله وصفاته؛**) بأن ينفي وجود ذاته، أو يتردد فيه، أو ينفي شيئًا من صفاته، أو يعتقد شيئًا منها على خلاف حقيقته، وكذا سائر الأنبياء، (**أو**) استبان لك عصمته من (**كونه،**) أي: وجوده وخلقه، كسائر الأنبياء (**على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك،**) أي: ذاته وصفاته (**كله جملة،**) فلا يجهل شيئًا من ذلك أصلاً لا سيما (**بعد النبوة عقلاً**) وشرعًا لقضائه بحيازته جميع الشرف والكمال، لأنه تعالىٰ لا يصطفي إلا من هو كذلك، (**وإجماعًا**) من كل المسلمين (**وقبلها سمعًا ونقلاً**) في الأحاديث الصحيحة، والجمع بينهما للتوكيد، والمنصوبات تمييز، (**ولا بشيء**) عطف على قوله بشيء قبله، أي: ولا كونه على حالة تنافي العلم بشيء (**مما قرره من أمور الشرع،**) الذي أمر بتبليغه، (**وأداه:**) أوصله وبلغه (**عن ربه من الوحي قطعًا**) مقطوعًا به، متيقنًا بلا خلاف (**عقلاً وشرعًا،**) لأنه منافٍ لإرساله به وأمره بتبليغه، فكيف يجوز عليه جهل شيء منه، فالأنبياء معصومون من ذلك لدلالة المعجزات على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله، وإلا كان افتراء

وأرسله، قصدًا أو غير قصدًا، واستحالة ذلك عليه شرعًا وإجماعًا، ونظرًا وبرهانًا، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعًا، وتنزيهه عن الكبائر إجماعًا، وعن الصغائر تحقيقًا، وعن استدامة السهو والغفلة، واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة، وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب، وجد ومزح، ما يجب لك أن تتلقاه باليمين، وتشد عليه يد ضنين، فإن من يجهل ما يجب للنبي ﷺ، أو يجوز أو

على اللّه، وهو باطل عقلاً وشرعًا، **(وعصمته)** بالجر عطف على عصمته الأولىٰ **(عن الكذب)** لمنافاة المعجزة له، **(وخلف القول)** لئلا يتهم في تبليغه **(منذ نبأه اللّه وأرسله،)** فلم يصدر عنه شيء منه، وهو مستحيل **(قصدًا)** بأن يقول ما يخالف ما أرسل به اختيارًا **(أو غير قصدًا،)** فلا يقع ذلك منه سهوًا ونسيانًا، وإليه ذهب أبو إسحٰق الإسفراييني، وجوزه الباقلاني لعدم منافاته للمعجزة، لأنه لا يقر عليه، **(واستحالة ذلك)** الكذب والخلف **(عليه شرعًا وإجماعًا ونظرًا وبرهانًا)**.

وفي نسخة: أو قبل قوله نظرًا وهي أحسن، لأن المعنى أن استحالة ذلك شرعًا وإجماعًا مما دل عليه النظر، والدليل العقلي **(وتنزيهه،)** أي: تبرئته **(عنه قبل النبوة قطعًا)** لتواتره، فكان يسمى الأمين، لأنه مأمون قولاً وفعلاً، **(وتنزيهه عن الكبائر إجماعًا)** لرفعة قدره عنها، **(وعن الصغائر تحقيقًا)** إثباتًا بالدلائل المفيدة لذلك، فالتحقيق إثبات المسألة بدليلها، أو أمرًا محققًا، ولتجويز بعضهم لها لم يقل إجماعًا أو قصدًا بقرينة قوله: **(وعن استدامة السهو والغفلة)** عطف تفسير لبعد ساحة التبليغ عنها، فإن وقع نبه عليه بسرعة، وللّه در القائل:

يا سائلي عن رسول اللّه كيف سها ... والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها ... عما سوى اللّه فالتعظيم للّه

(و) عن **(استمرار الغلط والنسيان عليه)** حفظًا له بإيقاظ قلبه وتنبهه **(فيما شرعه للأمة،)** لأن استمراره منافٍ لتشريعه له، **(وعصمته)** بالجر، ويجوز رفعه خبره كائنة **(في كل حالاته من رضا وغضب وجد)** (بكسر الجيم ضد الهزل، **(ومزح،)** فإن مزح لا يقول إلا حقًا **(ما يجب لك)** بدل من قوله ما هو الحق، ويجوز أن ما لتأكيد القلة في الحالات الأربع، ويجب مستأنف، ولفظ الشفاء: فيجب عليك **(أن تتلقاه،)** أي: تأخذه وتعلمه **(باليمين،)** أي: بالقبول واليمن والبركة، لأنه يؤخذ بها ما ينتفع به لسهولة العمل بها عادة، والعرب تقول لها يتمدح به أخذه باليمين، قال الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

(وتشد عليه يد لضنين) البخيل وزنًا، ومعنى من الضنة، وهي شدة البخل، أي تحرص

يستحيل عليه، ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه، ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف إليه، فيهلك من حيث لا يدري، ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار، إذ ظن الباطل به واعتقاده ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار.

وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر، بالمصير إلى امتثال

على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره عما ذكر، كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله وخوفه من ذهابه، وفيه مع اليمين مراعاة النظير، وفسر بالقوة ولا يناسب هنا، **(فإن من يجهل ما يجب للنبي ﷺ)** اعتقاده، **(أو يجوز أو يستحيل عليه،)** أي: يمتنع في حقه شرعًا وعقلاً وعادة، **(ولا يعرف صور أحكامه،)** أي: الحكم المتصور في حقه من وجوب وجواز وحرمة، **(لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه،)** فيقع فيما لا يجوز اعتقاده، **(ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف،)** أي: ينسب **(إليه)** ويوصف به، **(فيهلك،)** أي: يقع في أمر هو سبب هلاكه في الدارين **(من حيث لا يدري)** لجهله، **(ويسقط في هوة)** (بضم الهاء وشد الواو)، وهو العميق، كالبئر **(الدرك)** (بفتحتين)، وقد تسكن الراء ما ينزل به إلى **(الأسفل)** من دركات المنازل **(من النار،)** أي: نار جهنم، فالتعريف للعهد، وهي هنا مجاز عن محلها، ويستعمل كثيرًا بهذا المعنى، وهو عبارة عن عقابه أشد العقاب في الآخرة بسبب ما ذكر، ولذا علله بقوله: **(إذ ظن الباطل به،)** أي: ما لا يصح في حقه **(واعتقاده)** على طريق الجزم **(ما لا يجوز عليه)** شرعًا وعقلاً، **(يحل)** (بضم الياء وكسر الحاء وشد اللام)، وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد، أي: يحل **(صاحبه،)** أي: ذلك الاعتقاد **(دار البوار)** (بفتح الموحدة) الهلاك، يعني جهنم، وهو من أسمائها، أي: يجعله حالاً فيها، وضبط البرهان يحل، بفتح أوله وضم ثانيه، وصاحبه فاعل، وهو جائز أيضًا، وطلب الرواية في مثل هذا عناء بلا طائل، فنطق عياض بأحد الضبطين لا يمنع الثاني، فهو كلام لا حديث يمنع بغير ما روى به.

قال: في الشفاء: ولهذا احتاط، على الرجلين اللذين رأياه ليلاً في المسجد مع صفية، فقال لهما: إنها صفية، ثم قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا فتهلكا، ثم قال بعد طول جوز جماعة من السلف وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين الصغائر على الأنبياء، وذهب طائفة إلى الوقف، وذهب المحققون من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم منها كالكبائر، ثم قال بعد كلام قليل ما حكاه المصنف، بقوله: **(وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم،)** أي: فعل مثلها اقتداء بهم، فلو وقع ذلك منهم، أو جاز فعله الناس، وظنوه شرعًا، فلذا عصموا

أفعالهم واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقًا. وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب لملك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقًا عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم، إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر والمعصية. انتهى.

واختلف في تفسير هذه الآية على وجوه كثيرة:

أحدها: أي وجدك ضالاً عن معالم النبوة. وهو مروي عن ابن عباس

منها، لأن ذنب العظيم عظيم، وإن قل، (**واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقًا**،) سواء كانت ضرورية أم جبلية، كالقيام والقعود، والأكل والشرب، فإنا نتأسى بهم، وفيه، وإن كان مباحًا، لأن الأصل في أفعالهم أنها حسنة شرعية، فيتبعون في كل ما صدر منهم، لأن الأصل أرجح من الظاهر، (**وجمهور الفقهاء على ذلك**،) أي: اتباع آثارهم مطلقًا إن لم يعلم أنه خصوصية لهم (**من أصحاب**،) أي: كبار مذهب (**لملك والشافعي، وأبي حنيفة، من غير التزام**) قيام (**قرينة**) تدل على أنه فعله للتشريع والاقتداء به فيه، (**بل**) يقتدي بفعله (**مطلقًا**) من غير التزام قرينة المشروعية (**عند بعضهم، وإن اختلفوا**) بعد القول (**في حكم ذلك**،) فذهب كثير من الفقهاء والمحدثين وأكثر الشافعية إلى استحباب اتباعه في الأمور الجبلية، كغيرها.

وذهب جماعة إلى أنه مباح أحسن من غيره، وحكى أبو الفرج، وابن خويز منداد عن لملك، الوجوب، وبه قال أكثر أصحابنا، وأكثر أهل العراق، وابن سريج والأصطخري، وابن خيران عن الشافعية، هذا ملخص ما حذفه المصنف من الشفاء قبل قوله: (**فلو جوزنا عليهم**) فعل (**الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم**) مطلقًا، كما أمرنا به، (**إذ ليس كل فعل من أفعاله**،) كغيره منهم (**يتميز مقصده**،) أي: ما قصده به (**من القربة**،) بأن يكون واجبًا أو مندوبًا، (**والإباحة**) بأن لا يترتب عليه ثواب، ولا عقاب، أو مدح، أو ذم، (**والحظر**) بالمشالة، أي: المنع شرعًا، لكونه محرمًا أو مكروهًا، أو خلاف الأولى، فقوله: (**والمعصية**) تفسير، أو يخص المعصية بالحرام، والحظر بخلاف الأولى والمكروه. (**انتهى**) ما نقله عن عياض.

وقال عقبة: ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا، وما كان ينبغي للمصنف حذف هذا، لأنه من جملة الدليل وما كان يزيد به الكتاب، (**واختلف في تفسير هذه الآية على وجوه كثيرة**).

(**أحدها: أي: وجدك ضالاً عن معالم النبوة**،) أي: مظانها وهي ما أنزل عليه من القرآن وغيره، وما ظهر عليه من الآيات، فالمعالم: جمع معلم مظنة الشيء وما يستدل به عليه، كما في القاموس.

والحسن والضحاك وشهر بن حوشب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ [الشورى/٥٢] أي ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرءان، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، قاله السمرقندي وقال بكر القاضي: ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام، فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مؤمنًا بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل، فازداد بالتكاليف إيمانًا، وسيأتي آخر هذا النوع مزيد لذلك إن شاء اللّٰه.

الثاني: من معنى قوله تعالى: ضالاً ما روي مرفوعًا مما ذكره الإمام فخر الدين الرازي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي

وزاد المصنف في معالم الشفاء: لعله إشارة إلى أن النبوة نفسها الأخبار بها كأن قيل له: أنت نبي، أو وجد ما يدل على اتصافه بالنبوة من غير وحي بشرع لا يفيد هداية وإنما يفيدها الآثار الآتية من الشرع التي يعمل بها وإن لم يؤمر بتبليغها قرره شيخنا، (**وهو مروي عن ابن عباس، والحسن**) البصري (**والضحاك، وشهر بن حوشب،**) وقال به ابن جرير: لأن الضلال لغة العدول عن الاستقامة وضده الهداية، فكل عدول ضلال سواء كان عمدًا أم لا فمعناه غير مهتدٍ لما سبق لك من النبوة فهداك إليها، كقوله: ﴿فعلتها إذًا وأنا من الضالين﴾ [الشعراء/٢٠]، (**ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الإيمان﴾**) [الشورىٰ/٥٢] الآية، (**أي: ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن،**) أي: لا تعرف قراءته ولا دراسته (**ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان،**) قيل وهذا في غاية البعد، لأنه تقدير بلا قرينة تدل عليه ووجه بأن تعريف الإيمان عهدي والمراد إيمان أمته أي: لا تدري كيف يؤمن قومك، وبأي طريق يدخلون في الإيمان وبعده لا يخفي، (**قاله السمرقندي**) الإمام أبو الليث الحنفي.

(**وقال بكر**) بن العلاء (**القاضي**) القشيري، المالكي: (**ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام**) الشرعية التي كلف بها علمًا وعملاً (**فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل**) أي: قبل النبوة (**مؤمنًا بتوحيده،**) أي: بأنه منفرد بالألوهية لا شريك له، (**ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف،**) أي: بسبب ما كلف به من الفرائض (**إيمانًا، وسيأتي آخر هذا النوع مزيد لذلك إن شاء اللّٰه،**) فإنه ذكر هنا للتأكيد.

(**الثاني: من معنى قوله تعالىٰ: ﴿ضالاً﴾ ما روي مرفوعًا مما ذكره الإمام فخر الدين الرازي**) مما يفد أنه على حقيقته، فإنه يقال ضل الرجل الطريق، وضل عنه، زال عنه فلم يهتد إليه، فهو ضال، وذلك (**أنه عليه الصلاة والسلام، قال: ضللت**) بفتح اللام من باب ضرب لغة

حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله.

الثالث: يقال: ضل الماء في اللبن إذا صار مغمورًا، فمعنى الآية: كنت مغمورًا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى أظهرت دينه.

الرابع: أن العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة، كأنه تعالى يقول: كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله تعالى ومعرفته إلا أنت، فأنت شجرة فريدة في مفازة الحمد.

الخامس: قد يخاطب السيد، والمراد قومه، أي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك.

نجد وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ [سبأ/ ٥٠]، وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، أي: تهت وغبت (**عن جدي عبد المطلب**) وأصل الضلال الغيبة ومنه، قيل للحيوان الضائع: ضالة (**وأنا صبي حتى كاد**) قارب (**الجوع يقتلني فهداني الله**) وردني إليه.

وفي سيرة ابن إسحٰق زعموا أن أمه السعدية لما قدمت به مكة ضل منها في الناس فأتت جده فأخبرته فقام عندالكعبة، فدعا الله أن يرده فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش، فأتيا به إلى عبد المطلب، فأخذه على عنقه وطاف وعوذه ودعا له، ثم أرسله إلى آمنة.

ويروى أن عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلاً من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز.

(**الثالث: يقال ضل الماء في اللبن إذا صار مغمورًا**) من تقديم الدليل على المدلول، وإذا كان كذلك، (**فمعنى الآية كنت مغمورًا بين الكفار بمكة، فقواك الله حتى أظهرت دينه الرابع أن العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة**) الأرض لا ماء فيها، والجمع فلا مثل حصًا وحصاة وجمع الجمع أفلاء مثل سبب وأسباب (**ضالة، كأنه تعالىٰ يقول: كانت تلك البلاد**) مكة وما حولها، (**كالمفازة**) الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات لأنها مظنة الموت.

وقيل: من فازا، إذا نجا وسلم، سميت به تفاؤلاً بالسلامة (**ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله تعالىٰ ومعرفته إلا أنت، فأنت شجرة فريدة في مفازة الحمد**،) ولم يذكر الجوهري واتباعه هذا وما قبله من معاني ضل، لكن اللغة واسعة (**الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه**) لاستحالة وصف السيد، بذلك الوصف أو باستعمال اسمه في اسم قومه مجازًا، (**أي: وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك**،) عطف تفسير لقوله بك، المعبر به عن ذاته،

السادس: أي محبًا لمعرفتي، وهو مروي عن ابن عطاء، والضال: المحب، كما قال تعالى: ﴿وإنك لفي ضلالك القديم﴾ [يوسف/٩٥] أي محبتك القديمة، ولم يريدوا هنا في الدين، إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا.

السابع: أي وجدك ناسيًا فذكرك، وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة، فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال: لا أحصي ثناء عليك.

الثامن: أي وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم.

وأسند الهداية إليها مبالغة في مدحه حتى كأن ذاته نور يهتدي به بمجرد رؤيته ﷺ، وجعله شرعه لظهوره على يديه ومجيئه به.

(السادس:) ضالاً، **(أي: محبًا لمعرفتي،)** فهداك بأنوار الهداية والعناية، **(وهو مروي عن)** أبي العباس أحمد **(بن عطاء)** الأدمي، بفتحتين ، الصوفي، له لسان في فهم القرآن يختص به، ولما كان هذا خلاف المشهور لغة بينه ابن عطاء نفسه، بقوله: **(والضال المحب كما قال تعالىٰ و)** عن أخوة يوسف خطابًا لأبيهم: (**﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾**) [يوسف/٩٥] الآية، **(أي: محبتك القديمة)** ليوسف لا تنساه، وهذا منقول عن قتادة وسفيٰن، فلا يضر عدم وجوده في الصحاح واتباعه، فاللغة واسعة **(ولم يريدوا هنا)** في هذه الآية ضلالة **(في الدين؛)** بأن يعتقدوا خطأه في دينه باعتقاده خلافه، أو إصراره على ما ينافيه، **(إذ لو قالوا ذلك في نبي الله)** يعقوب **(لكفروا،)** بنسبته إلى ما لا يجوز عليه وتحقيره، لكن عدم إرادة ذلك لا يستلزم حمله على المحبة، لجواز أن يريدوا لفي تحيرك عما يوصلك إلى العلم بحال يوسف أو نحو ذلك.

وفي الأنوار: لفي ذهابك عن الصواب قديمًا بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه.

(السابع: أي: وجدك ناسيًا فذكرك، وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة) من الله تعالىٰ، **(فهداه الله تعالى إلى كيفية،)** أي: صفة **(الثناء)** الذي فضل به الأنبياء **(حتى قال: لا أحصي ثناء،)** أي: لا أستوعب ولا أبلغ الواجب في الثناء **(عليك)** أنت، كما أثنيت على نفسك.

(الثامن: أي: وجدك بين أهل الضلال، فعصمك) عن الانتظام في سلكهم والتلبس بشيء من ضلالهم، كعبادة الأصنام **(من ذلك،)** أي: الضلال وموافقة أهله فيه، **(وهداك للإيمان)** به ومعرفته، إذ جعله فطرة لك وأودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم، ثم أرشدك له بالوحي،

التاسع: أي وجدك متحيرًا في بيان ما أنزل إليك، فهداك لبيانه، كقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل/٤٤] وهذا مروي عن الجنيد.

العاشر: عن علي أمير المؤنين أنه ﷺ قال: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول اللّه بيني وبين ما أريد، ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني اللّه برسالته. قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى غنما بأعلى مكة: لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما

(**وإلى إرشادهم**) أفعال من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية، كما قاله الراغب، وأفاد بقوله: فعصمك أنه من قبل الشرع ولم يستفد هذا من الخامس، فبهذا غايره ولا يرد أن قوله فيه فهداهم بشرعك يفيد عصمته لاستحالة أن يهديهم مع موافقتهم، لأن شرعه متأخر، فقد كان بينهم قبله أربعين سنة، ثم هذا التأويل مروي عن السدي وغير واحد، كما قال عياض: فالضلال بمعناه المشهور، وليس متصفًا به، ولكونه بين أهله أطلق عليه مجاز العلاقة المجاورة.

(**التاسع: أي: وجدك متحيرًا**) واقعًا في الحيرة (**في بيان ما أنزل إليك**) من القرآن، (**فهداك لبيانه**) بإظهاره وبيان ما خص من معانيه في حال تبليغه لأمته، (**كقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر**) القرآن لما فيه من التذكير والمواعظ (**لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**) [النحل/٤٤] الآية، مما خفي عليهم، فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء أمره، (**وهذا مروي عن الجنيد**) أبي القٰسم بن محمد النهاوندي، شيخ المشايخ، العلم المشهور رحمه اللّه.

(**العاشر: عن علي أمير المؤمنين أنه ﷺ قال**): ما هممت بفتح الميم الأولى بابه نصر، وهو أول العزم (**بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون**) ضمنه معنى يتمسكون، فعداه (**به**) أو الباء زائدة في المفعول (**غير مرتين، كل ذلك يحول:**) يحجز ويمنع (**اللّه بيني وبين ما أريد**) من ذلك، (**ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني اللّه برسالته**) وبين المرتين، فقال: **قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى غنمًا بأعلى مكة**) لبعض قريش: أود (**لو حفظت لي غنمي**) فلو للتمني ما لها جواب أو محذوف، أي: لكان ذلك جميلاً منك (**حتى أدخل مكة**) وصريحه أنه رعاها قبل البعثة. ويؤيده حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعًا: ما بعث اللّه نبيًا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟، قال: كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة.

وفي رواية ابن ماجه: كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط، قال المصنف: كغيره، والحكمة في إلهامهم ذلك قبل النبوة ليحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم. انتهى.

يسمر الشباب، فخرجت حتى أتيت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالدفوف والمزامير فجلست أنظر إليهم فضرب اللّه على أذني فنمت، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك فضرب اللّه على أذني فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني اللّه برسالته.

فزعم أن رعيهم لها إنما كان بعد البعثة تهور، وتمسكه لذلك بالحديث المذكور أعجب، منشؤه عدم الوقوف على شيء، **(فأسمر بها)** (بضم الميم)، أي: أتحدث.

قال المجد: وسمر سمر، أو سمورًا لم يتم، والسمر محركة الليل وحديثه، وفي خطبته: إذا ذكر المصدر، فالفعل بزنة كتب، **(كما يسمر)** (بفتح أوله وضم الميم) يتحدث **(الشباب، فخرجت حتى أتيت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا)** (بمهملة وزاي وفاء بزنة فلس)، أي: لعبًا من باب التجريد، استعمل العزف في مطلق اللعب من استعمال المطلق في مقيده، فعلق به قوله: **(بالدفوف:)** جمع دف، آلات يضرب بها، وإلا فالعزف اللعب بالدف (بضم الدال وفتحها)، **(والمزامير:)** جمع مزمار (بكسر الميم)، **(فجلست أنظر إليهم، فضرب اللّه على أذني،)** أي: بعث عليهما النوم، **(فنمت،)** فلم أسمع شيئًا، **(فما أيقظني إلا مس الشمس،)** أي: حرها، **(ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، فضرب اللّه على أذني، فما أيقظني إلا مس الشمس،)** فلم أسمع شيئًا، **(ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني اللّه برسالته،)** فكأنه عبر بضالاً عن هذا الهم مرتين، وأنه هداه بصرفه عن ذلك، بإلقاء النوم عليه، إشارة إلى عنايته به من صغره ومنعه من سماع لغط الجاهلية ولعبهم وغنائهم، وإن لم يكن ذلك حينئذٍ ضلالاً، لأنه صانه من قبل البعثة عما يخالف الشرع.

وقيل: معناه وجدك ضالاً لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك اللّه، فهدى بك السعداء.

وقيل: وجدك ضالاً بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة وقيل: وجدك قائمًا بأعباء الرسالة وتبليغها، فهدي بكَ ضالاً.

وعن جعفر بن محمد: وجدك ضالاً عن محبتي لك في الأزل، أي: لا تعرفها، فمننت عليك بمعرفتي.

وقيل: ناسيًا فهداك، كقول موسىٰ ﴿وأنا من الضالين﴾ [الشعراء/٢٠] وقوله تعالىٰ: ﴿أن تضل إحداهما﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: تنسى.

وقرأ الحسن بن علي: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أي: اهتدى بك، حكاها في الشفاء، ثم قال: لا أعلم أحدًا من المفسرين، قال: فيها ضالاً عن الإيمان، وقد قال ابن عباس: لم يكن له ضلالة معصية انتهى.

وأما قوله تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك﴾ [الشرح/ ٢-٣].

فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وبظواهر كثيرة من القرءان والحديث، إن التزموا ظواهرها أفضت بهم -كما قال القاضي عياض- إلى تجويز الكبائر، وخرق الإجماع، وما لا يقول به مسلم، فكيف وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون في معناه، وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه. وجاءت أقاويل فيها للسلف

وفي الكشاف من قال: إنه كان على أمر قومه أربعين سنة، أن أراد خلوه عن الأمور السمعية فنعم، وإن أراد على كفرهم ودينهم، فمعاذ اللّه، فإنه ﷺ وسائر الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر البتة، فما بالك بالكفر والجهل باللّه، ما كان لنا أن نشرك باللّه من شيء وكفى نقيصة عند الكفار أن يسبق منه كفر انتهى.

(**وأما قوله تعالى:**) قسيم لمقدر أول النوع، أي: منها ما ذكره بقوله: قال اللّه تعالى: (﴿**ووضعنا**﴾) حططنا (﴿**عنك وزرك الذي أنقض**﴾) أثقل (﴿**ظهرك**﴾) [الانشراح/٢]، (**فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين**)، أي: علماء الكلام الباحثين عن العقائد، سموا بذلك لأن مسألة كلام اللّه من أجل مباحثة، أو لكثرة دور الكلام فيه بين السلف (**المجوزين**) بلا واو في نسخ، وهي ظاهرة، وفي نسخة بالواو كأكثر الأصوليين (**للصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**) حيث أبقوها على ظاهرها أن الوزر هو الإثم، (**وبظواهر كثيرة من القرآن والحديث،**) أتى بظواهر إشارة إلى أنها ليست بحجة في الباطن (**إن التزموا ظواهرها،**) بأن قالوا: بلزوم اعتقاد الظاهر منها (**أفضت بهم**) أوصلتهم، (**كما قال القاضي عياض: إلى تجويز الكبائر**) عليهم عمدًا، (**وخرق الإجماع،**) أي: مخالفة ما أجمع عليه الناس من قولهم: خرق المفازة إذا قطعها، فأريد به لازمه وهو المجاوزة (**وما لا يقول به مسلم،**) أي: أفضت بهم إلى رأي: لم يقله أحد من المسلمين، لأن الآيات والأحاديث التي احتجوا بها، كما تشمل الصغيرة تشمل الكبيرة من حيث أنها إثم وذنب، وتشمل كل ما أجمع على أنه لا يقع منهم، مع أنهم لا يقولون بجواز وقوع الكبيرة منهم عمداً، إذ لم يقله إلا الحشوية، ولا عبرة بهم ولا بجواز خرق الإجماع، وأما سهوا فأجازه بعضهم، واختلف في أن امتناعه سمعي أو عقلي، كما مر، (**فكيف**) يسوغ لهم الاحتجاج بتلك الظواهر، (**وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون في معناه،**) فطرقته الاحتمالات فسقطت به الدلالات، (**وتقابلت:**) تخالفت وتعارضت (**الاحتمالات في مقتضاه**) من تجويز وقوع ما خرج به عن

بخلاف ما التزموه في ذلك. فإذا لم يكن مذهبهم إجماعًا، وكان الخلاف فيما احتجوا به قديمًا، وقامت الدلائل على خطأ قولهم، وصحة غيره، وجب تركه والمصير إلى ما صح، انتهى.

وقد اختلف في هذه الآية:

فقال أهل اللغة: الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض، أي صوت كصوت المحامل والرحال، وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ من أقداره.

وقيل: المراد منه تخفيف أعباء البنوة التي يثقل الظهر القيام بأمرها، وحفظ موجباتها، والمحافظة على حقوقها، فسهل الله تعالى ذلك عليه، وحط عنه ثقلها

صلاحيته للحجة، **(وجاءت أقاويل:)** جمع أقوال، جمع قول، فهو جمع الجمع، **(فيها للسلف بخلاف ما التزموه في ذلك)** الذي استدلوا به، **(فإذا لم يكن مذهبهم)** في تجويزها عليهم **(إجماعًا،)** أي: مجمعًا عليه لكثرة من خالفهم، **(وكان الخلاف فيما احتجوا به قديمًا)** لا حادثًا بعد انعقاد الإجماع حتى يكون خلافًا لا يعتد به، **(وقامت الدلائل على خطأ قولهم)** بتجويزها عليهم، **(وصحة غيره)** في عدم الجواز **(وجب تركه والمصير إلى ما صح)** من عدم التجويز، إذ العبرة بالأدلة لا بكثرة القائلين. **(انتهى)** كلام عياض. متعه الله برؤيته في الرياض.

(وقد اختلف في هذه الآية، فقال أهل اللغة: الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض، أي: صوت كصوت المحامل والرحال،) وكلما حملته ثقيلاً، فإنه ينتقض تحته.

قال عباس بن مرداس:

وأنقض ظهري ما تطوقت منهم   وكنت عليهم مشفقًا متحننا

قاله ابن عطية، وصدر بقوله: أي: هزيلاً من الثقل، **(وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ من أقداره،)** أي: من مقادير ما كلفه، **(وقيل: المراد منه تخفيف أعباء)** (بالفتح) أثقال **(النبوة)** جمع عبء (بالكسر)، ويفتح الثقل من كل شيء تنزيلاً للمعقول منزلة المحسوسات **(التي يثقل الظهر القيام بأمرها،)** فهو مجاز عن أتعاب صاحبه، بحيث يصير كالحامل على ظهره ما يثقل عليه، بحيث تناله مشقة عظيمة من ذلك، وفسر القيام بقوله: **(وحفظ موجباتها، والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه، وحط)** تفسير لوضع **(عنه ثقلها)** بفتح القاف **(بأن يسرها عليه حتى تيسرت له،)** وهذا عزاه عياض

بأن يسرها عليه حتى تيسرت له.

وقيل: الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل، وكان لا يقدر على منعهم إلى أن قواه اللّٰه وقال له: ﴿اتبع ملة إبرٰهيم﴾ [النحل/١٢٣].

وقيل: معناه عصمناك عن الوزر الذي أنقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلاً، فسمى العصمة «وضعًا» مجازًا، ومن ذلك ما في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب اللّٰه على أذنه فما أيقظه إلا حر الشمس من الغد.

وقيل: ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك، حتى شرعنا لك ذلك.

وقيل معناه: خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك، ومعنى أنقض أي كاد ينقضه. قال القاضي عياض: فيكون المعنى على قول من

للماوردي والسلمي.

(**وقيل: الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل**) لطريقة إبراهيم، (**وكان لا يقدر على منعهم إلى أن قواه اللّه، وقال له: ﴿اتبع ملة إبرٰهيم﴾**) في التوحيد، والدعوة برفق ونحو ذلك، فالوزر على هذه الأقوال الثلاثة مجاز بمعنى الثقل.

(**وقيل: معناه عصمناك**) أي: منعناك وحفظناك (**عن**) ملابسة (**الوزر الذي أنقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلاً، فسمي العصمة وضعًا مجازًا**).

(**ومن ذلك ما في الحديث؛ أنه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة**) ليلة إحدى المرتين السابقتين لقوله هناك غير مرتين، (**فضرب اللّه على أذنه**) بالإفراد على إرادة الجنس، (**فما أيقظه**) نبهه (**إلا حر الشمس من الغد**).

(**وقيل**) معناه (**ثقل شغل سرك**) أي: قلبك أو خواطر قلبك، (**وحيرتك:**) تحيرك في ابتداء أمرك (**وطلب شريعتك**) (بالرفع) أي: طلبك من اللّه ما يثبت بالوحي، لتعمل به (**حتى شرعنا لك ذلك**) بالوحي فاطمأن قلبك وذهبت حيرتك حكي معناه القشيري، كما في الشفاء.

(**وقيل معناه خففنا عنك ما حملت**) أي: كلفت حمل أثقاله من دعوة الخلق وتبليغ أمانة الرسالة التي لم تطق حملها الجبال، (**بحفظنا لما استحفظت**) أي: نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به، وجعلنا لك قوة وصبرًا، صير أثقاله خفيفة، (**وحفظ عليك**) أي: منع عن الضياع منك، فأديته على أتم وجه يمكن إداؤه به، ودفع ما ورد عليه أنه إذا خففها لم تنقض ظهره، بقوله: تبعًا لعياض، (**ومعنى أنقض**) ظهره على هذا، (**أي: كاد**) أي:

جعل ذلك لما قبل النبوة: اهتمام النبي ﷺ بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارًا وثقلت عليه وأشفق منها.

وقيل: إنها ذنوب أمته صارت عليه كالوزر، فأمنه اللَّه من عذابهم في العاجل بقوله: ﴿**وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ [الأنفال/٣٣] ووعده الشفاعة في الآجل.

وأما قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك اللَّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح/٢].

فقال ابن عباس: أي أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان.

قرب (**ينقضه،**) أي: يعيه ويثقله، ولم ينقضه بالفعل، ويجوز إبقاؤه على ظاهره، وأنه أنقضه بالفعل، لكنه خفف عنه، فكأنه لم ينقضه.

(**قال القاضي عياض،**) مبينًا وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا به: (**فيكون المعنى**) لوضعنا عنك إلى آخره (**على قول من جعل ذلك**) الوضع مصروفًا (**لما قبل النبوة، اهتمام النبي ﷺ**) خبر يكون (**بأمور فعلها قبل نبوته،**) أي: اعتناءه ببيان اللَّه لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم (**وحرمت عليه بعد النبوة،**) ولم يكن مكلفًا بها قبلها، (**فعدها أوزارًا**) بعدما حرمت باعتبار ما بعد النبوة، (**وثقلت عليه، وأشفق:**) خاف (**منها**) من المؤاخذة بها لشدة مراقبته وخشيته للَّه، فمعنى وضعها على هذا، إعلامه بعدم المؤاخذة بها؛ وأنها ليست وزرًا عليه يخافه، لأنه لم يكن مكلفًا بتركها.

(**وقيل: إنها ذنوب أمته صارت عليه كالوزر،**) بجعل المعقول كالمحسوس، (**فأمنه اللَّه من عذابهم في العاجل بقوله:** ﴿وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم﴾) [الأنفال/٣٣]، (**ووعده الشفاعة في الآجل،**) بنحو قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى/٥]، وقيل: حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية، حكاه مكي، (**وأما قوله تعالى: ﴿ليغفر لك اللَّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**) [الفتح/٢]، (**فقال ابن عباس:**) في إزالة الشبهة عن ظاهره المقتضي وقوع ذنوب من عليه بغفرانها، مع أنه لا ذنب، (**أي: إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب، أن لو كان،**) أي: وجد فهي تامة، فهو على طريق الفرض تطمينًا له، فلم يرد أنه وقع ذنب غفر، بل لو فرض وقوعه وقع مغفورًا.

وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ لما أمر أن يقول: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾، سر بذلك الكفار، فأنزل ﴿اللَّه ليغفر لك اللَّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

وقال بعضهم: أراد غفران ما وقع وما لم يقع، أي أنك مغفور لك.

وقيل: المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل، حكاه الطبري واختاره القشيري.

وقيل: ما تقدم لأبيك آدم عليه السلام، وما تأخر من ذنوب أمتك، حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء.

(**وقال بعضهم: أراد غفران ما وقع**) قبل النبوة مما لا يؤاخذ به، لأنه لا شرع يلتزم أحكامه، ولا يصح أن المراد من الصغائر عند مجوزها، لأن السياق في دفع شبهة من جعل هذه الآية دليلاً على وقوع الصغائر، (**وما لم يقع**) بفرض وقوعه، (**أي: إنك مغفور لك**) في الحالين، فغاير كلام ابن عباس، لأنه فرض وتقدير لا غير، وهذا على تجويز الوقوع، لكن إن وقع مغفورًا فهو كغيره من الأنبياء، إن وقع منهم لم يؤاخذوا به قطعًا بخلاف الأمة فتحت المشيئة.

(**وقيل: المراد**) بما تقدم (**ما كان**) وقع منه (**عن سهو وغفلة،** و) المراد بما تأخر، ما صدر عن (**تأويل،**) أي: بيان لمعنى يحتمله النص فيحمله عليه باجتهاده، ثم تبين له أن الصواب أو الأولى خلافه، لأن التأويل بيان ما يؤل إليه فيناسب ما تأخر، كما في شرح الشفاء، فلا حاجة لجعل الواو بمعنى، أو (**حكاه الطبري**) محمد بن جرير، (**واختاره القشيري**) عبد الكريم بن هوازن، ولعل المراد بغفران الثلاثة، مع أن آحاد الأمة لا يؤاخذ بها عدم المؤاخذة باللوم على سبب الغفلة والسهو والنسبة إلى التقصير، بسبب التأويل المبني على شبهة لو فرض وقوعها بخلاف غيره، فمؤاخذ بذلك.

(**وقيل: ما تقدم لأبيك آدم عليه السلام، وما تأخر من ذنوب أمتك،**) فاللام للتعليل، أي: غفر لآدم لأجلك لما توسل بك، ولكونك في صلبه، ولأمتك لدعائك، ولأنك رحمة لهم، (**حكه السمرقندي والسلمى**) (بضم ففتح) (**عن**) أحمد (**بن عطاء**) الأدمي، وحكاه الثعلبي عن عطاء الخراساني.

قال السيوطي: وهو ضعيف، أما أولاً فلأن آدم نبي معصوم لا ينسب إليه ذنب البتة، فهو تأويل يحتاج إلى تأويل. انتهى.

وتأويله، بأن المراد بتقدير أنه ذنب، أو سماه ذنبًا مجازًا وإن كان في الحقيقة ليس بذنب من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين، قال: وأما ثانيًا، فلأن نسبة ذنب الغير إلى غير من صدر منه بكاف الخطاب لا يليق، وأما ثالثًا، فلأن ذنوب الأمة كلها لم تغفر بل منهم من يغفر له، ومنهم من لا يغفر له. انتهى.

وقيل: المراد أمته.

وقيل: المراد بالذنب ترك الأولى، كما قيل: حسنات الأبرار سيآت المقربين، وترك الأولى ليس بذنب، لأن الأولى وما يقابله مشتركان في إباحة الفعل.

وقال السبكي: قد تأملتها ـ يعني الآية ـ مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا، وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب،

والجواب عن الثاني: أن اللام في الآية للتعليل، كما قلنا لا للتعدية، وعن الثالث: بأن من لا يغفر له يخفف عنه بالنسبة لما يؤاخذ به غيره على ذلك الذنب من بقية الأمم، فكأنه غفر له، (**وقيل: المراد أمته**،) أي: يغفر اللّه لأمتك ما صدر ويصدر، فالمراد بخطابه خطاب أمته وإضافة الذنب له لأدنى ملابسة، لأنه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع لهم، قال شيخنا: والمراد بالمغفرة على هذا ما رفع العذاب عنهم مطلقًا بالعفو، فلا يعاقبهم على شيء، أو بتخفيفه عنهم، وذلك في حق من عذب للتطهير مما اقترفه، وقال غيره: المراد أن رحمة اللّه لهذه الأمة أكثر من غيرها.

(**وقيل: المراد بالذنب ترك الأولى**،) وعد ذنبًا لرفعة مقامه ونزاهته، فلا يفعله كما لا يفعل الذنب الحقيقي، نعم إن كان القصد من فعل خلاف الأولى، أو المكروه بيان أنه جائز لا إثم فيه، فعله وجوبًا إن تعين طريقًا للتعليم، فيثاب عليه ثواب الواجب، (**كما قيل**،) قائله سعيد الخراز.

رواه عنه ابن عساكر في ترجمته (**حسنات الأبرار سيآت المقربين**،) لأنه كلما ارتقى درجة عدمًا قبلها سيئة، (**وترك الأولى ليس بذنب، لأن الأولى وما يقابله مشتركان في إباحة الفعل**،) وما أبيح ليس بذنب، فأطلق عليه اسمه مجازًا.

وفي التحفة: استغفرك، أطلب منك المغفرة، أي: ستر ما صدر مني من نقص ذنبًا كان أو غير ذنب، فهي لا تستدعي سبق ذنب خلافًا لمن زعمه.

قال شيخنا: فلا حاجة إلى الاعتذار عن تسمية خلاف الأولى ذنبًا تعلقت به المغفرة، وفيه نظر لتصريح الآية بلفظ ذنب، فحمله على خلاف الأولى يحتاج للاعتذار، ولفظ أستغفرك ليس فيه من ذنبي، فإنما يتأتى ما قال: لو قيل ليغفر لك فقط.

(**وقال السبكي**) في تفسيره: (**قد تأملتها، يعني الآية**) بذهني (**مع ما قبلها**،) وهو: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾، (**وما بعدها**،) وهو: ﴿ويتم نعمته عليك﴾، إلى قوله: ﴿نصرًا عزيزًا﴾، (**فوجدتها لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا، وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب**،) حاشى للّه، (**ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم من اللّه على عباده**

ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم ـ من اللّه على عباده ـ الأخروية، وجميع النعم الأخروية شيآن: سلبية وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا تتناهى، أشار إليها بقوله: ﴿**ويتم نعمته عليك**﴾ [الفتح/٢]، وجميع النعم الدنيوية شيآن: دينية أشار إليها بقوله: ﴿**ويهديك صراطًا مستقيمًا**﴾ [الفتح/٢]، ودنيوية وهي قوله: ﴿**وينصرك اللّه نصرًا عزيزًا**﴾ [الفتح/٣]، فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي ﷺ بإتمام أنواع نعم اللّه تعالى عليه المتفرقة في غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه

الأخروية،) صفة النعم (**وجميع النعم الأخروية**) إظهار في مقام الإضمار ليتبين غاية البيان، (**شيآن سلبية، وهي غفران الذنوب،**) أي: من حيث هي، وإن لم يكن للمخاطب ذنب، لأنه لو لم يذكر غفرانها لكان فيه ترك استيعاب جميع أنواع النعم، (**وثبوتية، وهي لا تتناهى، أشار إليها**) إلى الثبوتية، (**بقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾، وجميع النعم الدنيوية شيآن: دينية أشار إليها بقوله: ﴿ويهديك صراطًا﴾**) طريقًا (**﴿مستقيمًا﴾**) [الفتح/٢] الآية، يثبتك عليه، وهو دين الإسلام، (**ودنيوية،**) وإن كانت هناك المقصود بها الدين.

هذا أسقطه من السبكي قبل قوله، (**وهي قوله: ﴿وينصرك اللّه نصرًا عزيزًا﴾**) [الفتح/٣] الآية، لا ذل معه، وقدم الأخروية على الدنيوية وقدم في الدنيوية الدينية على غيرها تقديمًا للأهم فالأهم، هكذا في تفسير السبكي قبل قوله: (**فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي ﷺ بإتمام أنواع نعم اللّه تعالىٰ عليه، المتفرقة في غيره،**) ثم يحتمل رجوع جوابه بآخرة الأمر إلى قول ابن عباس: أن لو كان ضرورة الخطاب والإضافة في الآية، والأظهر أن مراد السبكي أن المعنى منعك من الذنب فلا تواقعه، إذ الغفر الستر والغطاء، وعلى هذا فلا حاجة إلى تقدير أن لو كان.

وقد قال العلامة البرماوي في شرح البخاري: المعنى واللّه أعلم، أي: حال بينك وبين الذنوب فلا تأتيها؛ لأن الغفر الستر، وهو إما بين العبد والذنب، وإما بين الذنب وبين عقوبته، فاللائق بالأنبياء الأول، وبأممهم الثاني. انتهى.

ونحوه قول بعض المحققين: المغفرة هنا كناية عن العصمة، فمعنى ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ليعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما أخر منه.

قال السيوطي: وهذا القول في غاية الحسن، وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة في القرآن؛ أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة، كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر منه﴾، وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى ﴿فإذ لم تفعلوا وتاب اللّه عليكم﴾ [المجادلة/١٣]، وعند نسخ تحريم الجماع لليلة الصيام

بإسناد إليه تعالى بنون العظمة، وجعله خاصًا بالنبي ﷺ بقوله: لك.

وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية: وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم، ولم يكن ذنوب ألبتة.

ثم قال: وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتاب أنه لم يقع منه ﷺ،

﴿فتاب عليكم وعفا عنكم﴾، **(ولهذا جعل ذلك اية للفتح المبين،)** وهو صلح الحديبية أو مكة، نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها، وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه، أو فتح خيبر، أو غير ذلك أقوال: أرجحها عند قوم الأول، وتقدم بسطه في غزوة الحديبية **(الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه تعالى بنون العظمة،)** بقوله: ﴿إنا فتحنا﴾ [الفتح/١]، **(وجعله خاصًا بالنبي ﷺ، بقوله: لك،)** كأنه قيل لا لغيرك، وأشار بهذا إلى جواب؛ أن المغفرة ليست سببًا، للفتح إذ السبب ما يلزم من وجوده وجود غيره، والمغفرة التي هي عدم المؤاخذة بالذنب لا تستدعي الفتح، وحاصل الجواب إن اللام علة غائية، أي: أن الفتح لما فيه من مقاساة الأهوال مع الكفار جعل سببًا للمغفرة وإتمامًا للنعمة والنصر العزيز.

وفي البيضاوي: علة للفتح من حيث أنه تسبب عن الجهاد والسعي في إعلاء الدين وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرًا ليصير ذلك بالتدريج اختيارًا، وتخليص الضعفة من أيدي الظلمة.

(وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية،) لفظ السبكي: وبعد أن وقعت على هذا المعنى، وجدت ابن عطية قد وقع عليه، فقال بعد أن حكي قول سفيٰن الثوري: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر، يريد كل شيء لم يعمله، وهذا ضعيف، **(وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم،)** وهو استيعاب جميع أنواع النغم، **(ولم يكن)** له **(ذنوب البتة،)** وأجمع العلماء على عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر التي هي رذائل، وجوز بعضهم الصغائر التي ليست برذائل، واختلفوا: هل وقعت من محمد ﷺ أو لم تقع؟.

وحكى الثعلبي عن عطاء الخراساني: ما تقدم من ذنب آدم وحواء، أي: ببركتك، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك.

وقال بعضهم: ما تقدم قوله يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد»، وما تأخر قوله يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، وهذا كله معترض، هذا كلام ابن عطية برمته.

قال السبكي: وقد وفق فيما قال: فنقول المتن، **(ثم قال،)** أي: السبكي لا ابن عطية، كما توهم، فإنه خلاف الواقع إذ ابن عطية ليس فيه كما رأيت قوله: **(وعلى تقدير الجواز لا أشك ولا أرتاب أنه لم يكن يقع منه ﷺ)** والذي أوقعه في هذا الوهم، أن السبكي لما نقل قول ابن

وكيف يتخيل خلاف ذلك ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم/٣، ٤].

وأما الفعل: فإجماع الصحابة على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من قليل أو كثير، أو صغير أو كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث، حتى أعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها، علم بهم أو لم يعلم، ومن تأمل أحوال الصحابة معه ﷺ استحيى من الله أن يخطر بباله خلاف ذلك، انتهى.

وأما قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾

عطية، اختلفوا هل وقع من محمد...الخ. عقبه بقوله: قلت لا أشك، فظن أن قلت من جملة نقله، وليس كذلك، بل زيادة فصلها بلفظ قلت: (**وكيف يتخيل خلاف ذلك**،) أسقط من قول السبكي وأحواله عليه السلام منقسمة إلى قول وفعل، أما القول، فقال تعالىٰ: (**﴿وما ينطق عن الهوى﴾**)، [النجم/٣] أي: هوى نفسه (**﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾**) [النجم/٤].

(**وأما الفعل**) قسيم قول السبكي: أما القول، وكأنه أسقط من المصنف سهوًا أو من نساخه، (**فإجماع الصحابة على اتباعه والتأسي**:) الاقتداء (**به في كل ما**،) أي: شيء (**يفعله من قليل، أو كثير، أو صغير، أو كبير، لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله**) مجرور بحتى (**في السر والخلوة، يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها، علم بهم أو لم يعلم**،) كابن عمر لما سأل بلالا: هل صلى المصطفى لما دخل الكعبة؟، ولما رآه يقضي الحاجة مستقبلاً، فأفتى بذلك وغير ذلك مما وقع له ولغيره، (**ومن تأمل أحوال الصحابة معه ﷺ**) وما عرفوه وشاهدوه منه في جميع أحواله من أوله إلى آخره، (**استحى من الله أن يخطر**) (بضم التحتية)، من أخطر ليكون من فعله (**بباله خلاف ذلك**،) لا بفتحها من خطر لصدقه بخطوره دون فعله، ومثله لا يؤاخذ به. (**انتهى**) كلام السبكي رادًا به قول الزمخشري: معنى الآية جميع ما فرط منك.

وقال مقاتل: ما كان في الجاهلية. وقال سفيٰن الثوري: ما عملت في الجاهلية وما لم تعمل. وردهما السبكي بأنه ﷺ ليست له جاهلية.

وقيل: ما كان قبل النبوة، ورده بأنه معصوم قبلها وبعدها، وقيل: ما تقدم حديث مارية وما تأخر امرأة زيد، قال: وهذا باطل، فمن اعتقد أن في قصتهما ذنبًا فقد أخطأ، وقيل: غير ذلك مما زيف كله، وللسيوطي في ذلك وريقات، سماها القول المحرر، (**وأما قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها النبي اتقِ الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾**) [الأحزاب: ١].

[الأحزاب/١].

فلا مرية أنه ﷺ أتقى الخلق، والأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به، إذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس، ولا للساكت اسكت، ولا يجوز عليه أن لا يبلغ، ولا أن يخالف أمر ربه، ولا أن يشرك، ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين، حاشاه الله من ذلك، وإنما أمره الله بتقوى توجب استدامة الحضور.

وأجاب بعضهم عن هذا أيضًا بأنه ﷺ كان يزداد علمه بالله تعالى، ومرتبته، حتى كان حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه ترك للأفضل، فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد.

روى جرير عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة، دعوا النبي ﷺ إلى أن يرجع عن قوله، على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود، وإن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله: ﴿يأيها النبي اتقِ اللّه﴾ . **(فلا مرية:)** لا شك في صرفها عن ظاهرها، وذلك **(أنه ﷺ اتقى الخلق)** بالنصوص القطعية والإجماع، **(والأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به، إذ لا يصلح أن يقال للجالس إجلس، ولا للساكت اسكت،)** فأمره بالتقوى، أمر بتحصيل الحاصل، وهو محال، **(ولا يجوز عليه أن لا يبلغ)** ما أوحى إليه، **(ولا أن يخالف أمر ربه، ولا أن يشرك، ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين،)** لا عقلاً ولا نقلاً، **(حاشاه الله من ذلك،)** وهذا كله تصوير للإشكال، **(و)** الجواب أنه **(إنما أمره الله بتقوى توجب استدامة الحضور)** في مقام المشاهدة والقرب اللائق بكماله فأمره باستدامة ذلك أمر بما لم يكن حاصلاً، وأجاب عياض بأنه ليس في الآية أنه أطاعهم، والله سبحانه ينهاه عما شاء، ويأمره بما شاء، كما قال تعالىٰ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام/ ٥٢]، وما كان طردهم وما كان من الظالمين. انتهى.

وهو منع للإشكال من أصله، وأن ابتناءه إنما هو على عرف أمر الخلق وخطابهم، والله تعالىٰ ليس كذلك، فله أن ينهى من لم يقع منه خلافه، ويأمر بما لم يتصور من المأمور خلافه، وهذا جواب حسن، ويأتي في المتن بمعناه.

(وأجاب بعضهم عن هذا) الإشكال **(أيضًا بأنه ﷺ كان يزداد علمه بالله تعالىٰ ومرتبته)** منزلته العلية، **(حتى كان)** بالتشديد **(حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه)** الآن مما تجدد **(ترك للأفضل)** خبر كان، **(فكان له في كل ساعة تقوى**

وقيل: المراد دم على التقوى. فإنه يصح أن يقال للجالس: اجلس ههنا إلى أن آتيك، وللساكت: قد أصبت فاسكت تسلم، أي دم على ما أنت عليه.

وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد أمته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾ [النساء/٩٤]، ولم يقل بما تعمل.

وأما قوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ [القلم/٨].

فاعلم أنه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمره ﷺ، ونسبته إلى ما نسبوه إليه، مع ما أنعم الله به عليه من الكمال في أمر الدين والخلق العظيم، أتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه إلى التشديد مع قومه، وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة

تتجدد،) فتورثه زيادة العلم وغيره من الكمالات، فكان معنى اتقِ الله دم على طلب الازدياد من العلوم والكمالات.

(وقيل: المراد دم) واظب (على التقوى، فإنه يصح أن يقال للجالس: إجلس ههنا إلى أن آتيك، وللساكت: قد أصبت فاسكت تسلم، أي: دم على ما أنت عليه).

قال ابن عطية: معناه دم على التقوى، ومتى أمر آخر بشيء وهو متلبس به، فإنما معنا، الدوام في المستقبل على مثل الحال الماضية.

(وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد أمته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الله كان بما تعملون﴾) بالتاء والياء (﴿خبيرًا﴾) [النساء/٩٤] الآية، (ولم يقل بما تعمل) وعلى الأول، فقال ابن عطية: هو تسلية له ﷺ، أي: لا عليك منهم ولا من إيمانهم، فالله عليم بمن يتبعك، حكيم في هدى من شاء وإضلال من شاء، ثم أمره باتباع ما يوحى إليه، وهو القرآن الحكيم، والاقتصار على ذلك، وفي قوله: ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾، توعد ما، وقرأ أبو عمرو وحده ﴿تعملون﴾ (بالتاء)، والتوعد على هذه القراءة للكافرين والمنافقين أبين، (وأما قوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾) [القلم/٨]، قال ابن عطية: يريد قريشًا، لأنهم قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا إلهك وعظمناه، وودوا أن يداهنهم ويميل إلى قولهم فيميلوا هم أيضًا إلى قوله ودينه، والمداهنة الملاءمة فيما لا يحل، والمداراة الملاينة فيما يحل، (فاعلم أنه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمره ﷺ ونسبته إلى ما نسبوه إليه) من الجنون، نافيًا ذلك عنه. بالقسم، بقوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [القلم/١، ٢]، (مع ما أنعم الله به عليه من الكمال) الظاهر لكل أحد (في أمر الدين والخلق العظيم)، بقوله: ﴿وإن لك لأجرًا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم﴾) [القلم/ ٣. ٤]، (اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه إلى

الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل فقال: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة، وذلك أنهم دعوه إلى دينهم، فنهاه اللّٰه أن يطيعهم، وهذا من اللّٰه تهييج للتشديد في مخالفتهم.

وأما قوله تعالى: **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾** [يونس/٩٤]، الآية.

فاعلم أن المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا: فقال قوم المخاطب به النبي ﷺ، وقال آخرون: المخاطب به غيره.

فأما من قال بالأول فاختلفوا على وجوه:

الأول: أن الخطاب مع النبي ﷺ في الظاهر والمراد به غيره، كقوله تعالى:

التشديد مع قومه) المكذبين بالدين، **(وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد،)** الذين معه من المسلمين **(وكثرة الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل، فقال: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ الآية،)** فنهاه وإن كان لم يقع منه طاعة لهم، تقوية لقلبه ليذهب عنه خوفهم المضعف للقلب، فيظهر دين اللّٰه بلا خوف.

(والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة، وذلك أنهم دعوه إلى دينهم) على أن يميلوا إلى دينه، فلم يفعل، **(فنهاه اللّٰه أن يطيعهم، وهذا من اللّٰه تهييج للتشديد في مخالفتهم،)** لأن النهي عما لم يقع يقوي تصويبه والمداومة على عدمه.

(وأما قوله تعالىٰ: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾،) من القصص فرضًا، **(فاسأل الذين يقرءون الكتاب)** التوراة **(من قبلك،)** فإنه ثابت عندهم، يخبروك بصدقه، **(الآية)** إشارة إلى أن الشبهة في تمامها أيضًا وهو: ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات اللّٰه فتكون من الخاسرين﴾ [يونس/٩٤، ٩٥]، **(فاعلم أن المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا، فقال قوم: المخاطب به النبي ﷺ)** ولا ضير فيه، لأنه شرط لم يقع نحو: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا اللّٰه لفسدتا﴾ [الأنبياء/٢٢]، أو على سبيل الفرض، وهذا أحسن.

(وقال آخرون: المخاطب به غيره، فأما من قال بالأول، فاختلفوا على وجوه: الأول أن الخطاب مع النبي ﷺ في الظاهر، والمراد به غيره).

قال بكر بن العلاء: ألا تراه يقول: ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات اللّٰه﴾، وهو كان المكذب بلفظ اسم المفعول، **(كقوله تعالىٰ: ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء﴾)** فطلقوهن

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق/١] وكقوله: **﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾** [الزمر/٦٥]، وكقوله لعيسى ابن مريم: **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾** [المائدة/١١٦] ومثل هذا معتاد، فإن السلطان إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فأراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فإنه لا يوجه خطابه إليهم، بل يوجهه إلى ذلك الأمير ليكون ذلك أقوى تأثيرًا في

لعدتهن﴾) [الطلاق/١] الآية، فإن المخاطب بذلك هو، والمراد غيره، لأنه إذا طلق إنما يطلقهن لعدتهن.

وقول البيضاوي: خص النداء وعم الخطاب بالحكم، لأنه إمام أمته، فنداؤه كندائهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه، لا يخالفه، لأنه وإن كان الحكم يعم، لكنه لم يقصد بالخطاب، لأنه لا يفعله، كما علم كيف، وفيه: ﴿واتقوا الله ربكم﴾، فيكون في حقه من تحصيل الحاصل.

ورد شيخنا كلام المصنف لظاهر البيضاوي بأن المراد غيره بخصوصه، فيصدق بما إذا كان المراد هو وغيره، لأنه مع غيره، وغيره بخصوصه لا يليق لما علم، (**وكقوله: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾**) [الزمر/٦٥]، أي: يفسد ويسقط عن الاعتبار، ويبطل من حبطت الدابة إذا أفرطت في المرعى حتى ماتت وانتفخت، وجعل هذه الآية مشبهًا بها، لأنها أظهر في التعليق بالمحال، لأن الخطاب فيها للرسل كلهم، إذ أولها ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾، وأفرد، لأن المراد كل واحد منهم وهم مبرؤن عن الشرك فالمراد أممهم ممن يجوز عليه الشرك تعريضًا وتهييجًا لحميتهم حتى ينتهوا عنه، (**وكقوله لعيسى ابن مريم: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله﴾**) [المائدة/١١٦]، صفة لإلٰهين أو صلة اتخذوني، ومعنى دون المغايرة تنبيهًا على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة، فمن عبده مع عبادتهما، كأنما عبدهما ولم يعبده، أو القصور، فإنهم لم يعتقدوا استحقاقهما للاستقلال بالعبادة، وإنما زعموا أنها توصل إلى عبادة الله، وكأنه قيل: اتخذوني وأمي إلٰهين متوصلين بنا إلى عبادة الله، قاله البيضاوي، ففي التنظير بهذه الآية شيء، فإنه لم يخاطب عيسى مريدًا غيره، بل توبيخ الكفرة لا خطابهم خصوصًا، وذلك يوم القيامة، (**ومثل هذا معتاد**) واقع كثيرًا في القرآن، وكلام العرب، وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح.

وله نكات ومقاصد جليلة، كحمله على الإذعان والقبول وإطفاء نار الغضب والحمية، (**فإن السلطان إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فأراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص**) بها دون الأمير، (**فإنه لا يوجه خطابه إليهم، بل يوجهه إلى ذلك الأمير، ليكون**

قلوبهم.

الثاني: قال الفراء: علم اللّه تعالى أن رسوله ﷺ غير شاك، ولكن هذا كما يقول الرجل لولده: إن كنت ابني فبرني، ولعبده: إن كنت عبدي فأطعني.

الثالث: أن يقال لضيق الصدر شاك، يقول: إن ضقت ذرعًا بما تعاني من تعنتهم وأداهم فاصبر واسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم، وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر، فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة، وأن القرءان مصدق لما فيه، أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته، أو يكون على سبيل الفرض والتقدير، لا إمكان

ذلك أقوى تأثيرًا في قلوبهم) فيبادروا بفعل الأمر، (**الثاني: قال الفراء**) لقب ليحيى بن زياد الكوفي، نزيل بغداد، النحوي المشهور، المتوفى سنة سبع ومائتين، لأنه كان يفري الكلام فريًا، (**علم اللّه تعالى أن رسوله ﷺ غير شاكٍ**).

قال عياض: احذر ثبت اللّه قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك له فيما أوحي إليه، وأنه من البشر، فمثل هذا لا يجوز حمله عليه، بل قد قال ابن عباس وغيره: لم يشك ﷺ ولم يسأل، ونحوه.

عن ابن جبير والحسن، وحكي قتادة أن النبي ﷺ قال: ما أشك ولا أسأل، وعامة المفسرين على هذا، (**ولكن هذا كما يقول الرجل لولده، إن كنت ابني فبرني، ولعبده: إن كنت عبدي فأطعني**) في التنظير بهذا نظر، فإنما يقول الرجل ذلك لولده وعبده إذا استشعر منهما نوع تقصير في حقه، والنبي ﷺ لا تقصير عنده في حق اللّه تعالى، حتى يخاطبه بما يوهم لو ما حاشاه من ذلك. وقد يجاب بأن التنظير به من حيث أنه يخاطب به مع علمه أنه لا شك عنده من غير ملاحظة لوم على تقصير، وإن كان هو عليه السلام ينسب التقصير لنفسه، بنحو قوله: لا أحصى ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك.

(**الثالث: أن يقال لضيق الصدر شاك**،) فالمعنى أنه (**يقول إن ضقت ذرعًا**) صدرًا (**بما تعاني**،) تقاسي (**من تعنتهم وأداهم، فاصبر واسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم**)، وقد قال: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [الأحقاف/ ٣٥] ، (**وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر**) على الكافرين، (**فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة، وأن القرآن مصدق لما**،) أي: المعاني التي اشتمل عليها ما جاء في الكتب، فضمير (**فيه**) راجع «لما»، وصح ذلك رعاية للفظ ما، وإن كان مدلولها متعددًا (**أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام**) إثارته، (**وزيادة تثبيته**).

وقوع الشك له، ولذلك قال ﷺ لما نزلت هذه الآية: «والله لا أشك ولا أسأل».

وأما الوجه الثاني ـ وهو أن المخاطب غيره ﷺ ـ فتقريره: أن الناس كانوا في زمانه فرقًا ثلاثة: المصدقون به، والمكذبون له، والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال: فإن كنت في شك أيها الإنسان مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان نبينا محمد ﷺ، فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته، وهذا مثل قوله تعالى: **﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾** [الإنفطار/٦] و **﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾** [الإنشقاق/٦]، و **﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾** [الزمر/٨] فإن المراد «بالإنسان» هنا الجنس، لا إنسان

قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أن من خالطته شبهة في الدين، ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم، (**أو يكون على سبيل الفرض والتقدير،**) أي: إن فرض وقدر وقوع ذلك منك (**لا إمكان وقوع الشك له،**) لأن هذه الشرطية غير ممكنة، (**ولذلك قال ﷺ لما نزلت هذه الآية: «والله لا أشك ولا أسأل»**) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلاً، لكن بدون قسم.

وقيل: المراد قل للشاك إن كنت في شك من ديني، وفي السورة نفسها ما يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾ [يونس/١٠٤].

وقيل: هو تقرير، كقوله: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد علم سبحانه أنه لم يقل ذلك.

وقيل: معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمأنينة وعلمًا إلى علمك، ويقينًا إلى يقينك.

وقيل: معناه إن كنت تشك فيما شرفناك وأعطيناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب، ونشر فضائلك وقيل: المراد إن كنت في شك من اعتقاد غيرك فيما أنزلناه، حكاه في الشفاء.

(**وأما الوجه الثاني: وهو أن المخاطب غيره ﷺ، فتقريره أن الناس كانوا في زمانه فرقًا ثلاثة،**) فريق منهم (**المصدقون به و**) وفريق منهم (**المكذبون له، و**) فريق منهم (**المتوقفون في أمره، الشاكون فيه،**) صفة كاشفة لمعنى المتوقفون، (**فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب، فقال: فإن كنت في شك أيها الإنسان مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان نبينا محمد ﷺ، فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته،**) فليس هو مخاطبًا أصلاً، (**وهذا مثل قوله: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾**) [الانفطار/٦]، حتى عصيته (**﴿ويا أيها الإنسان إنك كادح﴾**) [الانشقاق/٦]، جاهد في عملك إلى لقاء ربك، وهو الموت، ومثل قوله: (**﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾**) [الزمر/٨] الآية، دعانا، وفي نسخة: وإذا مس الإنسان ضر، بالواو،

بعينه، فكذا هنا، ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال: ﴿**ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين**﴾ [يونس/٩٥].

وأما قوله تعالى: ﴿**والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين**﴾ [الأنعام/١١٤].

أي في أنهم لا يعلمون ذلك، أو يكون المراد: قل لمن امترى يا محمد، لا تكونن من الممترين فليس الخطاب له وأنه ﷺ يخاطب به غيره. وقيل غير ذلك.

وهي آية قبل هذه في سورة الزمر، جواب شرطها: دعا ربه منيبًا إليه، (**فإن المراد بالإنسان هنا**) في الآيات الثلاثة (**الجنس لا إنسان بعينه، فكذا هنا**) في ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾، خطاب لكل من يصح أن يحبط عمله وأن يشرك لا لمخاطب بعينه، (**ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم، حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثاني، وهم المكذبون، فقال: ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾**) [يونس/٩٥] الآية.

(وأما قوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه**﴾)، أي القرآن (﴿**منزل من ربك**﴾،) ملتبسًا (﴿**بالحق**﴾،) ونسب العلم لجميعهم، لعلم أحبارهم به، وتمكن باقيهم من ذلك بأدنى تأمل (﴿**فلا تكونن من الممترين**﴾) [الأنعام/١١٤]، الشاكين فيه، أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من لا تمتر، وحذف جواب أما ـ للعلم به من السوابق واللواحق-: وهو، فليس المراد أنه ﷺ شك فيما ذكر أول الآية، وهي ﴿أفغير الله أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾، بل المعنى، (**أي: في أنهم لا يعلمون ذلك،**) وصوابه إسقاط لا، فالمعنى لا يستقيم على وجودها.

ولفظ الشفاء: أي: في علمهم بأنك رسول الله، وإن لم يقروا بذلك، وليس المراد به شكه ﷺ فيما ذكر في أول الآية، وفي الأنوار: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾، في أنهم يعلمون ذلك، أو في أنه منزل بجحود أكثرهم وكفرهم به، فيكون من باب التهييج، كقوله: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ (**أو يكون المراد: قل لمن امتري يا محمد؟،**) متعلق بقل قدم عليه متعلقة (**لا تكونن من الممترين،**) في أن القرآن نزل عليك من الله، وأيدك بمعجزاته، (**فليس الخطاب له،** و) إنما المراد؛ (**أنه ﷺ يخاطب به غير**) من الكفار.

قال عياض: ويدل على قوله أول الآية ﴿أفغير الله أبتغي حكمًا﴾ [الأنعام/١١٤] الآية، (**وقيل غير ذلك،**) فقيل: الخطاب له والمراد غيره، والقصد تقرير الكفار بأنه حق. وقيل:

وأما قوله: ﴿ولو شاء اللّه لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام/٣٥].

فقال القاضي عياض: لا يلتفت إلى قول من قال: لا تكونن ممن يجهل أن اللّه تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى، إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات اللّه تعالى، وذلك لا يجوز على الأنبياء، والمقصود وعظمهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين، وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه اللّه على الكون عليها، فأمره اللّه تعالى بالتزام الصبر على إعراض قومه، ولا تحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر. حكاه أبوبكر بن فورك.

وقيل: معنى الخطاب لأمته ﷺ لا له، أي فلا تكونوا من الجاهلين. حكاه أبو

الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته، فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه.

(**وأما قوله: ﴿ولو شاء اللّه لجمعهم﴾**) أي: جعل الناس كلهم مجتمعين، متفقين (**على الهدى**) بهدايتهم للعقائد الحقة واتباع الشريعة اللازمة، فلا يضل أحد منهم عن الطريق المستقيم (**فلا تكونن من الجاهلين﴾**) [الأنعام/٣٥]، فنهيه عن ذلك يوهم أنه لم يحط به وهو منزه عنه، (**فقال القاضي عياض: لا يلتفت**) بالبناء للمجهول، أي: لا يتوجه التفات نظر (**إلى قول من قال**) من المفسرين: (**لا تكونن ممن يجهل أن اللّه تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى**،) بإسناد الجهل بمشيئة اللّه إليه، (**إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات اللّه تعالى**،) وهي قدرته وعلمه، (**وذلك لا يجوز على الأنبياء**،) لعلمهم باللّه وصفاته، (**والمقصود**،) أي: المعنى المراد (**وعظمهم**،) أي: الأمة، أي: إرشادهم وتنبيههم على (**أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين**،) أي: لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة المراد، كما هو شأن الجهلة، (**وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه اللّه على الكون عليها**،) وعليه، فالخطاب له والمراد غيره، (**فأمره اللّه تعالى بالتزام الصبر على إعراض قومه**،) بقوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ [الأنعام/٣٥]، المختومة بالنهي، فالمراد بالأمر ما يلزم النهي، وقد أمر بالصبر صريحًا في آيات، كقوله: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾.) [الأحقاف/٣٥] الآية، (**ولا تحرج**) من الحرج، وهو ضيق الصدر (**عند ذلك**،) أي: عند إعراضهم، عنه هكذا ضبطه شراح الشفاء ويقع محرفًا في نسخ المصنف ولا يخرج عن ذلك من الخروج فمشى عليه الشارح فقال: أي: والتزام عدم خروجه عن ذلك. (**فيقارب**) حاله (**حال الجاهل بشدة التحسر**) التأسف والندم بسبب إعراضهم (**حكاه أبو بكر بن فورك**) (بضم الفاء)،

محمد مكي، قال: ومثله في القرءان كثير، وكذلك قوله: ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض**﴾ [الأنعام/١١٦] يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره، كما قال تعالى: ﴿**إن تطيعوا الذين كفروا**﴾ [آل عمران/١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿**فإن يشأ الله يختم على قلبك**﴾ [الشورى/٢٤] و ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك**﴾ [الزمر/٦٥] وما أشبه ذلك فالمراد غيره، وأن هذه حال من أشرك، والنبي ﷺ لا يجوز عليه هذا، هذا والله ينهاه عما شاء ويأمره بما يشاء، كما قال تعالى له: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾ [الأنعام/٥٢]، وما طردهم عليه السلام وما كان من

العلامة الشهير.

تقدم غير مرة.

(**وقيل: معنى الخطاب لأمته ﷺ لا له**،) فهو تعريض، (أي: **فلا تكونوا من الجاهلين**،) أي: ممن اتصف بصفاتهم. (**حكاه أبو محمد**،) وفي نسخة أبو بكر، وهي خطأ، فكنيته أبو محمد (**مكي**) (بالميم) ابن أبي طالب، تقدم أيضًا.

(**قال**) مكي: (**ومثله في القرآن كثير**) يخاطب المصطفى، والمراد أمته، (**وكذلك قوله:** ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض**﴾،) وهم الكفار بموافقة ما هم عليه، (﴿**يضلوك عن سبيل الله**﴾،) مع أنه علم أنه لا يطيعهم، (**فالمراد غيره**) وإن كان الخطاب له، فهو تعريض، (**كما قال تعالىٰ**) خطابًا لغيره: ﴿يا أيها الذين آمنوا (**إن تطيعوا الذين كفروا**) يردوكم على أعقابكم﴾ [آل عمران/١٤٩]، فهو يؤيد أن المراد بالخطاب في تلك الآية غيره، لأن القرآن يفسر بعضه، (وقوله تعالى: (﴿**إن يشأ الله يختم**﴾) بربط (﴿**على قلبك**﴾) [الشورىٰ/٢٤]، وقد علم أنه لا يشاء ذلك، فالمراد غيره.

والتنظير بهذه بناءً على أن المراد الربط المذموم، أما على أن المعنى يربط بالصبر على أذاهم، وبالصبر على قولهم: إفتراه وغيره، وقد فعل، فليست مما الكلام فيه (﴿**ولئن أشركت ليحبطن عملك**﴾) [الزمر/٦٥]، وقد علم سبحانه أنه لا يشرك، فالمراد غيره، (**وما أشبه ذلك**،) كقوله: (﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾) [يونس/١٠٦]، فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين، وقوله: ﴿إذًا لأذقناك ضعف الحياة﴾ [الإسراء/٧٥]، وقوله ﴿لأخذنا منه باليمين﴾، (**فالمراد غيره**) تعريضًا وإيقاظًا، (**وأن هذه حال من أشرك**) بالله لا حاله (**والنبي ﷺ لا يجوز عليه هذا**)، فلا بدّ من تأويله (**هذا، والله**) سبحانه (**ينهاه عما شاء**،) وإن لم يمكن وقوعه منه، (**ويأمره بما شاء**،) وإن استحال عليه تركه نحو اتقِ الله أن يعامل نبيه بما يمتنع أن يعامل به غيره، (**كما قال تعالىٰ له:** ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم**﴾،) أي: يعبدونه (﴿**بالغداة والعشي**﴾)

الظالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [يوسف/٣].

فليس بمعنى قوله: ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ [يونس/٧]، وإنما المعنى: لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام، إذ لم تخطر ببالك، ولم تقرع سمعك قط، فلم تعلمها إلا بوحينا.

وأما قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّه﴾ [الأعراف/٢٠٠] الآية.

فمعناه: يستخفنك بغضب يحملك على ترك الإعراض عنهم.

[الأنعام/٥٢]، وما) كان (طردهم عليه السلام) عن مجلسه، (وما كان من الظالمين) أي: ممن ظلمهم بطردهم، لأنه لم يقع منه ذلك.

روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص، قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة، وأنا وعبد اللّه بن مسعود وأربعة، قالوا لرسول اللّه ﷺ: اطردهم، فإنا نستحي أن نكون تبعًا لك كهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ، فأنزل اللّه، ﴿ولا تطرد﴾ الآية، إلى قوله: ﴿أليس اللّه بأعلم بالشاكرين﴾ [الأنعام/٥٣].

وفي حديث، ابن مسعود عند أحمد، وغيره أن الأربعة خباب وصهيب وبلال وعمار، وإنما هم بذلك رجاء إسلام قومه، مع أن ذلك لا يضر أصحابه لعلمه بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه.

(وأما قوله تعالى): ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾) [يوسف/٣]، (فليس بمعنى قوله: ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ أي: دلائل وحدانيتنا (﴿غافلون﴾) [يونس/٧]، تاركون النظر فيها، لأنه ﷺ معصوم عن هذه الغفلة، (وإنما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام، إذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط، فلم تعلمها إلا بوحينا،) والغفلة عن مثل ذلك مما لا يعلم إلا بالنقل لا نقص فيه، وفي التعبير بالغفلة إشارة إلى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم، حتى كأنه كان عالمًا به ونسيه.

روى ابن جرير، عن ابن عباس، قال: قالوا يا رسول اللّه لو قصصت علينا، فأنزل اللّه: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾.

وروى ابن مردويه، عن ابن مسعود، مثله: (وأما قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّه﴾) من الشيطان الرجيم [الأعراف/٢٠٠]. مع عصمته من تسليطه عليه بأذية، أو وسوسة، وإن كانت أن الشرطية لا تقتضي الوقوع، (فمعناه يستخفنك بغضب، يحملك على

والنزغ: أدنى حركة تكون، كما قاله الزجاج.

فأمره اللّه أنه متى يحرك عليه غضب على عدوه، أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ به تعالى منه، فيكفى أمره، ويكون سبب تمام عصمته، إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يجعل له قدرة عليه. وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه، لا في أول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من اللّه

ترك الإعراض عنهم،) فهي راجعة لقوله قبلها ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ أي: لا تكافىء السفهاء الذين أغضبوك بمثل أفعالهم وأعرض عنهم فهذه الآية كما قيل جامعة لمكارم الأخلاق.

ولذا قال له جبريل لما سأله عنها: إن اللّه تعالى أمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فهذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، لا من شيء تسببه، فالغضب على الجاهل، وجزاؤه بمثل فعله تأديبًا له، لا بعد من نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة عند الغضب، فليست الآية منسوخة بآية القتال، كما قيل: **(والنزغ أدنى:)** أقل **(حركة تكون،)** توجد، **(كما قاله الزجاج).**

وفي الأنوار: النزغ والنسغ والنخس الغرز، شبه وسوسته الناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجًا بغرز السائق ما يسوقه، وقيل: النزغ في الآية الإفساد، فأصل معناه الطعن، ثم شاع استعماله في كل مفسد، كقوله: من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي، أي: أفسد ما بيني وبينهم، وقيل: معناه يغرينك ويحركنك، والنزغ أدنى الوسوسة، **(فأمره اللّه أنه متى يحرك عليه غضب على عدوه)** لسوء ما وقع منه **(أو رام الشيطان من إغرائه)** (بغين معجمة) وراء، أي: إيقاعه **(به،)** كحثه على قتله وقراءته، (بغين وزاي) معجمتين تصحيف، **(وخواطر أدنى:)** أقل **(وساوسه:)** جمع وسواس، **(ما لم يجعل له سبيل إليه،)** لعصمته مفعول رام **(أن يستعيذ به تعالى منه،)** فيقول: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، ولا يطيعه ويفعل بنزغه، **(فيكفي أمره)** بصرفه عنه، **(ويكون)** ذلك **(سبب تمام عصمته،)** لأنها من مجرد الخاطر نهاية الحفظ والمنع، إذ الخطور بالبال لا يصرفها، **(إذ لم يسلط)** الشيطان **(عليه بأكثر من التعرض له،)** فضلاً عن التمكن منه وإيصال أذيته له، **(ولم يجعل له قدرة عليه،)** فيرجع خائبًا خاسرًا، **(وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك)** بأن يتمثل بمثاله، ويقول: أنا ملك، أرسلني اللّه إليك لحفظ اللّه تعالى له عنه، **(ويلبس،)** بزنة يخلط، ومعناه **(عليه)** أمره لا يقع ذلك **(لا في أول الرسالة،)** أي: أول دعوة الخلق إلى اللّه **(ولا بعدها،)** الظاهر بعده، أي: بعد الأول،

وأسقط من عياض قوله: والاعتماد في ذلك دليل المعجزة، أي: اعتماده في أن ذلك

هو الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه اللّٰه له أو ببرهان يظهر لديه كما قدمته في المقصد الأول عند البعثة، لتتم كلمة ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته.

وأما قوله: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** [الحج/٥٢] الآية.

فأحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين: أن التمني المراد به هنا: التلاوة، وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى

وحي، دليل على أنه معجزة له، أو هو يعتمد على ما ظهر له من المعجزة، كتسليم الحجر والشجر، (**بل لا يشك النبي**،) أي: نبي كان نبينا وسائر الأنبياء؛ (**أن ما يأتيه من اللّٰه هو الملك ورسوله**) إليه (**حقيقة**) بلا شك، (**إما بعلم ضروري يخلقه اللّٰه له**،) بديهي لا يحتاج لدليل لعدم تردده فيه، (**أو ببرهان**) دليل قطعي، (**يظهر لديه**) مما يشاهده من الآيات، كنطق الحجر وتسليم الشجر، (**كما قدمته في المقصد الأول عند**) ذكر (**البعثة**،) وكل ذلك (**لتتم كلمة ربك**) بتبليغ أحكامه ومواعيده (**صدقًا**) في خبره له ومواعيده، (**وعدلاً**:) ما حكم به من الأحكام التي بلغها، وهما تمييزان محولان عن الفاعل، أو حالان: (**لا مبدل لكلماته**،) أي: لا يمكن تغييرها، ولا تنسخ بعدما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها.

ولذا كانت شريعته ﷺ آخر الشرائع، وهذا تعليل لحفظه من تصور الشيطان بصورة ملك، فيكون ما يلقيه تخليطًا قابلاً للتبديل، ولذا عقبه بقوله: (**وأما قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾**) عطف عام على خاص، فيفيد أن المراد بالإرسال الإيحاء، وفائدة ذكره النبي غير الرسول، لا سيما من لا أتباع له أن كل نبي يجب عليه إعلام غيره بأنه نبي، لئلا يحتقر وحينئذٍ فيتطرق لسماع تلاوته ووعظه فيلقي الشيطان ذلك للتلبيس، (**﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾**) [الحج/٥٢]،) فظاهره أن الشيطان يخلط عليهم الوحي عند التلاوة، فيخالف ما قبله.

وأجيب عن ذلك بأجوبة (**فأحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين**،) أي: أكثرهم، (**أن التمني المراد به هنا التلاوة**،) كقول حسان:

تمنى كتاب اللّٰه أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

ومنه قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة/٧٨]، أي: تلاوة، وليس تمنى هنا تفعل من منى، بمعنى قدر، كقوله:

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه، أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله اللّه وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته. قاله القاضي عياض، وقد تقدم في المقصد الأول مزيد لذلك.

قال في الشفاء: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي: «إن هذا وادٍ به شيطان» فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له، بل

أي: ما قدره لك المقدر، والتمني أمر يقدره المرء في نفسه، والظاهر تفسير التلاوة هنا بالقراءة لتشمل المواعظ والحكم، والأذكار والدعاء، فإن الشيطان كما يتسلط على قارىء القرآن، يتسلط على الذاكر ونحوه وإن كانت القصة إنما كانت عند قراءته لسورة النجم التي هي سبب نزول ﴿وما أرسلنا﴾ الآية. كذا قال الشارح: ولا دخل في ذلك للاستظهار مع كون النص التمني، والأمنية المفسر بالتلاوة، فلا يقاس عليه غيره، وتعليله بتسلط الشيطان على الذاكر ونحوه من حيث هو لا ينهض هنا، كما لا يخفى، (و) أن (**القاء**) فنصبه عطفًا على التمني، وخفضه على ضمير به، أي: والمراد بإلقاء (**الشيطان فيها**،) أي: أمنيته، أي: متلوه، (**إشغاله**) الذي في الشفاء شغله، بزنة ضرب وهي الفصحى.

قال تعالىٰ: ﴿شغلتنا﴾ [الفتح/ ١١]، لكن في القاموس شغله، كمنعه شغلاً، ويضم وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو ردية، والمصدر مضاف للفاعل، أي: إشغال الشيطان التالي (**بخواطر**) أمور دنيوية تخطر على قلبه، فتشغله عما تلاه، (**وأذكار**) (بذال معجمة، جمع ذكر، بالكسر والضم)، أحاديث قلبية، فيساوي نسخة، وأفكار (بالفاء) (**من أمور الدنيا**) بيان لهما (**للتالي**) صفة الخواطر، وأذكار، أي: كائنة وعارضة، أو متعلق بأشغال (**حتى يدخل**) الشيطان (**عليه الوهم**،) بفهم غير المراد من المتلو (**والنسيان**،) الواو بمعنى، أو (**فيما تلاه**) بناءً على جواز ذلك على الأنبياء، أما على الأصح من منعه، فيقال: حتى يدخل على إفهام السامعين، (**أو يدخل**) عطف على إشغال من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح، فكأنه قيل إلقاؤه إشغاله أو إدخاله (**غير ذلك**) الوهم والنسيان (**على أفهام السامعين**) وبين الغير، بقوله: (**من التحريف**) لما تلاه عليهم، (**وسوء التأويل**) الناشىء عن تحريف ما سمعوه، (**ما يزيله اللّه**) مفعول إلقاء، (**وينسخه**:) يحوله من الباطل إلى الحق، (**ويكشف لبسه**:) يزيله ويبينه، (**ويحكم آياته**:) يحققها ويظهرها، (**قاله القاضي عياض**) في الشفاء.

(**وقد تقدم في المقصد الأول مزيد لذلك**) بفرائد نفيسة، (**قال في الشفاء**) بعد هذا بقليل، (**وأما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي**،) لما عاد من خيبر أو من الحديبية أو بطريق تبوك روايات.

إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين عليه السلام بأمر ذلك الشيطان بقوله: إن الشيطان أتى بلالاً، فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام، فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر، هذا إن جعلنا قوله «إن

وقد اختلف: هل كان النوم مرة أو مرتين، ورجحه عياض وتبعه النووي، ومر هذا مبسوطًا في خيبر وغيرها، (**إن هذا واد به شيطان**) لفظ الموطأ، ولمسلم: أن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان، (**فليس فيه**) صريحًا (**ذكر تسلطه عليه**) إذ لا يقدر على قرب سرادق حمايته وعصمته، (**ولا وسوسته له**) لعصمته ونزاهته عن مثله، (**بل إن كان**) ذكر في الحديث ما يوهم تسلطه عليه (**بمقتضى ظاهره**) قبل التأمل فيه، فهو انتقال عن لفظ «صريحًا» المقدر، فكأنه قيل: سلمنا أنه ليس صريحًا، فهو ظاهر في ذلك، والشبهة يكتفي في إيرادها بمقتضى الظاهر، فدفع ذلك بأنه لا يصح الحمل هنا على مقتضى الظاهر، لأنه ﷺ بين أن ذلك الظاهر ليس بمراد، كما أفاده بقوله: (**فقد بين**) كشف (**عليه السلام أمر ذلك الشيطان، بقوله**) فيما رواه لملك عن زيد بن أسلم مرسلاً؛ (**أن الشيطان أتى بلالاً**) وهو قائم يصلي نفلاً بالسحر، فأضجعه.

وفي حديث أبي قتادة في الصحيحين: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم: يا رسول الله لو عرست بنا، فقال: أخاف أن تناموا عن الصلاة، فقال بلال: أنا أوقظكم، ونام رسول الله وأصحابه.

وفي مسلم: فصلى بلال ما قدر له، ثم استند إلى راحلته وهو مقابل الفجر، فغلبته عيناه.

وفي حديث زيد بن أسلم: ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورقدوا، (**فلم يزل يهديه**) بضم التحتية، وسكون الهاء، وكسر الدال مخففة وياء ساكنة.

قال ابن عبد البر: أهل الحديث يرون هذه اللفظة بلا همز، وأصلها عند أهل اللغة الهمز، وقال في المطالع: هو بالهمز، أي: يسكنه وينومه من هدأت الصبي إذا وضعت يدك عليه لينام، ورواه المهلب بلا همز على التسهيل، ويقال أيضًا: يهدنه بنون، وروى يهدهده من هدهدت الأم ولدها لينام، أي: حركته (**كما يهدى الصبي**) الصغير في مهده (**حتى نام**) بلال، وفي هذا تأنيس لبلال واعتذار عنه، وأنه ليس باختياره، (**فأعلم**) النبي ﷺ الناس بهذا القول؛ (**أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة**) (بكسر الكاف وفتح اللام والمد والهمز)، أي: بحراسة (**الفجر**)، وقد تبدل همزته، كما في النهاية وغيرها، وفي لغة (بفتح الكاف واللام) والقصر، وضمن معنى المراقبة، أي: مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم.

وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر، بتقدير مضاف وله وجه وجيه، (**هذا**) المذكور أن ظاهره تسلط الشيطان، وصرفه إلى بلال (**إن جعلنا قوله: إن هذا وادٍ به شيطان تنبيهًا**) مفعول له

هذا وادٍ به شيطان» تنبيهًا على سبب النوم عن الصلاة، وأما إن جعلناه تنبيهًا على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به، وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب، لبيانه وارتفاع إشكاله.

قال عياض: وأما قوله تعالى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ [عبس/ ١-٢] الآيات، فليس فيها إثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام. بل إعلام الله تعالى له بأن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى، وأن الصواب والأولى كان لو كشف له

(**على سبب النوم عن الصلاة**،) وهو تنويم الموكل بحراسة الوقت.

(**وأما أن جعلناه تنبيهًا على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به**،) مع أن الأصل في قضاء الفائتة بعذر المبادرة بفعلها، وقد أمرهم بالارتحال، (**وهو دليل**،) أي: مدلول، أي: ما يستفاد من (**مساق**) (بفتح الميم)، مصدر بمعنى سياق، كما في النسيم، أو بمعنى سوق، كما في الأنوار.

(**حديث زيد بن أسلم**) في الموطأ، قال: عرس ﷺ ليلة بطريق مكة، ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال، ورقدوا حتى استيقظوا، وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم ﷺ أن يركبوا، حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا وادٍ به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الواد، ثم أمرهم أن ينزلوا ويتوضؤا، وأمر بلالاً أن يؤذن بالصلاة أو يقيم، فصلى بالناس الحديث.

وعلى ما يفيده سياقه هذا، (**فلا اعتراض به في هذا الباب**،) المعقود في أن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء، (**لبيانه**،) أي: حديث زيد ووضوح دلالته على ما ذكر، (**وارتفاع إشكاله**،) أي: زواله أصلاً، حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله ما يخالفه، (**قال عياض**) بعد هذا بكثير، (**وأما قوله تعالىٰ: ﴿عبس﴾**) كلح وجهه، (**﴿وتولى﴾**) أعرض عنه (**﴿أن جاءه الأعمى﴾ الآيات**) التي آخرها ﴿فأنت عنه تلهى﴾،) التي استدل بها مجوزوا الصغائر على الأنبياء لما شعر به ظاهرها من وقوع شيء عوتب عليه، (**فليس فيها إثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام**،) ولا تجويزه عليه، (**بل إعلام الله تعالى له**) ﷺ، (**بأن ذلك المتصدى**) اسم مفعول نائبه (**له**،) أي: أقبل عليه وتوجه له، وأصله مقابلة الشيء كما يقابله الصدى، وهو الصوت الراجع إليه من جبل ونحوه، كما قاله الراغب، وفي التعبير به نكتة، وهي أن كلام هؤلاء لا عبرة به، كما قال المتنبيء: أنا الطائر المحكي، وغيري هو الصدى (**ممن لا يتزكى**،) أي: لا يسلم، فيطهر من دنس الشرك، أي: باعتبار ما في نفس الأمر أو قرائن الأحوال الدالة على فرط عناده وبعده عن الحق، ويدل للأول قوله: أعلام الله، وقوله: (**وأن الصواب والأولى كان لو كشف له**

حال الرجلين لاختار الاقبال على الأعمى وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله، وتبليغًا عنه، واستئلافًا له، كما شرعه الله له، لا معصية ولا مخالفة له، وما قصد الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين، وتوهين أمر الكافر عنده، والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله: ﴿**وما عليك ألا يزكى**﴾ [عبس/

حال الرجلين) ابن أم مكتوم، ومن كان عنده من المشركين، واقتصر على الأقل، وإلا فالكفرة كانوا جماعة، أو المتكلم معه منهم واحد، وحالهما عدم تزكي الكافر وانتفاع الأعمى، **(لاختار الإقبال على الأعمى)** دون غيره.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن ابن أم مكتوم أتى النبي ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك، ولم يعلم تشاغله بالقوم وفكره ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت، وأخرج الترمذي والحاكم، عن عائشة، قالت: أنزل ﴿عبس وتولى﴾ الآية، في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين، فجعل يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول: أترى بما أقول: بأسًا، فيقول: لا، فنزلت ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

وروى أبو يعلى مثله عن أنس، وفي ابن عطية، قيل: الرجل الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وقيل: شيبة، وقيل: العباس، وقيل: أمية، وقيل: أبي بن خلف، وقال ابن عباس: كان في جمع منهم عتبة والعباس، وأبو جهل. انتهى.

وعلى أن العباس فيهم لا ينافي أنه تزكى، لأن المعنى لا يتزكى في وقت الإعراض عن الأعمى، وإنما تزكى العباس بعد بكثير، **(وفعل النبي ﷺ لما)** (بكسر اللام والتخفيف، أو فتحها والتشديد)، **(فعل)** من العبوس والإعراض، **(وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغًا عنه،)** فهو فعل حسن وأمر لازم له، **(واستئلافًا،)** استمالة **(له)** للكافر رجاء إسلامه، **(كما شرعه الله له،)** وفرضه بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، **(لا معصية ولا مخالفة له،)** أي: لما شرعه، وذكر هذا بعد قوله أولاً، فليس فيه إثبات ذنب تنبيهًا على أنه ليس مباحًا فقط، بل طاعة واجبة، **(وما قصه الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين)** بالرفع عطف على أعلام أي: تضعيف **(أمر الكافر عنده،)** وأنه لا قدر له يعتد به، **(والإشارة إلى الأعراض عنه، بقوله: ﴿وما عليك أن لا يزكى﴾)** [عبس/ ٧]، وفي إلقاء الكلام له بدون الخطاب إكرام له ﷺ عن أن يواجه بالعتب، لا مبالغة في العتب

٧]، أي ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام، أي لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم أنِ تعرض عمن أسلم بالاشتغال بدعوتهم، إن عليك إلا البلاغ.

وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر، لأنه ـ وإن فقد بصره ـ كان يسمع مخاطبة الرسول ﷺ لأولئك الكفار، وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشأنهم، فكان إقدامه على قطع كلامه عليه السلام بعد سماعه إيذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة. فثبت أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنبًا ومعصية وأن الذي فعله الرسول ﷺ كان هو الواجب المتعين. وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونًا له في تأديب أصحابه، لكن ابن أم مكتوم بسبب عماه

لأن فيه بعض أعراض، كما زعم ابن عطية، (**أي: ليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإِسلام، أي: لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم**) لأنه كان شديد الحرص على إسلام قريش وأسماعهم، لما جبله اللّه عليه من الرأفة والرحمة، (**أن تعرض عمن أسلم بالاشتغال بدعوتهم**) إلى الإِسلام، (أن) ما (**عليك إلا البلاغ**)، وقد فعلت، وأما قوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾) فضميره لابن أم مكتوم.

وقيل للكافر، أي: إذا طمعت في أن يزكى بالإِسلام أو يذكر فتنفعه، أي: تفر به الذكرى إلى قبول الحق، وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن، ورجح الأول بأن ما في القرآن من يدريك، فهو مما أعلمه اللّه به وما فيه من إدراك مما لم يعلمه به وأيضًا، فالكافر لم يسبق له ذكر صريح.

زاد عياض: وقيل: المراد ﴿عبس وتولى﴾، الكافر الذي كان مع النبي ﷺ، قاله أبو تمام. انتهى.

وتعقب بأنه قول في غاية الضعف، بعيد من السياق، مخالف لقول المفسرين، أنه النبي ﷺ وزاد المصنف على الشفاء قوله: (**وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر**،) بحسب ظاهر الحال، إذ في قطع كلامه إيذاء له، (**لأنه وإن فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول ﷺ لأولئك الكفار**) الذين كان يدعوهم إلى اللّه، (**وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشأنهم، فكان إقدامه على قطع كلامه عليه السلام بعد سماعه إيذاءً له عليه السلام، وذلك معصية عظيمة**،) واعتذر عنه بأن شدة حرصه على طلب ما ينفعه من النبي ﷺ، واشتغاله به صرفه عن معرفة أنه كان مشغولاً بتأليف الكفار، (**فثبت أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنبًا ومعصية، وأن الذي فعله الرسول ﷺ كان هو الواجب المتعين**،) إذ هو مأمور بالإِبلاغ والدعوة برفق، (**وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونًا له في تأديب**

استحق مزيد الرفق به.

وأما قوله تعالى: ﴿عفا اللّٰه عنك لَم أذنت لهم﴾ [التوبة/٤٣] الآية.

فروى ابن أبي حاتم عن مسعر عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة، وكذا قال مورق العجلي وغيره.

وقال قتادة: عاتبه اللّٰه كما تسمعون ثم أنزل الذي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال تعالى: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ [النور/٦٢] ففوض الأمر إلى رأيه عليه الصلاة والسلام.

أصحابه، لكن ابن أم مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق به،) فذكره اللّٰه في كتابه بلفظ الأعمى، وأنه جاءه يسعى، أي: يمشي مع عجزه إشارة لذلك، وللصفح عنه، وذكر من فضله أنه يخشى، أي: اللّٰه تعالى، وأنه يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى.

وروى أنه ﷺ كان إذا رآه بعد ذلك، قال: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، وبسط له رداءه، واستخلفه على المدينة مرارًا، قال أنس: رأيته يوم القادسية ومعه راية سوداء، وعليه درع، قيل: استشهد بها، وقيل: بل شهدها ورجع، فمات بالمدينة، ولم يسمع له بذكر بعد عمر، ومر بعض شيء من مناقبه في غير موضع رضي اللّٰه عنه.

(وأما قوله تعالى: ﴿عفا اللّٰه عنك لم أذنت لهم﴾) [التوبة/٤٣]، في التخلف عن الغزو **(الآية، فروى ابن أبي حاتم عن مسعر)** (بكسر الميم وسكون السين، وفتح العين المهملتين)، **(عن عون)** (بالنون) ابن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، الزاهد، الفقيه، الثقة، المتوفى في حدود الستين بعد المائة، **(قال: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا، بدأ بالعفو قبل المعاتبة)** الصورية لما يأتي أن الخطاب به يدل على التعظيم، ثم لا ينافيه قوله الآتي: لم يعد هذا أهل العلم معاتبة، لأنهم لما رأوه في غاية الملاطفة ولم يظهر منه لوم لم يعدوه معاتبة، لأن شأنها أن تكون على جهة لوم من المعاتب، ولذا قال: لم يعدوه ولم ينسب إليهم، نفي المعاتبة من أصلها.

(وكذا قال مورق) (بضم الميم وفتح الواو وكسر الراء الثقيلة وقاف) **(العجلي)** أبو المعتمر البصري، تابعي، ثقة، عابد، مات سنة اثنتين ومائة نسبة إلى عجل بن بكر بن وائل **(وغيره)**.

(وقال قتادة: عاتبه اللّٰه تعالى كما تسمعون) في براءة، **(ثم أنزل الذي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء، فقال تعالى: (﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾)** أمرهم، **(﴿فأذن لمن شئت منهم﴾)** [النور/٦٢]، بالانصراف، **(ففوض الأمر إلى رأيه عليه الصلاة**

وقال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما النبي ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسرى، فعاتبه اللّٰه كما تسمعون. وأما قول بعضهم إن هذه الآية تدل على أنه وقع من الرسول ذنب لأنه تعالى قال: ﴿عفا اللّٰه عنك لم أذنت لهم﴾ والعفو يستدعي سالفة ذنب، وقول الآخر: ﴿لم أذنت لهم﴾ استفهام بمعنى الإنكار، فاعلم أنا لا نسلم أن قوله تعالى: ﴿عفا اللّٰه عنك﴾ يوجب ذنبًا، ولم لا يقال إن ذلك يدل على مبالغة اللّٰه تعالى في توقيره وتعظيمه، كما يقول الرجل لغيره إذا كان عظيمًا عنده: عفا اللّٰه عنك، ما صنعت في أمري ورضي اللّٰه عنك ما جوابك عن كلامي، وعافاك اللّٰه ألا عرفت حقي، فلا يكون غرضه من هذا الكلام إلا زيادة التعظيم والتبجيل، وليس عفا هنا بمعنى: غفر، بل كما قال ﷺ: «عفا اللّٰه لكم عن صدقة الخيل والرقيق» ولم تجب عليهم قط، أي لم

والسلام،) لكن إنما يتم هذا إن كان التفويض سابقًا على الإذن، أما إن كان بعده، كما يشعر به تعبيره بثم، فلا يظهر ذلك.

(وقال عمرو): بفتح العين (ابن ميمون) بن مهران الجزري، ثقة، فاضل، من رواة الجماعة، مات سنة سبع وأربعين ومائة، **(اثنتان فعلهما النبي ﷺ، لم يؤمر فيهما بشيء)** أي: لم يبين له فيهما شيء، لا يطلب فعل ولا ترك **(إذنه للمنافقين)** في التخلف عن الغزو، **(وأخذه الفداء من الأسرى)** ببدر، **(فعاتبه اللّٰه كما تسمعون)** في القرآن.

(وأما قول بعضهم: إن هذه الآية تدل على أنه وقع من الرسول ذنب، لأنه تعالى قال: ﴿عفا اللّٰه عنك لم أذنت لهم﴾، والعفو يستدعي سالفة،) بلام وفاء، أي: سابقة **(ذنب)**.

هذا قول من يجهل لغة العرب، كما يأتي، **(وقول الآخر)** ممن يجوز الصغائر عليهم، قوله تعالى: **(﴿لم أذنت لهم﴾ استفهام بمعنى الإنكار،)** والإنكار يقتضي ذلك، **(فاعلم أنا لا نسلم أن قوله تعالى: ﴿عفا اللّٰه عنك﴾، يوجب ذنبًا،)** إذ لم يتقدم فيه نهي من اللّٰه حتى يكون ذنبًا، ولا عده اللّٰه عليه معصية، ولفظ عفا لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه، **(ولم لا يقال أن ذلك يدل على مبالغة اللّٰه تعالى في توقيره وتعظيمه)** تفسير، **(كما يقول الرجل لغيره إذا كان عظيمًا عنده عفا اللّٰه عنك ما صنعت في أمري،)** آتيًا بالعفو قبل الاستفهام، حتى لا يبدأ به خطابه تعظيمًا، **(ورضي اللّٰه عنك، ما جوابك عن كلامي، وعافاك اللّٰه ألا)** (بفتح الهمزة أداة استفتاح) **(عرفت حقي، فلا يكون غرضه من هذا الكلام إلا زيادة التعظيم والتبجيل،)** تحاشيًا عن جعل الاستفهام أول كلامه للمعظم، عنده **(وليس عفا هنا)** في الآية **(بمعنى غفر،)** أي: ستر، وترك المؤاخذة، **(بل)** بمعنى لم يلزمك شيئًا في الإذن، **(كما قال ﷺ: عفا اللّٰه لكم عن صدقة**

يلزمكم ذلك.

ونحوه للقشيري قال: وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب، قال: ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبًا.

وأما الجواب عن الثاني فيقال: إما أن يكون صدر من الرسول ﷺ ذنب أم لا؟ فإن قلنا: امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾ إنكارًا عليه، وإن قلنا إنه صدر عنه ذنب ـ وحاشاه الله من ذلك ـ فقوله: ﴿عفا الله عنك﴾ يدل على حصول العفو، وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه، فثبت أنه على جميع التقادير يمتنع أن يقال: إن قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾ يدل على كون

الخيل والرقيق، ولم تجب عليهم) زكاة في خيل ورقيق **(قط، أي: لم يلزمكم ذلك،)** فليس معناه إسقاط ما كان واجباً، ولا ترك عقوبة هنا.

وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي، مرفوعًا بلفظ: قد عفوت لكم عن زكاة الخيل والرقيق، فهاتوا صدقة الرقة...الحديث بطوله، فنازع بعضهم عياضًا، متبوع المصنف، بأنه لم يقف عليه بلفظ عفا الله لكم، وتعقب بأن عياضًا من الحفاظ، وقف عليه، ومثله لا يقرع له العصا، **(ونحوه،)** أي: ما ذكره **(للقشيري)** بلفظه من قوله: وليس عفا، وبمعناه من أول قوله: فاعلم، ولفظه عند عياض؛ ومعنى ﴿عفا الله عنك﴾، لم يلزمك ذنبًا.

قال الداودي:

روي أنها تكرمة، وقال مكي: هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك، وحكي السمرقندى، أن معناه عافاك الله.

(قال) القشيري: **(وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب،)** فيقف على معانيه الواردة في لغتهم، كعدم اللزوم الوارد في كلام أفصح العرب، وأصل معنى العفو الترك، وعليه تدور معانيه، **(ومعنى عفا الله عنك، أي: لم يلزمك ذنبًا، وأما الجواب عن الثاني، فيقال)** على طريق المنزل مع الخصم، **(إما أن يكون صدر من الرسول ﷺ ذنب أم لا؟، فإن قلنا: امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله: لم أذنت لهم إنكارًا عليه،)** إذ من لم يذنب لا ينكر عليه فعله، **(وإن قلنا أنه صدر عنه ذنب، وحاشاه الله من ذلك،)** أي: نزهه، **(فقوله: ﴿عفا الله عنك﴾، يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو، يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه،)** إذ بعد العفو كأنه لم يقع منه، **(فثبت أنه على جميع التقادير،)** أي: التقديرين المذكورين بناءً على أن الجمع ما زاد على الواحد، **(يمتنع أن يقال: إن قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾**

الرسول مذنبًا، وهذا جواب شاف كافٍ قاطع، وعند هذا يحمل قوله لم أذنت لهم على ترك الأولى والأكمل. بل لم يعد هذا أهل العلم معاتبة، وغلطوا من ذهب إلى ذلك. قال نفطويه: ذهب ناس إلى أن النبي ﷺ معاتب بهذه الآية، وحاشاه من ذلك، بل كان مخيرًا، فلما أذن لهم أعلمه اللّه أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم، وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم.

يدل على كون الرسول مذنبًا،) كما ادعى ذلك البعض.

(وهذا جواب شافٍ) من هذا الداء العضال، وهو نسبة ذنب إلى أفضل الخلق، **(كافٍ)** في دفع شبهة الخصم، **(قاطع)** لها أصلاً لما فيه من التنزل معه، **(وعند هذا يحمل قوله: لم أذنت لهم على ترك الأولى، والأكمل)** فقط لا على الإنكار، **(بل لم يعد هذا أهل العلم،)** أي: أحد منهم **(معاتبة)** بفعل خلاف الأولى، **(وغلطوا من ذهب إلى ذلك)** من المفسرين، **(فقال نفطويه:)** (بنون ففاء فطاء مضمومة فواو ساكنة، فياء مفتوحة) عند أصحاب الحديث، لأنهم لا يحبون، وبه وعند الأدباء (بفتح الطاء والواو وسكون الياء) وهو لقب لإبراهيم بن محمد الأزدي، النحوي، لدناءة منظره، مات سنة ثلاث وعشرين وقيل: أربع وعشرين، وثلاثمائة، **(ذهب ناس إلى أن النبي ﷺ معاتب بهذه الآية، وحاشاه)** اللّه **(من ذلك،)** أي: برأه ونزهه وأصل معناه جعله في حشي، أي: جانب، **(بل كان مخيرًا)** في الإذن وتركه، وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل فيه شيء، فكيف، وقد قال اللّه تعالىٰ له: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾، هكذا في كلام نفطويه، أي: فتعليق الأمر بالمشيئة صريح في أنه مخير، **(فلما أذن لهم أعلمه اللّه)** بما لم يطلع عليه؛ **(أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا،)** ولو أمروا بخلاف القعود **(لنفاقهم،)** وهم يدعون بالاستئذان أنه لو لم يأذن ما تخلفوا، فإذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه، فكان ما فعله أولى وأصوب، **(و)** أعلمه **(أنه لا حرج،)** لا وزر ولا إثم **(عليه في الإذن لهم،)** بقوله: ﴿عفا اللّه عنك﴾، حيث لم يلزمك أن لا تأذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، أي: لو صبرت لتبين لك أمرهم، فهو إشارة إلى كمال الرفق به ﷺ، وأنه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب، ولا خطأ في الاجتهاد، ولا ارتكاب خلاف الأولى، وما أحلى قول ابن المنير في تفسيره ﴿عفا اللّه عنك﴾) [التوبة/٤٣]، دعامة في الكلام، يقصد بها ملاطفة المخاطب، وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الإصغاء، أو خبر معناه لا عهدة عليك، فهو تخصيص وتمييز، لا أن الإذن ذنب يتعلق به العفو، لأن في تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم حملاً للمشقة على نفسه، وإسقاطًا للحظوظ، فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه، أي: قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية، وزدت ما أجحف بك في محبة اللّه وطاعته، والرفق بالبر

وأما قوله تعالى في أسارى بدر: ﴿**ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**﴾ إلى قوله: ﴿**عظيم**﴾ [الأنفال/ ٦٧- ٦٨].

فروى مسلم من إفراده من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقتل منهم سبعون وأسر سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا. فقال ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت

والفاجر، وأين هذا من التخطئة التي بزغ بها الزمخشري، عرق العجمة لإساءة الأدب على المصطفى، وأراد بعضهم أن يصلح، فأفسد، فقال: بدأ بالعفو قبل العتب، ولو عكس انقطع نياط قلبه، وكله ذهول عن عتب الحبيب في خيفه على نفسه، وهو تخفيف لا تعنيف، ومدح لا قدح، وهذا كما قيل له إذ جهد وجد في العبادة ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾، ﴿فلعلك باخع نفسك﴾.

(**وأما قوله تعالى في أسارى بدر** (﴿**ما كان لنبي أن تكون**﴾) (بالتاء والياء) (﴿**له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا**﴾) حطامها بأخذ الفداء (﴿**والله يريد الآخرة**﴾) [الأنفال/٦٧]، أي: ثوابها بالقتل (**إلى قوله**: (﴿**عظيم**﴾، **فروى مسلم في إفراده**) عن البخاري فهو من الثالثة من مراتب الصحيح، (**من حديث عمر بن الخطاب، قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقتل منهم سبعون، وأسر سبعون**،) مثله في حديث البراء عند البخاري، وابن عباس عند مسلم، ووافقهم آخرون، وبه جزم ابن هشام محتجًا له، بقوله: قد أصبتم مثليها لاتفاق علماء التفسير، على أن الخطاب لأهل أحد، وإصابتهم مثليها يوم بدر، وإن اتفق أهل السير على أن القتلى خمسون، يزيدون قليلاً أو ينقصون، وعدهم ابن إسحق خمسين.

زاد الواقدي: ثلاثة أو أربعة، وابن هشام زيادة على ستين، لأنه لا يلزم من عدم معرفة أسماء من قتل على التعيين، أن يكونوا جميع القتلى، (**استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر، وعليًا**).

وفي رواية أحمد، عن أنس، فقال: إن الله قد مكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس، (**فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم، والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة**،) أي: مقويًا (**لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله**) للإسلام، (**فيكونوا لنا عضدًا**:) ناصرين، فحاصله أنه رأى عدم القتل استبقاء للقرابة، ولرجاء إسلامهم مع أخذ الفدية، مراعاة للجيش ليقووا على الكفار (**فقال ﷺ: ما ترى يا ابن

والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، فهوي ما هوى أبو بكر ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد غدوت إلى رسول الله ﷺ وإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت، فقال النبي ﷺ: أبكِ للذي عرض علي أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة، لشجرة قريبة فأنزل الله تعالى: **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾** إلى قوله: **﴿عظيم﴾**.

الخطاب، قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان، قريب لعمر، فاضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل:) أخيه، شقيقه، **(فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه:)** يعني العباس: **(فيضرب عنقه)** أي: يقتله **(حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة)** (بفتح الهاء والواو بألف فدال مهملة فهاء)، ميل ورجوع (للمشركين).

زاد في رواية: هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش وأئمتهم وقادتهم، فاضرب أعناقهم، ما أرى أن تكون لك أسرى، فإنما نحن رعايا مؤلفون، **(فهوى)** (بكسر الواو)، أحب **(ما هوى أبو بكر، ولم يهو ما قلت)** لما جبل عليه من الرأفة والرحمة في حال إيذائهم له، فكيف في حال قدرته عليهم، ولم يذكر رأيًا عن علي، لأنه لم يظهر له مصلحة حتى يذكرها، أو لأنه لما رأى أن المصطفى هوى قول أبي بكر، رآه أنه الصواب، فسكت عليه، **(فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد غدوت إلى رسول الله ﷺ وإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق، وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟)** لأن عمر ما تغير رأيه، **(فإن وجدت بكاء)**، أي: سببًا له، بحيث تطاوعني عيني في نزول الدمع (بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت)، أي: تشبهت بالباكين موافقة لكما، وإن لم يسل دمع، **(فقال النبي ﷺ: أبك للذي عرض،)** ضمنه معنى نزل، فعداه بعلي في قوله: **(علي أصحابك من الفداء لقد عرض عليّ عذابكم)** أي: أظهر لي، يقال: عرض له أمر إذا ظهر **(أدنى)** أقرب **(من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه فأنزل الله تعالى)**.

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد والترمذي: فنزل القرآن بقول عمر: (**﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، إلى قوله: عظيم﴾**).

وفي حديث أنس عند أحمد فأنزل الله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم

وقوله: ﴿حتى يثخن في الأرض﴾: أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه، ويعز الإسلام ويستولي أهله.

وليس في هذا إلزام ذنب للنبي ﷺ، بل فيه بيان ما خص به وفضّل من بين سائر الأنبياء عليه الصلاة والسلام فكأنه عز وجلّ قال: ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام: «أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي».

وأما قوله تعالى: ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ فقيل المراد بالخطاب من أراد

عذاب عظيم، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾، فقال: ﷺ إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب، (**وقوله: ﴿حتى يثخن في الأرض﴾، أي: يكثر القتل ويبالغ فيه، حتى يذل الكفر ويقل حزبه، ويعز الإسلام ويستولي أهله**) على البلاد وقيل: معنى يثخن: يتمكن في الأرض، وما كان نفي للكون، وجاء بمعنى لا يليق ولا ينبغي أن يأتي به، وبه فسر المستدل بالآية على الصغائر وقد رده، بقوله: (**وليس في هذا إلزام ذنب للنبي ﷺ، بل فيه بيان ما خص به**) إكرامًا له، (**وفضل به من بين سائر**) باقي (**الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكأنه عزّ وجلّ، قال: ما كان هذا؟**) أي: لم يقع (**لنبي غيرك، كما قال عليه الصلاة والسلام: أحلت لي الغنائم**).

وفي رواية المغانم: (**ولم تحل لنبي قبلي**) قيل: ليس في الآية دليل على ما قال المصنف، بخلاف الحديث، ورد بأن الفداء في معنى الغنائم، لأنه مال مأخوذ من الكفرة، فذكر الحديث إشارة إلى أنه يؤيد هذا التأويل، وفي المسائل الأربعين للرازي، العتاب وقع هنا على ترك الأولى، لأن الأفضل في ذلك الوقت الإثخان وترك الفداء قطعًا للأطماع، ولولا أنه خلاف الأولى ما فوضه ﷺ لأصحابه، وفي حواشيه للقرافي الصواب إنه فوض الاجتهاد في أمر الأسرى له، ففوضه لأصحابه، فرأى عمر القتل، وكان هو المصلحة، وهو من إحدى موافقاته، واجتهاد الصحابة لم يؤد للمصلحة، فخلص عمر ولم يؤاخذ النبي ﷺ لبذل جهده، في اجتهاده، فله الأجر.

ولذا قال: عرض عليّ عذابكم دون عذابي، لخروجه عن موجبه ببذل جهده، وإلى هذا ذهب فحول العلماء جمعًا بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه ﷺ من العصمة، (**وأما قوله تعالى: (﴿تريدون عرض الدنيا﴾**)) الوارد بحسب الظاهر على إخباره أن الغنائم خصوصية له، إذ لو كان كذلك ما عوتبوا على أخذ الفداء، بقوله: ﴿تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة﴾، (**فقيل**) في الجواب: (**المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم**) أي: الصحابة، (**وتجرد:**) خلص

ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده، والاستكثار منها، وليس المراد بهذا النبي ﷺ ولا علية أصحابه.

بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو.

ثم قال تعالى: ﴿**لولا كتاب من اللّه سبق**﴾ فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية:

فقيل معناه: لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدًا إلا بعد النهي لعذبتكم، فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية.

وقيل: لولا إيمانكم بالقرءان، وهو الكتاب السابق، فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم.

وتمحض (**غرضه**) بمعجمتين، أي: قصده (**لعرض**) بمهملة فمعجمة (**الدنيا وحده**)، أي: منفردًا عن قصد ثواب الآخرة، وهو مؤكد لما قبله، (**والاستكثار منها**) بأخذ ما يناله، (**وليس المراد بهذا**) الخطاب (**النبي ﷺ**) لشرف نفسه عن النظر لها، (**ولا علية**) (بكسر العين وإسكان اللام وخفة الياء)، أي: معظم (**أصحابه**،) كأبي بكر، وأن أشار بالفداء، فلرجاء الإسلام والتقوى على الكفار ومراعاة القرابة، كما مر، (**بل**) إضراب انتقالي.

(**قد روى عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر، واشتغل الناس بالسلب**) (بفتحتين) ما يسلب، أي: يؤخذ من القتلى من لباس ونحوه، (**وجمع الغنائم عن القتال**) متعلق باشتغل (**حتى خشي عمر أن، يعطف**) يرجع (**عليهم العدو**) كارًا، (**ثم قال تعالىٰ: ﴿لولا كتاب من اللّه سبق﴾**) [الأنفال/٦٨]، تقدم على هذه القصة بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [الأنفال/٦٨]، (**فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية،**) فإن أردت بيان معناه، (**فقيل: معناه**) كما نقله الطبري عن محمد بن علي بن الحسين، (**لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدًا إلا بعد النهي لعذبتكم**) على ما أخذتم من الفداء، إذ لو كان منهيًا عنه محرمًا لاستحق بمخالفته العذاب، فالمراد بالكتاب حكم اللّه الذي كتبه وقدره، (**فهذا**) التفسير (**ينفي**:) يمنع (**أن يكون أمر الأسرى،**) أي: فداؤهم (**معصية**) لعدم النهي عنه.

(**وقيل**:) المعنى (**لولا إيمانكم بالقرآن، وهو الكتاب السابق**،) المراد في قوله: ﴿لولا كتاب من اللّه سبق﴾، (**فاستوجبتم به الصفح**:) عدم المؤاخذة (**لعوقبتم على**) أخذ

وقيل: لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم.

وهذا كله ينفي الذنب والمعصية، لأن من فعل ما أحل له لم يعص، قال اللّه تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا﴾.

وقيل: بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك، وقد روي عن علي قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه ﷺ يوم بدر فقال: خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم في العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا، وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه.

(**الغنائم**،) وما في حكمها من الفداء.

قال عياض: ويزاد هذا القول تفسيرًا وبيانًا، بأن يقال: لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن، وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى، أي: تجاوز ما نهى عنه، فالكتاب على هذا القرآن، وسبقه تقدمه أزلاً، أو لتقدم ما نزل.

(**وقيل: لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ**،) المكتوب فيه جميع ما هو كائن، (**إنها**،) أي: الغنائم (**حلال لكم**) الانتفاع بها والتصرف فيها، (**لعوقبتم**) على أخذها، (**وهذا كله ينفي الذنب والمعصية، لأن من فعل ما أحل له لم يعص**)، فلا دليل فيها على تجويز الصغائر على الأنبياء، وأصرح من ذلك ما (**قال اللّه تعالىٰ: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا﴾**) [الأنفال/٦٩]، أي: انتفعوا به لا خصوص الأكل وذكره لكثرته وغلبته واستدل به الأكثر على أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة.

(**وقيل: بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك**) أخذ الفداء والقتل فلما أخذ قيل كان الأولى خلافة، (**و**) يدل على أنه خير أنه (**قد روى**) عن الترمذي والنسائي وابن حبان والحكم، بإسناد صحيح، فما كان ينبغي تعبيره.

يروى (**عن علي، قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه ﷺ يوم بدر**،) أي: زمنه، (**فقال: خير أصحابك في الأسارى إن شاؤا القتل**) قتلوا، (**وإن شاؤا الفداء**،) فليفدوا (**على أن يقتل منهم في العام، المقبل**) التالي لهذا العام أي: إن اللّه قدر عليهم إن أخذوا الفداء يقتل من الصحابة (**مثلهم**) سبعين، (**فقالوا:**) نختار (**الفداء، ويقتل منا**) مثلهم رغبة في الشهادة.

وعند ابن سعد من مرسل قتادة، فقالوا: بل نفاديهم فنقوى به عليهم، ويدخل القابل منا الجنة سبعون، ففادوهم، (**وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه**،) فلا ذنب

لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم، فكلهم غير عصاة ولا مذنبين.

وقال القاضي بكر بن العلاء: أخبر اللّه تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء، وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد اللّه بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه، فما

ولا معصية، **(لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين:)** وهو الفداء باجتهاده، وهو جائز بحضرته عليه الصلاة والسلام **(مما كان، الأصلح)** للإسلام **(غيره من الأثخان والقتل)** الذي هو أعز الوجهين بيان لغيره **(فعوتبوا على ذلك)** أي: اختيار غير الأصلح **(وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم،)** وهو عمر، **(فكلهم غير عصاة ولا مذنبين،)** لأن كلا منهم اختار ما أدى إليه اجتهاده، ظانًا أن الخير فيه.

قال عياض: وإلى نحو هذا أشار الطبري، وقوله ﷺ: لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه إلا عمر، إشارة إلى أن هذا من تصويب رأيه، ورأى من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه، وأن هذه القصة لو استوجبت عذابًا لنجا عمر، وعينه، لأنه أول من أشار، بقتلهم ولكن اللّه لم يقدر عليهم ذلك لحله لهم فيما سبق.

وقال الداودي: الخبر بهذا لم يثبت، ولو ثبت لما جاز أن يظن أنه ﷺ يحكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص، ولا جعل الأمر فيه إليه، وقد نزهه اللّه عن ذلك، هكذا في الشفاء قبل قوله: **(وقال القاضي بكر)** بن محمد **(بن العلاء)** بن محمد البصري، ثم المصري، أحد كبار المالكية والمحدثين، له تصانيف جليلة، تقدمت ترجمته، **(أخبر اللّه تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء،)** وكيف لا يكون الفداء حلالهم قبل ذلك، **(وقد كان ﷺ قبل هذا،)** أي: غزوة بدر، **(فأدى في سرية عبد اللّه بن جحش)** الأسدي، ابن عمته عليه الصلاة والسلام أميمة، أحد السابقين الأولين، استشهد بأحد **(التي قتل فيها)** عمرو **(بن الحضرمي)** بسهم رماه به واقد بن عبد اللّه، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد اللّه في سرية يعترض عبر قريش، فنزلوا بطن نخلة، وقتل ابن الحضرمي، وأسر الحكم وعثمان بن عبد اللّه **(بالحكم بن كيسان،)** متعلق بفادى لا بقتل، وكان الأولى حذف الباء، وأسره المقداد بن الأسود، فأراد ابن جحش قتله، فقال المقداد: دعه، تقدم به على رسول اللّه ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، واستشهد ببئر معونة، **(وصاحبه)** عثمان بن عبد اللّه، ذهب حين فدى إلى مكة، فمات بها كافرًا، **(فما عتب اللّه ذلك عليهم،)** فلو كان ممنوعًا لعتب، **(وذلك قبل بدر**

عتب اللَّه ذلك عليهم، وذلك قبل بدر بأزيد من عام، فهذا كله يدل على أن فعل النبي ﷺ في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك مثله فلم ينكره اللَّه عليه. لكن اللَّه تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسرارها ـ واللَّه أعلم ـ إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب أو إنكار أو تذنيب قاله القاضي عياض رحمه اللَّه تعالى.

وأما قوله تعالى: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً *﴾**

بأزيد من عام،) هذا سهو، لأن السرية كانت في رجب، وقيل: في جمادي الآخرة، وبدر في رمضان، كلاهما في ثانية الهجرة، فبينهما أقل من ثلاثة أشهر، وقد تعقبوا الشفاء، متبوع المصنف بهذا، ومثله، لا يخفى عليهما، ولكن الكمال للّه، **(فهذا كله يدل على أن فعل النبي ﷺ في شأن الأسرى كان على تأويل)** باجتهاد منه ومن أصحابه، **(وبصيرة)** جريًا **(على ما تقدم قبل)**، أي: قبل **(ذلك)** الفعل **(مثله، فلم ينكره اللّه عليه، لكن اللّه تعالى أراد)** ؛ وله ما كان لنبي...الخ.

(لعظم أمر بدر،) بكسرها شوكة المشركين وإرعاب قلوبهم، فلو زادوا ذلك بقتل الأسرى كان أقوى، **(وكثرة أسرارها،)** جمع أسير، **(واللّه أعلم)** بما أراد جملة معترضة، **(إظهار نعمته)** مفعول أراد، أي: ظهورها على المسلمين، **(وتأكيد منته)** عليهم **(بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ)** على أحد الوجوه السابقة قريبًا في المراد بالكتاب **(من حل ذلك)** لهم، **(لا على وجه عتاب،)** أي: لوم، بل لبيان النعمة **(أو إنكار)** عليهم **(أو تذنيب،)** أي: نسبتهم لذنب في فعلهم **(قال القاضي عياض رحمه اللّه تعالىٰ:)** في الشفاء من أول قوله: وليس في هذا إلزام ذنب إلى هنا وهو وجيه خلافًا لقول بعض شراحه؛ أنه تكلف لا ينبغي ارتكابه، والحق أنه عتاب من اللّه.

وفي فتح الباري: اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب، فقال بعضهم: كان رأي أبي بكر، لأنه وافق ما قدر اللّه في نفس الأمر، ولما استقر عليه الأمر، ولدخول كثير منهم في الإسلام، إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب، كما ثبت ذلك عن اللّه تعالى في حق من كتب له الرحمة، وأما من رجح الرأي الآخر، فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء، وهو ظاهر، لكن الجواب عنه أنه لا يدفع حجة الرجحان عن الأول، بل ورد للإشارة إلى ذم من آثر شيئًا من الدنيا على الآخرة، ولو قل، **(وأما قوله تعالىٰ: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾)** على الحق بالعصمة، **(﴿لقد كدت﴾)** قاربت **(﴿تركن﴾)** تميل **(﴿إليهم**

إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ [الإسراء/٧٤] الآية.

فالمعنى: لولا أن ثبتناك لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم، لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب فضلاً عن أن تركن. وهو صريح في أنه ﷺ ما همَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، فالعصمة بتوفيق اللّه وحفظه، ولو قاربت لأذقناك

شيئًا﴾) ركونًا (**﴿قليلا﴾**) لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ ما ركن ولا قارب، (**﴿إذًا لأذقناك ضعف﴾**) عذاب (**﴿الحياة، وضعف﴾**) عذاب (**﴿الممات﴾**) أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة (**الآية،**) ثم لا تجد لك علينا نصيرًا مانعًا منه.

أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم، عن ابن عباس، قال: خرج أمية بن خلف، وأبو جهل، ورجال من قريش، فأتوا رسول اللّه ﷺ، فقالوا: يا محمد تعال، فتمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فرق لهم، فأنزل اللّه ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الأعراف/٧٣] الآية، إلى قوله: ﴿نصيرًا﴾.

قال السيوطي: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها، وهو إسناد جيد وله شاهد.

أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: كان ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا، فقال ﷺ: وما عليّ لو فعلت، واللّه يعلم مني خلافه، فنزلت، (**فالمعنى، لولا أن ثبتناك لقاربت:**) تفسير لكدت (**أن تميل إلى اتباع مرادهم،**) تفسير لتركن من الركون، الذي هو أدنى ميل، على ما قال المفتي، وعليه فقوله: شيئًا قليلاً، كالصفة الكاشفة لمعنى تركن، (**لكن أدركتك عصمتنا، فمنعت أن تقرب فضلاً عن أن تركن،**) وببيان المعنى حصل الجواب عن الآية، وإنها من الآيات المادحة للمصطفى، لا أنها من المتشابهات، (**وهو صريح في أنه ﷺ ما هَمَّ بإجابتهم،**) أي: قريش لما طلبوه منه، من التمسح بآلهتهم والإلمام بها على الأصح في سبب نزولها، وبه استدل من قال هذه الآيات مكية، ومن قال: إنها مدنية، استدل بما رواه ابن مردويه عن ابن عباس؛ أن ثقيفًا قالوا للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا، فإذا قبضنا ما يهدى لها أحرزناه، ثم أسلمنا، فهم أن يؤجلهم فنزلت وإسناده ضعيف.

وذكر الثعلبي بلا إسناد عن ابن عباس، أنها نزلت في ثقيف، قالوا: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب، لا نعشر، ولا نحضر، ولا نحني في صلاتنا، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وإن تمتعنا باللات سنّة، وتحرم وادينا كمكة، فإن قالت العرب لم فعلت ذلك، فقل: إن اللّه أمرني.

قال الولي العراقي: لم أقف له على إسناد (**مع قوة الداعي إليها،**) لشدة احتيالهم وقوة خدعهم، وكونه في مقام التلطف بهم والحرص على إيمانهم، (**فالعصمة بتوفيق اللّه وحفظه**) عن

ضعف الحياة وضعف الممات، أي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك، لأن خطأ الخطير أخطر، وقد أعاذه اللّٰه تعالى من الركون إلى أعدائه بذرة من قلبه. ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك قوله:

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الأول وهو النفي المثبت بنحو ﴿**ذبحوها وما كادوا يفعلون**﴾ [البقرة/ ٧١]، وقد فعلوا والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى: ﴿**لقد كدت تركن إليهم**﴾ قالوا: وهو ﷺ ثبت قلبه ولم يركن.

مقاربة ذلك، (**ولو قاربت لأذقناك ضعف**) عذاب (**الحياة، وضعف**) عذاب (**الممات،**) تفسير لقوله: ﴿إذ لأذقناك﴾، (**أي: ضعف ما يعذب به في الدارين**) الدنيا والآخرة (**بمثل هذا الفعل غيرك، لأن خطأ،**) أي: ذنب (**الخطير**) الشريف (**أخطر**) أعظم من غيره، لأنه لشرفه حقه أن لا يقرب مما يلام عليه، بل يصون نفسه عن الهفوات وإن صغرت، (**وقد أعاذه اللّٰه تعالى،**) أي: عصمه (**من الركون إلى أعدائه،**) أي: أعداء اللّٰه (**بذرة من قلبه،**) أي: بشيء قليل صغير جدًا كالذرة، فضلاً عما فوقها.

(**ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك،**) أي: إن كاد هنا، بمعنى قرب (**قوله**) ملغزًا:

(أنحوى هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود)

جرهم: بضم الجيم، حي من اليمن، وثمود قوم صالح، وخصهما زيادة في التعمية:

(إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود)

(**وفسر الأول، وهوالنفي المثبت، بنحو ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾**) [البقرة/٧١]،) لغلاء ثمن البقرة، (**وقد فعلوا**) بنص، فذبحوها.

(**الثاني: وهو الثبوت المنفي، بنحو قوله تعالىٰ: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾، قالوا:،**) أي: العلماء كلهم، (**وهو ﷺ ثبت قلبه ولم يركن،**) بنص قوله: ﴿ثبتناك﴾، وأيده بذلك وإن كان ضعيفًا لاشتهاره، كما في شرح الكافية والمغني، وقالا: إن من زعمه لم يصب، بل حكم كاد حكم سائر الأفعال، فمعناها منفي إذا صحبها حرف نفي، وثابت إذا لم يصحبها، فإذا قيل: كاد زيد يبكي، معناه: قارب البكاء، فمقاربة البكاء، ثابتة، وإذا قيل: لم يكد يبكي، فمعناه: لم يقارب البكاء، فمقاربته منفية، ونفسه منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة.

وأما قوله تعالى: ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**﴾ [الحاقة/٤٤، ٤٥، ٤٦].

فالمعنى: لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لأخذنا منه باليمين وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه، وقد أعاذه الله تعالى من التقول عليه.

فإن قلت: لا مرية أنه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن والإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح به غيره، كما قال الشاعر:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

ولا شك أن نبينا ﷺ هو الحبيب الأعظم ذو المحاسن والإحسان الأكبر، فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الوارد إن وقع منه ما يكره، وكم من

(**وأما قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾**) [الحاقة/٤٤]، أي: افترى، سمي تقولاً، لأنه قول متكلف، والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرًا لها، كأنها جمع أفعولة من القول، كالأضاحيك (**﴿لأخذنا منه باليمين﴾**) بالقوة، والقدرة، (**﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾**) [الحاقة/٤٦] الآية، نياط القلب، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه، (**فالمعنى: لو افترى علينا بشيء من عند نفسه،**) كما زعم الكفار بنحو: إن هذا إلا إفك افتراه، (**لأخذنا:**) لنلنا (**منه**) عقابًا (**باليمين، وقطعنا نياط قلبه، وأهلكناه، وقد أعاذه الله تعالى من التقول عليه،**) أفلا تعقلون أنه تنزيل من رب العالمين، فالآية من جملة مدحه، إذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات، وأنه لا يمكنه الافتراء عليه، (**فإن قلت: لا مرية،**) لا شك (**أنه يعفى للمحب:**) اسم مفعول المحبوب أو اسم فاعل، أي: لمن أحب غيره، ولا شك أنه عليه السلام محب لله ومحبوب له، (**ولصاحب المحاسن والإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح مما لا يسامح به غيره، كما قال الشاعر:**)

(**وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع**)

وفي القرآن إشارة إليه، ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ [المائدة/١٨]، (**ولا شك أن نبينا ﷺ هو الحبيب الأعظم**) من كل حبيب، (**ذو المحاسن والإحسان الأكبر،**) الفائق على كل محسن، (**فما هذه العقوبة المضاعفة،**) بقوله: ﴿إذًا لأذقناك ضعف الحياة﴾ الخ.

(**والتهديد الشديد**) في قوله: ﴿لأخذنا منه﴾ الخ، (**الوارد**) كل منهما، (**إن وقع منه ما يكره**) (بكسر الهمزة وسكون النون شرط)، (**وكم من راكن إلى أعدائه،**) أي: الله تعالى

راكن إلى أعدائه ومتقول عليه تعالى من قبل نفسه لم يعبأ به كأرباب البدع ونحوهم؟

فالجواب: أنه لا تنافي بين الأمرين، فإن من كملت عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره، وأعطاه منها ما لم يعط غيره، فحباه بالأنعام وخصه بمزيد القرب والإكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص أن يراعي مرتبته من أدنى تشويش وقاطع، فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل وأعم، فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره، فهو إذا غفل أو أخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد، مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك البعيد أيضًا، فيجتمع في حقه الأمران. وإذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك، فإن الملك يسامح خاصته وأولياءه بما لم يسامح به من ليس في منزلتهم، ويؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيرهم. وأنت إذا كان لك عبدان أو ولدان أحدهما أحب إليك من الآخر وأقرب إلى قلبك وأعز عليك عاملته بهذين الأمرين،

حقيقة، فضلاً عن مقاربته، (ومتقول) (بكسر الواو، اسم فاعل كاذب) (عليه تعالىٰ من قبل) جهة (نفسه، لم يعبأ) لم يبالِ (به، كأرباب البدع ونحوهم) من الخوارج وغيرهم.

(فالجواب، أنه لا تنافي بين الأمرين، فإن من كملت عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره، وأعطاه منها ما لم يعط غيره، فحباه) (بموحدة)(بالأنعام، وخصه بمزيد القرب) المعنوي (والإكرام،) وهذا بمعنى ما قبله، فهو اطناب (اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية، والاختصاص، أن يراعي مرتبته،) فيباعد نفسه (من أدنى:) أقل (تشويش، وقاطع) عن الله، (فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه، واتخاذه لنفسه، واصطفائه:) اختياره (على غيره، تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم، ونعمه عليه أكمل وأعم) من غيره، (فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره، فهو إذا غفل) (بفتح الفاء، كنصر، وفي لغة بكسرها)، (أو أخل بمقتضى مرتبته:) منزلته السنّية، (نبه بما لم ينبه عليه البعيد، مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك البعيد أيضًا، فيجتمع في حقه الأمران،) عظم ما يصدر منه لمنافاته لمرتبته، والمسامحة لمحبته وشدة نصحه لمحبوبه، (وإذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما، فالواقع) في عرف الآدميين (شاهد بذلك، فإن الملك) السلطان (يسامح خاصته وأولياءه،) الموالين له والمعاضدين، (بما لم يسامح به من ليس في منزلتهم، ويؤاخذ بما لم يؤاخذ به غيرهم) ممن دونهم، (وأنت إذا كان لك عبدان أو ولدان، أحدهما: أحب إليك من الآخر وأقرب إلى

واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك، وحبك له وعزته عليك، فإذا نظرت إلى إكمال إحسانك إليه وإتمام نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا يعامل به من دونه من التنبيه وعدم الإهمال. وإذا نظرت إلى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه، وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره. فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه.

وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع، حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزويج إذا تعداه إلى الزنا الرجم، وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد، وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه وأتم نعمته عليه ولم يجعله مملوكًا لغيره، وجعل حد العبد المنقوص بالرق ـ الذي لم يجعل له هذه النعمة ـ نصف ذلك. فسبحان من بهرت حكمته في خلقه.

فللّه سر تحت كل لطيفة   فأخو البصائر غائص يتعقل

انتهى ملخصًا.

قلبك وأعز عليك، عاملته بهذين الأمرين) المسامحة والمؤاخذة، **(واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك، وحبك له وعزته عليك، فإذا نظرت إلى إكمال إحسانك إليه وإتمام نعمك عليه،)** بمعنى حسنه اختلاف اللفظ، **(اقتضت)** تلك الحالة التي هي النظر لكمال الإحسان، **(معاملته بما لا يعامل به من دونه من التنبيه وعدم الإهمال،)** بيان لما، **(وإذا نظرت إلى محبته لك وطاعته، وخدمته وكمال عبوديته، ونصحه)** لك في أمورك، **(وهبت له وسامحته، وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره، فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه، وقد ظهر اعتبار هذا المعنى)** العرفي **(في الشرع حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزويج إذا تعداه إلى الزنا الرجم،)** لأن الذي مع المزني بها مع زوجته، **(وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد،)** لأنه معذور بالنسبة للمتزوج، فكفى جلده في عقوبته، **(وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه، وأتم نعمته عليه، ولم يجعله مملوكًا لغيره، وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يجعل له هذه النعمة نصف ذلك،)** كما قال: فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب، **(فسبحان من بهرت)** (بفتح الموحدة والهاء)، غلبت وظهرت **(حكمته في خلقه)** وما أحسن قول القائل: **(فللّه سر تحت كل لطيفة،)** أي: رفق بالعبد لا يعلمه إلا هو سبحانه **(فأخو البصائر)** الناظر بعين البصيرة **(غائص،)** أي: غارق في المعاني والأفكار التي يتوصل بها إلى معرفة كماله عزّ وجلّ **(يتعقل،)** أي: يستعمل عقله فيما يوصل إليه **(ا هـ.)** هذا الجواب

وأما قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى/٥٢].

فقيل: معناه ما كنت تدري الإيمان على التفصيل الذي شرع في القرءان.

وقال أبو العالية: هو بمعنى الدعوة إلى الإيمان، لأنه كان قبل الوحي لا يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله تعالى.

وقيل: معناه أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وقبل البلوغ. حكاه الماوردي والواحدي والقشيري.

وقيل: إنه من باب حذف المضاف، أي ما كنت تدري أهل الإيمان، أي من الذي يؤمن، أبو طالب، أبو العباس، أو غيرهما.

وقيل: المراد به شرائع الإيمان ومعالمه وهي كلها إيمان، وقد سمى الله

(ملخصًا) حال.

(**وأما قوله تعالى: ما كنت تدري ما الكتاب**) القرآن (**ولا الإيمان**) مع ما مر أنه ﷺ كان عالمًا بالله وصفاته قبل النبوة (**فقيل: معناه ما كنت تدري الإيمان على التفصيل الذي شرع في القرآن،**) فلا ينافي أنه كان يدريه إجمالاً.

(**وقال أبو العالية**) رفيع ابن مهران التابعي الكبير (**هو بمعنى الدعوة إلى الإيمان**) فيكون على حذف مضاف، (**لأنه كان قبل الوحي لا يقدر أن يدعو**) الناس (**إلى الإيمان بالله تعالى،**) فلا ينافي علمه بأنه إله واحد.

(**وقيل: معناه أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وقبل البلوغ،**) فلا ينافي عرفانه بعد ببصيرته.

(**حكاه الماوردي،**) علي بن حبيب القاضي أبو الحسن البغدادي البصري، نسب أبوه لعمل الورد أو بيعه، والقياس الوردي صاحب التصانيف الجليلة مات سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة (**والواحدي**) أبو الحسن على المفسر تلميذ الثعلبي، (**والقشيري**) الإمام المشهور صاحب الرسالة.

(**وقيل: أنه من باب حذف المضاف أي: ما كنت تدري أهل الإيمان أي: من الذي يؤمن أبو طالب**) عبد مناف (**أو العباس أو غيرهما،**) فلا ينافي أنه مؤمن بالله وصفاته، وقد يدل له بقية الآية، ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا.

(**وقيل: المراد به**) أي: الإيمان (**شرائع الإيمان ومعالمه،**) أي: ما يدل عليه فهو على حذف مضاف أيضًا (**وهي كلها إيمان وقد سمى الله الصلاة إيمانًا بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع**

الصلاة إيمانًا بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة/١٤٣] أي صلاتكم إلى بيت المقدس، فيكون اللفظ عامًا والمراد الخصوص. كما قاله ابن قتيبة وابن خزيمة.

وقد اشتهر في الحديث أنه ﷺ كان يوحد الله ويبغض الأوثان ويحج ويعتمر.

وروى أبو نعيم وابن عساكر عن علي: أنه قيل للنبي ﷺ هل عبدت وثنًا قط؟ قال: لا، قيل: فهل شربت خمرًا قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر. وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان. وقد ورد أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسمٰعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة، وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب الأوثان ويعيبها، ولا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده

إيمانكم﴾ [البقرة/٤٣] الآية، **(أي: صلاتكم إلى بيت المقدس)** مدة، **(فيكون اللفظ عامًا)** وهو مطلق التصديق، **(والمراد الخصوص،)** وهو الشرائع والمعالم، **(كما قاله ابن قتيبة)** عبد الله بن مسلم **(وابن خزيمة)** محمد إمام الأئمة.

قال بكر القاضي: فكان ﷺ مؤمنًا بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانًا.

قال عياض: وهذا أحسن وجوهه، **(وقد اشتهر في)** كتب **(الحديث، أنه ﷺ كان يوحد الله ويبغض الأوثان،)** كما في قصة بحير الراهب لما استحلفه باللات والعزى وهو صبي، فقال ﷺ: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما، فقال بحيرًا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك، فقال: سل عما بدا لك، **(ويحج ويعتمر)** مخالفًا للمشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج، فكان من توفيق الله له يقف بعرفة، لأنه موقف إبراهيم.

(وروى أبو نعيم، وابن عساكر، عن علي أنه قيل للنبي ﷺ: هل عبدت وثنًا قط) صنمًا متخذًا من حجارة أو خشب أو غيرهما.

وقيل: الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن المتخذ من حجر أو خشب، **(قال: لا)** لم أعبده قط، **(قيل: فهل شربت خمرًا قط قال: لا)** ما شربته **(وما زلت أعرف إن الذي هم عليه)** من عبادة الأوثان **(كفر، وما كنت أدري ما الكتاب، ولا الإيمان، وقد ورد أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسمٰعيل، كحج البيت والختان والغسل من الجنابة،)** وقد حلف أبو سفيٰن بعد وقعة بدر لا يغسل رأسه من جنابة حتى يغزو محمدًا، **(وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب)** (بفتح الراء وضمها) **(الأوثان،)** أي: لا يدنو منها **(ويعيبها)**

على لسانه، فذلك قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم، والله أعلم.

المقصد السابع

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله وصحبه وقرابته وعترته، وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلاً وشرفًا لديه.

(بفتح الياء)، (و) الحال أنه حينئذٍ (**لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾**) [الشورى/٥٤]، هو بمعنى ما قدمه، أعاده لزيادة قوله: (**ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم**) وقد كانوا في الفترة فهم لا يعذبون، إذ لا يجب فيها إيمان، ولا يمنع كفر على الصحيح.

قال تعالىٰ: (**﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**) [الإسراء/١٥]، ومفهومه أن منهم من مات على الإيمان، ورجح الرازي وغيره أنه لم يكن في آبائه شرك، ومر بسط ذلك في أول الكتاب (**انتهى**).

هذا المقصد (**والله أعلم**) وله الحمد على ما أنعم، ونسأله إتمام الإحسان بالإتمام، وأن يجعله خالصًا له بجاه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

(**المقصد السابع**)

(**في**) بيان (**وجوب محبته، و**) بيان وجوب (**اتباع سنّته:**) طريقته التي كان عليها، وهي شاملة للواجب، والمستحب والمباح، ومعنى وجوب اتباعها اعتقاد حقية ما دلت عليه، وأن مباحًا، وأنه عن الله، وأما مباشرة الفعل، فتختلف بالوجوب والندب والإباحة والحرمة والكراهة، ولا يشكل بأن المستحب يجب بالنذر فيخالف سنّته، لأنه ﷺ أمر بالوفاء به كالقرآن، فهو من سنّته (**و**) بيان وجوب (**الاهتداء بهديه وطريقته،**) بأن يقتدي به فيما ورد عنه، وافق غيره من بقية الأنبياء، كالتوحيد، أو خالفهم كالأحكام الناسخة لشرائع من قبله، (**وفرض محبة آله وصحبه،**) عبر بفرض، وفيما قبله بوجوب تفننا، وذكره اهتمامًا بهم لئلا يتساهل في محبتهم لعدم بلوغهم رتبته، ولا يصح حمله على مذهب الفارقين بين الواجب والفرض، لأن المقام يأباه، إذ يصير المعنى محبة المصطفى بدليل ظني ومحبة آله وصحبه بدليل قطعي، (**وقرابته وعترته**) (بكسر العين وإسكان الفوقية) عطف خاص على عام أو مساوٍ للقرابة.

قال ابن الإعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، ولا تعرف العرب من العترة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول
في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته ﷺ

اعلم أن المحبة ـ كما قال صاحب «المدارج» ـ هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، وإليها يشخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفاني المحبون، وبروح نسيمها بروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح

غير هذا، ويقال: رهطه الأدنون، ويقال: أقرباؤه، فهذا الأخير صريح في أنه عطف مساوٍ، والقولان: قبله خاص على عام، **(وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلاً وشرفًا لديه)** أي: عنده والجمع بينهما أطناب، أو الأول لطلب زيادة العلوم والمعارف الباطنة، والثاني: لطلب الأخلاق الكريمة الظاهرة، أو الأول ضد النقص، والثاني: علو المجد وهو ميل إلى ترادفهما، وسؤال الزيادة لا يشعر بسبق نقص لقبول الكامل زيادة الترقي في غايات الكمال، فاندفع زعم جمع امتناع الدعاء له عقب نحو، ختم القرآن، باللهم إجعل ذلك زيادة في شرفه على أن جميع أعمال أمته يتضاعف له نظيرها، لأنه السبب فيها أضعافًا مضاعفة لا تحصى، فهي زيادة في شرفه، وأن يسئل له ذلك، فسؤاله تصريح بالمعلوم، كما في التحفة، **(وفيه ثلاثة فصول:)**

(الأول: في وجوب محبته واتباع سنّته والاقتداء بهديه وسيرته ﷺ، اعلم أن المحبة،) اللام عوض عن المضاف إليه، أي: محبة المصطفى، وبدأ ببيانها لأن الحكم على الشيء فرع تصوره، فاعتقاد وجوبها إنما يكون بعد تصورها، **(كما قال صاحب المدارج،)** أي: مدارج السالكين اسم لشرح ابن القيم على كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، من ولد أبي أيوب الصحابي، المؤلف، الواعظ ستين سنة للناس، الميت سنة، إحدى وثمانين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة **(هي المنزلة):** الرتبة العلية **(التي يتنافس فيها المتنافسون)** أي: يتسابقون إليها ويتزاحمون عليها؛ بأن يطلبها كل واحد، وادًا أنه يبلغ فيها مرتبة لا يبلغها غيره.

وفي القاموس: نافس فيه رغب على وجه المباراة في الكرم، كتنافس، **(وإليها يشخص العاملون،)** أي: يرفعون أبصارهم مجتهدين في تحصيلها، والمراد أنهم يجتهدون في الأعمال ويخلصون فيها، لينالوا بها تلك المرتبة السنّية، وعبر عن ذلك بشخوص المبصر لما جرت به العادة، إن من طلب غائباً عنه وانتظره كثر تلفته ونظره إلى الجهة التي يأتي منها، **(وإلى علمها،)** أي: معرفتها **(شمر السابقون،)** اجتهدوا في معرفتها والوصول إليها، **(وعليها تفاني)**

وقوة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام. واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيه، وتوصلهم إلى منازل لم

(بفاء ونون) (**المحبون،**) أي: تغالبوا في فنائهم فيها، فكل يريد أن يغلب غيره فيها، بأن تزيد محبته على محبة غيره، (**وبروح نسيمها**) (بفتح الراء)، بمعنى الراحة، كأنه شبه المحبة من حيث اللذة وانبساط النفس بها بريح طيبة هابة، تحيا بها النفوس، وأثبت لها النسيم تخييلاً، والروح بمعنى الراحة ترشيحًا (**بروح**) بالتثقيل (**العابدون،**) أي: وصل إليهم رائحة منها اطمأنت بها نفوسهم واستلذوا بها وارتاحوا، (**فهي قوت القلوب،**) أي: هي للقلوب كالقوت من حيث أنها تحيا بها، وتتقوى، كما يقوي البدن بالقوت، وهو ما يقوم به من الطعام جمعه أقوات (**وغذاء**) (بكسر الغين وذال معجمتين) (**الأرواح:**) جمع روح، بالضم يذكر ويؤنث، تشبيه بليغ كسابقه، أو كل منهما استعارة نحو زيد أسد، وأضاف القوت للقلوب، لأنها من البدن، وهو ينتفع بما يؤكل، والغذاء للأرواح، لأنها لا تنتفع بما يؤكل وإنما تنتفع بالأذكار ونحوها.

(**وقرة**) (بضم القاف) (**العيون،**) أي: سرورها بالمحبة وسكونها عن الالتفات إلى غيرها، (**وهي الحياة، التي من حرمها فهو جملة الأموات،**) لأنه لا يجد لذتها كالأموات، ولا عائدتها، (**والنور الذي من فقده. ففي بحار الظلمات،**) أي: فهو كالمنغمر فيها، بحيث لا يهتدي إلى شيء ينفعه، (**والشفاء**) بالمد.

قال ابن الجوزي في كتابه نزهة البيان: الشفاء ملائم للنفس، يزيل عنها الأذى، ويستعمل في القرآن على ثلاثة أوجه: الفرح، كقوله: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾، أي: بسرهم والعافية، كقوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء/٨٠] الآية، والبيان، كقوله: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس/٥٧]، (**الذي من عدمه**) (بكسر الدال) فقده (**حلت بقلبه جميع الأسقام:**) الأمراض الطويلة (**واللذة التي من لم يظفر:**) يفز (**بها، فعيشه كله هموم:**) أحزان جمع هم، (**وآلام،**) جمع ألم، (**وهي روح الإيمان،**) تشبيه بليغ، أي: له كالروح للأبدان، (**و**) روح (**الأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت**) تلك الأربعة (**منها، فهي كالجسد الذي لا روح فيه،**) فهو بيان لوجه الشبه في الأربع، ويحتمل أنه بيان لقوله، وهي روح الحياة، إلى هنا (**تحمل أثقال**) أحمال (**السائرين إلى بلد لم يكونوا إلا بشق الأنفس:**) بجهدها (**بالغيه**) واصلين إليه على غيرها. وأخر بالغيه لرعاية السجع، (**وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها**

يكونوا بدونها أبدًا وأصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها، وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائمًا إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة، لقد سبق القوم المحبين السعادة وهم على ظهور الفرش

أبدًا واصليها،) جملة مفسرة لما قبلها، **(وتبوؤهم:)** تسكنهم **(من مقاعد الصدق:)** مجالس الحق التي لا لغو فيها ولا تأثيم **(إلى مقامات:)** منازل رفيعة في الجنة **(لم يكونوا لولا هي داخليها،)** وفيه تلميح لمعنى: ﴿أن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق﴾، والتقوى بالإيمان لا تكون إلا مع محبة الرسول، **(وهي مطايا القوم:)** جمع مطية، فعيلة بمعنى مفعولة البعير ذكرًا أو أنثى، سمي بذلك، لأنه يركب مطاه، أي: ظهره، والمطا بزنة عصا الظهر **(التي سراهم)** (بضم السين جمع سرية بوزن مدية ومدى).

قال أبو زيد: ويكون السري أول الليل وأوسطه وآخره **(في ظهورها دائمًا إلى الحبيب،)** وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهًا لها بالأجسام مجازًا واتساعًا ومنه ﴿والليل إذا يسر﴾ [الفجر/٤] المعنى إذا يمضي، وقال البغوي: إذا سار وذهب، وقال جرير:

سرت الهموم فبتن غير نيام   وأخو الهموم يروم كل مرام

(وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى) التي كانوا بها في صلب آدم، وهي الجنة **(من قريب)** بدون عذاب قبل دخولها للمحبة، وقال شيخنا: الأولى، أي: التي قدر أزلاً حصولها لهم، لكن بأعمال يصلون بها إليها، فهي سابقة أزلاً على وجود أصحابها، ثم بعد ظهورهم في الخارج وفقهم الله ببركة المحبة إلى فعل تلك الأعمال، فوصلوا إليها في زمن قليل لا يحصل عادة في مثله ما قدر عليه من العمل، بل ولا ما يقاربه وهو تكلف مستغنى عنه، **(تالله لقد ذهب أهلها)** المحبة **(بشرف الدنيا والآخرة،)** وعلله بقوله: **(إذ لهم من معية محبوبهم،)** المشار لها بقوله: «أنت مع من أحببت» **(أوفر نصيب)** لشمولها للدارين وإن لم يدركه في الدنيا، أو كان بينهما مسافة بعيدة كما تقدم بسطه في المتن، **(وقد قدر الله يوم مقادير الخلق)** قبل خلق السموٰت والأرض، وبخمسين ألف سنة **(بمشيئته وحكمته البالغة)** التامة **(أن المرء مع من أحب،)** كما أخبر المحبوب صلى عليه علام الغيوب، **(فيا لها)** (بفتح اللام) **(من نعمة على المحبين سابغة)** (بغين معجمة) طويلة متسعة، ثم يحتمل أنه مستغاث به، وأنه مستغاث له، لأن اللام الداخلة على المستغاث له يجب فتحها إن كان ضميرًا كان هنا، فإن كان اسمًا ظاهرًا وجب كسرها، والداخلة على المستغاث به يجب فتحها مطلقًا، **(لقد سبق القوم المحبين)**

نائمون، ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون.

من لي بمثل سيرك المذلل ... تمشي رويدًا وتجي في الأول

أجابوا مؤذن الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح في الجنة، وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلهم بالرضى والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح، ولقد حمدوا على الوصول مسراهم، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح.

وقد اختلفوا في تعريف المحبة، وعباراتهم وإن كثرت فليست في الحقيقة

مفعول (**السعادة**) فاعل، سبق فهيأت لهم أنواع النعيم.

وفي نسخة: لقد سبق القوم السعاة: جمع ساعٍ، أي: الماشين بسرعة، فالقوم فاعل، (**وهم على ظهور الفرش:**) بضمتين جمع فراش، فعال بمعنى مفعول (**نائمون،**) والجملة حالية، (**ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون،**) أي أنهم، فازوا بالسعادة والتقرب إلى اللّه بحب المصطفى وإن لم يكن لهم كثير عمل، فأشبهوا من حيث قلة العمل من وقف في سيره بحبس دابته مثلاً، ومع ذلك حصل ما تمناه، وأنشد لغيره:

من لي بمثل سيرك المذلل ... تمشي رويدًا وتجي في الأول

أي: من يتكفل لي بسير مثل سيرك السهل، (**أجابوا: مؤذن الشوق،**) أي: المعلم به والداعي له (**إذ نادى بهم حي على الفلاح**)، أي: هلم إلى الفوز والنجاة، أو البقاء في الجنة، أي: أقبلوا إلى سبب الفلاح والبقاء (**في الجنة وبذلوا أنفسهم:**) أعطوها (**في طلب الوصول إلى محبوبهم،**) وجرد البذل عن بعض معناه، فاستعمله في مطلق الإعطاء، فلذا قال: (**وكان بذلهم بالرضا والسماح**) مراعاة للسجع، أو دفعًا لتوهم أنه مجرد الإعطاء، وإلا فهو لغة الإعطاء بسماحة وطيب نفس، (**وووصلوا إليه السير بالإدلاج،**) بالكسر بزنة الإكرام، أي: بسير الليل كله (**والغدو،**) أي: الذهاب وقت الغدوة وهي ما بين الفجر والشمس أو منه، إلى الزوال (**والرواح**) من الزوال إلى الغروب والمعنى واصلوا سيرهم إليه ليلاً ونهارًا، (**ولقد حمدوا على الوصول مسراهم**) عند وصولهم إلى محبوبهم، حيث ترتب على سيرهم ما قصدوه بلا تعب ومشقة. (**وإنما يحمد القوم السري عند الصباح**) لوصولهم إلى منازلهم المترتب على سراهم (**وقد اختلفوا في تعريف المحبة**) بعبارات كثيرة مختلفة، (**وعباراتهم وإن كثرت**) الواو للحال، لأن الواقع أنها كثيرة في نفسها، فلا يصح أنها غائية، أو هي غائية بالنظر للواقف عليها، لا في نفس الأمر، أي: سواء كانت قليلة أو كثيرة للواقف عليها، وإن كثرت في الواقع، (**فليست في**

ترجع إلى اختلاف مقال، وإنما هي اختلاف أحوال، وأكثرها يرجع إلى ثمراتها دون حقيقتها.

وقد قال بعض المحققين: حقيقة المحبة عند أهل المعرفة، من المعلومات التي لا تحد، وإنما يعرفها من قامت به وجدانًا لا يمكن التعبير عنه.

وهكذا يقول صاحب مدارج السالكين ـ تبعًا لغيره ـ: والمحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها

الحقيقة ترجع إلى اختلاف مقال) في معناها، بحيث يعتقد كل واحد في معناها غير ما اعتقده الآخر، ومقال مصدر، قال: **(وإنما هي)** عبارات منشؤها **(اختلاف أحوال)** قامت بالمحبين، فكل عبر بما يليق بالمعنى الذي قام به:

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل إلى ذاك الجمال يشير

(وأكثرها،) أي: العبارات **(يرجع إلى)** بيان **(ثمراتها،)** وهي ما يترتب على المحبة من الفوائد، سماها ثمرات، لمشابهتها لها في الانتفاع بها وترتبها عليها **(دون حقيقتها)** لاتحادها.

(وقد قال بعض المحققين: حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات) لهم، **(التي لا تحد، وإنما يعرفها من قامت به وجدانًا لا يمكن التعبير عنه،)** كلذة المجامع يمكن التعبير عن حقيقتها بعبارة، **(وهكذا يقول صاحب مدارج السالكين)** ابن القيم **(تبعًا لغيره: والمحبة لا تحد بحد أوضح منها،)** أي: لا تعرف بحد يفيد أكثر مما يفيده لفظ المحبة، لأنها علقة تقوم بالمحب يدركها من نفسه، ولا يمكن أن يوصل خصوص ما قام به إلى غيره، بحيث يكشف له حقيقة ما عنده، وغايته أن يخبر بأنه يحب كذا محبة قوية، لا يمكنه التخلف عنه، وليس هذا عين ما قام به، وقريب من هذا قولهم: الحسن يدرك ولا يوصف، أي: لا يبين بعبارة تحقق معناه عند المخاطب، **(فالحدود لا تزيدها إلا خفاء)**، لعدم بيانها حقيقة الماهية، **(وجفاء)** (بالجيم والمد)، ويقصر، أي: بعدًا مأخوذ من جفا السرج عن الفرس: رفعه كإجفاه، **(فحدها وجودها،)** وذلك الوجود لا يمكن بيان حقيقته للغير، **(ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة،)** فلا معنى لحدها بأخفى منها، **(وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها،)** بكسر الجيم عطف تفسير، **(وعلاماتها)** الدالة عليها **(وشواهدها)** التي تشهد بقيامها بالمحب، **(وثمراتها)** فوائدها **(وأحكامها)** التي تبنى عليها، **(فحدودهم:)** جمع حد هو التعريف بذاتيات

وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه السنة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب الإدراك والمقام والحال.

وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة: «الحاء» التي هي من أقصى الحلق، و«الباء» الشفهية التي هي نهايته، فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه.

وأعطوا «الحب» حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها، وأعطوا «الحِبّ» وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من

المعرفة، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق، (**ورسومهم:**) جمع رسم، وهو التعريف بخاصة من خواصه، كتعريفه بالضاحك، والمراد بهما هنا شيء واحد، وهو التعريف بالأثر (**دارت على هذه السنة**) (بنون)، أي: الطريقة، وبفوقية، أي: الستة المذكورة، فهي ألفاظ متقاربة، (**وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب الإدراك،**) أي: وصول كل إلى المعنى الذي تصوره من لفظ المحبة، (**والمقام:**) المكان المورد فيه الكلام الذي يريد التعبير به، (**والحال**) زمن إيراد ذلك الكلام، فالفرق بينهما اعتباري، وحقيقته صفة الشيء تذكر وتؤنث، فيقال: حال حسنة وحسن، (**وقد وضعوا لمعناها،**) أي: لمعنى المحبة، وهو الحب، وجعل الحب معنى لها لاشتماله على زيادة، وإلا فالحب والمحبة لغة معناهما واحد، وهو الوداد (**حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة**)، أحدهما: (**الحاء التي هي من أقصى الحلق**، و) الثاني (**الباء الشفهية التي هي نهايته**) أي: نهاية الصوت، وفي نسخة نهاية بلا ضمير، أي: للمخارج، (**فللحاء الابتداء،**) لأنها مبدأ الصوت المشتمل على الحروف، وإن كان مخرجها أقصى الحلق، (**وللباء الانتهاء**) والحاصل، كما قال شيخنا: أنهم جعلوا آخر الحلق مما يلي الصدر أقصى، باعتبار وضع الإنسان، لأن كل شيء له نهايتان، فأيتهما فرضتها أوله كان مقابلها آخره، هذا فيما وضع على الامتداد، كالبساط وأما ما وضع على الانتصاب، فأعلاه أوله وأسفله آخره، ولذا كان أول المخارج الشفتين، وأولهما مما يلي البشرة التي هي ظاهر الجلد، وآخرها الحلق، وأوله مما يلي اللسان، وآخره بما يلي الصدر، والصوت لما كان مبدؤه من الرئة يخرج منها، ثم يمر على الحلق، جعل أول المخارج بهذا الاعتبار، وأقصى الحلق وآخرها الشفتين.

(**وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب، فإن ابتداءها منه**) بأن يرى المحب من المحبوب ما يدعو إلى ميله إليه، فيتعلق به، بحيث لا يصير عنده سواه، (**وانتهاءها إليه،**) إذ هو غاية المطلوب، (**وأعطوا الحب**) الذي هو المصدر (**حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها**) (عطف مساو) (**مطابقة**) (مفعول لأجله)، أي: لمطابقته (**لشدة حركة مسماه وقوتها،**

الضمة، وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم وألسنتهم.

فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني، تطلعك على قدر هذه اللغة ، وأن لها شأنًا ليس لسائر اللغات.

وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها، والكلام على ما يحتاج إلى الكلام عليه منها.

فمنها: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وهذا موجبها ومقتضاها.

ومنها: محو المحب لصفاته وإثبات المحب لذاته، وهذا من الفناء في المحبة، وهي أن تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته، وهذا يستدعي بيانًا أتم من هذا لا يدركه إلاّ من أفناه وارد المحبة عنه وأخذه منه.

ومنها: استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من محبوبك، وهو لأبي

وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة، وخفة المحبوب و) خفة (ذكره على قلوبهم وألسنتهم، **فتأمل هذا اللطف والمطابقة، والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر**) أي: شرف (**هذه اللغة**) العربية وتميزها على غيرها، (**وأن لها شأنًا** ليس لسائر اللغات، وهذه بعض رسول وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها)، علاماتها التي بها يهتدى إليها (**وشواهدها**،) أي: ما يشهد بها ويدل عليها، حتى كأنها شهدت به وأثبتته، (**والكلام على ما يحتاج إلى الكلام عليه منها، فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب**،) أي: في حالتي شهوده، أي: حضوره ومغيبه، (**وهذا موجبها**) (بفتح الجيم) (**ومقتضاها**،) مساوٍ له في المعنى: أي: أنهما أثر المحبة، ومسبب عنها، (**ومنها محو المحب لصفاته**،) بحيث لا يبقى له صفة، (**وإثبات المحب لذاته**) بدون صفة، فالمحو في أصل اصطلاحهم رفع أوصاف العادة.

قال ابن عطاء: يمحو أوصافهم، ويثبت أسرارهم، ويقابل المحو الإثبات، وهو إقامة أحكام العادة، (**وهذا من الفناء في المحبة، وهو أن تمحى صفات المحب وتفنى**:) تزول وتضمحل (**في صفات محبوبه وذاته، وهذا يستدعي بيانًا أتم من هذا، لا يدركه إلا من أفناه وارد المحبة عنه**،) أي: الفناء (**وأخذه**،) أي: أخذ الوارد الفناء (**منه**،) ويسمونه فناء الفناء، وهو الفناء عن شهود هذا الفناء، بحيث يفنى عن كل ما سوى محبوبه، وحينئذٍ يدرك ذلك بالوجدان لا بالعبارة، (**ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من محبوبك**،) كما قيل:

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لا يقال له قليل

يزيد، وهو أيضًا من أحكامها وموجباتها وشواهدها. والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه.

ومنها: استكثار القليل من جنايتك، واستقلال الكثير من طاعتك. وهو قريب من الأول لكنه مخصوص بما من المحب.

ومنها: معانقة الطاعة ومباينة المخالفة، وهو لسهل بن عبد اللَّه، وهو أيضًا حكم المحبة وموجبها.

ومنها أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء. وهو لسيدنا أبي عبد اللَّه القرشي، وهو أيضًا من موجبات المحبة وأحكامها. والمراد أن تهب

(وهو لأبي يزيد،) بياء قبل الزاي، اسمه طيفور، بطاء مهملة وتحتية وفاء، ابن عيسى البسطامي، نادرة زمانه حالاً وأنفاسًا وورعًا وعلمًا وزهدًا وتقى، مات سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، (وهو أيضًا من أحكامها وموجباتها) (بفتح الجيم) (وشواهدها) الدالة عليها، (والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله:) اعتقده قليلاً، (ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه) عدة، واعتقده كثيرًا عظيمًا، (ومنها استكثارًا لقليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك، وهو قريب من الأول) أي: ما قبله فهو أول نسبي وإلا فهو ثالث (لكنه مخصوص بما من المحب) في الحالين، بخلاف ما قبله فمنه ومن المحبوب، فافترقا، (ومنها معانقة الطاعة،) أي: التزام المحب طاعة محبوبه، بحيث يفعل كل ما أمره به، أو فهم أنه يريده وإن لم يأمره، (ومباينة المخالفة) بأن لا يخالفه في شيء أراده منه، ولا يفعل شيئًا نهاه عنه، وهذا المعنى لازم لالتزام الطاعة، فذكره إيضاح (وهو لسهل بن عبد اللّه) التستري الولي الذي لم يسمح الدهر بمثله، له كرامات وتصانيف، مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين عن ثلاث وثمانين سنة (وهو إيضاحكم المحبة، وموجبها) لا حد لها حقيقي، (ومنها أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء،) وعليه أنشد:

تملك بعض حبك كل قلبي ... فإن ترد الزيادة هات قلبًا

(وهو لسيدنا أبي عبد اللّه) محمد بن أحمد بن إبراهيم (القرشي،) من أعيان مشايخ المغرب ومصر، لقي نحو ستمائة شيخ، وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون، منهم البوني، وله كرامات كثيرة، مات ببيت المقدس سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقيل غير ذلك، ودفن به، ثم دفن بجانبه ابن رسلان، وجربت استجابة الدعاء بين قبريهما، (وهو أيضًا من موجبات المحبة،

إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه، ولا تأخذ منها لنفسك إلاَّ ما أعطاكه، فتأخذ منه له.

ومنها: أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب، وكمال المحبة يقتضي ذلك، فإنه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة.

ومنها: أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك. وهو للشبلي، ومراده: احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه.

ومنها: غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيره، وعن المحبوب هيبة، وهذا يحتاج إلى إيضاح، أما الأول فظاهر، وأما الثاني: فإن غض طرف القلب

وأحكامها) لا تعريف لها، **(والمراد: أن تهب إرادتك وعزماتك،)** بفتح الزاي جمع عزمة، وهي الاجتهاد في الشيء والمحافظة عليه، **(وأفعالك ونفسك ومُلك ووقتك لمن تحبه،)** والوقت عندهم عبارة عن حال في زمان الحال، لا تعلق فيه بالماضي ولا الاستقبال، فيقال: فلان وقته كذا، أي: حاله كذا، ولذا قالوا: الوقت ما أنت فيه، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك، العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن، فعنوا بذلك أن وقت الإنسان هو حاله الغالبة عليه، **(وتجعلها،)** أي: المذكورات **(حبسًا،)** بضمتين وتسكن الباء لغة، وقفًا **(في مرضاته)**، أي: مقصورة على رضاه لا تتعداه إلى غيره، **(ومحابه)** ما يحبه هو، **(ولا تأخذ منها لنفسك إلا ما أعطاكه فتأخذه منه له،)** لأنه لم يبق لك منك شيء، فأخذك ما أعطاك إنما هو له، **(ومنها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب)** حتى نفسك، وذلك عندما ينسى أوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه، كما قيل:

شاهدته وذهلت عني غيرة   مني عليه فذا المثنى مفرد

(وكمال المحبة يقتضي ذلك، فإنه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره، فالمحبة مدخولة،) أي: مشوبة بغيرها، ومتى كانت كذلك لم تكن حقيقية.

(ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك، وهو للشبلي) أبي بكر دلف بن جحدر، وقيل: اسمه جعفر بن يونس، وقيل: غير ذلك صحب الجنيد والنساج وطبقتهما، وصار أوحد وقته علمًا وحالاً، وتفقه على مذهب مَلك، وكتب حديثًا كثيرًا، ثم شغلته العبادة عن الرواية، مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد، **(ومراده احتقارك لنفسك، واستصغارها أن يكون مثلك يحبه)** لجلالته، فيغار عليه من أن ينسب له الشيء الحقير، **(ومنها: غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة،)** مفعول له، **(وعن المحبوب هيبة،)** أي: لأجل الغيرة والهيبة، **(وهذا يحتاج إلى إيضاح، أما الأول فظاهر، وأما**

عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل، ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا، وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم.

ومنها : ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرًا وجهرًا ثم علمك بتقصيرك في حبه. قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك.

ومنها: سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه، ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف، وأنشد بعضهم:

فأسكر القوم دورًا لكأس بينهم لكن سكري نشأ من رؤية الساقي

ومنها: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج لسانه يذكره على الدوام، أما سفر القلب في طلبه فهو الشوق إلى لقائه، وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن

الثاني، **فإن غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل**) إذ أصل معنى المحبة ميل القلب، فكيف يصرفه عنه، (**ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا**) بدون اختيار، كأنه لا يدري ما هو عليه، (**وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم**) للمحبوب، (**ومنها ميلك إلى الشيء**) الذي تحبه (**بكليتك**) بجملتك، (**ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرًا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه**) وهذا بمعنى ما سبق عن القرشي، لكن غرض المصنف بيان العبارات، وإن رجع بعضها إلى بعض.

(**قال الجنيد**) أبو القٰسم بن محمد البغدادي، شيخ الطريقة، العلم الشهير: (**سمعت الحرث**) بن أسد البصري، (**المحاسبي**)، قيل: له ذلك لكثرة محاسبته لنفسه، أو لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها حال الذكر، أو لغير ذلك صحب الشافعي، وقيل: بل عاصره وكان عابدًا، زاهدًا، راسخًا في الأصول والفقه والحديث والتصوف والكلام، صنف نحو مائتي مؤلف، ومات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين، (**يقول ذلك**) المذكور في معنى المحبة، (**ومنها**) المحبة (**سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه**) لأنه عند الطائفة عبارة عن غيبة بوارد قوي، والغيبة عدم الإحساس، وذلك إذا كوشف بنعت الجمال، وطرب وهام قلبه، (**ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة**) للمحبوب (**لا يوصف**) بل يجل عن الوصف، (**وأنشد بعضهم:**)

(**فأسكر القوم دورًا لكأس بينهم لكن سكري نشأ من رؤية الساقي**)

فالصادق المحبة لا يتوقف سكره على كاس ولا غيرها، بل بمجرد رؤية الحب يسكر سكرًا يجل عن الوصف، (**ومنها سفر القلب**) أي: توجهه (**في طلب المحبوب، ولهج لسانه يذكره على الدوام**) بحيث لا يفتر عنه، (**أما سفر القلب في طلبه، فهو الشوق إلى لقائه**)

من أحب شيئًا أكثر من ذكره.

ومنها: الميل إلى ما يوافق الإنسان، كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل إليها لموافقتها له، أو لاستلذاذه كحب الصورة الجميلة بإدراكه بحاسته، أو يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه، فقد جبلت القلوب على حب

فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، وما أحسن قوله:

وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني وعفراء يوم الحشر نلتقيان

وأحلى قول الآخر:

إن كان يحلو لديك ظلمي فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني وبينك الله في الحساب

(**وأما لهج اللسان بذكره، فلا ريب أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره**) وهو لفظ حديث، رواه أبو نعيم، ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حيان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عائشة، عن النبي ﷺ: من أحب شيئًا أكثر من ذكره، (**ومنها**) المحبة: (**الميل إلى ما يوافق الإنسان**) المحب، وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه منه أمرًا محبوبًا، (**كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة وغير ذلك**) كالأطعمة والأشربة اللذيذة والروائح الطيبة والملابس الفاخرة (**من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم**) من غلظ الطبع وفساد الحواس، كالمريض يحد الحلو مر الفساد ذوقه، فلا يرد نقضًا (**عن الميل إليها لموافقتها له**) طبعًا (**أو لاستلذاذه**) أي: وجود لذته، وهي إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم ضده، والمراد بالملائم للشيء كماله اللائق به، كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه، من المحسوسات، وكتعقل الأشياء على ما هي عليه بالقوة العاقلة، وقيد الحيثية لا الشيء قد يكون ملائمًا من وجه دون آخر، فاللذة حسية، وإليها أشار بقوله: (**كحب الصورة الجميلة**) وعقلية، وبينها بقوله (**بإدراكه بحاسته**) بعد الوصول إليه لا قبله بمجرد تخيله بحاسة عقله وقلبه معاني لطيفة شريفة، كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف، كما في الشفاء، وفيه تسمح على رأي: الحكماء، لأن المدرك عندهم القوي الباطنة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات، لكن لما لم يثبتها أهل الشرع تسمح فيها، (**أو يكون حبه لذلك لموافقته له**) أي: لملائمته وموافقة طبعه (**من جهة إحسانه**) إنعامه وبذله وجوده (**إليه**).

وفي نسخة له، أي: لأجل ذلك، فقوله: (**وإنعامه عليه**) عطف تفسير، (**فقد جبلت**) خلقت وطبعت (**القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها**) كما رواه أبو نعيم

من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وإذا كان الإنسان يحب منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا فانيًا منقطعًا، أو استنفذه من مهلكة أو مضرة لا تدوم، فما بالك بمن منحه منحًا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم ما لا يفنى ولا يحول.

في كتاب الحلية، وأبو الشيخ وغيرهما كابن حبان في «روضة العقلاء»، والخطيب في «تاريخ بغداد»، وآخرين عن ابن مسعود، موقوفًا.

وأخرجه ابن عدي والبيهقي وابن الجوزي، عنه مرفوعًا، قال السخاوي: وهو باطل موقوفًا ومرفوعًا، وقول ابن عدي والبيهقي، الموقوف معروف فيه تأمل، ففي سندهما: من أبهم بالكذب والوضع بسياق أجل الأعمش عن مثله، وهو أنه لما ولي الحسن بن عمارة مظالم الكوفة، فقال الأعمش: ظالم ولي مظالم، فبلغ الحسن فبعث إليه بأثواب ونفقة، فقال الأعمش: مثل هذا ولي علينا يرحم صغيرنا ويجود على فقيرنا ويوقر كبيرنا، فقال له رجل: ما هذا قولك بالأمس، فقال: حدثني خيثمة عن ابن مسعود، فذكره موقوفًا، وأخرجه القضاعي، مرفوعًا من جهة ابن عائشة عن محمد بن عبد الرحمٰن القرشي، قال: كنت عند الأعمش، فقيل: أن الحسن ولي المظالم، فقال الأعمش: يا عجبًا من ظالم ولي المظالم، ما للحائك بن الحائك والمظالم، فأتيت الحسن، فأخبرته، فقال: عليّ بمنديل وأثواب، فوجه بها إليه، فبكرت إلى الأعمش من الغد، فأجربت ذكره، فقال: بخ بخ، هذا الحسن بن عمارة ولي العمل وما زانه، فقلت بالأمس: تقول ما قلت، واليوم تقول: هذا، فقال: دع عنك هذا.

حدثني خيثمة عن ابن مسعود، مرفوعًا به، فقد كان رحمه اللّٰه زاهدًا، ناسكًا، تاركًا للدنيا، حتى وصفه القائل بقول: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر عنده منهم مع فقره وحاجته، وقال آخر: أنه فقير، صبور، مجانب للسلطان، ورع، عالم بالقرآن. انتهى.

وفي تذكرة ابن عبد الهادي، قال مهنأ: سألت أحمد ويحيى عن هذا الحديث، فقالا: ليس له أصل وهو موضوع، (**وإذا كان الإنسان يحب منحه**) أي: أعطاه (**في دنياه**) أي: حياته في الدنيا (**مرة أو مرتين معروفًا**) أي: شيئًا حسنًا، (**فانيًا، منقطعًا**) أي: زائلاً في زمن قليل، (**أو استنقذه**)، نحاه (**من مهلكة**) أمر مهلك، (**أو مضرة**) (بفتح الميم والضاد)، أمر يضره ويؤذيه (**لا تدوم**) مدة ذلك، (**فما بالك بمن منحه منحًا لا تبيد**) بكسر الموحدة وإسكان التحتية لا تذهب وتنفد، (**ولا تزول**) عطف تفسير من نعيم الخلد في الجنة، (**ووقاه**) بالتشديد والتخفيف صانه (**من العذاب الأليم**). عذاب النار (**ما لا يفنى ولا يحول**) عنه إلى غيرة، فهذا أحق أن يحب من كل شيء يحب حتى من نفسه وماله وأهله، (**وإذا كان المحب يحب غيره على**) أي: لأجل (**ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة**) كملك وقاض وإن كان بعيد الدار

وإذا كان المحب يحب غيره على ما فيه صورة جميلة وسيرة حميدة، فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم، المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم، فقد أخرجنا اللّٰه به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وخلصنا به من نار الجهل إلى جنات المعارف والإيقان، فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، فأي إحسان أجل قدرًا وأعظم خطرًا من إحسانه إلينا، فلا منة - وحياته - لأحد بعد اللّٰه كما له علينا، ولا فضل لبشر كفضله لدينا.

فكيف ننهض ببعض شكره، أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره، فقد منحنا اللّٰه به منح الدنيا والآخرة، وأسبغ علينا نعمة باطنة وظاهرة، فاستحق ﷺ أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين، بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات

عنه ولم يره، (**فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم**،) الذي لا أكرم ولا أعظم منه، (**الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم، المانح**) المعطي (**لنا جوامع المكارم والفضل العميم، فقد أخرجنا اللّٰه به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان**،) بالإضافة البيانية فيهما أو من إضافة الأعم إلى الأخص، (**وخلصنا به من نار الجهل إلى جنات المعارف والإيقان، فهو السبب لبقاء مهجنا**) بضم ففتح (**البقاء الأبدي**) الدائم (**في النعيم السرمدي**) المتواصل الذي لا ينقطع، (**فأي: إحسان أجل قدرًا**) رتبة، (**وأعظم خطرًا**) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة، أي: قدرًا أو شرفًا غاير بينهما تفننًا (**من إحسانه إلينا**) معاشر المؤمنين، وخصهم لأنهم هم المنتفعون به وإن كان إحسانه عامًا، وأي: للتعظيم والتفخيم، كما يقال: عندي رجل، أي: رجل كامل الرجولية، (**فَلا منة وحياته**) قسمي (**لأحد بعد اللّٰه كما له علينا ولا فضل لبشر**) ولا لملك (**كفضله لدينا**) عندنا وقيد بالبشر، لأنه المشاهد فضله، (**فكيف ننهض**) نقوم بسرعة (**ببعض شكره**) على ما أولانا، (**أو**) كيف (**نقوم من واجب حقه بمعشار عشره، فقد منحنا اللّٰه به منح الدنيا والآخرة وأسبغ**:) أوسع وأتم (**علينا**) بسببه (**نعمه**،) أي: اللّٰه (**باطنة**،) وهي المعرفة وغيرها، (**وظاهرة**) حسن الصورة وتسوية الأعضاء، (**فاستحق ﷺ أن يكون حظه**) نصيبه (**من محبتنا له أوفى**) أتم (**وأزكى**) أطهر (**من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين**،) عطف على خاص وهو كثير، (**بل**) انتقال (**لو كان في كل منبت**) محل نبات (**شعرة منا محبة تامة له صلوات اللّٰه وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه**

الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا.

وقد روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». رواه البخاري.

وقدم الوالد للأكثرية، لأن كل أحد له والد، من غير عكس، وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة، وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس والناس أجمعين، وفي صحيح ابن خزيمة: من أهله وماله بدل

علينا).

(وقد روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: لا يؤمن) إيمانًا كاملاً (أحدكم) خطاب للحاضرين عام فيهم وفي غيرهم، بقياسهم عليهم بطريق المساواة بجامع العلة، أو تنزيلاً لهم منزلة المخاطبين، وتوجه الكلام لجملتهم مجازًا من باب الاستعارة التمثيلية، ويؤيد عمومه رواية مسلم لا يؤمن الرجل.

وفي رواية الأصيلي: لا يؤمن أحد وزعم أن في مسلم: لا يؤمن عبد. وابن حبان: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان غلط، فإنما فيهما ذلك في حديث: حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. **(حتى أكون أحب)** أفعل بمعنى مفعول، وهو مع كثرته على خلاف القياس، وفصل بينه وبين معموله بقوله: **(إليه)** لأن الممتنع الفصل بأجنبي.

قاله الحافظ وقال المصنف: لأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره **(من والده)** أي: أبيه، قال الحافظ: وهل تدخل الأم في لفظ والده، إن أريد به من له الولد، فيعم، أو اكتفى بذكر أحدهما كما يكتفي عن أحد الضدين بالآخر، ويكون ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد، إلا عزة، كأنه قال: أحب إليه من أعزته **(وولده)** ذكرًا، أو أنثى.

(رواه البخاري) من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده، لا يؤمن. ذكره، وهو عن أبي هريرة من أفراد البخاري، ورواه هو ومسلم من حديث أنس، **(وقدم الوالد للأكثرية، لأن كل أحد له والد من غير عكس)** أو نظرًا إلى جانب التعظيم، أو لسبقه بالزمان، قاله المصنف.

(وفي رواية النسائي) لحديث أنس: **(تقدم الولد على الوالد، وذلك لمزيد الشفقة)** ونطق ﷺ عند كل من أبي هريرة، وأنس بما رواه عنه، فلا خلف، وليس أحدهما بالمعنى لاختلاف المخرج، وأفاد الحافظ أن الروايات لم تختلف في حديث أبي هريرة، **(وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب)** بضم المهملة وفتح الحاء وسكون التحتية وموحدة، البناني بضم الموحدة نسبة إلى بنانة: بطن من قريش التابعي، كأبيه **(عن أنس)** عند البخاري ومسلم: لا يؤمن

والده وولده وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال، بل ربما يكونان أعز من نفسه. ولذا لم يذكر «النفس» في حديث أبي هريرة، وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص.

قال الخطابي: والمراد بالمحبة هنا، حب الاختيار لا حب الطبع.

وقال النووي: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئنة، فإن من رجح

أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده **(والناس أجمعين،)** دخل في عمومه النفس على الظاهر، وقيل: إضافة المحبة إليه تقتضي خروجه منهم، وهو بعيد، وقد نص على النفس في حديث عبد اللّه بن هشام، كما يأتي. انتهى. ووجه بعده أن اللفظ عام، وما ذكر ليس من المخصصات، وحينئذٍ فلا يخرج.

(وفي صحيح) محمد **(بن خزيمة،)** المعروف بإمام الأئمة، من طريق عبد العزيز بن صهيب، عن أنس مرفوعًا: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه **(من أهله وماله بدل والده وولده)**.

وكذا لمسلم من طريق ابن علية، والإسمعيلي من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن عبد العزيز، عن أنس، بلفظ: لا يؤمن الرجل، قال الحافظ: وهو أشمل من جهة، واحدكم أشمل من جهة، وأشمل منهما، رواية الأصيلي: لا يؤمن أحد، **(وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى،)** أي: أنسب بالمعنى الذي الكلام فيه، **(لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال، بل ربما يكونان أعز من نفسه، ولهذا لم يذكر النفس في حديث أبي هريرة،)** بل قال: من والده وولده فقط، **(وذكر الناس بعد الوالد والولد)** في حديث أنس عند الشيخين، كما علم **(من عطف العام على الخاص،)** وهو كثير، كما في الفتح، فمحبة الوالد محبة إجلال ومحبة الولد رحمة وشفقة، والناس محبة إحسان، وقد ينتهي المحب في المحبة إلى أن يؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه فضلاً عن ولده، بل يحب أعداء نفسه لمشابهتهم محبوبه قال:

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ صار حظي منك حظي منهم

(قال الخطابي: والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار،) الذي يقتضي العقل إيثاره وإن خالف الطبع، كمحبة المريض الدواء **(لا حب الطبع)** الذي لا يدخل تحت اختيار، فإنه لا يؤاخذ به لعدم دخوله تحت استطاعته.

(وقال النووي: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة،) المائلة بطبعها إلى الشهوات، وتهيم بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات، **(والمطمئنة)** بذكر اللّه، فإن النفس تترقى في الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته، فتستقر دون معرفته، وتستغنى به عن غيره، أو

جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحًا، ومن رجح جانب الأمارة كان حبه بالعكس.

وفي كلام القاضي عياض: إن ذلك شرط في صحة الإيمان، لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال. وتعقبه صاحب المفهم: بأن ذلك ليس مرادًا، هنا لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته. قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه، وإلى ذلك يومىء قول عمر بن الخطاب في الحديث الذي رواه البخاري في «الأيمان والنذور» من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلاَّ نفسي التي بين جنبي، فقال

إلى الحق، بحيث لا يريبها شك، والآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، قاله البيضاوي: **(فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحًا)** حتى على نفسه، **(ومن رجح جانب الأمارة كان حبه بالعكس،)** أي: مرجوحًا، **(وفي كلام القاضي عياض)** إشارة إلى **(أن ذلك شرط في صحة الإيمان، لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال،)** باعتقاد عظمته وجلاله ﷺ، وحمله على ذلك يلزم منه التنقيص عند ضد التعظيم، وهو كفر، فلذا قال: شرط في صحة الإيمان، **(وتعقبه صاحب المفهم)** أبو العباس أحمد بن محمد القرطبي، مرت ترجمته في شرح مسلم، **(بأن ذلك ليس مرادًا هنا، لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته؛)** بأن لا يحبه ولا يبغضه، أو يعظمه مع بغضه، يعني: فكما لا يلزم من الأعظمية المحبة، لا يلزم من ضدها البغضاء.

قال شيخنا: هو كذلك عقلاً، وأما بحسب العرف، فالعادة قاضية؛ بأن من اعتقد عظمة إنسان أحبه، **(قال)** صاحب المفهم: **(فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه)** فقط، لا أنه كافر، **(وإلى ذلك يومىء قول عمر بن الخطاب في الحديث الذي رواه البخاري في)** كتاب **(الإيمان والنذور)** من صحيحه **(من حديث عبد الله بن هشام)** بن زهرة بن عثمن التيمي، صحابي، صغير، مات في خلافة معٰوية، وأبوه صحابي؛ **(أن عمر بن الخطاب، قال للنبي: لأنت يا رسول الله،)** لفظه عن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، والله لأنت **(أحب إليّ)** (بشد الياء واللام)، لتأكيد القسم **(من كل شيء)** في الدنيا وغيرها، **(إلا)** من **(نفسي التي بين جنبي)** (بشد الياء) مثنى، لأن بين لا تضاف إلا لمتعدد، وهذا كناية عن السر الذي قامت به الحياة، وأضافه إلى

النبي ﷺ: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي ﷺ الآن يا عمر. فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط. فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعًا.

وفي رواية فقال ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» قال بعض الزهاد: تقدير الكلام، لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك.

وأما وقوف عمر في أول أمره، واستثناؤه نفسه، فلأن حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. وعلى هذا

الجنبين، لجرى العادة بسلب الحياة، بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الأعضاء الرئيسة، (**فقال النبي ﷺ: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، فقال عمر:**) مؤكدًا بالقسم تحقيقًا لخلوص طويته في قوله: (**والذي أنزل عليك الكتاب،**) أوحى إليك القرآن (**لأنت أحب من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي ﷺ: الآن**) عرفت، فنطقت بكمال الإيمان، فهو متعلق بمقدر، وهو مبني على الفتح، وأل فيه لازمة، وهو الزمان الحاضر، وصرح بقوله: (**يا عمر**) إشارة إلى وصوله لرتبة عليه، تخصه بالنسبة لبعض من عداه، أي: لا تكفيك الرتبة الأولى، ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها، (**فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعًا،**) بدليل قوله أحب إليّ من كل شيء.

(**وفي رواية: فقال النبي ﷺ**) لعمر: (**لا**) يكمل إيمانك، (**والذي نفسي بيده،**) أي: بقدرته، أو هو من المتشابه المفوض علمه لله، وهو أسلم وأقسم تأكيدًا، وفيه جواز الحلف على الأمر المبهم للتوكيد، وإن لم يكن هناك محلف (**حتى أكون أحب إليك من نفسك،**) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال ﷺ: الآن يا عمر.

هذا بقية هذه الرواية في البخاري، (**قال بعض الزهاد: تقدير الكلام**) في قوله: لا حتى أكون، (**لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه الهلاك**) بالجهاد أو إماتة النفس، (**وأما وقوف عمر في أول أمره واستثناؤه نفسه، فلأن حب الإنسان نفسه طبع**) لا يسلم منه إلا من ملك نفسه: جاهدها، (**وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب**) المؤدية إلى ذلك، (**وإنما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع،**) أي:

فجواب عمر كان أولاً بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبره بما اقتضاه الاختيار، فلذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب.

وإذا كان هذا شأن نبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين، فما الظن بمحبة الله تعالىٰ ووجوب تقديمها على محبة ما سواه، ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها، وإفراده سبحانه وتعالى بها، فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده، بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه، فيكون إلهه الحق، ومعبوده أحب إليه من ذلك كله. والشيء قد يحب من وجه

لا طريق إلى تحويلها عما تهواه، **(وتغييرها عما جبلت عليه،)** لأنه لا يدخل تحت الاستطاعة، فليس مكلفًا به، ولا مؤاخذًا بعدمه، **(وعلى هذا، فجواب عمر كان أولاً بحسب الطبع،)** الذي جبل عليه الإِنسان من ترجيح نفسه وتقديمها، **(ثم تأمل، فعرف بالاستدلال؛ أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه، لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبره بما اقتضاه الاختيار،)** الناشيء من التفكر، **(فذلك حصل الجواب، بقوله)** ﷺ: **(الآن يا عمر، أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب،)** وحال عمر أنه لا يفعل غير ما وجب عليه، لأنه منهي عنه، إذ الأمر بالشيء الموجب له نهي عن ضده، **(وإذا كان هذا شأن نبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين، فما الظن)** استفهام تعظيم، أي: أي: ظن تظنه، أي: لا تظن إلا أعظم ظن، **(بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه.)**

وإلى هذا أشار ﷺ، بقوله: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأ حبوا أهل بيتي لحبي. أخرجه الترمذي والحاكم، وصححاه عن ابن عباس:

(ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها، و) في (إفراده سبحانه **وتعالى بها، فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده، بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه، فيكون إلهه الحق، ومعبوده أحب إليه من ذلك كله،)** ولا انفكاك لأحد عن الاحتياج إليه، **(والشيء قد يحب من وجه دون وجه،)** كحب العالم لعلمه، وكراهته لبخله مثلاً، **(وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله**

دون وجه، وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى حده، ولا تصلح الألوهية إلا له. والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع.

ومن علامات الحب المذكور لرسول الله ﷺ أن يعرض الإنسان على نفسه أنه لو خير بين فقد غرض من أغراضه وفقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد غرض من أغراضه فقد اصتف بالأحبية المذكورة لرسول الله ﷺ، ومن لا فلا.

تعالى وحده).

قال ابن عطاء: الله ما من وقت ولحظة إلا وهو مورد عليك فيهما نعمًا، يجب حبه وشكره عليها دائمًا، فمتى فات حق وتّت لا يمكن قضاؤه أبدًا، إذ ما من وقت إلا وله عليك فيه حق جديد، وهو الشكر، وأمر أكيد وهو الاستغفار والتجريد ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ الآية، (**ولا تصلح الألوهية**)، أي: العبادة (**إلا له والتأله**)، أي: التعبد (**هو المحبة والطاعة والخضوع**،) والغرض من هذه الجملة بعدما تقدم التنبيه على استحقاقه الكمال المطلق، فلا يشاركه أحد في شيء من صفاته إلا في مجرد الاسم إن اتفق ذلك، ولما كان هذا نتيجة الأسباب المحصلة لمحبة الله تعالى، كما قال بعد أن هذا ثمرة المعرفة، عطفه بالواو في قوله: ولا تصلح، ولم يقل إذا المقتضية للعلة لما قبله، غائية أو غير غائية، لأن ذلك يقتضي سبق معرفة العلة الغائية، أو غيرها على الأسباب المحصلة، (**ومن علامات الحب المذكور لرسول الله ﷺ: أن يعرض**) (بفتح الياء وكسر الراء)، أي: يظهر ويبرز (**الإنسان على نفسه أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ، أن لو كانت ممكنة**،) أي: سهلة في نفسها، بحيث يتمكن منها إذا أرادها، فليس المراد بالإمكان ما قابل الاستحالة، (**فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد غرض من أغراضه، فقد اتصف بالأحبية المذكورة لرسول الله ﷺ، ومن لا**) يكن ذلك أشد، (**فلا**) يتصف بالأحبية المذكورة.

وهذا ذكره الحافظ، وزاد: وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنّته والذب في شريعته، وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإن الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان، إما نفسه وأما غيرها، أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات، هذا هو حقيقة المطلوب، وأما غيره فإذا حقق الأمر فيه، فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة، حالاً ومآلاً، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة رسول الله ﷺ، إما بالمباشرة

قال القرطبي: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من يأخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا بالغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤية بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الحظيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه. وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات، انتهى.

ملخصًا فكل مسلم في قلبه محبة اللّٰه ورسوله، لا يدخل الإسلام إلاّ بها، ولكن الناس متفاوتون في محبته ﷺ بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته

وأما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه.

(قال القرطبي) أبو العباس في المفهم: **(كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون)** فيها بحسب الاستحضار والغفلة، **(فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات، محجوبًا بالغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته،)** والشوق انجذاب النفس في الغيبة، فهو أخص من المحبة، لأنها تكون في الحضور والغيبة، **(بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده، ويبذل نفسه:)** يعطيها بسهولة ويلقيها **(في الأمور الخطيرة)** (بمعجمة فمهملة)، الشاقة الصعبة، **(ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه)** ولا شك، **(وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره** (و) يؤثر **(رؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر)**، فيذهب إلى ذلك بدون مراعاة المذكور **(لما وقر:)** ثبت **(في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات. انتهى)** كلام القرطبي **(ملخصًا، فكل مسلم)** كائن وثابت **(في قلبه محبة اللّٰه ورسوله،)** إذ **(لا يدخل الإسلام إلا بها، ولكن الناس متفاوتون في محبته ﷺ، بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته، من وجوه النفع الشامل لخير الدارين،)** وهو أعظم من جميع وجوه الانتفاعات،

من وجوه النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك. ولا شك أن حظ الصحابة رضي اللّٰه عنهم في هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم.

وقد روى ابن إسحٰق ـ كما حكاه في الشفاء ـ أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول اللّٰه ﷺ فقالت: ما فعل رسول اللّٰه ﷺ؟ قالوا: خيرًا، هو بحمد اللّٰه كما تحبين، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل، تعني: صغيرة.

ورواه البيهقي في دلائله، وذكر صاحب البيان بلفظ: لما قيل يوم أحد قتل

(و) بحسب (الغفلة عن ذلك) الاستحضار، (ولا شك أن حظ الصحابة رضي اللّٰه عنهم في هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم) من غيرهم واللّٰه الموفق.

هذا وقد نقل المصنف بعد نحو كراس كلام سهل الذي نقله الشارح هنا عن الشفاء.

(وقد روى ابن إسحٰق) محمد إمام المغازي في السيرة، **(كما حكاه في الشفاء: أن امرأة من الأنصار)** لم تسم، ولفظ ابن إسحٰق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن إسمٰعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: مر رسول اللّٰه ﷺ بامرأة من بني دينار وقد **(قتل أبوها وأخوها وزوجها)** شهداء **(يوم أحد مع رسول اللّٰه ﷺ، فقالت:)** لما نعوا لها **(ما فعل رسول اللّٰه)** هكذا في أكثر النسخ، وهو الموجود في الشفاء وابن إسحٰق رسول بلا باء، وليس المراد السؤال عن فعله حقيقة، وإنما المراد السؤال عن سلامته وحياته، وعبرت بذلك تأدبًا، لأن الفعل يستلزم الحياة، فأريد لازمة، وفي بعض نسخ المصنف برسول اللّٰه (ﷺ) بالباء، **(قالوا:)** فعل **(خيرًا،)** والمراد أنه بخبر، ولذا قالوا: **(هو بحمد اللّٰه كما تحبين،)** أي: سالم منصور مظفر، **(قالت: أرونيه،)** بالجمع، وهو ما رأيته في ابن إسحٰق، وفي نسخة: أرنيه بالإفراد خطابًا لمن سألته **(حتى أنظر إليه،)** فإن الخبر ليس كالعيان، قال في الرواية: فأشير لها إليه، **(فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك،)** أي: بعد سلامتك ورؤيتك **(جلل)** (بفتح الجيم واللام)، **(تعني صغيرة،)** وفي النهاية وغيرها، أي: هين حقير، والمعنى متقارب، وفي سيرة ابن هشام: الجلل من القليل والكثير، وهو هنا من القليل، كقول امرىء القيس:

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

ومن الكثير قول الحارث بن وعلة، قال:

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

(ورواه البيهقي في دلائله) النبوية من طريق ابن إسحٰق، **(وذكر صاحب البيان بلفظ: لما قيل يوم أحد قتل محمد عليه الصلاة والسلام، وكثرت الصوارخ،)** الصائحون

محمد عليه الصلاة والسلام وكثرت الصوارخ بالمدينة، خرجت امرأة من الأنصار، فاستقبلت بأخيها وأبيها وابنها وزوجها قتلى، لا تدري بأيهم استقبلت، وكلما مرت بواحد منهم صريعًا قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ فيقولون: أمامك، حتى ذهبت إلى رسول اللَّه ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لا أبالي إذ سلمت من عطب. وكذا رواه ابن أبي الدينا بنحوه مختصرًا.

وقال عمرو بن العاصي: ما كان أحد أحب إلي من رسول اللَّه ﷺ.

وقال علي بن أبي طالب: كان رسول اللَّه ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة ـ بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة

(**بالمدينة**) من هول هذا الخبر، (**خرجت امرأة من الأنصار، فاستقبلت**) ضمنه معنى اشتغلت، فعداه بالباء في قوله: (**بأخيها وأبيها وابنها وزوجها،**) فزاد ابنها على الرواية السابقة: (**قتلى لا تدري بأيهم استقبلت، وكلما مرت بواحد منهم صريعًا، قالت: من هذا؟، قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك، قالت: فما فعل النبي ﷺ،**) أي: ما الذي قام به، (**فيقولون: أمامك حتى ذهبت إلى رسول اللّه ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول:**) أفديك (**بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، لا أبالي،**) لا أكترث ولا أهتم (**إذ سلمت**) أنت من القتل (**من عطب**) (بكسر الطاء)، أي: هلك.

(**وكذا رواه ابن أبي الدنيا**) عبد اللّه بن محمد الحافظ، الشهير (**بنحوه مختصر، وقال عمرو بن العاصي:**) بالياء وحذفها (**ما كان أحد أحب إليّ من رسول اللّه ﷺ،**) ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، حتى لو قيل لي صفه ما استطعت أن أصفه.

أخرجه مسلم في حديث طويل، (**وقال علي بن أبي طالب،**) وقد سئل كيف كان حبكم لرسول اللّه ﷺ؟، فقال: (**كان رسول اللّه ﷺ أحب إلينا من أموالنا، وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا**) (بضم الهمزة وكسرها، مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة)، لغة في أم، لكنها تختص ببني آدم قال: أمهتي خندف والبأس أبي، ويقال في البهائم: أمات (و) أحب (**من الماء البارد على الظمأ**) بقصره، أفصح من مده، أي: شدة العطش، خصه لأنه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه، وأعاد الجار، لأنه نوع آخر مما يحب، ولشدة نفعه، (و) روى البيهقي عن عروة، قال: (**لما**

وتشديد النون ـ من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيٰن بن حرب: أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيٰن: ما رأيت أحدًا من الناس يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا.

وروي ـ مما ذكره القاضي عياض ـ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء

أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بن معٰوية بن عبيد بن معٰوية بن عامر بن بياضة الأنصاري، البياضي، شهد بدرًا وأُحدًا ((**بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون)**)) وقد تسكن المثلثة وتخفف النون وهاء تأنيث، اسم والده من قولهم دثن الطائر إذا طار حول وكره، ولم يسقط عليه أو من دثن إذا اتخذ عشا، وكان قد أسر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي، فاشترى صفوان بن أمية زيد أو غيره خبيبًا، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث، فحبسا بمكة حتى خرجت الأشهر الحرم، فخرجوا بهما (**من الحرم**) تعظيمًا له، لأنهم كانوا لا يقتلون فيه، واجتمع هو وخبيب في الطريق فتواصوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره (**ليقتلوه**) بالتنعيم.

(**قال له أبو سفيٰن بن حرب**،) وهو يومئذٍ مشرك: ((**أنشدك**) بفتح الهمزة، وضم الشين): أسألك (**بالله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك، فقال زيد**:) مؤكد بالقسم، (**والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه**) مقيم (**تصيبه شوكة**،) أي: أقل شيء من الأذى فضلاً عما قلتم، (**وإني جالس في أهلي**) سالم من الأذى، (**فقال أبو سفيٰن: ما رأيت أحدًا من الناس**،) ما نافية لا تعجبية، وإن كان مراده التعجب من شدة حبهم له (**يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا**،) مفعول المصدر، وهو حب، ثم قتله نسطاس مولى صفوان، وأسلما بعد رضي الله عنهما.

وفي رواية: أنهم ناشدوا بذلك خبيبًا، فقال: والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه، ولا خلف، فقد يكونون قالوه لخبيب، وقاله أبو سفيٰن لزيد، ومر بسط القصة في المغزي.

(**وروى**) عند الطبراني في الصغير عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس (**مما ذكره القاضي عياض أن رجلاً**) ثوبان أو عبد الله بن زيد على ما يأتي (**أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لأنت**) (اللام في جواب قسم مقدر) (**أحب إليّ من أهلي ومالي، وإني لأذكرك**،) أي: أتذكرك في ذهني وأتصورك، أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر (بالكسر أو الضم) (**فما أصبر**،) أي: لا أستطيع الصبر عنك، أي: عن رؤيتك لشدة حبي لك، (**حتى أجيء فأنظر**

فأنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، إن دخلتها لا أراك، فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿**ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا**﴾ [النساء/٦٩] فدعا به فقرأها عليه.

قال: وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطوف، فقال: ما بالك؟ قال: بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك اللّه بتفضيله، فأنزل اللّه الآية.

إليك) فيطمئن قلبي، وتقر عيني برؤيتك، **(وإني ذكرت موتي وموتك،)** أي: مكاني ومكانك بعد الموت، **(فعرفت:)** تحققت **(إنك إذا دخلت الجنة)** بعد الموت **(رفعت)** إلى الدرجات العلا **(مع النبيين)** صلوات اللّه عليهم أجمعين، **(وإن دخلتها)** أنا (بضم التاء) **(لا أراك)** بعد الدخول، لأنك في مقام لا يصل إليه غيرك، وعبر في جانبه ﷺ بإذا لتحقق دخوله الجنة، و بإن فيها وفي جانبه هو؛ بأن لعدم جزمه في نفسه بذلك، **(فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿ومن يطع اللّه والرسول﴾)** بامتثال أمره ونهيه، ويلزمه محبته له أيضًا، ولم تذكر لتحققها لذكر الرجل لها والعلم بخلوصه فيها، **(﴿فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم﴾)** بنعيم الجنة وعالي مراتبها، ففيه تبشير له بمرافقة أكرم خلق اللّه وأقربهم، وأرفعهم منزلة **(﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾،)** بيان للمنعم عليهم بما أخفي لهم من قرة أعين **(﴿وحسن أولئك﴾)** تعجب، أي: ما أحسنهم **(﴿رفيقًا﴾)** [النساء/٦٩]، تمييز، ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره، أو لإرادة كل واحد منهم، **(فدعا به:)** طلب حضوره، **(فقرأها عليه)** جوابًا له وتبشيرًا، والمراد بالمعية والمرافقة كونه في الجنة يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم متى شاء، لا التسوية في المنزلة.

(قال) عياض: **(وفي حديث آخر كان رجل عند النبي ﷺ،)** أي: ملازمًا لمجلسه **(ينظر إليه،)** أي: يديم النظر إلى وجهه الوجيه، **(لا يطرف)** (بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء)، أي: لا يصرف طرفه عن النظر إليه، أو لا يطبق أحد جفنيه على الآخر، ويغض بصره، وظاهر قول بعضهم، أي: لا يغض بصره مطرقًا راميًا ببصره إلى الأرض، أنه من أطرق (بضم أوله وقاف)، وهو صحيح أيضًا.

قال بعضهم: لكني لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح في تفسيره، **(فقال)** له ﷺ: **(ما بالك؟،)** أي: ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت، **(قال:)** أفديك **(بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر،)** لفظ الشفاء: بالنظر **(إليك،)** أي: أتلذذ بإدامة نظري في وجهك ما دام ممكنًا في الدنيا لأنتفع به وأتزوده منه، **(فإذا كان)** وجد **(يوم القيامة رفعك اللّه)** إلى

وذكره البغوي في تفسيره بلفظ: نزلت ـ أي الآية ـ في ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله، ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، فأخاف أن لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية، وكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول»، وعزاه الكلبي عن ثوبان.

وقال قتادة: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك؟ فأنزل الله الآية.

الدرجات العالية في الجنة، (**بتفضيله**) لك على جميع خلقه، والباء للسببية، (**فأنزل الله الآية**) المذكورة، (**وذكره البغوي**) محيي السنّة الحسين بن مسعود، أحد الحفاظ (**في تفسيره**) بلا عزو، (**بلفظ: نزلت، أي: الآية في ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ**،) اشتراه وأعتقه، فلازمه حضرًا وسفرًا، وخدمه حتى مات، فتحول إلى الرملة، ثم حمص، فمات بها سنة أربع وخمسين، (**وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه**،) وعند الثعلبي: تغير وجهه، ونحل جسمه، (**يعرف الحزن في وجهه**)، (**فقال له رسول الله ﷺ: ما غير لونك؟**، **فقال: يا رسول الله ما بي مرض**) مطلق علة، (**ولا وجع**،) أي: مرض مؤلم، ويقع أيضًا على كل مرض، ولا يراد هنا للمغايرة، (**غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة**،) أي: حصل لي انقطاع بعد قلب عن الود وعدم استئناس، (**حتى ألقاك**،) فتزول وحشتي، (**ثم ذكرت الآخرة**،) أي: فكرت في أمرها (**فأخاف أن لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين**) في أعلى الدرجات، (**وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك**،) فتقل رؤيتي لك، بدليل قوله: (**وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية**) المذكورة.

(**وكذا ذكره الواحدي في**) كتاب (**أسباب النزول، وعزاه الكلبي**) محمد بن السائب، (**عن ثوبان**) الصحابي، المذكور، وذكره شيخه الثعلبي في تفسيره بلا إسناد، ولا راوٍ، (**وقال قتادة**،) كما أسنده ابن جرير.

(**قال بعض أصحاب النبي ﷺ، كيف يكون الحال في الجنة، وأنت في الدرجات العلا، ونحن أسفل منك فكيف نراك، فأنزل الله الآية**) المذكورة، (**وذكره ابن ظفر**) محمد

وذكره ابن ظفر في «ينبوع الحياة» بلفظ: إن عامر الشعبي قال: إن رجلاً من الأنصار أتى إلى النبي ﷺ فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من نفسي ومالي وولدي وأهلي، ولولا أني آتيك فأراك لرأيت أن أموت أو قال أن سوف أموت، وبكى الأنصاري، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبكاك؟ قال: بكيت أن ذكرت أنك تموت ونموت، وترفع مع النبيين، ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك، فلم يحر النبي ﷺ إليه، بمعنى أي: لم يرجع إليه يقول ، فأنزل الله الآية.

قال: وذكر مقاتل بن سليمن مثل هذا، وقال: هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي رأى الأذان. وذكر أيضًا: أن عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره أن النبي ﷺ توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدًا، فكف بصره.

(في ينبوع الحياة) اسم تفسيره، وأسنده البيهقي **(بلفظ: أن عامر)** بالنصب، وإن رسم بصورة الرفع بلا ألف على لغة ربيعة، أو حذفت الألف للتخفيف، كقوله: ولا أذكر الله إلا قليلاً، ولا يختص ذلك بالضرورة خلافًا، فالزاعمة، وفي نسخة: بالألف، ولعلها اصطلاح، وإلا فالنسخ القديمة بدونها، وكذا في نسخة الشيخ الجارحي، تلميذ المصنف، وعليها خط المؤلف **(الشعبي،)** التابعي، فهو مرسل، **(قال: إن رجلاً من الأنصار)** فهو غير ثوبان، لأنه ليس من الأنصار، ويأتي أنه ابن زيد، **(أتى إلى النبي ﷺ فقال له: والله لأنت يا رسول الله أحب إليّ من نفسي ومالي وولدي وأهلي، ولولا أني آتيك فأراك لرأيت أن أموت، أو قال: أن سوف أموت)**، شك من الراوي، **(وبكى الأنصاري، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبكاك؟، قال: بكيت)** لأجل **(أن ذكرت أنك تموت)** (بالتاء) أنت، **(ونموت)** (بالنون أوله نحن)، **(وترفع)** أنت **(مع النبيين، ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك،)** فتتعذر، أو تقل رؤيتنا لك، **(فلم يحر)** (بفتح التحتية وضم الحاء المهملة وبالراء) من حار إذا رجع (وبضم الياء وكسر الحاء) من أحار.

الجواب رده **(النبي ﷺ إليه، بمعنى)** ومقتضى قوله: **(أي: لم يرجع إليه؛)** أنه بالضبط الأول، إذ هو تفسير ليحر، **(يقول:)** تفسير لقوله، بمعنى: **(فأنزل الله الآية، قال)** ابن ظفر: **(وذكر مقاتل بن سليمن مثل هذا، وقال: هو،)** أي: الرجل الأنصاري، **(عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري،)** الخزرجي، **(الذي رأى الأذان،)** مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: استشهد بأُحد، **(وذكر)** ابن ظفر **(أيضًا؛ أن عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة)** بستان **(له فأتاه ابنه، فأخبره أن النبي ﷺ توفي، فقال: اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد**

واعلم أنه لا يجتمع في القلب حبان، فإن المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، فليختر المرء لنفسه إحدى المحبتين فإنهما لا يجتمعان في القلب، والإنسان عند محبوبه كائنًا ما كان كما قيل:

أنت القتيل بأي من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

ولبعض الحكماء: كما أن الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع لمحبتين، ولذلك لازم إقبالك على من تهواه إعراضك عن كل شيء سواه، فمن

أحدًا، فكف بصره:) عمي.

وفي الحديث: إن منكم معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره، وفي تفسير القرطبي؛ أنه ﷺ لما قرأ الآية على الرجل، دعا الله أن يعميه حتى لا يرى أحدًا غيره في الدنيا، فعمي مكانه، وتقدم مزيد لهذا في النوع السابع من المقصد السادس، ويأتي إن شاء الله تعالى مزيد في المقصد العاشر.

(**واعلم أنه لا يجتمع في القلب حبان، فإن المحبة الصادقة،**) أي: الخالصة التي لا يشوبها رياء ولا مداهنة، ويعرف بالقرائن والأحوال، وصفها بذلك تنزيلاً لدلالتها على صدق صاحبها منزلته، ووصف غير العاقل بالصدق، وهو الإخبار بما يطابق الواقع، كثير في كلامهم، ومنه صدق القتال إذا قوي واشتد، (**تقتضي توحيد المحبوب،**) أي: جعله واحدًا، بحيث لا تتعلق محبته بغيره، فإذا تعلق قلب إنسان بمحبة شخصين، لم تكن محبته لواحد منهما صادقة، فإن أراد صدقها، (**فليختر المرء لنفسه إحدى المحبتين**) المتعلقتين بالشخصين، بالاقتصار على محبة واحد منهما، (**فإنهما لا يجتمعان في القلب والإنسان عند محبوبه**)، منقاد إليه، مسلم له جميع أموره، فيصير معه كعبد عامل بمقتضى العبودية من انقياده إلى سيده ظاهرًا وباطنًا، وحرصه على طاعته وفعل مراده، وإن لم يأمره (**كائنًا ما كان، كما قيل،**) قائله ابن الفارض: (**أنت القتيل، بأي من أحببته،**) لاستيلاء الحب عليك، فنقني في حبه بالانقياد له، فتصير كالميت الذي لا قدرة له على فعل شيء، فكأن المحبوب أزال شعور المحب لاستفراغه في هواه، (**فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي،**) أي: من تعده صافيًا في الدين، بحيث يحملك على ملازمة الطاعة سرًا وإعلانًا، وليس المراد من نختار، لأنه يصير في غاية الركة، كأنه قال: اختر من تختار، (**ولبعض الحكماء: كما أن الغمد**) (بكسر الغين المعجمة) (**لا يتسع لعضبين:**) (بفتح المهملة وإسكان المعجمة)، تثنية عضب، وهو السيف القاطع تسمية بالمصدر، فهو أخص من مطلق السيف، (**فكذلك القلب لا يتسع لمحبتين، ولذلك لازم إقبالك على من تهواه إعراضك عن كل شيء سواه، فمن داهن في المحبة،**) أي: أظهر خلاف ما يبطن (**أو**

داهن في المحبة أو داجى، فقد عرض لمدى الغيرة أوداجًا، فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام - بل تقديمه في الحب على الأنفس والآباء والأبناء - لا يتم الإيمان إلا بها، إذ محبته من محبة الله تعالى.

وقد حكي عن أبي سعيد الخراز - مما ذكره القشيري في رسالته - أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك، فقال لي: يا مبارك من أحب الله فقد أحبني.

داجى) بأن دارى، والمراد بها الأخذ للشيء والتوصل إليه بحيلة، **(فقد عرض لمدى)** (بضم الميم) جمع مدية السكين **(الغيرة أوداجًا:)** جمع ودج، أي: العروق المكتنفة ثغرة البحر يمينًا، وشمالاً، والمعنى: من لم يخلص المحبة عرض نفسه لأسباب الهلاك، الناشئة من غيرته على حبه لعدم وصوله لمراده منه، فيصاب بأسباب قاتلة كالمدى في شدة تأثيرها في البدن، **(فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، بل تقديمه في الحب على الأنفس والآباء والأبناء لا يتم الإيمان إلا بها)** أي: لا يوجد ولا يكمل، فاستعمله بمعنى الوجود فيما قبل الإضراب، وبمعنى الكمال فيما بعده، **(إذ محبته من محبة الله تعالى)** الواجبة لذاته، كما مر.

(وقد حكي عن أبي سعيد) إبرهيم، وقيل: أحمد بن عيسى البغدادي، **(الخراز:)** بالخاء المعجمة وشد الراء فألف فزاي منقوطة، نسبة إلى خرز جلود القرب، ونحوها من أئمة القوم وجلة المشايخ، قيل: وهو أول من تكلم في علمي الفناء والبقاء، وقيل: فيه قمر الصوفية صحب السري، وذا النون المصري، وبشر الحافي وغيرهم.

قال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد، لهلكنا أقام كذا وكذا، سنة ما فاته ذكر الله بين الخرزتين.

مات سنة سبع وسبعين، وقيل: سنة ست وثمانين ومائتي، ومرت ترجمته أيضًا. **(مما ذكره القشيري)** أبو القسم عبد الكريم بن هوازن، الإمام العلامة، المفسر، المحدث، الولي، الذي ما رأى الراؤن مثله، مر بعض ترجمته **(في رسالته أنه)** أي: أبا سعيد **(قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله أعذرني)** (بكسر الهمزة، وسكون العين، وكسر الذال المعجمة، وهمزته وهمزة وصل من عذر، كضرب، وبفتح الهمزة، وكسر الذال، وهمزته همزة قطع من أعذروهما، لغتان سوى بينهما المجد، ولم نرَ ضم الهمزة والذال، والمعنى:أقبل عذري، فلا تؤاخذني بتقصيري، وارفع اللوم عني، **(فإن محبة الله شغلتني عن محبتك، فقال لي: يا مبارك:)** اسم مفعول من البركة، وهي الزيادة والتنمية، هذا أصله لغة، ثم استعمل عرفًا في قليل الفطنة، فيحتمل أنه المراد هنا دفعًا لتوهمه؛ أن محبة الله تنافي محبته، ويعد المشتغل بها مقصرًا

وقيل إن ذلك وقع لامرأة من الأنصار معه ﷺ يقظة، ولابن أبي المجد سيدي إبراهيم الدسوقي.

ألا يا محب المصطفى زد صبابة وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب في الله ولله، كما في الصحيحين، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب

في حبه عليه الصلاة والسلام، مع أنها عينها، كما قال: (**من أحب الله فقد أحبني**) لأني الداعي إلى الله، الموصل إليه.

(**وقيل: إن ذلك وقع لامرأة من الأنصار معه ﷺ يقظة**) فإن ثبت فلا منافاة، كما لا يخفى، (**ولابن أبي المجد**) العارف بالله تعالى، (**سيدي إبراهيم الدسوقي**) الشريف، الحسينيد وقد ذكر نسبه في اللواقح، فقال إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على الزاهد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، تفقه على مذهب الشافعي، ثم اقتفى آثار الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة، وحمل الراية البيضاء، وعاش ثلاثًا وأربعين سنة، ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان، حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة، (**ألا يا محب المصطفى زد صبابة**) (بفتح الصاد) شوقًا، أو رقته وحرارته، أو رقة هوى (**وضمخ**) (بمعجمتين بينهما ميم) الطخ (**لسان الذكر**) لله تعالى الذي تستعمله (**منك بطيبه**) بإثناء عليه وتعظيمه ﷺ، (**ولا تعبأن**) أي: لا تهتم ولا تبال (**بالمبطلين**) الزاعمين أن ذلك يشغل عن الله تعالى، (**فإنما علامة حب الله حب حبيبه**) وزعمهم باطل، كيف، وقد قال: أحبوني لحب الله، (**وكذلك كل حب في الله، ولله كما في الصحيحين**).

البخاري في الإيمان والأدب، ومسلم في الإيمان، عن أبي قلابة، (**عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ثلاث**) مبتدأ، خبره جملة (**من كن**) أي: حصلن (**فيه**) فهي تامة (**وجد**) أي: أصاب، ولذا اكتفى بمفعول واحد، أعني (**حلاوة الإيمان**) وجاز الابتداء بالنكرة، لأن التنوين عوض عن المضاف إليه، أي: ثلاث خصال، أو لأنه صفة موصوف محذوف، وهو مبتدأ حقيقة، أي: خصال ثلاث، أو لأن الجملة الشرطية صفته، والخبر (**أن يكون الله ورسوله أحب**)

إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا اللَّه وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»، فعلق ذوق الإيمان بالرضا باللَّه ربًا، وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به، وهو كونه سبحانه أحب الأشياء إلى

بالنصب خبر يكون (**إليه مما سواهما**،) ولم يثن أحب ليطابق خبر كان اسمها، لأن أفعل التفضيل إذا وصل بمن، فهو مفرد مذكر دائمًا، ولا تجوز المطابقة لمن هوله، (**وأن يحب المرء**) حال كونه، (**لا يحبه إلا اللّه تعالى**،) وللنسائي من رواية طلق بن حبيب عن أنس، وأن يحب في اللّه ويبغض في اللّه.

قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في اللّه أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء، نقله الحافظ، (**وأن يكره أن يعود**،) أي: العود (**في الكفر، كما يكره أن يقذف**) (بضم أوله وفتح ثالثه، أي: مثل كراهة القذف (**في النار**).

زاد البخاري من وجه آخر بعد أن أنقذه اللّه منه، قال الحافظ: والإنقاذ أعم من أن يكون بالعصمة منه ابتداء، بأن يولد على الإسلام ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وعلى الأول، فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة، بخلاف الثاني، فالعود فيه على ظاهره.

وفي رواية قتادة، عن أنس، عند مسلم والبخاري في الأدب: وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه، وهي أبلغ من هذه الرواية، لأنه سوى فيها بين الأمرين، وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذي أنقذه اللّه بالخروج منه من نار الأخرى، فإن قيل لم عدي العود بقي ولم يعده بالي، فالجواب أنه ضمنه معنى الاستقرار، كأنه قال: يستقر فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وما كان لنا أن نعود فيها﴾ [الأعراف/٨٩]. انتهى.

وزعم العيني أنه تعسف، وإنما «في» هنا بمعنى «إلى»، كقوله تعالى: ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف/٨٨]، أي: لتصيرن إلى ملتنا، ومنعه شيخنا في قراءة البخاري بأنه لا تعسف، فكل من الطريقين مسلوك، وذلك لأن الفعل إذا عدي بحرف لا يتعدى به، جاز تأويل الفعل بما يتعدى به، كتأويل يؤمنون بالغيب بيعترفون، وتأويل الحرف مع بقاء الفعل على حقيقته، كالمثال الذي ذكره، بل قال بعضهم: التأويل في الفعل أولى، (**فعلق ذوق الإيمان بالرضا باللّه ربا**،) بقوله ﷺ: ذاق طعم الإيمان من رضي باللّه ربا، الحديث الآتي قريبًا. وطعم الإيمان، بمعنى حلاوة الإيمان، لأن الثلاثة لا توجد إلا ممن صح إيمانه وانشرح صدره، قاله عياض، (**وعلق**) في هذا الحديث (**وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه، ولا يتم إلا به، وهو كونه سبحانه أحب الأشياء**

العبد هو ورسوله، فمن رضي اللّٰه ربًا رضيه اللّٰه له عبدًا.

ومعنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين، ويؤثر ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد للّٰه تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول، قاله النووي.

وقال غيره: معناه أن من استكمل الإيمان علم أن حق اللّٰه ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس، لأن الهدى من الضلالة، والخلاص من النار، إنما كان بالله على لسان رسوله.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: حلاوة الإيمان استعارة تخييلية، فإنه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قضية المريض والصحيح، لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا،

إلى العبد هو) تعالى **(ورسوله)** عليه السلام، **(فمن رضي باللّٰه ربا رضيه اللّٰه له عبدًا،)** بمعنى أثابه جزيل الثواب، **(ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين،)** فاستعمال الحلاوة فيه مجاز مرسل من ذكر الملزوم وإرادة اللازم، **(ويؤثر)** لفظ الفتح، وإيثار **(ذلك على أعراض الدنيا ومحبة العبد للّٰه تحصل،)** أي: تتحقق وتوجد **(بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول، قاله النووي:)** بمعنى أن فعل الطاعة علامة على محبة العبد، فليس عين المحبة، بل هو مسبب عنها، كما أشار إليه البيضاوي، في إن كنتم تحبون اللّٰه.

(وقال غيره: معناه أن من استكمل الإيمان علم أن حق اللّٰه ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس، لأن الهدى من الضلالة والخلاص من النار إنما كان باللّٰه على لسان رسوله،) فكأنه حمله على معنى الحديث، قبله: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.

(وفي قوله عليه الصلاة والسلام: حلاوة الإيمان،) كما قال الحافظ **(استعارة تخييلية، فإنه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه،)** ولا يتعين هذا، فيجوز أنه شبه اللذة الحاصلة من التلبس بالإيمان بحلاوة الحلو، واستعار له اسمه، فتكون استعارة، تصريحية، ويجوز أنه مجاز مرسل أطلق الحلاوة وأراد لازمها عند تناولها، وهو اللذة، **(وفيه تلميح إلى قضية المريض والصحيح، لأن المريض الصفراوي،)** الذي غلب خلط الصفراء على مزاجه، **(يجد طعم العسل مرا)** لفساد مزاجه.

والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما، نقص ذوقه بقدر ذلك.

وقال العارف ابن أبي جمرة: واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية، فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء ومن شابههم، وحملها

(والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما) قليلاً (نقص ذوقه بقدر ذلك).

زاد الحافظ: فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوى به استدلال البخاري على الزيادة والنقص، أي: للإيمان، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إنما عبر بالحلاوة، لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾، فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وزهرتها ما يهم به المؤمن من الخير، وثمرتها عمل الطاعات، وحلاوة الثمرة جنى الشجرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها. انتهى.

وقال البيضاوي: المراد بالحب العقلي، الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره، بحيث يصير هواه تبعًا له، ويتلذذ به التذاذًا عقليًا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة، لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، وإنما جعل هذه الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه وإن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينًا، يخيل إليه الموعود، كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود في الكفر إلقاء في النار. انتهى ملخصًا.

وشاهد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبنائكم﴾، إلى أن قال: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ [التوبة/٢٤]، ثم هدد على ذلك، وتواعد بقوله: ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾، فإن فيه إشارة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فالأول من الأول، والثاني من الثاني. انتهى كله من فتح الباري.

(وقال العارف ابن أبي جمرة:) بجيم وراء، (واختلف في الحلاوة المذكورة) في قوله حلاوة الإيمان (هل هي محسوسة أو معنوية، فحملها قوم على المعنى) بمعنى: أن من وجدت

قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غيره أن يتأولوه وهم أهل الصفة، أو قال أهل الصوفة. قال: والصواب معهم في ذلك والله أعلم، لأن ما ذهبوا إليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل.

قال: ويشهد إلى ما ذهبوا إليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل

فيه جزم بالإيمان وانقاد إلى أحكامه، **(وهم الفقهاء ومن شابههم)** من أهل المعقولات، **(وحملها قوم على المحسوس، وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه، وهم أهل الصفة)** (بضم الصاد وشد الفاء) السادة الصوفية، سموا بذلك لجريهم على نحو ما كان عليه أهل الصفة، وهي ظلة في مؤخر المسجد النبوي، يأوي إليها المساكين من الانقطاع إلى الله وعبادته، والإعراض عن الدنيا، **(أو قال أهل الصوفة)** للبسهم الصوف تقشفًا وإعراضًا عما تنعم به الأغنياء.

(قال) ابن أبي جمرة: **(والصواب معهم في ذلك والله أعلم، لأن ما ذهبوا إليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل،)** والأصل أنه لا يعدل عن الحقيقة، ما وجد إليها سبيل، والمتبادر من هذا أنها أمر يدرك حلاوته بالفم، كما يدرك حلاوة السكر والعسل ونحوهما، وهذا شيء لا يدركه إلا من وصل إلى ذلك المقام، فلا يليق ادعاء أنه غير مراد، بل المراد ما يأتي أنه أمر يجده القلب، تكون نسبته إليه، كذوق حلاوة الطعام إلى الفم، وذوق حلاوة الجماع إلى اللذة، لأن الآتي كلام ابن القيم حملاً له على المعنى، إذ هو لم يذكر القول بأنها محسوسة فلا يرد إليه، وكذا ما نقلناه آنفًا من نفس كلام ابن أبي جمرة، المصرح بأن التعبير بإطلاق الحلاوة إنما هو على وجه التشبيه، أي: يجد في قلبه حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة بالفم، إنما هو تقرير للقول بأنها معنوية، وما لنا وللتكلم فيما لا نعرفه ولا يمكننا تخيله:

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

(قال: ويشهد إلى ما ذهبوا إليه أحوال الصحابة والسلف الصالح) كالتابعين **(وأهل المعاملات،)** وهي منازل عشرة ينزلها السائرون إلى الحق عز اسمه، وهي الرعاية والمراقبة، والحرمة والإخلاص، والتهذيب والاستقامة، والتوكل والتفويض، والثقة والتسليم، سميت بالمعاملات، لأن العبد لا يصلح له معاملة الحق إلا بأن يتحقق بهذه المقامات، فالمعاملة عندهم عبارة عن توجه النفس الإنساني إلى باطنها، الذي هو الروح الروحاني والسر الرباني، واستمدادها منهما ما يزيل الحجب عنها، ليحصل لها قبول المدد في المقابلة إزالة كل حجاب، وهذا إنما يصح لعبد يملك ناصية الزهد، ثم الورع، ثم الحزن، فمن ملك ناصية هذه الثلاثة استحق أن يصير من أهل المعاملات، وأهم ما عليه أن يتحقق بأعم مقاماتها وأهمه، وهو الإخلاص، إذ لا تصح المعاملة بدونه، ثم المراقبة، ثم التفويض، قاله في الأعلام بإشارات أهل الإلهام، **(فإنهم**

المعاملات، فإنهم حكوا عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة.

فمن ذلك: حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضاء إكراهًا على الكفر، وهو يقول أحد أحد، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان. وكذلك أيضًا عند موته، أهله يقولون: واحرباه، وهو يقول: واطرباه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الإيمان.

ومنها حديث الصحابي الذي سُرق فرسه بليل وهو في الصلاة، فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته، فقيل له في ذلك فقال: ما كنت فيه ألذ من

حكوا عنهم؛ أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة، فمن ذلك حديث بلال) بن رباح، أحد السابقين الأولين **(حين صنع به ما صنع في الرمضاء:)** (بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة والمد) أرض اشتد وقع الشمس فيها، سواء كان فيها رمل أو حصى أو غيرهما.

روي أنهم كانوا يلصقون ظهره برمضاء البطحاء في الحر، ولأحمد عن أبي ذران بلالاً، هانت عليه نفسه في اللّه، وهان على قومه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة **(إكراهًا على الكفر، وهو يقول أحد أحد،)** مرفوع منون، كذا أحفظه، وكذا في أصلنا من ابن ماجه خبر مبتدأ محذوف، أي: اللّه أحد، كأنه يشير إلى أنه لا يشرك باللّه شيئًا، ويحتمل أنه غير منون، أي: يا أحد، قاله في النور، **(فمزج:)** خلط **(مرارة العذاب:)** مشقته وألمه **(بحلاوة الإيمان، وكذلك أيضًا)** وقع له ذلك **(عنه موته أهله، يقولون:)** أي: زوجته، كما في الشفاء والمصنف في المقصد الأول، ولفظه: وهذا كما وقع له عند موته، كانت امرأته تقول: **(واحرباه،)** روي بفتح الحاء والراء المهملتين، والموحدة من الحرب بفتحتين، وهو كما في النهاية نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له، فكأنها لتفجعها نهبت وسلبت.

وروي بفتح الحاء والزاي، وبضم الحاء وسكون الزاي، وروى واحوباه، بحاء مفتوحة وواو ساكنة فموحدة من الحوب الإثم، والمراد ألمها بشدة جزعها وقلقها في المصيبة، فهي تتفجع على نفسها، أو من الحوبة بمعنى رقة القلب، وهو تكلف، **(وهو يقول: واطرباه،)** أي: فرحاه، والواو للندبة، والألف والهاء مزيدة في آخره، كأنه يستغيث بطربه، ويدعوه في سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الأحباب، كما أشار إليه بقوله: **(غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه:)** أصحابه، والمراد بغدا الزمان المستقبل بعد الموت، **(فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء، وهي حلاوة الإيمان)** أي: من جملة حلاوته **(ومنها حديث الصحابة الذي سرق فرسه بليل، وهو في الصلاة، فرأى السارق حين أخذه، فلم يقطع لذلك صلاته، فقيل له في ذلك،)** أي: ليم على

ذلك، ولا ذاك إلا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك.

ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما ﷺ في بعض مغازيه من قبل العدو، وقد أقبل فرآهما، فكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابي فأصابه، فبقي على صلاته ولم يقطعها، ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته، ثم رماه ثالثة فأصابه، فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال: لولا أني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي. وما ذاك إلاَّ لشدة ما وجد فيها من الحلاوةحتى أذهبت عنه ما يجد من ألم السلاح.

قال: ومثل ذلك حكي عن كثير من أهل المعاملات. انتهى.

وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب «من لم ير الوضوء إلا من المخرجين» بلفظ: ويذكر عن جابر أن النبي ﷺ كان في غزوة «ذات الرقاع» فرمي رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته. وقد

عدم اتباع السارق وتخليصها منه، **(فقال: ما كنت فيه ألذ من ذلك ولا ذاك إلا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك،)** إذ لو كانت معقولة معنوية ما قدمها على ضياع فرسه **(ومنها حديث الصحابيين، اللذين جعلهما النبي ﷺ في بعض مغازيه من قبل العدو)** أي: من جهته، **(وقد أقبل)** العدو، **(فرآهما، فكبل)** (باللام بزنة ضرب والتشديد مبالغة) **(الجاسوس القوس،)** أي: أوتره، عبر عنه بالتكبيل مجازًا، تشبيهًا لابتار القوس بوضع القيد في رجل الأسير، لميالغته في إبتاره، ليتمكن من قوة الرمي، وفي نسخة: فكبد بالدال، أي: جعل النشاب في وسط القوس، **(ورمى الصحابي فأصابه، فبقي على صلاته ولم يقطعها، ثم رماه ثانية فأصابه، فلم يقطع لذلك صلاته، ثم رماه ثالثة فأصابه، فعند ذلك أيقظ صاحبه)**.

(وقال: لولا إني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي،) أي: ما اختصرتها، لأنه لم يقطعها بالفعل، **(وما ذاك،)** أي: عدم قطعها واعتذاره **(إلا لشدة ما وجده فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجد من ألم السلاح)**.

(قال: ومثل ذلك حكي عن كثير من أهل المعاملات انتهى) كلام ابن أبي جمرة.

(وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب: من لم يرَ الوضوء إلا من المخرجين) من كتاب الوضوء، **(بلفظ: ويذكر عن جابر)** بن عبد اللّه الصحابي ابن الصحابي؛ **(أن النبي ﷺ كان في غزوة ذات الرقاع، فرمي)** (بضم الراء مبنيًا للمفعول) **(رجل)** هو عباد بن بشر **(بسهم، فنزفه الدم)** (بفتح الزاي والفاء)، أي: خرج منه دم كثير حتى يضعف.

وصله ابن إسحٰق في المغازي قال: حدثني صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن أبيه مطولاً، وأخرجه أحمد وأبو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، كلهم من طريق ابن إسحٰق. قال في فتح الباري، وشيخه «صدقة» ثقة،

قاله الجوهري، وفي أفعال ابن طريف يقال: نزفه الدم وأنزفه.

إذا سال منه كثيرًا حتى يضعفه، فهو نزيف ومنزوف، **(فركع وسجد، ومضى في صلاته)** فلم يقطعها.

قال الحافظ: أراد البخاري بهذا الحديث الرد على الحنفية في أن الدم السائل ينقض الوضوء، فإن قيل: كيف مضى في صلاته مع وجود الدم في بدنه أو ثوبه، واجتناب النجاسة فيها واجب، أجاب الخطابي: باحتمال، أن الدم جرى من الجرح على سبيل الدفق، بحيث لم يصب شيئًا من ظاهر بدنه وثيابه وفيه بعد، ويحتمل أن الدم أصاب الثوب، فقط فنزعه عنه، ولم يسل على جسمه إلا قدر يسير معفو عنه، ثم الحجة قائمة به على أن خروج الدم لا ينقض، ولو لم يظهر الجواب عن كون الدم أصابه.

(وقد وصله ابن إسحٰق في المغازي) في غزوة ذات الرقاع، **(قال: حدثني صدقة بن يسار)** الجزري، نزيل مكة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، **(عن عقيل بن جابر)** بن عبد الله الأنصاري، المدني، مقبول، **(عن أبيه)** جابر الصحابي **(مطولاً،)** قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصبنا امرأة رجل من المشركين، فلما قفل ﷺ، أتى زوجها وكان غائبًا، فحلف لا ينتهي حتى يصيب في أصحاب محمد دمًا، فخرج يتبع أثره ﷺ فنزل منزلاً، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا، فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا في فم الشعب، وكان ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، فقال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيك، أوله أم آخره، قال: بل إكفني أوله، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل، عرف أنه ربيئة القوم، فرمى بسهم فوضعه فيه، فنزعه ووضعه، وثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائمًا ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه، فقال: إجلس فقد أثبت، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذرا به، فهرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال سبحان الله: ألا أهببتني أول ما رماك؟، قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمي ركعت، فآذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها.

(وأخرجه أحمد وأبو داود والدارقطني، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، كلهم من طريق ابن إسحٰق) محمد إمام المغازي، **(قال في فتح الباري: وشيخه صدقة ثقة).**

وعقيل ـ بفتح العين ـ لكنني لا أعرف راويًا عنه غير صدقة، ولهذا لم يجزم به البخاري، أو لكونه اختصره، أو للإختلاف في ابن إسحٰق وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر، وسمي أحدهما: عباد بن بشر الأنصاري، والآخر وعمار بن ياسر من المهاجرين، والسورة الكهف.

وإنما قال أحب إليه مما سواهما ولم يقل «ممن» ليعم من يعقل ومن لا يعقل:

وفي قوله: أن يكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية، وأما قوله للذي خطب فقال: «ومن يعصهما» بئس الخطيب أنت

روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (**وعقيل(بفتح العين)** وكسر القاف)، وإن كان مقبول الرواية، (**لكنني لا أعرف راويًا عنه غير صدقة،**) فيكون مجهول العين، وهو مردود عند الأكثر، (**ولهذا لم يجزم به البخاري**) بل أتى بصيغة التمريض، بقوله: يذكر على عادته فيما لم يصح عنده، (**أو لكونه اختصره،**) وهو مسوغ للتمريض، (**أو للاختلاف في ابن إسحٰق،**) فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه.

(**وأخرجه البيهقي في الدلائل**) النبوية (**من وجه آخر، وسمي أحدهما،**) أي: الرجلين المبهمين في رواية ابن إسحٰق، (**عباد بن بشر الأنصاري،**) وهو الذي رمي بالسهام، (**و**) سمي الرجل (**الآخر عمار بن ياسر من المهاجرين و**) سمي (**السورة**) التي كان يقرؤها عباد في صلاته (**الكهف،**) فحصل بهذه الطريق تقوية، رواية ابن إسحٰق، مع بيان المبهم في روايته من الرجلين والسورة، (**وإنما قال: أحب إليه مما سواهما، ولم يقل ممن، ليعم من يعقل ومن لا يعقل،**) لأن ما موضوعة لهما بخلاف من، فموضوعة للعاقل.

قال تعالىٰ: ﴿للّٰه ما في السمٰوات وما في الأرض﴾، وقال تعالى ﴿وللّٰه يسجد من في السمٰوات ومن في الأرض﴾، قال البيضاوي: لما استعمل ما للعقلاء، كما استعمل من لغيرهم كان استعماله حيث اجتمعا أولى من إطلاق من تغليبًا للعقلاء (**وفي قوله: أن يكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما، دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية،**) أي: يجوز جمع اللّٰه ورسوله في ضمير واحد، (**وأما قوله ﷺ للذي خطب،**) قال الحافظ برهان الدين في المقتفى: لا أعرفه، وقال بعض الحفاظ أنه ثابت بن قيس، وقال الطوفي: هو عدي بن حاتم.

روى مسلم وأبو داود، عن عدي بن حاتم، أن خطيبًا خطب عند النبي ﷺ، (**فقال:**) من يطع اللّٰه ورسوله فقدّ رشد، (**ومن يعصهما**) فقد غوى، فقال ﷺ: (**بئس الخطيب أنت،**) قل: ومن يعصِ اللّٰه ورسوله فقد غوى، ورشد بفتح الشين المعجمة وكسرها، كما قال المصنف على مسلم.

فليس من هذا، لأن المراد في الخطب الإيضاح، وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ، ويدل عليه أن النبي ﷺ حيث قاله في موضع آخر قال: ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه.

وقيل: إنه من الخصائص، فيمتنع من غير النبي ﷺ ولا يمتنع منه، لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاق التسوية بخلافه هو، فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك، وإلى هذا مال ابن عبد السلام.

ومن محاسن الأجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب، أن تثنية

(**فليس من هذا، لأن المراد في الخطب الإيضاح**) واجتناب الرمز، ولذا كان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، لتفهم كما في الصحيح، (**وأما هنا، فالمراد الإيجاز:**) الاختصار (**في اللفظ ليحفظ،**) إذ القليل يسهل حفظه، وهذا صوبه النووي قائلاً: وهذا هو الفرق بين الحديثين، حديث من يعصهما كان في خطبة، وحديث مما سواهما كان في تعليم حكم، فتقليل اللفظ فيه أولى، لأنه أقرب إلى الحفظ، (**ويدل عليه أن النبي ﷺ حيث قاله في موضع آخر، قال:**) كما رواه أبو داود عن ابن مسعود أن النبي ﷺ خطب، فقال: في خطبته من يطع اللّه ورسوله فقد رشد، (**ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه،**) واعترض بأن هذا الحديث إنما ورد أيضًا في خطبة النكاح، وأجيب بأن المقصود في خطبة النكاح أيضًا الإيجاز، فلا نقض، وثم أجوبة أخرى، منها دعوى الترجيح، فيكون خبر المنع أولى، لأنه عام، والآخر يحتلم الخصوصية، ولأنه ناقل، والآخر مبني على الأصل، ولأنه قول، والآخر فعل ورد بأن احتمال التخصيص في القول أيضًا حاصل، بل ليس فيه صيغة عموم أصلاً.

هكذا في الفتح قبل قوله: (**وقيل: إنه من الخصائص فيمتنع من غير النبي ﷺ ولا يمتنع منه، لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاق التسوية**) بينهما، لأنه لفظ واحد متصل، لا سيما إذا لوحظ العدول عن العطف، الدال على التفاوت والتبعية، ولذا قال له: قل ومن يعصِ اللّه ورسوله (**بخلافه هو، فان منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك،**) لأنه يعطي مقام الربوبية حقه، (**وإلى هذا مال ابن عبد السلام،**) الشيخ عز الدين.

زاد الحافظ: ومنها دعوى التفرقة بوجه آخر، هو أن كلامه ﷺ هنا جملة واحدة، فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، وكلام الذي خطب جملتان، فالأولى إقامة الظاهر فيهما.

(**ومن محاسن الأجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب أن تثنية الضمير هنا**

الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى، فمن يدعي حب اللّه مثلاً ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه**﴾ [آل عمران/٣١] فأوقع متابعته مكتنَفة بين قطري محبة العباد للّه، ومحبة اللّه للعباد. وأما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية، إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿**أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ [النساء/٥٩] فأعاد أطيعوا في الرسول، ولم يعده في أولي الأمر، لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول. انتهى ملخصًا من كلام البيضاوي والطيبي، كما حكاه في فتح الباري.

وفي الصحيح: ذاق طعم الإيمان من رضي باللّه ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد

للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لاغية) متروكة، لا اعتداد به، (**إذ لم ترتبط بالأخرى، فمن يدعي حب اللّه مثلاً ولا يحب رسوله، لا ينفعه ذلك،**) كعكسه، (**ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه﴾، فأوقع متابعته مكتنفة**) (بفتح النون) اسم مفعول من اكتنفه القوم أحاطوا به (**بين قطري**) تثنية قطر، أي: جانبي (**محبة العباد للّه، ومحبة اللّه للعباد،**) والإضافة بيانية، يعني؛ أنه جعل المتابعة محاطًا بها طرفان، أحدهما: محبة اللّه، والآخر محبة رسوله، وعليه فبين هنا بمعنى الباء، لأن بين ظرف لا يظهر معناها إلا بإضافتها المتعدد، (**وأما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية**) (بفتح الغين المعجمة) اسم من غوى غيًا من باب ضرب انهمك في الجهل، وهو خلاف الرشد (**إذ العطف في تقدير التكرير،**) والاستقلال لقيام الواو مقام تكرار العامل، أو تقديره معها، (**والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم، ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** [النساء/٥٩]، **فأعاد أطيعوا في الرسول، ولم يعده في أولي الأمر، لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول. انتهى ملخصًا من كلام البيضاوي والطيبي،**) كلاهما في شرح المصابيح، (**كما حكاه في فتح الباري**) وزاد وهنا أجوبة أخرى فيها، نظر، منها: أن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه، ومنها: أن له أن يجمع بخلاف غيره. انتهى.

(**وفي الصحيح**) لمسلم من إفراده، عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول اللّه ﷺ

رسولاً ونبيًا.

قال في المدارج: فأخبر أن للإيمان طعمًا، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب. وقد عبر النبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة بالطعم أخرى، ويوجد الحلاوة تارة، كما

يقول: **(ذاق طعم الإيمان،)** قال عياض: أي: عرف الله سبحانه واستحلى الإيمان **(من رضي بالله ربًا،)** فالرضا دليل على هذه المعرفة، قال لأبي: لأنه تسبب عنها، ووجود السبب يدل على وجود المسبب، ثم الرضا يكون بمعنى القناعة وبمعنى الإيثار، وهو المراد، لأن الأول مشترك بين جميع الناس، إذ من لم يقنع بالله ربًا ليس من الإسلام في شيء، واستحلاء الإيمان من صفة الخواص، فإنما يدل عليها ما هو من صفتهم، فالمعنى عرف الله، واستحلاء الإيمان به من أثره، فإن قيل: هذان هما الغاية، فلو أريد ألم يعبر عنهما بالذوق، وهو مبدأ الفعل، إذ لا يعبر عن غاية الشيء بمبدئه، قلت: الذوق إنما هو مبدأ الفعل إذا استعمل في المحسوسات، كذوق الطعام، أما إذا استعمل في المعاني، كما هنا، فإنما هو كناية عن كمال الإدراك، والرضا بالله يستلزم الرضا عنه. انتهى.

وقال الراغب: الذوق، وجود الطعم في الفم، وأصله فيما يقل تناوله، فإذا كثر، يقال له الأكل، واستعمل في القرآن بمعنى الإصابة، أما في الرحمة نحو ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾، وأما في العذاب، نحو ﴿ليذوقوا العذاب﴾ [النساء/ ٥٦]، وقال غيره: ضرب الذوق مثلاً لما ينالونه من الخير عند المصطفى، **(وبالإسلام دينًا؛)** بأن لم يسع في غير طريقه.

قال الطيبي: لا يخلو أما أن يراد به الانقياد، كما في حديث جبريل، أو مجموع ما يعبر بالدين عنه، كخبر بني الإسلام على خمس، ويؤيد الثاني اقترانه بالدين، لأنه جامع باتفاق، وعلى التقديرين هو عطف عام على خاص.

وكذا قوله: ﴿وبمحمد رسولاً﴾، بأن لم يسلك إلا ما يوافق شرعه، ومن كان هذا نعته فقد وصلت حلاوة الإيمان إلى قلبه، وذاق طعمه، شبه الأمر الحاصل الوجداني من الرضا بالأمور المذكورة بمطعوم يلتذ به، ثم ذكر المشبه به، وأراد المشبه، ورشح بقوله: ذاق، فإن قيل الرضا بالثالث مستلزم للأولين، فلم ذكرهما، قلنا للتصريح؛ بأن الرضا بكل منها مقصود **(ونبيًا،)** كذا في النسخ عطف لازم على ملزوم، لأن الرسالة مستلزمة للنبوة، لكن ليس في مسلم ونبيًا، ولم يتكلم شارحاه النووي والأبي على أنها راوية، وقد نسبه السيوطي لأحمد ومسلم والترمذي بدون ونبيًا، فكأنها دخلت على المصنف من حديث آخر.

(قال في المدارج) لابن القيم، **(فأخبر أن للإيمان طعمًا، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب،)** أي: بإدراكه لذة الإيمان وسهولة ما بني عليه من فعل الطاعات

قال «ذاق». وقال: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، ولما نهاهم عن الوصال قالوا: إنك تواصل قال: إني لست كهيئتكم، إني أطعم وأسقى، وقد غلظ حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسي للفم، وسيأتي تحقيق الكلام في هذا إن شاء اللّه تعالى في الصوم، من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام.

والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان أمر يجده القلب تكون نسبته إليه كذوق حلاوة الطعام إلى الفم، وذوق حلاوة الجماع إلى اللذة، كما قال عليه الصلاة والسلام: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسليتك.

وللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد، ولا تزول الشبه والشكوك إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحالة، فيباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة، فيذوق طعمه

واجتناب المعاصي، فعبر بالذوق عن الإدراك، وبالطعم عن السهولة، واطمئنان النفس بما يقتضيه الإيمان مجازًا.

(**وقد عبر النبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسان، وحصوله للقلب، ومباشرته له بالذوق**) متعلق بعبر (**تارة بالطعم أخرى، ويوجد**) (بفتح فسكون) مصدر (**الحلاوة تارة، كما قال: ذاق**) طعم الإيمان، (**وقال**) في الحديث الذي قبله: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان،**) ولذا قال الطيبي: مجاز قوله ذاق طعم الإيمان مجاز قوله: وجد حلاوة الإيمان، وكذلك موقعه كموقعه، لأن من أحب أحدًا يتحرى مراضيه ويؤثر رضاه على رضا نفسه، (**ولما نهاهم عن الوصال**) في الصوم، (**قالوا:**) مستفهمين (**أنك تواصل، قال: إني لست كهيئتكم، إني أطعم وأسقي**) بما يغذيني به ربي من معارفه، وما يفيض على قلبي من لذة مناجاته، وقرة عيني بقربه، ونعيمه بحبه والشوق إليه، المغنى ذلك عن غذاء الأجسام مدة:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب ويلهيها عن الزاد

(**وقد غلظ،**) أي: قوي (**حجاب من ظن أن هذا**) الذي يطعمه ويسقاه حين الوصال (**طعام وشراب حسي للفم،**) يؤتى له من الجنة، لأنه لم يدرك الأمور على حقيقتها، فعبر عن ذلك بالغلظ والحجاب مجازًا، (**وسيأتي تحقيق الكلام في هذا إن شاء اللّه تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام،**) وأن الجمهور على أنه مجاز عن لازم الطعام والشراب، وهو القوة، كأنه قال: أعطي قوة الطاعم الشارب، (**والمقصود**) هنا (**أن ذوق حلاوة الإيمان أمر يجده القلب، تكون نسبته إليه كذوق حلاوة الطعام إلى الفم،**) فهو على التشبيه، أي: وجد في فعله حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة، (**وذوق حلاوة الجماع إلى اللذة، كما قال عليه الصلاة والسلام**) لامرأة رفاعة: لا (**حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك، وللإيمان طعم**

ويجد حلاوته.

وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء اللّٰه: فيه يعني في هذا الحديث إشارة إلى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم بملذوذات الأطعمة، وإنما ذاق طعم الإيمان من رضي باللّٰه ربًا لأنه لما رضي باللّٰه ربًا استسلم له وانقاد لحكمه، وألقى قياده إليه، فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض، ولما رضي باللّٰه ربًا كان له الرضا من اللّٰه، وإذا كان له الرضا من اللّٰه أوجده اللّٰه حلاوة ذلك ليعلم ما منَّ به عليه، وليعلم إحسانه عليه، ولما

وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد،) أي: إدراك، **(ولا تزول الشبه والشكوك إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال، فيباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة، فيذوق طعمه ويجد حلاوته)** المعنوية، المشابهة للحسية.

(وقال العارف الكبير تاج الدين) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم **(بن عطاء اللّٰه،)** نسبة إلى جده الأعلى لشهرته به الجذامي، الإسكندراني، الإمام، المتكلم على طريقة الشاذلي، الجامع لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه، على مذهب لملك، وصحب في التصوف الشيخ أبا العباس المرسني، وكان أعجوبة زمانه فيه، وأخذ عنه التقي السبكي، واختصر تهذيب المدونة للبرادعي في الفقه، وألف، التنوير والحكم وغير ذلك، ومات بالمدرسة المنصورية في القاهرة في ثالث جمادي الآخرة، سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة ذكره السيوطي وابن فرحون، في طبقات المالكية وغيرهما. ولا نزاع في أنه مالكي وذكر ابن السبكي له في طبقات الشافعية، لقوله: أراه كان شافعيًا وليس كما ظن **(فيه، يعني في هذا الحديث إشارة إلى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى،)** إضافة أعم إلى أخص، أو بيانية **(تتنعم بملذوذات المعاني، كما تتنعم بملذوذات الأطعمة)** تشبيه بمطلق اللذة، فلا ينافي أن لذتهم أقوى قال إبراهيم بن أدهم: واللّٰه أنا لفي لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال الجنيد: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم.

وقال عتبة الغلام، كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم استمتعت بها بقية عمري، **(وإنما ذاق طعم الإيمان من رضي باللّٰه ربًا، لأنه ما رضي باللّٰه ربًا،)** أعاده مظهرًا تلذذًا بذكره:

أعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

(استسلم له وانقاد لحكمه،) عطف تفسير، **(وألقي قياده)** (بكسر القاف) **(إليه،)** أي: أطاعه وأذعن له، فهي ألفاظ متقاربة، **(فوجد لذاذة)** (بالفتح بزنة سلامة مصدر لذيذ لذاذًا ولذاذة بالفتح) **(العيش وراحة التفويض، ولما رضي باللّٰه ربًا كان له الرضا من اللّٰه)** جزاء من جنس

سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن، فلما واصلته أمداد الله وأنواره عوفي قلبه من الأمراض والأسقام، فكان سليم الإدراك، فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته لصحة إدراكه وسلامة ذوقه. وقوله ﷺ: وبالإسلام دينًا لأنه إذا رضي بالإسلام دينًا فقد رضي مما رضي به المولى، ولازمُ من رضي بمحمد نبيًا أن يكون له وليًا، وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدًا في الدنيا وخروجًا عنها، وصفحًا عن الجناة وعفوًا عمن أساء إليه، إلى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولاً وفعلاً، وأخذًا وتركًا، وحبًا وبغضًا، فمن رضي بالله استسلم له، وانقاد ومن رضي بالإسلام عمل له، ومن رضي بمحمد ﷺ تابعه، ولا يكون واحد منها إلا بكلها، إذ محال أن يرضى بالله ربًا ولا يرضى بالإسلام دينًا، أو يرضى بالإسلام دينًا ولا يرضى بمحمد نبيًا، وتلازم ذلك بيّن لا خفاء فيه. انتهى ملخصًا.

واعلم أن محبة الله تعالى على قسمين: فرض وندب.

فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصي،

العمل، (وإذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك، ليعلم ما من) (بشد النون): أنعم (به عليه، وليعلم إحسان الله عليه،) فيزداد شكره، فيزيد ثوابه، (ولما سبقت لهذا العبد العناية) الحفظ (خرجت له العطايا من خزائن المنن،) جمع منة، (فلما واصلته أمداد الله:) زياداته (وأنواره عوفي قلبه من الأمراض والأسقام): الأمراض المهلكة، (فكان سليم الإدراك، فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته، لصحة إدراكه وسلامة ذوقه،) مما يغير طعمه عليه، (وقوله ﷺ: وبالإسلام دينًا، لأنه إذا رضي بالإسلام دينًا فقد رضي مما رضي به المولى) تبارك وتعالى، كما قال: ورضيت لكم الإسلام دينًا، (ولازم من رضي بمحمد نبيًا أن يكون له وليًا،) مواليًا، (وأن يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه زهدًا في الدنيا وخروجًا عنها، وصفحًا عن الجناة) (بضم الجيم جمع جان، أي: المذنبين ذنبًا يؤاخذ به، (وعفوًا عمن أساء إليه، إلى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولاً وفعلاً وأخذًا وتركًا وحبًا وبغضًا، فمن رضي بالله استسلم له وانقاد، ومن رضي بالإسلام عمل له، ومن رضي بمحمد ﷺ) رسولاً (تابعه) متابعة تامة، (ولا يكون) لا يوجد (واحد منها إلا بكلها إذا محال أن يرضى بالله ربًا ولا يرضى بالإسلام دينًا أو يرضى بالإسلام دينًا ولا يرضى بمحمد نبيًا، وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه. انتهى ملخصًا) كلام ابن عطاء الله.

(واعلم أن محبة الله تعالى،) كما نقله في فتح الباري عن بعضهم (على قسمين فرض

والرضى بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة اللّه، حيث قدم هوى نفسه، والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع، وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم.

والندب: أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات، والمتصف بذلك عموم الأوقات والأحوال نادر.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه تعالى

وندب، **فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر)** المفيدة للفرضية، وأطلقها، لأن إطلاقها على غير الواجب مجاز، كما حققه المحلي لا مشترك، **(والانتهاء عن المعاصي والرضى بما يقدره،)** أي: بقدره أن حمل على التقدير الأزلي، أو يقدره حالاً ومآلاً أن حمل على التعلق التنجيزي والصلوحي، **(فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب،)** عبر عن الأمرين المتقدمين بواحد، وأن تحته فردين إشارة إلى تلازمهما، وإن اختلفا بحسب المفهوم، وما صدقهما، إذ الأول هو الفعل الذي طلبه الشارع طلبًا حازمًا، والثاني الفعل الذي نهى عنه نهيًا جازمًا، **(فلتقصيره في محبة اللّه حيث قدم هوى نفسه)** حيثية تعليل، فهو تعليل للتعليل، فإن قيل: يلزم عليه تعليل الشيء بنفسه، لأن المعنى: أن الوقوع في المعصية سببه فعلها، الذي هو اتباع هوى نفسه، فالجواب أنه دفع ذلك بقوله: **(والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها،)** ووجه الدفع أن التقصير الذي هو سبب العصيان ليس ناشئًا عن اتباع هوى نفسه، الذي هو المعصية فقط، إذ هواها لا يختص بالمعصية، فيحمل على أمر مباح ليصح مغايرة السبب للمسبب، **(فيورث)** ذلك الاسترسال والاستكثار **(الغفلة)** عما يحمله على امتثال الأمر واجتناب النهي، لغفلته عن الرغبة في الثواب والخوف من العقاب، **(المقتضية للتوسع في الرجاء)** لرحمة اللّه، كأن يقوم في نفسه أنه وإن أكثر من الشبهات لا يناله مكروه، **(فيقدم)** بذلك، أي: يجترىء **(على المعصية)** ويرجو المغفرة.

زاد في الفتح: (أو تستمر الغفلة فيقع، وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم)، وإليه يشير حديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، **(والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات،)** وهي ما ليس بواضح الحل والحرمة، مما تنازعته الأدلة وتجاذبته المعاني والأسباب، فبعضها يعضده دليل الحرام، وبعضها يعضده دليل الحلال، **(والمتصف بذلك عموم الأوقات والأحوال نادر)**.

زاد الحافظ: وكذا محبة الرسول على قسمين كما تقدم، ويزاد أن لا يتلقى شيئًا من

أنه قال: ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ـ وفي رواية: بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ـ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته.

المأمورات والمنهيات إلا من مشكلته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضي، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك انتهى.

(وفي البخاري) في الرقائق **(من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه تعالى أنه قال)** لفظه: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، و **(ما تقرب إلي عبدي)** وللكشميهني عبد (بحذف الياء) **(بمثل أداء ما افترضته عليه)** عينًا أو كفاية، وظاهره اختصاصه بما ابتدأ الله فرضه، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد، بقوله: افترضت إلا أن يوجه من جهة المعنى الأعم، قاله الحافظ.

(وفي رواية بشيء أحب) بالفتح صفة لشيء، فهو مفتوح في موضع جر، وبالرفع بتقدير هو أحب **(إلي من أداء ما افترضت عليه)** أي: تأديته لا المقابل للقضاء فقط، بل المراد فعل ما افترض عليه، **(ولا يزال)** بلفظ المضارع، وللحموي والمستملي، وما زال **(عبدي)** بإضافة التشريف **(يتقرب إليّ بالنوافل)** مع الفرائض، كالصلاة والصيام **(حتى أحبه)** بضم أوله، أي: أرضى عنه، **(فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها)** (بضم الطاء وكسرها) روايتان: وبهما قرئ أم لهم أيد يبطشون بها، أي: تأخذ بقوة، **(ورجله التي يمشي بها)**.

زاد في حديث عائشة عند أحمد والبيهقي في الزهد، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به.

وفي حديث أنس عند أبي يعلى وغيره: ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، وقوله: **(فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي)**.

ليست هذه الجمل في رواية البخاري: **(ولئن سألني)** زاد في حديث عائشة عبدي **(لأعطينه)** ما سأل مما يعود بنفع عليه، كصحة وتوفيق إلى طاعة، **(ولئن استعاذني)** قال

ويستفاد من قوله: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي.. من اداء ما

المصنف: بالنون بعد الذال المعجمة في الفرع كأصله، وبالموحدة في غيرهما (**لأعيذنه**) مما يخاف.

وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي في الزهد: وإذا استنصرني نصرته.

وفي حديث حذيفة عند الطبراني: ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة، وفيه: أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبًا للّه تعالى، لا ينقطع عن الطلب من اللّه لما فيه من الخضوع وإظهار العبودية، (**وما ترددت عن**،) بمعنى في أو ضمن تردد معنى تأخر، لأنه لازمه (**شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن**،) تشبيه بليغ بحذف الأداة، ولم يقل نفس عبدي للاستغناء بوصف الإيمان، أي: ما أخرت وما توقفت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس المؤمن، حتى يسهل عليه ويميل قلبه مشوقًا إليه، لانخراطه في سلك المقربين، والتبوىء في عليين، أو إزالة كراهة الموت مما يبتلى به من نحو مرض وفقر، فأخذه المؤمن عن حب الحياة شيئًا فشيئًا بهذه الأسباب يشبه فعل المتردد، فعبر به مجازًا، لأن حقيقة التردد التحير، بأن يظهر له ما يقتضي الفعل وما يقتضي الترك، فينشأ من ذلك الحيرة لمريد الفعل لتعارض مقتضاهما عنده، واللّه منزه عن ذلك، كما يأتي، (**يكره الموت**) لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ائتلاف روحه لجسده وتعلقها به، ولعدم معرفته بما هو صائر إليه بعده، (**وأنا أكره مساءته**،) بفتح الميم والمهملة، بعدها همزة ففوقية، أي: أن أفعل به ما يحزنه، والجملة في موضع التعليل للتردد، وهو استئناف بياني، كأنه جواب سؤال.

قال الذهبي في الميزان حديث غريب جدًا: لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد القطواني لغرابة لفظه، ولأنه مما تفرد به شريك، وليس بالحافظ، ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد، ولأخرجه من عند البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد.

قال الحافظ: ليس في مسند أحمد جزمًا، وإطلاق أنه لم يرو إلا بهذا الإسناد مردود، وشريك شيخ شيخ خالد، فيه مقال أيضًا، لكن للحديث طرق يدل مجموعها على أن له أصلاً، فرواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا، والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون، عن عروة، عن عائشة، وذكر ابن حبان وابن عدي أن عبد الواحد تفرد به.

وقد قال البخاري: أنه منكر الحديث، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد، عن عروة وقال: لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد.

وأخرجه الإسمعيلي من حديث علي والطبراني والبيهقي، عن أبي أمامة بسند ضعيف،

افترضته عليه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى اللّٰه تعالى.

وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض؟

وأجيب: بأن المراد من النوافل إذا كانت مع الفرائض، مشتملة عليها ومكملة لها، ويؤيده: أن في رواية أبي أمامة «ابنَ آدم، إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضته عليك»، أو يجاب: بأن الإتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف

وأبو يعلى والبزار والطبراني عن أنس، وفي سنده ضعف، والطبراني عن حذيفة مختصرًا، وسنده حسن غريب، وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية، عن معاذ بن جبل مختصرًا، وسنده ضعيف، وأحمد في الزاهد، وأبو نعيم في الحلية، عن وهب بن منبه مقطوعًا. انتهى.

وهو أصل عظيم في السلوك إلى اللّٰه تعالى والوصول إلى معرفته ومحبته، لأن المفترض إما باطن وهو الإيمان، وظاهر وهو الإسلام، أو مركب منهما وهو الإحسان، المتضمن مقامات السالكين، كالإخلاص والزهد، والتوكل والمراقبة، فقد جمع هذا الحديث الشريعة والحقيقة، **(ويستفاد من قوله: وما تقرب إلي عبدي بشيء)** من الطاعات **(أحب إليّ من أداء ما افترضته عليه؛ أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى اللّٰه تعالى،)** أي: فعلها لا مقابل القضاء، كما مر، فالمراد اللغوي، فشمل النذر أخذًا للافتراض بالمعنى الأعم، لأن من نذر شيئًا فرض اللّٰه عليه الوفاء به، فلا ينافي قوله مما افترضته، ومر أن الحافظ نظر فيه، وأشار إلى الجواب بنحو هذا، **(وعلى هذا)** المستفاد، **(فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة،)** لأنه تعالى جعلها مرتبة على كثرة النوافل، **(ولا تنتجها الفرائض،)** لأنه سبحانه جعلها أحب الأشياء إليه، ولم يذكر سبب الأحبية، فلم تترتب المحبة على إداء الفرائض.

(وأجيب بأن المراد من النوافل إذا كانت مع الفرائض، مشتملة عليها ومكملة لها،) لا مطلقًا، فإنما انتجت المحبة من حيث الاشتمال والتكميل.

(ويؤيده أن في رواية أبي أمامة) الباهلي، عند الطبراني والبيهقي مرفوعًا: **(ابن)** (بفتح الهمزة وكسرها) **(آدم إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضته عليك،)** فلا يعتد بالنوافل بدون الفرائض.

قال ابن أبي جمرة: إنما سميت نافلة، لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فلو لم تؤد الفريضة لا تحصل، ومن أداها، ثم زاد النفل وأدامه، محضت منه إرادة التقرب، وقد جرت العادة؛ بأن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب، كهدية وتحفة، بخلاف ما يجب عليه، أو يقتضي ما لزمه، ومما يحقق ذلك أن جملة ما شرع له النفل جبره الفرض، فالمراد من التقرب بالنفل، أن يقع ممن أدى الفرض، لا ممن أخل به.

العقاب على الترك، بخلاف الفرائض.

وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض، وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة اللّٰه تعالى إياه.

وقد استشكل أيضًا: كيف يكون الباري جل وعلا «سمع العبد وبصره» إلخ.

وأجيب بأجوبة:

منها: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت كسمعه وبصره في إيثاره أمري، فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح.

قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل، فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض، فهو مغرور. انتهى.

(**أو يجاب؛ بأن الإتيان بالنوافل لمحض المحبة، لا لخوف العقاب على الترك،**) فاستحق محبة اللّٰه، لكونه لا في مقابلة شيء، (**بخلاف الفرائض،**) ففعلها مانع من العقاب على تركها، فهو في مقابلة عوض، وإن كانت أفضل.

(**وقال الفاكهاني**) عمر بن علي بن سالم اللخمي، المالكي، الشهير بتاج الدين الفاكهاني، الفقيه، الفاضل، المتفنن في الحديث والفقه والأصول، والعربية والأدب، والدين المتين،والصلاح العظيم، والتخلق بأخلاق الأولياء، وصحب منهم جماعة، وحج غير مرة، وولد بالإسكندرية سنة أربع، وقيل: سنة ست وخمسين وستمائة، ومات بها سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وله مصنفات عديدة.

(**معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض، ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما،**) وبين الفاكهاني نفسه ذلك الغير، فقال في شرح الأربعين: من صلاة في الليل، أو في النهار، لا سيما التوابع للمفروضات، أو صيام، أو صدقة، أو حج، تطوع. أو جهاد غير متعين، أو إصلاح بين اثنين، أو جبر خاطر يتيم، أو إغاثة مسلم أو تيسير على معسر أو فعل خير من حيث الجملة (**أفضى به ذلك إلى محبة اللّٰه تعالى إياه**) أي: أوصله لها، فالباء زائدة للتوكيد.

(**وقد استشكل أيضًا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره... الخ،**) يعني: ويده ورجله، مع أن السمع عرض، إذ هو قوة منبثة في مقعر الصماخ، واللّٰه تعالى ذات، والذات لا تقوم في العرض، بل العكس مع استحالة حلوله الحق تعالى في غيره، فتضمن السؤال أمرين، كما لا يخفى.

(**وأجيب بأجوبة، منها: أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى: كنت كسمعه وبصره**

ومنها: أن المعنى أن كليته مشغولة بي، فلا يصغي بسمعه إلاَّ إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

ومنها: أن المعنى، كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.

ومنها: أنه على حذف مضاف، أي حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلاَّ ما يحل سماعه، وحافظ بصره كذلك الخ. قاله الفاكهاني.

قال: ويحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله: وهو: أن يكون بمعنى مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل: فلان أملي، بمعنى: مأمولي، والمعنى: أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يتلذذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر

في إيثاره أمري، فهو يحب طاعتي، ويؤثر خدمتي، كما يحب هذه الجوارح،) فهو من التشبيه البليغ، كزيد أسد.

(ومنها أن المعنى أن كليته،) أي: جملته لا الكلية المنطقية، التي هي الحكم على جميع الأفراد المقابلة للكلى، وهو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وللكل وهو ما كان ذا أجزاء **(مشغولة بي، فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به،)** ولا يبطش إلا لمرضاتي، ولا يمشي إلا فيما يقربه إلي.

(ومنها: أن المعنى كنت له في النصرة) (بضم النون) الإعانة والتقوية، **(كسمعه وبصره، ويده ورجله في المعاونة،)** بيان للنصرة **(على عدوه،)** وهذا أيضًا على جهة التمثيل، لكنه من جهة أخرى، فغاير الأول.

(ومنها: أنه على حذف مضاف، أي: حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحل سماعه، وحافظ بصره، كذلك،) أي: فلا يبصر إلا لحلال، **(الخ،)** يعني: وحافظ يده وحافظ رجله كذلك، والدليل على المضاف الاستحالة، **(قاله،)** أي: هذا الجواب الرابع **(الفاكهاني)** في شرح الأربعين، ولم يذكر فيه سواه، وسوى ما نقله بقوله.

(قال) الفاكهاني: **(ويحتمل)** في الحديث **(معنى)، فهو** فاعل، أو يحتمل الحديث معنى، فهو نصب المفعولية، والأول أظهر، والخطب سهل **(آخر، أدق من الذي قبله، وهو أن يكون)** سمعه **(بمعنى مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل فلان أملي بمعنى مأمولي،)** فأمل مصدر أمل يأمل، من باب طلب، واسم مفعوله مأمول، واسم فاعله آمل، وعبارة الفاكهاني: قالوا: أنت رجائي بمعنى مرجوي، **(والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري،)** سماع تلذذ، **(ولا يتلذذ إلا**

إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي، ورجله كذلك.

وقال غيره: اتفق العلماء - ممن يعتد بقوله - على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولهذا وقع في رواية: «فبي يسمع وبي يبصر وبين يبطش وبي يمشي». قال: والاتحادية زعموا أنه على حقيقته، وأن الحق عين العبد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقال الخطابي: عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء، والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وعن أبي عثمان الحيري - أحد أئمة الطريق - قال: معناه كنت أسرع إلى

بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي) في الصلاة وغيرها، (ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي،) كمدها بالصدقة ونحوها، وعبر هنا بالمد إشارة إلى أن المراد مطلق حركة يده، لا حقيقة المد، وفي الحديث بالبطش لشرفه، وهو الأخذ بقوة، (ورجله كذلك،) لا يسعى بها إلا فيما فيه رضاي.

(وقال غيره،) وهو الطوفي: (اتفق العلماء ممن يعتد بقوله) بأفراد الضمير على لفظ من، وهو أكثر، كقوله: ومنهم من يؤمن به (على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد،) مصدر مضاف لمفعوله، أي: عن نصرة الله عبده، (وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها،) أي: أن أفعاله لا توجد إلا بإرادته وأقداره عليها، لا أنه بمنزلة الآلة الحقيقية.

(ولهذا وقع في رواية: فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، قال) ذلك الغير، (والاتحادية) نسبة إلى الاتحاد، وهو تصيير الذاتين ذاتًا واحدة، وهو محال لأنه إن كانت عين كل واحدة، منهما موجودة في حال الاتحاد، فهما اثنتان لا واحدة، وإن عدمت واحدة، فليس ذلك باتحاد، بل عدم إحداهما، وإن عدمتا كان عدم الاتحاد أظهر، (زعموا أنه على حقيقته، وأن الحق عين العبد،) محتجين بمجيء جبريل في صورة دحية، (تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا،) وللشيخ قطب الدين القسطلاني كتاب بديع في الرد عليهم.

(وقال الخطابي: عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح) (بضم النون) الظفر بالقصد (في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان،) أي: تصرفاته في أعماله (كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة).

قضاء حوائجه من سمعه في الإستماع وعينه في النظر، ويده في اللمس ورجله في المشي. كذا أسنده عنه البيهقي في «الزهد».

وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه، من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات، أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يفنى عن نفسه جملة، حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه، الموحد لنفسه، والمحب، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدمًا صرفًا.

وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة، لقوله في بقية الحديث ولئن سألنى، زاد في رواية عبد الواحد عبدي. انتهى ملخصًا.

(وعن أبي عثمن) سعيد بن إسمعيل النيسابوري **(الحيرى)** (بحاء مكسورة وراء مهملتين، بينهما تحتية ساكنة) نسبة إلى الحيرة، محلة بنيسابور غير المدينة المعروفة بالكوفة، وأصله من الري، وصحب قديمًا يحيى بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور قاصدًا أبا حفص الحداد، فأخذ عنه طريقته، وزوجه ابنته **(أحد أئمة الطريق)**.

قال أبو نعيم: كان بالحلم منتطقًا، وللمريدين نصيحًا مشفقًا، وقال الخطيب: كان مجاب الدعوة، وكان يقول: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى عليها نطق بالبذعة، وإن تطيعوه تهتدوا مات بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل: غير ذلك، **(قال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وعينه في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي، كذا أسنده،)** أي: رواه **(عنه البيهقي في)** كتاب **(الزهد، وحمله بعض أهل الزيغ:)** الضلال والميل عن الحق إلى الباطل **(على ما يدعونه، من أن العبد إذا لازم العبارة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات أنه)** تأكيد لقوله: أن العبد أعاده لطول الفصل وهو وارد في الفصيح، كقوله تعالىٰ: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون﴾ [المؤمنون/٣٥]، والخبر قوله: **(يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يفني عن نفسه جملة، حتي يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه، الموحد)** (بالحاء المهملة) **(لنفسه المحب، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدمًا صرفًا،)** وهذا ضلال مبين، **(وعلى الأوجه)** السبعة السابقة **(كلها، فلا متمسك فيه للاتحادية، ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث: ولئن سألني، زاد في رواية عبد الواحد)** بن ميمون، عن عروة، عن عائشة **(عبدي،)** فإن كلا من سألني، وعبدي نص في

وقال العلامة ابن القيم:

تضمن هذا الحديث الشريف الإلهي ـ الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به ـ حصر أسباب محبته في أمرين، أداء الفرائض، والتقرب إليه بالنوافل، وأن المحب لا يزال يكثر في النوافل حتى يصير محبوبًا للّه، فإذا صار محبوبًا للّه أوجبت محبة اللّه له محبة أخرى منه للّه فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه ألبتة، فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكًا لزمام قلبه، مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على محبة الصادق في

نفي الاتحاد والوحدة المطلقة. (**انتهى ملخصًا**).

(**وقال العلامة بن القيم**) شمس الدين محمد بن أبي بكر: (**تضمن هذا الحديث الشريف الإلهي**،) المنسوب إلى الإله تعالى مما تلقاه المصطفى عنه بلا واسطة أو بها (**الذي حرام**،) أي: ممنوع، فالحرمة لغة المنع ومنه، وحرام على قرية (**على غليظ الطبع**،) شديده في التباعد عن الحق وعدم الانقياد له، (**كثيف القلب**،) المراد هنا معنى ما قبله، فهو مساوٍ له، حسنه اختلاف اللفظ، فحرام خبر مقدم، والمبتدأ (**فهم معناه و**) فهم (**المراد به**،) فهو بالجر عطف على معناه، وإن اتحدا معنى، كسابقه لاختلاف اللفظ، وقوله (**حصر**) بالنصب مفعول تضمن (**أسباب محبته**) تعالى لعبده، فالمصدر مضاف لفاعله (**في أمرين، أداء الفرائض والتقرب إليه بالنوافل**) بدل من أمرين ولا يقرأ قوله، والمراد بالرفع مبتدأ خبره حصر، ويعترض عليه؛ بأن الظاهر حذفه، لأن حصر مفعول تضمن، إذ لا ملجيء لذلك، فالكلام صحيح بجر المراد، وهو الظاهر أو المتعين، (و) تضمن أيضًا (**أن المحب لا يزال يكثر في النوافل حتى يصير محبوبًا للّه**،) فالسبب الثاني هو المحقق لصيرورة العبد محبوبًا للّه، بحيث يكون سمعه...الخ.

(**فإذا صار محبوبًا للّه أوجبت**،) أثبتت (**محبة اللّه له محبة أخرى منه**،) أي: العبد (**للّه فوق المحبة الأولى**،) الحاصلة منه قبل، (**فشغلت هذه المحبة**) الثانية (**قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه**،) وهو اللّه عزّ وجلّ، (**وملكت**،) أي: قصرت تلك المحبة (**عليه**،) أي: على المحبوب (**روحه**،) أي: لمحب، بحيث لا تجاوزه للتعلق لغيره، (**ولم**) الأولى، فلم (بالفاء) (**يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة، فصار ذكر محبوبه وحبه**) (بضم الحاء والرفع) (**ومثله**) (بفتحتين)، وصفه (**الأعلى**) العجيب الشأن، كالقدرة العامة والحكمة التامة، (**مالكًا لزمام قلبه**) خبر، أي: صار ما ذكر مانعًا لقلبه من التلفت إلى غيره، ففيه استعارة بالكناية،

محبته التي قد اجتمعت قوى محبته كلها له، ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه وإن أبصر أبصر بمحبوبه، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ونفسه، وأنيسه وصاحبه.

والباء - هنا - باء المصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية لا علمية محضة.

قال: ولما حصلت الموافقة من لعبد لربه في محابه، حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال: «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» أي

وتخييلية، شبه القلب بالبعير الممنوع من استرساله مع هواه، استعارة بالكناية، وإثبات الزمام له تخييل، (**مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على محبه، الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قوى محبته كلها له،**) فسمع محبه وبصره وغيرهما. من بقية المعاني صارت حافظة للمحب مانعة من لحوق ضرر به مقوية له على مطلوبه من زيادة القرب ودوامه، فكأنها مختصة به، لا تتجاوزه إلى غيره، (**ولا ريب**،) شك (**أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر بمحبوبه، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ونفسه، وأنيسه وصاحبه**،) ويقرب من هذا جواب العارف والأستاذ علي بن وفي؛ بأن معنى كنت سمعه...الخ أن ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط، الذي هو حصول المحبة، فمن حيث الترتب الشهودي جاز الحدوث، المشار إليه بقوله: كنت سمعه، لا من حيث التقدير الوجودي، وقال في الفتوحات لابن العربي: المراد به انكشاف أمر لمن تقرب إليه تعالى بالنوافل، لا أنه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب، ثم كان تعالى عن ذلك وعن العوارض الطارئة، وهذه من غرر المسائل الإلهية، نقلهما في اليواقيت والجواهر، (**والباء هنا**) في قوله: فبي يسمع...الخ (**باء المصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها،**) لأن الأصل في الصحبة إطلاقها على من حصل له رؤية ومجالسة، ووراء ذلك شروط للأصوليين، وتطلق مجازًا على من تمذهب بمذهب إمام، كأصحاب الشافعي، ولا يصح حملها هنا على شيء من ذلك، (**ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها،**) لأنها لا نظير لها، تصور به في الخارج، فإنما يدركها من قامت به، كالملاحة تدرك ولا توصف، بعبارة تحصل حقيقتها وصورتها للمخاطب، (**فالمسألة**: **حالية،**) أي: حال من أحوال النفس، يدركها من قامت به، (**لا علمية محضة،**) أي: ليست متعلقًا للعلم، بحيث يصورها بما يميزها عن غيرها خارجًا.

(**قال**) ابن القيم: (**ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه،**) جمع حب، كمحاسن: جمع حسن على غير قياس، (**حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه،**

كما وافقني في مرادي بامتثال أوامراي، والتقرب إلي بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما سألني أن أفعله به، وفيما يستعيذني أن يناله. وقوي أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه وتعالى في إماتة عبده لأنه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكره عبده، ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في إماتته، فإنه ما أماته إلا ليحييه، ولا أمرضه إلا ليصحه، ولا أفقره إلا ليغنيه، ولا منعه إلا ليعطيه، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه آدم إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله، فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا

فقال: ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، أي: كما وافقني في مرادي، بامتثال أوامري والتقرب إلى بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته) فيما عندي، **(ورهبته:)** خوفه مني **(فيما سألني أن أفعله به:)** عائد لرغبته، **(وفيما يستعيذني أن يناله،)** عائد لرهبته، ففي وعده المحقق، المؤكد بالقسم.

إيذان بأن من تقرب إليه بما مر لا يرد دعاءه، وأن الكمل يطلب منهم الدعاء.

وقال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق: أقوى ما قاله الشراح بحسب الظاهر في هذا الحديث: كنت سمعه، فلا يسمع ما لم يأذن الشرع بسماعه، ولا يبصر ما لم يأذن في النظر إليه، ولا يبطش إلا ما أذن ببطشه، ولا يسعى إلا فيما أذن بالسعي إليه، وبحسب الباطن: لا يزال العبد يتقرب إلى الله بأنواع الطاعات وأصناف الرياضات، ويترقى من مقام إلى أعلى منه حتى يحبه الله، فيجعل سلطان حبه غالبًا عليه حتى يسلب منه الاهتمام بكل شيء غير تقربه إليه، فيصير منخلعًا عن الشهوات، ذاهلاً عن اللذات، مستغرقًا بملاحظة جناب قدسه، بحيث ما لاحظ شيئًا إلا لاحظ ربه، ولا التفت إلى شيء إلا رأى ربه، وهذا آخر درجات السالكين، وأول درجات الواصلين، فيكون بهذا الاعتبار سمعه وبصره، وهذا نفس محجوب، والذائق يقول: العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يكون الرب، صفات عبده المذكورة، لتحصل له المناسبة الصفتية بين المحب والمحبوب، فإنها لا بدّ منها ولذا جعل السبب فيه أداء النوافل، فإن الله فاعل مختار، ليس عليه إيجاب لأحد النوافل ليست بإيجاب، فكان ذلك مناسبة أخرى بين المحب والمحبوب، وهذا يسمى قرب النوافل، وثمة قرب الفرائض، وهو أعظم من قرب النوافل. انتهى.

(وقوي أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه وتعالى في إماتة عبده، لأنه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكره عبده، ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته، ولكن مصلحته في إماتته)، فتفصل بفعل المصلحة، **(فإنه ما أماته إلا ليحييه)** الحياة الأبدية، **(ولا أمرضه إلا ليصحه)** (بضم التحتية وكسر الصاد)، أي: يزيل

سواه، انتهى.

وقال الخطابي: التردد في حق اللّٰه غير جائز، والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له تأويلان.

أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه، أو فاقة تنزل به، فيدعو اللّٰه فيشفيه منها، ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه، ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، لأن اللّٰه قد كتب الفناء على خلقه، واستأثر بالبقاء لنفسه.

والثاني: أن يكون معناه: ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في قبض نفس عبدي المؤمن، كما في قصة موسى عليه السلام، وما كان من

مرضه، يصونه من أهوال الآخرة وآلامها، أو ليزيل عنه المكروهات الدنيوية ويثيبه، وهذا أظهر، (**ولا أفقره إلا ليغنيه، ولا منعه إلا ليعطيه، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه آدم إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله، فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى**) كلام ابن القيم.

(**وقال الخطابي: التردد في حق اللّٰه غير جائز،**) إذ لا يكون إلا ممن لا يعلم العاقبة فيتعارض، عنده مقتضى الفعل والترك، فيتحير في أيهما أولى ليفعله، واللّٰه لا يخفي عليه شيء، فيستحيل التردد منه، (**والبداء**) (بفتح الموحدة والدال المهملة والمد)، ظهور مصلحة كانت خفيت (**عليه في الأمور غير سائغ،**) لأنه محال أن يظهر له شيء كان عنه غائبًا، (**ولكن له،**) أي: الحديث (**تأويلان:**)

(**أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه، وفاقة تنزل به، فيدعو اللّٰه فيشفيه منها، ويدفع:**) يزيل (**عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله، كتردد من يريد أمرًا، ثم يبدو له فيه، فيتركه ويعرض عنه،**) فليس من التردد الحقيقي في شيء، (**ولا بدّ له من لقائه،**) أي: الموت، (**إذا بلغ الكتاب:**) المكتوب من العمر (**أجله**) ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة﴾ [الأعراف/٣٤]، ﴿ولن يؤخر اللّٰه نفسًا إذا جاء أجلها﴾ [المنافقون/١١]، (**لأن اللّٰه قد كتب الفناء على خلقه**) ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمٰن/٢٦، ٢٧]، (**واستأثر بالبقاء لنفسه**)، فكل شيء هالك إلا وجهه.

(**والثاني: أن يكون معناه: ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله، كترديدي إياهم في**

لطمه عين ملك الموت، وتردده إليه مرة بعد أخرى.

قال: وحقيقة المعنى - على الوجهين - عطف الله على العبد، ولطفه به، وشفقته عليه.

وقال الكلاباذي ما حاصله: إنه غير عن صفة الفعل بصفة الذات، يعني باعتبار متعلقها، أي عن الترديد بالتردد، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبة للموت، فيقبض على ذلك.

قال: وقد يحدث الله تعالى في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق

قبض نفس عبدي المؤمن،) فأطلق التردد، وأراد لازمه، وهو الترديد، وأضاف تعالى ذلك لنفسه، لأن ترددهم عن أمره، **(كما في قصة موسى عليه السلام)** في الصحيحين، عن أبي هريرة، مرفوعًا في أحاديث الأنبياء: أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، قال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: إرجع، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة.

قال: ثم ماذا، قال: الموت، قال: فالآن الحديث: **(وما كان من لطمه عين ملك الموت)** ففقأها، كما في رواية مسلم؛ وكأن موسى ظنه آدميًا، تسور عليه منزله بغير إذنه، ليوقع به مكروهًا، ويحتمل أنه علم أنه ملك الموت، ودافعه عن نفسه باللطمة المذكورة، والأول أولى، ويؤيده أنه جاء إلى قبضه، ولم يخيره، وقد علم موسى أنه لا يقبض حتى يخير، ولهذا لما خيره، قال: الآن. وعند أحمد كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا. **(وتردده إليه مرة بعد أخرى،)** أي: ثانية بعد الأولى.

(قال) الخطابي: **(وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد، ولطفه به، وشفقته عليه)** ألفاظ متقاربة **(وقال الكلاباذي:)** (بفتح الكاف والموحدة فألف فذال معجمة) نسبة إلى كلاباذ محلة كبيرة ببخارا، الحافظ، الإمام أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم البخاري، سمع الهيثم بن كليب الشاشي ومعه جعفر المستغفري.

قال الحاكم: كان من الحفاظ حسن المعرفة والفهم، متقنًا، ثبتًا، لم يخلف مثله بما وراء النهر، وحدث ببغداد في حياة الدارقطني، وكان يثني عليه، ومات في جمادى الآخرة، سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، عن خمس وثمانين سنة، **(ما حاصله أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات، يعني باعتبار متعلقها، أي: عن الترديد، بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب)** (بفتحتين وبضمتين وبضمة)، أي: داء وبلاء **(إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك،)** فسماه ترددًا مجازًا.

إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت، فضلاً عن إزالة الكراهة عنه، انتهى.

وبالجملة: فلا حياة للقلب إلا بمحبة اللّٰه ومحبة رسوله، ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته، ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة اللّٰه ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات.

قال صاحب المدارج: ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف اللّٰه تعالى ويهتدي إليه بطريق توصله إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكليته، ويزهد في

(قال: وقد يحدث اللّٰه في قلب عبده من الرغبة فيما عنده، والشوق إليه، والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه انتهى).

وقال الجنيد: الكراهة هنا لما يلقي المؤمن من الموت وصعوبته، وليس المعنى أني أكره له الموت، لأن الموت يورده إلى رحمة اللّٰه ومعرفته.

وقال غيره: لما كانت مفارقة الروح للجسد لا تحصل إلا بألم عظيم جدًا، واللّٰه تعالى يكره أذى المؤمن، أطلق على ذلك الكراهة، ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة، لأنها تؤدي إلى أرذل العمر وتنكيس الخلق والرد إلى أسفل سافلين، وفي ذلك دلالة على شرف الأولياء ورفعة منزلتهم حتى لو تأتى أنه تعالى لا يذيقه الموت الذي حتمه على عباده لفعل، ولهذا المعنى ورد لفظ التردد، كما أن العبد إذا كان له أمر لا بدّ له أن يفعله بحبيبه، لكنه يؤلمه، فإن نظر إلى ألمه كف عن الفعل، وإن نظر إلى أنه لا بدّ له منه لمنفعته، أقدم عليه، فعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد، فخاطب اللّٰه الخلق بذلك على حسب ما يعرفونه ودلهم على شرف الولي عنده، **(وبالجملة، فلا حياة)** لذيذة محمودة **(للقلب إلا بمحبة اللّٰه ومحبة رسوله، ولا عيش)** محمود **(إلا عيش المحبين، الذين قرت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته، ففي القلب طاقة،)** أي: اشتياق وتلهف واحتراق على عدم وصوله إلى مطلوبه، شبه ذلك بطاقة مفتوحة يدخل منها ما يؤلم المحب في جسده، وأنه **(لا يسدها،)** أي: يمنع عنه ذلك الاحتراق والتلهف **(إلا محبة اللّٰه ورسوله، ومن لم يظفر بذلك، فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات،)** فهي حياة كلا حياة.

(قال صاحب المدارج) ابن القيم: **(ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة:)** المرتبة **(العلية والمرتبة السنّية،)** مساوٍ حسنه اختلاف اللفظ، **(حتى يعرف اللّٰه تعالى، ويهتدي إليه بطريق توصله إليه،)** وهي اتباع الكتاب والسنّة، **(ويحرق ظلمات الطبع بأشعة،)** أي: أنوار **(البصيرة)**

التعلقات الفانية،ويدأب في تصحيح التوبة، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة، ثم يقوم حارسًا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها اللّه، ولا بخطرة فضول لا تنفعه، فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه، إلى فضاء الخلوة بربه وذكره ربه كما قال.

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالسر خاليًا

فحينئذٍ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه، فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول، واستولت روحانيته على قلبه، فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته، كما جعله اللّه نبيه ورسوله وهاديه، فيطالع سيرته ومبادىء أموره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه، ويقظته ومنامه، وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، إلى غير ذلك

للقلب، كالبصر للعين، (**فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب:**) يقبل (**إليها بكليته:**) جملته، (**ويزهد في التعلقات الفانية،**) كما في الحديث: أزهد في الدنيا يحبك اللّه، (**ويدأب**): يجهد ويتعب نفسه (**في تصحيح التوبة**)، المأمور به بها في ﴿توبوا إلى اللّه توبة نصوحًا﴾ [التحريم/٨] الآية، (**والقيام بالمأمورات الظاهرة**)، كالصلاة، (**والباطنة**)، كالحب للّه ولرسوله، (**وترك المنهيات الظاهرة**،) كالغيبة، (**والباطنة**،) كالحسد، (**ثم يقوم حارسًا على قلبه، فلا يسامحه بخطرة يكرهها اللّه**،) بل يتوب منها في الحال، (**ولا بخطرة فضول لا تنفعه**،) لأنه إذا سامحه من ذلك انتقل إلى ما فوقه، وهكذا، وإذا فعل ما ذكر، (**فيصفو لذلك قلبه بذكر، ومحبته والإنابة:**) الرجوع (**إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه، وذكره ربه كما قال:**)

(وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالسر خاليا)

فأراد الشاعر بالبيوت: الطبع والنفس، بدليل ترجيه لا البيوت الحقيقية، إذ لا اعتداد بالخروج منها مع بقاء الطبع، (**فحينئذٍ يجتمع قلبه وخواطره، وحديث نفسه على إرادة ربه، وطلبه، والشوق إليه، فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول، واستولت روحانيته على قلبه، فجعله إمامه**) الذي يقتدي به، (**وأستاذه**،) أي: معلمه، كلمة أعجمية، لأن السين والذال المعجمة لا يجتمعان في كلمة، ومعناها الماهر بالشيء العظيم، (**ومعلمه وشيخه وقدوته**)، ألفاظ متقاربة، (**كما جعله اللّه نبيه ورسوله وهاديه**،) الدال عليه، (**فيطالع سيرته ومبادىء**) أوائل

مما منحه اللّه به مما ذكرت بعضه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه، فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه، وماذا أريد بها، وحظه المختص به منها، من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة، فيجتهد في التخلص منها، كما يجتهد في تحصيل الشفاء من المرض المخوف.

ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات:

أعظمها الاقتداء به، واستعمال سنته، وسلوك طريقته، والاهتداء بهديه وسيرته، والوقوف عندما حدَّ لنا من أحكام شريعته.

قال اللّه تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه﴾ [آل عمران/٣١] فجعل متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة اللّه تعالى إياه،وقد قال الحكيم -وهو محمود الوراق-

---

(أموره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه،) رياضات نفسه ومحاسن أخلاقه (وحركاته وسكوته ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، إلى غير ذلك مما منحه،) أعطاه وخصه (اللّه به مما ذكرت بعضه) فيما سبق، (حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه، فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي، المنزل عليه من ربه، بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه، وماذا أريد بها، وحظه:) نصيبه (المختص به، منها من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة، فيجتهد في التخلص منها، كما يجتهد في تحصيل الشفاء من المرض المخوف،) بل أقوى للعاقل، لأن المرض كفارة، وهذه موبقة، (ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات) دالة عليها، (أعظمها الاقتداء به:) اتباعه (واستعمال سنّته،) أي: طريقته، فعطف (وسلوك طريقته) تفسيري وكذا، (والاهتداء بهديه وسيرته،) ولا ضير في ذلك، لأن المقام أطناب، وسنّته شاملة للتأسي به، في الاقتداء به في الشدائد والحروب وغيرهما، وليس مخصوصًا بالعبادات التي سنّها، (والوقوف عندما حد،) أي: قدر (لنا من أحكام شريعته،) سميت الأحكام حدًا، لمنعها عن الإقدام على ما يخالفها من قول أو فعل أو عزم، فالحد لغة المنع، فإذا أمر أو نهى، فقد منع من ضده.

(قال اللّه تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه﴾ [آل عمران/٣١]، (فجعل متابعة الرسول ﷺ آية،) أي: علامة (محبة العبد ربه، وجعل جزاء العبد على حسن

كما أفاده المحاسبي في كتاب «القصد والرجوع»:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة اللّٰه عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة. ومن أعظم مطالعة منة اللّٰه تعالى على عبده منة تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه ﷺ، وأصل هذا نور يقذفه اللّٰه تعالىٰ في قلب ذلك العبد، فإذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته، فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن، فعلت به همته، وقويت عزيمته، وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه، لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرح أحدهما الآخر، فوقعت

متابعة الرسول محبة اللّٰه تعالى إياه) وغفرانه، وأشار بحسن إلى أن مجرد الاتباع لا يكون علامة، إلا إذا كان على أكمل الوجوه، بحيث يتحقق فيه معنى حديث: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...الخ.

(وقد قال الحكيم): الذي ينطق بالحكمة، (وهو محمود) بن الحسن (الوراق، كما أفاده) الحارث بن أسد (المحاسبي،) بكسر السين لمحاسبته نفسه، أو لغير ذلك، مر ضبطه وبعض ترجمته قريبًا جدًا (في كتاب القصد والرجوع،) أحد تصانيفه، وهي نحو مائتين، وقال غيره إنه لمنصور الفقيه، بليغ، كان في أول الدولة العباسية: (تعصي الإله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري،) أي: حياتي (في القياس بديع:) غريب عجيب، مخالف لأنواع القياس، (لو كان حبك صادقًا لأطعته * إن المحب) بكسر الهمزة، لأنها تعليلية (لمن يحب مطيع،) لا يعصيه أصلاً، ويقع في بعض النسخ بيت ثالث، وهو هذا:

في كل يوم يبتديك بنعمة   منه وأنت لشكر ذاك تضيع

بضم الفوقية من أضاع، كذا إذا أهمله، وأكثر النسخ، كما في الشفاء بدون هذا الثالث، (وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد،) أي: نظره (منة اللّٰه:) نعمه التي أنعم بها (عليه) ومعرفة قدرها، وأنها لا تكون إلا منه، (من نعمه الظاهرة والباطنة،) بيان لمنة اللّٰه تعالى، (فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة، ومن أعظم مطالعة منّة اللّٰه تعالى على عبده، منّة) تمييز (تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه ﷺ، وأصل هذا نور يقذفه اللّٰه تعالى في قلب ذلك العبد، فإذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته، فرأى في نفسه) أمرًا عظيمًا، تقصر عنه العبارة، (و) رأى في (ما أهلت له من الكمالات والمحاسن) ما لا يمكنه التعبير عنه، فالمفعول محذوف فيهما، (فعلت به همته، وقويت عزيمته، وانقشعت:) انكشفت (عنه ظلمات نفسه وطبعه، لأن النور

الروح حينئذٍ بين الهيبة والأنس إلى الحبيب الأول.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معًا، ولا يتم الأمر إلا بهما، فليس الشأن أن تحب اللّه، بل الشأن أن يحبك اللّه، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوة، وآثرته طوعًا، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء.

والظلمة لا يجتمعان،) لا يدخل أحدهما على الآخر **(إلا ويطرح:)** يزيل ويذهب **(أحدهما الآخر، فوقعت الروح حينئذٍ بين الهيبة والأُنس إلى الحبيب الأول،)** يتنازعه كل من الهيبة والأَنس، ويحتمل تعلقه بوقعت، وبين الهيبة والأُنس حال، يعني أنه وقع بين أمرين متضادين، فالهيبة تقتضي الفزع والخوف ممن يهابه، والإِنس يقتضي انشراح النفس وانبساطها ممن تأنس به، وأنشد لغيره:

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول)
(كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل)

نقل (بالنون) ومن الهوى متعلق به، أي: نقل فؤادك وعلقه بمن تهوى من كل ما تميل نفسك إليه، فإنك وإن فعلت ذلك لا بدّ لك من الرجوع إلى الحبيب الأول، لمعرفة مقامه بالميل إلى غيره، **(وبحسب،)** أي: بقدر **(هذا الاتباع توجب)** (بضم التاء وفتح الجيم وموحدة)، أي: تحصل وتوجد **(المحبة والمحبوبية معًا، ولا يتم الأمر إلا بهما، فليس الشأن:)** الأمر العظيم المرتب عليه سائر الكمالات؛ **(أن تحب اللّه)** فقط، **(بل الشأن أن يحبك اللّه، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه)** ﷺ **(ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا،)** أي: فيما وصل إليك من أخباره، **(وأطعته أمرًا،)** أي: فيما أمر به، **(وأجبته دعوة،)** أي: أجبت دعوته حيث دعاك، **(وآثرته طوعًا،)** أي: فضلت طاعته وقدمتها على كل شيء، لأن من فضل شيئًا قدمه على غيره، فلا يرد أن معنى الإِيثار التفضيل، والمراد هنا التقديم، كقوله: ﴿يؤثرون على أنفسهم﴾ [الحشر/٩]، لأن التقديم لازم للتفضيل، فاللفظ هنا مستعمل فيهما، والأنصار لما فضلوا المهاجرين قدموهم على أنفسهم غاية التعظيم، حتى إن بعض من كان له زوجتان، عرض إحداهما على المهاجري الذي واخى المصطفى بينه وبينه، **(وفنيت عن حكم غيره،)** فلم تجعل لنفسك وجودًا، ولا انقيادًا له

وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿فاتبعوني يحببكم اللَّه﴾ [آل عمران/ ٣١] أي الشأن في أن اللَّه يحبكم، لا في أنكم تحبونه، وهذا لا ينالونه إلا باتباع الحبيب.

وقال المحاسبي في كتاب «القصد والرجوع»: وعلامة محبة العبد للَّه عز وجل اتباع مرضاة للَّه، والتمسك بسنن رسوله اللَّه ﷺ، فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان، ووجد طعمه، ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه، فاستحلى اللسان ذكر اللَّه تعالىٰ وما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعة اللَّه، فحينئذٍ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها، بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وتنعيمًا وسرورًا له، وقرة عين في حقه وتنعيمًا لروحه، يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية، فلا يجد في أوراد العبادة كلفة.

وفي الترمذي عن أنس مرفوعًا: ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني

(بحكمه،) فقصرت نفسك عليه، (وعن محبة غيره من الخلق) بحبه، (وعن طاعة غيره بطاعته) في أوامره ونواهيه، (وإن لم تكن كذلك، فلا تتعن) (بفوقيتين وعين مفتوحات وشد النون)، أي: لا تتعب نفسك في أمر تتوهم به الوصول إليه، (فلست على شيء) من المحبة، المقتضية لإقباله عليك، ورفعه إياك في المحل الأعلى، (وتأمل قوله تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم اللّه﴾، أي: الشأن) بالرفع بيان لحاصل المعنى (في أن اللّه يحبكم لا في أنكم تحبونه، وهذا لا ينالونه إلا باتباع الحبيب) عليه الصلاة والسلام.

(وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع: وعلامة محبة العبد للّه عزّ وجلّ اتباع مرضاة اللّه،) أي: رضاه، (والتمسك بسنن) جمع سنّة (رسول اللّه ﷺ، فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه) باتباع مرضاة اللّه والسنن، (ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه، فاستحلى اللسان ذكر اللّه تعالى، وما والاه) مما فيه طاعة للّه، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا إن أريد بالذكر ذكر اللسان، (وأسرعت الجوارح إلى طاعة اللّه، فحينئذٍ يدخل حب الإيمان في القلب، كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها، بل تبقى الطاعات غذاء) (بمعجمتين والمد) (لقلبه،) أي: كالغذاء له (وسرورًا له، وقرة عين في حقه، وتنعيمًا لروحه، يلتذ بها أعظم من اللذات الجثمانية) (بضم الجيم ومثلثة) نسبة إلى الجثمان، وهو الجثة.

وفي نسخة: بالسين والجيم مكسورة، أي: أعظم من اللذات الحاصلة للشخص من تناوله ما يلتذ به، (فلا يجد في أوراد العبادة كلفة).

كان معي في الجنة.

وعن ابن عطاء: من ألزم نفسه آداب السنة نور اللّه قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره ونواهيه، وأفعاله وأخلاقه.

وقال أبو إسحٰق الرقي ـ من أقران الجنيد ـ: علامة محبة اللّه إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ.

وعن غيره: لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة.

(**وفي الترمذي، عن أنس مرفوعًا،**) ولفظه: قال لي رسول اللّه ﷺ: إن قدرت أن تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال: يا بني، وذلك من سنّتي، (**ومن أحيا سنّتي،**) بالإفراد على الأشهر، وبالجمع، (**فقد أحبني،**) أي: علم محبته لي، أي: أظهرها وعمل بها وحث عليها، فشبه إظهارها بعد ترك الأخذ بها بالإحياء، ثم اشتق منه الفعل، فجرت الاستعارة في المصدر أصلية، ثم سرت إلى الفعل تبعًا، ولذا قالوا: السنن كسفينة نوح، اتباعها يدفع البلاء عن أهل الأرض، والسنّة إنما سنّها لما علم في خلافها من الخطأ والزلل، ولو لم يكن إلا أن اللّه وملائكته وحملة عرشه يستغفرون لمتبعها لكفى، فقد أحبني، أي: علم حبه لي، (**ومن أحبني كان معي في الجنة،**) لأن المرء مع من أحب.

وفي رواية، فقد أحياني ومن أحياني، أي: أظهر ذكري ورفع أمري، فجعله بمنزلة الإحياء، كما قيل:

ويحسبه قد عاش آخر دهره   إلى الحشر أن أبقى الجميل من الذكر

(**وعن**) أبي العباس أحمد بن محمد بن سهل (**بن عطاء**) الآدمي (بفتحتين)، تقدم (**من ألزم نفسه آداب السنّة، نور اللّه قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب**) للّه تعالى (**في أوامره ونواهيه، وأفعاله وأخلاقه**).

(**وقال أبو إسحٰق**) إبراهيم بن داود القصار (**الرقي،**) (بفتح الراء وشد القاف) نسبة إلى الرقة مدينة على طرف الفرات، من كبار مشايخ الشام، وصحب أكثر المشايخ بها، وكان ملازمًا للفقر، مجردًا فيه، محبًا لأهله، وقال: حسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وحرمة ولي، وقال: الأبصار قوية، والبصائر ضعيفة، وهو (**من أقران الجنيد**) وابن الجلاء، إلا أنه عمر طويلاً، حتى مات سنة ست وعشرين وثلاثمائة، (**علامة محبة اللّه إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ**) المتابعة التامة، (**وعن غيره لا يظهر،**) وفي نسخة: بالواو، أي: قال: ما مر عن الرقي وزاد، ولا يظهر (**على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنّة ومجانبة البدعة، فأما من أعرض عن الكتاب**

فأما من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علمًا لدنيا أوتيه فهو من لدن الشيطان، والنفس وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيًا بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى، فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد الرسول ﷺ.

وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر، يخرج عن الإسلام، موجب لإراقة الدم، والفرق: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته،

والسنّة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول،) أي: الأحاديث الواردة عنه **(عليه الصلاة والسلام،)** وعبر عنها بالمشكاة تشبيهًا لها بالكوة التي يصل النور منها إلى إنسان ببيت، إذا ورد عليه فيه انكشف ما كان خفيًا عنه بسببه، **(بدعواه علمًا لدنيا أوتيه، فهو من لدن الشيطان،)** أي: من عنده **(و)** من عند **(النفس، وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيًا بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى، فالعلم اللدني،)** الآتي لصاحبه من عند غيره **(نوعان:)**

أحدهما: **(لدني رحماني)** من عند الرحمٰن تبارك وتعالى، سمي لدنيا لحصوله من الله، لا من كسب العبد **(و)** ثانيهما: **(لدني شيطاني)** من عنده لعنه الله **(والمحك)** (بالكاف) المميز لذلك **(هو الوحي، ولا وحي بعد الرسول ﷺ)**، فما وافقه كان لدنيا رحمانيًا وما لا فشيطانيًا.

قال الجنيد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة، قال ابن عربي: يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما، وهما الشاهدان العدلان.

وفي نسخة: المحل باللام، أي: الذي يتلقى منه العلم عن الله هو الوحي، أي: الكتاب والسنّة فما تلقى عن غيرهما، ولم يخرج على قواعدهما، فهو من وسوسة الشيطان، يجب صرفه حالاً، والحكم بأنه ليس من الله، **(وأما قصة موسى مع الخضر،)** وقوله تعالى: ﴿وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا﴾ [الكهف/٦٥]، **(فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد، وكفر يخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم)**.

وهذا جواب سؤال هو، لا يلزم أن ما أخذ من غير الوحي يكون من الشيطان، لجواز أنه علم غيبي من الله به على عبده، فأوصله إليه من غير طريق الوحي، بدليل قصة الخضر.

(و) الجواب: **(الفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن**

ولو كان مأمورًا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه. ولهذا قال له: أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه.

فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة، فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء اللّٰه تعالى.

وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه.

والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم. عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب، وقد سئل: هل خصكم رسول اللّٰه ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا، إلاَّ فيهما يؤتيه اللّٰه عبدًا في كتابه. فهذا هو العلم اللدني الحقيقي.

الخضر مأمورًا بمتابعته، و) دليل ذلك أنه (**لو كان مأمورًا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسىٰ، ويكون معه،**) ولم يفعل، لأنه لم يؤمر بذلك، (**ولهذا قال له: أنت موسى نبي بني إسرائيل؟، قال: نعم،**) فرسالته خاصة بهم، (**ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه،**) كما في الحديث، (**فمن ادعى أنه مع محمد، كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة، فليجدد إسلامه،**) لكفره بهذه الدعوى، (**وليشهد شهادة الحق،**) أي: يعتقد خلاف دعواه باطنًا، ويأتي بالشهادتين ظاهرًا ليعود إلى الإسلام، (**فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء اللّٰه تعالى، وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه**) في الضلال والإضلال.

(**والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية، والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنّة، بأمر يختص به صاحبه، كما قال علي بن أبي طالب**) أمير المؤمنين، (**وقد سئل،**) والسائل له أبو جحيفة، كما في الصحيح، وقيس بن عباد (بضم العين وخفة الموحدة)، والأشتر النخعي، وحديثهما في سنن النسائي: (**هل خصكم**) أهل البيت النبوي، أو الجمع للتعظيم (**رسول اللّٰه ﷺ بشيء دون الناس**) من أسرار

فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض النفوس، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين.

ومن علامات محبته: أن يرضى مدعيها بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضى. قال اللّٰه تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾** [النساء/٦٥] ، فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجًا من قضائه ولم يسلم له.

قال شيخ المحققين وإمام العارفين، تاج الدين بن عطاء اللّٰه الشاذلي - أذاقنا

علم الوحي، كما تزعم الشيعة، **(فقال: لا إلا فهما يؤتيه اللّٰه عبدًا في كتابه)** القرآن من فحوى الكلام، ويدركه من باطن المعاني التي هي غير الظاهر من نصه، ومراتب الناس في ذلك متفاوتة، وفيه جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه، ما لم يكن منقولاً عن المفسرين إذا وافق أصول الشريعة، **(فهذا هو العلم اللدني الحقيقي، فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض النفوس)** جمع روضة، وهي الموضع المعجب بالزهور، جعل اتباعه كرياض مزهرة مثمرة للنفوس، الالتذاذ بها كلذة رائي الرياض بها، **(ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها،)** عبر به دون محب، لأنه إذا ثبت أنه محب لا يحتاج لعلامة **(بما شرعه)** ﷺ أمراً ونهيًا، سماه شارعًا لمجيئه على يده وتبليغه، وإن كان الشارع حقيقة هو اللّٰه تعالى.

وفي نسخة: بما شرعه اللّٰه، أي: ما جاء به رسوله وبلغه، لقوله: ﴿بلغ ما أُنزل إليك من ربك﴾ [المائدة/٦٧]، فمآلهما واحد، لكن الأولى أنسب بما الكلام فيه، **(حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضى)**، أي: ضيقًا أو شكًا.

(قال اللّٰه تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾،) لا مزيدة للتأكيد، ونفي لما تقدمها، أي: ليس كما زعموا أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وقيل: لا الثانية زائدة، والقسم معترض بين حرفي النفي **(﴿حتى يحكموك﴾،)** أي: يرجعوا لحكمك ويرضوا به **(﴿فيما شجر بينهم﴾)** من المشاجرة، وهي المخاصمة، وأصل معناه الاختلاط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها، **(﴿ثم لا يجدوا في أنفهسم حرجًا مما قضيت﴾)** ضيقًا مما حكمت به، أو من حكمك أو شكا من أجله، فإن الشاك في ضيق من أمره **(﴿ويسلموا تسليمًا﴾)** [النساء/٦٥]، أي: ينقادوا لحكمك، وأكده ليفيد الانقياد ظاهرًا، وباطنًا **(فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجًا من قضائه ولم يسلم له،)** بقوله: لا يؤمنون.

اللَّه حلاوة مشربه: في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم اللَّه ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً، وأخذًا وتركًا، وحبًا وبغضًا، ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف، والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما.

فأحكام التكليف، الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد.

وأحكام التعريف، هو ما أورده عليه من فهم المراد.

فتبين من هذا: أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بالأمرين الامتثال لأمره، والاستسلام لقهره.

ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم، أو حكم ووجد

(**قال شيخ المحققين وإمام العارفين:**) جمع عارف، وهو من أشهده الحق نفسه وظهرت عليه الأحوال والمعرفة، حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده أعلى مقامًا من العارف خلافًا للأكثر، فإن العالم من أشهده اللَّه ألوهيته ولم يظهر عليه حال العلم حاله، وقد قرر ذلك في الفتوحات وكتاب مواقع النجوم.

وفي نسخ المعرفين: وهي أبلغ، لأنه الدال على ما يوصل إلى ذلك، فيلزم أن يكون عارفًا، وتلميحًا بقول شيخه المرسي: لأجعلنك سيد الطريقتين، (**تاج الدين**) أحمد بن محمد بن عبد الكريم (**بن عطاء اللَّه الشاذلي**) السكندري، ثم المصري، وبها مات سنة تسع وسبعمائة، ودفن بالقرافة بقرب بني الوفاء، ومن نظمه:

أعندك عن ليلى حديث محرر ... لا يراده يحيا الرميم وينشر

فعهدي بها العهد القديم وإنني ... على كل حال في هواها مقصر

(**أذاقنا اللَّه حلاوة مشربه**) في كتاب التنوير في إسقاط التدبير، (**في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم اللَّه ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً، وأخذًا وتركًا، وحبًا وبغضًا، ويشتمل ذلك**) المذكور (**على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم**) مبتدأ، (**والانقياد**) عطف كائن (**على كل مؤمن في كليهما،**) أي: حكمي التكليف والتعريف، (**فأحكام التكليف الأوامر والنواهي، المتعلقة باكتساب العباد،**) أي: ما دل على الأحكام المستفادة منهما، إذ الأوامر ليست هي الأحكام التي يأتي بها المكلف، لأنه إنما يأتي بالمأمور، (**وأحكام التعريف هو ما أورده عليه من فهم المراد، فتبين من هذا؛ أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بالأمرين: الامتثال لأمره والاستسلام لقهره،**) أي: لما قهرك

الجرح في نفسه، حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله ﷺ رأفة وعناية وتخصيصًا ورعاية، لأنه لم يقل: فلا والرب، وإنما قال: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ ففي ذلك تأكيد بالقسم، وتأكيد في القسم، علمًا منه سبحانه بما في النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها، وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله ﷺ، إذ جعل حكمه حكمه، وقضاءه قضاءه، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه، والانقياد لأمره، ولم يقبل منهم الإيمان بإلٰهيته حتى يذعنوا لأحكام رسوله ﷺ، لأنه كما وصفه به ربه ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ [النجم/٣]، فحكمه حكم الله، وقضاؤه قضاء الله، كما قال: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ [الفتح/١٠] وأكد ذلك بقوله: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾.

عليه وألزمك به من المطلوبات والمنهيات، (**ثم أنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم، أو حكم ووجد الحرج في نفسه،**) بل بالغ في ذلك (**حتى أقسم على ذلك،**) فهو غاية لمقدر (**بالربوبية الخاصة برسوله،**) أي: المضافة إليه (ﷺ،) وجعلها خاصة به، لأن الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وهي وإن كانت شاملة لجميع العالمين، لكن تربية الحق لحبيبه لا يوازيها تربيته لغيره، لأنه بلغه أعلى الكمالات التي لم يبلغها لأحد سواه (**رأفة وعناية،**) اهتمامًا (**وتخصيصًا ورعاية، لأنه لم يقل: فلا والرب، إنما قال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾، ففي ذلك تأكيد**) لما أخبر به (**بالقسم، وتأكيد في القسم**) نفسه، بإضافة ربوبيته إليه، تعظيمًا له وتنويهًا لمقامه، وإنما أكد بذلك (**علمًا منه،**) أي: لعلمه (**سبحانه بما في النفوس، منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة**) على غيرها.

(سواء كان الحق عليها أو لها، وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله ﷺ، إذ جعل حكمه حكمه، **وقضاءه قضاءه**)، عطف مساوٍ للإشارة إلى أن مدلول «يحكموك» و«قضيت» واحد، (**فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره**) عطف تفسير.

قال في الشفاء: يقال: سلم واستسلم وأسلم، إذا انقاد (**ولم يقبل منهم الإيمان بإلهيته**)، أي: بأنه إلٰه، (**حتى يذعنوا:**) ينقادوا (**لأحكام رسوله ﷺ، لأنه كما وصفه به ربه**) تبارك وتعالى، حيث قال، أو قائلاً: (﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾،) أي: هوى نفسه (﴿**إن**﴾) ما (﴿**هو إلا وحي يوحى**﴾ **فحكمه حكم الله، وقضاؤه قضاء الله، كما قال: ﴿إن الذين يبايعونك إنما**

وفي الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره، وتفخيم أمره ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿وربك﴾ فأضاف نفسه إليه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كهيعص، ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [مريم/ ١- ٢] فأضاف الحق سبحانه نفسه إلى محمد ﷺ، وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين.

ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم بالظاهر فيكونوا به مؤمنين، بل اشترط فقدان الحرج - وهو الضيق - من نفوسهم في أحكامه ﷺ، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها، وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار، ووجود الأغيار، فعنه يكون الحرج وهو الضيق، والمؤمنون ليسوا كذلك، إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت، فكانت واسعة بنور الواسع العليم، ممدودة بوجود فضله العظيم، مهيآت لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه. انتهى.

يبايعون الله﴾،) لأنه المقصود ببيعته، **(وأكد ذلك بقوله ﴿يد الله فوق أيديهم﴾،)** حال واستئناف مؤكد له على سبيل التخييل، قاله البيضاوي **(وفي الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره وتفخيم أمره ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿وربك﴾، فأضاف نفسه)** تعالى **(إليه)** عليه الصلاة والسلام، **(كما قال في الآية الأخرى: ﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾، فأضاف الحق سبحانه نفسه)** في الآيتين **(إلى محمد ﷺ،)** فقال في الأولى: وربك، وفي الثانية: ربك، **(وأضاف زكريا إليه،)** لأنه بدل من عبده أو بيان له، فكان المعنى: ذكر رحمة ربك زكريا، الذي هو عبده، **(ليعلم)** (بضم التحتية وسكون العين وكسر اللام) الله **(العباد، فرق ما بين المنزلتين،)** منزلة نبينا ومنزلة زكريا، فإن في إضافة رب إلى المصطفى غاية التعظيم، **(وتفاوت ما بين الرتبتين)** عطف تفسير، فالرتبة لغة المنزلة والمكانة، **(ثم أنه تعالى لم يكتف بالتحكيم بالظاهر، فيكونوا به مؤمنين، بل اشترط فقدان الحرج، وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه ﷺ، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها،)** والثاني ظاهر، وأما الأول، فلأنه لا يلزم من كون الحكم موافقًا لهواه أن لا يشق عليه لما في الإلزام به من مشقة التكليف المترتب على فعله أو تركه عقوبة لا العفو، ويقرب ذلك أن الرجل قد يهوى زواج امرأة، لكن يمنعه كثرة نفقتها مثلاً، فإلزامه بتزوجها وإن وافق هواه، لكنه يشق عليه، فإذا أخذها للأمر ناله حرج في نفسه، **(وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار، فعنه،)** أي: عما ذكر من الأمرين **(يكون الحرج، وهو الضيق، والمؤمنون ليسوا كذلك، إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت، فكانت واسعة بنور الواسع)** الذي وسع علمه ورحمته كل شيء،

وقال سهل بن عبد اللَّه: من لم ير ولاية الرسول ﷺ عليه في جميع أحواله، ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته، لأنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه».

وروينا عن السيد العارف بالله تعالى الكبير أبي عبد اللَّه القرشي أنه قال: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، ولا يبقى لك منك شيء. انتهى.

فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه، كشف اللَّه له عن حضرة قدسه، ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقائق أسرار أنسه.

أو الغني الذي وسع غناه معاش عباده، ورزقه كافة خلقه، (**العليم**) لكل معلوم، أو البالغ في العلم، فعلمه شامل لجميع المعلومات، محيط بها، سابق على وجودها، (**ممدودة**) أي: مقواة في أنفسها (**بوجود فضله العظيم**) زيادة على إشراقها بأنوار قدسه، مأخوذ من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه، (**مهيآت لواردات أحكامه**،) وهي ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير عمل العبد، وتطلق أيضًا على كل ما يرد على القلب، سواء كان وارد قبض، أو بسط، أو حزن، أو فرح، أو غير ذلك من المعاني، قاله الكاشي: (**مفوضة له في نقضه وإبرامه انتهى**) كلام ابن عطاء اللَّه.

(**وقال سهل بن عبد اللَّه**) التستري: (**من لم يرَ**) اي: يعلم ويتيقن (**ولاية الرسول ﷺ**،) بفتح الواو وكسرها نفوذ حكمه وسلطانه (**عليه في جميع أحواله**،) بأن لا يخالفه في أمر من الأمور، (**ويرَ نفسه في ملكه**،) بكسر الميم حتى كأنه مملوكه، (**لم يذق حلاوة سنّته، لأنه ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم**،) أي: لا يكمل إيمانه (**حتى أكون أحب إليه من نفسه**،) فإنه يدل على تلذذه بالاقتداء به، وإنما يلتذ بذلك إذا أحبه، فإن المحب لا يخالف محبوبه، فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الأحبية، وطابقت العلة معلولها.

(**وروينا عن السيد العارف باللَّه تعالى، الكبير**) محمد بن أحمد بن إبراهيم (**أبي عبد اللَّه القرشي**،) الأندلسي، ثم المصري، ثم المقدسي، وبه توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة، والدعاء عند قبره مجاب، ولقي نحو ستمائة شيخ، وجد واجتهد، وأخذ عنه كثيرون، وله كرامات؛ (**أنه قال: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، ولا يبقى لك منك شيء. انتهى**).

وهو من ثمراتها وعلاماتها، (**فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه**) بأن قدم ما فيه رضاه، بامتثال أمره واجتناب نهيه، مطمئنًا بقبول ما جاء عنه زيادة على الإيمان، (**كشف اللَّه له**

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل، والذب عن شريعته، والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار، والحلم والصبر والتواضع وغيرها، مما ذكرته في أخلاقه العظيمة، وتقدم في كلام العارف ابن عطاء اللّه مزيد لذلك قريبًا. فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدها استلذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وآثر ذلك على أغراض الدنيا الفانية يا هذا أول نقدة من أثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس الجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تاللّه ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد أسيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر الباطلون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنًا فدارت السلعة

عن حضرة قدسه،) فصار يعبد اللّه كأنه يراه، **(ومن كان معه بلا اختيار)** لشيء تميل إليه نفسه، مخالف لما طلب منه، **(ظهرت له خفايا: حقائق أسرار أنسه، ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل،)** مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة اللّه **(والذب:)** (بمعجمة وموحدة) المنع والطرد **(عن شريعته)** برد ما يخالفها ودفع الشبه الواردة عليها، وتفسير أحاديثه وبيانها، والانقياد لها، **(والتخلق بأخلاقه في الجود،)** فقد كان أجود الناس، **(والإيثار)** تقديم الغير عليه في أمور الدنيا، **(والحلم، والصبر، والتواضع،)** فقد بلغ في كل منها الغاية القصوى، أفلا أقل من التخلق به في بعضها:

ومتى تفعل الكثير من الخير إذا كنت تاركًا لأقله

(وغيرها مما ذكرته في أخلاقه العظيمة، وتقدم في كلام العارف ابن عطاء اللّه مزيد لذلك قريبًا) جدًا فوق هذا، **(فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدها استلذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وآثر ذلك على أعراض الدنيا الفانية، يا هذا أول نقدة من أثمان المحبة بذل الروح)**.

سئل الجنيد عن العشق، فقال: لا أدري ما هو، لكن رأيت رجلاً أعمى عشق صبيًا، وكان الصبي لا ينقاد له، فقال الأعمى: يا حبيبي إيش تريد مني؟، قال: روحك، ففارق روحه حالاً، **(فما للمفلس الجبان)** ضعيف القلب **(وسومها:)** طلب شرائها **(بدم المحب، يباع وصلهم)** الأحباب، **(تاللّه ما هزلت:)** ضعفت، **(فيستامها،)** يقال: سام واستام، بمعنى **(المفلسون، ولا كسدت)** (بفتحتين)، لم تنفق لقلة الرغبات فيها، **(فينفقها:)** يروجها **(بالنسيئة)** التأخير **(المعسرون)** الفقراء، **(لقد أسيمت للعرض في سوق من يزيد، فلم يرض لها بثمن دون بذل**

بينهم ووقعت في يد قوم ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة/ ٥٤].

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لا دعى الخلي حرفة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قل ان كنتم تحبون اللّٰه فاتبعوني يحببكم اللّٰه﴾[آل عمران/٣١] فتأخر أكثرهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية ﴿يجاهدون في سبيل اللّٰه ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة/ ٥٤] فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم: أن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة ﴿إن اللّٰه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة/١١١] فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من أجرى على يده عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وإن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان، من غير ثبوت خيار، وقالوا: واللّٰه لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: قد صارت

النفوس،) إعطائها بسماحة، **(فتأخر البطالون، وقام المحبون ينظرون، أيهم يصلح أن يكون ثمنًا، فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد قوم أذلة،)** عاطفين **(على المؤمنين، أعزة)** أشداء **(على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطي الناس بدعواهم لادعى الخلي)** من المحبة، **(حرفة)** بالكسر اسم من الاحتراف الاكتساب **(الشجي)** الحزين، **(فتنوع المدعون في الشهود،)** كل بما قدر عليه، فتعارضت الشهادة، **(فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة،)** بإضافته إلى قوله: **(﴿قل إن كنتم تحبون اللّٰه فاتبعوني يحببكم اللّٰه﴾** [العمران/٣١]، **فتأخر أكثرهم)** لعدم اتباعه الكامل، **(وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة،)** المذكورة **(بتزكية ﴿يجاهدون في سبيل اللّٰه ولا يخافون لومة لائم﴾)** فيه، **(فتأخر أكثر المحبين)** لمشقة الجهاد عليهم، **(وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا:)** أقبلوا **(إلى بيعة ﴿إن اللّٰه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾)** بأن يعذلوها في طاعته، **(فلما عرفوا عظمة المشتري)** سبحانه وتعالى، **(وفضل الثمن، وجلالة من أجرى على يده)** ﷺ **(عقد التبايع، عرفوا قدر السلعة)** المشتراة، **(وأن لها شأنًا:)** أمرًا عظيمًا، **(فرأوا من أعظم الغبن: أن يبيعوها لغيره بثمن بخس)** ناقص، **(فعقدوا معه بيعة الرضوان من غير ثبوت خيار)**، بل بتًا،

نفوسكم وأموالكم لنا، رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله**﴾ [آل عمران/١٦٩].

ومن علامات محبته ﷺ التسلي عن المصائب، فإن المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد من مسها ما يجده غيره، حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بخظوظه وشهواته، والذوق والوجد شاهد بذلك. فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فإذا فقد تلك الحلاوة اشتاق إلى ذلك الكرب كما قيل:

تشكى المحبون الصبابة ليتني نُحلت بما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

(**وقالوا: والله لا نقيلك:**) لا نرفع العقد، (**ولا نستقيلك:**) لا نطلب منك الإقالة، (**فلما تم العقد وسلموا المبيع**) للمشتري، (**قيل لهم: قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا، رددناها عليكم أوفر:**) أزيد (**ما كانت، وأضعافها معها** ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله**﴾) [آل عمران/١٦٩].

وهذا شذا عبقة صوفية على طريقهم في استخراجهم معاني من النصوص بحسب مشربهم مع بقاء النصوص على مدلولاتها، ولا ضير فيه، أوردها المصنف كعادته تذكيرًا وحثًا على مزيد الاتباع، (**ومن علامات محبته ﷺ التسلي:**) التصبر (**عن المصائب**) مع سكون وطيب نفس بها، ولذا قال أبو زيد: السلو طيب نفس الألف عن ألفه أي: فلا يتأثر بفراقه ولا بالبعد عنه (**فإن المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب**) الشدائد النازلة، (**ولا يجد من مسها ما يجد غيره، حتى كأنه قد اكتسى طبيعة:**) خلقة (**ثانية ليست طبيعة الخلق**) الذي خلق عليه، (**بل يقوي سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب**) التذاذًا (**أعظم من التذاذ الخلي**) منها (**بحظوظه وشهواته، والذوق**) إدراك فهم الشيء، (**والوجود شاهد بذلك، فكرب المحبة،**) أي: صاحبها (**ممزوج بالحلاوة، فإذا فقد تلك الحلاوة اشتاق إلى ذلك الكرب،**) يعني: أنه لما اعتاده من اللذة التامة وشهود القرب عند المصائب إذا رأى من نفسه توانيًا، شهد أن سببه انقطاع المصائب عنه، (**كما قيل: تشكى**) بزنة تفعل (**المحبون الصبابة:**) الشوق، أي: أظهروا الشكاية مما أصابهم من ألمها، (**ليتني نحلت،**) بضم النون وكسر الحاء

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره.

ولبعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب، ولآخر: ذكر المحبوب على عدد الأنفاس.

ولغيره: للمحب ثلاث علامات: أن يكون كلامه ذكر المحبوب، وصمته فكرًا فيه، وعمله طاعة له.

وقال المحاسبي: علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام، لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون، وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً، ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم، وما تلذذ

أعطيت، وضمنه معنى أصبت، فعداه بالباء في قوله: (**بما يلقون**) من ألم الصبابة (**من بينهم وحدي**) منفردًا عنهم، فلا يشاركني منهم أحد، ويحتمل فتح الحاء في نحلت، أي: سقمت بسبب ما ألاقيه من الصبابة دونهم، (**فكانت لقلبي لذة الحب،**) المترتبة على حصول المكاره والمصائب، الناشئة من الحب (**كلها، فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي،**) أي: لم يشاركني فيها أحد، تقدم عليّ ولا تأخر، (**ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره**) ومنه الصلاة عليه، وبه علم شرف أصحاب الحديث لكثرة قولهم ﷺ: (**فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره**).

كما ورد مرفوعًا، (**ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب**) هذا من ثمراتها، إلا أنه حقيقتها، أشار له عياض، (**ولآخر،**) أي: لبعض آخر المحبة (**ذكر المحبوب على عدد الأنفاس،**) وهو بمعنى ما قبله، (**ولغيره: للمحب ثلاث علامات: أن يكون كلامه ذكر المحبوب، وصمته فكرًا فيه، وعمله طاعة له،**) والثلاثة علامة المحب الصادق.

(**وقال المحاسبي: علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام،**) لأنه لا يلزم من الكثرة الدوام، (**لا ينقطعون ولا يملون:**) يسأمون، (**ولا يفترون**) عنه، بحيث يصير لهم كالنفس، لا يشغل عنه شاغل.

(**وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره،**) وهو حديث مرفوع، رواه أبو نعيم والديلمي عن عائشة، فالمعنى أجمعوا على العمل به، (**فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين، لا يريدون به بدلاً:**) عوضًا، (**ولا يبغون:**) لا يطلبون (**عنه حولاً،**) تحولاً

المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب. انتهى.

فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات، وانقطعت أوهامهم عن عارض دوام الشهوات ، ورقت إلى معادن الذخائر وبغية الطلبات، وربما تزايد وجد المحب، وهاج الحنين وباح الأنين، وتحركت المواجيد، وتغير اللون، واسترسلت الجوارح، وفتر البدن واقشعر الجلد، وربما صاح، وربما بكى، وربما شهق وربما وَله وربما سقط، ولسيدي محمد وفى:

وإذا أباح دم المهجور هاجره ... باح المحب بما تخفي ضمائره
أيكتم الحب صب باح مدمعه ... لما جرى بالذي تخفي سرائره
كأنما قلبه أجفان مقلته ... ودمعه في أماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى ... عليه في حكمه قد جار جائره

إلى غيره، **(ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم، وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب. انتهى)**. قول المحاسبي:

(فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات،) متعلق باشتغلت **(وانقطعت أوهامهم عن عارض دوام الشهوات، ورقت:)** ارتفعت **(إلى معادن الذخائر،)** بمعجمتين جمع ذخيرة، ما يدخر لوقت الحاجة، **(وبغية)** (بضم الموحدة ومعجمة) **(الطلبات،)** جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات، **(وربما تزايد وجد المحب، وهاج الحنين:)** الشوق، **(وباح الأنين:)** الصوت، **(وتحركت المواجيد)** (بالجيم)، **(وتغير اللون، واسترسلت الجوارح، وفتر البدن، واقشعر الجلد:)** أخذته قشعريرة، أي: رعدة، **(وربما صاح، وربما بكى، وربما شهق،)** بفتح الهاء ردد نفسه مع سماع صوته، **(وربما وله،)** بكسر اللام، وفي لغة قليلة بفتحها ذهب عقله **(وربما سقط،)** وكل ذلك من الأحوال الواردة عليه، **(ولسيدي محمد وفى،)** العارف، الكبير العلم الشهير، مر بعض ترجمته:

(إذا أباح دم المهجور هاجره ... باح المحب بما تخفي ضمائره)
أيكتم الحب صب باح مدمعه ... لما جرى بالذي تخفي سرائره)

لما بالفتح والتشديد، أي: حين، والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يمكنه ذل

(كأنما قلبه أجفان مقلته ... ودمعه في أماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى ... عليه في حكمه قد جار جائره

جيرة جمع جار، وهو الذي يجير غيره، أي: يؤمنه مما يخاف، ويجمع أيضًا على جيران

آه وكم لي على خطب الهوى خطب من الغرام به تعلو منابره
مهفهف أبلج بدر على غصن تخفى البدور إذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج مورد آسه تزهو زواهره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله.

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره، وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه، فكل من أحب شيئًا خضع له،

وأجوار، ويوجد في نسخة: هلا جيرة، بالفتح والتشديد حرف تحضيض:

(آه وكم لي على خطب الهوى خطب من الغرام به تعلو منابره)

آه بالمد وكسر الهاء كلمة توجع، أي: وجعي عظيم وتندمي زائد، وخطب: بفتح فسكون أمر شديد ينزل، جمعه خطوب وخطب، بضم، ففتح جمع خطبة بالضم والغرام الولوع:

(مهفهف أبلج بدر على غصن تخفي البدور إذا لاحت بوادره)

مهفهف، أي: خميص البطن، دقيق الخصر، وأبلج: بموحدة وجيم واضح الجبين، والبوادر: جمع بادرة بموحدة اللحمة بين المنكب والعنق، ومن الإنسان اللحمتان فوق الرغثاوين، كما في القاموس:

(مطرز الخد بالريحان في ضرج، مورد آسه تزهو زواهره)

ضرج بفتح المعجمة والراء وجيم، أي: حمرة، وذكر المصنف في المقصد الثالث باللام ثلاثة أبيات، هي:

جبينه مشرق من فوق طرته يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته من فوق نونانها سينا ضفائره

والثالث قوله هنا:

(مكمل الخلق ما تحصى خصائصه منضر الحسن قد قلت نظائره)

قلت: أي: عدمت، فإن قل يستعمل بمعنى النفي، كقل رجل يقول كذا، أي: ما يقوله، **(وربما زاد الوجد على المحب فقتله)** ويقع في نسخ هنا أول نقدة من إيمان المحبة، إلى قوله أعزة على الكافرين، وهي محض تكرار، **(ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره)** بالثناء عليه بما هو أهله، وكثرة الصلاة عليه ﷺ، **(وإظهار الخشوع والخضوع:)** الذلة والاستكانة، عطف تفسير للخشوع **(والانكسار:)** التواضع والتذلل، **(مع سماع اسمه،)**

كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة له وشوقًا إليه وتهيبًا وتوقيرًا .

قال أبو إبراهيم التجيبي: واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذكر عنده، أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله، بما كان يأخذ به نفسه ويلزمها لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا اللّٰه به.

وكان أيوب السختياني إذا ذكر النبي ﷺ عنده بكى حتى نرحمه.

والثلاثة المذكورة من عطف الأخص على الأعم لدخول كل منها في تعظيمه، **(فكل من أحب شيئًا خضع له، كما كان كثير من الصحابة بعده، إذا ذكروه خشعوا،)** أي: أظهروا الخشوع والتذلل، استدلال على ما قبله وتمثيل له، **(واقشعرت جلودهم:)** أخذتها رعدة، **(وبكوا)** حزنًا لفراقه وشوقًا للقائه، **(وكذلك كان كثير من التابعين)** لهم بإحسان، **(فمن بعدهم يفعلون ذلك)** المذكور، أي: يتصفون به، أو نسب الفعل إليهم مجازًا، وإلا فالخشوع ونحوه ليس من فعلهم، **(محبة له وشوقًا إليه،)** تمييزًا ومفعول له، أي: من محبته وشوقه، أو لأجلهما، **(وتهيبًا:)** خوفًا من التقصير في حقه، **(وتوقيرًا:)** إجلالاً وتكريمًا.

(قال أبو إبراهيم:) إسحٰق بن إبراهيم الإمام في الحديث، **(التجيبي،)** بضم التاء عند المحدثين وكثير من الأدباء، وفتحها غيرهم وبكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة نسبة إلى تجيب قبيلة من كندة، **(واجب على كل مؤمن متى ذكره)** ﷺ **(أو ذكر عنده،)** وسمعه وخصه، لأن الكافر لا يجب عليه، أو يجب بناءً على خطابه بفروع الشرع، بمعنى عقابه في الآخرة، **(أن يخضع)** بيدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح، **(ويخشع،)** وهو ويخضع متقاربان، كما قاله الراغب، وقيل: الخشوع أعم، لأنه يوصف به القلب والجماد، كترى الأرض خاشعة، ولا يخفى أنه مجاز، لا يدل على مدعاه، **(ويتوقر)** أي: يحاول اتصافه بالوقار الحلم والرزانة **(ويسكن من حركته، ويأخذ:)** يشرع **(في هيبته:)** إظهار مهابته عنده، **(وإجلاله)** تعظيمه حق تعظيمه **(بما كان يأخذ به نفسه،)** أي: يكافئها **(ويلزمها)** مفعول يأخذ، أو وتأكيد للضمير في به **(لو كان بين يديه)** ﷺ حاضرًا في مجلسه، فيفرض ذلك، ويلاحظه ويتمثله، حتى كأنه عنده، **(ويتأدب بما أدبنا اللّٰه به،)** مثلاً، لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية: ﴿ولا ترفعوا أصواتكم﴾ [الحجرات/٢]، وغيرهما مما تقدم لدخوله في عمومه، وإطلاقه وإن لم يكن صريحًا في القرآن، **(وكان أيوب)** بن أبي تميمة كيسان **(السختياني،)** بفتح المهملة، وإسكان المعجمة، وكسر الفوقية وفتحها، وفتح التحتية، فألف، فنون نسبة إلى السختياني، وهو جلود

وكان جعفر بن محمد كثير الدعاية والتبسم، وإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر لونه.

وكان عبد الرحمٰن بن القٰسم إذا ذكر النبي ﷺ ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول ﷺ.

وكان عبد اللّٰه بن الزبير إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في

الضأن أبو بكر البصري، ثقة، ثبت، حجة، من كبار الفقهاء العباد، مات سنة، إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة (**إذا ذكر النبي ﷺ عنده بكى**) خوفًا من تقصيره في اتباعه ولإجلاله، ويذكر مهابته حتى كأنه يراه (**حتى نرحمه**) أي: ترق قلوبنا رحمة له لما حصل له من كثرة التعب، وهذا قول لملك، ففي الشفاء قال لملك: وقد سئل عن أيوب السختياني، ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وحج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.

وقال مصعب بن عبد اللّٰه: كان لملك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه حتى يصعب على جلسائه، فقيل: له في ذلك، فقال: له في ذلك، فقال: لو رأيتم ما أنكرتم على ما ترون، لقد رأيت محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد، فاختصر هذا بقوله: (**وكان جعفر**) الصادق (**بن محمد**) الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (**كثير الدعابة**) بضم الدال وعين مهملتين، فألف، فموحدة: ما يستحلي من المزاح (**والتبسم**) أقل الضحك، (**و**) مع ذلك، (**إذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر لونه**) مهابة وإجلالاً.

قال لملك: وما رأيته يحدث عن رسول اللّٰه ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال، إما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآن، وكان من العلماء، ومن العباد الذين يخشون اللّٰه تعالى، (**و**) لقد (**كان عبد الرحمٰن بن القٰسم**) بن محمد بن أبي بكر الصديق، (**إذا ذكر النبي ﷺ ينظر إلى لونه كأنه قد نزف**) (بفتحتين) خرج (**منه الدم**) بكثرة، وفي النسيم نزف مبني للمجهول، أي: سال فيه تسمح أو تقدير، إذ اللون لا ينزف، والمراد أنه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة، لأن حمرة البشرة بما تحتها من الدم، وتوهم بعضهم إن معناه احمر خجلاً، اعترض بأن المناسب لقوله (**وقد جف لسانه في فمه**) الإصفرار لا الإحمرار، ثم قال: ولعله يحصل له حالة خجل، ثم حالة خوف، وهو من عدم التأمل، فجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (**هيبة لرسول اللّٰه ﷺ**) مفعول له لما قبله، وقيل: لمقدر ليتحد فاعلاهما، ولا حاجة إليه وإن جاز، (**وكان عبد اللّٰه بن الزبير**) الذي في الشفاء عن لملك، ولقد كنت آتي

عينيه دموع.

وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنك ما عرفته ولا عرفك.

وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركوه.

وكان قتادة إذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه العويل والبكاء والزويل.

أشار إلى ذلك القاضي عياض.

ومن علامات محبته ﷺ كثرة الشوق إلى لقائه، إذ كل حبيب يحب لقاء

عامر بن عبد اللّه بن الزبير، ف(**إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع**) لبكائه شديدًا، (**وكان الزهري**) محمد بن مسلم بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن شهاب، ولفظ لملك: ولقد رأيت الزهري، وكان (**من أهنأ الناس،**) أي: أشدهم هناءً، أي: سهولة، وحسن خلق، ولين عريكة، مستعار من هنؤ الطعام إذا ساغ وسهل، (**وأقربهم**) إلى الناس بحسن تودده إليهم، ومع ذلك، (**فإذا ذكر عنده النبي ﷺ، فكأنك ما عرفته ولا عرفك،**) لدهشته وحيرته وإعراضه عمن عنده، وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر، لإجلاله وتعظيمه، (**وكان صفوان بن سليم،**) بضم السين المدني أبو عبد اللّه الزهري، مولاهم، ثقة، مفت، عابد، من رجال الجميع، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله اثنتان وسبعون سنّة، ولفظ لملك ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان (**من المتعبدين،**) المكثرين للعبادة، المداومين عليها، (**المجتهدين**) في العبادة المجدين فيها، ووصل إلى رتبة الاجتهاد في الأحكام، لزيادة فضله وعلمه بالسنة، (**فإذا ذكر عند النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه، ويتركوه**) لاتصال بكائه وصوله.

وذكر لملك: هؤلاء من شيوخه، لبيان أنه اقتدى بهم واهتدى بهديهم، وإن حاله لم يصل لحالهم، فلا يتعجب منه، (**وكان قتادة**) ابن دعامة التابعي، المفسر الشهير، (**إذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه،**) أي: عرض له واستولى عليه، حتى كأنه أخذه (**العويل،**) بعين مهملة الصراخ (والبكاء، (**والزويل:**) بفتح الزاي وكسر الواوا القلق والانزعاج لخوفه.

وفي القاموس: أخذه العويل والزويل، أي: الحركة والبكاء، (**أشار إلى ذلك القاضي عياض،**) أي: ذكره مطولاً، كما علم، (**ومن علامات محبته ﷺ كثرة الشوق،**) أي: منازعة النفس وميلها (**إلى لقائه،**) أما في حياته فظاهر، وأما بعد وفاته، فإلى لقائه في الآخرة ومشاهدة

حبيبه. ولبعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب، وعن معروف الكرخي: المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات، أو مشاهدة أسرار الصفات، فيرى بلوغ السول ولو بمشاهدة الرسول. ولهذا كانت الصحابة رضى اللّه عنهم إذا اشتد بهم الشوق وأزعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول اللّه ﷺ واستشفعوا بمشاهدته، وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليه والتبرك به ﷺ.

ذاته، أو في المنام، رزقنا اللّه ذلك، **(إذ كل حبيب،)** أي: محب **(يحب لقاء حبيبه،)** أي: محبوبه، ففعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول، **(ولبعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب،)** بأن يدعوه قلبه ونفسه دائمًا إلى قربه، ويحثه على لقائه.

(وعن معروف) بن فيروز **(الكرخي)**: نسبة إلى كرخ بغداد، من المشايخ الكبار، شيخ السلسلة، أستاذ السري السقطي، وكان ابن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه، ولم يكن في علم الظاهر مثلهما، فيقال لهما: مثلكما يفعل ذلك، فيقولان: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب اللّه ولا سنّة رسوله، وقد قال ﷺ: سلوا الصالحين، كان أبواه نصرانيين، فسلماه للمعلم طفلاً، فقال: قل ثالث ثلاثة، فيقول: بل هو إلٰه واحد، فضرباه ضربًا مبرحًا، فهرب وأسلم، وهو من موالي علي بن موسى الرضى، وأسند الحديث،، عن جمع، وكان مجاب الدعوة، وكراماته وفوائده كثيرة، وكان يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له: إن أخاك بشرًا الحافي لا يأكل، فقال: أخي قبضه الورع، وأنا بسطتي المعرفة، إنما أنا ضيف في دار مولاي، مهما أطعمني أكلت، مات سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، والدعاء عند قبره ببغداد مجرب الإجابة، يقال: من قرأ عنده مائة مرة ﴿قل هو اللّه أحد﴾،) وسأل اللّه ما يريد قضيت حاجته، ومثله إذا وقف الزائر بين قبري أشهب وابن القسم بالقرافة، ويقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة، ويدعو متوجه القبلة، فيستجاب له، **(المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات،)** أي: استحضارها، وتأمل معانيها، **(أو مشاهدة أسرار الصفات،)** وهي ما ينشأ عنها من الآثار البديعة، **(فيرى بلوغ،)** أي: وصول **(السول،)** أي: المسؤول: فعل بمعنى مفعول، كخبز بمعنى مخبوز، وأكل بمعنى مأكول، **(ولو بمشاهدة الرسول)** للمحبوب الذي أرسله إلى محبه.

(ولهذا كانت الصحابة رضي اللّه عنهم إذا اشتد بهم الشوق) إلى الحق، **(وأزعجهم لواعج،)** بلام فواو فألف فعين فجيم، أي: الحرارات الحاصلة بسبب **(المحبة)** للّه سبحانه، **(قصدوا رسول اللّه ﷺ واستشفعوا بمشاهدته)** من ألم هذه الحرارات، **(وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليه،)** وإن لم يحدوا فيه النظر، لمهابته **(والتبرك به ﷺ)**،لأنه رسول محبوبهم، فبلغوا المسؤول بمشاهدته.

وعن عبدة بنت خالد بن معدان أنها قالت ما كان خالد يأوي إلى الفراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم بأسمائهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجل يا رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم.

(**وعن عبدة،**) بفتح العين المهملة، وسكون الموحدة، ودال مهملة، قال البرهان الحلبي: لا أعرفها، وفي الصحابة عبدة بنت صفوان، ذكرها الحاكم، قلت: هذه ليست بصحابية قطعًا، فإن أباها ليس صحابيًا، ولا من كبار التابعين، بل من أواسطهم (**بنت خالد بن معدان،**) بفتح، فسكون الكلاعي، الخمصي أبي عبد الله، ثقة، روى له الستة، ذكر أنه لقى سبعين صحابياً، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ مات سنة ثلاث أو أربع ومائة؛ (**أنها قالت: ما كان خالد،**) تعني أباها (**يأوي إلى الفراش،**) إذا أراد النوم ليلاً، وخصت هذا الوقت، لأن المرء يتذكر فيه من يهواه غالبًا، كما قيل:

نهاري نهار الناس حتى إذا أتى لي الليل هزتني إليك المضاجع

(**ألا وهو يذكر من شوقه،**) أي: بعض شوقه (**إلى رسول الله ﷺ**) استثناء من أعم الأحوال، أي: لم يكن له غير هذه الحال، والمراد أنه يذكر أشياء كثيرة تحمله على الميل إليه، ويذكر ما به من الألم والمشقة، الحاصلة ببعده عنه وعدم ملاقاته ﷺ، (**وإلى أصحابه،**) أي: المصطفى، أو خالد، لأنه لقي سبعين (**من المهاجرين والأنصار، يسميهم،**) أي: بأن يعددهم (**بأسمائهم، ويقول: هم أصلي،**) أي: حسبي عند الكسائي، أو آبائي عند ثعلب، والمعنى: هم أصلي الذي أعتمد عليه في مهماتي، وآبائي الذين أفتخر بهم بأبوتهم لي، (**وفصلي**) لساني الذي أتكلم به في بيان مرادي، ومخاطباتي، وفروعي الذين أتقوى بهم في دفع المضار عني، فالفصل اللسان عند الكسائي، والولد عند ثعلب، (**وإليهم**) لا إلى غيرهم (**يحن،**) بفتح فكسر يميل (**قلبي، طال شوقي إليهم**) لبعد عهدي بهم، (**فعجل يا رب قبضي:**) موتي (**إليك**) حتى ألقاهم، ولا يزال يردد ذلك (**حتى يغلبه النوم،**) أي: ينام ويستغرق، فيترك قوله: وليس هذا من تمنى الموت المنهي عنه، فإن من أحب الله ورسوله، وتمناه لأجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها، ليس من هذا، كما قال في الفتوحات.

وقال الحكيم الترمذي: تمنى الموت ثلاثة أقسام، عبد اقترب إلى ربه في منازل القرب لما تطهر من أدناس الشهوات وكدورات الأخلاق، فكلما اقترب ازداد شوقًا، فتمنى الموت، والثاني: عبد رأى نعمة الله عليه في دينه شاملة لكل خير، فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدولاً يألوه خبالاً، فتمنى الموت رجاء أن يجوز ذلك لنفسه في لحده، فهذان محمودان، وارد عن

ولما احتضر بلال نادت امرأته، واحَرَباه، فقال: واطرباه، غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه.

وإذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه، ويجد الصبر عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل:

والصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذمومِ

وعن زيد بن أسلم: قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس

الصحابة كسلمٰن، إذ قال: أحب الموت اشتياقًا، وقول ابن مسعود أحب الموت لأني لا أدري ما ينزل بي، فأخاف على ديني، والأول: قول صديق، والثاني: قول صادق، والحظ لصاحبه فيهما، والثالث: عبد تربى في رفاهية عيش، ونقل نعمة، ثم انقلب عليه الزمان، وعضته النوائب، فعيل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم.

ولذا جاء في الحديث: لا يتمنى أحدكم الموت، لضر نزل به، وقول مريم: يا ليتني مت قبل هذا، فلخبر مضى، ولذا لم تقل: الآن، فهو لأمر ديني رجاء أن لا يزول لما رأت فتنة تموج، وذلك لما أتهموا زكريا وهموا بقتلة، فجاءها النداء والبشرى، فصدقت بكلمات ربها، وسميت صديقة انتهى.

(ولما احتضر بلال،) أي: حضرته الملائكة لقبض روحه، **(نادت امرأته:)** صاحت بأعلى صوتها: **(واحرباه،)** بفتح الحاء والراء المهملتين، وموحدة من الحرب، بفتحتين النهب، فكأنها لتفجعها نهبت وسلبت، وبفتح الحاء والزاي المنقوطة ونون، وبضم الحاء وسكون الزاي، وبفتح الحاء وإسكان الواو وموحدة، أي: أثماه وألماه بشدة جزعها روايات، كما تقدم، **(فقال: واطرباه،)** أي: فرحاه **(غدا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه،)** المتقدم وحزبه، وهو الذي في الشفاء، **(وإذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق)** إلى لقاء المحبوب، **(وتأججت،)** هاجت وتلهبت **(نيران الحب والطلب)** لمحبوبه **(في قلبه، ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره، كما قيل:)**

والصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم

وفي نسخة: فإنه لا يحمد، والأولى أبلغ، لأن لا يحمد، يشمل ما لا حسن فيه ولا قبح، بخلاف مذموم، فالصبر عليه قبيح لما فات بسببه من النفع العام له ولغيره.

(وعن زيد بن أسلم) العدوي، مولاهم المدني، ثقة، عالم، من رجال الجميع، مات سنة ست وثلاثين ومائة، **(قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس)** الناس على عادة

فرأى مصباحًا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفًا وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوامًا بكي بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر يبكي، ثم قام إلى باب خيمتها فقال: السلام عليكم، ثلاث مرات فقال لها: أعيدي علي قولك، فأعادته بصوت حزين، فبكى وقال لها: وعمر لا تنسينه يرحمك اللّه، فقالت: وعمر فاغفر له يا غفار.

ويحكى أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها، بعد موتها، فقيل لها: ما فعل

في خلافته، إذ كان يدور في الأزقة ويعس، ليعرف حال الناس، **(فرأى مصباحًا في بيت، وإذا عجوز:)** امرأة مسنة، ويقال عجوزة أيضًا **(تنفش)** بضم الفاء ومعجمة **(صوفا)** لإصلاحه، **(وتقول)** شعرًا من بحر السريع **(على محمد صلاة الأبرار:)** المطيعين، وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر، ويجوز تقدم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه، أي: أدعو له بكل ما يدعو به الأبرار، **(صلى عليه الطيبون،)** المتقون، الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم **(الأخيار:)** جمع خير مخففًا، وخير بمعنى أخير وأنقى، **(قد كنت قوامًا،)** كثير التهجد بالليل، **(بكي،)** بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل، أطلق عليه مبالغة **(بالأسحار:)** جمع سحر آخر الليل، والباء بمعنى في، وزعم أن بكاء (بشد الكاف والمد) سجع لا نظم، لانكسار الوزن، أو بضم الباء ممدودًا، مضاف للأسحار بلا باء، مخالف للرواية، والدراية **(يا ليت شعري،)** أي: علمي اسم ليت، والخبر محذوف، أي: حاصل، **(والمنايا:)** الموت **(أطوار:)** جمع طور، أي: أحوال شتى مختلفة باعتبار الأسباب، **(هل تجمعني وحبيبي الدار)** الآخرة، وهو قائم مقام معمول شعري علق عنه، **(تعني)** بحبيبها **(النبي ﷺ، فجلس عمر يبكي، ثم قام إلى باب خيمتها،)** أي: بيتها.

وعند ابن المبارك في الزهد: فما زال عمر يبكي وطرق عليها الباب، فقالت: من هذا؟، قال: عمر بن الخطاب، قالت: ما لي ولعمر في هذه الساعة، فقال: افتحي يرحمك اللّه، فلا بأس عليك، ففتحت، فدخل، **(فقال السلام عليكم ثلاث مرات، فقال لها: أعيدي علي قولك)** الذي قلتيه آنفًا، **(فأعادته بصوت حزين، فبكى، وقال لها: وعمر لا تنسينه)** (بفتح التاء وسكون النون وفتح السين وكسر التحتية وشد النون مفتوحة)، أي: أذكر به بالدعاء له في هذه الحالة **(يرحمك اللّه، فقالت: وعمر، فاغفر له يا غفار).**

(ويحكى أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها،) بفعل ما لا يليق **(بعد موتها)** ظرف

اللّٰه بك؟ قالت: غفر لي، قيل: بماذا؟ قالت: بمحبتي لرسول اللّٰه ﷺ وشهوتي النظر إليه، فنوديت: من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا، بل نجمل بينه وبين من يحبه.

ومن علامات محبته ﷺ حب القرءان الذي أتى به، وهدى به واهتدى به وتخلق به، وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة اللّٰه ورسوله فانظر محبة القرءان من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإنه من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه، كما قيل:

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

لرؤيت، (**فقيل لها: ما فعل اللّٰه بك؟، قالت: غفر لي، قيل: بماذا؟، قالت: بمحبتي لرسول اللّٰه ﷺ، وشهوتي النظر إليه، فنوديت**) (بضم النون مبني للمفعول) على لسان ملك؛ بأن سمعته يقول: (**من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا**) فضلاً عن عذابنا، (**بل نجمع بينه وبين من يحبه**،) وفي هذا أن حبه ينفع ولو للعاصي، (**ومن علامات محبته ﷺ حب القرآن الذي أتى به**) للناس من عند اللّٰه، (**وهدى به**) الخلق كلهم لسعادة الدارين، (**واهتدى به**) هو، أي: وصل إلى اللّٰه، (**وتخلق به**،) أي: اتخذه خلقًا له يعمل بكل ما فيه.

قالت عائشة: كان خلقه القرآن، قال عياض: وحب القرآن تلاوته والعمل به وتفهمه، (**وإذا أردت أن تعرف ما عندك وما عند غيرك من محبة اللّٰه ورسوله**،) بيان لما، (**فانظر**) اختبر (**محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه**،) أهي (**أعظم**) عندك (**من التذاذ أصحاب الملاهي (والغناء**)، بزنة كتاب (**المطرب بسماعهم**)، فإن كان كذلك فأنت صادق في المحبة، وإلا فدعواك كاذبة، (**فإنه من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه، كما قيل**:)

(إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي)

أي: هجرك لكتابي دليل على عدم صدق المحبة، قال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن، فإنه يحب اللّٰه ورسوله، أسنده البيهقي وغيره، وذكره في الشفاء.

ويروى أن عثمٰن بن عفان رضي اللّٰه عنه قال: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام اللّٰه، وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه.

قال النبي ﷺ لعبد اللّٰه بن مسعود: اقرأ علي، قال: آقرأ عليك، وعليك أنزل؟ فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**﴾ [النساء/ ٤١] قال: حسبك، فرفع رأسه فإذا عينا رسول اللّٰه ﷺ تذرفان. رواه

(**ويروى أن عثمٰن بن عفان**) ذا النورين (**رضي اللّٰه عنه، قال: لو طهرت قلوبنا،**) نظفت من الأدناس الباطنة حق النظافة (**لما شبعت من كلام اللّٰه،**) لأنه غذاء الأرواح ونور القلوب وبصر البصائر، (**وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه،**) استفهام بمعنى النفي، ويدل على أن القرآن غاية المطلوب أي: ما يليق أن يطلب أنه (**قال النبي ﷺ لعبد اللّٰه بن مسعود: إقرأ عليّ**).

زاد في رواية القرآن أي: بعضه، (**قال:**) لفظ ابن مسعود، قلت: (**آقرأ عليك**) (بمد الهمزة للاستفهام) القرآن، (**وعليك أنزل**) (بضم الهمزة)، (**فقال: إني أحب**).

وفي رواية، إني أشتهي (**أن أسمعه من غيري**) ليكون عرض القرآن سنّة، أو ليتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء، لاشتغاله بالقراءة وأحكامها، قاله ابن بطال، وليحصل له لذة السماع، (**فاستفتح، وقرأ**) عليه (**سورة النساء حتى بلغ**).

لفظ ابن مسعود: فقرأت حتى بلغت، فأتى به المصنف بالمعنى، لكن لم أرَ لفظ، فاستفتح في البخاري.

وفي رواية له: حتى إذا أتيت على هذه الآية: (﴿**فكيف**﴾) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (﴿**إذا جئنا من كل أمة بشهيد**﴾،) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم، (﴿**وجئنا بك على هؤلاء**﴾،) أي: أمتك (﴿**شهيدًا**﴾) [النساء/٤١]، حال، أي: شاهدًا على من آمن بالإِيمان، وعلى من كفر بالكفر، وعلى من نافق بالنفاق.

(**قال**) ﷺ: (**حسبك**) يكفيك الآن تنبيهًا له على الموعظة والاعتبار في هذه الآية، وفي رواية: قال: أمسك،وفي أخرى قال لي: كف أو أمسك، بالشك، (**فرفع رأسه،**) وفي رواية: فالتفت إليه، (**فإذا عينا رسول اللّٰه ﷺ تذرفان،**) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء وبالفاء، أي: يسيل دمعهما من البكاء لفرط رأفته ومزيد شفقته على المفرطين، لأنه علم أنه لا بدّ أن يشهد عليهم بعملهم، وقد لا يكون مستقيمًا، فقد يفضي إلى تعذيبهم، أو لعظم ما تضمنته الآية من

البخاري.

وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز بأذن قلبه، قال اللّٰه تعالى: ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**﴾ [المائدة/٨٣].

قال صاحب «عوارف المعارف» - أذاقنا اللّٰه حلاوة مشربه - أذاقنا اللّٰه حلاوة مشربه -: هذا السماع وهو السماع الحق، الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان، محكوم لصاحبه بالهداية، وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين، فتفيض العين بالدمع، لأنه تارة يثير حزنًا، والحزن حار، وتارة يثير شوقًا، والشوق حار، وتارة يورث ندمًا، والندم حار، فإذا أثار السماع هذه الصفات، من صاحب قلب

هول المطلع وشدة الأمر، أو هو بكاء فرح لا بكاء جزع، لأنه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الأمم، كما قال الشاعر:

طفح السرور على حتى أنه ... من عظم ما قد سرني أبكاني

(**رواه البخاري**) في التفسير في ثلاثة مواضع من حديث ابن مسعود، (**وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز بأذن قلبه،**) بأن أحضره وتلقى القرآن بسلامة صدر وخضوع وذلة، لسماعه شبه القلب بذي أذن واعية استعارة بالكناية، وأثبت الأذن للقلب استعارة تخييلية، (**قال اللّٰه تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾**) [المائدة/٨٣]، من الأولى للابتداء، والثانية لبيان ما عرفوا أو للتبعيض، فإنه بعض الحق، والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم، فكيف إذا عرفوا كله، قاله البيضاوي.

(**قال صاحب عوارف المعارف**) العلامة الشهاب عمر السهروردي، (**أذاقنا اللّٰه حلاوة مشربه هذا السماع، وهو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان، محكوم لصاحبه بالهداية،**) خبر هذا لسماع، وما بينهما اعتراض، وفي نسخة، هو السماع فمحكوم خبر ثانٍ، (**وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين، فتفيض**) (بفتح التاء) (**العين بالدمع، لأنه تارة يثير حزنًا، والحزن حار، وتارة يثير شوقًا، والشوق حار، وتارة يورث ندمًا، والندم حار،**) عبر بيورث، وفيما قبله بيثير كأنه، لأن الحزن والشوق كائنان في ذات المحب، لكن قد يفتر عن خدمة المحبوب، فإذا هاجت المحبة أثارتهما بخلاف الندم ليس ذاتيًا، فإذا قام بهم سرور لغرض دنيوي، وهاجت حرارة المحبة المنافية لذلك، أورثتهم ندمًا على تقصيرهم باعتبار أحوالهم، وإن لم يكن تقصيرًا في نفس الأمر، (**فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب**

مملوء ببرد اليقين بكى وأبكى، لأن الحرارة والبرودة إذا اضطرمتا عصرتا ماء، فإذا ألمَّ السماع بالقلب تارة يخف إلمامه فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد، قال اللّه تعالى: **﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾** [الزمر/٢٣]، وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره ـ أي يقصد ـ نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع، وتارة يتصوب أثره إلى الروح، فتموج منه الروح موجًا، ويكاد يضيق عنه نطاق القالب، فيكون من ذلك الصياح والاضطراب، وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الأحوال.

وقد كان ابن عمر، رضي اللّه عنهما، ربما مر بآية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت واليومين حتى يعاد ويحسب مريضًا.

مملوء ببرد اليقين، بكى) هو (**وأبكى)** غيره، (**لأن الحرارة والبرودة إذا اضطرمتا،)** أي: اشتعلتا بعد اجتماعهما من اضطرمت النار تأججت، فتكتسب البرودة من الحرارة حرارة، فصارا حارين، فإذا زادت حرارتهما واستحكمت (عصرتا ماء،) لأنهما بالاجتماع صارا شيئًا واحدًا، والبرودة شأنها وطبعها الماء، فلذا أخرجت الحرارة، التي فيها ما كان في البرودة من الماء، (**فإذا ألم السماع بالقلب)**، أي: وصل إليه وأثر فيه (**تارة يخف إلمامه)** نزوله به مصدر ألم، (**فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد،)** يرتعد، (**قال اللّه تعالى:** (﴿اللّه نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني﴾، (**﴿تقشعر منه﴾**) ترتعد عند ذكره وعنده (**﴿جلود الذين يخشون ربهم﴾**) [الزمر/٢٣] الآية، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللّه، (**وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره، أي: يقصد،)** أي: يصعد (**نحو الدماغ، فتندفق:)** تنصب بشدة (**منه العين بالدمع، وتارة يتصوب أثره إلى الروح، فتموج)** (بجيم)::تتحرك (**منه الروح موجًا:)** تحركًا عنيفًا: فيؤثر في القلب تأثيرًا يصير به، كالجسد المنتفخ، فحينئذٍ (**يكاد يضيق عنه نطاق)** بكسر النون (**القالب:)** الجسد، فشبه القلب بجسد عظم حتى صار حزامه الذي كان مشدودًا به لا يدور عليه، فهو استعارة بالكناية، وإثبات النطاق تخييل، (**فيكون،)** أي: يوجد (**من ذلك الصياح، والاضطراب)** الحركة القوية، (**وهذه كلها أحوال، يجدها أربابها)** فاعل يجد (**من أصحاب الأحوال).**

وفي نسخة: تجد أربابها، أي: تشاهد أصحاب تلك الأحوال يجدها من أصحاب أحوال المقربين عند اللّه، (**وقد كان ابن عمر رضي اللّه عنهما ربما مر بآية في ورده)** وظيفته من القرآن (**فتخنقه)** (بضم النون)، أي: يعصر حلقه حتى يكاد يموت (**العبرة)** الاتعاظ والتذكر والبكاء، (**ويسقط)** من قيام (**ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد، ويحسب:)** يظن (**مريضًا،**

وقد كان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى الأشعري يقولون: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يسمعون.

فلمحبين السماع القرءاني من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني، فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشأته في سماع الأبيات دون الآيات، وفي سماع الألحان دون القرءان كما قيل: نقرأ عليك الختمة وأنت جامد كالحجر، وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان، فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة اللّه ورسوله، أدام اللّه لنا حلاوة محبته، ولا سلك بنا في غير سبيل سنته، بمنه ورحمته.

ومن علامات محبته ﷺ محبة سنته، وقراءة حديثه، فإن من دخلت حلاوة

وقد كان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى) عبد اللّه بن قيس **(الأشعري، يقولون: يا أبا موسى ذكرنا ربنا)** بتلاوة كتابه، **(فيقرأ وهم يسمعون،)** لأنه أوتي مزمارًا من مزامير آل داود، كما في الحديث.

(فلمحبين السماع القرآني من الوجد والذوق، واللذة والحلاوة، والسرور أضعاف ما لمحبين السماع الشيطاني،) بنحو الآلات والأنغام، **(فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده،)** بالنصب بدل اشتمال مما قبله، **(وطربه ونشأته،)** أي: زيادته في الطرب والالتذاذ **(في سماع الأبيات)** الشعرية **(دون الآيات، وفي سماع الألحان:)** جمع لحن من الأصوات المصوغة الموضوعة، ويجمع أيضًا على لحون، كما في القاموس **(دون القرآن، كما قيل: تقرأ عليك الختمة،)** القرآن بتمامه **(وأنت جامد كالحجر، وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان:)** السكران معنى ولفظًا، **(فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة اللّه ورسوله،)** جواب إذا في قوله: فإذا رأيت الرجل **(أدام اللّه لنا حلاوة محبته، ولا سلك بنا في غير سبيل سنّته بمنه ورحمته).**

لكن قد سئل الجنيد: ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون، بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات، فقال: القرآن كلام اللّه، وهو صعب الإدراك، والرباعيات كلام المحبين المخلوقين، ولأن القرآن كله أحكام ومواعظ كلفوا العمل بها، ومن كلف بشيء لا يطرب به ولا كذلك الرباعيات، فإنها كلام جنسهم ومما عملته أيديهم بخلاف القرآن، فإنه حق صدر عن حق، فلا مجانسة بينها، وبينه **(ومن علامات محبته ﷺ محبة سنّته،)** أي: طريقته بالاقتداء به قولاً وفعلاً، **(وقراءة،)** بالرفع عطف على محبة، والخفض على سنّة **(حديثه)**

الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام اللّه تعالى، أو من حديث رسوله ﷺ تشربتها روحه وقلبه ونفسه، ويقول:

أشم منك نسيمًا لست أعرفه أظن لمياء جرت فيك أردانًا

فتعمه تلك الكلمة وتشمله، فتصير كل شعرة منه سمعًا، وكل ذرة منه بصرًا، فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول:

لي حبيب خياله نصب عيني سره في ضمائري مكنون
إن تذكرته فكلي قلوب أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه، ويشرق سره، وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين، ويرتوي بري عطف محبوبه، الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه،

على الوجه المرضي، بأن سهل عليه قراءته بشروطه، وإلا فتركه عين المحبة، **(فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام اللّه تعالى، أو من حديث رسوله ﷺ تشربتها روحه وقلبه ونفسه، ويقول)** منشدًا: **(أشم)** بضم الشين وفتحها **(منك نسيمًا لست أعرفه)** لغرابته وحسنه.

فإن الروائح تتميز مما تضاف إليه، كالمسك وما شممته، ما عرفت نوعه من المشمومات، فأنا **(أظن لمياء)** بفتح اللام وإسكان الميم وتحتية، والمد صفة لأنثى قامت بشفتها اللمى، قال المجد: مثلثة اللام سمرة الشفة.

زاد الجوهري: تستحسن، **(جرت فيك أردانا:)** جمع ردن ثوب خز وغزل، فكان الشاعر يقول: هذا النسيم المستغرب أظنه بسبب أن تلك المرأة جرت ثيابها فيك، أي: في مكانك، أو على جسدك، فنشأت هذه الرائحة التي لا نظير لها من طيبها، **(فتعمه تلك الكلمة)** التي سمعها من كلام اللّه أو رسوله، **(وتشمله،)** تحيط به، **(فتصير كل شعرة منه سمعًا، وكل ذرة منه بصرًا، فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل،)** بما جعله اللّه في كل جزء من أجزائه من الأنوار، فيدرك جميع الكمالات التي يتصف بها المصطفى، فتقوى رغبته وتشد محبته، **(ويقول)** منشدًا:

(لي حبيب خياله نصب عيني سره في ضمائري مكنون
إن تذكرته فكلي قلوب أو تأملته فكلي عيون)

نصب، بضم النون وفتحها، أو الفتح لحن، كما في القاموس، **(فحينئذٍ يستنير،)** بسين التأكيد **(قلبه ويشرق:)** يضيء **(سره، وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين:)**

ولا شيء أشد للهيبة وحريقه من إعراضه عنه، ولهذا كان أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني، كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني، لا حرمنا الله حلاوة هذا المشرب.

ومن علامات محبته ﷺ أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف، وقد يوجب له ذلك سكرًا يستغرف قلبه وروحه وسمعه وبصره.

وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل، وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك هذا المحبوب قويًا كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين. فإن كان العقل قويًا مستحكمًا لم يتغير لذلك، وإن كان ضعيفًا حدث السكر المخرج له عن حكمه.

وقد حدوا السكر بأنه: سقوط التمالك في الطرب، كأنه يبقى في السكران

الحجج الواضحة **(ويرتوي بري:)** بكسر الراء **(عطف)** ميل **(محبوبه،)** أي: يسكن قلبه وتزول حرارته براحته، بميل حبه إليه **(الذي لا شيء أروي لقلبه من عطفه عليه،)** فشبه سكون قلبه من النور الواصل إليه من حبه بزوال الظمأ بوصول الماء العذب البارد إلى الجوف، **(ولا شيء أشد للهيبه وحريقه،)** أي: المحب **(من إعراضه،)** أي: حبه **(عنه، ولهذا كان أهل النار باحتجاب ربهم عنهم،)** كما قال: كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون، **(أشد عليهم من العذاب الجسماني،)** بكسر الجيم، **(كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى)** في يوم المزيد، **(وسماع خطابه ورضاه، وإقباله أعظم من النعيم الجسماني،)** بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، **(لا حرمنا الله حلاوة هذا المشرب:)** جملة دعائية، أي: نسأله أن لا يمنعنا ذلك، بل يعطينا إياه ويمتعنا به، **(ومن علامات محبته ﷺ أن يلتذ محبة بذكره الشريف)** التذاذًا مع الإجلال **(ويطرب،)** بفتح الراء يخف وينبسط بسروره **(عند سماع اسمه المنيف)** الزائد في الشرف، **(وقد يوجب له ذلك)** السماع **(سكرًا،)** حالة تشبه حال السكران، **(يستغرق قلبه وروحه وسمعه وبصره، وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل، وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام، فإذا كانت المحبة قوية، وإدراك هذا المحبوب قويًا، كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين، فإذا كان العقل قويًا مستحكمًا،)** بكسر الكاف اسم فاعل من استحكم مبنيًا للفاعل، **(لم يتغير لذلك، وإن كان ضعيفًا حدث السكر المخرج له)** للعقل **(عن حكمه،)** أي: عما يليق به، **(وقد حدوا،)** أي: علماء الطريق **(السكر؛ بأنه سقوط التمالك،)** أي: عدم الصبر **(في الطرب، كأنه يبقى في السكران بقية يلتذ بها**

بقية يلتذ بها يطرب، فلا يتمالك صاحبها، ولا يقدر أن يفنى معها.

وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك المحبوب، بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله، بحيث يزول عقله ويعربد أعظم من عربدة شارب الخمر.

وربما قتله هذا الفرح بسبب طبيعي، وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطًا غير معتاد، والدم هو حائل الحار الغريزي، فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت.

ومن هذا قول سكران الفرح ـ بوجود راحلته في المفازة بعد أن استشعر الموت ـ: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة فرحه، وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب، فصور في نفسك حال فقير معدم، عاشق للدنيا أشد العشق، ظفر بكنز عظيم، فاستولى عليه آمنًا مطمئنًا، كيف تكون سكرته؟ أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين، حتى أضرَّ به العدم، فقدم عليه من غير انتظار له بماله

ويطرب، فلا يتمالك صاحبها)، لا يملك نفسه **(ولا يقدر أن يفنى معها،)** لأن الفناء يفني معاني كل شيء، فيفني الطرب أيضًا، قال الهروي: في المنازل: السكر من أوصاف المحبين خاصة، فإن عيون، أي: حقائق الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه، **(وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك المحبوب، بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله، بحيث يزول عقله ويعربد،)** بضم الياء وفتح العين وسكون الراء المهملتين وكسر الموحدة، أي: يسوء خلقه **(أعظم من عربدة،)** أي: سوء خلق **(شارب الخمر،)** لأنه برؤيته انقهر تحت سلطان الجمال، ولذا أنشدوا:

فصحوك من لفظي هو الأصل كله ... وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فما مل ساقينا وما مل شارب ... عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا

(وربما قتله هذا الفرح بسبب طبيعي، وهو انبساط دم القلب وهلة) دفعة **(واحدة، انبساطًا غير معتاد، والدم هو حائل الحار الغريزي،)** بغين وزاي منقوطتين الطبيعي، **(فيبرد القلب،)** أي: تزول حرارته **(بسبب انبساط:)** انتشار **(الدم عنه)** وسيلانه،**(فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة:)** الموضع المهلك **(بعد أن استشعر الموت، اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة فرحه، وسكرة الفرح)** مبتدأ، خبره **(فوق سكرة الشراب)** للخمر، **(فصور في نفسك حال فقير معدم، عاشق للدنيا أشد العشق، ظفر بكنز:)** مال مدفون تسمية بالمصدر **(عظيم، فاستوى عليه)** حال كونه **(آمنًا مطمئنًا، كيف تكون سكرته،)** لا شك أنها فوق سكرة الشراب بمراحل كثيرة، **(أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم**

كله، وقد كسب أضعافه، كيف تكون سكرته؟

ومن أقوى أسباب ما نحن فيه سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية المغربة المعربة إذا صادفت محلاً قابلاً فلا تسأل عن سكرة السامع، وهذا السكر يحصل عندها من جهتين: إحداهما أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر منها العقل، الثانية: أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها وجهته، فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس، وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكرة لذة عظيمة تغمر العقل، فتجتمع لذة الألحان ولذة الأشجان، فتسكر الروح سكرًا عجيبًا أطيب وألذ من سكر الشراب، وتحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره: أن اللّه تعالى يقول لداود: مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا، فيقول: كيف وقد أذهبته فيقول: أنا

مدة سنين حتى أضر به العدم)، الفقر، (فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله، وقد كسب **أضعافه، كيف تكون سكرته، ومن أقوى أسباب ما نحن فيه سماع الأصوات المطربة بالإنشادات، بالصفات النبوية المغربة،)** بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الراء وموحدة اسم فاعل من أغرب، إذا أتى بشيء غريب، صفة للإنشادات **(المعربة،)** بسكون العين المهملة وفتح الراء اسم مفعول من أعرب المبنية، **(إذا صادفت محلا قابلاً، فلا تسأل عن سكرة السامع)** لزيادة فرحه من ذلك، **(وهذا السكر يحصل عندها من جهتين: إحداهما: أنها في نفسها توجب)** تسبب **(لذة قوية ينغمر،)** أي: يتغطى **(منها العقل،)** فيحصل السكر بتغطيته، **(الثانية: أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها وجهته)** تفسيري، **(فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل،)** بمعجمة **(للمحبوب وإحضاره في النفس، وإدناء:)** تقريب **(صورته إلى القلب، واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل، فتجتمع لذة الألحان)** المحصلة للفرح، **(ولذة الأشجان:)** جمع شجن، وهي التي انغمر العقل بها عن كمال إدراكه، **(فتكسر الروح سكرًا عجيبًا أطيب وألذ من سكر الشراب:)** الخمر، **(وتحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب).**

(وقد ذكر الإمام أحمد وغيره، إن اللّه تعالى يقول لداود: مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا،) حيث كان يقرأ به الزبور وضروب الدعاء، **(فيقول: كيف، وقد أذهبته؟، فيقول: أنا أرده عليك، فيقوم عند ساق العرش)** قوائمه **(ويمجده، فإذا**

أرده عليك، فيقوم عند ساق العرش ويمجده، فإذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة.

وأعظم من ذلك: إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم، فإذا انضاف إلى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها، فأمر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الإشارة، وهذه صفة لا تلج كل أذن، وصيب لا تحيا به كل أرض، وعين لا يشرب منها كل وارد، وسماع لا يطرب عليه كل سامع، ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي، أشار إليه في المدارج.

فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة للّه ولرسوله، ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده في الخمر ـ لما لعنه بعضهم وقال: ما أكثر ما يؤتي به ـ فقال ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب اللّه ورسوله، فأخبر أنه يحب اللّه ورسوله مع وجود

سمع أهل الجنة صوته استفرغ) صوته، **(نعيم أهل الجنة،)** أي: شغلهم عما هم فيه من النعيم، حتى كأنه ليس عندهم نعيم الأسماع صوته، **(وأعظم من ذلك إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم، فإذا انضاف إلى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها، فأمر لا تدركه العبارة)** أي: لا تقدر على التعبير عنه بعبارة، **(ولا تحيط به الإشارة،)** إذ هو أعلى من ذلك، **(وهذه صفة لا تلج:)** لا تدخل **(كل أذن،)** لامتناعها عن أكثر الناس، فإنما تدخل للخواص، **(وصيب،)** مطر **(لا تحيا به كل أرض،)** بل لها أراضٍ مخصوصة، كناية عن قلوب الخواص، **(وعين لا يشرب منها كل وارد)** بل لها ورَّاد معلومون، **(وسماع لا يطرب عليه كل سامع،)** بل لها سامعون معروفون، **(ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي، أشار إليه في المدارج)** لابن القيم شرح المنازل، **(فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها، فهو كامل المحبة للّه ولرسوله،)** صادق في حبه، **(ومن خالف بعضها، فهو ناقص المحبة،** و) لكن **(لا يخرج عن اسمها)**، أي: عن الإتصاف بها، وتسميته محبًا في الجملة لوجود أصلها فيه، والنفي عنه الكمال، نحو لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، **(بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده،)** أي: لأجله **(في الخمر،)** أي: شربه وهو عبد اللّه، الملقب حمارًا، بلفظ الحيوان، وقيل: بكسر الخاء المعجمة، **(لما لعنه بعضهم،)** هو عمر بن الخطاب، كما رواه البيهقي، **(وقال: ما أكثر ما يؤتى به،)** تعجب من كثرة الإتيان به، وهو سكران للنبي ﷺ، **(فقال ﷺ:)** بيان لقوله: بدليل قوله وتأكيد له، وإلا فالظاهر حذفه.

ما صدر منه.

وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر، الثبوت النهي عن لعنه، وثبوت الأمر بالدعاء له.

وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة اللّه ورسوله في قلب المرتكب، ويحتمل أن يكون استمرار محبة اللّه ورسوله في قلب العاصي مقيدًا بما إذا ندم على وقوع المعصية، أو إذا أقيم عليه الحد، فكفر عن الذنب المذكور، بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى بتكرار الذنب أن ينطبع على قلبه حتى يسلب ذلك الحب منه، أسأل اللّه العفو والثبات على محبته وسلوك سنته بمنّه

وجعل قوله: (**لا تلعنه**) بالأفراد، كما في البخاري نهيًا للبعض الذي لعنه وهو واحد، كما علم، (**فإنه يحب اللّه ورسوله**) مقول القول.

روى البخاري عن عمر، قال: كان رجل يسمى عبد اللّه، ويلقب حمارًا، وكان يضحك رسول اللّه ﷺ، وكان رسول اللّه ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يومًا، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال ﷺ: لا تلعنه، فإنه يحب اللّه ورسوله.

وذكر الواقدي: أن القصة وقعت له في غزاة خيبر، وزعم الدمياطي أنه وهم، وإنما هو نعيمان، مردود بأنه توهيم للرواة الثقات بلا مستند، فكل من قصتي نعيمان، وحمار في الصحيح، وليس فيه قصة نعيمان إن أحدًا لعنه ونهاه المصطفى، فجعل الحديثين واحدًا، والحكم بالوهم في التسمية من العجب، (**فأخبر أنه يحب اللّه ورسوله، مع وجود ما صدر منه،**) فأظهر مكتوم قلبه، وأن هذا الحب من أعظم المنجيات، (**وفيه الرد على من زعم**) كالمعتزلة، (**إن مرتكب الكبيرة كافر الثبوت النهي عن لعنه**) في هذا الحديث، (**وثبوت الأمر بالدعاء له**) في حديث آخر، قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، (**وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة اللّه ورسوله في قلب المرتكب،**) لأنه لا تلازم بين الأمرين، فإن ارتكاب النهي إنما هو للغفلة والشهوة وتسويل النفس والشيطان، والمحبة ثابتة.

(**ويحتمل أن يكون استمرار محبة اللّه ورسوله في قلب العاصي مقيدًا بما إذا ندم على وقوع المعصية، أو إذا أقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور،**) بناءً على الصحيح، إن الحد جابر، (**بخلاف من لم يقع منه ذلك**) الندم، ولم يقع له الحد، (**فإنه يخشى بتكرار الذنب أن ينطبع على قلبه حتى يسلب ذلك الحب منه، أسأل اللّه العفو والثبات على محبته وسلوك**) دخول (**سنّته بمنه ورحمته،**) وفيه المنع من لعنَ مرتكب الكبيرة، وقيل:

ورحمته.

تنبيه: قد اختلف العلماء، أيما أرفع درجة المحبة أو درجة الخلة؟

فحكى القاضي عياض: أن بعضهم جعلهما سواء، فلا يكون الحبيب إلا خليلاً، ولا الخليل إلا حبيبًا، لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدًا بالمحبة، وقال بعضهم: درجة الخلة أرفع واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام: لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً فلم يتخذه خليلاً وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة. انتهى.

وهذا هو الظاهر من المعنى الأخص، لأن المحبة مأخوذة من معنى الخلة، لكن يرد ما روي في قصة الإسراء في مناجاته ﷺ لربه تعالى حيث قال له: يا

محله إن حد، وقيل: المنع مطلقًا في حق ذي الزلة، والجواز مطلقًا فيمن تجاهر، وصوب ابن المنير المنع مطلقًا في المعين والجواز في غيره زجرًا عن تعاطي ذلك الفعل.

(تنبيه قد اختلف العلماء أيما أرفع،) أفضل في نفس الأمر، **(درجة المحبة، أو درجة الخلة،)** بضم الخاء على الأكثر، وتفتح الصداقة المحضة التي لا خلل فيها، وتكون في عفاف، وكنى برفع الدرجة عن رفع من فيها وأفضليته، **(فحكى القاضي عياض)** في الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: **(إن بعضهم جعلهما سواء،)** أي: الدرجتين، أو المحبة والخلة، متساويين في الفضيلة لا تفاوت بينهما، **(فلا يكون الحبيب إلا خليلاً، ولا الخليل إلا حبيبًا،)** وتعقب بأن هذا إنما يقتضي تلازمها، لا مساواتهما درجة، وأشار لجواب سؤال هو، إذا استويا، فلم خص كل منهما بوصف، فقال: **(لكنه،)** أي: اللّه، أو الأمر والشأن **(خص)** بالبناء للفاعل، أو المفعول **(إبراهيم بالخلة، ومحمدًا)** بالنصب والرفع **(بالمحبة،)** فسمي الأول: خليلاً، والثاني: حبيبًا لمجرد التمييز بينهما، ولا يخفى ضعفه.

(وقال بعضهم: درجة الخلة أرفع) منزلة، وأفضل وأعلى درجة، **(واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام)** في الصحيحين، عن أبي سعيد وابن عباس، **(لو كنت متخذًا خليلاً، غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً)** ولكن أخوة الإسلام، **(فلم يتخذه خليلاً، وقد أطلق المحبة لفاطمة)** بنته، **(وابنيها)** الحسنين، **(وأسامة)** بن زيد وغيرهم، كأبي بكر وعمر وعائشة، وأكثرهم جعل المحبة أرفع. **(انتهى)** كلام عياض.

(وهذا،) أي: القول الثاني **(هو الظاهر من المعنى الأخص، لأن المحبة مأخوذة من معنى الخلة،)** فهي أخص منها، **(لكن يرد)** عليه **(ما روي في قصة الإسراء في مناجاته ﷺ**

محمد سل، فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، فقال له تعالى: ألم أعطك خيرًا من هذا.. إلى قوله: واتخذتك حبيبًا، أو ما في معناه، رواه البيهقي. بنحوه، وهذا يقتضي أن درجة المحبة أرفع.

وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة، ذكر القاضي عياض في الشفاء منها نقلاً عن الإمام أبي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة:

منها: أن الخليل يصل بالواسطة، من قوله تعالى: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾ [الأنعام/٧٥]، والحبيب يصل إليه به، من قوله تعالى: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ [النجم/٩] .

ومنها: أن الخليل قال: ﴿**ولا تخزني**﴾ [الشعراء/٨٧]، والحبيب قيل له: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي**﴾ [التحريم/٨].

ومنها: أن الخليل قال في المحنة: ﴿**حسبي الله**﴾، والحبيب قيل له: ﴿**يا**

لربه تعالى، حيث قال له: يا محمد سل، فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، فقال له تعالى: ألم أعطك خيرًا من هذا،) فذكر الحديث، (**إلى قوله واتخذتك حبيبًا، أو ما في معناه**).

(**رواه البيهقي، وهذا يقتضي أن درجة المحبة أرفع،**) وتعسف من أجاب، بأنه إنما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث.

(**وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة**) على الخلة)، وهم أكثر العلماء (**بفروق كثيرة**).

(**ذكر القاضي عياض في الشفاء، منها نقلاً عن الإمام أبي بكر بن فورك**) (بضم الفاء)، (**عن بعض المتكلمين نبذة،**) (بضم النون وذال معجمة) شيئًا قليلاً.

(**منها: أن الخليل يصل بالواسطة،**) أي: بتوسط آخر بينه وبين خليله، وذلك مأخوذ (**من قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾،**) فوصل لخليله بواسطة ما أراه من آيات ملكوته، (**والحبيب يصل إليه،**) إلى حبيبه (**به،**) بنفسه بلا واسطة، مأخوذ (**من قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾،**) فرآه عين يقين على ما مر.

(**ومنها: أن الخليل قال في المحنة،**) بنون الابتلاء بالإلقاء في النار: (**﴿حسبي الله﴾،**) أي: كافي في جميع أموري، (**والحبيب قيل له: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾**)

أيها النبي حسبك الله﴾ [الأنفال/٦٤] .

ومنها: أن الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع، من قوله: ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾ [الشعراء/٨٢]، والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين، من قوله: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح/٢].

وفي كتابي «تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري» وجوه أخر غير ما حكاه القاضي عياض.

وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفاء، وذلك أن مقتضى الفرق بين الشيئين أن يكون في حد ذاتيهما، يعنى باعتبار مدلول «خليل» و«حبيب» وما

[الأنفال/٦٤]، والخليل قال: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾، والحبيب قيل له: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، أعطى بلا سؤال، والخليل قال: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم/٣٥]، والحبيب قيل له: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ [الأحزاب/٣٣]. (**ومنها: أن الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع**) أي: واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها، لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته، والحد الحاجز بين شيئين والمحيط به كحدود الدار، فاستعير للحال المميزة له، المقتضية لتحققه (**من قوله: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾**) [الشعراء/٨٢]، قاله هضمًا لنفسه وتعليمًا لأمته، وإلا فهو معصوم، (**والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين**) أي: متيقنة، مأخوذ (**من قوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**) [الفتح/٢]، أي: كل ما صدر منك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضي شيئًا، ففي الآية إشارة إلى أنه لم يقطع منه، لأنه سوى المتقدم بالمتأخر في عدم الوقوع، ولذا سر بها لما نزلت.

زاد في الشفاء، والخليل قال: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ [الشعراء/٨٧]، والحبيب قيل له: ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ [التحريم/٨]، فابتدأ بالبشارة قبل السؤال، (**وفي كتابي «تحفة السامع والقاري، بختم صحيح البخاري» وجوه أخر**) لمناسبة أن آخر حديث في البخاري: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، (**غير ما حكاه القاضي عياض**) من هذه الثلاثة، (**وفي كلها نظر واضح، كما بينته في حاشية الشفاء، وذلك أن مقتضى الفرق بين الشيئين، أن يكون في حد ذاتيهما، يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب، وما حكاه القاضي عياض، وذكرته**)

حكاه القاضي عياض، وذكرته في التحفة، يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك. لأنا نقول: كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة. إذ لا يسلب عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصف المحبة لا سيما والخلة أخص من المحبة، ولا يسلب عن نبينا محمد ﷺ وصف الخلة وقد ثبت في حديث أبي هريرة قول الله تعالى له: إني اتخذتك خليلاً.

وقد قام الإجماع على فضل نبينا ﷺ على جميع الأنبياء، بل هو أفضل خلق الله مطلقًا.

وأما قوله: إن الخليل يصل بالواسطة، فلا يفيد غرضًا في هذا المقام الذي هو بصدد، وليس المراد به قطعًا إلا الوصول إلى المعرفة، إذ الوصول الحسي يمتنع على الله تعالىٰ.

في التحفة) زيادة عليه، **(يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات إبراهيم عليهما الصلاة والسلام،)** وليس الكلام فيه، **(لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له)** لإبراهيم، والمحبة لمحمد، **(فيلزم ذلك،)** أي: تفضيل المحبة لفضله على إبراهيم، **(لأنا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة، إذ لا يسلب عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصف المحبة،)** لعدم صحته، **(لا سيما والخلة أخص من المحبة،)** ففيها زيادة على المحبة، **(ولا يسلب عن نبينا محمد ﷺ وصف الخلة،)** لأنه إذا حازها الكامل، فالأكمل أولى.

(وقد ثبت في حديث أبي هريرة) في المعراج **(قول الله تعالىٰ له: إني اتخذتك خليلاً،)** ولذا قال ﷺ إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنة يوم القيامة تجاهين، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين. رواه ابن ماجه **(وقد قام الإجماع على فضل نبينا ﷺ على جميع الأنبياء بل هو أفضل خلق الله مطلقًا،)** حتى جبريل، بإجماع حتى من المعتزلة، فهذا رد للفروق بطريق الإجمال، وأشار للتفضيل، بقوله: **(وأما قوله: إن الخليل يصل بالواسطة، فلا يفيد غرضًا في هذا المقام الذي هو بصدده،)** وهو تفضيل المحبة، **(وليس المراد به قطعًا إلا الوصول إلى المعرفة، إذ الوصول الحسي يمتنع على الله تعالى).**

وقال بعضهم: إن أراد الوصول إلى الله برؤيته وسماع كلامه، فالآية لا مناسبة لها بما ذكر، وإن أراد إلى معرفته، فكذلك، ثم لا يتم الفرق، لأنه إن أراد بيان مفهومي المحبة والخلة، فما

وأما قوله: والحبيب يصل إليه به، فالوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا به حبيبًا كان أو خليلاً.

وأما قوله: الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الخ.. فإنه لا يصح أن يكون على جهة التفسير للخليل، ولا تعلق له بمعناه.

وقصارى ما ذكره: أنه يعطي تفضيل نبينا ﷺ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر إلى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة. والحق: أن الخلة أعلى وأكمل وأفضل من المحبة.

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

ذكر لا يدل عليه، بل ليس بصحيح، وإن أراد بين ذاتي من قاما به، فلا يفيد شيئًا مما نحن فيه، ثم أنه مبني على القول؛ بأن إبراهيم لم يعرفه قبل هذا الاستدلال، بناءً على جواز مثله على الأنبياء مطلقًا، أو قبل البلوغ، والمحققون على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه، الذين كانوا يعبدون الكواكب.

(**وأما قوله: والحبيب يصل إليه**) تعالى (**به**،) فلا يفيد الغرض، (**فالوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا به حبيبًا كان أو خليلاً**،) فهذا رد فرقه الأول.

(**وأما قوله**) في الثالث: (**الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الخ، فإنه لا يصح أن يكون على جهة التفسير للخليل، ولا تعلق له بمعناه**،) وكذا الفرق الثاني، وهذا قدمه المصنف بمعناه، (**وقصارى**،) يعني غاية (**ما ذكره**) في الثلاثة (**أنه يعطي تفضيل نبينا ﷺ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته، من غير نظر إلى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة**).

وليس الكلام في التفضيل الذاتي، فلا معنى لذكره فرقًا بين الصفتين، لكن قد أشار عياض إلى الجواب بأنه وإن تعلق بذات الحبيب والخليل، فالمقصود تفاوت وصفيهما، فيرجع ذلك إلى بيانهما، فإن منهم من يسلك مسلك التصريح، ومنهم من يقصد الإيماء والتلويح، فقال، أعني عياضًا، بعد ذكر الفروق: وفيما ذكرناه، أي: من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال، وكل يعمل على شاكلته، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً، (**والحق أن الخلة أعلى وأكمل وأفضل من المحبة**) لأنها خالص المحبة، وصفاؤها، ولذا قيل:

(**قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا**)

قال ابن القيم: وأما ما يظنه بعض الغالطين أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل اللّٰه ومحمدًا حبيب اللّٰه فمن جهله. فإن المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة.

قال: وقد أخبر النبي ﷺ أن اللّٰه اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم. وأيضًا فإنه تعالى أخبر أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين، وخلته خاصة بالخليلين. قال: وإنما هذا من قلة العلم والفهم عن اللّٰه ورسوله. انتهى.

وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الأبوصيري: وزعم بعضهم أن المحبة أفضل من الخلة وقال: محمد حبيب اللّٰه وإبراهيم خليل اللّٰه. وضعف:

فإذا ما نطقت كنت حديثي وإذا ما سكت كنت الغليلا

بغين معجمة ما داخل القلب، وفي رواية الدخيلا، أي: ما داخل القلب والبدن.

(قال ابن القيم: وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل اللّٰه، ومحمدًا حبيب اللّٰه، فمن جهله، فإن المحبة عامة) له ولغيره، **(والخلة خاصة)** فكيف يكون العام أفضل، **(والخلة نهاية المحبة،)** فكيف تفضلها البداية.

(قال: وقد أخبر النبي ﷺ أن اللّٰه اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب وغيرهم،) فهذا يدل على أن الخلة أعلى، **(وأيضًا فإنه تعالى أخبر أنه يحب التوابين)** من الذنوب، **(ويحب المتطهرين)** من الأقذار، **(ويحب الصابرين، ويحب المحسنين،)** أي: يثيبهم، **(ويحب المتقين)** الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لاتقائهم بذلك النار، **(ويحب المقسطين،)** العادلين من أقسط إذا عدل، **(وخلته خاصة بالخليلين)** محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فهذا يفيد أنها أفضل، **(قال: وإنما هذا)** الذي قالوه من تفضيل المحبة **(من قلة العلم والفهم عن اللّٰه ورسوله انتهى)** كلام ابن القيم.

وفي حصره إساءة أدب على أكثر العلماء، **(وقال الشيخ بدر الدين الزركشي، في شرحه لبردة الأبوصيري،)** صوابه البوصيري نسبة إلى بوصير، كما تقدم مرارًا، **(وزعم بعضهم أن المحبة أفضل من الخلة، قال)** محتجًا لذلك: **(محمد حبيب اللّٰه، وإبراهيم خليل اللّٰه،)**

لأن الخلة خاصة، وهي توجد المحبة، والمحبة عامة، قال اللّه تعالىٰ: ﴿**إن اللّه يُحبُّ التّوابين**﴾ [البقرة/٢٢٢] قال: وقد صح أن اللّه اتخذ نبينا خليلاً فقال: إن اللّه اتخذني خليلاً كما اتخذ إبرٰهيم خليلاً. انتهى.

الفصل الثاني
في حكم الصلاة عليه والتسليم
فريضة وسنية وفضيلة وصفة ومحلا

قال اللّه تعالى: ﴿**إن اللّه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسملوا تسليمًا**﴾ [الأحزاب/٥٦].

ومحمد أفضل، فصفته أفضل، (**وضعف لأن الخلة خاصة، وهي توجد المحبة،**) لأن الخاص يزيد على العام، والمحبة عامة، فلا توجد الخلة.

(**قال اللّه تعالىٰ: ﴿إن اللّه يحب التوابين﴾ [البقرة/٢٢٢]، قال: وقد صح أن اللّه اتخذ نبينا خليلاً،**) فثبتت له الصفتان، (**فقال: إن اللّه اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبرٰهيم خليلاً.**) الحديث رواه ابن ماجه، ومر قريبًا (**انتهى**) قول الزركشي.

(**الفصل الثاني**)

(**في حكم الصلاة عليه والتسليم**)، أي: بيان ما ثبت لهما (**فريضة**) على أمته، (**وسنّية وفضيلة**) لهما (**وصفة ومحلا،**) بالنصب على التمييز، فجعل الصفة والمحل من الأحكام، لأن المراد بالحكم ما ثبت لهما من النسب، فلا يختص بالأحكام الخمسة، (**قال اللّه تعالىٰ: ﴿إن اللّه وملائكته﴾**،) نصب بالعطف على اسم أن.

وقرأه ابن عباس بالرفع على محل أن واسمها، وهو ظاهر على رأي: الكوفيين، ووجهه عند البصريين، أن الخبر محذوف لدلالة يصلون عليه قاله الكشاف (**﴿يصلون على النبي﴾**) أورد أن الصلاة من اللّه غيرها من الملائكة، وقد جمع بينهما بلفظ واحد، وأجيب بأنها مستعملة في معنى مشترك بينهما، هو يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، والجملة اسمية، خبرها مضارع لإفادة الاستمرار التجددي، فالملائكة استمرت صلاتهم عليه، وهذه منقبة لم توجد لغيره، أعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع، وقال: على النبي دون الرسول تنويهًا بقدره، فالنبوة عند بعض أشرف من الرسالة، لأنها اتصال باللّه واشتغال به، والرسالة اشتغال بالناس (**﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾**) اعتنوا أيضًا، فإنكم أولى بذلك، وقولوا اللهم صلِ على محمد (**﴿وسلموا تسليمًا﴾**) الأحزاب/٥٦]، قولوا السلام عليك أيها النبي، وقيل: انقادوا لأوامره، وأكد السلام

قال أبو العالية: معنى صلاة اللّٰه على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء.

قال في فتح الباري: وهذا أولى الأقوال، فيكون معنى صلاة اللّٰه عليه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من اللّٰه تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة.

وعن ابن عباس: أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة.

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: صلاة اللّٰه مغفرته وصلاة

وخصه بالمؤمنين، لأن الصلاة مؤكدة معنى، بصدورها من اللّٰه وملائكته، فكيف لا تصلي عليه أمته، وبأنها مؤكد بإن والجملة الإسمية، والسلام سواء كان بمعنى الانقياد أو السلام من الإيذاء، لا يليق إسناده إلى اللّٰه وملائكته، فاستحق التأكيد لصدور خلافه من جنسهم، ولا يرد قوله ﴿سلام على إبراهيم﴾ [الصافات/ ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام﴾ [الرعد/٢٣]، لأنه تحية وإكرام، وصدر المصنف بهذه الآية لإظهار مدعاه، لأن الأمر محتمل للوجوب والندب.

(قال أبو العالية) رفيع بن مهران التابعي الكبير: **(معنى صلاة اللّٰه على نبيه ثناؤه عليه)** بمدحه، وبيان منزلته لديه **(عند الملائكة)** بحيث يطلعون على ذلك، **(ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء)** له.

(قال في فتح الباري: وهذا أولى الأقوال،) أحقها بالقبول، **(فيكون معنى صلاة اللّٰه عليه ثناؤه عليه وتعظيمه، و)** معنى **(صلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من اللّٰه تعالى،)** كأن يقال: نسألك أن تثني عليه وتعظمه بما يليق به، **(والمراد: طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة،)** لحصولها مع سائر الكمالات اللائقة بالبشر، فأي: تعظيم يطلب له مع أنه معظم مبجل، فهو جواب سؤال مقدر، حاصله: أن الزيادة يقبلها المكمل.

(وعن ابن عباس: أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة،) وقال، كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم: معناه أن اللّٰه وملائكته يباركون على النبي، أي: يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشريف قدره، وظهور شريعته والانقياد إليها، والعمل بها ظاهرًا وباطنًا، وذلك يعود ثوابه مضاعفًا له ﷺ، وأصل معنى البركة الزيادة والنماء.

(وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان) (بفتح المهملة والتحتية الثقيلة) النبطي (بفتح النون والموحدة)، أبي بسطام البلخي الخزاز (بمعجمة وزايين منقوطتين)، صدوق، فاضل، روى له مسلم وأصحاب السنن، وأخطأ الأزدي في زعمه، أن وكيعًا كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمٰن،

الملائكة الاستغفار.

وقال الضحاك بن مزاحم: صلاة اللّٰه رحمته، وفي رواية عنه: مغفرته، وصلاة الملائكة الدعاء. أخرجهما إسمٰعيل القاضي عنه، وكأنه يريد الدعاء بالغفرة ونحوها.

وقال المبرد: الصلاة من اللّٰه الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة.

وتعقب: بأن اللّٰه غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه: ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾ [البقرة/١٥٧] وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى: ﴿**صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ حتى سألوه عن كيفية الصلاة عليه مع تقدم ذكر «الرحمة» في تعليم السلام، حيث جاء بلفظ: السلام عليك أيها

مات قبيل الخمسين ومائة بأرض الهند قاله الحافظ.

(**قال: صلاة اللّٰه مغفرته، وصلاة الملائكة الاستغفار**) كقوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر/٧]، وحديث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، (**وقال الضحاك بن مزاحم**) الهلالي، أبو القٰسم أو أبو محمد الخراساني، صدوق، كثير الإرسال، روى له أصحاب السنن، مات بعد المائة: (**صلاة اللّٰه رحمته، وفي رواية عنه: مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء، أخرجهما إسمٰعيل**) بن إسحٰق بن إسمٰعيل بن حماد بن زيد البصري، ثم البغدادي (**القاضي**) بها نحو خمسين سنة الإمام، الحافظ، الفقيه، المالكي، صاحب التصانيف، شيخ الإسلام بالعراق، وثناء الناس عليه كثير، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، ومات فجأة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، (**عنه**) أي: عن الضحاك، (**وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها**) فيوافق قول غيره: الصلاة من الملائكة الاستغفار.

(**وقال المبرد: الصلاة من اللّٰه الرحمة**) أي: الأنعام، أو إرادته، لأن المعنى الحقيقي للدعاء لا يتصور في حق اللّٰه تعالى، فأريد به لازمه وغايته، (**ومن الملائكة رقة**) شفقة ومحبة (تبعث على استدعاء الرحمة) من اللّٰه، أي: طلبها والدعاء بها، (وتعقب) تفسيره الصلاة من اللّٰه بالرحمة، (**بأن اللّٰه غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾**) [البقرة/١٥٧]، وأجيب بأن الصلاة الرحمة المقرونة بالتعظيم، فهي أخص من مطلق الرحمة، وعطف العام على الخاص كثير مستعمل، (**وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾، حتى سألوه عن كيفية الصلاة عليه،**) لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لأن من شأنها أن يسأل بها عن مثله (**مع تقدم ذكر الرحمة**

النبي ورحمة الله وبركاته، وأقرهم النبي ﷺ، فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم، لقد علمتم ذلك في السلام.

وجوّز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه، وفيه نظر.

وقيل: صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة، فتكون صلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة، فهي التي وسعت كل شيء.

وحكى القاضي عياض، عن بكر القشيري أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة تكرمة، وعلى من دون النبي رحمة. وبهذا يظهر الفرق بين النبي ﷺ وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾، وقال قبل ذلك في السورة المذكورة: ﴿**هو الذي**

في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وأقرهم النبي ﷺ، فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة، لقال لهم: لقد علمتم ذلك في السلام) والجواب: ما قد علم، فسؤالهم دل على أن الصلاة أخص من مطلق الرحمة، (**وجوز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه، وفيه نظر**،) لأن الله تعالى أخبر بأنه صلى على نبيه وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فدل على تغايرهما، وفي أن معنى السلام السلامة لك ومعك، أو من أسماء الله، أي: السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به، أو بمعنى المسالمة له والانقياد، كما قال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ [النساء/٦٥]، إلى قوله: ﴿ويسلموا تسليمًا﴾ أقوال في الشفاء ليس فيها ما يصلح تفسير للصلاة مع ملاحظة معناها اللغوي.

(**وقيل: صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة، فتكون صلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة، فهي التي وسعت**:) عمت (**كل شيء**) في الدنيا، وهذا يشبه الجمع بين القولين.

(**وحكى القاضي عياض، عن بكر**) بن العلاء (**القشيري**،) نسبة لقشير بالتصغير قبيلة البصري ثم المصري؛ (**أنه قال الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة تكرمه**،) أي: تكريم (بضم الراء) كمكرمة، كما ضبطه التسلماني وغيره، وهما مصدران، (**وعلى من دون النبي رحمة**) لاحتياجهم إليها، إذ لا يخلو غير الأنبياء من نوع تقصير، (**وبهذا يظهر الفرق بين النبي ﷺ وبين سائر المؤمنين، حيث قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إن الله وملائكته**

يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب/٤٣]، ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أدفع مما يليق بغيره. والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها.

وقال الحليمي في «الشعب»، معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد، عظم محمدًا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته، وتشفيعه في أمته، وإبداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: ﴿صلوا عليه﴾ ادعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى.

ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه، فإنه لا يمتنع أن يدعي لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به.

وما تقدم عن أبي العالية أظهر، فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة إلى اللّه، وإلى ملائكته وإلى المأمورين بذلك بمعنى واحد، ويؤيده أنه لا

يصلون على النبي﴾، وقال قبل ذلك في السورة المذكورة: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته) ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب/٤٣]، (**ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره**،) فاتضح الفرق بين الصلاتين، (**والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها**).

(**وقال الحليمي في**) كتاب (**الشعب**،) أي: شعب الإيمان: (**معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صلِ على محمد، عظم محمدًا**) تعظيمًا لائقًا به، (**والمراد: تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته:**) تكثير ثوابه (**وتشفيعه في أمته وإبداء**،) إظهار (**فضيلته بالمقام المحمود**،) الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، (**وعلى هذا، فالمراد بقوله تعالىٰ: ﴿صلوا عليه﴾، ادعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى**).

(**ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه**) في حديث أبي حميد، أنهم قالوا: يا رسول اللّه كيف نصلي عليك، فقال: قولوا اللهم صلِ على محمد وآله وأزواجه وذريته، (**فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم**،) لأنهم لذلك أهل، (**إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به**،) فلهم تعظيم دون تعظيمه، (و) لكن (**ما تقدم عن أبي العالية أظهر**) من كلام الحليمي، (**فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة إلى اللّه وإلى ملائكته وإلى المأمورين بذلك**،) أي:

خلاف في جواز الترحم على غير الأنبياء، واختلفوا في جواز الصلاة على غير الأنبياء، ولو كان معنى قولنا: اللهم صل على محمد: ارحم محمدًا، أو ترحم على محمد، جاز لغير الأنبياء، وكذا لو كان بمعنى البركة، وكذلك الرحمة، لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّٰه وبركاته.

ويمكن الانفصال عنه بأن ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به، ولو سبق الاتيان بما يدل عليه.

فإن قيل: في أي وقت وقع الأمر بالصلاة عليه ﷺ؟

فالجواب ـ كما قاله أبو ذر الهروي ـ: أنه وقع في السنة الثانية من الهجرة،

المؤمنين (**بمعنى واحد، ويؤيده أنه لا خلاف في جواز الترحم على غير الأنبياء**) لفظة غير ثابتة في النسخ الصحيحة، منها: مقروءة على المصنف، وحذفها يفسد المعنى الذي هو اتفق على جواز الترحم على من عدا الأنبياء.

(**واختلفوا في جواز الصلاة على غير الأنبياء**) على ثلاثة أقوال، (**ولو كان معنى قولنا: اللهم صلِ على محمد، ارحم محمد، أو ترحم على محمد، جاز**) لفظ صلِ (**لغير الأنبياء**) باتفاق، لأن معناهما واحد، فلما اختلف ،في ذلك، علم أنهما ليسا بمعنى، (**و كذا لو كان**) لفظ الصلاة (**بمعنى البركة، وكذلك**) لو كان معنى (**الرحمة**) معنى الصلاة (**لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه،**) كالشافعي، (**يقول المصلي في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّٰه وبركاته،**) لسبق الإتيان بمعناه، مع أنه لم يسقط، (**ويمكن الانفصال**) الجواب (**عنه،**) أي: المذكور من قوله بمعنى البركة، وكذلك الرحمة؛ (**بأن ذلك وقع بطريق التعبد**) بلفظ الصلاة، (**فلا بدّ من الإتيان به، ولو سبق الإتيان بما يدل عليه،**) ولم يجب عن قوله، لو كان معنى اللهم صلِ على محمد...الخ.

وأجاب شيخنا: بأنهم كثيرًا ما يستعملون في المتساويين العطف التفسيري، فيمكن الحمل عليه هنا، لأنه لما خفي معنى الصلاة فسرها بالرحمة إيضاحًا، (**فإن قيل: في أي: وقت وقع الأمر بالصلاة عليه ﷺ**) في الآية، (**فالجواب كما قاله،**) الكاف بمعنى على أو اللام، أو الكلام من حيث صدوره عن المشبه غيره من حيث صدوره عن المشبه به، فلا يرد حيث كان لغيره، فلم نسبه لنفسه (**أبو ذر الهروي**) الإمام العلامة، الحافظ عبد بلا إضافة، ابن أحمد بن محمد الأنصاري، المالكي، شيخ الحرم، سمع ابن حمويه والدارقطني وغيرهما، وله تصانيف، وكان زاهدًا، عابدًا، ورعًا، عالمًا، حافظًا، كثير الشيوخ، مات في شوال سنة أربع وثلاثين

وقيل ليلة الإسراء، وقيل: إن شهر شعبان شهر الصلاة عليه ﷺ، لأن آية الصلاة - يعني ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ نزلت فيه. والله أعلم.

قال الحليمي: والمقصود بالصلاة عليه ﷺ التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره، وقضاء بعض حق النبي ﷺ علينا.

وتبعه ابن عبد السلام، فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى «بشجرة المعارف»: ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، ولم يحسن إلينا أحد مثل إحسانه فإن عجزنا عنه كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله - لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا - إلى الصلاة عليه.

وذكر نحوه عن الشيخ أبي محمد المرجاني.

وأربعمائة، (**أنه وقع في السنة الثانية من الهجرة، وقيل: في ليلة الإسراء**) وكان بمكة، وفي وقته خلاف مر، (**وقيل: إن شهر شعبان شهر الصلاة عليه ﷺ، لأن آية الصلاة، يعني ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾، نزلت فيه**،) فينبغي الإكثار منها في شعبان، (**والله أعلم**).

ثم بين فائدة مستقلة ليست مبينة لشيء مما ترجم به، بقوله: (**قال الحليمي، والمقصود بالصلاة عليه ﷺ التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره**،) وفي نسخة: أوامره بالجمع، (**وقضاء بعض حق النبي ﷺ علينا، وتبعه**) العلامة الحافظ عز الدين (**بن عبد السلام، فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف: ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله**،) بل هو الشفيع لنا، (**ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا**) على إحسانه بمثله أو خير منه، (**ولم يحسن إلينا أحد مثل إحسانه، فإن عجزنا عنه كافأناه بالدعاء**،) كما قال ﷺ في حديث: ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عمر، (**فأرشدنا الله لما علم عجزنا**) (بفتح اللام وشد الميم)، أي: لما تعلق علمه بعجزنا، أو بكسر اللام وخفة الميم، أي: لعلمه تعالى الأزلي بعجزنا (**عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه**،) وطلبها منه تعالى لقصورنا عن المجازاة، فأحالها على الله، ونعم المجازي هو.

(**وذكر نحوه عن الشيخ أبي محمد**) عبد الله بن محمد القرشي، (**المرجاني**،) الإمام، القدوة، الواعظ، المفسر، أحد الأعلام في الفقه والتصوف، مات بتونس سنة تسع وتسعين

وقال ابن العربي: فائدة الصلاة على النبي ﷺ ترجع إلى الذي يصلي عليه، لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ.

واختلف في حكم الصلاة عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على أقوال.

أحدها: أنها تجب في الجملة من غير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة.

الثاني: يجب الإكثار منها، من غير تقييد بعدد، قاله القاضي أبو بكر بن بكير من المالكية، وعبارته ـ كما قاله القاضي عياض ـ: افترض الله تعالى على

وستمائة.

(**وقال ابن العربي**) محمد الإمام، الحافظ، الفقيه: (**فائدة الصلاة على النبي ﷺ ترجع إلى الذي يصلي عليه، لدلالة ذلك على نصوح العقيدة**) أي: خلصوها من الريبة والشك، (**وخلوص النية وإظهار المحبة**) لأن من أحب شيئًا أكثر ذكره، (**والمداومة على الطاعة**) المأمور بها في القرءان (**والاحترام**) التعظيم (**للواسطة الكريمة**) المبلغ لذلك (ﷺ، **واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على أقوال**) عشرة، (**أحدها: أنها تجب في الجملة**) أي: إجمالاً (**من غير حصر**) في عدد ولا وقت، مع القدرة على ذلك، كما قال عياض، فإن عجز سقط كسائر الواجبات، (**لكن أقل ما يحصل به الأجزاء مرة**) واحدة في العمر، وعبر بالاستدراك لدفع ما يتوهم من قوله بغير حصر، أنها لا تكفي، وأنه لا بدّ من قدر بعد كثيرًا عرفًا.

قال عياض: الواجب مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله، انتهى.

فاستظهار وقوع ما زاد عليها واجبًا، كفرض الكفاية ممنوع، فهذا واجب عيني.

(**الثاني: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، قاله القاضي أبو بكر**) محمد بن أحمد بن عبد الله (**بن بكير**) بالتصغير، التميمي، البغدادي، هذا هو المشهور في اسمه ونسبه، وقيل، اسمه أحمد بن محمد بن بكير، وقيل: محمد بن بكير، لا غيره (**من المالكية**) تفقه بإسمعيل القاضي، وهو من كبار أصحابه الفقهاء الثقات، له أحكام القرءان، وكتاب الرضاع، وكتاب في الخلاف، وكان فقيهًا، جدليًا، ولي القضاء، وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة، (**وعبارته كما قاله**) نقله (**القاضي عياض**) عنه: (**افترض الله تعالى**) أي: فرض، لكن فيه زيادة تأكيد

خلقه أن يصلوا على نبيه ﷺ ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.

الثالث: يجب كلما ذكر، قاله الطحاوي وعبارته: يجب كلما سمع ذكر النبي ﷺ من غيره أو ذكره بنفسه وجماعة من الحنفية، والحليمي، وجماعة من الشافعية، وقال ابن العربي: من المالكية إنه الأحوط، وكذا قاله الزمخشري. واستدلوا لذلك بحديث: من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فأبعده اللَّه. أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة. وحديث: رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي. رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم. وحديث: شقي عبد

لزيادة بنائه (**على خلقه**) جميعًا، (**أن يصلوا على نبيه ﷺ ويسلموا تسليمًا**،) كما روي عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام؛ فهذان إمامان من المالكية ابن بكير وعياض، قائلان بوجوب السلام كالصلاة، ولذا قال الرضاع، كما نقل الخطاب: الظاهر من الآية فرضية السلام، وما نقل عن بعض المغاربة من التوقف في وجوبه لا أصل له، والحق أنه كالصلاة. انتهى.

قال بعضهم: وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالاً للأمر، (**ولم يجعل ذلك**) الفرض (**لوقت معلوم**،) اللام للتأقيت والظرفية، نحو: جئت لخمس خلون من الشهر، وقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء/٧٨]، (**فالواجب أن يكثر المرء**) الإنسان ولو امرأة تغليبًا (**منها**) من الصلاة بما يعد عرفًا كثرة، (**ولا يغفل عنها**) بتركها، وفي إفهامه تكثيرها، في كل يوم وليلة، (**الثالث يجب كلما**) بالنصب ظرف (**ذكر، قاله الطحاوي**) أحمد بن محمد بن سلامة، (**وعبارته: يجب كلما سمع ذكر النبي ﷺ من غيره أو ذكره بنفسه**،) وظاهره ذكر بالإسم الظاهر، أو الضمير في صلاة أو غيرها، (**وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية**،) كأبي إسحٰق، وأبي حامد الإسفراييني، وجمع من المالكية، منهم: الطرطوشي والفاكهاني.

(**وقال ابن العربي: من المالكية أنه الأحوط**) لامتثال الأمر، (**وكذا قاله الزمخشري، واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده، فلم يصلِ عليّ، فمات**) تاركًا للصلاة عليّ، والتعقيب عرفي، كتزوج فولد له، (**فدخل النار**) عقوبة له على ترك الصلاة، (**فأبعده اللَّه**) عن رحمته ونعيم جنته.

(**أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة**،) ورواه أيضًا بلفظ آخر هو وابن خزيمة وغيرهما، عن أبي هريرة، أن رسول اللَّه ﷺ صعد المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، فقيل: إنك

ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الطبراني من حديث جابر. لأن الدعاء بـ «الرغم والإبعاد والشقاء» يقتضي الوعيد، والوعيد على الترك من علامات الوجوب. ومن حيث المعنى: إن فائدة الأمر بالصلاة عليه مكافأته على إحسانه، وإحسانه مستمر، فتتأكد مكافأته إذا ذكر.

صعدت المنبر، فقلت: آمين، آمين، آمين، فقال: إن جبريل أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان، فلم يغفر له، فدخل النار، فأبعده اللّه، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات فدخل النار، فأبعده اللّه، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده، فلم يصلِ عليك، فمات، فدخل النار، فأبعده اللّه، قل: آمين، فقلت: آمين.

(وحديث رغم أنف،) (بكسر الغين وتفتح، قيل: وهو أفصح، أي: لصق بالتراب، وهو كناية عن غاية الذل والهوان **(من)** لفظ الحديث: رجل **(ذكرت عنده،)** فأبدله بمن، لإفادة أن رجل وصف طردي، والمراد رجل أو امرأة، **(فلم يصلِ عليّ،)** أي: لحقه ذل وخزى جزاء له على ترك تعظيمي، أو خاب وخسر من قدر أن ينطق بأربع كلمات توجب له عشر صلوات من اللّه، ورفع عشر درجات، وحط عشر سيئات، فلم يفعل، لأن الصلاة عبارة عن تعظيمه، فمن عظمه عظمه اللّه، ومن تركه أهانه وحقر شأنه.

قال الطيبي: الفاء استبعادية كثم في قوله تعالىٰ: ﴿ثم أعرض عنها﴾ [السجدة/٢٢]، والمعنى بعيد من العاقل، أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه، فيفوز بما ذكر، فلم يغتنمه حتى يموت، فحقيق أن يذله اللّه، وتعقب بأن جعلها للتعقيب أولى، ليفيد ذم التراخي عن تعقيب الصلاة عليه بذكره.

(رواه الترمذي،) وقال: حسن غريب **(من حديث أبي هريرة،)** بزيادة ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له: ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة، **(وصححه الحاكم)** بعد أن رواه مطولاً، كذلك قال الحافظ، وله شواهد.

(وحديث: **شقي عبد ذكرت عنده فلم يصلِ عليّ،)** حيث أحرم نفسه الثواب الجزيل، **(أخرجه الطبراني من حديث جابر، لأن الدعاء بالرغم والإبعاد والشقاء يقتضي الوعيد، والوعيد على الترك من علامات الوجوب،)** لأن المستحب لا يتوعد على تركه، إذ لا عقاب فيه، وهذه أدلة من حيث اللفظ، **(و)** استدلوا لذلك **(من حيث المعنى، أن فائدة الأمر بالصلاة عليه مكافأته على إحسانه، وإحسانه مستمر)** حتى باستغفاره لنا في قبره، **(فتتأكد مكافأته إذا ذكر).**

واستدلوا أيضًا: بقوله تعالى: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا**﴾ [النور/٦٣] فلو كان إذا ذكر لا يصلي عليه كان كآحاد الناس.

وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة، منها:

أنه قول لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين، فهو قول مخترع.

ولو كان على عمومه للزم المؤذن إذا أذن أن يصلي، وكذا سامعه، وللزم القارىء إذا مر بآية فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القرءان، وللزم الداخل في الإسلام إذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه، ولكان الثناء على اللّٰه كلما ذكر أحق بالوجوب، ولم يقولوا بوجوبه.

(واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾) [النور/٦٣]، **فلو كان إذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس،)** لأن عدم الصلاة حينئذٍ إعراض، وقد نهينا عن الإعراض عنه عند ذكره، كما دلت عليه الآية الشريفة، وإن كان فيها تفاسير تقدمت في المتن.

(وأجاب: من لم يوجب ذلك بأجوبة، منها: أنه قول لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين، فهو قول مخترع) مبتدع وأجيب؛ بأن القائلين بالوجوب من أئمة النقل، فكيف يسعهم خرق الإجماع على أنه لا يكفي في الرد عليهم كونه لم يحفظ عن صحابي ولا تابعي، وإنما يتم الرد إن حفظ إجماع مصرح بعدم الوجوب كلما ذكر، وأنى به، **(ولو كان على عمومه للزم المؤذن إذا أذن أن يصلي)**، لأنه ذكره في الأذان، **(وكذا سامعه، وللزم القارىء إذا مر بآية فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القرءان)** أن يصلي عليه، **(وللزم الداخل في الإسلام إذا تلفظ بالشهادتين، ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة، السمحة)** السهلة **(بخلافه)** ﴿يريد اللّٰه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨].

وأجيب؛ بأنه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها، على أنه يمكنهم التزام ذلك ولا كبير حرج فيه، **(ولكان الثناء على اللّٰه كلما ذكر أحق بالوجوب،)** لأن حق اللّٰه آكد، **(ولم يقولوا بوجوبه،)** أي: الثناء على اللّٰه.

وأجيب بأن جمعًا صرحوا بالوجوب في حقه تعالى أيضًا، وبالفرق بأن حق اللّٰه غير مطلق، وعظمته لا تتوقف على ذكرها وأن هذا حق العبد، وذاك حق اللّٰه، وهو مبني على المسامحة

وقد أطلق القدوري وغيره من الحنفية: أن القول بوجوب الصلاة عليه كما ذكر مخالف للإجماع المنعقد قبلِ قائله، لأنه لا يحفظ على أحد من الصحابة أنه خاطب النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه صلى الله عليك، ولأنه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى.

وأجابوا عن الأحاديث: بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه، وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا. وبالجملة: فلا دلالة على وجوب تكرار ذلك بتكرار ذكره ﷺ في المجلس الواحد، انتهى ملخصًا، واللَّه أعلم.

الرابع: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارًا في المجلس. حكاه الزمخشري.

الخامس: في كل دعاء، حكاه أيضًا.

دون المشاحة، وزعم أنه حق اللّه أيضًا لأمره به، ناشيء من عدم، فهم المراد بحق اللّه، (و) لكن (قد أطلق القدوري وغيره من الحنفية؛ أن القول بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر مخالف للإجماع المنعقد قبل قائله،) فهو محجوج به، (لأنه لا يحفظ عن أحد من الصحابة، أنه خاطب النبي ﷺ فقال: يا رسول اللّه صلى الله عليك،) وذلك أقوى الأدلة على عدم الوجوب.

وأجيب بأنه ورد في عدة طرق عن جماعة من الصحابة أنهم قالوا: يا رسول اللّه صلى اللّه عليك، (ولأنه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى،) لكثرة ذكره ﷺ.

وأجيب بمنع ذلك، بل يمكن التفرغ لعبادات أخر، (وأجابوا عن الأحاديث) السابقة (بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه،) فلا تدل على الوجوب، (وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا،) أي: عادة مستمرة.

وأجيب بأن حمل الأحاديث على ما ذكر لا يكفي إلا مع بيان سنده، ولم يبينوه (وبالجملة، فلا دلالة على وجوب تكرار ذلك بتكرار ذكره ﷺ في المجلس الواحد،) وقيل: إنه مبني على أن الأمر يفيد التكرار، وهو ضعيف. (انتهى ملخصًا واللّه أعلم) بالحق من ذلك.

(الرابع) تجب (في كل مجلس مرة، ولو تكرر ذكره مرارًا في المجلس، حكاه الزمخشري).

(الخامس: في كل دعاء، حكاه) الزمخشري (أيضًا،) وكأن قائله تعلق بحديث:

السادس: أنها من المستحبات، وهو قول ابن جرير الطبري، وادعى الإجماع على ذلك، واحتج على ذلك مع ورود صيغة الأمر بذلك، بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة، على أن ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيًا، فدل على أن الأمر فيه للندب، ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة.

قال في فتح الباري: وما ادعاه من الإجماع معارض بدعوى غيره الإجماع على مشروعية ذلك في الصلاة، إما بطريق الوجوب، وإما بطريق الندب، ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف، إلا ما أخرجه ابن أبي شيبه والطبراني عن إبراهيم النخعي أنه كان يرى أن قول المصلي في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته مجزىء عن الصلاة، ومع ذلك: إنما ادعى إجزاء السلام عن الصلاة.

السابع: تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها، ككلمة التوحيد، قاله أبو

لا تجعلوني كقدح الراكب، إلى أن قال: ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

(**السادس: أنها من المستحبات، وهو قول**) المجتهد المطلق محمد (**بن جرير الطبري، وادعى الإجماع على ذلك،**) وحمل عليه الآية، (**واحتج على ذلك مع ورود صيغة الأمر بذلك بالاتفاق،**) متعلق باحتج (**من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة، على أن ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيًا، فدل**) هذا الاتفاق (**على أن الأمر فيه للندب، ويحصل الامتثال لمن قاله، ولو كان خارج الصلاة**).

وفي الشفاء حمل الأئمة والعلماء الأمر على الوجوب وأجمعوا عليه.

وحمله الطبري على الندب، وادعى الإجماع، ولعله فيما زاد عليّ مرة.

(**قال في فتح الباري: وما ادعاه من الإجماع معارض بدعوى غيره الإجماع على مشروعية ذلك في الصلاة، إما بطريق الوجوب،**) كما يقول الشافعي، (**وإما بطريق الندب،**) كما يقول غيره، (**ولا يعرف عن السلف لذلك محالف، إلا ما أخرجه ابن أبي شيبة**) عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم، وهو أبو شيبة (**والطبراني، عن إبراهيم النخعي، أنه كان يرى: أن قول المصلي في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته مجزىء عن الصلاة**) عليه ﷺ بعد تمام التشهد: (**ومع ذلك،إنما ادعى**) النخعي (**إجزاء السلام عن الصلاة،**)وذلك لا ينفي مشروعيتها ندبًا أو وجوبًا.

(**السابع، تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها، ككلمة التوحيد، قاله أبو بكر**

بكر الرازي من الحنفية.

الثامن: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل، ونقل ذلك عن أبي جعفر الباقر.

التاسع: تجب في التشهد، وهو قول الشعبي وإسحٰق بن راهويه.

العاشر: تجب في القعود آخر الصلاة، بين قول التشهد وبين سلام التحلل، قاله الشافعي ومن تبعه.

واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أبي مسعود البدري: أنهم قالوا يا رسول اللّٰه: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال: قولوا اللّٰهم صل على محمد وعلى آل محمد.. الحديث. ومعنى قولهم: أما السلام عليك فقد عرفناه، هو الذي في التشهد، الذي كان قد علمهم إياه كما يعلمهم السورة

(الرازي) أحمد بن علي بن حسين الإمام،الحافظ،محدث نيسابور،**(من)** أئمة **(الحنفية)**، سمع أبا حاتم وعثمٰن الدارمي،وعنه أبو علي وأبو أحمد الحاكم،قال ابن عقدة: كان من الحفاظ، مات سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

(الثامن: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل، ونقل ذلك عن أبي جعفر الباقر) (بالقاف)، لأنه بقر العلم، وهو محمد بن علي بن الحسين.

(التاسع: تجب في التشهد،) صادق بالأول والأخير، **(وهو قول الشعبي)** عامر بن شراحيل التابعي، **(وإسحٰق بن راهويه)** أحد الأئمة.

(العاشر: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وبين سلام التحلل) الذي هو الأول، **(قاله الشافعي ومن تبعه، واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أبي مسعود)** عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، **(البدري)**، الصحابي، الجليل، مات قبل الأربعين، وقيل: بعدها، **(أنهم)** أي: الصحابة، وسمي منهم أبي، وبشير بن سعد، وزيد بن خارجة، وطلحة، وأبو هريرة، وعبد الرحمٰن بن بشير، **(قالوا: يا رسول اللّٰه، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا، فقال: قولوا اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، الحديث)** يأتي تمامه في صفة الصلاة، **(ومعنى قولهم: أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم إياه، كما يعلمهم السورة من القرءان،** وفيه: **السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّٰه وبركاته)**.

من القرءان. وفيه: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّٰه وبركاته، ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة بمثله.

وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية، منهم ابن خزيمة، والبيهقي، لإيجاب الصلاة عليه ﷺ ويأتي أنه ليس فيه على تسليمه ما يدل على كونه قبل السلام.

وقال الشافعي في الأم: فرض اللّٰه الصلاة على رسوله ﷺ بقوله: ﴿**إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ ولم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة، ووجدنا الدلالة عن النبي ﷺ بذلك: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول اللّٰه، كيف نصلي عليك ـ يعني في الصلاة ـ قال: تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم الحديث. أخبرنا إبراهيم بن محمد، قال حدثني سعيد بن إسحٰق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن

(**ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة بمثله،**) أي: حديث أبي مسعود، (**وقد احتج بهذه الزيادة،**) يعني قوله في صلاتنا (**جماعة من الشافعية، منهم ابن خزيمة والبيهقي لإيجاب الصلاة عليه ﷺ**) قبل السلام، (**ويأتي أنه ليس فيه، على تسليمه ما يدل على كونه قبل السلام**).

(**وقال الشافعي في الأم: فرض اللّٰه الصلاة على رسوله ﷺ، بقوله: ﴿إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾، ولم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى،**) أحق (**منه في الصلاة، ووجدنا الدلالة عن النبي ﷺ، بذلك أخبرنا إبراهيم بن محمد**) بن أبي يحيى الأسلمي أبو إسحٰق المدني، متروك، مات سنة أربع وثمانين، وقيل: سنة إحدى وتسعين ومائة، قال: (**حدثنا صفوان بن سليم**) (بضم السين)، المدني، العابد، الثقة، المفتي (**عن أبي سلمة**) إسمٰعيل، أو عبد اللّٰه، أو اسمه، كنيته (**ابن عبد الرحمٰن**) بن عوف الزهري، المدني، الثقة، كثير الحديث، (**عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول اللّٰه كيف نصلي عليك، يعني في الصلاة، قال: تقولون: اللهم صلِ على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، الحديث**) ترك بقيته، لأن مقصوده منه قوله: يعني الصلاة، قال الشافعي: أيضاً (**أخبرنا إبراهيم بن محمد**) السابق فيما قبله، (**قال: حدثني سعيد بن إسحٰق بن كعب بن**

النبي ﷺ أنه كان يقول في الصلاة: اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. الحديث.

قال الشافعي: فلما روي أن النبي ﷺ كان يعلمهم التشهد في الصلاة، وروي أنه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة، لم يجز أن يقول: التشهد في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة.

وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه:

أحدها: ضعف إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، والكلام فيه مشهور.

الثاني: على تقدير صحته فقوله في الأول: يعني في الصلاة، لم يصرح بالقائل «يعني» .

عجرة) بضم العين وسكون الجيم، **(عن عبد الرحمن بن أبي ليلى)** الأنصاري، المدني، ثم الكوفي، تابعي كبير، ثقة من رجال الجميع، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين، قيل: إنه غرق، **(عن كعب بن عجرة، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في الصلاة: اللهم صلِ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، الحديث)** الآتي قريبًا، والغرض منه هنا قوله في الصلاة، **(قال الشافعي فلما روي أن النبي ﷺ كان يعلمهم التشهد في الصلاة. وروي أنه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة، لم يجز أن يقول التشهد في الصلاة واجب، والصلاة عليه فيه غير واجبة.)** بل سنة، أو مستحبة، لأنه تحكم، وهذا بناء على مذهبه أن التشهد واجب، أما على مذهب غيره أنه سنة فمتجه، بل لا يتأتى الاستدلال بذلك إن سلم الأعلى من يقول بوجوب التشهد.

(وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه، أحدها: ضعف) شيخه في الحديثين المذكورين **(إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، والكلام فيه)** لأصحاب الحديث **(مشهور).** فقال الإمام أحمد: هو قدري، معتزلي، جهمي، كل بلاء فيه. وقال يحيى القطان: إنه كذاب، وقال البخاري: جهمي، تركه ابن المبارك والناس، وقال ابن عبد البر: مجمع على تجريحه، وضعفه، غر الشافعي منه حذقه ونباهته، فروى عنه.

(الثاني: على تقدير صحته، فقوله في الأول، يعني في الصلاة، لم يصرح بالقائل،

الثالث: قوله في الثاني: «أنه كان يقول في الصلاة» وإن كان ظاهره أنه في الصلاة المكتوبة، لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله في الصلاة، أي في صفة الصلاة عليه، وهو احتمال قوي، لأن أكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على أن السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها.

الرابع: ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد، خصوصًا بينه وبين السلام.

وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم أنه تفرد بذلك.

وحكى الإجماع على خلافه، منهم أبو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي.

يعني) حتى يعلم هل هو ممن يقبل تفسيره أم لا، **(الثالث: قوله في)** الحديث **(الثاني أنه كان يقول في الصلاة، وإن كان ظاهره أنه في الصلاة المكتوبة، لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله في الصلاة، أي: في صفة الصلاة عليه،)** إذا أرادوها في صلاة أو غيرها، كسماع ذكره، فلا دلالة فيه على المدعي، **(وهو احتمال قوي، لأن أكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على أن السؤال وقع عن صفة الصلاة، لا عن محلها،)** وفي نسخة: في صفة، أي: في بيان السؤال عن صفة، وعن أظهر.

(الرابع:) على تقدير التغاضي عن هذا كله، وتسليم أن المراد في الصلاة، **(ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد،)** لأنه صادق بغيره، فهو مجمل، وهو كافٍ في ترك الاستدلال به، **(خصوصًا بينه وبين السلام،)** الذي هو المدعي وجوبه بعد تسليم أن المراد، في التشهد، ولقوة هذه الأوجه سلمها الحافظ، لأنه شأن المنصفين.

(وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع)، أي: الرد، وأصل معناه التقبيح **(على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة، و)** أطنبوا في **(زعم،)** بفتح الزاي وسكون العين، والجر مصدر، **(أنه تفرد بذلك،)** فلم يقله أحد قبله، **(وحكي الإجماع على خلافة، منهم، أبو جعفر)** محمد بن جرير **(الطبري)** المجتهد، **(والطحاوي)** أحد أئمة الحنفية والحفاظ، **(وابن المنذر)** أبو بكر محمد بن إبرٰهيم النيسابوري، الحافظ، الحجة، المجتهد.

وقيل: إنه شافعي، مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة، **(والخطابي)** أحمد (بفتح فسكون) بن محمد بن إبرٰهيم بن خطاب البستي (بضم الموحدة)، الحافظ، الفقيه، الشافعي،

وحكى القاضي عياض في الشفاء مقالاتهم. وقد عاب عليه غير واحد، وقالوا: كان ينبغي سكوته عنها، لأن مبنى تأليفه «الشفاء» على كمال المبالغة في تعظيمه ﷺ، وأداء حقوقه، والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه، وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته، مع أن الإكثر على خلافه، لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه، وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها، وإذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين، فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين؟

وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الأعلام للشافعي، كالحافظ عماد الدين بن كثير، والعلامة ابن القيم، وشيخ الإسلام والحفاظ أبي الفضل بن حجر، وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول عدهم.

تقدم بعض تراجمهم غير مرة.

(**وحكى القاضي عياض في الشفاء: مقالاتهم، وقد عابَ عليه غير واحد، وقالوا: كان ينبغي سكوته؛ عنها**) بأن يترك نقل مقالة هؤلاء، (**لأن مبنى تأليفه الشفاء على كمال المبالغة في تعظيمه ﷺ وأداء حقوقه، والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه، وقد استحسن، هو**) أي: عياض (**القول بطهارة فضلاته**) ﷺ، (**مع أن الأكثر على خلافه، لكنه استجاده،**) عده جيدًا حسنًا، (**لما فيه من الزيادة في تعظيمه**).

قال شيخنا: فيما أملأني مثل هذا لا يسمى عيبًا، ولا يعترض به، لأن مراد عياض كغيره من العلماء بيان الحق، لينظر الواقف عليه الأقوال والأدلة، وليس فيه شيء بنا في تعظيمه ﷺ، فإن عظمته وكرامته لم تتوقف على هذه المسألة، وأما ذكره لمسألة الفضلة، فلأنه مذهبه كالشافعي، فهو الحق عنده، (**وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه**) في الصلاة، (**وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها،**) لأنها أقوال وأفعال، وهي من الأقوال، وهذا اعتراض ساقط، لأنه إنما أنكر الوجوب فقط، لأنه لا يثبت إلا بدليل خاص، (**وإذا شرع السلام فيها على نفس المصلي، وعلى عباد الله الصالحين، فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين،**) فيه نظر، إذ لا تلازم بينهما، وأيضًا، فمشروعية السلام على من ذكر سنة عند كثير من المخالفين، وكذلك الصلاة.

(**وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الأعلام للشافعي، كالحافظ عماد الدين ابن كثير، والعلامة ابن القيم، وشيخ الإسلام، والحفاظ أبي الفضل**) أحمد بن علي (**بن حجر، وتلميذه شيخنا الحافظ**) السخاوي في القول البديع، (**وغيرهم ممن يطول عدهم،**) كالقطب

واستدلوا لذلك بأدلة نقليه ونظرية، ودفعوا دعوى الشذوذ، فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وأبو مسعود والبدري وجابر بن عبد اللّه، ونقله أصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب، وابنه عبد اللّه، ومن التابعين: الشعبي، فيما رواه البيهقي كما سيأتي، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل.

وأخرج الحاكم ـ باسناد قوي ـ عن ابن مسعود قال: يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو لنفسه. قال الحافظ ابن حجر: وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي، فإن ابن مسعود ذكر أن النبي ﷺ علمهم التشهد في الصلاة، وأنه قال: ثم ليتخير من الدعاء ما شاء، فلما ثبت عن ابن مسعود الأمر بالصلاة قبل الدعاء، دل على أنه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء، واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب إليه الشافعي وادعى مثل ما ذكره القاضي

الخيضري في تأليف له في ذلك، سماه زهر الرياض في رد شناعة عياض، وقفت عليه، وأكثره قابل للرد، (**واستدلوا لذلك بأدلة نقلية ونظرية، ودفعوا دعوى الشذوذ، فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود**) عبد اللّه الهذلي، (**وأبو مسعود**) عقبة بن عمرو الأنصاري، البدري، لأنه شهد بدراً، ولأنه نزلها (**وجابر بن عبد اللّه**) الصحابي ابن الصحابي، (**ونقله أصحاب الشافعي،**) أي: مقلد ومذهبه، (**عن عمر بن الخطاب وابنه عبد اللّه، ومن التابعين الشعبي**) بالموحدة عامر، (**فيما رواه البيهقي، كما سيأتي، وكذلك أبو جعفر**) محمد (**الباقر**) من التابعين، (**ومقاتل**) من اتباع التابعين.

(**وأخرج الحاكم بإسناد قوي عن ابن مسعود، قال: يتشهد الرجل،**) وصف طردي، والمراد المصلي ذكرًا أو أنثى، (**ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو لنفسه**) بما شاء.

(**قال الحافظ ابن حجر: وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي، فإن ابن مسعود ذكر أن النبي ﷺ علمهم التشهد في الصلاة، وأنه قال: ثم ليتخير من الدعاء ما شاء، فلما ثبت عن ابن مسعود الأمر بالصلاة قبل الدعاء، دل على أنه اطلع على زيادة، ذلك بين التشهد والدعاء،**) ولا دلالة على اطلاعه، لأنه لم يرفعه، لا صريحًا ولا حكمًا، فهو من اجتهاده، وليس بحجة لمخالفة غيره من الصحابة له، بل قول الصحابي ليس بحجة عند الشافعي مطلقًا، وبتسليم اطلاعه، فلا يقتضي الوجوب الذي هو محل النزاع، (**واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب إليه الشافعي،**) ولا اندفاع بذلك لما علمته، (**وادعى مثل ما ذكره القاضي عياض،**) حيث (**قال**) في الشفاء: (**وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي ﷺ**

عياض قال: وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي ﷺ ليس فيه ذكر الصلاة عليه.

وفي جزء الحسن بن عرفة، مرفوعًا وأخرجه المعمري في عمل اليوم وليلة عن ابن عمر ـ بسند جيد ـ قال: لا تكون صلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة عليّ.

وأخرج البيهقي في الخلافيات ـ بسند قوي ـ عن الشعبي، وهو من كبار التابعين، قال: كنا نُعلم التشهد، فإذا قال: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته.

وفي حديث أبي جعفر، عن ابن مسعود، مرفوعًا: من صلى صلاة لم يصل

ليس فيه ذكر الصلاة عليه،) وكذلك كل من روى التشهد عن النبي ﷺ، كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد وأبي موسى وابن الزبير، لم يذكروا فيه صلاة على النبي ﷺ اهـ.

(وفي جزء الحسن بن عرفة) بن يزيد العبدي، أبي علي البغدادي، صدوق، حافظ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين، وقد جاوز المائة، **(مرفوعًا، وأخرجه المعمري،)** بفتح الميمين بينهما عين ساكنة، ثم راء، الحافظ، العلامة البارع، الحسن بن علي بن شبيب البغدادي، قيل له المعمري، لأن جده لأمه سفيٰن المعمري كان صاحب معمر، أو لأنه عني بجمع حديثه.

قال الخطيب: كان من أوعية العلم، يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ، وفي حديثه غرائب وأشياء ينفرد بها، وقال الدارقطني: صدوق، حافظ، جرحه موسى بن هٰرون لعداوة بينهما، وأنكر عليه أحاديث، فأخرج أصوله بها، ثم ترك روايتها، مات في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين.
(في) كتاب **(عمل يوم وليلة، عن ابن عمر، بسند جيد،)** أي: مقبول، **(قال: لا تكون صلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة علي،)** بشد ياء المتكلم ﷺ، وهذا لا دلالة فيه على الوجوب، لاحتمال أن معناه لا تكون صلاة مجزئة أو كاملة، وهو أقرب لأحاديث التشهد التي ليس فيها صلاة.

(وأخرج البيهقي في الخلافيات، بسند قوي عن الشعبي، وهو من كبار التابعين، قال: كنا نعلم) (بضم النون وشد اللام) **(التشهد، فإذا قال: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل حاجته،)** وليس في تعليمهم ذلك ما يدل على الوجوب إذ التعليم للصفة الشاملة للاستحباب بدليل سؤال الحاجة، بل لا دلالة فيه على وجوب أصل التشهد.

(وفي حديث أبي جعفر) محمد الباقر **(عن ابن مسعود مرفوعًا، من صلى صلاة لم**

فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. قال الدارقطني: الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم، لكن راويه عن أبي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف. كذا في الشفاء.

وقد وافق الشافعي من فقهاء الأمصار أحمد في إحدى الروايتين عنه، وعمل به أخيرًا، كما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي، فيما ذكره الحافظ ابن كثير، وأوجب إسحٰق بن راهويه الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان، والمشهور عند أحمد أنها تبطل بتركها عمدًا وسهوًا، وعليه أكثر أصحابه، حتى إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه: ﷺ، كما علمهم أن يقولوا لما سألوا، كما ذكره ابن كثير، ووافق الخرقي إسحٰق في التقييد بالعمد دون النسيان.

يصلِ فيها عليّ) (بشد الياء) (**وعلى أهل بيتي لم تقبل منه**،) وهذا بفرض ثبوته لا دليل فيه على الوجوب، إذ عدم القبول لا يقتضي البطلان، فكيف وقد (**قال الدارقطني**،) معللاً لهذا الحديث، (الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب، بلفظ، (**لو صليت صلاة لم أصلِ فيها على النبي ﷺ، ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم، لكن**) هذا لا يصح عن الباقر أيضًا.

فإن (**راويه عن أبي جعفر**) محمد الباقر (**جابر**)بن يزيد بن الحرث (**الجعفي**،) الكوفي، (**وهو ضعيف**،) رافضي، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، (**كذا في الشفاء**) لعياض، ولا وجه لذكره بصيغة التبري، (**وقد وافق الشافعي من فقهاء الأمصار أحمد في إحدى الروايتين، عنه وعمل به أخيرًا، كما حكاه عنه**) تلميذه (**أبو زرعة**) عبد الرحمٰن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النضري (بالنون) (**الدمشقي**،) الحافظ، شيخ الشام، روى عن أبي مسهر وأبي نعيم وأحمد وخلق، وعنه أبو داود والطحاوي وغيرهما.

قال أبو حاتم: صدوق، ثقة، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين، وله تصانيف (**فيما ذكره الحافظ ابن كثير، وأوجب إسحٰق بن راهويه الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان**،) قيل: كان يراها واجبًا غير شرط، وقيل: له قولان: (**والمشهور عند أحمد أنها تبطل بتركها عمدًا وسهوًا، وعليه أكثر أصحابه حتى أن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه ﷺ، كما**،) أي: مثل الذي (**علمهم أن يقولوا لما سألوا، كما ذكره ابن كثير، ووافق الخرقي**:) بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وقاف نسبة إلى بيع الخرق والثياب أبو القٰسم، عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد البغدادي، شيخ الحنابلة، الفقيه، صاحب المختصر، وكان

والخلاف أيضًا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة، ثم قال: على الصحيح، فقال شارحه ابن عبد السلام: يريد أن في وجوبها قولين، وهو ظاهر كلام الإمام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار، وعبد الوهاب، كما في الشفاء بلفظ: إنه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي، قال: وحكى أبو يعلى

له تصانيف كثيرة، أودعها ببغداد وسافر، فاحترقت، (إسحٰق) بن راهويه (**في التقييد بالعمد دون النسيان**) مخالفًا لأكثر الحنابلة، (**والخلاف أيضًا عند المالكية، كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة، ثم قال: على الصحيح، فقال شارحه**) العلامة محمد (**بن عبد السلام**) التونسي، قاضيها الفقيه، المالكي المشهور، شيخ الإمام محمد بن عرفة، (**يريد أن في وجوبها قولين، وهو،**) أي: الوجوب (**ظاهر كلام الإمام ابن المواز**) محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري، كان راسخًا في الفقه والفتيا، مجتهدًا في المذهب، له ترجيحات وأقوال ومصنفات، وانتهت إليه رياسة المالكية بمصر في زمنه.

وروى عن أصبغ وعبد اللّه بن عبد الحكم، وابن الماجشون وغيرهم، ولد في رجب سنة ثمانين ومائة، ومات في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين، وقيل: سنة إحدى وثمانين، (**وبه صرح عنه ابن القصار**) أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي، قاضيها الفقيه، الأصولي النظار، صاحب تصانيف.

قال أبو ذر: هو أفقه من رأيت من المالكية، وكان ثقة، قليل الحديث، مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، (**وعبد الوهاب**) بن علي بن نصر أبو محمد البغدادي، أحد الأعلام وأئمة المالكية المجتهدين في المذهب، له أقوال وترجيحات، تفقه على ابن القصار وابن الجلاب، وإليه انتهت رياسة المذهب.

قال الخطيب: لم أرَ أفقه منه في المالكية، ولي قضاء داريا، وتحول إلى مصر لضيق حاله ببغداد، فأكرم بها، وتمول وسعد جدًا، فأدركه الموت، فصار يقول في مرضه: لا إله إلا اللّه، عندما عشنا متنا، مات بمصر في شعبان سنة، اثنتين وعشرين وأربعمائة عن ستين سنة (**كما في الشفاء،**) عنهما (**بلفظ: إنه،**) أي: ابن المواز (**يراها فريضة في الصلاة، كقول الشافعي،**) فظاهره أنه يرى بطلانها بتركها، ولفظ ابن المواز: الصلاة.

على النبي ﷺ فريضة في الصلاة (**قال**) عياض: قال ابن أبي زيد: يريد ليست من فرائض الصلاة، أي: بل فرض في الجملة لا تبطل بتركها، وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره، وحكي ابن القصار وعبد الوهاب ابن المواز...الخ.

قال عياض، عقب هذا في بعض نسخ الشفاء، (**وحكى أبو يعلى**) أحمد بن محمد

العبدي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلاة: الوجوب، والسنية، والندب. ورأيت مما عزى للقاضي أبي بكر بن العربي في «سراج المريدين»: قال ابن المواز والشافعي: الصلاة على النبي ﷺ من فرائض الصلاة وهو الصحيح. انتهى.

وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي، ونقله السروجي في شرح الهداية عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره ﷺ في آخر التشهد في قوله: وأشهد أن محمدًا رسول الله، لكن لهم أن يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطًا في صحة الصلاة.

(العبدي:) (بفتح فسكون) نسبة إلى عبد القيس بن ربيعة بن نزار البصري، المالكي، إمام المالكية بالبصرة، وصاحب تدريسهم، ومدار فتياهم، وله تصانيف.

قال أبو علي: الصدفي: كان مشهورًا بإمامة، وتقدم وصلاح، وكان يملي كل جمعة بجامع البصرة وعلى رأسه مستمليان يسمعان الناس ما يمليه، سمع منه أبو علي الصدفي، وخلق كثير **(عن المذهب،)** أي: عن أهل مذهب لملك **(فيها،)** أي: الصلاة **(ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب،)** وهو ضعيفها، **(والسنية والندب،)** وهما مرجحان، وليس المذهب (بضم الميم) علم على كتاب لسند بن عنان، سماه الطراز المذهب، لأنه عصري عياض، ومات قبله بثلاث سنين، ولا المذهب لابن راشد القفصي، لتأخره جدًا عن عياض، وإنما نبهت على هذا، لأن بعض المالكية تشدق في درس شيخنا، فقال: هو عن المذهب (بضم الميم) إما لابن راشد، وإما لسند، وما علم أن أبا يعلى متقدم عنهما، لأنه شيخ شيوخ عياض، **(ورأيت مما عزى،)** نسب **(للقاضي أبي بكر)** محمد **(بن العربي،)** الفقيه، المالكي، الحافظ **(في)** كتابه **(سراج المريدين.)**

(قال ابن المواز والشافعي: الصلاة على النبي ﷺ من فرائض الصلاة، وهو الصحيح. انتهى).

لكنه خلاف المشهور، **(وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر، كالطحاوي، ونقله السروجي)** شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني المصري قاضيها، كان بارعًا في علوم شتى، مات في ربيع الآخر، سنة إحدى وسبعمائة، ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة **(في شرح الهداية،)** اسم كتاب نفيس في الفقه، للبرهان أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني، **(عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة، من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد، لتقدم ذكره ﷺ في آخر التشهد، في قوله: وأشهد أن محمدًا رسول الله، لكن لهم أن يلتزموا ذلك، ولا يجعلونه شرطًا في صحة الصلاة،)** لأنه لا يلزم من الوجوب، كونه

ولم يخالف الشافعي أحد من أصحابه في ذلك. بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل، كما حكاه البندنيجي والدرمي، ونقله إمام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي، قال الحافظ ابن كثير: والصحيح أنه وجه لا قول، على أن الجمهور على خلافه، والقول بوجوبه ظهور للحديث.

وأما مخالفة الخطابي من أصحاب الشافعي الشافعي فلا يعتد به لمقتضى الأمر المحمول على الوجوب إجماعًا، وأولى أحواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادًا. وأما قوله: ولا أعلم له فيها قدوة، فيقال عليه: لا ريب أن الشافعي قدوة يقتدي به، والمقام مقام اجتهاد، فلا افتقار له إلى غيره.

وأما قوله في «الشفاء»: والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل

شرط صحة، (**ولم يخالف الشافعي أحد من أصحابه**) أي: أهل مذهبه (**في ذلك، بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل، كما حكاه البندنيجي**) (بفتح الموحدة والمهملة وسكون النون الأولى وكسر الثانية، ثم تحتية وجيم نسبة إلى بندنيجين، بلفظ المثنى بلد قرب بغداد) (**والدرمي، ونقله إمام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي، قال الحافظ ابن كثير: والصحيح أنه وجه لا قول**،) والقول في اصطلاحهم نص الإمام، والوجه لغيره (**على أن الجمهور**) من أهل المذهب (**على خلافه، والقول بوجوبه ظهور للحديث**،) لقوله، قولوا اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، (**وأما مخالفة الخطابي من أصحاب الشافعي**،) أي: أهل مذهبه (**الشافعي**) حيث قال: ليست واجبة في الصلاة، وهو قول جماعة الفقهاء، إلا الشافعي، **ولا أعلم له فيها قدوة**.

وكذا قال أبو الطيب الطبري، من الشافعية: إن الشافعي لم يسبق إلى ذلك، كما في الفتح، (**فلا يعتد به**،) أي: بخلافه، فذكره على معنى مخالفة (**لمقتضى الأمر، المحمول على الوجوب إجماعًا، وأولى أحواله الصلاة، ولا مانع من احتمال كونه مرادًا**،) وأنت خبير بأن هذا لا يصلح تعليلاً لنفي الاعتداد بخلافه، إذ هو محل النزاع.

(**وأما قوله**) أي: الخطابي: (**ولا أعلم له فيها قدوة، فيقال عليه، لا ريب أن الشافعي قدوة يقتدى به، والمقام مقام اجتهاد، فلا افتقار له إلى غيره**،) لكن هذا لا يقال لمثل الخطابي، فهو لا يجهل أن الشافعي قدوة، فإنما مراده بالقدوة ما يقتدى به من الأدلة الصحيحة لذلك.

(**وأما قوله في الشفاء**،) وظاهره أنه من جملة نقله عن الخطابي، لأنه وصله بقوله:

السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه. ففيه نظر، لأنه إن أراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج إلى نقل صريح عنهم بأن ذلك ليس بواجب، وأنى يوجد ذلك؟

وأما قوله: وقد شنع الناس عليه - يعني الشافعي - في هذه المسألة جدًا، فلا معنى له، وأي شناعة في ذلك؟ ولم يخالف نصًا ولا إجماعًا ولا قياسًا ولا مصلحة راجحة. بل القول بذلك من محاسن مذهبه، ولا ريب أن القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة التي هي رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثناء عليه أولى بالتشنيع.

وأما نقله الإجماع فقد تقدم ما فيه.

لا أعلم له فيها قدوة، **(والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة، عمل السلف الصالح قبل الشافعي، وإجماعهم عليه، ففيه نظر، لأنه إن أراد بالعمل الاعتقاد)** لعدم صحة إرادة الفعل، لأنهم كانوا يصلون، **(فيحتاج إلى نقل صريح عنهم؛ بأن ذلك ليس بواجب، وأني)**، أي: من أين **(يوجد)** له **(ذلك؟)** ولا نظر ولا استبعاد بعد تواتر نقل الأئمة عنهم أنهم قائلون بعدم الوجوب، فهم قطعًا معتقدون ذلك.

(وأما قوله:) أي: عياض قبل هذا، **(وقد شنع الناس عليه)** أي: نسبوه إلى الشناعة، وعدوا قوله شاذًا مبتدعًا، وأصل معناه القبح، **(يعني الشافعي في هذه المسألة جدًا)** أي: كثيرًا، منهم: الطبري والقشيري وابن المنذر والخطابي، كما في الشفاء، **(فلا معنى له، وأي: شناعة في ذلك و)** الحال أنه **(لم يخالف نصًا)** لكتاب ولا سنّة، **(ولا إجماعًا ولا قياسًا، ولا مصلحة راجحة،)** وفي نسخة واضحة، أي: ظاهرة بينة، والأولى أنسب بكلام أهل الأصول، والمراد بها المبالغة في الرد على من شنع، لا أن ما فيه مصلحة مطلوب، حتى يتوهم أنه جرى على قول المعتزلة، الأحكام تابعة لمصلحة الفعل أو الترك، **(بل القول بذلك من محاسن مذهبه،)** لما فيه من زيادة تعظيم المصطفى، **(ولا ريب أن القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة، التي هي رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها)** عليه السلام، سمي شارعًا لظهوره على يديه، وإلا فالشارع في الحقيقة هو الله تعالى، **(والثناء عليه أولى بالتشنيع،)** ولا شناعة، لأن تجويز ذلك من جملة الرحمة التي أرسل بها، حتى لا ينال أمته الإثم إذا لم يصلوا عليه، بل يثابوا على الصلاة، ولمشقة الوجوب بخلاف السنة التي قالوا بها.

(وأما نقله الإجماع، فقد تقدم ما فيه) من حكايته عن جماعة من الصحابة والتابعين الوجوب، لكن لا صراحة عنهم أنها تبطل بتركه، الذي هو محل النزاع، فالوجوب في الجملة

وأما قوله: إن الشافعي اختار تشهد ابن مسعود، فلم يقل به أحد، والشافعي إنما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي إن شاء اللّٰه تعالى في مقصد عباداته ﷺ.

وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه، وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يحمد اللّٰه، ولم يصل على النبي ﷺ فقال: عجل هذا، ثم دعاه إليه فقال: إذا صلى أحدكم فليبدأ بالحمد للّٰه والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بما شاء.

لا ينافي نقل الإجماع قبل الشافعي على عدم البطلان، وإلى هذا لوح الحافظ، فقال: ومنهم، أي: العلماء من قيد، تفرد الشافعي بكونه عينها بعد التشهد لا قبله ولا فيه، حتى لو صلى على النبي ﷺ في أثناء التشهد مثلاً لم يجزىء عنده ا هـ.

(وأما قوله: أن الشافعي اختار تشهد ابن مسعود، فلم يقل به أحد، والشافعي إنما اختار تشهد ابن عباس، كما سيأتي إن شاء اللّٰه تعالى في مقصد عباداته ﷺ،) من رواية مسلم، فنقله هنا عن غير المصنف من عدم استحضار ما في الكتاب المشروح، والتشنيع بهذا على عياض ليس بذاك، إذ غاية ما فيه أنه سبقه قلمه أو حفظه، والمقصود منه هو استدلاله قائم، لأنه قال: وهذا تشهد ابن مسعود، الذي اختاره الشافعي ليس فيه الصلاة على النبي ﷺ، فيقال: صوابه ابن عباس، وليس فيه أيضًا الصلاة عليه.

صلوات اللّٰه عليه **(وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه، وكذا)** صححه **(ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة)** بفتح الفاء على الأفصح، وتضم ومعجمة ولام **(ابن عبيد)** بضم العين ابن ناقد بن قيس الأنصاري، الأوسي، أول ما شهد أحد ثم نزل دمشق وولى قضاءها، ومات سنة ثمان وخمسين، وقيل: قبلها، **(قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يحمد اللّٰه، ولم يصلِ على النبي ﷺ، فقال: عجل هذا)** بفتح العين وكسر الجيم، أي: أسرع بدعائه وأتى به في غير محله، **(ثم دعاه)** أي: طلب ذلك الرجل وقربه **إليه، (فقال:)** له أو لغيره، كما في حديث الجماعة، **(إذا صلى أحدكم)** لم يقل صليت، ليفيد عموم هذا الحكم؛ وأنه لا يختص بالمدعو، **(فليبدأ بالحمد للّٰه)** الحمد اللغوي، فقوله **(والثناء عليه)** تفسير هذا مستفاد الاستدلال به، وقوله: الآتي، أي اثن عليه بالتحيات... الخ.

لكن لفظ الحديث بتحميد اللّٰه بصيغة التفعيل، وفي رواية: بتمجيد بميم بعدها جيم، أي: تعظيم، قال عياض: وهو أصح، أي: رواية لقوة سنده، لا من حيث المعنى، لتقارب معناهما، والتحميد حمده مرة بعد أخرى، وكذا التمجيد، **(ثم ليصلِ على النبي ﷺ، ثم ليدع)**

قلت: ومما يعد من كرامات إمامنا الشافعي وسره الساري، أن القاضي عياضًا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير أن يطعن في سنده بعد قوله: «فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ ويرغب» من ذلك: في تشهد الصلاة، وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء.

وهذا الحديث ـ كما ترى ـ من أعظم الأدلة لنا.

فإن قال قائل: ليس لكم فيه دلالة لأنه قال: فيه سمع رجلاً يدعو في صلاته، ولم يقل في تشهده.

يجاب: بأنه يلزم على هذا أن القاضي عياضًا ساقه في غير محله، لأنه عقد الفصل ـ كما قدمته ـ لبيان مواطن استحباب الصلاة. ثم قال: تلو ذلك ومن ذلك في تشهد الصلاة.

(بكسراللام وإسكانها) للأمر (**بما شاء**) من دين ودنيا، وبالمأثور أولى، وقد نوزع في هذا الاستدلال؛ بأن في سنده مقالاً، كما قاله ابن عبد البر وإن صححه من تقدم؛ وبأنه يدل على عدم الوجوب، إذ لو كان له الأمر المصلي بالإعادة، كما أمر المسيء صلاته، واحتمال أنه أعادها، أو أنه لم يعلم بوجوبها، فلم يأمره بالإعادة مما لا يسمع في مقام التعليم.

(**قلت: ومما يعد من كرامات إمامنا الشافعي وسره الساري، أن القاضي عياضًا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي، من غير أن يطعن في سنده،**) فقد وافق من صححه (**بعد قوله: فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ ويرغب**) فيها لنيل الثواب (**من ذلك في تشهد الصلاة**) الأول والثاني، فإنه يتأكد استحبابه في الأول أيضًا على المعتمد عند المالكية، وبه جزم الرضاع، (**وذلك بعد التشهد،**) أي: قول أشهد أن محمدًا رسول اللّه، (**وقبل الدعاء**) بالمأثور، أو بما شاء، وكرامات الإمام الشافعي وفضائله غنية عن التبجح بمثل هذا الذي لا يساوي شيئًا، إذ إتيانه به دليلاً على الاستحباب لا يدل على الوجوب، مع أنه يذكر أنه استدل به للوجوب ولا رده، (**وهذا الحديث كما ترى من أعظم الأدلة لنا،**) لكن لا دلالة فيه على الوجوب، إذ لو كان واجبًا لأمره بالإعادة، كما علم، (**فإن قال قائل: ليس لكم فيه دلالة،**) لا على وجوب ولا ندب في الصلاة، (**لأنه قال فيه: سمع رجلاً يدعو في صلاته، ولم يقل في تشهده،**) فيحتمل أن المراد في دعاء الافتتاح، أو في السجود، (**يجاب بأنه يلزم على هذا، إن القاضي عياضًا ساقه في غير محله، لأنه عقد الفصل، كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة، ثم قال: تلو ذلك ومن ذلك في تشهد الصلاة، وفي**

وفي «مصابيح» البغوي، من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على أنه كان في التشهد، ولفظه: قال دخل رجل فقال: اللّٰهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول اللّٰه ﷺ: عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد اللّٰه بما هو أهله، وصل عليّ، ثم ادعه.

وفي قوله: «عجلت» استلواح فوات الكمال عن الحقيقة المجزئة، إذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الأمر، فإن قال إنه في مقام تعليم المستحبات إذ لو كان في الواجبات لأمره بالإعادة، كما أمر المسيء صلاته، يجاب: بأن في قوله هذا غنية عن الأمر بالإعادة، لأنه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعًا أنه لم يأت به أولاً فلم يكن آتيًا به فوجب إعادته، وهم أهل الفهم والعرفان.

فإن قال: إن قوله: «فقعدت» يحتمل أن يكون عطفًا على مقدر، تقديره: إذا صليت وفرغت فقعدت.

مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا) المذكور **(ما يدل على أنه كان في التشهد.**

(ولفظه) من رواية الترمذي أيضًا، **(قال)** فضالة: **(دخل رجل، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول اللّٰه ﷺ: عجلت:)** (بفتح فكسر) أسرعت **(أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد اللّٰه بما هو أهله،)** مستحق له، **(وصلِ عليّ، ثم ادعه:)** أسأله بما تشاء من الخير.

(وفي قوله: عجلت استلواح،) أي: إظهار **(فوات الكمال عن الحقيقة المجزئة، إذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الأمر،)** فيه نظر، لأن اللوم يقع على ترك السنة أيضًا، لتفويته ثوابها على نفسه، **(فإن قال)** ذلك القائل **(أنه في مقام تعليم المستحبات، إذ لو كان في الواجبات لأمره بالإعادة، كما أمر المسيء صلاته،)** بقوله: إرجع فصلِ، فإنك لم تصلِ، **(يجاب بأن في قوله هذا غنية عن الأمر بالإعادة، لأنه حيث علمه ما هو الواجب، علم قطعًا أنه لم يأتِ به أولاً)** (بشد الواو)، **(فلم يكن آتيًا)** (بالمد) **(به، فوجب إعادته وهم أهل الفهم والعرفان،)** فاكتفى بذلك عن الأمر الصريح بالإعادة، وهذا جواب يتساوك هزلاً، إذ مبناه على أنه علمه واجبًا عليه، وهو محل النزاع، فكيف يحتج به مع ظهور حجة خصمه على الندب بأمر المسيء صلاته بالإعادة، مع كونه من أهل الفهم **(فإن قال)** ذلك القائل: **(إن قوله: فقعدت، يحتمل أن يكون عطفًا على مقدر، تقديره: إذا صليت وفرغت فقعدت، يجاب بأن الأصل عدمه،)** أي: التقدير، **(وإنما هو عطف على المذكور،** أي: إذا كنت في الصلاة

يجاب: بأن الأصل عدمه، وإنما هو عطف على المذكور، أي: إذا كنت في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد اللّٰه، أي أثن عليه بقولك، التحيات للّٰه الخ واللّٰه أعلم.

وقال الجرجاني من الحنفية وغيره: لو كانت فرضًا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة، لأنه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال: فليتخير من الدعاء ما شاء، ولم يذكر الصلاة عليه.

وأجيب: باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذٍ.

وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي: قد ورد هذا الحديث في الصحيح بلفظ: ثم ليتخير، و«ثم» ليتراضى، فدل على أنه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء، انتهى.

وقد أطنب الشيخ أبو أمامة بن النقاش في تفسيره في الاقتصار للشافعي في هذه المسألة، بما يطول ذكره، فاللّٰه يثيبه على قصده الجميل.

فقعدت للتشهد، فاحمد اللّٰه، أي: اثن عليه) (بقطع الهمزة من أثنى) بالألف لا من ثنى **(بقولك التحيات للّٰه)**.

(الخ،) وبعد هذا يجيء الخلاف في الوجوب والندب، **(واللّٰه أعلم)** بالحق منهما.

(وقال الجرجاني، من الحنفية وغيره، لو كانت فرضًا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة،) وهو ممنوع، **(لأنه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد، وقال:)** بعده، **(فليتخير من الدعاء ما شاء، ولم يذكر الصلاة عليه، وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذٍ)** أي: وقت تعليمهم، وفيه بعد جدالان من جملة رواة حديث التشهد أبو هريرة وابن عباس، وإسلامهما متأخر، فابن عباس إنما صحب بعد فتح مكة، فيحمل الأمر بالصلاة على الاستحباب جمعًا بين الأدلة.

(وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي: قد ورد هذا الحديث في الصحيح، بلفظ: ثم ليتخير، وثم ليتراخى فدل على أنه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء، انتهى).

لكن، ولو دل على ذلك، لا يدل على أن ذلك الشيء واجب، **(وقد أطنب أبو أمامة بن النقاش في تفسيره في الاقتصار للشافعي، في هذه المسألة بما يطول ذكره، فاللّٰه يثيبه على قصده الجميل)** الثواب الجزيل.

وأما صفة الصلاة عليه ﷺ، ففي عبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا يا رسول اللّه، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد،

(وأما صفة الصلاة عليه،) أي: الصيغ التي يؤتى بها دالة على طلب زيادة الكمال له (ﷺ،) كما يعلم من الأخبار التي أوردها، **(فعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى)** (بفتح اللامين) مقصور الأنصاري، عالم الكوفة، وأبوه صحابي، واسمه يسار، أو داود، أو غير ذلك، **(قال: لقيني كعب بن عجرة)** (بضم العين المهملة وسكون الجيم فراء فهاء تأنيث) الأنصاري، المدني، من أصحاب الشجرة، وعند الطبراني أن ذلك كان وهو يطوف بالبيت الحرام، **(فقال: ألا)** بالتخفيف تكون للعرض مع لين وللتحضيض، وهو عرض بحث، والمراد الأول، لقوله: **(أهدي)** (بضم الهمزة) **(لك هدية،)** أي: أقدم إليك أمرًا نفيسًا، سماه هدية لعزته، قال المصنف: والهدية ما يتقرب به إلى المهدى إليه توددًا أو إكرامًا، وزاد بعضهم، من غير قصد نفع عوض دنيوي، بل لقصد ثواب الآخرة، وأكثر ما تستعمل في الأجسام، لا سيما وهي فيما نقل من مكان إلى آخر، وقد تستعمل في المعاني، كالعلوم والأدعية، مجازًا لما يشتركان فيه من قصد الموادة والتواصل في إيصال ذلك إليه.

زاد البخاري في أحاديث الأنبياء: هدية سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى، فاهدها إليّ، فقال: **(إن)** بكسر الهمزة على الاستئناف، ويجوز الفتح بتقدير هي، فتكون معمولة، أو بتقدير فعل: أي: أهدي لك إن **(النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا:)** بصيغة الجمع، لأن السائلين جماعة.

وفي الترمذي من وجه آخر، عن عبد الرحمن، عن كعب: لما نزلت، ﴿إن اللّه وملائكته يصلون على النبي﴾، قلنا: **(يا رسول اللّه قد علمنا كيف نسلم عليك)** بما علمتنا من قول، السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته، وقد أمرنا بالصلاة والسلام عليك في الآية وللبخاري في أحاديث الأنبياء، فقال: سألنا رسول اللّه ﷺ فقلنا: كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن اللّه قد علمنا كيف نسلم، **(فكيف نصلي عليك،)** أي: كيف اللفظ اللائق بالصلاة عليك، ولذا عبر بكيف التي يسئل بها عن الصلاة، **(قال: قولوا اللهم صلِ على محمد)** صلاة تليق به، لأنك أنت العليم بذلك، فلعجزنا عن بلوغ ما يجب له شرع لنا إحالة أمر ذلك إلى اللّه، **(وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم،)** وللبيهقي من وجه آخر لهذا الطريق على إبراهيم بدون آل.

قال الحافظ: والحق أن ذكر محمد وإبراهيم، وذكر آل محمد وآل إبراهيم ثابت في أصل

اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

فإن قلت: كيف يطابق قوله: اللهم صل على محمد قوله: كما صليت على آل إبراهيم؟

أجاب القاضي عياض: بأن الآل مقحم، كما في قوله عليه الصلاة والسلام أبي موسى: إنه أعطي مزمارًا من مزامير آل داود، ولم يكن له آل مشهور بحسن الصوت.

الخبر، وإنما حفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر، (**إنك حميد**،) محمود، (**مجيد**،) ماجد، وصفًا لبناء المبالغة، (**اللهم بارك على محمد**،) أي: أثبت له وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، وزده من الكمالات ما يليق بك وبه، (**وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**).

قال الطيبي: هذا تذييل للكلام السابق وتقرير له على سبيل العموم، أي: إنك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد مع النعم المتكاثرة والآلاء المتعاقبة المتوالية، مجيد كثير الإحسان إلى جميع عبادك، ومن محامدك وإحسانك أن توجه صلواتك وبركاتك وترحمك على حبيبك نبي الرحمة وآله.

(**رواه البخاري**) في أحاديث الأنبياء والتفسير والدعوات، (**ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي**،) الأربعة في كتاب الصلاة، (**فإن قلت: كيف يطابق قوله اللهم صلِ على محمد قوله: كما صليت على آل إبراهيم**،) مع فضل محمد على العالمين، فهو في نفس الأمر بمعنى السؤال الذي يتلوه، (**أجاب القاضي عياض بأن الآل مقحم**،) أي: زائد، (**كما في قوله عليه الصلاة والسلام في أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري، لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن (**أنه أعطي مزمارًا من مزامير**:) جمع مزمار، ومزمور (**آل داود**،) يعني داود نفسه، فآل مقحم، (**و**) ذلك لأنه (**لم يكن له آل، مشهور بحسن الصوت**،) والزمر النفخ في المزمار، والصوت الحسن بغير آلة، لأن أصل معنى الزمر الحسن، كما قال الشاعر:

رنان حنانان بينهما رجل أجش غناؤه مزمر

أي: حسن، كما قاله ابن الأنباري، فمزامير داود، ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء بصوته الحسن بلا آلة، وكان إذا قرأ بتلاحينه تقف له الطيور والدواب، حتى قيل: إن الماء الجاري يقف له، وهو مبالغة في نهاية حسنة.

وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم بلفظ: لما نزلت آية ﴿**إن اللّه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ [الأحزاب/٥٦]، قال: قلنا يا رسول اللّه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللّهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى أل محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: وعلينا معهم.

وعن أبي حميد: أنهم قالوا: يا رسول اللّه، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا

(**وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم، بلفظ لما نزلت آية ﴿إن اللّه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾، قال**) كعب بن عجرة، (**قلنا: يا رسول اللّه**) قد علمنا السلام عليك، (**فكيف الصلاة عليك،**) فالعطف على مقدر دل عليه سياق الأحاديث، (**قال: قولوا اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد،**) فدل هذا السياق على أنه ﷺ نطق بذلك كله، وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، كما قال الحافظ: إنه الحق، فيكون طلب صلاة لنفسه، كالصلاة على إبراهيم، ولآله كالصلاة على آل إبراهيم.

وكذا في البركة، وبه تحصل مطابقة المشبه للمشبه به، ولا يحتاج للقول؛ بأن آل مقحم.

(**وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى، يقول،**) أي: يزيد المصلي على الصلاة على الآل، (**وعلينا معهم**) رجاء بركة اللحاق بهم، (**وعن أبي حميد**) (بالتصغير) الساعدي، صحابي مشهور، اسمه المنذر بن سعد بن المنذر، أو ابن لملك، وقيل اسمه عبد الرحمن، وقيل عمر، وشهد أحدًا وما بعدها، وعاش إلى أول سنة ستين، (**أنهم**) أي: الصحابة (**قالوا: يا رسول اللّه**).

قال الحافظ: وقفت من تعيين من باشر السؤال على جماعة أبي بن كعب وطلحة بن عبيد اللّه، كلاهما عند الطبراني، وبشير بن سعد عند لملك، ومسلم وزيد بن خارجة الأنصاري عند النسائي، وأبو هريرة عند الشافعي، وعبد الرحمن بن بشير عند إسمعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة، وكعب بن عجرة عند ابن مردويه، قال: فإن ثبت تعدد السائل فواضح، وإن ثبت أنه واحد، فعبر بالجمع إشارة إلى أن السؤال لا يختص به، بل يريد نفسه ومن يوافقه على ذلك، وليس هو من التعبير عن البعض بالكل، بل حمله على ظاهره من الجمع هو المعتمد لما ذكر، (**كيف نصلي عليك**) صلاة تليق بك؟، قال أبو عمر: فيه أن من ورد عليه لفظ محتمل لا يقطع فيه بشيء حتى يقف على المراد به إن وجد إليه سبيلاً، فسألوه: لما احتمل لفظ الصلاة من

قال: قولوا اللّهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه الإمام أحمد.

وعن أبي مسعود عقبة الأنصاري قال: أتانا اللّه ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر ابن سعد أمرنا اللّه أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول اللّه ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول

المعاني؟، (**قال: قولوا: اللهم صلِ على محمد**) صلاة تليق به (**وأزواجه وذريته:**) من له ﷺ ولادة من ولده وولد ولده، قاله الباجي: (**كما صليت على إبراهيم**) وفي رواية: على آل إبراهيم، بإقحام آل، (**وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**) من المجد وهو الشرف.

قال العلماء: معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: بمعنى التطهير والتزكية، أي: طهرهم، وقد قال تعالى: ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ [الأحزاب/ ٣٣]، وقيل، تكثير الثواب، فالبركة لغة التكثير، قاله الباجي، وقيل: المراد ثبات ذلك ودوامه من قولهم: بركت الإبل، أي: ثبتت على الأرض، وبه جزم أبو اليمن بن عساكر.

قال السخاوي: ولم يصرح أحد بوجوب قوله: وبارك على محمد فيما عثرنا عليه، غير أن ابن حزم ذكر ما يفهم منه وجوبها في الجملة، فقال: على المرء أن يبارك عليه ولو مرة في العمر، وظاهر الكلام صاحب المغني من الحنابلة وجوبها في الصلاة.

قال المجد الشيرازي: والظاهر أن أحدًا من الفقهاء لا يوافق على ذلك، (**رواه الإمام أحمد**) والبخاري في أحاديث الأنبياء، وفي الدعوات ومسلم في الصلاة، كلاهما من طريق مالك، وهو في الموطأ، فقصر المصنف في العزو تقصيرًا شديدًا، (**وعن أبي مسعود عقبة**) (بالقاف) بن عمرو بن ثعلبة (**الأنصاري**) البدري، مات قبل الأربعين، وقيل: بعدها أنه (**قال: أتانا رسول اللّه ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة**) سيد الخزرج، ففيه أن الإمام يخص رؤساء الناس بزيارتهم في مجالسهم، تأنيسًا لهم، (**فقال له بشر:**) كذا في النسخ، وصوابه كما في الموطأ ومسلم وغيرهما. بشير (بفتح الموحدة وكسر المعجمة وإسكان التحتية) (**ابن سعد**) (بسكون العين) ابن ثعلبة الخزرجي، البدري، والد النعمان، استشهد بعين النمر، (**أمرنا اللّه أن نصلي عليك**) يا رسول اللّه، (**فكيف نصلي عليك؟، قال**) أبو مسعود: (**فسكت رسول اللّه ﷺ**،) يحتمل حياءً وتواضعًا، إذ في ذلك الرفعة له، فأحب أن لو قالوا هم ذلك، ويحتمل انتظار لما يأمره اللّه به من الكلام الذي ذكره، لأنه أكثر مما في القرآن، قاله أبو

الله ﷺ: قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم، رواه مالك ومسلم وغيرهما.

فإن قلت: ما موقع التشبيه في قوله: كما صليت على إبراهيم، مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به؟ والواقع هنا عكسه، لأن محمدًا ﷺ وحده أفضل من آل إبراهيم ومن إبراهيم، ولا سيما وقد أضيف إليه آل محمد، وقضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة له أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره.

فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة:

عبد الملك البوني في شرح الموطأ، **(حتى تمنينا)** وددنا **(أنه لم يسأله)** مخافة أن يكون كرهه وشق عليه، **(ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا: اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد،)** فعيل من الحمد، بمعنى محمود، ورد بصيغة المبالغة، أي: مستحق لأنواع المحامد، **(مجيد)** مبالغة من ماجد والمجد والشرف، فيكون ذلك كالتعليل لاستحقاق الحمد بجميع المحامد، ويحتمل أن حميد مبالغة من حامد، ويكون كالتعليل للصلاة المطلوبة، فإن الحمد والشكر متقاربان، فحميد قريب من معنى شكور، وذلك مناسب لزيادة الإفضال والإعطاء لما يراد من الأمور العظام، فلذلك المجد والشرف مناسبة لهذا المعنى ظاهرة، قاله ابن دقيق العيد، **(والسلام كما قد علمتم)** في التشهد (بفتح العين وكسر اللام، مخففة وبضم العين وشد اللام) أي: علمتموه، روايتان من العلم والتعليم.

قال البرقي والأولى أصح، وقال النووي: كلاهما صحيح، **(رواه مالك)** في الموطأ، **(ومسلم)** عن يحيى بن يحيى التميمي، النيسابوري، عن مالك به، **(وغيرهما،)** كأبي داود والنسائي والدارقطني وابن حبان والحاكم، **(فإن قلت: ماوقع،)** أي: وجه **(التشبيه في قوله، كما صليت على إبراهيم، مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه، لأن محمدًا ﷺ وحده أفضل من آل إبراهيم،** و) هبك أجبت بأن آل مقحم، فهو أفضل **(من إبراهيم، ولا سيما، وقد أضيف إليه آل محمد، وقضية كونه،)** أي: محمد **(أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة له أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره، فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة).**

منها: أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم. وقد أخرج مسلم من حديث أنس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم.

وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صيغة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل.

ومنها: أنه قال ذلك تواضعًا، وشرع ذلك لأمته ليكتسبوا بذلك الفضيلة.

ومنها: أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة، لا للقدر بالقدر، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾ [النساء/١٦٣]، وهو كقول القائل: أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان، ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره، ومنه قوله تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن اللّه إليك﴾ [القصص/

(**منها: أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم**) بل كان يظن أن إبراهيم أفضل منه، (و) يدل لهذا الجواب أنه (**قد أخرج مسلم من حديث أنس، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية،**) أي: الخليقة، (**قال: ذاك إبراهيم**) لثناء اللّه عليه، بنحو ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا للّه حنيفًا﴾ [النحل/١٢٠]، ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ [النحل/١٢٣]، (**وتعقب أنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل**) ولم يغير، ورده شيخنا بأنه لا تلازم بين علمه؛ بأنه أفضل وبين التغيير، لأن بقاء طلب ذلك لا يستلزم نقصًا فيه، بل التغيير قد يوهم نقصًا لإبراهيم.

(**ومنها: أنه قال ذلك تواضعًا**) وهضمًا لنفسه، وتعظيمًا للأبوة، (**وشرع ذلك لأمته،**) أمرًا لهم بالتواضع في جميع الأحوال، (**ليكتسبوا بذلك الفضيلة**) الحاصلة بالتواضع، كخبر من تواضع للّه رفعه اللّه.

وفي نسخة: أو شرع بأو على أنه وجه ثانٍ لهذا الجواب، وذلك لأنهم لما أمروا بصلاة مشبهة بصلاة إبراهيم، وهو دون ما حقه أن يطلب له، ورضوا بها وفعلوها امتثالاً، كان ذلك سببًا للثواب عليها، حيث لم تأبها نفوسهم، لأن عادة اتباع العظيم لا يرضون له إلا بأعظم الأشياء.

(**ومنها: أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة، لا للقدر بالقدر، فهو كقوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك﴾**) شرائع تبلغها، (**﴿كما أوحينا إلى نوح**) والنبيين من بعده﴾ [النساء/١٦٣] الآية، شرائع بلغوها إلى أممهم، فالتشبيه في الوحي مع اختلاف الشرائع، فالمعنى أن أمره في الوحي كسائر الأنبياء، (**وهو كقول القائل، أحسن إلى ولدك، كما أحسنت إلى فلان، ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره**) إذ لا شك أن الإحسان إلى الولد أكثر منه إلى غيره،

٧٧]، ورجح هذا القول القرطبي في «المفهم».

ومنها: أن قوله: اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه، فيكون التشبيه متعلقًا بقوله: وعلى آل محمد.

وتعقب: بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساووا الأنبياء، فكيف يطلب لهم ثواب مثل الصلاة التي وقعت لإبراهيم والأنبياء من آله.

ويمكن الجواب عنه: بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم، لا جميع الصفات التي كانت سببًا للثواب.

وقد نقل العمراني في «البيان» عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب

(ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وأحسن﴾) إلى عباد الله (**﴿كما أحسن الله إليك﴾**) [القصص/٧٧]، بما أنعم عليك، أو أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن إليك بالإنعام، ومعلوم أنه لم يؤمر بالإحسان بقدر ما أحسن الله إليه به من الجاه والمال، فإنما أمره بأصل الإحسان وإن لم يقرب مما أحسن الله به إليه فضلاً عن مساواته.

(ورجح هذا القرطبي في المفهم) في شرح مسلم، وهو وجيه، **(ومنها: أن قوله: اللهم صلِ على محمد مقطوع عن التشبيه، فيكون التشبيه متعلقًا بقوله: وعلى آل محمد،)** وكأنه قيل: اللهم صلِ على محمد صلاة غير مقدرة بشيء، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، **(وتعقب بأن غير الأنبياء، لا يمكن أن يساووا الأنبياء، فكيف يطلب لهم ثواب مثل الصلاة التي وقعت لإبراهيم والأنبياء،)** بالجر عطف على إبراهيم **(من آله)** الذين شملهم قوله وعلى آل إبراهيم فإن الإضافة للعموم، فكأنه قيل: وعلى كل آل إبراهيم ولا شك أن فيهم أنبياء بكثرة، **(ويمكن الجواب عنه،)** أي: عن هذا التعقب على الجواب؛ **(بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم،)** فكأنه قيل: صلِ على آل محمد صلاة ثوابها كثواب الصلاة على إبراهيم، **(لا جميع الصفات التي كانت سببًا للثواب،)** فلم تطلب.

(وقد نقل العمراني) (بكسر العين المهملة وإسكان الميم)، الإمام أبو الخير يحيى بن سالم بن أسعد بن يحيى، من بني عمران، من قرية من قرى اليمن، يقال لها: مصبغة سيل، نشر العلم ببلاد اليمن، وكان يحفظ المهذب، ويقوم به في الليل، قيل: توفي سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة.

ذكره السبكي، وفي اللب نسبة إلى العمرانية: ناحية بالموصل **(في البيان،)** اسم شرحه على المهذب في الفقه، **(عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي،**

عن نص الشافعي. واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي، لأنه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب، كذا قال. وتعقبه الحافظ ابن كثير فقال: ليس التركيب المذكور ركيكًا، بل التقدير: اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت الخ، فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية.

ومنها: دفع المقدمة المذكورة أولاً، وهي أن المشبه به يكون أرفع من

واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي، لأنه مع فصاحته) القرشية **(ومعرفته بلسان،)** أي: لغة **(العرب لا يقول هذا الكلام، المستلزم هذا التركيب الركيك،)** بزنة أمير الضعيف، **(البعيد من كلام العرب،)** ونص ابن القيم: هو باطل عليه قطعًا، فإن الشافعي أجل من أن يقول مثل هذا، ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته، فإنه في غاية الركاكة والضعف، وقد تقدم في كثير من الأحاديث: اللهم صلِ على محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وأيضًا: فلا يصح عربية، فإن العامل إذا ذكر معموله وعطف عليه غيره ثم قيد بظرف أو جار ومجرور أو مصدر أو صفة مصدر، كان ذلك راجعًا إلى المعمول، وما عطف عليه هذا الذي لا تحتمل العربية غيره، فإذا قلت: جاءني زيد وعمرو يوم الجمعة، فالظرف مقيد لمجيئهما، لا لمجيء عمرو وحده، وكذا إذا قلت: ضربت زيدًا وعمرًا ضربًا مؤلمًا، أو أمام الأمير، أو سلم على زيد وعمرو يوم الجمعة ونحوه، فإن قيل: هذا متجه إذا لم يعد العامل، أما إذا أعيد، كسلم على زيد وعلى عمرو إذا لقيته، فلا يمتنع أن يخص بالثاني، وقد أعيد العامل في قوله: وعلى آل محمد، قيل: ليس هذا المثال بمطابق لمسألة الصلاة، وإنما المطابق أن يقول سلم على زيد وعلى عمرو كما تسلم على المؤمنين ونحو ذلك وحينئذٍ فادعاه أن التشبيه كسلامه على عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة.

(كذا قال، وتعقبه الحافظ ابن كثير،) وفي نسخة ابن حجر، **(فقال: ليس التركيب المذكور ركيكًا، بل التقدير: اللهم صلِ على محمد)** صلاة غير مشبهة بشيء، **(وصلِ على آل محمد، كما صليت على...الخ، فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية،)** ولم يظهر دفع الركة بهذا التقدير، فإنه حاصل معناه؛ فلا يدفع التعقب، وقد تعقبه الزركشي أيضًا؛ بأنه مخالف لقاعدة الأصول في رجوع المتعلقات إلى جميع الجمل وبأن التشبيه جاء في بعض الروايات من غير ذكر الآل. انتهى.

ومر الثاني عن ابن القيم أيضًا، لكن تقدم عن الحافظ، أنه من اختصار بعض الرواة، **(ومنها: دفع،)** أي: منع **(المقدمة المذكورة أولاً، وهي أن المشبه به يكون أرفع:)** أعلى **(من**

المشبه، وأن ذلك ليس مطردًا، بل يكون التشبيه بالمثل، بل بالدون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ [النور/٣٥]، فيها ومصباح وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى؟ ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئًا ظاهرًا واضحًا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة، وكذا هنا: لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهورًا واضحًا عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين أي كما أظهرت صلة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، ولهذا لم يقع في العالمين إلا في ذكر إبراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه، وهو حديث أبي مسعود الأنصاري الذي ذكرته.

وهذا معنى قول الطيبي: وليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص

(المشبه) التي نشأ منها الإشكال، **(و)** سند المنع، **(إن ذلك ليس مطردًا، بل قد يكون التشبيه بالمثل)** المساوي، **(بل بالدون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾)** طاقة غير نافذة **(﴿فيها مصباح﴾)** [النور/٣٥]، **(وأين يقع نور المشكاة،)** أي: المصباح الكائن فيها في زجاجة **(من نوره تعالى، ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئًا ظاهرًا واضحًا للسامع، حسن تشبيه النور بالمشكاة)** تقريبًا للناس بما يعلمون.

(وكذا هنا، لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهورًا واضحًا عند جميع الطوائف، حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم،) إعلامًا بعظمتهم.

(ويؤيد ذلك ختم الطلب، المذكور بقوله في العالمين، أي:) أظهر صلاة عليهم في العالمين، **(كما أظهرت صلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين،)** فالتشبيه من حيث الإظهار، لا من حيث التفاوت في المقدار، **(ولهذا لم يقع في العالمين إلا في ذكر إبراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه، وهو حديث أبي مسعود الأنصاري الذي ذكرته)** قريبًا.

(وهذا معنى قول الطيبي، وليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص بالكامل) الذي هو حقيقة التشبيه، وانبنى عليه الإشكال، وكان الأولى أن يعبر بإلحاق الكامل بالأكمل، كما عبر الحافظ، إذ لا نقص هنا، وإن كان منفيًا، والمراد: الناقص في الكمال، لكن اللفظ

بالكامل، بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر.

وقال النووي: أحسن الأجوبة ما نسب إلى الشافعي: أن التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع.

وقال ابن القيم - بعد أن زيف أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالمجموع -: وأحسن منه أن يقال: هو ﷺ من آل إبراهيم، وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **﴿إن الله اصطفى ءادم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾** [آل عمران/٣٣] قال: محمد من آل إبراهيم فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصًا بقدر ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل

موحش في هذا المقام، (**بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر**) في العالمين، لأنه فيما يستقبل، والذي يحصل لمحمد ﷺ من ذلك أقوى وأكمل، أو من باب التهييج ونحوه، كما في الفتح.

(**وقال النووي: أحسن الأجوبة ما نسب إلى الشافعي،**) كما تقدم عنه، ولفظ النووي المختار ثلاثة أقوال: أحدها: حكاه بعض أصحابنا عن الشافعي، فذكر ما مر، ثم قال القول الثاني: إن المسؤول المشاركة في أصل الصلاة لا قدرها، فسقطت، أو من المصنف قبل قوله: (**إن التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة**) لا للقدر بالقدر، وهو ثالث الأجوبة السابقة، وأشار للثالث مما اختاره النووي، ولم يتقدم بقوله: (**أو للمجموع بالمجموع،**) لأن مجموع آل إبراهيم أفضل من مجموع آل محمد، لأن في آل إبراهيم أنبياء لا يحصون، بخلاف آل محمد، فلا نبي فيهم، فطلب إلحاق هذه الجملة التي فيها نبي واحد بتلك الجملة التي فيها خلائق من الأنبياء. هذا كلام النووي.

قال الحافظ: يعكر على هذا الجواب التفصيل الواقع في غالب طرق الحديث، (**وقال ابن القيم بعد أن زيف:**) ضعف (**أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالمجموع،**) لو حذف لفظ أكثر، استقام الاستثناء، (**وأحسن منه أن يقال: هو ﷺ من آل إبراهيم، وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾**) [آل عمران/٣٣].

(**قال**) ابن عباس: (**محمد**) ﷺ (**من آل إبراهيم**)، بل أجل آله، (**فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصًا، بقدر**) (بالقاف وراء آخره) (**ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل إبراهيم عمومًا، فيحصل لآله،**) أي: المصطفى (**ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله**

إبراهيم عمومًا، فيحصل لآله ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له، وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم. ويظهر حينئذٍ فائدة التشبيه، وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من ألفاظ.

وقال الحليمي: سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في بيت إبراهيم: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ [هود/٧٣] وقد علم أن محمدًا وآل محمد من أهل بيت إبراهيم، فكأنه قال: قولوا اللهم أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما أجبتها عندما قالوها في آل إبراهيم الموجودين حينئذٍ، ولذلك ختم بما ختم به هذه الآية وهي قوله إنك حميد مجيد.

ومما يعزى للعارف الرباني أبي محمد المرجاني أنه قال: وسر قوله ﷺ: كما صليت على إبراهيم وباركت على إبراهيم ولم يقل: كما صليت على موسى،

له، وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم، وتظهر حينئذٍ فائدة التشبيه،) وهي التخصيص والتعميم معًا، **(وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من ألفاظ.)** نحو ﷺ **(وقال الحليمي: سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في)** أهل **(بيت إبراهيم: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، وقد علم أن محمدًا وآل محمد من أهل بيت إبراهيم، فكأنه)** ﷺ **(قال: قولوا: اللهم أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد، كما أجبتها،)** أي: الصلاة المعبر عنها بالدعاء **(عندما قالوها في آل إبراهيم الموجودين حينئذٍ، ولذلك ختم)** الدعاء في الصلاة **(بما ختم به هذه الآية، وهي قوله: إنك حميد مجيد).**

ومن محاسن الأجوبة ما نقله المجد الشيرازي عن بعض أهل الكشف أن التشبيه لغير لفظ المشبه به لا لعينه، وذلك أن المراد باللهم صلِ على محمدًا، جعل من أتباعه من يبلغ النهاية في أمر الدين، كالعلماء بشرعه، بتقريرهم أمر الشريعة، كما صليت على إبراهيم، بأن جعلت في أتباعه أنبياء يقررون الشريعة، والمراد بقوله: على آل محمدًا، جعل من أتباعه محدثين يخبرون بالمغيبات، كما صليت على آل إبراهيم، بأن جعلت منهم أنبياء يخبرون بالغيب، فالمطلوب حصول صفات الأنبياء لآل محمد، وهم أتباعه في الدين، كما كانت حاصلة بسؤال إبراهيم، **(ومما يعزي للعارف الرباني أبي محمد المرجاني أنه قال: وسر،)** أي: نكتة **(قوله ﷺ: كما صليت على إبراهيم، وباركت على إبراهيم، ولم يقل كما صليت على موسىٰ،)**

لأن موسى عليه السلام كان التجلي له بالجلال، لأن المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال، فلهذا أمرهم صلوات الله وسلامه عليه أن يصلوا عليه كما صلى على إبراهيم، ليسألوا له التجلي بالجمال، وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما، لأنه إنما أمرهم أن يسألوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل، فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي بالجمال، ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين، فإن الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما، وإن اشتركا في وصف التجلي بالجمال، فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده، ورتبته منه ومكانته، فيتجلى للخليل بالجمال بحسب مقامه، ويتجلى لسيدنا محمد ﷺ بالجمال بحسب مقامه، فعلى هذا يفهم الحديث. انتهى.

فإن قلت: ما المراد بآل محمد في هذا الحديث؟

فالجواب: إن الراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة، كما نص عليه

وباركت على موسى، ظاهر **(لأن موسى عليه السلام)** فهو تعليل للخبر المحذوف، **(كان التجلي له بالجلال)** أي: الصفات السلبية، مثل: لا شريك له ولا ند، وكذا سائر التنزيهات، وتسمى صفات الجلال وصفات القهر والغلبة، **(فخر موسى صعقًا، والخليل إبراهيم، كان التجلي له بالجمال لأن المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال)** أي: الصفات الوجودية، كالعلم والقدرة، وتسمى صفات الذات، وصفات المعاني والثبوتية، وصفات الجمال، قاله الكرماني وغيره.

(فلهذا أمرهم صلوات الله وسلامه عليه، أن يصلوا عليه، كما صلى على إبراهيم ليسألوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما، لأنه إنما أمرهم أن يسألوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل، فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي بالجمال، ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين، فإن الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما، وإن اشتركا في وصف التجلي بالجمال، فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته،) أي: عظمته، **(فيتجلى للخليل بالجمال بحسب مقامه، ويتجلى لسيدنا محمد ﷺ بالجمال بحسب مقامه، فعلى هذا يفهم الحديث. انتهى)** ما عزى للمرجاني، وفيه بسط عبارة وزيادة إيضاح، **(فإن قلت ما المراد بآل محمد في هذا الحديث، فالجواب أن الراجح أنهم من حرمت عليه الصدقة، كما نص عليه الشافعي**

الشافعي، واختاره الجمهور، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة.

وقيل: المراد بآل محمد أزواجه وذريته.

وقيل: المراد بهم جميع الأمة أمة الإجابة. حكاه أبو الطيب الطبري عن بعض الشافعية، ورجحه النووي في شرح مسلم، وقيده القاضي حسين بالانقياد منهم، وعليه يحمل كلام من أطلق، ويؤيده ما رواه تمام في فوائده، والديلمي عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: من آل محمد؟ فقال: كل تقي من آل محمد، زاد الديلمي، ثم قرأ: ﴿**إن أولياؤه إلا المتقون**﴾ [الأنفال/٣٤]، وإسنادهما

واختاره الجمهور).

(**ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي**) فيما رواه أحمد والطبراني بإسناد قوي، عن الحسن: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، فمر على جرين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة، فألقيتها في في، فاخذها بلعابها، فقال بعض القوم، وما عليك لو تركتها؟، فقال: (**إنا آل محمد**) قال أبو البقاء: منصوب بأعني أو أخص، وليس بمرفوع على أنه خبر أن، لأن ذلك معلوم لا يحتاج لذكره، وخبر أن قوله: (**لا تحل لنا الصدقة**) لأنها طهرة وغسول لا تكون لأهل الاصطفاء.

(**وقيل: المراد بآل محمد أزواجه وذريته**) كما صرح به في حديث أبي حميد، فما أجمله مرة فسره أخرى.

(**وقيل: المراد بهم جميع الأمة، أمة الإجابة**) بالجر بدل.

(**حكاه أبو الطيب الطبري عن بعض الشافعية**) وهو منقول عن الإمام مالك (**ورجحه النووي في شرح مسلم**) فقال: إنه المختار، ومال إليه ابن العربي، (**وقيده القاضي حسين**) وجماعة (**بالاتقياء منهم، وعليه يحمل كلام من أطلق**) وقيل: يبقى على إطلاقه؛ بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة.

(**ويؤيده ما رواه تمام في فوائده**) الحديثية، (**والديلمي عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ من آل محمد؟، فقال: كل تقي من آل محمد**) أي: يختصون به اختصاص آل الرجل به، فيدخل أهل البيت دخولاً أوليًا وهذا لفظ تمام، ولفظ الديلمي، فقال: آل محمد كل تقي.

زاد الديلمي: ثم قرأ) قوله تعالى: (﴿**إن**﴾) ما (﴿**أولياؤه إلا المتقون**﴾) [الأنفال/٣٤]

ضعيف، لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيحين كحديث: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين. انتهى ملخصًا.

وقد استدل العلماء بتعليمه ﷺ لأصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها، بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه، لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل.

ويترتب على ذلك: أنه لو حلف أن يصلي على النبي ﷺ أفضل الصلاة،

الآية، فإن التقوى أصل كل عبادة ووصية الله لأهل الكتب بأسرها.

قال الحافظ: وهذا أولى الأقوال في باب الصلاة عليه وعلى آله، بخلاف باب الصدقة، **(وإسنادهما،)** أي: تمام والديلمي **(ضعيف،)** لأن فيه نوح بن أبي مريم، ضعيف جدًا.

وقال البيهقي: حديث لا يحل الاحتجاج به، **(لكن ورد ما يشهد لذلك)** يقويه، بحيث يصلح للحجة، وعبارة السخاوي أسانيده كلها ضعيفة، لكن شواهده كثيرة **(في الصحيحين، كحديث)** عمرو بن العاصي: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن آل أبي فلان،)** كناية عن اسم علم، جزم الدمياطي بأن المراد آل أبي العاصي بن أمية، وفي سراج المريدين لابن العربي آل أبي طالب، وأيده الحافظ بحديث أبي نعيم، أن لبني أبي طالب رحما الحديث، **(ليسوا لي بأولياء،)** وفي رواية: ليسوا بأوليائي.

قال ابن التين: المراد من لم يسلم منهم، فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض، وحمله الخطابي على ولاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين، **(إنما وليي الله)** (بشد الياء مضاف لياء المتكلم المفتوحة) **(وصالح المؤمنين:)** من صلح منهم، أي: أسلم وعمل صالحًا.

وقيل: من برىء من النفاق، وقيل: الصحابة، وهو واحد أريد به الجمع، كقولك: لا تقتل هذا الصالح من الناس، تريد الجنس، وقيل: أصله صالحو، فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ، وقال الطيبي: المعنى لا أوالي أحد بالقرابة، وإنما أحب الله لحقه الواجب على العباد، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله، وأوالي من أوالي بالإيمان والصلاح، سواء كان من ذوي رحمي أم لا، ولكن أراعي لذوي رحمي حقهم بصلة الرحم، يعني لقوله في بقية الحديث: ولكن لهم رحم أبلها ببلالها، بفتح الهمزة وضم الموحدة واللام المشددة، قال البخاري: يعني أصلها بصلتها. **(انتهى ملخصًا)** هذا المبحث.

(وقد استدل العلماء بتعليمه ﷺ لأصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها، بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه، لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل، ويترتب على ذلك) كثرة الثواب، و**(أنه لو حلف أن يصلي على النبي ﷺ أفضل الصلاة، فطريق البر أن يأتي بذلك،**

فطريق البر أن يأتي بذلك، هكذا صوبه النووي في «الروضة»، بعد ذكر حكاية الرافعي عن إبراهيم المروزي أنه قال: يبرأ إذا قال: كلما ذكره الذاكرون، وكلما سها عن ذكره الغافلون. قال النووي: وكأنه أخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية ـ يعني في خطبة «الرسالة» له ـ ولكن بلفظ «غفل» بدل «سها».

وقال الأذرعي: «إبراهيم» المذكور كثير النقل من تعليقه القاضي حسين، ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر أن يقول: اللهم صل على محمد كما هو أهله ويستحقه، وكذا نقله البغوي في تعليقه.

ولو جمع بينها فقال ما في الحديث، وأضاف إليه أثر الشافعي، وما قاله

هكذا صوبه النووي في الروضة،) ووجهه السبكي؛ بأن من أتى بها فقد صلى على النبي ﷺ الصلاة المطلوبة بيقين، وكان له الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة بيقين، وكل من جاء بلفظ غيرها، فهو من إتيانه بالصلاة المطلوبة في شك، لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟، قال قولوا: فجعل الصلاة عليه منهم هو قول هذا. انتهى.

(**بعد ذكر حكاية الرافعي عن إبراهيم المروزي، أنه قال: يبرأ إذا قال: كلما ذكره الذاكرون، وكلما سها عن ذكره الغافلون، قال النووي: وكأنه،)** أي: المروزي (**أخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية، يعني في خطبة الرسالة له، ولكن بلفظ غفل بدل سها،)** وإن اتحد معناهما، وأوثر على سكت، لأن الساكت قد يكون ذاكرًا بقلبه، والساهي والغافل لم يذكر قلبه ولا لسانه، وظاهر سياق الرسالة أن ضمير ذكره وغفل عنه راجع إلى اللّه.

قال الأذرعي: وهو الوجه. قال غيره: لأن اللّه تعالى هو الذي يوصف بكثرة الذكر عادة، وبغفلة الذاكر عنه، وإن كان الكل صحيحًا، والمعنى لا يختلف، ولو استحضر المصلي الأمرين جميعًا لكان حسنًا، قاله في الدر المنضود.

(**وقال الأذرعي:**) (بفتح أوله والراء بينهما معجمة ساكنة نسبة إلى أذرعات، بكسر الراء ناحية بالشام) (**إبراهيم المذكور، كثير النقل من تعليقة القاضي حسين، ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر: أن يقول اللهم صلِ على محمد، كما هو أهله ويستحقه**).

(**وكذا نقله البغوي في تعليقه**) عن القاضي: (**ولو جمع بينها،**) أي: الثلاثة، (**فقال: ما في الحديث**) النبوي، (**وأضاف**) ضم (**إليه أثر الشافعي،**) أي: المأثور عنه أنه قاله في خطبة الرسالة لا الأثر بالمعنى المصطلح عليه، لأن الشافعي لم ينقله أثرًا، إنما قاله في الخطبة من نفسه.

قال النووي: ولعل الشافعي أول من استعمل تلك الكيفية. (**وما قاله القاضي حسين، لكان**

القاضي حسين لكان أشمل. ولو قيل: إنه يعمد إلى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرًا يحصل به البر لكان حسنًا.

وعن ابن مسعود، أن رسول اللَّه ﷺ قال: إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل: اللّٰهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد، كما صليت وباركت وترحمت على إبرٰهيم إنك حميد مجيد، رواه الحاكم.

وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي ﷺ، كما هو قول الجمهور، ويعضده قول الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال له رسول اللَّه ﷺ: لقد تحجرت واسعًا.

أشمل، ولو قيل: أنه يعمد) بكسر الميم، يقصد **(إلى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة)** عنه ﷺ، **(فيستعمل منها ذكرًا يحصل به البر، لكان حسنًا.)** فلا يقتصر على واحدة بعينها.

(وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إذا تشهد أحدكم في الصلاة،) سمي تشهدًا لاشتماله على النطق بشهادة الحق تغليبًا لها على بقية أذكاره لشرفها، **(فليقل: اللهم صلِ على محمد، وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبرٰهيم، إنك حميد مجيد، رواه الحاكم)** في المستدرك، واغتر قوم بتصحيحه، فوهموا، لأنه من رواية يحيى بن السباق، وهو مجهول عن رجل مبهم، قاله المصنف في المقصد التاسع.

(وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي ﷺ، كما هو قول الجمهور) من العلماء، وإنما أتى بقد وإن كان نصًا في الجواز لضعف الحديث، ولذا احتاج إلى قوله: **(ويعضده:)** يقويه **(قول الأعرابي،)** المختلف في أنه الأقرع بن حابس التميمي، أو ذو الخويصرة اليماني، أو عيينة بن حصن، أو ذو الخويصرة التميمي، وهو غير اليماني حسين، قال: لما دخل المسجد بعد أن صلى ركعتين، كما في رواية الترمذي وغيره: **(اللهم ارحمني ومحمدًا،)** يعني النبي ﷺ، **(ولا ترحم معنا أحدًا،)** فلم ينكر عليه الدعاء بالرحمة، وإنما أنكر التخصيص، **(فقال له رسول الله ﷺ: لقد تحجرت واسعًا،)** أي: ضيقت من رحمة اللّٰه ما وسعته، إذ خصصتني وخصصت نفسك بها دون غيرنا، مع أنها وسعت كل شيء، فهو تحجر، تفعل من الحجر وهو المنع، هكذا فسره الجمهور، زاد في رواية الترمذي وغيره: فلم يلبث أن بال في المسجد.

وللدارقطني عن ابن مسعود، جاء إعرابي، شيخ كبير، فقال: يا محمد متى الساعة؟، قال: ما أعددت لها، قال: لا والذي بعثك بالحق ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، إلا أني

وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال: وأجازه أبو محمد بن أبي زيد. انتهى.

وسيأتي ما في ذلك من البحث إن شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد.

وعن سلامة الكندي أن عليًا كان يعلم الناس هذا الدعاء ـ وفي لفظ: يعلم الناس الصلاة على رسول الله ﷺ ـ **فيقول: اللهم داحي المدحوات، وبارىء المسموكات، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك، على محمد**

أحب الله ورسوله، قال: فإنك مع من أحببت، قال: فذهب، فأخذه البول في المسجد، فمر عليه الناس، فأقاموه، فقال ﷺ: دعوه عسى أن يكون من أهل الجنة، وصبوا على بوله الماء، ولذا تطرف من قال: هو السائل والقائل والبائل، لكن هنيئًا له الجنة.

(وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه، قال: وأجازه أبو محمد بن أبي زيد،) قال عياض: ولم يأتِ به حديث صحيح، وحجته قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. **(انتهى)**.

وقد شددوا النكير على أبي محمد، **(وسيأتي ما في ذلك من البحث إن شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد)** بما منه الانتصار لابن أبي زيد، بما حاصله أن الإنكار عليه إن كان لأجل أنه لم يصح في أحاديث الصلاة بعد التشهد فمسلم، وإلا فدعوى أنه لا يقال: وارحم محمدًا ممنوعة لثبوت ذلك في عدة أحاديث، أصحها في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

(وعن سلامة) بن قيصر **(الكندي)** بكسر الكاف وإسكان النون نسبة إلى كندة قبيلة باليمن، الحضرمي، التابعي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يروى عن علي وعنه نوح بن قيس **(أن عليًا)** أمير المؤمنين **(كان يعلم الناس هذا الدعاء، وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله ﷺ، فيقول: اللهم داحي المدحوات،)** أي: باسط الأرضين، اسم فاعل من دحا، كقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات/٣٠]، أي: بسطها ووسعها، لأنها خلقت أولاً ربوة، ثم بسطت ومهدت، وروي المدحيات بالياء، يقال: يدحو ويدحي (بالواو والياء)، وفيه إطلاق داحي على الله، فهو حجة لمن قال: الأسماء ليست توقيفية، ويكفي ورود مادتها، كدحا، **(وبارىء)** (بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال، أي: ميز وأفرز) **(المسموكات،)** أي: المرفوعات، يعني السموات.

وروى سامك بدل بارىء، ومعناه، رافع، وأسقط من الرواية هنا، وجبار القلوب على

عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ لجيشات الأباطيل، كما حمّل فاضطلع بأمرك بطاعتك، مستوفزًا في مرضاتك، واعيًا لوحيك، حافظًا لعهدك، ماضيًا على نفاذ أمرك، حتى أورى قبسًا

فطرتها شقيها وسعيدها، **(اجعل شرائف صلواتك)** أفضلها وأعلاها، جمع شريفة، أي: عالية، رفيعة المقدار من الشرف، وأصله ما علا من الأرض على غيره، **(ونوامي بركاتك،)** أي: ما زاد إلى غير نهاية من خيراتك من إضافة الصفة لموصوفها، أي: بركاتك النامية، أي: الزائدة، **(ورأفة،)** أشد رحمة **(تحننك،)** شفقتك ورحمتك ولطفك، نازلة متوالية **(على محمد عبدك،)** قدمه لشرف العبودية على غيرها، بدلالتها على القرب، **(ورسولك)** لجميع العالمين، **(الفاتح لما أغلق)** (بضم الهمزة وكسر اللام) من الشرائع، فبينه لأن اللّه أنزل عليه وحيه، فبينه وشرحه، وفتح المغلق منه، وبسط ما انبهم، فأوضحه وفتح مشكله؛ أو فاتح أبواب السعادات الدنيوية والأخروية، واستبعد تفسيره بأنه أول الناس خلقًا وآخرهم بعثًا، **(والخاتم لما سبق)** من النبوة والرسالة، فلا نبي بعده ولا رسول، أو من الشرع والإسلام، ولا حاجة لتفسيره بالأنبياء والرسل، المحوج لجعل ما بمعنى من، **(والمعلن)** اسم فاعل، أي: المظهر **(الحق،)** بالنصب مفعوله، والجر بإضافته، وليس النصب بنزع الخافض لتعدي معلن بنفسه **(بالحق،)** أي: الدين والشرع، فأقيم الظاهر مقام الضمير، أو الحق الثاني اللّه عزّ وجلّ، فهو من أسمائه، أي: بمعونة اللّه وتأييده، **(والدامغ:)** الدافع والمزيل، مستعار من دمغه إذا كسر دماغه، قاله الراغب. **(لجيشات:)** جمع جيشة المرة من جاش إذا فار وارتفع، أي: ارتفاعات **(الأباطيل،)** وعلوها جمع باطل على غير قياس، وقياسه بطيل وأبطول، وقيل: جمع أبطولة أو إبطالة، ولم يسمع، وفيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بأمر علا، وألقي عليه صخرة رضته، وألصق بتراب الذلة وتفسير الجيشات بالأجناد لا ينبغي، **(كما حمل)** (بضم الحاء وكسر الميم المشددة والكاف) للتشبيه أو للتعليل، أو بمعنى على، والأول أظهر، فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر، أي: هذه الحالة المذكورة ثابتة له، كما ثبت تحمله أعباء الرسالة، **(فاضطلع)** (بضاد معجمة وطاء مهملة)، أي: قوي على حمله **(بأمرك)**، أي: بسبب امتثاله لا لغرض آخر، أو أريد بالأمر تيسيره وإعانته **(بطاعتك)**، بدل مما قبله، أو متعلق به، وفي نسخة: إطاعتك باللام، أي: فيما كلفته به **(مستوفزًا)** (بالفاء والزاي حال من الضمير في حمل أو اضطلع، أي: مستعجلاً جادًا غير متوانٍ فيما أمرته به، **(في مرضاتك،)** أي: رضاك، وفي ظرفية أو للتعليل.

زاد في بعض نسخ الشفاء: بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم، أي: بغير جبن في إقدامه، ولا ضعف في عزيمته، **(واعيًا)** بالواو، حافظًا، ضابطًا **(لوحيك،)** الذي أوحيته إليه، لم يشغله عنه ما لقيه من المشاق في تبليغه، **(حافظًا لعهدك)** أي: متمسكًا، مداومًا على ما عاهدته عليه من

لقابس آلاء اللّٰه، يصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب، بعد خوضات الفتن والإثم، وأنهج موضحات الأعلام، ونائرات الأحكام، ومنيرات الإسلام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة ورسولك بالحق

الإيمان والإخلاص في طاعتك، أو امتثال أمرك ونهيك، كما قال: وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت (**ماضيًا**،) مجتهدًا، مستمرًا (**على نفاذ أمرك**) (بذال معجمة من أنفذ).

كذا أمضاه وبلغ أقصاه، (**حتى أورى**،) أضاء وأنار (**قبسًا**) (بفتحتين) شعلة من نار، استعير ذلك لإظهار الحق (**لقابس:**) طالب نور الحق والهداية التي هي من (**آلاء اللّٰه:**) بالمد جمع إلى بالقصر مع الفتح والكسر، أي: نعم (**يصل**) من الوصل (**بأهله**،) أي: بأهل ذلك القبس (**أسبابه:**) جمع سبب، وهو ما يوصل به إلى الشيء، والجملة صفة قبس (**به هديت**) (بضم الهاء وكسر الدال) أرشدت (**القلوب**) الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل (**بعد خوضات**،) جمع خوضة الدخول في الماء، ويستعار للدخول في كل أمر يذم (**الفتن:**) جمع فتنة ما يفتن به الإنسان من المحن، ويقال: هي العذاب؛ ويقال: أيضًا الحروب، وتطلق على الكفر، وبه فسروا ﴿الفتنة أشد من القتل﴾،) وهو المراد هنا، أي: بعد كفرهم (**و**) وقوعهم في مهاوي (**الإثم**، **وأنهج**) (بالنون)، أي: بين وسهل وأوضح، وفي نسخة: بالموحدة أي: أنار وأشرق (**موضحات الأعلام:**) جمع علم، بمعنى علامة ما يهتدى به، وسقط من أكثر نسخ الشفاء أبهج (بالباء أو النون)، وكذا سقط في أصل عياض لصحة الكلام بدونه، فموضحات، بفتح الضاد اسم مفعول هديت بحذف الخافض، أي: إلى موضحات، أو نصب حال من القلوب، أي: حال كونها موضحات، وجوز رفعه خبر مبتدأ مقدر، هو ضمير القلوب، أي: ظاهرة أدلة هدايتها، ويجوز كسر الضاد: جمع موضحة اسم فاعل من الإيضاح الكشف والبيان، أي: صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات، أو ناشرات لها الأعلام، بمعنى الألوية، (**ونائرات:**) جمع نائرة من النور الضياء، أي: مضيآت (**الأحكام**) الشريعة من حلال وحرام وغيرهما، (**ومنيرات**) من أنار المتعدى، أي: مظهرات ومضيئات (**الإسلام**) الدين، أو الاستسلام والانقياد لأمر اللّٰه.

ثم المعنى على سقوط لفظ أنهج ظاهر، لأن مآله أنه هديت به القلوب للأدلة الدالة على ما هديت له من أحكام الشريعة، ولما يظهر الدين ويؤيده من نصره، أما على رواية إثباتها، فمعناه أنه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية، وإظهاره بالنسبة لغيرهم، أو إظهار إشاعته وانتشاره حتى يصل إلى أقصى الأرض، فتدين له الملوك والجبابرة، (**فهو أمينك**) على وحيك وأسرارك التي أطلعته عليها، (**المأمون**) الذي ارتضيته لحفظها، أو خلقته حفيظًا عليها، كما أشار له بقوله: (**وخازن علمك المخزون**) في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك، حتى أنزلته له

رحمة، اللَّهم افسح له في عدنك، وآجزه مضاعفات الخير من فضلك، مهنئات له غير مكدرات، من فوز ثوابك المحلول، وجزيل عطائك المعلول، اللهم أعل على

وائتمنته عليه دون غيره، وأمرته بإيصاله لمن يليق به، **(وشهيدك)** فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة **(يوم الدين)** يوم القيامة على الأنبياء وأممهم، أي: بتصديقهم على تبليغهم، **(وبعيثك)** فعيل بمعنى مفعول، أي: مبعوثك الذي بعثته **(نعمة)** مفعول لأجله، أي: ليكون رحمة للعالمين، **(ورسولك بالحق،)** الثابت في نفس الأمر، **(رحمة)** عامة لجميع خلقك مفعول له أيضًا.

وقد يفرق بين رحمة ونعمة بأنها ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه، التي كانت سببًا لخلوصهم من الكفر والضلال، ليدفع التكرار، **(اللهم إفسح:)** وسع **(له في عدنك)** (بالنون) بخط عياض، قبلها دال ساكنة، اسم للجنة مطلقًا، كقوله: جنات عدن مفتحة، ومعناه: دار الخلود من عدن أقام، ويكون اسمًا أيضًا لجنة مخصوصة بها، عرفها لهم، والمراد طلب بهجة مقامه وزيادة حسنة وشرف منظره، لأن سعة المنزل أمر مستحسن، ولذا قيل: أحسن المنازل ما سافر فيه النظر، وإلا فسعة الجنة أمر معلوم.

ورواه العزفي (بزاي وفاء)، عن عياض: عدلك بلام بدل النون، أي: وسع له في رضاك، وجزائك له ما يليق به، (وآجزه) (بهمزة وصل وجيم ساكنة وزاي مكسورة ثلاثي من جزى)، قال تعالىٰ: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ [الإنسان/١٢]، هكذا روي في الأصول المعتمدة، وصوبه السخاوي، وضبط في كثير من الأصول (بهمزة قطع مفتوحة وكسر الجيم) من الجائزة، وهي العطية، أو من الأجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الأخيرة، ثم عومل معاملة المعتل كارم، أي: أكفه عمن سواك، وروي (براء مفتوحة).

قال السخاوي: وأظنه تصحيفًا **(مضاعفات الخير:)** زياداته التي لا تنحصر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، **(من فضلك،)** لأنه لا يجب عليك شيء، فهو رد على المعتزلة، **(مهنآت له:)** جمع مهنأة (بشد النون والهمز اسم مفعول من الهنيء)، وهو السائغ، وكل ما أتى من غير تنغيص، وهو حال من مضاعفات **(غير مكدرات،)** أي: منغصات حال، أو صفة مهنآت مؤكدة **(من فوز)** (بفاء وزاي منقوطة) عند الأكثرين، وهو الظفر بنيل البغية، ولبعضهم براء مهملة بمعنى سريع عاجل، كما قيل: أهنأ البر عاجله مستعار من فارت القدر إذا غلت **(ثوابك،)** غطائك **(المحلول)** (بحاء مهملة) من حل إذا نزل، أي: الكائن في الجنة، أو الذي أوصلته له، فصار صفة له، حالاً فيه، أو المستوجب (بفتح الجيم)، أي: الذي استوجبه واستحقه من حل إذا وجب، قيل: وهو بعيد متكلف، **(وجزيل،)** أي: كثير وعظيم **(عطائك؛)** إحسانك وإنعامك **(المعلول:)** المضاعف من العلل، وهو الشراب مرة بعد نهل، وهو الشرب مرة، فشبه عطاءه

بناء الناس بناءه، وأكرم مثواه لديك ونزله، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة، مرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل، وبرهان عظيم. حديث موقوف، لكن قال الحافظ بن كثير: في سنده نظر، قال: وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي هذا ليس بمعروف، ولم يدرك عليًا، كذا قال.

وقوله: «داحي المدحوات»: أي باسط الأرضين، وكل شيء بسطته ووسعته

بمنهل عذب يرده العطاش، كما تريد مرارًا، والمراد أنه كثير لا ينقطع، (**اللهم أعل**) (بقطع الهمزة)، أي: اجعله عاليًا رفيعًا (**على بناء**) (بموحدة ونون) (**الناس**،) وروى البانين: جمع بانٍ (**بناءه**) (بموحدة ونون)، أي: اجعل مقامه في الجنة فوق كل مقام، أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار، أو ذاته أشرف من جميع الذوات، لأن الذات بناء اللّه، كما ورد وصحح في بعض النسخ، ثناء بمثلثة، أي: إجعل مدحه فوق ما يثني به الناس عليه، فإنهم لا يقدرون على أدائه حق الأداء، (**وأكرم مثواه**) مقامه (**لديك**) عندك، أي: اجعله حسنًا مرضيًا، (**ونزله**) (بضم النون وسكون الزاي وضمها)، وهو القرى المعد للضيف إذا نزل، والمراد ثوابه وأجره وحسن استعارته، ذكره بعد المثوى، فإنه كرم على كرم، (**وأتمم له نوره:**) اجعله تامًا كاملاً، كائنًا في جميع جهاته وحواسه وقلبه، كما ورد في دعائه، (**وأجزه**) (بهمزة وصل أو قطع على ما سبق) (**من ابتعاثك:**) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة، أي: بعثك بالنبوة والرسالة (**له**) متعلق به لا تعليلية متعلقة بأجزه، كما زعم، أي: كافئه على ما قام به من أمور الرسالة، (**مقبول الشهادة**) في المحشر للأنبياء، وعلى الأمم نصب على الحال (**مرضى المقالة،**) أي: القول ثمة من الشهادة والشفاعة، (**ذا منطق**) نطق (**عدل**) معتدل مستقيم، أي: ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بمحامد لا تضاهى، وهو حال أيضًا، (**وخطة**) (بضم المعجمة وشد المهملة) الأمر والشأن الجزل، (**فصل**) فاصل بين الحق والباطل، (**وبرهان،**) دليل (**عظيم**) قوي قاطع، (**حديث موقوف**) على علي، لم يرفعه.

رواه الطبراني، (**لكن قال الحافظ بن كثير في سنده نظر، قال: وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج**) يوسف (**المزي**) (بكسر الميم والزاي نسبة إلى المزة قرية بدمشق) (**سلامة الكندي: هذا ليس بمعروف، ولم يدرك عليًا،**) فهو منقطع، وعبر عنه السخاوي بمرسل بناءً على أنه سقط منه راوٍ.

(**كذا قال:**) تبرأ منه، لأن ابن حبان عرفه وذكره في كتاب الثقات، وقال: إنه يروي عن علي، وعنه نوح بن قيس، وتكلم المصنف على بعض غريبه، على عادتهم، فقال: (**وقوله داحي المدحوات، أي: باسط**) إشارة إلى أن داحي اسم فاعل (**الأرضين**) السبع، (**وكل شيء بسطته**

فقد دحوته.

«وبارىء المسموكات»: أي خالق السمٰوات، وكل شيء رفعته وأعليته فقد سمكته.

«والدامغ لجيشات الأباطيل»: أي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار. وأصل «الدمغ» من الدماغ، دمغه: أصاب دماغه، و«جيشات» من جاش إذا ارتفع.

«واضطلع»: افتعل من الضلاعة، وهي القوة.

«وأورى قبسًا لقابس»: أي أظهر نورًا من الحق لطالبه.

«وآلاء اللّٰه»: نعم اللّٰه.

«ويصل بأهله»: أي بأهل ذلك القبس وهو الإسلام والحق أسبابه، وأهله

ووسعته فقد دحوته).

قال تعالىٰ: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾، أي: بسطها ووسعها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو، فلا تنافي بين هذه الآية وبين ما في سورة فصلت (**وبارىء المسموكات، أي: خالق**) إشارة إلى أن بارىء اسم فاعل من برأ، بمعنى خلق (**السمٰوات**،) تفسير المسموكات، (**وكل شيء رفعته وأعليته فقد سمكته**،) وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدٍ ولازم، (**والدامغ لجيشات الأباطيل، أي: المهلك**) بيان للدامغ (**لما نجم وارتفع**) عطف تفسير (**منها**،) أي: الأباطيل، (**وفار**) بيان لجيشات، (**وأصل الدمغ من الدماغ**،) يقال: (**دمغه، أصاب دماغه**:) كسره.

قال تعالىٰ: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ [الأنبياء/١٨]، (**وجيشات من جاش إذا ارتفع**،) فالمعنى المذهب لفوران الباطل وظهوره، (**واضطلع**) بزنة (**افتعل من الضلاعة، وهي القوة**) وأصلها قوة، الأَضلاع، فالمعنى أنه ﷺ حمل ثقل ما حمل من القيام بأمر اللّٰه وحقوق النبوة، فحمل ذلك واجتهد وقوي عليه، وقام به أتم قيام، (**وأورىٰ قبسًا لقابس، أي: أظهر نورًا من الحق لطالبه**،) وأصل أورى قدح الزناد لخروج النار شررًا توقد منه، والقبس ما يتناول من الشعلة.

قال تعالىٰ: ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ [النمل/٧]، والاقتباس طلبه، ثم استعير ذلك لإظهار الحق وما يهتدي به الناس، وفي المثل ما كل قادح زنده يوري، (**وآلاء اللّٰه**) (بالمد) (**نعم اللّٰه**) الإلهية، وسعادة الدارين بواسطته، (و) قوله: (**يصل بأهله، أي: بأهل ذلك القبس**،) فضمير أهله عائد له، (**وهو**،) أي: القبس (**الإسلام، والحق أسبابه، وأهله المؤمنون**).

المؤمنون.

«وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم»: أي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الأعلام.

«ونائرات» و «منيرات»: الواضحات، يقال: نار الشيء، وأنار إذا وضح.

«وشهيدك يوم الدين»: يريد الشاهد على أمته يوم القيامة.

«وبعيثك نعمة»: أي مبعوثك، فعيل بمعنى مفعول. «وافسح له»: أي وسع.

«وفي عدنك»: أي في جنتك جنة عدن.

«والمعلول»: من العلل وهو الشرب، يريد أن إعطاءه مضاعف، كأنه يعل به عباده، أي: يعطيهم عطاء بعد عطاء.

«وأعل على بناء الناس» وفي رواية: البانين، أي ارفع فوق عمل العاملين عمله. «واكرم مثواه»: أي منزله. «ونزله»: رزقه. «والخطة»: بضم الخاء المعجمة،

وفي التلمساني، ومعناه: نعم اللّه تصل، أي: النعم أسبابه، وهو ما يتوصل به بأهله، وهاء أسبابه، إما للّه أو لرسوله، وكذا هاء أهله، ومعناه: أسباب اللّه، بأهل اللّه أو أسباب رسول اللّه، بأهل رسول اللّه وهو أولى، لأن المقام له، ويجوز أن يكون آلاء اللّه هو محمد ﷺ، لأن النعمة العظمى، بل النعمة كلها، ومعناه محمد نعمة اللّه، تصل أسبابه بأهله، أو معناه النعمة الإسلام، تصل أسبابه، وهم القرابة، وهي قرابة محمد ﷺ بأهله، أي: بأهل اللّه، وذلك أن نعمة اللّه وهي الإسلام وصلت قرابته ﷺ بأهل اللّه ومعناه ألحقت القرابة بالأهل. انتهى.

(**وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، أي: هديت بعد الكفر**) تفسير للإثم بدليل قوله: (**والفتن**،) أي: المحن والحروب، وفسر غيره الفتن بالكفر، كقوله تعالىٰ: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾) [البقرة/١٩١]، (**لموضحات الأعلام**،) بمعنى الألوية استعارة للهداية، (**ونائرات**) الأحكام، (**ومنيرات الواضحات، يقال: نار الشيء**:) لازم (**وأنار**) متعد (**إذا وضح**).

وفي القاموس: النور: الضوء أيًا كان، أو شعاعه نار نورًا وأنار واستنار ونور وتنور، (**وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على أمته يوم القيامة**.)

قال تعالى: ﴿وجئنا بك (**وبعيثك نعمة**﴾، **أي: مبعوثك فعيل بمعنى مفعول، وافسح له، أي: وسع في عدنك، أي: في جنتك جنة عدن**) من عدن، بمعنى: أقام (**والمعلول من العلل**) (بفتحتين)، (**وهو الشرب**) الثاني بعد الأول، (**يريد أن إعطاءه مضاعف؛ كأنه يعل به عباده، أي: يعطيهم عطاء بعد عطاء**،) إلى ما لا نهاية له، (**وأعل على بناء الناس**).

الأمر والقصة. «والفصل»: القطع.

وعن ابن مسعود قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، فقالوا له: علمنا، قال: قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا، يغبطه فيه الأولون والآخرون، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبرٰهيم وعلى آل إبرٰهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآلإبراهيم إنك حميد مجيد حديث موقوف، رواه ابن ماجه.

(**وفي رواية: البانين**) بدل الناس: جمع بانٍ (**أي: ارفع فوق عمل العاملين عمله وأكرم مثواه، أي: منزله ونزله رزقه،**) وأصل معناه القرى المعد للضيف إذا نزل، (**والخطة بضم الخاء المعجمة**) وبطاء مهملة (**الأمر والقصة والفصل**) بصاد مهملة (**القطع،**) أي: بين الحق والباطل بتمييزه (**وعن ابن مسعود، قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه**) أي: اقصدوا أحسنها وقولوه (**فإنكم لا تدرون**) ما يترتب على صلاتكم أو أنها تبلغه أم لا، (**لعل ذلك**) المذكور من الصلاة (**يعرض عليه،**) لأن جميع أعمال أمته تعرض عليه، والصلاة من أحسنها، فينبغي تحري أحسنها ليزيد سروره بذلك، قال: (**فقالوا له علمنا قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك،**) المراد بجعلها إنزالها، فلذا عداه بعلى، فقال: (**على سيد المرسلين وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد**) (الجر بدل مما قبله) (**عبدك ورسولك إمام الخير،**) المقتدى به في كل خير، أو إمام الأخيار (**ورسول الرحمة**) للعالمين.

وفي مسلم: أنا نبي الرحمة، (**اللهم ابعثه مقامًا محمودًا**) يحمده فيه جميع الخلائق، وهو مقام الشفاعة العظمى والتنكير للتعظيم، (**يغبطه فيه الأولون والآخرون،**) أي: يتمنون نيل مثله من غير زواله عنه، وهذا هوالفرق بين الغبطة والحسد، وقد يراد بالغبطة لازمها، وهي المحبة والسرور لما رأوه فقط، وهو اللائق بالأنبياء الكمل، فإن من تمنى مقام غيره الذي خصه الله به، كأنه يقول: هلاسًا، ويثنى به في مقامه، ففيه اعتراض خفي، (**اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبرٰهيم،**) أي: كما تقدمت منك الصلاة عليه وعلى آله، فنسألك الصلاة على محمد، وآله بطريق الأولى، لأن الذي يثبت للفاضل يثبت للأفضل بالأولى، فليس التشبيه من إلحاق الكامل بالأكمل، بل من باب التهييج ونحوه، كما مر في الأجوبة، وهذا من محاسنها، (**إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرٰهيم وآل إبرٰهيم، إنك حميد مجيد، حديث موقوف، رواه ابن ماجه**) والبيهقي والديلمي، وتمام في

وعن رويفع بن ثابت الأنصاري أن رسول اللّه ﷺ قال: من صلى على محمد، وقال: اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي. رواه الطبراني. قال ابن كثير: وإسناده حسن ولم يخرجوه.

وعن طاوس: سمعت ابن عباس يقول: اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى. رواه إسمعيل القاضي. قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: من سره أن يكتال بالمكيال

فوائده والدارقطني، **(وعن رويفع)** (ضم الراء وفتح الواو وسكون الياء وبالفاء والعين، تصغير رافع **(ابن ثابت)** بن السكن بن عدي بن حارثة **(الأنصاري،)** المدني، صحابي، سكن مصر، وولي أمرة برقة، ومات بها سنة ست وخمسين؛ **(أن رسول اللّه ﷺ قال: من صلى على محمد، وقال: اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك،)** وهو أعلى المنازل **(يوم القيامة وجبت له شفاعتي،)** ثبتت وحقت.

(رواه الطبراني، قال ابن كثير: وإسناده حسن ولم يخرجوه،) أي: أصحاب السنن ونحوهم، ولا يضر ذلك إسناده.

(وعن طاوس) بن كيسان: **(سمعت ابن عباس يقول:)** إذا صلى على النبي ﷺ، **(اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى)** يوم القيامة لفصل القضاء، إذا قيل له: اشفع تشفع، ودعاؤه بذلك لنيل الثواب، وإن كانت محققة له، كما في قوله: **(وارفع درجته:)** منزلته **(العليا)** في الجنة، **(وأعطه سؤله،)** أي: مسؤله ومطلوبه **(في الآخرة)** ونجاة أمته وشفاعاته العديدة، **(والأولى)** الدنيا لتقدمها، كإعلاء كلمة اللّه ونصره، ونصر أمته وسعة ملكهم، وأن لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنّة عامة ونحوه مما ورد في الأحاديث، **(كما آتيت إبراهيم وموسى)** ما سألاه، **(رواه إسمعيل)** بن إسحق **(القاضي)** أحد الحفاظ الأعلام.

(قال ابن كثير وإسناده جيد،) أي: مقبول **(قوي)** في ذلك، فهو **(صحيح)** ومطابقته لترجمة صفة الصلاة عليه مع أنه لا ذكر لها فيه من حيث أن المراد بالصلاة الدعاء، وهذا دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به، وفي بعض النسخ تأخير هذا الأثر بعد قوله.

(وعن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه: ﷺ من سره،) أي: أفرحه **(أن يكتال له بالمكيال الأوفى)** الزائد على غيره، أي: من أحب أجرًا لا يساويه فيه غيره، أو أحب أن يصلي أحسن صلاة، وأعظمها **(إذا صلى علينا أهل البيت)**، فعبر بالمكيال عن ذلك استعارة تبعية مصرحة، أو شبه الأجر بما يشترى من حبوب وتمر، وشبه ذكره وآله باكتياله، لاستيفائه على طريقة

وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، رواه أبو داود.

وأما المواطن التي يشرع فيها الصلاة عليه ﷺ:

فمنها: التشهد الأخير، وهي واجبة فيه، كما قدمنا، وفي وجوبها في التشهد الأول قولان، أظهرهما المنع، لبنائه على التخفيف، بل هي سنة، وفي استحباب الصلاة على الآل في التشهد الأول القولان، وفي وجوبها في الأخير رأيان: أصحهما المنع، بل هي سنة تابعة، وأقلها اللّٰهم صل على محمد، وكذا: صلى الله

المكنية، والأجر لظهور تأديته في قوة المذكور، ووجه الشبه: إن ما به البقاء هو استيفاء الشيء وحيازته، والمراد الترغيب في الصلاة عليهم بهذه الألفاظ، (**فليقل: اللهم صلِ على محمد النبي الأمي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد،**) فضل هذه الصلاة لشمولها ولتعظيمه بوصف النبوة التي هي أقرب منزلة، وبالأمية التي هي من أجل آياته، ووصف أزواجه بما يحبه، وذكر صلاة اللّٰه على أبيه إبراهيم، وختمها بالثناء على اللّٰه.

(**رواه أبو داود،**) وفي الشفاء، وكان الحسن البصري يقول: من أراد أن يشرب بالكاس الأوفى من حوض المصطفى، فليقل: اللهم صلِ على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته، وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين.

(**وأما المواطن:**) جمع وطن مكان الإنسان عبر به مجازًا عن المواضع (**التي يشرع فيها،**) يطلب وجوبًا أو ندبًا (**الصلاة عليه ﷺ،**) ولم يذكر السلام للاقتصار على الصلاة في الأحاديث التي أوردها، أو للخلاف في أفراد الصلاة عنه، (**فمنها التشهد الأخير، وهي واجبة فيه،**) أي: عقبه، لأنها ليست من مسمى التشهد، كما يعلم من أحاديثه، (**كما قدمنا**) عن الشافعية سنّة، أو مستحبة عند غيرهم.

(**وفي وجوبها في التشهد الأول قولان: أظهرهما المنع**) للوجوب (**لبنائه على التخفيف، بل هي سنّة،**) لأنه نفسه سنّة، وتعقبه شيخنا باقتضائه أن أحد قولي الشافعي وجوبها بحيث يأثم بتركها، وليس كذلك، فإن القولين كما في المنهاج وغيره، إنما هما في أنها سنّة في الأول، لأنه سنّة، أو ليست سنّة أصلاً لبنائه على التخفيف، أظهرهما الأول قياسًا على الأخير، أي: على وجوبها فيه لوجوبه، قال في تقريره: ولم نرَ أحدًا نقل القول بوجوبها، إذ الأول سنّة باتفاق.

(**وفي استحباب الصلاة على الآل في التشهد الأول القولان،**) صوابه وجهان: أي:

على محمد، وأقلها على الآل: وآله. وقال في «الكفاية» بإعادة على.

ومنها: خطبتا الجمعة، وكذا غيرها من الخطب، فلا تصح خطبتا الجمعة إلا بها، لأنها عبادة، وذكر الله فيها شرط، فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان والصلاة، وهذا مذهب الشافعي وأحمد.

ومنها: عقب إجابة المؤذن، لما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، أن رسول الله ﷺ قال: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي

مخرجان على القولين، لأن اصطلاح الشافعية أن القول لنص الإمام والوجه لغيره.

(وفي وجوبها) على الآل **(في الأخير رأيان)** للنووي، فرجح في الروضة، أنهما قولان للشافعي، ورجح في شرح المهذب أنهما وجهان لغيره، **(أصحهما المنع)** للوجوب، **(بل هي سنّة تابعة، وأقلها اللهم صلِ على محمد، وكذا صلى الله على محمد، وأقلها: على الآل وآله،)** كما في الروضة وأصلها، وهو يتناول الواجبة، والمندوبة في التشهدين على ما تقدم.

(وقال) ابن الرفعة **(في الكفاية،)** وعلى آله **(بإعادة على،)** فإن أسقطها لم يأتِ بالأقل، لكن في المنهاج وشرحه: وأكمل من قوله وآله أن يقال: وعلى آله، وهو يفيد أنه لا خلاف في الاكتفاء في أداء السنّة بقوله وآله من غير ذكر على كذا في الشرح والمصنف عزا للكفاية، وليس فيما رده به حكاية اتفاق، إنما هو المعتمد، **(ومنها خطبتا الجمعة،** وكذا غيرها من الخطب خطبتا العيدين والكسوف والاستسقاء، وخطب الحج الأربع، **(فلا تصح خطبتا الجمعة إلا بها،)** خصها لوجوبها لصحة الجمعة، وإلا فباقيها لا تصح إلا بها بمعنى أنها سنّة فيها كهي، **(لأنها عبادة، وذكر الله فيها شرط)** للصحة، **(فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها، كالأذان والصلاة، وهذا مذهب الشافعي وأحمد)** ومذهب الجمهور والاستحباب فقط، **(ومنها: عقب إجابة المؤذن)** بعد فراغه من أذانه، فلو ترك إجابته لم تسن له الصلاة، وهو مقتضى كلام الروض، لكن في الرملي ظاهر أن كلا من الإجابة والصلاة على النبي ﷺ والدعاء سنّة مستقلة، فلو ترك بعضها سن له أن يأتي بالباقي، **(لما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي،)** الصحابي، ابن الصحابي، **(أن رسول الله ﷺ قال: إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول)** استحبابًا عند الجمهور، لحديث في مسلم دل على صرف الأمر عن الوجوب، الذي قال به الحنفية والظاهرية وابن وهب وجماعة من السلف. قال الكرماني: وفي تعبيره بالمضارع إشعار بأنه يجيبه بعد كل كلمة مثلها، وللنسائي عن أم حبيبة: كان ﷺ يقول مثل ما يقول المؤذن حتى يسكت، ويستثنى من ذلك الحيعلتان، فيقول بدلهما لا حول ولا قوة إلا بالله، كما في

الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة، وذكره بلفظ «الرجاء» وإن كان

حديث عمر عند مسلم، ومقوية عند البخاري وغيره، ثم المماثلة في القول لا في صفته، فلا يطلب برفع الصوت المطلوب من المؤذن، لأن قصده الأعلام وقصد السامع الذكر، فيكفي السر أو الجهر بلا رفع صوت، نعم لا يكفي إجراؤه على قلبه بدون لفظ الظاهر الأمر بالقول، **(ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي واحدة صلى اللّه عليه بها عشرًا)** أي: رحمه وضاعف أجره بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، وفائدة ذكره وإن كانت كل حسنة كذلك، أنه سبحانه لم يجعل جزاء ذكره، إلا ذكره فكذلك جعل ذكر نبيه ذكر من ذكره، ولم يكتف بذلك، بل زاد، كما في حديث أنس عند أحمد والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات.

قال الطيبي: الصلاة من العبد التعظيم للنبي ﷺ ومن اللّه على العبدان، كانت بمعنى الغفران، فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ، وإن كانت بمعنى التعظيم، فيكون من الموافقة لفظًا ومعنى، وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران مع قوله: وحط عنه عشر خطيئات جمع خطيئة، وهي الذنب، **(ثم سلوا اللّه لي الوسيلة،)** فعيلة من وسل إذا تقرب، وتطلق على المنزلة العلية، كما قال: **(فإنها منزلة في الجنة،)** وهي علم على أعلى درجة في الجنة، على أنه يمكن رده إلى الأول، فالواصل إلى تلك المنزلة قرب إلى اللّه، فتكون كالقربة التي يتوسل بها.

وفي المسند عن أبي سعيد مرفوعًا: الوسيلة درجة عند اللّه، ليس فوقها درجة، فسلوا اللّه لي الوسيلة، ولابن أبي حاتم عن علي، أنه قال على منبر الكوفة: إن في الجنة لؤلؤتين بيضاء وصفراء، فالبيضاء واسمها الوسيلة لمحمد وأهل بيته، والصفراء لإبراهيم وأهل بيته.

قال ابن كثير: أثر غريب. وأمر أمته أن يسألوها له لينالوا بالدعاء الزلفى وزيادة الإيمان، وأيضًا فإن اللّه قدرها له بأسباب، منها دعاء أمته له بها لما نالوا على يده من الهدى والإيمان. انتهى من المقصد الأخير ملخصًا.

(لا تنبغي:) لا تكون **(إلا لعبد)** واحد عظيم جليل، فالتنوين والتنكير للتعظيم **(من عباد اللّه)** الاشراف المقربين، فالإضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم، **(وأرجو أن أكون، أنا)** تأكيد للضمير المستتر في أكون و **(هو)** خبر وضع بدل إياه، ويحتمل أن يكون تأكيدًا، بل مبتدأ وخبر، والجملة خبر أكون، ويمكن أن هو وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك، قاله الأبي: **(فمن سأل اللّه لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)** ونعم هذا الجزاء.

متحقق الوقوع أدبًا وإرشادًا منه وتذكيرًا بالخوف، وتفويضا إلى اللّٰه تعالى بحسب مشيئته، وليكون الطالب للشيء بين الخوف والرجاء.

وقوله: «حلت عليه الشفاعة» أي وجبت، وقيل: غشيته ونزلت به.

تنبيه: قال شيخنا في «المقاصد الحسنة»: حديث «الدرجة الرفيعة» المدرج فيما يقال بعد الأذان، لم أره في شيء من الروايات، وأصل الحديث عند أحمد والبخاري والأربعة عن جابر مرفوعًا: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه

(**وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي**،) كلهم (**من حديث كعب بن علقمة**) بن كعب المصري التنوخي، صدوق، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: بعدها، أي: عن عبد الرحمٰن بن جبير، عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاصي.

قال عياض: كان بعض من رأيناه من المحققين يقول: إنما هذا لمن فعل ذلك محبة وأداء لحقه ﷺ من التعظيم والإجلال، لا لمن قصد الثواب أو ختم دعاءه بالصلاة عليه، وفيما قاله نظر. انتهى.

قال الحافظ: وهو تحكم غير مرضي، ولو كان أخرج الغافل اللاهي، لكان أشبه، (**وذكره بلفظ الرجاء، وإن كان متحقق الوقوع**) بوعد من لا يخلف الميعاد، وهبة الكريم الجواد (**أدبًا**) معه (**وإرشادًا**،) تعليمًا (**منه**) لأمته، (**وتذكيرًا**) لهم (**بالخوف**) من اللّٰه تعالى، (**وتفويضًا إلى اللّٰه تعالى بحسب مشيئته، وليكون الطالب للشيء بين الخوف والرجاء**) بأن لا يقطع بأحدهما وإن كان الأولى تقديم الرجاء على الخوف عند جمع، أو الخوف على الرجاء عند آخرين، أو الخوف حال الصحة، والرجاء حال المرض عند بعض.

وقال القرطبي: هذا الرجاء قبل علمه أنه صاحب المقام المحمود، ومع ذلك فإن اللّٰه يزيده بدعاء أمته له رفعة، كما يزيدهم بصلاتهم عليه، (**وقوله: حلت عليه الشفاعة، أي: وجبت**) وثبتت، كما صرح به في عدة روايات وصوبه عياض، (**وقيل: غشيته ونزلت به**،) نقله عياض عن المهلب، وقال الصواب: وجبت من حل يحل، بالكسر إذا وجب، وأما حل يحل (بالضم)، فمعناه نزل، زاد الحافظ: ولا يجوز أن يكون حلت من الحل، لأنها لم تكن قبل ذلك محرمة.

(**تنبيه: قال شيخنا**) السخاوي (**في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الأذان**،) أي: الملحق لا بقيد كونه من قول، راوٍ بلا ظهور فصل فجرده عن بعض معناه الاصطلاحي، بدليل قوله: (**لم أره في شيء من الروايات**،) إذ لو كان بمعناه لوجد في بعضها، (**وأصل الحديث عند أحمد، والبخاري والأربعة**) أصحاب السنن، (**عن جابر**

الدعوة التامة والصلاة والقائمة، آت محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة قال: وكأن من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ «الشفاء» من حديث جابر المشار إليه، لكن مع زيادتها في هذه

مرفوعًا: **من قال حين يسمع النداء)** الأذان سمي نداء، لأنه دعاء إلى الصلاة.

قال الحافظ: واللام للعهد، أو التقدير من قال حين يسمع نداء المؤذن، وظاهره أن يقول هذا الذكر حال سماع الأذان، ولا يتقيد بفراغه، لكن يحتمل أن المراد من النداء تمامه، إذ المطلق يحمل على الكامل، ويؤيده حديث عبد اللّه بن عمر.

وعند مسلم بلفظ: قولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، ثم سلوا اللّه لي الوسيلة. ففي هذا أن ذلك يقال عند فراغ الأذان: **(اللهم رب هذا الدعوة)** بفتح الدال **(التامة،)** أي: التوحيد لقوله تعالى ﴿دعوة الحق﴾ [الرعد/ ١٤]، ووصفت بالتامة، لأن الشرك نقص،إذ التامة التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل، بل هي باقية إلى يوم النشور، أو لأنها هي التي تستحق صفة التمام وما سواها بمعرض الفساد، أو لأن فيها إثم القول، وهو لا إله إلا اللّه.

وقال الطيبي: من أوله إلى قوله محمد رسول اللّه هي الدعوة التامة **(والصلاة القائمة)** المعهودة، المدعو إليها حينئذٍ، وهذا أظهر، أو الحيعلتان، أو المراد بالصلاة الدعاء، وبالقائمة الدائمة من قولهم: قام على الشيء إذا داوم، عليه وعلى هذا، فقوله: والصلاة القائمة بيان للدعوة التامة، **(آتِ محمد الوسيلة)** تقدم بيانها، ووجه تخصيص الدعاء له بعد الأذان أنه لما كان دعاء إلى الصلاة، وهي مقربة إلى اللّه ومعراج المؤمنين، وهي مما من اللّه به علينا بإرشاده وهدايته، ناسب أن يجازى على ذلك بالدعاء المقرب إلى اللّه ورفعة المنزلة، فإنا لجزاء من جنس العمل **(والفضيلة)**.

قال الحافظ: أي: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرًا للوسيلة، **(وابعثه مقامًا محمودًا،)** أي: يحمد القائم فيه، وهو يطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ونصب على الظرفية، أي: ابعثه يوم القيامة، فأقمه مقامًا، أو على أنه مفعول به، أو ضمن أبعثه معنى أقمه، ومعنى ابعثه أعطه، ويجوز أن يكون حالاً، أي: ابعثه ذا مقام محمود.

قال النووي: ثبتت الرواية بالتنكير، وكأنه حكاية اللفظ القرآن.

وقال الطيبي: إنما نكره، لأنه أفخم وأجزل، كأنه قيل: مقامًا، أي: مقام محمودًا بكل لسان قلب، وقد جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والطحاوي والبيهقي، وفيه تعقب على من أنكر ذلك، كالنووي **(الذي وعدته،)** زاد في رواية

النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير إلى الشك فيها، ولم أرها في سائر نسخ الشفاء، بل في الشفاء عقد لها فصلاً في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثًا صريحًا، وهو دليل يغلطها. انتهى والله أعلم.

ومنها: أول الدعاء وأوسطه وآخره، لما روي أحمد من حديث جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه، فإن إحتاج إلى شراب شربه، أو الوضوء توضأ، وإلا اهراقه، ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره».

البيهقي: إنك لا تخلف الميعاد

قال الطيبي: المراد بذلك قوله تعالىٰ: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ [الإسراء/ ٧٩]) وأطلق عليه الوعد، لأن عسى من الله واقع، كما صح عن ابن عيينة وغيره، والموصول ما بدل، أو عطف بيان، أو خبر مبتدأ محذوف، وليس صفة للنكرة، وعلى رواية المقام المحمود بالتعريف يصح وصفه بالموصول، (**حلت له شفاعتي يوم القيامة**) اللام بمعنى بدليل الرواية السابقة.

وفي رواية الطحاوي: وجبت، واستشكل جعل ذلك ثوابًا لقائل ذلك مع ما ثبتت أن الشفاعة للمذنبين، وأجيب بأن له شفاعات أخرى، كإدخال الجنة بغير حساب ورفع الدرجات، فيعطي كل أحد ما يناسبه. انتهى.

(**قال**) في المقاصد: (**وكأن من زادها**) أي: الدرجة الرفيعة (**اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفاء من حديث جابر، المشار إليه**) يعني هذا المذكور، (**لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة**) لهذا المغتر بها، (**علم عليها كاتبها بما يشير إلى الشك فيها**) فكيف يعتمد عليها، (**ولم أرها في سائر نسخ الشفاء**) المعتمدة، (**بل في الشفاء عقد لها فصلاً في مكان آخر، ولم يذكر فيه حديثًا صريحًا، وهو دليل يغلطها. انتهى**).

لكن عند ابن أبي عاصم بسند فيه المسعودي، وهو ثقة: اللهم صلِ على محمد وأبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة، فقد وردت بمعناها، (**والله أعلم**)، ويأتي إن شاء الله في العاشر الخلاف في المقام المحمود، والمشهور أنه الشفاعة، (**ومنها: أول الدعاء وأوسطه**) وهو ما بعد الأول وقبل الآخر، لا خصوص أن ما قبله مساوٍ لما بعده في القدر، (**وآخره لما روي أحمد من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: لا تجعلوني كقدح الراكب**،) قيل: وما قدحه يا رسول الله، قال: (**فإن الراكب يملأ قدحه**) (بفتحتين) إناء صغير للشرب، (**ثم يضعه**) عنده (**ويرفع متاعه**) على رحلته، (**فإن احتاج إلى شراب**،) أي: شرب ماء (**شربه**،) أي: ماء قدحه،

ومنها: وهو من آكدها، عقب دعاء القنوت، لما رواه أحمد وأهل السنن، وابن جرير وابن حبان والحاكم، من حديث أبي الجوزاء، عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت». وزاد النسائي في سننه: وصلى الله على النبي،

(أو الوضوء توضأ) (بالهمز وتبدل ألفًا) (وإلا) يحتج لشرب أو وضوء (هراقه) (بفتح الهمزة وسكون الهاء)، أي: طرح ماءه على الأرض لاستغنائه عنه.

قال ابن الأثير: وغيره معناه: لا تؤخروني في الذكر وتجعلوا ذكري تبعًا لكم، بل اعتنوا به، فقدموه ووسطوه واختموا به، كما قال: (ولكن اجعلوني،) أي: ذكرى بالصلاة على (في أول الدعاء وأوسطه وآخره،) ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتأخير ذكره عن الدعاء، كما أن الراكب يبدأ بحمل متاعه وقدحه على الأرض، لا ينظر له، ثم يأخذ ما فيه، أو يريقه ويعلقه في آخر رحله خلفه، وهذا كقول حسان يهجو:

فأنت هجين نيط في آل هاشم   كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(ومنها: وهو من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء) (بالجيم والزاي) أوس بن عبد الله الربعي (بفتح الموحدة)، البصري، ثقة يرسل كثيرًا، مات سنة ثلاث وثمانين، (عن الحسن بن علي) خاتم خلافة النبوة، (قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: اللهم إهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عفيت، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت،) بلفظ الإفراد في الجميع.

وفي رواية للبيهقي: اللهم اهدنا، بالجمع في الجميع، وحملت على الإمام لحديث أبي داود والترمذي، وحسنه مرفوعًا: لا يؤم عبد قومًا فيخص نفسه بدعوة دونهم، فإن فعل فقد خانهم.

(وقني شر ما قضيت).

قال العلامة الشهاب القرافي: معناه: إن الله تعالى يقدر المكروه بعدم دعاء العبد، فإذا استجاب دعاءه لم يقع المقضي بفوات شرطه، وليس هو ردًا للقضاء المبرم، ومنه: صلة الرحم تزيد في العمر والرزق. انتهى. (فإنك) (بالفاء) (تقضي ولا يقضى عليك، وأنه) (بالواو)، وفي رواية بدونها (لا يذل من واليت).

زاد الطبراني في الكبير عن حديث الحسن بن علي نفسه: (ولا يعز من عاديت،

وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك إن شاء اللّه تعالى.

ومنها: أثناء تكبيرات العيدين، لما روى إسمٰعيل القاضي أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة، خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال: إن هذا العيد قد دنا، فكيف التكبير فيه؟ فقال عبد اللّه: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر، وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك. فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمٰن. قال ابن كثير: إسناده صحيح.

ومنها: عند دخول المسجد والخروج منه، لما رواه أحمد عن فاطمة قالت:

(**تباركت**،) زاد في رواية ربنا، أي: كثر خيرك وزاد عن كل شيء، (**وتعاليت**) في ذاتك وصفاتك، وتنزهت عما لا يليق بك.

(**وزاد النسائي في سننه**) في روايته لهذا الحديث: (**وصلى اللّه على النبي، وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك إن شاء اللّه تعالى**) بأن زيادة النسائي هذه غريبة غير ثابتة لأجل عبد اللّه بن علي، لأنه غير معروف، وعلى تقدير أنه عبد اللّه بن علي بن الحسن فمنقطع، لأنه لم يسمع من جده الحسن، فالزيادة ليست بحسنة لانقطاعها، أو جهالة راويها، ولم تجيء من وجه آخر يجبرها، فهي شاذة. انتهى، أي: ضعيفة.

(**ومنها: أثناء تكبيرات العيدين لما روى إسمٰعيل القاضي أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة**) رضي اللّه عنهم (**خرج عليهم الوليد بن عقبة**) (بالقاف) ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية القرشي، الأموي، أخو عثمٰن لأمه، وله صحبة، وعاش إلى خلافة معٰوية وكان أمير الكوفة من قبل عثمٰن، فشرب، فعزله وحده، (**فقال: إن هذا العيد قد دنا،**) أي: قرب، (**فكيف التكبير فيه؟، فقال عبد اللّه**) بن مسعود: (**تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ:**) فاقتصر للعيد على ثلاث تكبيرات بعد الإحرام، وقال به أهل الكوفة، وذكر أنه يفصل بين كل تكبيرة بالحمد والصلاة، والمقرر عند الشافعية والمالكية خلاف ذلك؛ وأنه لا صلاة على المصطفى فيها، (**ثم تكبر وتركع، ثم تقوم**) للركعة الثانية (**فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك**) الذي قلته لك في الركعة الأولى، (**فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمٰن،**) كنية عبد اللّه بن مسعود (**قال ابن كثير: إسناده صحيح،**) وهو موقوف ليس له حكم الرفع، فهو اجتهاد.

كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال: اللّهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك.

ومنها: في صلاة الجنازة، فإن السنة أن يقرأ الفاتحة بعد إحدى التكبيرات، وبعد الأولى أولى، وأن يصلي على النبي ﷺ بعد الثانية، ويدعو للميت بعد الثالثة، وبعد الرابعة يقول: اللّهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده. وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي.

(ومنها: عند دخول المسجد،) لأنه محل الذكر **(والخروج منه لما رواه أحمد)** وأبو داود والنسائي **(عن فاطمة)** الزهراء سيدة نساء العالمين، **(قالت: كان رسول اللّه ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد)** وسلم، كما عند أحمد وغيره، فسقط من قلم المصنف، ولأحمد وابن ماجه يقول: بسم اللّه والسلام على رسول اللّه، فأبرز اسمه الميمون على سبيل التجريد الملتجىء إلى منصب الرسالة تعظيمًا لها كأنه غيره، امتثالاً لأمر اللّه بآية صلوا عليه، **(ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي،)** وإن كان لا ذنب له تعليمًا لأمته وتواضعًا وإجلالاً لربه، **(وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم).**

وفي رواية أيضًا، قال: بسم اللّه والسلام على رسول اللّه، **(ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي،)** أبرز نفسه عند الغفران تحليًا بالإنكسار بين يدي الملك الجبار، **(وافتح لي أبواب فضلك،)** خصه بالخروج والرحمة بالدخول لاشتغال الداخل بما يزلفه إلى اللّه وثوابه، فناسب الرحمة الصادقة بكل خير، فإذا خرج انتشر في الأرض ابتغاء فضل اللّه من الرزق، فناسب الفضل الذي هو الزيادة عما حصل من الثواب، **(ومنها: في صلاة الجنازة، فإن السنّة).**

أي: الطريقة **(أن يقرأ الفاتحة بعد إحدى التكبيرات،)** فلا ينافي وجوب الفاتحة عنده عقب، أي: تكبيرة، (و) لكن **(بعد الأولى أولى)** أفضل، **(وأن يصلي على النبي ﷺ بعد)** التكبيرة **(الثانية)** مقدمًا عليها التحميد، كالحمد للّه رب العالمين، يختمها بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات، كأن يقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، **(ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة، يقول: اللهم لا تحرمنا أجره،)** أي: أجر الصلاة عليه أو أجر المصيبة به، لأن المؤمن مصاب بأخيه، **(ولا تفتنا بعده)** بما يشغلنا عن اللّه، فإن كل شاغل عنه فتنة، **(وفي ذلك حديث رواه)** الإمام **(الشافعي والنسائي،)** لكن في إسناده ضعف، كما قال الخيضري.

(ومنها: عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القٰسم بن محمد بن أبي بكر

ومنها: عند التلبية، لما رواه الشافعي والدارقطني عن القٰسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ على كل حال.

ومنها: عند الصفا والمروة، لما روى إسمٰعيل القاضي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعًا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات، تكبيرًا بين حمد للّٰه تعالى وثناء عليه، وصلاة على النبي ﷺ ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك. قال ابن كثير: إسناده حسن جيد قوي.

ومنها: عند الاجتماع والتفرق، لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول اللّٰه ﷺ قال: ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا اللّٰه فيه ولم يصلوا على نبيه إلا

الصديق،) أحد فقهاء المدينة، **(قال: كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ على كل حال،)** أي: بعد كل مرة من صيغ التلبية المعروفة، وليس المراد أن يؤخرها إلى فراغ التلبية بالمرة، وذلك عند الشروع في التحلل.

(ومنها: عند الصفا والمروة لما روى إسمٰعيل القاضي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا قدمتم) مكة، **(فطوفوا بالبيت سبعًا، وصلوا عند المقام)** لإبراهيم **(ركعتين، ثم ائتوا الصفا، فقوموا عليه من حيث،)** أي: في مكان **(ترون البيت)** فيه، **(فكبروا سبع تكبيرات تكبيرًا،)** مصحوبًا بتعظيم دائر **(بين حمد للّٰه تعالى وثناء عليه، وصلاة على النبي ﷺ ومسألة لنفسك،)** فإنها من مواطن الإجابة.

وفي نسخة: بعد حمد، وهي ظاهرة، **(وعلى المروة مثل ذلك).**

(قال ابن كثير: إسناده حسن جيد قوي،) وهو موقوف، **(ومنها عند الاجتماع والتفرق،)** أي: في المجلس الذي يقع فيه اجتماع وافتراق، لا أنها مطلوبة عندهما، إذ لا دليل على ذلك في الحديثين اللذين ساقهما بقوله: **(لما روى الترمذي،)** وقال: حسن، ولعله لشواهده، وإلا ففيه صالح مولى التوأمة، ضعيف **(عن أبي هريرة)** وأبي سعيد معًا **(أن رسول اللّٰه ﷺ قال: ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا اللّٰه فيه ولم يصلوا)** فيه **(على نبيه إلا كان عليهم ترة،)** بكسر الفوقية وفتح الراء، لا بفتحهما كما زعم، وهاء تأنيث عوض عن الواو المحذوفة، كعدة، وزنة مرفوع بكان التامة، أي: وقعت وحصلت، أو اسمها، وعليهم خبر مقدم، وجوز نصبها خبر واسم كان مستتر، عائد على الجلسة المفهومة مما قبله، وهي النقص أو التبعة أو الحسرة، قيل: وهو

كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

وروى إسمٰعيل القاضي عن أبي سعيد قال: ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يروا من الثواب.

ومنها: عند الصباح والمساء، لما روى الطبراني من حديث أبي الدرداء مرفوعًا. من صلى علي حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة

أقرب لوروده في الحديث الثاني، فهم في مشيئة اللّه، **(فإن شاء عذبهم)** يعد له على ذلك، **(وإن شاء غفر لهم)** بفضله، فيتأكد الذكر والصلاة عند ذلك، ويحصلان بأي: لفظ كان، لكن الأكمل في الذكر: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وفي الصلاة ما في آخر التشهد، والمراد بالعذاب اللوم على تركها، كما يلام فاعل المكروه، وبالمغفرة ترك اللوم، لأنها لا تستدعي سبق ذنب، فلا حجة فيه للقائل بوجوب الصلاة عليه في كل مجلس.

(وروى إسمٰعيل القاضي عن أبي سعيد) الخدري سعد بن مٰلك بن سنان الصحابي، ابن الصحابي، **(قال: ما من قوم يقعدون)** في مجلس، **(ثم يقومون)** منه **(ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة)** ندامة وأسفًا في الموقف على ما فاتهم، **(وإن دخلوا الجنة لما يروا من الثواب)** لمن صلى عليه، وليس المراد أن الحسرة تلازمهم بعد دخولها، إذ بعده لا حسرة، ويجوز تمام كان ونقصها، وجعله نفس الحسرة مبالغة، كقوله: وإنه لحسرة أو إسناد مجازي، وقد أبعد المصنف النجعة في العزو مع كونه موقوفًا، وقد جاء مرفوعًا في أحد دواوين الإسلام.

فأخرج النسائي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، قال: لا يجلس قوم مجلسًا، ثم لا يصلون فيه على رسول اللّه إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب، وقد ذكره بهذا اللفظ عياض إلا أنه لم ينسبه للنسائي.

(ومنها: عند الصباح) أول النهار **(والمساء)** أول الليل، لا بالمعنى اللغوي، وهو أن الصباح أول النهار، والمساء ما بين الظهر إلى المغرب، **(لما روى الطبراني)** بإسنادين أحدهما جيد، وقد حسنه بعض الحفاظ، ولعله لشواهده، وإلا ففيه انقطاع، لأنه **(من حديث)** خالد الحذاء عن **(أبي الدرداء)** وخالد لم يسمع من أبي الدرداء، **(مرفوعًا: من صلى علي حين يصبح عشرًا)** من المرات، **(وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة،)** أي: شفاعة خاصة

ومنها: عند الوضوء، لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وضوء لمن لم يصل على النبي ﷺ».

ومنها: عند طنين الأذن، لحديث أبي رافع عند ابن السني مرفوعًا: إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير.

غير العامة جزاء على صلاته عند شدة الاحتياج، فلو لم يكن لها ثواب إلا هذا لكفى.

قال الأبي: وقضية اللفظ حصول الصلاة بأي: لفظ كان وإن كان الراجح الصيغة الواردة في التشهد.

(**ومنها: عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد**) الساعدي، (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا وضوء**) كامل (**لمن لم يصلِ على النبي ﷺ**،) لكنه حديث ضعيف كما في الفتح، (**ومنها: عند طنين الأذن،**) أي: تصويتها (**لحديث أبي رافع**) أسلم أو إبراهيم أو صالح، أو غير ذلك إلى عشرة أقوال، أشهرها: أسلم (**عند ابن السنّي**،) وكذا الطبراني في الثلاثة، والعقيلي وابن عدي والخرائطي والحكيم الترمذي.

قال السخاوي: وسنده ضعيف، بل قال العقيلي: لا أصل له. انتهى. وتعقب بأن الحافظ النور الهيثمي، قال: إسناد الطبراني في الكبير حسن، وقد رواه ابن خزيمة وهو ممن التزم تخريج الصحيح، وبه شنعوا على ابن الجوزي زعمه أنه موضوع (**مرفوعًا،**) لفظة استعملوها بمعنى قال ﷺ: (**إذا طنت**) بالتشديد، أي: صوتت (**أذن أحدكم، فليذكرني**) بنحو محمد رسول الله (**وليصلِ عليّ**) بنحو ﷺ، ففيه عدم الاكتفاء بذكره حتى يصلي عليه، (**وليقل ذكر الله من ذكرني بخير،**) لأن الأرواح ذات طهارة ونزاهة ولها سمع وبصر متصل ببصر العين ولها سطوع في الجو تحول وتجول، ثم تصعد إلى مقامها الذي منه بدت، فإذا تخلصت من شغل النفس أدركت من أمر الله ما يعجز عنه البشر، فهما ولولا تمغلها لرأت العجائب، لكنها تدنست بما تلبست، وتوسخت بما تقمصت من ثياب اللذات، وتكدرت بما تشربت من كأس حب الخطيئات، ورسول الله ﷺ لما قيل له: إلى أين، قال: إلى سدرة المنتهى، فهو متشمر هناك، يقول: يا رب أمتي أمتي حتى ينفخ في الصور، فطنين الأذن من قبل الروح تجد تحفتها وطهارتها وسطوعها وشوقها إلى المقام الذي فيه المصطفى، فطنت لما جاءت به من الخبر، فلذا قال: فليصلِ عليّ، لأنه ذكره عند الله في ذلك الوقت، وطلب شيئًا استوجب به الصلاة أداء لحقه، فلذا شرعت الصلاة عليه عند طنين الأذن، كما شرعت عند خدر الرجل لخبر ابن السنّي: أن رجلاً خدرت رجله عند ابن عباس، فقال له: أذكر أحب الناس إليك، فقال محمد ﷺ: فكأنما نشط من عقال. ذكره في فتح القدير.

ومنها: عند نسيان الشيء، لحديث أبي موسى المديني، بسند فيه ضعف، عن أنس يرفعه: إذا نسيتم شيئًا فصلوا علي تذكروه إن شاء الله.

ومنها: بعد العطاس، كما ذهب إليه أبو موسى المديني وجماعة، ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر الله، كالأكل والشرب والوقاع ونحو ذلك.

ومنها: عند زيارة قبره الشريف، لحديث أبي داود عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ما من أحد يسلم علي إلاَّ رد اللّه علي روحي حتى أرد عليه السلام.

وروى ابن عساكر: من صلى علي عند قبري سمعته.

(**ومنها: عند نسيان الشيء لحديث أبي موسى**) محمد بن عمر بن أحمد (**المديني،**) الأصفهاني، الحافظ، الكبير، صاحب التصانيف (**بسند فيه ضعف عن أنس يرفعه: إذا نسيتم شيئًا فصلوا عليّ**) جواب إذا (**تذكروه إن شاء اللّه**) حذفت نونه لكونه في جواب الطلب.

(**ومنها: بعد العطاس، كما ذهب إليه أبو موسى المديني وجماعة**) لما جاء بسند ضعيف من عطس، فقال: الحمد للّه على كل حال، ما كان من حال، وصلى اللّه على محمد وعلى أهل بيته.

أخرج اللّه من منخره الأيسر طائرًا، يقول: اللهم اغفر لقائلها، (**ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر اللّه، كالأكل والشرب والوقاع ونحو ذلك،**) كالتعجب وإشهار المبيع، والذبح والعثرة، وفي الحمام ومواضع الأقذار، ومذهب مُلك كراهتها في ذلك كله.

(**ومنها: عند زيارة قبره الشريف لحديث أبي داود عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: ما من أحد يسّلم على**) في أي: محل كان، وزيادة عند قبري، قال الحافظ: السخاوي: لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث، (**إلا رد اللّه على روحي،**) أي: نطقي (**حتى أرد عليه السلام،**) أو هو عبارة عن استمرار حياته على الدوام، وأن روحه لا تفارقه أبدًا لاستحالة خلو الوجود من أحد يسلم عليه عادة، ويأتي إن شاء اللّه مزيد لذلك في المقصد العاشر.

قال السيوطي:كذا رواية أبي داود رد علي، وللبيهقي إلى، وهي ألطف وأنسب، لأن رد يعدي بعلى في الإهانة، وبإلى في الإكرام، فمن الأول ﴿يردوكم على أعقابكم﴾، ومن الثاني: ﴿فرددناه إلى أمه﴾. انتهى، ولا يطرد هذا بدليل رواية علي هنا في الإكرام، ثم المصنف استدل بعمومه على ترجمته الخاصة، ولذا عقبه بالخاص، فقال: (**وروى ابن عساكر**) وعبد الرزاق وابن

وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة وليلتها، فعن أوس بن أوس الثقفي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فاكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول اللَّه، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعني: وقد

أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعًا: (**من صلى عليّ عند قبري سمعته،**) ومن صلى عليّ نائيًا أبلغته، هذا بقية الحديث، والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر، بحيث يصدق عليه عرفًا أنه عنده، وبالبعد عنه ما عدا ذلك وإن كان بالمسجد، وفي القول البديع: إذا كان المصلي عند قبره الشريف سمعه ﷺ بلا واسطة، سواء كان ليلة الجمعة أو غيرها، وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم أنه يسمع بأذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه، فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له. انتهى.

وعورض هذا الخبر بحديث: من صلى عليّ عند قبري وكل اللَّه به ملكًا يبلغني، وكفي أمر دنياه وآخرته، وكنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة، وجمع بأنه يسمع الصلاة والسلام عند قبره بلا واسطة، ويبلغه الملك أيضًا إشعارًا بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك، وخبر الطبراني وغيره عن الحسن بن علي مرفوعًا: حيثما كنتم فصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني، معناه: لا تتكلفوا المعاودة إلى قبري، لكن الحضور فيه مشافهة أفضل من الغيبة، والمنهي عنه الاعتياد الرافع لكمال الحشمة، (**وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة وليلتها،**) وأقل الكثرة ثلاثمائة، قاله أبو طالب في القوت.

قال السخاوي: لم أقف له على مستند، فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أو غيره أو رآه أول ما يحصل به الكثرة، (**فعن أوس بن أوس**) (بفتح الهمزة وسكون الواو)، (**الثقفي،**) الصحابي، سكن دمشق، روى له أصحاب السنن الأربعة أحاديث صحيحة من رواية الشاميين عنه، وهو غير أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي، الصحابي، على الصحيح خلافًا لابن معين وغيره في أنهما واحد، فإنه خطأ كما في الإصابة وغيرها، (**قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم،**) وذلك يوجب لليوم شرفًا ومزية، (**وفيه قبض،**) وذلك سبب للشرف أيضًا، فإنه سبب لوصوله إلى الجناب الأقدس والخلاص من تعب الدنيا، (**وفيه النفخة،**) أي: النفخ في الصور، وذلك شرف أيضًا، لأنه من أسباب توصل أرباب الكمال إلى ما أعد لهم من النعيم المقيم، والموت أحد الأسباب الموصلة للنعيم، فهو وإن كان فناء ظاهرًا، لكنه بالحقيقة ولادة ثانية ذكره الراغب (**وفيه الصعقة**) من شدة الوجل وهي غير النفخة وقد ذكرها تعالى بفاء التعقيب في، ونفخ في الصور، فصعق، (**فأكثروا علي من الصلاة فيه،**) أي: في يوم الجمعة، (**فإن صلاتكم معروضة عليّ،**) أي: موصلة إلى توصل الهدايا، قاله ابن الملقن، (**قالوا: يا رسول اللَّه، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت**) (بفتح الهمزة والراء

بليت - قال: إن اللّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني.

قال الحافظ ابن كثير: وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ أمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة، لكن في إسناده ضعف.

وسكون الميم، وروي بضم الهمز وكسر الراء، قاله المنذري، وقال غيره: أرمت، بفتح فسكون ففتح على الأشهر.

وفي رواية: أرممت، أي: صرت رميمًا، (**يعني: وقد بليت، قال: إن اللّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء،**) لأنها تتشرف بوقع أقدامهم عليها، وتفتخر بضمهم إليها، فكيف تأكل منهم، ولأنهم تناولوا ما تناولوا منها بحق وعدل، وسخرها لهم لإقامة العدل عليها، فلم يكن لها عليهم سلطان، فكما أن حفظ أجسادهم من البلاء خرق للعادة المستمرة، كذلك عرض صلاتهم عليه وسماعها منهم، فالجواب مطابق للسؤال، قاطع لعرق الاستبعاد، لأن الخوارق لا يقاس عليها.

(**رواه أحمد وأبو داود والنسائي**) وابن ماجه في الجنائز، كلهم عن أوس، وهو الصواب، ووقع عند ابن ماجه في الصلاة تسمية الصحابي شداد بن أوس، وهو وهم نبه عليه المزي وغيره.

وقد رواه ابن ماجه في الجنائز على الصواب، (**وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني**) والحاكم، وقال: على شرط البخاري، وحسنه عبد الغني والمنذري. وقال ابن دحية أنه صحيح، محفوظ بنقل العدل عن العدل، ومن قال: إنه منكر أو غريب لعلة خفية به، فقد استروع، لأن الدارقطني رد ذلك.

(**قال الحافظ ابن كثير: وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامه؛ أن النبي ﷺ أمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة،**) لفظ البيهقي في الشعب عن مكحول عن أبي أمامة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: أكثروا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض عليّ يوم الجمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة، (**ولكن في إسناده ضعف،**) لأن مكحولاً لم يسمع من أبي أمامة عند الجمهور، لكن أثبت الطبراني سماعه منه، ولذا قال المنذري: سنده حسن إلا أن مكحولاً، قيل: لم يسمع من أبي أمامة. انتهى.

وليس في حديث أبي أمامة تصريح بليلة الجمعة، كما فعل المصنف. نعم جاء في حديث أنس عند ابن عدي، وأبي هريرة عند البيهقي، والطبراني مرفوعًا: أكثروا في الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض عليّ، وفي إسناده ضعف، أي: عرضًا خاصًا

فإن قلت: ما الحكمة في خصوصية الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة وليلتها؟

أجاب ابن القيم بأن رسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنما نالته على يده ﷺ، فجمع الله لأمته بين خيري الدنيا والآخرة، وأعظم كرامة تحصل لهم فإنها تحصل لهم يوم الجمعة، فإن بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداه القليل من حقه ﷺ أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته.

وأما فضيلة الصلاة عليه ﷺ فقد ورد التصريح بها في أحاديث قوية، لم

فيه زيادة شرف للمصلي حينئذٍ، فلا ينافي أنها تعرض في أي وقت صلى عليه، كما جاء في أحاديث، وللبيهقي عن أنس: أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة، أي: شهيدًا بأعماله التي منها الصلاة عليّ، وشافعًا له شفاعة خاصة اعتناء به، وإلا فشفاعته عامة.

(**فإن قلت: ما الحكمة في خصوصية الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة وليلتها، أجاب ابن القيم بأن رسول الله ﷺ سيد الأنام**) كسحاب جميع الخلق أو الجن والإنس، خاصة ويقال: آنام بالمد، كساناط، وأنيم كأمير، (**ويوم الجمعة سيد الأيام**) للأسبوع، (**فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده ﷺ، فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، وأعظم**) (بالجر عطف على خيري)، أي: وبين أعظم (**كرامة تحصل لهم فإنها تحصل لهم، يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا**) كما في الحديث: (**ويوم فيه يسعفهم الله بطلباتهم:**) جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات (**وحوائجهم، ولا يرد سائلهم**) في الساعة التي فيه، كما صح، (**وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداه القليل من حقه ﷺ أن يكثر**) كل أحد (**من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته**)، وفقنا الله لذلك بمنه.

(**وأما فضيلة الصلاة عليه ﷺ**) أي: الثواب المترتب لقائلها، كتكفير الخطايا وتزكية

يخرج البخاري منها شيئًا، أمثلها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ لحاجة، فلم يجد أحدًا يتبعه، فأتاه عمر بمطهرة من خلفه، فوجد النبي ﷺ ساجدًا،

الأعمال ورفع الدرجات ومغفرة الذنوب وصلاة الملائكة واستغفارها لقائلها وكناية قيراط مثل أحد من الأجر، والكيل بالمكيال، إلا وفي كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه، ومحق الخطايا وفضلها على عتق الرقاب والنجاة بها من الأهوال، وشهادة الرسول بها، ووجوب الشفاعة، ورضا الله ورحمته، والأمان من سخطه، والدخول تحت ظل العرش، ورجحان الميزان، وورود الحوض، والأمان من العطش، والعتق من النار، والجواز على الصراط ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت وكثرة الأزواج في الجنة ورجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقام الصدقة للمعسر، وأنها زكاة وطهارة وينمو المال ببركتها، وتقضي بها مائة من الحوائج، بل أكثر، وأنها عبادة، وأحب الأعمال إلى الله تعالى وتزيين المجالس، وتنفي الفقر وضيق العيش، ويلتمس بها مظان الخير، وأن فاعلها أولى الناس به، وينتفع هو وولده وولد ولده، بها ومن أهديت في صحيفته بثوابها، وتقرب إلى الله عزّ وجلّ رسوله، وأنها نور، وتنصر على الأعداء، وتطهر القلب من النفاق والصدأ، وتوجب محبة الناس ورؤية النبي ﷺ في المنام، وتمنع من اغتياب صاحبها، وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعًا في الدين والدنيا، وغير ذلك من الثواب، هكذا ترجم في القول البديع، ثم ذكر الأحاديث في ذلك كله، والمصنف ذكر بعضها، (**فقد ورد التصريح بها في أحاديث قوية،**) باعتبار مجموعها، فلا ينافي أن بعضها ضعيف يعمل به في الفضائل، (**لم يخرج البخاري منها شيئًا،**) لأنها ليست على شرطه، (**أمثلها ما أخرجه مسلم**) وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد وابن حبان (**من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: من صلى عليّ واحدة**)، زاد في رواية البزار من تلقاء نفسه (**صلى الله عليه بها عشرًا،**) أي: من دعا لي مرة رحمه الله وأقبل عليه بعطفه عشر مرات، وأعطاه الفضل بالدرجات المقدرة له.

وفي بعض ألفاظ الترمذي: من صلى عليّ مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والصلاة عليه وإن كانت تحصيل الحاصل ليكن حصول الأمور الجزئية قد يكون مشروطًا بشروط، من جملتها الدعاء.

(**وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ لحاجة،**) هي حاجة البراز، كما في حديث أنس: خرج يتبرز، (**فلم يجد أحدًا يتبعه، فأتاه عمر،**) وفي حديث أنس:

فتنحى عنه حتى رفع النبي ﷺ رأسه، فقال له: أخشيت يا عمر حين وجدتني ساجدًا فتنحيت عني، إن جبريل أتاني فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة واحدة صلى اللّٰه عليه عشر صلوات، ورفعه عشر درجات. رواه الطبراني. قال ابن كثير: وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المستخرج على الصحيحين».

وعن أبي طلحة أن رسول اللّٰه ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه، فقالوا: يا رسول اللّٰه إنا لنرى السرور وجهك، فقال: إنه أتاني الملك فقال: يا

ففزع، عمر فأتاه، أي: بدعائه، كما في رواية: فدعاني فأتيته، أو بغير دعاء إن تعددت القصة (**بمطهرة**) (بكسر الميم) أدواة فيها ماء (**من خلقه، فوجد النبي ﷺ ساجدًا، فتنحى عنه**) زاد أنس: فجلس وراءه (**حتى رفع النبي ﷺ رأسه، فقال له: أخشيت:**) أخفت من قربك لي (**يا عمر حين وجدتني ساجدًا**) أن تشغلني عن مناجاة ربي، (**فتنحيت عني**) فالاستفهام للتقرير، ويحتمل كما في نسخ كثيرة صحيحة أنه أحسنت (بفتح الهمزة وإسكان الحاء وبالسين المهملتين ونون ساكنة، من الإحسان مدح لعمر في تنحيه عنه حينئذٍ، وهو أنسب بالسياق؛ (**أن جبريل أتاني**) في سجودي، كما هو ظاهر، ويحتمل قبل سجوده، وسجد شكرًا، كما في حديث عبد الرحمٰن بن عوف عند أحمد، وصححه الحاكم والبيهقي، وإنما لم أجزم بالثاني، لأن عمر لم يذكر في خبر عبد الرحمٰن، واختلف المخرج، فيحتمل التعدد، (**فقال: من صلى عليك من أمتك**) أمة الإجابة (**صلاة واحدة صلى اللّٰه عليه عشر صلوات،**) أي: رحمه رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها، لأن إضافتها إلى اللّٰه إضافة تعظيم وتشريف، وإن كان كل من جاء بالحسنة له عشر أمثالها، (**ورفعه عشر درجات**) بأعلاء مقاماته في جنات النعيم وعلو منزلته لقربه من العزيز الرحيم. (**رواه الطبراني**).

(**قال ابن كثير: وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي،**) حيث أخرجه (**في كتابه المستخرج على الصحيحين،**) الذي سماه بالأحاديث المختارة، أي: من الأحاديث التي ليست في الصحيحين.

وقد صرح الزركشي وغيره، بأن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم، (**وعن أبي طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري، (**أن رسول اللّٰه ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه،**) وفي رواية الطبراني، عن أبي طلحة: دخلت على رسول اللّٰه ﷺ وأسارير وجهه تبرق، والجمع بينهما أن المصطفى جاء إلى محل لم يكن فيه أبو طلحة، ثم دخل عليه أبو طلحة فيه، (**فقالوا: يا رسول اللّٰه إنا لنرى السرور في وجهك،**) لأنه كان إذا سر استنار وجهه، (**فقال: أنه**

محمد، أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا، قال: بلى، رواه الدارمي وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائي، واللفظ له.

وعن عامر بن ربيعة، أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلي علي، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر». رواه أحمد وابن ماجه من حديث شعبة.

وعن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاصي: من صلى على رسول اللّٰه ﷺ صلاة

أتاني الملك) جبريل، كما صرح به في روايات أخر، **(فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عزّ وجلّ يقول أنه لا يصلي عليك أحد من أمتك،)** وفي رواية: من عبادي، والمراد بهم أمته **(إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا،)** ورواية: بحذف ولا يسلم...الخ.

من تقصير بعض الرواة، **(قال: بلى،)** زاد في رواية: يا رب، **(رواه الدارمي)** عبد اللّٰه بن عبد الرحمٰن، أحد الأعلام الحفاظ، **(وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائي، واللفظ له)** وللطبراني، عن أبي طلحة: دخلت على رسول اللّٰه ﷺ وأسارير وجهه تبرق، فقلت: يا رسول اللّٰه ما رأيتك أطيب نفسًا، ولا أظهر بشرًا من يومك هذا، قال: ومالي لا تطيب نفسي، ويظهر بشري، وإنما فارقني جبريل الساعة، فقال: يا محمد من صلى عليك من أمتك صلاة كتب اللّٰه له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وقال له الملك: مثل ما قال لك، قلت: يا جبريل وما ذلك الملك؟، قال: إن اللّٰه عزّ وجلّ وكل ملكًا من لدن خلقك إلى أن يبعثك، لا يصلي عليك، أحد من أمتك إلا قال: وأنت صلى اللّٰه عليك وفيه روايات أخر بألفاظ مختلفة إما من الرواة، أو حدث به أبو طلحة في أوقات بألفاظ مختلفة، **(وعن عامر بن ربيعة)** بن كعب بن ملك العنزي، بسكون النون، حليف الخطاب، صحابي مشهور، أسلم قديمًا، وهاجر وشهد بدرًا، ومات ليالي قتل عثمٰن **(أن رسول اللّٰه ﷺ قال: من صلى عليّ صلاة،)** في أي: وقت كان **(لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى،)** أي: مدة صلاته **(عليّ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر،)** العطف للتخيير، والفاء فصيحة، أي: إذا عرف بقاء هذا ودوامه ونفعه، فإن شاء أكثر ليربح ربحًا كثيرًا دائمًا، وإلا اقتصر على قليل نافع، وهو في الحقيقة حث على الإكثار، **(رواه أحمد وابن ماجه)** بإسناد حسن **(من حديث شعبة)** ابن الحجاج، الواسطي، البصري، عن عبد اللّٰه بن عامر بن ربيعة، عن أبيه.

(وعن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاصي: من صلى على رسول اللّٰه ﷺ صلاة صلى اللّٰه

صلى اللَّه عليه وملائكته سبعين صلاة، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر، رواه أحمد.

والتخيير بعد الإعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله، وهو قريب من معنى التهديد.

وروى الترمذي، أن أُبي بن كعب قال: يا رسول اللَّه، إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: فالنصف، قال: ما شيئا، وإن زدت، فهو خير لك، قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذن تكفى همك، ويغفر ذنبك. ثم قال: هذا حديث

(**وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاصي: من صلى على رسول اللّه ﷺ صلاة صلى اللّه عليه وملائكته سبعين صلاة،**) حقيقة، أو المراد التكثير، (**فليقل عبد من ذلك، أو ليكثر، رواه أحمد**) بإسناد حسن، ومثله: لا يقال بالرأي: فهو موقوف لفظًا مرفوع حكمًا، (**والتخيير بعد الإعلام بما فيه الخيرة في المخير، فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله،**) فهو في الحقيقة حث على الإكثار، فإن العاقل لا يترك الخير الكثير ما أمكنه، ففيه من البلاغة ما لا يخفى، (**وهو قريب من معنى التهديد**) في نحو قوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾، ليس أمرًا لهم بعمل ما شاؤا، بل هو وعيد شديد بالمجازاة على الطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو في القرآن.

(**وروى الترمذي**) وأحمد والحاكم، وصححه: (**أن أبي بن كعب قال:**) كان رسول اللّه ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام، فقال: (يا أيها الناس اذكروا اللّه اذكروا اللّه،) جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، قال أبي بن كعب، فقلت: (**يا رسول اللّه إني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي،**) قال المنذري: معناه أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟، (**قال: ما شئت،**) يعني: أي: قدر أردت وتيسر لك، (**قلت:**) أجعل لك (**الربع، قال: ما شئت، وإن زدت، فهو خير لك:**) نافع في الدنيا والآخرة، (**قلت: فالنصف، قال: ما شئت، وإن زدت، فهو خير لك، قلت: فالثلثين، قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك،**) فلم يعين ﷺ شيئًا معينًا لئلا ينغلق عليه باب المزيد، ولم يزل يفوض الاختيار إليه مع الحث على المزيد، حتى قال: (**قلت: اجعل لك صلاتي كلها؟، قال: إذن تكفي**) أنت (**همك،**) بالنصب مفعول تكفي الثاني، والأول أنت المضمر القائم مقام الفاعل، (**ويغفر**) بالرفع (**ذنبك،**) ويروى بنصب يغفر بإذن، لأنها مكفرة للذنوب، والمعنى أنها تغنيك عن غيرها، لأن فيها خيري الدارين، فهو بمعنى الحديث القدسي: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، (**ثم قال**)

حسن.

فهذا ما يتعلق بالصلاة، وأما السلام فقال النووي: يكره إفراد الصلاة عن السلام، واستدل بورود الأمر بهما معًا في الآية، يعني قوله تعالىٰ: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾ [الأحزاب/٥٦].

وتعقبوه: بأن النبي ﷺ علم الصحابة التسليم قبل تعليمهم الصلاة، كما هو مصرح به في قولهم: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك، وقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن علمهم الصلاة والسلام: كما قد علمتم، فأفرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه.

لكن قال في فتح الباري: إنه يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلاً، أما لو صلى في وقت، وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلاً.

وقال أبو محمد الجويني من أصحابنا: السلام بمعنى الصلاة، فلا يستعمل

الترمذي: **(هذا حديث حسن)** صحيح، ولم يقتصر على حسن، كما نقل المصنف، **(فهذا ما يتعلق بالصلاة)** مما أراد، يراده في فضلها وإلا فهو يحتمل جزأ حافلاً، وقد كفي السخاوى فيه وشفي، **(وأما السلام،)** أي: ما يتعلق به، **(فقال النووي: يكره افراد الصلاة عن السلام، واستدل بورود الأمر بهما معًا في الآية، يعني قوله تعالىٰ: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾،)** فظاهر الأمر بهما كراهة، أفراد أحدهما عن الآخر، وإليه ذهب بعض المالكية، **(وتعقبوه بأن النبي ﷺ علم الصحابة التسليم قبل تعليمهم الصلاة،)** بقوله: قولوا اللهم صلّ على محمد إلى آخر ما مر، **(كما هو مصرح به في قولهم: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك، وقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن علمهم الصلاة والسلام،)** بالرفع مقول القول، **(كما قد علمتم)** من العلم، أو التعليم، **(فأفرد التسليم عليه مدة قبل الصلاة عليه،)** فكيف يكره ذلك.

(لكن قال في فتح الباري أنه يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلاً، أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر، فإنه يكون ممتثلاً) للأمر، فلا يكون منفردًا للسلام، لأنهم جمعوا بين الصلاة والسلام بعد أن علمها لهم، لكن هذا المعنى ليس مرادًا للنووي، فلا يصح جوابًا عنه.

(وقال أبو محمد الجويني: من أصحابنا السلام بمعنى الصلاة، فلا يستعمل في)

في الغائب ولا يفرد غير الأنبياء به، فلا يقال: علي عليه السلام، سواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليك، أو عليكم، أو السلام عليك أو عليكم، وهذا مجمع عليه انتهى.

وقد جرت عادة بعض النساخ أن يفردوا عليًا وفاطمة رضي اللّه عنهما بالسلام، فيقولوا: عليه أو عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك، وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يساوي بين الصحابة رضي اللّه عنهم في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، والشيخان وعثمٰن أولى بذلك منهما، أشار إليه ابن كثير.

وأما الصلاة على غير النبي ﷺ فاختلف فيها.

وأخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه: لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى أنبياء اللّه.

الشخص (**الغائب، ولا يفرد غير الأنبياء به، فلا يقال علي عليه السلام،**) بل رضي اللّه عنه، (**سواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليك أو عليكم، أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه. انتهى**).

(**وقد جرت عادة بعض النساخ، أن يفردوا عليًا وفاطمة رضي اللّه عنهما بالسلام، فيقولوا**) علي (**عليه أو**) فاطمة (**عليها السلام دون سائر الصحابة في ذلك، وهذا وإن كان معناه صحيحًا،**) لأن المراد السلام أو التحية، (**لكن**) ذلك مكروه، أو خلاف الأولى، أو محرم على ما يأتي قريبًا، و (**ينبغي**) أن فعل ذلك المكروه، (**أن يساوي بين الصحابة رضي اللّه عنهم في ذلك،**) لأن إفراد علي وفاطمة بذلك صار من شعار أهل البدع، (**فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، والشيخان وعثمٰن أولى بذلك منهما،**) أي: علي وفاطمة، (**أشار إليه ابن كثير،**) ويأتي له مزيد قريبًا.

(**وأما الصلاة على غير النبي ﷺ**) من الأنبياء أو غيرهم، (**فاختلف فيها**) فقيل: يطلبها على الأنبياء، وقيل: بعدمه، وأما غيرهم، ففي جوازها استقلالاً، وعدمه خلاف لا تبعا، فيجوز بإجماع هذا حاصل ما ذكره.

(**وأخرج البيهقي بسند واه**) أي: ضعيف جدًا من، وهي الحائط إذا مال للسقوط، وفي نسخة واهي (بالياء)، وكل صحيح، لكن حذفها من المجرد من أل، كما هنا هو الكثير (**من حديث بريدة**) بن الحصيب، (**رفعه: لا تتركن**) أيها المصلي (**في التشهد الصلاة عليّ وعلى**

وأخرج إسمٰعيل القاضي بسند ضعيف من حديث أبي هريرة صلوا على أنبياء الله.

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه: إذا صليتم علي فصلوا على أنبياء الله، فإن الله بعثهم كما بعثني.

وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي ﷺ. أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمٰن عن عكرمة عنه قال: ما أعلم الصلاة تنبغي من أحد على أحد إلا على النبي ﷺ. وسنده صحيح.

وحكي القول به عن ملك، وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز.

وقال سفيٰن: يكره أن يصلي إلا على نبي.

أنبياء الله،) أريد بهم ما يشمل الرسل.

(وأخرج إسمٰعيل القاضي بسند ضعيف من حديث أبي هريرة،) رفعه: **(صلوا على أنبياء الله،)** وأخرجه عبد الرزاق وغيره بسند واهٍ، عن أبي هريرة، مرفوعًا: صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم، كما بعثني ورسله، عطف خاص عليّ عام.

(وأخرج الطبراني) بإسناد ضعيف، كما قال الحافظ **(من حديث ابن عباس، رفعه: إذا صليتم عليّ، فصلوا على أنبياء الله، فإن الله بعثهم، كما بعثني،)** تعليل لأمره؛ بأنهم ساووه في أصل البعثة، فيصلي عليهم، وحكمة ذلك أنهم لما بذلوا أعراضهم في الله لأعدائه، فنالوا منهم وسبوهم، أعاضهم الله الصلاة عليهم، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض، وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار، ففي هذه الأحاديث استحباب الصلاة عليهم، وورد أيضًا من حديث أنس عند الخطيب، ووائل بن حجر عند ابن عساكر، وكلها ضعيفة، لكن بانضمامها قد تحصل القوة، **(وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي ﷺ)**.

(أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمٰن عن عكرمة، عنه قال: ما أعلم الصلاة تنبغي) أي: تجوز وتطلب **(من أحد على أحد إلا على النبي ﷺ)** وقوفًا مع ظاهر القرآن **(وسنده صحيح)** إلى ابن عباس، موقوف عليه، وفيه تورك على قول عياض الأسانيد، عن ابن عباس لينة.

(وحكي القول به عن ملك) الإمام، **(وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز، وقال سفيٰن)** الثوري فيما رواه عبد الرزاق والبيهقي: **(يكره أن يصلى إلا على نبي،)** ولما فيه الكراهة من معنى النفي، عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده.

وروى البيهقي أيضًا، عن سفيٰن: يكره أن يصلى على غير النبي ﷺ، وهذا موافق لابن

وعن بعض شيوخ لملك: لا يجوز أن يصلي إلا على محمد ﷺ.

قالوا: وهذا غير معروف عن لملك، وإنما قال: أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به.

وخالفه يحيى بن يحيى فقال: لا بأس به، واحتج بأن الصلاة دعاء بالرحمة، فلا تمنع إلا بنص أو إجماع.

وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كان على سبيل التبعية كما تقدم في

عباس، **(وعن بعض شيوخ لملك)** لفظ الشفاء: وجدت بخط بعض شيوخي مذهب لملك **(لا يجوز أن يصلى إلا على محمد ﷺ)** فلا يصلى على غيره من الأنبياء استقلالاً، وكان الأصوب لو قال المصنف، وعن بعض الشيوخ بدون إضافة مذهب لملك بالرفع ليوافق النقل، وقد حرف في نسخ، زاد وإياه، وهي خطأ، فإن قائل ذلك شيخ عياض لا المصنف، **(قالوا:)** عياض وغيره، **(وهذا غير معروف عن لملك وإنما قال)** لملك في المبسوط: **(أكره الصلاة على غير الأنبياء،)** وبين وجه الكراهة بقوله: **(وما ينبغي لنا أن نتعدى)** نتجاوز **(ما أمرنا به،)** إلى غيره، بل نقتصر عليه، **(وخالفه يحيى بن يحيى)** بن كثير الليثي، مولاهم القرطبي أبو محمد، فقيه، مجاب الدعوة، قليل الحديث، وله أوهام، روى الموطأ، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين على الصحيح، **(فقال: لا بأس به،)** أي: بما ذكر من الصلاة على غير الأنبياء.

ولفظ الشفاء: قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله، أي: لملك ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم، وعلى غيرهم احتج بحديث ابن عمر، وحديث تعليم النبي ﷺ، وفيه وعلى أزواجه وآله. انتهى.

وتعقب بأن هذا بطريق التبعية والكراهة استقلالاً، فلا يتجه به، رد قول لملك، وأما قوله: **(واحتج بأن الصلاة دعاء بالرحمة، فلا تمنع إلا بنص أو إجماع،)** لأن لأصل أن كل لفظ وضع لمعنى، يجوز إطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى، وتعقب بأنه لم يوضع لمطلق لدعاء بالرحمة، بل مقيد بتعظيم يليق بمقام النبوة، فليس المحتج بذلك يحيى، بل عياض، فإنه بعد أن ذكر احتجاج يحيى بالحديثين، نقل عن أبي عمران الفارسي أنه اختار قول ابن عباس بكراهة الصلاة على غير المصطفى، ونقل حديث أبي هريرة: صلوا على أنبياء اللّٰه ورسله...الخ. قال: والأسانيد عن ابن عباس لينة، والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء، وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حيث صحيح أو إجماع. انتهى.

(وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كان على سبيل التبعية) للأنبياء، **(كما تقدم في**

الحديث: اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه، فهذا جائز بالإجماع. وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم.

فقال قائلون بجواز ذلك، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿وهو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب/٤٣] وبقوله: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ [البقرة/١٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم﴾ [التوبة/١٠٣]، وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللّٰهم صل عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. أخرجه الشيخان.

الحديث: اللهم صلِ على محمد وآل محمد ونحوه، فهذا جائز بالإِجماع،) وعليه يحمل قول عياض: عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ، أي: تبعًا بدليل حكايته، الخلاف بعد في الاستقلال، فلا يعترض عليه في حكاية الاتفاق فيما اختلف فيه، **(وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم، فقال قائلون: بجواز ذلك، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿وهو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾)** [الأحزاب/٤٣]، ففيها دليل على جواز الصلاة على كل مؤمن، لا سيما وسبب نزلوها ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد، قال: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب/٥٦].

قال أبو بكر: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خير إلا أشركنا فيه، فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته، وصلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار، **(وبقوله: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾)** [البقرة/١٥٧]، عطف تفسير، وإن قلنا: أنها أعم، لأنه يجوز التفسير بالأعم المقصود منه، فلا يرد أن العطف يقتضي المغايرة، لأن الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم، وأجيب للجمهور، بأن الآيتين من فعل الله وملائكته، ولم يرد إذنه للمؤمنين بذلك، كما قال: صلوا عليه، **(وبقوله تعالىٰ: (﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾،)** بمغفرة ذنوبهم **(﴿وتزكيهم بها وصلِ عليهم﴾)** [التوبة/١٠٣]، فأمره بالدعاء بلفظ الصلاة، دليل على الجواز استقلالاً، **(وبحديث عبد الله بن أبي أوفى)** (بفتح الهمزة والفاء بينهما واو ساكنة لا مفتوحة)، كما زعم من وهم علقمة بن خالد بن الحرث الأسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي ﷺ دهرًا، مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، **(قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم،)** أي: بزكاة أموالهم، **(قال: اللهم صلِ عليهم،)** ارحمهم وطهرهم، وزك أموالهم التي بذلوا زكاتها، **(فأتاه أبي)** علقمة، شهد هو وابنه عبد الله بيعة الرضوان تحت الشجرة **(بصدقته:)** زكاته، **(فقال: اللهم صلِ على آل أبي أوفى)**.

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة، لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال أبو بكر ﷺ أو: قال علي ﷺ، وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلاً، لأن هذا من شعار ذكر اللّه عز وجل.

وحملوا ما ورد من ذلك في الكتاب والسنة على الدعاء لهم، ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى. وهذا مسلك حسن.

وقال آخرون: لا يجوز ذلك، لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من

قال الحافظ: يريد أبا أوفى نفسه، لأن الآل يطلق على ذات الشيء، كقوله في قصة أبي موسى: لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود، وقيل: لا يقال ذلك إلا في حق الرجل الجليل القدر، وفيه جواز الصلاة على غير الأنبياء، وكرهه مالك والجمهور.

قال ابن التين: وهذا الحديث يعكر عليه، وقد قال جماعة من العلماء: يدعو آخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء لهذا الحديث، وأجاب الخطابي عنه بأن أصل الصلاة الدعاء، إلا أنه يختلف بحسب المدعو له، فصلاة النبي ﷺ على أمته دعاء لهم بالمغفرة، وصلاة أمته عليه دعاء له بزيادة القربة والزلفى، ولذلك كان لا يليق بغيره. انتهى. **(أخرجه الشيخان)** في الزكاة واللفظ لمسلم.

واحتجوا أيضًا بقول إمرأة جابر: يا رسول اللّه صلِ عليّ وعلى زوجي، فقال: اللهم صلِ عليهما، **(وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز افراد غير الأنبياء بالصلاة،)** وأجابوا عن هذه الاحتجاجات؛ بأن ذلك كله وقع مع النبي ﷺ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء، وليس لغيره أن يتصرف فيه إلا بإذنه، ولم يثبت عنه إذن في ذلك، واحتجوا للمنع، **(لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء، إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال أبو بكر ﷺ، أو قال علي ﷺ، وإن كان المعنى صحيحًا؛)** وإنما يقال صلى اللّه على النبي وعلى خليفته، أو صديقه، أو ابن عمه ونحو ذلك، لأنه لا يلزم من صحة المعنى جواز الإطلاق، **(كما لا يقال محمد عزّ وجلّ، وإن كان عزيزًا جليلاً، لأن هذا)** الثناء صار **(من شعار ذكر اللّه عزّ وجلّ،)** فلا يشاركه فيه غيره، وإن صح المعنى؛ **(وحملوا ما ورد من ذلك في الكتاب)** من الآيات الثلاث السابقة **(والسنّة،)** كحديث ابن أبي أوفى، وحديث امرأة جابر: **(على الدعاء لهم)** بالمغفرة من صاحب الحق، ولم يأذن لغيره، **(ولهذا لم يثبت شعارًا لآل أبي أوفى،)** فلم ينقل أن أحدًا قال لهم: ذلك غير المصطفى، لأنه في كلامه بمعنى الدعاء بالمغفرة، **(وهذا مسلك حسن).**

(وقال آخرون: لا يجوز ذلك) استقلالاً، فهو إعادة لقول الجمهور ليقويه بقوله، **(لأن**

شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك.

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم، أو كراهة التنزيه، أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال، حكاها النووي في كتاب «الأذكار»، ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون، أنه مكروه كراهة تنزيه، لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم.

الفصل الثالث

في ذكر أخبار دالة على محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وقرابته وأهل بيته وذريته

الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء،) التابعين لما مالت إليه نفوسهم، **(يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدي بهم في ذلك،)** ولفظ الحافظ: ويقوى المنع؛ بأن الصلاة على غير النبي صارت شعارًا لأهل الأهواء، يصلون عليّ من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم، **(ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو،)** أي: المنع **(من باب التحريم، أو كراهة التنزيه، أو خلاف الأولى على ثلاثة أقوال، حكاها النووي في كتاب الأذكار)** وحكاها غيره أيضًا، **(ثم قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه، لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم).**

قال عياض: هو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول، كما قال أبو عمران، وإنما أحدثه الرافضة والشيعة في، فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه عند ذكرهم بالصلاة، وساووهم بالنبي ﷺ، وأيضًا بعض الأئمة، فشاركوهم، فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك. انتهى.

وقد روى إسمعيل بن إسحق في كتاب أحكام القرآن له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز؛ أنه كتب: أما بعد، فإن ناسًا من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وأن ناسًا من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا، فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين، ويدعوا ما سوى ذلك، ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح، قال: لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار.

(الفصل الثالث)

(في ذكر أخبار دالة على محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام و) ذوي **(قرابته،)** أو استعمله بمعنى الأقارب مجازًا، **(وأهل بيته وذريته)** (بضم الذال وكسرها) أولاده وأولادهم

قال الطبراني: أعلم ان اللّه تعالى لما اصطفى نبيه ﷺ على جميع من سواه، وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه، أعلى ببركته من انتمى إليه نسبًا أو نسبه، ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبه، وألزم مودة قرباه كافة بريته، وفرض محبة جملةِ أهل بيته المعظم وذريته، فقال تعالىٰ: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى**﴾ [الشورى/٢٣].

ويروى أنها لما نزلت قالوا: يا رسول، من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. وقال تعالى: ﴿**إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**

والألفاظ المذكورة متداخلة لا متباينة.

(**قال الطبراني: العلم أن اللّه تعالى لما اصطفى**) أي فضل (**نبيه ﷺ على جميع من سواه**) من الأنبياء والملائكة فعداه بعلي، لأنه ضمنه معي فضل، فلا يرد أنه يتعدى بنحو اصطفيتك من كذا، قاله السمين في ﴿إن اللّه اصطفى آدم﴾، (**وخصه بما عمه**،) أي شمله (**به**) من عم الشيء عمومًا، شمل (**من فضله الباهر**) الغالب علي غيره، (**وحباه**): أعطاه بلا عوض، والمراد بما أفاضه عليه، من العطايا التي شملت جميع أجزائه حتى كأن كل جزء منه اختص بفضيلة قصرت عليه لا تتجاوزه إلى غيره والباء في بما داخلة على المقصور، (**أعلى**:) رفع (**ببركته من انتمى**،) انتسب (**إليه**) بأن عد من أتباعه (**نسبًا**،) كقرابة (**أو نسبة**،) كصحبة ومناصرة، (**ورفع من انطوى**)، انضم واجتمع (**عليه نصره وصحبه**) بحيث أشبه في إيصاله به طي بعض، أجزاء الصحيفة على بعض، (**وألزم مودة قرباه**،) أي محبة أقربائه (**كافة بريته**:) جميع خلقه، (**وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته**) بالأخذ في أسبابها باستحضار حثه ﷺ على حبهم والتودد إليهم، لا الإثم بترك المحبة، لأنها ليست اختيارية، أما بالمبتلى بكراهة بعضهم لمعنى فيه فيجب عليه السعي في أسباب محبته من حيث قربه له عليه السلام، وإن كره وقوع المعصية منه، (**فقال تعالى**: ﴿**قل لا أسئلكم عليه**﴾ [الأنعام: ٩٠]،) أي التبليغ والإرشاد (﴿**أجرًا إلا المودة في القربى**﴾) أي تودوا قرابتي، أو أن تودوني لقرابتي منكم، وقيل: الاستثناء منقطع، والمعنى لا أسألكم أجرًا قط، ولكن أسألكم المودة في القربى حال منها، أي إلا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في أهلها، أو في حق القرابة، ومن أجلها كما في حديث الحب في اللّه والبغض في اللّه»، قاله البيضاوي: ولعل وجه الاستدلال بها على وجوب محبة القرابة وآل البيت أنه لما سألهم محبة قرابته دل على اعتنائه بهم وقضية ذلك إيجابه علينا.

(**ويروى**) عند ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس (**أنها لما نزلت قالوا: يا رسول من قرابتك هؤلاء**) الذين نزلت فيهم الآية، (**قال: علي وفاطمة وابناهما**).

ويطهركم تطهيرًا﴾ [الأحزاب/٣٣].

وقد اختلف في المراد بأهل البيت في هذه الآية.

فروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في نساء النبي ﷺ.

وروى ابن جرير عن عكرمة، أنه كان ينادي في السوق **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾** قال: نزلت في نساء النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يعني: ما في الآية نص في دخول أزواجه ﷺ لأنهن سبب نزول هذه الآية، إذ الخطاب فيما قبلها لهن وسبب النزول داخل فيه قولاً واحدًا، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح.

قال الولي العراقي في إسناده: حسين الأشقر شيعي مختلف فيه، وهذه الآية مكية، ولم يكن لفاطمة حينئذٍ أولاد. انتهى.

وفي التقريب: أنه صدوق يهم ويغلوا في التشييع، فإن ثبت، فقوله: وابناهما، أي اللذان سيولدان بعد أن يتزوجا، فلا ينافي كون الآية مكية بل في تفسير ابن عطية أن الآية مدنية، فيصح بلا تكلف **(وقال تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾)** الذنب المدنس لعرضكم، وأصل معناه القذر الحسي، ثم استعير للإثم والذنب، كما هنا **(﴿أهل البيت﴾)** نصب على النداء أو المدح أو الاختصاص، **(﴿ويطهركم﴾)** عن المعاصي **(﴿تطهيرًا﴾)** [الأحزاب: ٣٣] ترشيح للاستعارة للتنفير عن الذنب ووجه الاستشهاد بالآية أن من طهره الله من الآثام أحبه الله ورسوله، ومن أحباه لزمنا حبه وبره وصلته.

(وقد اختلف في المراد بأهل البيت في هذه الآية فروى ابن أبي حاتم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: نزلت في نساء النبي ﷺ) خاصة لا رجل معهن، وأريد بالبيت مساكن النبي ﷺ، قاله ابن عطية.

(وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق) قصدًا لإظهار الحق عنده، **(﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ)** خاصة وكذا قال مقاتل: ورد بأن تذكير الضمير يأباه، إذ لو أريد النساء فقط، لقيل: عنكن ويطهركن قال الحافظ ابن كثير: وهذا يعني ما في الآية نص في دخول أزواجه ﷺ، لأنهن سبب نزول هذه الآية، **(إذ الخطاب فيما قبلها لهن، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحدًا، أما وحده على قول)** وعليه مشى هنا ابن عباس وعكرمة ومقاتل، **(أو مع غيره على الصحيح،)** إذ

وقيل: المراد النبي ﷺ.

قال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في نساء النبي ﷺ. فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر، فإنه قد ورد في ذلك أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك. فروى الإمام أحمد عن واثلة ابن الأسقع أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه ـ أو قال: كساءه ـ ثم تلا هذه الآية ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا**﴾ وقال: اللهم

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(**وقيل: المراد النبي ﷺ**،) ولا ينافيه قوله أهل البيت، لأن أهل يطلق بمعنى آل، وآل يطلق على الرجل نفسه، كآل داود وآل أبي أوفى (**قال عكرمة: من شاء باهلته**) لاعنته، بأن يجعل اللعنة على الكاذب (**أنها نزلت في نساء**،) أي أزواج (**النبي ﷺ**،) ونسخة في شأن النبي تصحيف، فالمنقول عن عكرمة أزواج.

قال ابن كثير: (**فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن**،) فصحيح وإن أريد أنهن المراد دون غيرهن (**ففي هذا نظر فإنه قد ورد في ذلك أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك**،) هذا لفظ ابن كثير فسقط من قلم المصنف أو نساخه بعض الكلام، وكان حقه تقديم قوله: قال عكرمة: من شاء باهلته إلى هنا على قوله وقيل المراد النبي ﷺ، فإن ابن كثير لم يحكه، وقد أوهم تأخيره تعقله بهذا القول حتى أقدم من لم يتأمل على تصحيف نساء بشأن، وما درى أنه خلاف المروي عن عكرمة.

(**فروى الإمام أحمد عن واثلة**) بمثلثة (**ابن الأسقع**) (بالقاف) ابن كعب الليثي صحابي مشهور، نزل الشام وعاش إلى سنة خمس وثمانين، ومات وله مائة وخمس سنين. (**إن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين، آخذ كل واحد منهما بيده**) برفع كل فاعل؛ بأن يكونا آخذين بيده ﷺ متعلقين به، والنصب مفعول آخذ اسم فاعل، والفاعل النبي بمعنى أنه ﷺ دخل قابضًا بيديه عليهما، آخذًا لهما في حالة دخوله (**حتى دخل فأدنى**) قرب (**عليًا وفاطمة، وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه، أو قال:**) واثلة (**كساءه**،) شك الراوي والكساء مرط من شعر، (**ثم تلا هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾**) [الأحزاب: ٣٣] (**وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق**) بالتطهير ممن عداهم (**زاد في رواية ابن جرير**)

هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق. زاد في رواية ابن جرير فقلت: وأنا يا رسول الله من أهلك، قال: وأنت من أهلي. قال واثلة: وإنها من أرحى ما أرتجي.

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان في بيتها، إذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خريرة، فدخلت عليه بها، قال: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه، فجعلوا يأكلون من تلك الخريرة، وتحته كساء، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا**﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء

لحديث واثلة المذكور. (**فقلت: وأنا يا رسول الله من أهلك. قال: وأنت من أهلي**).

(**قال واثلة: وإنها من أرحى ما**) أي الأمور التي (**ارتجي**) وكأنه جعل ما ترجاه قسمين، أحدهما أشد رجاء من الآخر وعبر بالرجاء مع أخبار الصادق المصدوق به، وخبره لا يتخلف مخافة أنه مقيد بصفة ترجى حصولها، أي أنت من أهلي، إن فعلت كذا، أو دمت على صفة كذا.

(**وعن أم سلمة**) هند بنت أبي أمية (**أن رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة**) الزهراء (**ببرمة**) (بضم فسكون) قدر من حجر (**فيها خريرة**) (بخاء معجمة مفتوحة، ثم راء مكسورة فتحتية ساكنة فراء) ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة، لكنه أرق، منها قاله الطبري.

وقال ابن فارس: دقيق يخلط بشحم، وقال القتبي وتبعه الجوهري: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج در عليه الدقيق فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة وقيل: مرقة تصفى من بلالة النخالة، ثم تطبخ، وقيل: الخزيزة بالإعجام من النخالة والحريرة، يعني بالإهمال من اللبن. انتهى من المقصد الثالث.

ومر أن المعروف من الدقيق بدل اللبن (**فدخلت عليه بها، قال: ادعي زوجك وابنيك**) وفي رواية: جاءت فاطمة إلى رسول الله ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك، فقالت: في البيت، فقال: ادعيهم، فجاءت إلى علي، وقالت له: أجب رسول الله أنت وابناك، (**قالت: فجاء علي وحسن وحسين، فدخلوا عليه، فجعلوا يأكلون من تلك الخريرة وتحته كساء، قالت**) أم سلمة: (**وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى**)

فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيت وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، قالت: فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول اللَّه فقال: إنك إلى خير، إنك على خير. رواه أحمد وفي إسناده من لم يسم وبقية رجاله ثقات.

وقوله: «وحامتي» بالتشديد، أي خاصتي.

وعن أبي سعيد قال قال رسول اللَّه ﷺ: أنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿**إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل**

السماء).

وفي رواية: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة، فمده وبسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربع بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومى بيده اليمنى إلى ربه، (**ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي**) (بالحاء المهملة والميم الثقيلة والفوقية)، (**فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**،) أي جنبهم المعاصي وما يشينهم وإدخالهم في الكساء وسترهم به إشارة إلى قربهم منه، وأن اللَّه سترهم، كما سترهم الكساء وأنه صانهم وأحرزهم بذلك كما حول رداءه في الاستسقاء، إشارة إلى تبدل الحال عما هي فيه وإنما دعا لهم بذلك بعد ذكر اللَّه تعالى، أنه يريد لهم ذلك، وإرادته تعالى لا تتخلف عن مراده، تأكيدًا وتنويهًا بقدرهم ليعلم الناس به، أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (**قالت**) أم سلمة (**فأدخلت رأسي من البيت**) الذي عبرت عنه قبل بالحجرة، (**فقلت: وأنا معكم يا رسول اللَّه**؟، **فقال: إنك**) مساقة أو صائرة (**إلى خير**،) فلا يعدك من أهل البيت.

زاد في رواية: إنك من أزواج النبي وفي رواية: إنك على خير وفي أخرى: أنت على مكانك وأنك على خير (**رواه أحمد، وفي إسناده من لم يسم، وبقية رجاله ثقات**).

(**وقوله: وحامتي بالتشديد، أي خاصتي**).

قال المجد: الحامة خاصة الرجل من أهله وولده وصريح هذا الحديث أن نزول الآية وهم يأكلون، فقوله في حديث واثلة قبله: ثم لف عليهم ثوبه أو كساءه، ثم تلا هذه الآية، أي بعدما نزلت وهم يأكلون، فغشاهم بالكساء، وتلاها جمعًا بينهما، ولا يعد فيه، فهو مدلول كل من الحديثين.

(**وعن أبي سعيد**) سعد بن لملك بن سنان الخدري (**قال: قال رسول اللَّه ﷺ أنزلت هذه الآية في خمسة، فيّ**) بشد الياء يعني نفسه ﷺ (**وفي علي**) أمير المؤمنين (**وحسن وحسين**) الريحانتين (**وفاطمة**) سيدة نساء العالمين. (﴿**إنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**

البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ رواه ابن جرير، ورواه أحمد في المناقب، والطبراني.

وعن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، إنما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله عز وجل، فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله عز وجل، وخذوا به، وحث فيه ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، ثلاث مرات. فقيل لزيد: ومن

ويطهركم تطهيرًا﴾) [الأحزاب: ٣٣]، بيان لقوله هذه الآية (**رواه ابن جرير**) محمد الطبري (**ورواه أحمد في المناقب والطبراني**) سليمٰن بن أحمد (**وعن زيد بن أرقم**) بن زيد بن قيس الأنصاري، الخزرجي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، مات سنة ست أو ثمان وستين (**قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا**) بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة، كما في مسلم، وخم (بضم الحاء المعجمة وشد الميم) غدير على ثلاثة أميال من الجحفة، يقال له غدير خم (**فحمد الله وأثنى عليه**) ووعظ وذكر، كما في مسلم، (**ثم قال: أما بعد**) قال عياض: كلمة يستعملها الخطيب للفصل بين ما كان من حمد وثناء، والانتقال إلى ما يريد التكلم فيه ويعوض عنها لفظتان، هذا ولما كان كذا. (**أيها الناس**) الحاضرون أو الأعم، (**إنما أنا بشر**) وقوله: (**مثلكم**) كذا في النسخ، وليست في مسلم ولا في نقل السيوطي عنه وعن أحمد وعبد بن حميد، فكان كاتبها سبقه قلمه لحفظه القرآن (**يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل**) يعني ملك الموت، (**فأجيب**) أي أموت، كنى عنه بالإجابة، إشارة إلى أنه ينبغي تلقيه بالقبول، كأنه يجيب إليه اختياره، (**وأنا تارك فيكم ثقلين**) (بفتحتين دون أل، كما في مسلم سميا به لعظم شأنهما وشرفهما، وقيل: لثقل العمل بهما، (**أولهما كتاب الله**) قدمه لأحقيته بالتقديم (**فيه الهدى**) من الضلال، أي ما يهتدي بالتمسك به (**والنور**) أي ما يضيء ثوابه على المتمسك به.

زاد في رواية أحمد وغيره من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل، (**فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه**) كذا في النسخ، ولفظ مسلم: فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه وعنده من وجه آخر عن زيد، مرفوعًا: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله، من أتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة». (**ثم قال: و**) ثانيهما: (**أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**) قال الطيبي: أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي فالتذكير بمعنى الوعظ. انتهى، فهو بضم الهمزة وفتح المعجمة وشد الكاف من التذكير.

أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بلى، إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قيل: من هم؟ قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم، خرجه مسلم.

وفي السنباطي أي أذكره لكم، والمراد: أقسم عليكم به فظاهره أنه بفتح فسكون من ذكر لكن ضبط بالأول في النسخ المعتمد عليها في المواضع الثلاثة وقوله: (**ثلاث مرات**) اختصار لقوله في مسلم: أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثًا.

قال الحكيم الترمذي: حض على التمسك بهم، لأن الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة، وهذا عام أريد به خاص، وهم العلماء العاملون منهم فخرج الجاهل والفاسق، وهم بشر لم يعروا عن شهوات الآدميين، ولا عصموا عصمة النبيين وكما أن كتاب الله منه ناسخ ومنسوخ، فارتفع الحكم بالمنسوخ كذلك ارتفعت القدوة بغير علمائهم العظماء وحث على الوصية بهم لما علم بما سيصيبهم بعده من البلايا والرزايا. انتهى، وكرره ثلاثًا للتأكيد.

قال الفخر الرازي: جعل الله أهل بيته مشاركين له في خمسة أشياء في المحبة وتحريم الصدقة والطهارة والسلام والصلاة ولم يقع ذلك لغيرهم، (**فقيل لزيد**) بن أرقم، ولفظ مسلم، فقال له حصين (**ومن أهل بيته:**) يا زيد، (**أليس نساؤه من أهل بيته؟، قال: بلى إن**) كذا في النسخ، وليست في مسلم لفظة بلى، إن وإنما قال: (**نساءه من أهل بيته**) وقد صحفت في بعض النسخ بلى أي نساؤه من أهل بيته، وكل ذلك خبط مخالف لما في مسلم وبلى لرد النفي، وقد تستعمل بمعنى نعم، وهو على تقدير ثبوته المناسب لقوله: (**ولكن أهل بيته من حرم**) (بضم الحاء وتخفيف الراء (**الصدقة**)، أي الزكاة (**بعده**) وهم بنوهاشم، والمطلب عند الشافعي، وقال لمالك: بنو هاشم فقط. وقيل: بنو قصي، وقيل: قريش كلها قاله النووي.

وما يوجد في بعض النسخ المواهب من زيادة عليهم بعد حرم لا وجود لها في مسلم، وهي مخالفة لضبط النووي.

وقال القاضي عياض: يعني أن نساءه من أهل سكنه، ولسن المراد بالآية، وإنما المراد الذين حرموا الصدقة بعده، يعني الذين منعتهم ملوك بني أمية صدقته التي خصه الله بها وكانت تفرق عليهم في أيامه وأيام الخلفاء الأربعة لقوله بعده: وزيد عاش حتى أدرك ذلك، لأنه مات سنة ثمان وستين ويحتمل أن يعني الذين حرموا الزكاة التي هي أوساخ الناس وقد جاء ذلك عن زيد مفسرًا في غير هذا الحديث.

(**قيل:**) أي قال حصين: (**من هم؟، قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل**) (بفتح فكسر أولاد أبي طالب (**وآل العباس**) بن عبد المطلب (**قال**) حصين: (**كل هؤلاء حرم الصدقة،**) وزيادة

و «الثقل» محركة كما في القاموس، كل شيء نفيس مصون، قال: ومنه حديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي. وهي بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية.

والأخذ بهذا الحديث أحرى، وليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، ولا يشك من تدبر القرءان أن نساء النبي ﷺ داخلات في الآية الكريمة، فإن

عليهم بعد حرم في نسخ لا وجود لها في مسلم، (قال) زيد: (نعم).

قال عياض: فيه حجة لـمالك في قصره المنع على بني هاشم، لأنه لم يذكر سواهم وأدخل الشافعي معهم بني المطلب لحديث «إنما نحن وبنو المطلب شيء واحد»، ومال إليه بعض شيوخنا، (خرجه مسلم) في فضائل أهل البيت من صحيحه، وخرجه أحمد وغيره، ولمسلم من وجه آخر، فقلنا: أي لزيد: من أهل بيته نساؤه، قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أهله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده.

قال النووي: فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم، إن زيدًا قال: نساؤه لسن من أهل بيته فتؤول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهن، وأمر باحترامهن وإكرامهن وسماهم ثقلاً، ووعظ في حقوقهن، وذكر: فنساؤه داخلات في هذا كله، ولا يدخلن في من حرم الصدقة وقد أشار لهذا في الرواية الأولى، بقوله: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة، فاتفقت الروايتان، قال: وقوله في الرواية الأخرى؟، فقلنا: نساؤه من أهل بيته قال: لا دليل، لا يطال قول من قال: هم قريش كلها فقد كان في نسائه قرشيات: عائشة وحفصة وأم سلمة وسودة وأم حبيبة... انتهى.

(**والثقل محركة**،) أي بفتح المثلثة والقاف، (**كما في القاموس كل شيء نفيس مصون، قال: ومنه الحديث: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي»**) فسماهما ثقلين لنفاستهما، وفي المعلم للمازري، قال ثعلب: سماهما ثقلين، لأن العمل والأخذ بهما ثقيل، والعرب تقوله لكل شيء نفيس، فسماهما ثقلين لعظمهما. انتهى.

وذكر بعضهم أنه تشبيه بليغ، أي كالثقلين الإنس والجن، وهو تكلف لا حاجة إليه، (**وهي**،) أي العترة ((**بكسر** العين (**المهملة وسكون المثناة الفوقية**) فراء فهاء تأنيث) الأهل والنسل والأقارب، كما يأتي، (**والأخذ بهذا الحديث أحرى**:) أحق وأولى، (**وليس المراد بالأهل الأزواج**) الطاهرات (**فقط بل هم**) (بالميم) للتعظيم في جمع الإناث (**مع آله**) المذكورين، (**ولا يشك من تدبر القرآن**) تأمله (**أن نساء النبي** ﷺ **داخلات في الآية الكريمة**

سياق الآية الكريمة معهن، ولهذا قال بعد هذا كله ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ [الأحزاب/٣٤].

وهذا اختيار ابن عطية بعد أن نقل عن الجمهور أنهم: علي وفاطمة والحسن والحسين. قال: وحجة الجمهور قوله تعالى: ﴿**عنكم**﴾، ﴿**ويطهركم**﴾ بـ«الميم» ولو كان اللنساء خاصة لقال: عنكن.

فإن سياق الآية الكريمة معهن،) والمخاطبة لهن بقوله: يا نساء النبي الخ.

(ولهذا قال: بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن **(والحكمة)** سنة الله على لسان نبيه دون أن يكون في قرآن متلو ويحتمل أن يكون وصفًا للآيات، فهذه الآية تعطي أن نساءه من أهل البيت وعلى قول الجمهور: هي ابتداء مخاطبة أمر الله تعالى أزواجه ﷺ على جهة الموعظة وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن ولفظ ذكر يحتمل مقصدين، كلاهما موعظة وتعديد نعمة أحدهما تذكرنه وأقدرنه قدرة وفكرن في أن من هذه حاله ينبغي أن تحسن أفعاله. والآخر أذكرن، بمعنى: احفظن واقرأن والزمنه كأنه قيل: احفظن أوامر الله ونواهيه، وذلك هو الذي يتلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة، وذلك مؤديكن إلى الاستقامة.

وفي قوله إن الله كان لطيفًا تأنيس وتعديد نعمة، أي لطيف بكن في هذه النعمة وفي قوله: خبيرًا تحذير ما قاله ابن عطية رحمه الله تعالى، **(وهذا)** القول بعمومه للزوجات مع الأول **(اختيار)** عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام **(بن عطية)** بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف المحاربي الغرناطي نزل جده الأعلى عطية بن خالد بن خفاف بقرية من غرناطة، فأنسل كثيرًا لهم قدر وفضل، فاشتهروا بابن عطية، كان أبو محمد عبد الحق فقيهًا، عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث والنحو والأدب واللغة، مفيدًا حسن التقييد، غاية في الدهاء والذكاء، روي عن أبيه غالب أحد الحفاظ وأبي علي الغساني والصدفي وخلق كثير ضمنهم برنامجه، وألف الوجيز في التفسير، فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ومات سنة ست وأربعين وخمسمائة **(بعد أن نقل عن الجمهور؛ أنهم،)** أي آل البيت **(علي وفاطمة والحسن والحسين،)** وقال في ذلك أحاديث، ونقل منها: حديث أبي سعيد نزلت هذه الآية في خمسة.... الحديث السابق.

(قال: وحجة) لفظه، ومن حجة **(الجمهور قوله تعالى ﴿عنكم﴾ ﴿ويطهركم﴾** بالميم، ولو كان للنساء خاصة، لقال: عنكن)، ويطهركن حيث قال أعني ابن عطية بعد هذا والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة فأهل البيت زوجاته وبنته

وأجيب بأن الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب، فيكون المراد به كالمراد بالأول في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره، على قول من فسره به، كما قدمته مع غيره قريبًا في الفصل السابق، والله أعلم. ولله در القائل.

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرءان أنزله
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وأخرج أحمد عن أبي سعيد معنى حديث زيد بن أرقم السابق مرفوعًا بلفظ: إني أوشك أن أدعي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لم يفترقا

وبنوها وزوجها وهذه الآية تقتضي أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن.

زاد المصنف، (وأُجيب) عن احتجاج الجمهور بالآية (**بأن الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب**) على قاعدة اجتماع مذكر ومؤنث، فيغلب المذكر، (**فيكون المراد به، كالمراد بالأول في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره،**) أي الآل (**به،**) أي بالأزواج مع الذرية، (**كما قدمته مع غيره قريبًا في الفصل السابق،**) وهو الثاني قبل هذا، (**والله أعلم**) بالحق من ذلك، (**ولله در القائل،**) ونسب للإمام الشافعي:

(**يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله**
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له)

أي كاملة لطلب الصلاة عليهم في التشهد (**وأخرج أحمد عن أبي سعيد**) الخدري (**معنى حديث زيد بن أرقم السابق**) قريبًا، (**مرفوعًا بلفظ: إني أوشك أن أدعى**) إلى لقاء ربي، (**فأجيب: وإني تارك فيكم**) بعد وفاتي (**الثقلين**) الرواية ثقلين بدون أل وفي رواية خليفتين، زاد في أخرى: أحدهما أعظم من الآخر، (**كتاب الله**) بدل مما قبله مفسر له (**حبل ممدود من السماء إلى الأرض،**) وفي رواية ما بين السماء والأرض: قال بعض شراحه، أي فيما بين، نظر فيه إلى تعداده في الناس وتطاوله وانتشاره في أهل الأرضين السلوات إذ أل فيهما جنسية.

وفي رواية لمسلم: هو حبل الله، من أتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، قيل: المراد بحبل الله عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: نوره الذي يهدي به، وقيل في قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، معناه بعهده وقيل: اتباع القرءان وتركه الفرقة (**وعترتي أهل بيتي**) تفصيل بعد إجمال بدل أو بيان يعني أن ائتمرتم بأوامر كتاب الله وانتهيتم بنواهيه واهتديتم بهدى عترتي واقتديتم بسيرتهم اهتديتم فلم تضلوا في الترمذي من حديث زيد بن أرقم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بماذا تخلفوني فيهما.

وعترة الرجل ـ كما قال الجوهري ـ: أهله ونسله، ورهطه الأدنون، أي الأقارب.

لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي **(وإن اللطيف)** المنعم عليكم بهذه النعمة العظيمة **(الخبير)** فيه تحذير ما عن مخالفتهما **(أخبرني أنهما لم)** وفي رواية لن **(يفترقا)** أي يستمرا متلازمين **(حتى يردا علي الحوض)** يوم القيامة زاد في رواية كهاتين وأشار بإصبعيه ولا يعارضه رفع القرءان من المصاحف والصدور قرب الساعة لبقاء موجبه وهو الإسلام فيبقى ببقائه أحكام القرءان لطلبهما من المكلفين حتى تقوم الساعة ولكون أهل بيته العالمين العاملين تبقى ببقائه فكأن القرءان باق وفي هذا مع قوله أولاً: إني تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهما والتمسك بهما في الدين أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينية والأسرار والحكم الشرعية وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق، وأما العترة فلأن العنصر إذا طلب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق ومحاسنها يؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته. وأكد تلك الوصية وقواها بقوله: **(فانظروا بماذا تخلفوني فيهما)** بعد وفاتي هل تتبعونهما فتسروني أو لا فتسوؤني. قال القرطبي: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام آله وبرهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفرائض التي لا عذر لأحد في التخلف عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم به ﷺ وبأنهم جزء منه، كما قال: فاطمة بضعة مني ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق فسفكوا من أهل البيت دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم، فخالفوا وصيته ﷺ وقابلوه بنقيض قصده فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه... انتهى.

فالوصية بير آل البيت على الإطلاق وأما الاقتداء، فإنما يكون بالعلماء العاملين منهم إذ هم الذين لا يفارقون القرءان إما نحو جاهل وعالم مخلط، فأجنبي من هذا المقام وإنما ينظر للأصل والعنصر عند التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فإذا كان العلم النافع في غيرهم لزمنا اتباعه كائنًا من كان. قال الشريف السمهودي: هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من عترته في كل زمن إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما أن الكتاب كذلك، فلذا كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض **(وعترة الرجل، كما قال الجوهري: أهله ونسله ورهطه الأدنون، أي الأقارب،)** فيشمل ذلك العباس وأولاده، وأولاد

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس ارقبوا محمدًا في أهل بيته. رواه البخاري.

والمراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظوهم فلا تؤذوهم.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ كما في البخاري أيضًا ـ: لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي. وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه إياها ما طلبته منه من تركة النبي ﷺ، وقد جرى منه على

أبي طالب وغيرهم، كما يأتي.

(وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يا أيها الناس ارقبوا) (بضم الهمزة)، قال المصنف: وفي اليونينية (بالوصل وسكون الراء وضم القاف فموحدة) (محمدًا في أهل بيته، رواه البخاري) عن ابن عمر عن أبي بكر في المناقب، (والمراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول: احفظوهم) لفظ الفتح احفظوه فيهم، (فلا تؤذوهم) ولا تسيئوا إليهم، (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه) أيضًا، (كما في البخاري أيضًا) في المناقب وغيرها عن عائشة، عنه (لقرابة) أي لصلة قرابة (رسول الله ﷺ) أو التقدير صلتهم، (أحب إليّ أن أصل من) صلة (قرابتي) فلا بد من التقدير ليصح الأخبار.

وفي الصحاح: القرابة القربى في الرحم، وهو في الأصل مصدر تقول بيني وبينه قرابة وقرب، وهو قريبي وذو قرابتي زاد القاموس: ولا تقل قرابتي، ويرده نطق الصديق به (وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه إياها ما طلبته منه من تركة النبي ﷺ) كذا قاله الحافظ في المناقب، ومراده قاله لعلي لأجل منعه لفاطمة، لأنه إنما قال ذلك بعد موتها ففي البخاري في غزوة خيبر، عن عائشة: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»... الحديث، وفيه: فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى ماتت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر إلى أن قال: فأرسل علي إلى أبي بكر؛ أن ائتنا وحدك، فدخل عليهم أبو بكر، فقال علي: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت بالأمر، أي لم تشاورنا في أمر، الخلافة وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله نصيبًا، حتى فاضت عينا أبي بكر، وقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب إلي من أهلي ومن قرابتي... الحديث.

قال في فتح الباري: إنما غضبت مع احتجاج أبي بكر بالحديث المذكور، لاعتقادها تأويله على خلاف ما تمسك به أبو بكر فكأنها اعتقدت تخصيص عموم قوله: لا نورث ورأت أن منافع

موجب الإيمان، لأنه عليه الصلاة والسلام شرط الأحبية فيه على النفس والمال والولد، كما ذكرته في الفصل الأول من هذا المقصد.

ثم إنه ﷺ أثبت لأقاربه ما أثبت لنفسه من ذلك فقال: من أحبهم فبحبي أحبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، ولقد أحسن القائل:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربا

ما خلفه من أرض وعقار، لا يمتنع أن يورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل فلما صمم أبو بكر على ذلك انقطعت عن الاجتماع به.

وقد قال بعض الأئمة: إنما كان هجرها انقباضًا عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم، لأن شرطه أن يلتقيا، فيعرض هذا وهذا.

وقد روى البيهقي عن الشعبي: أن أبا بكر عاد فاطمة، فقال لها: على أبو بكر أن يستأذن عليك، قالت: أتحب أن آذن له؟، قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها، فرضاها حتى رضيت وهو وإن كان مرسلاً، فإسناده صحيح، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها رضي الله عنها. انتهى.

(**وقد جرى**:) حصل ذلك (منه،) من أبي بكر (**على موجب الإيمان**) (بكسر الجيم اسم فاعل من أوجب)، كذا أثبته، أي على الوجه الذي يحقق الإيمان ويثبته (**لأنه عليه الصلاة والسلام شرط الأحبية فيه على النفس والمال والولد، كما ذكرته في الفصل الأول من هذا المقصد**،) يعني قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» ومر بسط الكلام عليه ثمة، (**ثم إنه ﷺ أثبت لأقاربه ما أثبت لنفسه من، ذلك فقال**) في حديث: (**من أحبهم فبحبي**،) أي، فبسبب حبه لي (**أحبهم**:) لقربهم لي، (**وحثنا على ذلك شفقة**:) حنوًا وعطفًا (**منه علينا**،) مخافة أن نبغضهم أو نقع فيهم بشيء فنهلك (**صلوات الله وسلامه عليه وعليهم**).

وذكر الحافظ جمال الدين لزرندي؛ أنه جاء مرفوعًا: من أحب أن ينسأله في أجله، وأن يمتع فيما خوّله الله تعالى، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره، وورد على يوم القيامة مسودًا وجهه، (**ولقد أحسن القائل**) الشيخ محيي الدين بن عربي:

(**رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربا**)

فما طلبت المبعوث أجرًا على الهدي بتبليغه إلا المودة في القربى

وفي الترمذي ـ وقال: حسن غريب ـ: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي.

وفي المناقب لأحمد: من أبغض أهل البيت فهو منافق.

وروى ابن سعد: من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفًا، فعجز عن مكافأته في الدنيا، فأنا المكافىء له يوم القيامة.

(فما طلبت المبعوث أجرًا على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى) ولائي (بفتح الواو) قربي ودنوي، **(وفي الترمذي)** في المناقب: **(وقال حسن غريب،)** وصححه الحاكم، وأقره الذهبي عن ابن عباس، مرفوعًا: **(أحبوا)** (بفتح الهمزة وكسر الحاء **(الله)** وجوبًا **(لما يغذوكم)** بفتح الياء وسكون الغين وضم الذال المعجمتين) **(به من نعمه،)** بيان لما، وسقطت من بعض النسخ سهوًا، أو من الكتاب، وإلا فهي ثابتة في الترمذي، أي لأجل إنعامه عليكم بصنوف النعم وضروب الآلاء الحسية، كتيسير ما يتغذى به من الطعام والشراب، والمعنوية، كالتوفيق والهداية، ونصب أعلام المعرفة، وخلق الحواس، وإفاضة أنوار اليقين على القلب، وغير ذلك من الأغذية الروحانية، المعلوم تفصيلها عند علماء الآخرة.

قال بعضهم: أمر بمعنى الخبر، وليس بعزيز، نحو حديث: وجدت الناس أخبر تقله، فالمراد إنما تحبونه، لأنه أنعم عليكم، فأحبكم، فأحببتموه، كذا قال: **(وأحبوني بحب الله)** لي، فوضع محبتي فيكم، كما يصرح به خبر: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل».... الحديث، والمحبة إذا كانت بشرط النعمة كانت معلولة ناقصة، وكان مرجعها إلى حظ المحب، لا إلى المحبوب، والنعم كلها أو جلها ملاذ النفوس، ومن أحب اللذة تغير عند المكروه بعدمها وفوت حظ النفس منها، ألا ترى أن محبة زليخا ليوسف، لما كانت بشهوة آثرت ألمه على ألمها عند فوات حظها منه، وأما النسوة فغبن عن حظوظ أنفسهن، فقطعن أيديهن بلا إحساس، **(وأحبو أهل بيتي بحبي،)** بسبب حبي لهم، أي إنما تحبونهم، لأني أحببتهم لحب الله لهم، وقد يكون أمرًا بحبهم، لأن محبتهم تصديق بمحبتهم للنبي ﷺ ﴿قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾.

(وفي المناقب لأحمد: من أبغض أهل البيت، فهو منافق) نفاقًا عمليًا، فإن كان من حيث كونهم من آل البيت فحقيقي، **(وروى ابن سعد من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفًا فعجز عن مكافأته)**، بأن تركها **(في الدنيا)** سواء كان ذلك العجز، أو مع القدرة عليها، ولم يفعل، فاستعمل العجز في لازمه، وهو الترك بدليل رواية: فلم يكافئه، **(فأنا المكافىء له**

والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب، وهو عبد المطلب، ممن صحب النبي ﷺ، منهم أو رآه من ذكر وأنثى، وهو:

علي وأولاده: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها.

وجعفر بن أبي طالب وأولاده وهم: عبد الله، وعون، ومحمد، ويقال: إنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد.

يوم القيامة،) يوم الفزع الأكبر، ونعم المكافىء في محل الاضطرار، وفيه دلالة على مزيد عنايته بهم، فهنيئًا لمن فرج عنهم كربه، أو لبى لهم دعوة أو أنالهم طلبة.

(والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب، وهو عبد المطلب،) لقوله ﷺ: «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يدا، فلم يكافئه بها في الدنيا، فعليَّ مكافأته غدا إذا لقيني»، رواه الطبراني في الأوسط، عن عثمان رضي الله، عنه: فخرج بذلك من انتسب إليّ من فوق عبد المطلب كأولاد عبد مناف، أو إلى من يساويه، كأولاد هاشم أخوة عبد المطلب، أو انتسب له، ولا صحبة له، ولا رؤية، ولعله ليس بمراد **(ممن صحب النبي ﷺ منهم، أو رآه من ذكر أو أنثى، وهو علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن)** (بميم مضمومة فحاء مفتوحة فسين مكسورة مشددة مهملتين)، **(وأم كلثوم)** زوج عمر بن الخطاب، ومات عنها قبل بلوغها، فتزوجها عون بن جعفر، ثم مات، فتزوجت بأخيه محمد، ثم مات، فتزوجها أخوهما عبد الله، ثم ماتت عنده، ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى لمحمد ابنة ماتت صغيرة، فلا عقب لأم كلثوم، كما قدم المصنف في المقصد الثاني. **(من فاطمة رضي الله عنها،)** كذا اقتصر عليه في الفتح، وزاد في الإصابة: في أولادها زينب، وقال: إنها ولدت في الحياة النبوية، وزاد بعضهم: رقية، ولم يذكرها في الإصابة، وبقية أولاد علي محمد الأكبر ابن الحنفية خولة بنت جعفر، وعبيد الله قتله المختار، وأبو بكر قتل مع الحسين أمهما ليلى بنت مسعود، والعباس الأكبر وعثمان، وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين أمهم أم البنين بنت حرام، ومحمد الأصغر أمه أم ولد قتل مع الحسين ويحيى وعوف، أمهما أسماء بنت عميس، وعمر الأكبر ورقية أمهما الصهب نسيبة، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص، وأم الحسن ورملة الكبرى أمهما أم سعيد بنت عروة، وأم هانىء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وحمانة ونفيسة، وهي لأمهات شتى، وابنة أخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة، فهؤلاء الذين عرفناهم من ولد علي، قاله في التلقيح، **(وجعفر بن أبي طالب وأولاده، وهم عبد الله وعون ومحمد)** وأمهم أسماء بنت عميس، **(ويقال: إنه كان لجعفر بن**

وعقيل بن أبي طالب، وولده مسلم بن عقيل.

وحمزة بن عبد المطلب، وأولاده: يعلى، وعمارة، وأمامة.

والعباس بن عبد المطلب، وأولاده الذكور العشرة، وهم: الفضل، وعبد اللّٰه، وقثم، وعبيد اللّٰه، والحرث، ومعبد، وعبد الرحمٰن، وكثير، وعون، وتمام، وفيه يقول العباس رضي اللّٰه عنه:

تموا بتمام فصاروا عشرة   يا رب فاجعلهم كرامًا بررة

أبي طالب ابن اسمه أحمد) من أسماء أيضًا، قاله الواقدي، قال في التبصير: والمشهور أن أول من تسمى به بعد النبي ﷺ أحمد والد الخليل، (**وعقيل بن أبي طالب، وولده مسلم بن عقيل،**) قتل قبل الحسين، (**وحمزة بن عبد المطلب، وأولاده يعلى وعمارة،**) وهما ذكران، وبهما كان يكنى، وقيل: عمارة أنثى وضعف، (**وأمامة**) أنثى، وهذا هو الأشهر في اسمها من سبعة أقوال، وله أيضًا من الذكور، وعامر وروح، ذكره ابن سعد وعمرو بن حمزة ذكره الكلبي، وقال: مات صغيرًا، ومن النساء أم الفضل وفاطمة، وقيل: هما واحدة ولم يعقب حمزة إلا من يعلى، فولد خمسة رجال من صلبه: عمارة والفضل والزبير وعقيل ومحمد، لكونهم ماتوا ولم يعقبوا، (**والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور العشرة، وهم: الفضل**) أكبرهم، وكان جميلاً، وبه يكنى، وثبت يوم حنين، ومات سنة ثمان عشرة شهيدًا بأجنادين (**وعبد اللّٰه**،) وهو أعلمهم، مات بالطائف، (**وقثم**) (بضم القاف وخفة المثلثة المفتوحة)، كان آخر الناس عهدًا بالمصطفى، وولي مكة لعلي، ثم سار أيام معٰوية إلى سمرقند، فاستشهد بها وقبره بها، (**وعبيد اللّٰه**) (بضم العين)، وكان سخيًا جوادًا، مات باليمن، والأربعة من أم الفضل، (**والحرث**) وأمه من هذيل، (**ومعبد وعبد الرحمٰن**) ماتا بأفريقية، وهما من أم الفضل، (**وكثير**) أمه أم ولد، ومات بالمدينة، ودفن بالبقيع، (**وعون**) (بالنون)، قال أبو عمر: لم أقف على اسم أمه، (**وتمام**) شقيق كثير، (**وفيه يقول العباس رضي اللّٰه عنه**):

(**تموا بتمام فصاروا عشرة   يا رب فاجعلهم كراما برره**)

زاد أبو عمر:

واجعل لهم ذكرًا وأتم الثمرة

وقال: إن تمامًا أصغرهم، وان العباس كان يقول ذلك، وهو يحمله، وفي الإصابة: عباس بن عباس بن عبد المطلب، ذكره أبو الفتح الأزدي فيمن وافق اسمه اسم أبيه، وكأنه أصغر ولد العباس، وقد قال:

تموا بتمام فصاروا عشرة

ويقال: لكل منهم رؤية، وكان له من الإناث: أم حبيبة، وآمنة، وصفية، وأكثرهم من لبابة.

ومعتب بن أبي لهب، والعباس بن أبي لهب، وكان زوج آمنة بنت العباس.

وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وأخته ضباعة، وكانت زوج المقداد بن الأسود.

انتهى. يعني فإن ثبت، فكأنه ولد بعد تمام، **(ويقال: لكل منهم رؤية)** للنبي ﷺ، وللفضل وعبد الله وعبيد الله سماع ورواية، ويقال: لقثم سماع، ولا يصح، قاله ابن السكن وغيره، **(وكان له من الإناث أم حبيبة)** بهاء ودونها، وهو أشهر، ذكرها ابن سعد في الصحابة، أمها أم الفضل.

وعند ابن إسحق رواية يونس: نظر ﷺ إلى أم حبيب بنت العباس تدب بين يديه، فقال: لئن بلغت هذه وأنا حي لأتزوجنها، فقبض قبل أن تبلغ، فتزوجها الأسود المخزومي، **(وآمنة)** لها رؤية، **(وصفية، وأكثرهم من لبابة)** بضم اللام وموحدتين خفيفتين بنت الحرث الصحابية الشهيرة، وهم السبعة الذين علمتهم، **(ومعتب)** (بضم الميم وفتح المهملة وفوقية مكسورة ثقيلة)، وقد تخفف، وموحدة) **(ابن أبي لهب)** وأخوه عتبة (بضم فسكون)، صحابيان أسلما في الفتح، **(والعباس بن أبي لهب)** صوابه ابن عتبة ابن أبي لهب، كما في الإصابة وغيرهما، **(وكان زوج آمنة بنت)** عم أبيه **(العباس)**.

قال في الإصابة: آمنة بنت العباس بن عبد المطلب الهاشمية، ذكرها الدارقطني في الأخوة، وقال: تزوجها العباس بن عتبة بن أبي لهب، فولدت له الفضل بن العباس، الشاعر المشهور، **(وعبد الله بن الزبير)** (بضم الزاي) عند الأكثر، وبفتحها عند أحمد بن يحيى البلاذري **(بن عبد المطلب)** الهاشمي، وأمه عاتكة بنت أبي وهب المخزومي ممن ثبت يوم حنين، ويروى أنه أتى النبي ﷺ، فكساه حلة وأقعده إلى جنبه، وقال: إنه كان ابن أمي، وكان أبوه لي برًا، ويقال: إن أباه الزبير كان يرقصه ﷺ، ويقول:

محمد بن عبدم
عشت بعيش أنعم في عز فرع أشيم

استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة، برز له رومي، فقتله عبد الله، ثم آخر، فقتله، ثم وجد في المعركة قتيلاً وحوله عشرة من الروم قتلاء، **(وأخته)** شقيقته **(ضباعة)** (بضم المعجمة فموجدة)، **(وكانت زوج المقداد بن الأسود)** الصحابي الشهير، فولدت له عبد الله وكريمة.

قال الزبير بن بكار: لم يكن للزبير عقب إلا من ضباعة، وأختها أم الحكم شقيقتها، وقتل ابنها عبد الله يوم الجمل مع عائشة، وروت ضباعة عن النبي ﷺ وعن زوجها المقداد وعنها ابن

وأبو سفيٰن بن الحٰرث بن عبد المطلب، وابنه جعفر، ونوفل بن الحراث بن عبد المطلب وابناه: المغيرة والحٰرث ولعبد الله بن الحٰرث هذا رؤية. وكان يلقب «ببة» بموحدتين، الثانية ثقيلة.

عباس وعائشة وبنتها كريمة وغيرهم، **(وأبو سفيان بن الحٰرث بن عبد المطلب)** قال جماعة اسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته والحٰرث أخوه، أسلم في الفتح، وثبت يوم حنين، وكان يشبه المصطفى، وأخاه من رضاع حليمة، روي عنه حديث: لا يقدس الله أمة، لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي».

أخرجه الدارقطني وابن قانع بإسناد صحيح، لكن فيه راو لم يسم، مات سنة خمس عشرة أو عشرين، وصلى عليه عمر **(وابنه جعفر،)** أسلم مع أبيه وشهد حنينًا، ولازم المصطفى حتى قبض، وأمه حمانة بنت أبي طالب، ومات بدمشق سنة خمسين، **(ونوفل بن الحٰرث بن عبد المطلب)**.

قال الزبير بن بكار: كان أسن من أسلم من بني هاشم حتى من عميه حمزة والعباس، وذكر ابن اسحق أنه ﷺ آخى بينه وبين العباس، مات لسنتين مضتا من خلافة عمر، فمشى في جنازته، وسقط من غالب نسخ المصنف، وابنه جعفر ونوفل بن الحٰرث بن عبد المطلب، وهما مذكوران في الفتح، ويلزم على سقوطهما خطأ قبيح، لأنه يلزم عليه أن المغيرة والحٰرث ابنا أبي سفيٰن، وأن ببة حفيده، وليس كذلك، فالصواب إثباتهما ليصح قوله: **(وابناه،)** أي ابنا نوفل **(المغيرة،)** قال أبو عمر: ولد قبل الهجرة، وقيل: بعدها بأربع سنين، ذكره ابن شاهين في الصحابة، وأخرج عنه عن النبي ﷺ: «من لم يحمد عدلاً، ولم يدم جورًا فقد بارز الله بالمحاربة».

قال ابن شاهين: غريب، ولا أعلم للمغيرة غيره.

وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، قال الحافظ: والراجح أنه صحابي، وكان قاضيًا بالمدينة في خلافة عثمٰن، ثم كان مع علي في حروبه، **(والحٰرث)** بن نوفل الهاشمي، له صحبة ورواية، وولاه ﷺ بعض أعمال مكة، وأقره الشيخان وعثمٰن، ثم انتقل إلى البصرة، وبنى بها دارًا، ومات بها في آخر خلافة عثمٰن، وقيل: مات زمن معٰوية، **(ولعبد الله بن الحٰرث)** بن نوفل **(هذا رؤية)** من النبي ﷺ ونسخ، ولهند بن الحٰرث خطأ، إنما هند أم عبد الله.

قال البغوي: لما ولد أرسلت به أمه عند بنت أبي سفيٰن بن حرب إلى أختها أم حبيبة، فقالت: يا رسول الله هذا ابن أختي، فحنكه وتفل في فيه، وكذا قال ابن سعد: ويقال: كان سنه عند موته ﷺ سنتين، **(وكان يلقب ببة بموحدتين، الثانية ثقيلة)**.

وروي عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن أبيه وعن العباس وعمر وعلي وابن مسعود وأم هانيء

وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب، أسلمت صفية وصحبت، وفي الباقيات خلاف، والله أعلم.

وفي البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هٰرون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». وفي لفظ آخر: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هٰرون من موسى». أي نازلاً مني منزلة هٰرون من موسى. والباء زائدة.

وغيرهم، وعنه جماعة، واتفقوا على توثيقه، وكان ظاهر الصلاح له رضا في العامة، قال ابن سعد، مات بعمان سنة أربع وثمانين.

وقال ابن حبان: مات بالأبواء، قتلته السموم سنة تسع وسبعين، وقال غيره: إن الذي مات بالسموم ابنه عبد الله بن عبد الله، **(وأميمة)** (بضم الهمزة وفتح الميمين بينهما تحتية ساكنة، ثم تاء تأنيث وأمها صفية بنت جندب)، **(وأروى وعاتكة)** وهما شقيقتا عبد الله والده ﷺ، **(وصفية)** أم الزبير وأمها هالة بنت وهيب، فهي شقيقة حمزة.

وذكر المصنف في المقصد الثاني: أن جملة **(بنات عبد المطلب)** ست، فزاد برة والبيضاء، وهي أم حكيم، وقال إنهما شقيقتان لوالده ﷺ، وإنه اختلف في إسلامهما أيضًا، **(أسلمت صفية وصحبت)** باتفاق، **(وفي)** الثلاث، بل الخمس **(الباقيات خلاف،)** تقدم بسطه في العمات، **(والله أعلم)** بالحق في ذلك، **(وفي البخاري)** في المناقب، والمغازي ومسلم في الفضائل **(من حديث سعد بن أبي وقاص)** مالك الزهري **(أن النبي ﷺ قال لعلي)** لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فسمع ناسًا يقولون إنما خلفه لشيء كرهه منه، فلحقه، فذكر له ذلك، فقال: **(أنت مني بمنزلة هٰرون من موسى،)** لفظ مسلم ولفظ البخاري في المغازي، وهو لمسلم أيضًا عن سعد أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟، قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هٰرون من موسى **(إلا إنه لا نبي بعدي، وفي لفظ)** لهما أيضًا مسلم في الفضائل، والبخاري في المناقب، عن سعد قال: قال النبي ﷺ لعلي: **(أما)** (بخفة الميم) **(ترضى أن تكون مني بمنزلة هٰرون من موسى،)** فقال علي: رضيت رضيت، أخرجه أحمد، **(أي نازلاً مني منزلة هٰرون. من موسى، والباء زائدة،)** كما في الفتح: شرح اللفظ الثاني، ويجوز أن تكون بمعنى في، ويقدر مثل ذلك في اللفظ الأول، وهو: أنت، وان أصله منزلتك مني بمنزلة هٰرون، أي كمنزلته من موسى، فحذف المضاف، فانفصل الضمير، ولم يقطع النظير عن المضاف المحذوف.

وقال الطيبي: ومعنى الحديث: أنت متصل بي نازل مني منزلة هٰرون من موسى. وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله: إلا أنه لا نبي بعدي فعرف أن الإتصال بينهما ليس من جهة النبوة، بل من جهة ما دونها وهو الخلافة، ولما كان هٰرون المشبه به، إنما كان خليفة في حياة موسى، دل ذلك على تخصيص خلافته للنبي ﷺ بحياته والله أعلم.

وأما ما استدل به على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هٰرون كان خليفة موسى، فأجيب: بأن هٰرون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى باتفاق. أشار إلى ذلك

(**وقال الطيبي**) في شرح المشكاة: قوله مني خبر المبتدأ، ومن اتصالية، ومتعلق الخبر خاص، والباء زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ [البقرة: ١٣٧]، أي فإن آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم، (**ومعنى الحديث: أنت متصل بي، نازل مني منزلة هٰرون من موسى**)، بيان لمعنى الاتصال الذي قدره، (**وفيه تشبيه، مبهم، بينه بقوله: إلا إنه لا نبي بعدي، فعرف أن الاتصال**) المذكور (**بينهما ليس من جهة النبوة، بل من جهة ما دونها، وهو الخلافة،**) وبه يزول إبهام الحديث، فتقديره أنت مني في الخلافة، (**ولما كان هٰرون المشبه به إنما كان خليفة في حياة موسى، دل ذلك على تخصيص خلافته،**) أي علي (**للنبي ﷺ بحياته،**) فلا دلالة فيه على استحقاقه الخلافة بعده دون غيره، (**والله أعلم،**) إلى هنا كلام الطيبي.

وذكر المصنف جوابًا آخر، بقوله: (**وأما ما استدل به على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة**)، كما تمسك بذلك الروافض وسائر فرق الشيعة، على أن الخلافة لعلي، وأنه أوصى له بها، (**فإن هٰرون كان خليفة موسى،**) وكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديم غيره.

وزاد بعضهم: فكفر عليًا، لأنه لم يقم في طلب حقه، (**فأُجيب بأن هٰرون لم يكن خليفة موسى إلاَّ في حياته، لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى باتفاق،**) بنحو أربعين سنة، كما قاله المصنف والسيوطي،.

وفي الأنوار: الأكثر على أن موسى وهٰرون ماتا في التيه، وأن موسى مات بعد هٰرون بسنة،

وفي نور النبراس عن بعض الهوامش: توفي موسى بعد هٰرون بنحو خمسة أشهر، (**أشار**

الخطابي.

وأما حديث الترمذي والنسائي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال الشافعي: يريد بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: **﴿وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾** [محمد/١١] وقول عمر: أصبحت مولى كل مؤمن، أي:

إلى ذلك الخطابي،) فلا متمسك فيه لزعمهم.

وفي مسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص أن معٰوية قال له: ما منعك أن تسب أبا تراب، قال: أما ما ذكرت ثلاثًا، قالهن له ﷺ، فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعته يقول له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هٰرون من موسى إلا أنه لا نبوّة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا لها، فقال ادعوا لي عليًا، فأتى به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي، قال المازري وغيره: ليس فيه تصريح بأنه أمره بسبه، وإنما سأله عن المانع، وقد سأل عنه من لا يجيز سبه، وقد يكون معٰوية رأى سعدًا بين قوم يسبونه، ولم يمكنه الإنكار، فقال: ما منعك، يستخرج جوابه عن المصطفى بما ذكر، فيكون حجة على من سبه من غوغاء جنده، ويحصل، له المطلوب على لسان غيره من الصحابة، أو المعنى: ما منعك أن تبين للناس خطأه وأن ما أنا عليه أصوب، ويسمى هذا سبًا عرفًا.

قال القرطبي: والتصريح بالسب وقبيح القول إنما كان يفعله جهال بني أمية وسفلتهم، أما معٰوية فحاشاه من ذلك لصحبته ودينه وكريم أخلاقه، واعترافه بفضل علي وعظم قدره، وما يذكر عنه من ذلك كذب واضح، وأصح ما في ذلك قوله: هذا السعد، وتأويله ما ذكر. انتهى.**(وأما حديث الترمذي والنسائي،)** وصححه الضياء المقدسي، عن زيد بن أرقم، مرفوعًا: **(من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال الشافعي: يريد بذلك ولاء الإسلام،)** أي وليه وناصره، **(كقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾)** [محمد: ١١]، وخصه لمزيد علمه ودقائق استنباطه، وفهمه وحسن سيرته وصفاء سريرته، وكرم شيمه ورسوخ قدمه، قيل سببه أن أسامة قال لعلي: لست مولاي إنما مولاي، رسول الله ﷺ، ذلك وقيل: سببه ما ذكر عن ابن إسحٰق، أن عليًا تكلم فيه بعض من كان معه باليمن فلما قضى ﷺ حجه، خطب بذلك تنويها بقدره، وردًا على من تكلم فيه، وللطبراني وغيره بإسناد صحيح؛ أنه ﷺ خطب بغدير خم، وهو موضع بالجحفة، مرجعه من حجة الوداع، فذكر الحديث، وفيه: «أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه

ولي كل مؤمن. وطرق هذا الحديث كثيرة جدًا، استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد له، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، وزعم بعض: أن زيادة اللهم وال الخ..... موضوعة، مردود بأن ذلك جاء من طرق، صحح الذهبي كثيرًا منها.

(وقول عمر) مخاطبًا لعلي: **(أصبحت مولى كل مؤمن، أي ولي كل مؤمن،)** أي ناصره، فلا حجة فيه لزعم أن الخلافة له دون غيره لأن مولى مشترك بين معان منها: الناصر والمحبوب، ونحن وهم متفقون على صحة إرادة كل منهما بخلافه، بمعنى الإمام، فلا يعهد لغة ولا شرعًا.

وروى الدارقطني عن سعد، قال: لما سمع أبو بكر وعمر ذلك قالا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، وأخرج أيضًا أنه قيل لعمر: إنك تصنع بعلي شيأً لا تصنعه بأحد من الصحابة، قال: إنه مولاي.

وفي تفسير الثعلبي عن ابن عيينة أن النبي ﷺ لما قال ذلك، طار في الآفاق، فبلغ الحرث بن النعمان، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أمرتنا عن الله بالشهادتين، فقبلنا، وبالصلاة والزكاة والصيام والحج، فقبلنا، ثم لم ترضي حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، فهذا شيء منك أم من الله؟، فقال: والذي لا إله إلا هو إنه من الله، فولى وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا، فامطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، فخرج من دبره، فقتله.

(وطرق هذا الحديث كثيرة جدًا، استوعبها ابن عقدة،) حافظ العصر، المحدث البحر، أبو العباس أحمد بن سعيد الكوفي، مولى بني هاشم، أبوه نحوي صالح، يلقب عقدة، سمع، ابنه أممًا لا يحصون، وكتب العالي والنازل حتى عن أصحابه، وكان إليه المنتهى في الحفظ وكثرة الحديث، وعنه أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها، وأجبت في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم ألف، وجمع وحدث عند الدارقطني، وقال: أجمع أهل الكوفة على انه لم ير بها من زمن ابن مسعود إلى زمنه أحفظ منه، ولد سنة تسع وأربعين ومائتين، ومات في ذي القعدة سنة.

(في كتاب مفرد له، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان،) وهو متواتر، رواه ستة عشر صحابيًا، وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيًا، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته، فلا التفات إلى من قدح في صحته، ولا لمن رده؛ بأن عليًا كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج معه ﷺ.

وروي ﷺ قال: «من آذى عليًا فقد آذاني». أخرجه أحمد.

وأخرج المخلص الذهبي: من أحب عليًا فقد أحبني.

وقد ذكر النقاش: أن قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودًا﴾ [مريم/٩٦] نزلت في علي.

وقال محمد بن الحنفية: لا تجد مؤمنًا إلا وهو يحب عليًا وأهل بيته.

وقال أبو حيان في «البحر»: ومن الغريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي

وأخرج ابن عقدة عن زر بن حبيش قال: قال علي من ههنا من أصحاب محمد؟، فقام اثنا عشر رجلاً، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

(وروي) عن عمرو بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الحديبية، قال: خرجت مع علي إلى اليمن، فجفاني في سفري، فقدمت المدينة، فاستظهرت شكايته بالمسجد، فبلغ النبي (ﷺ)، فقال: يا عمرو، والله لقد آذيتني، فقلت: أعوذ بالله أن أوذيك، **(فقال: من آذى عليًا فقد آذاني)** قال ذلك ثلاثًا، وكان الصحابة يعرفون له ذلك، أخرج الدارقطني عن عمر أنه سمع رجلاً يقع في علي، فقال: ويحك أتعرف عليًا، هذا ابن عمه، وأشار إلى قبره ﷺ، والله ما آذيت إلا هذا في قبره، وفي رواية إنك انتقصته، فقد آذيت هذا في قبره، **(أخرجه أحمد)** برجال الصحيح، والبخاري في تاريخه، وابن حبان والحاكم وصححاه، وأقره الذهبي، فما كان ينبغي تعبير المصنف بروى.

(وأخرج المخلص) (بضم الميم وفتح المعجمة وكسر اللام الثقيلة أبو طاهر محمد بن عبد الرحمٰن **(الذهبي)**) والطبراني بسند حسن، عن أم سلمة، مرفوعًا: **(«من أحب عليًا فقد أحبني)**) ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله»، هذا تمام الحديث.

(وقد ذكر النقاش) المقوى، المفسر، الحافظ المشهور، مر بعض ترجمته: **(إن قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودا﴾** [مريم: ٩٦]، **نزلت في علي، وقال محمد بن الحنفية:)** خولة بنت جعفر وهو ابن علي بن أبي طالب: **(لا تجد مؤمنًا إلا وهو يحب عليًا وأهل بيته)** وفي مسلم عن علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ، أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، وله شاهد من حديث أم سلمة عند أحمد.

(وقال أبو حيان في البحر:) تفسيره الكبير: **(ومن الغريب ما أنشدنا الإمام اللغوي**

الدين أبو عبد اللّٰه محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزبينا بن إسحٰق النصراني الرسعني.

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم   بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه   إذا ذكروا في اللّٰه لومة لائم
يقولون ما بال النصاري بحبهم   وأهل النهي من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم   سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عائشة رضي اللّٰه عنها: كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول اللّٰه ﷺ، وزوجها علي أحب الرجال إليه، رواه الترمذي.

وفي البخاري: «إن فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني».

و «البضعة» بفتح الموحدة، وحكي ضمها وكسرها أيضًا، وبسكون

رضي الدين أبو عبد اللّٰه محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزبينا،) بزاي، فموحدة، فتحتية، فنون، فألف **(ابن إسحق النصراني الرسعني:)** (بفتح الراء وسكون السين وفتح العين المهملتين ونون) نسبة إلى مدينة رأس عين بديار بكر، يخرج منها ماء دجلة، كما في اللباب:

(عدي وتيم لا أحاول ذكرهم   بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه   إذا ذكروا في اللّٰه لومة لائم
يقولون ما بال النصارى بحبهم   وأهل النهي من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم   سرى في قلوب الخلق حتى البهائم)

عدي قبيلة الفاروق، وتيم قبيلة الصديق، ومعنى الأبيات ظاهر، **(وقالت عائشة رضي اللّٰه عنها: كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول اللّٰه ﷺ، وزوجها علي أحب الرجال إليه،)** على معنى من أحب، أو من حيث أن اللّٰه جعل ذريته منها، **(رواه الترمذي)** محمد بن عيسى.

(وفي البخاري) ومسلم، عن المسور بن مخرمة: أن عليًا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول اللّٰه ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، إني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، (وإن فاطمة **بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**).

وفي رواية لهما: واني أكره أن يسوءها، واللّٰه لا تجتمع بنت رسول اللّٰه ﷺ وبنت عدو اللّٰه عند رجل واحد، فترك علي الخطبة، **(والبضعة بفتح الموحدة)** على الرواية، **(وحكي)**

المعجمة، أي قطعة لحم.

واستدل به السهيلي على أن من سبها فإنه يكفر.

وفي الترمذي من حديث أسامة بن زيد ـ وقال حسن غريب ـ إنه ﷺ قال في حسن وحسين: «اللَّهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما».

وخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في الحسن خاصة، وزاد أبو حاتم فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد ما قال ﷺ ما قال.

وفي حديث أبي هريرة عند الحافظ السلفي قال: ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناي دموعًا، وذلك أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق قينقاع، فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في

من حيث اللغة (ضمها وكسرها أيضًا، **وبسكون المعجمة، أي قطعة لحم، واستدل به السهيلي على أن من سبها، فإنه يكفر**) ووجهه أنها تغضب ممن سبها وقد سوى بين غضبها وغضبه، ومن أغضبه ﷺ يكفر، وفي هذا التوجيه نظر لا يخفى، قاله الحافظ، ومر شرح الحديث في المقصد الثاني.

وفي الخصائص، (**وفي الترمذي من حديث أسامة بن زيد، وقال**) الترمذي: (**حسن غريب**) من جهة تفرد الراوي به، فلا ينافي قوله حسن، (**أنه ﷺ قال في حسن وحسين**،) لفظ الترمذي عن أسامة، قال: رأيت النبي ﷺ وحسن وحسين على وركيه، فقال: هذان ابناي وابنا بنتي، (**اللهم إني أحبهما**) (بضم الهمزة والموحدة)،(**فأحبهما**) (بفتح الهمزة وكسر الحاء وفتح الموحدة المشددة)، (**وأحب من يحبهما**،) وفيه إشعار بأنه ﷺ ما كان يحب إلا اللَّه وفي اللَّه، ولذلك رتب محبة اللَّه على محبته، وفي ذلك أعظم منقبة للحسنين.

(**وخرجه مسلم**) في الفضائل (**من حديث أبي هريرة في الحسن خاصة**،) فقال عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه، (**وزاد أبو حاتم**) في روايته عن أبي هريرة، (**فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد ما قال ﷺ ما قال**) فيه: اللهم إني أحبه.... الخ.

(**وفي حديث أبي هريرة عند الحافظ السلفي**) (بكسر السين وفتح اللام)، (**قال: ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناي دموعًا**،) لتذكري ما فعله جده معه، (**وذلك أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي**).

وفي مسلم: خرجت مع رسول اللَّه ﷺ في طائفة من النهار، لا يكلمني ولا أكلمه

المسجد ثم قال: ادع ابني، قال: فأتي الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فمه، ثم يدخل فمه في فمه ويقول: اللّٰهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، ثلاث مرات.

وفي الترمذي من حديث أنس، أنه ﷺ كان يشمهما ويضمهما إليه، قد قال ﷺ: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»، رواه أحمد، وقال الترمذي: كان معي في الجنة، وقال: حديث غريب. وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام، بل من جهة رفع الحجاب، وتقدم نحوه في قوله تعالى: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين**﴾ [النساء/٦٩] في المقصد السادس.

(**حتى جئنا سوق**) بني (**قينقاع**) (بفتح القاف وإسكان التحتية وتثليث النون)، (**فنظر فيه، ثم رجع حتى جلس في المسجد،**) وفي مسلم: ثم انصرف حتى جاء خباء فاطمة، فقال: أثم لكع، أثم لكع حتى جاء، يعني حسنًا، وظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابًا، فكأنه مر على خبائها، أي حجرتها، وسأل عنه بقوله: لكع، أي صغير، ثم رجع، فجلس في المسجد، (**ثم قال**) لأبي هريرة: (**ادع ابني**) لما استبطأ مجيئه، فدعاه، (**قال: فأتى الحسن بن علي يشتد،**) يسرع في مشيه (**حتى وقع في حجره**) ﷺ، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، (**فجعل رسول اللّٰه ﷺ يفتح فمه، ثم يدخل فمه في فمه**) لتحصل له بركته، (**ويقول: اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات،**) قال: ذلك، (**وفي الترمذي من حديث أنس: أنه ﷺ كان يشمهما،**) أي الحسنين، (**ويضمهما إليه،**) وقد قال ريح الولد من ريح الجنة، رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، فقيل: يحتمل أن ذلك في ولده، خاصة فاطمة وابنيها، لأن في ولدها ريح ثمار الجنة، ويحتمل عمومه في كل ولد صالح للمؤمن، وهذا أظهر، (**وقد قال ﷺ: من أحبني وأحب هذين،**) وأشار إلى حسن وحسين، (**وأباهما**) عليًا، (**وأمهما**) فاطمة الزهراء، (**كان معي في درجتي،**) بدل من معي، أي في منزلتي ورتبتي (**يوم القيامة، رواه أحمد**) والترمذي، كلاهما من حديث علي، وهذا لفظ أحمد، (**وقال الترمذي**) في روايته: (**كان معي في الجنة، وقال حديث غريب، وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام،**) لأنه لا يساويه أحد في مقامه، (**بل من جهة رفع الحجاب، وتقدم نحوه في قوله تعالى:**) ﴿**فأولئك مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين**﴾ [النساء: ٦٩]، **في المقصد السادس**).

وفي حديث أبي زهير بن الأرقم رجل من الأزد أنه ﷺ وقال في الحسن: من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب.

وفي البخاري: هما ريحانتاي من الدنيا.

وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن أو شفتيه، رواه أحمد.

وعن عقبة بن الحرث قال: رأيت أبا بكر، حمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهًا بعلي. وعلي يضحك.

وقال بعضهم: إن كان المراد باللفظ الأول ظاهره انه معه في الحشر، فهو كناية عن سلامته، من هو له، وإن كان المراد الآخرة مطلقًا فالمراد رفع الحجاب وقربه منه.

(**وفي حديث أبي زهير بن الأرقم رجل**) صوابه إسقاط أداة الكنية؛ وأن يقول عن رجل (**من الأزد انه ﷺ، وقال في الحسن: من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب،**) أخرجه الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن علي يخطب، فقام رجل من أزد شنوأة، فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته، وهو يقول: من أحبني فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب، ولولا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثت به أحدًا، فالصحابي إنما هو هذا الرجل المبهم، فأما زهير بن الأرقم بقاف فميم فراء، فكنيته، كما في التقريب أبو كبير، تابعي معروف، وفي الإصابة: أنه أرسل حديثًا، فذكره بعضهم في الصحابة، فغلط.

(**وفي البخاري،**) عن ابن عمر: وسأله رجل عن المحرم يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ: (**هما ريحانتاي من الدنيا**).

قال الحافظ: كذا الأكثر بالتثنية، ولأبي ذر ريحاني بالافراد والتذكير شبههما بذلك، لأن الولد يشم ويقبل.

وفي الترمذي: إن الحسن والحسين هما ريحانتي، وفي الطبراني عن أبي أيوب دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه، فقلت: أتحبهما يا رسول الله، قال: وكيف لا وهما ريحانتاي من الدينا أشمهما، (**وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن، أو شفتيه**) ليصل ريقه بريقه، فيصل جوفه، فتعود بركته عليه، (**رواه أحمد**) بن حنبل.

(**وعن عقبة**) (بالقاف) (**ابن الحرث**) بن عامر بن نوفل بن عبد مناف النوفلي، المكي، صحابي من مسلمة الفتح، بقي إلى بعد الخمسين، (**قال: رأيت أبا بكر،**) والحال إنه قد (**حمل الحسن**) (بفتح الحاء) على عنقه، (**وهو يقول:**) والجملتان حاليتان، أي حاملاً وقائلاً شعرًا من مجزء، والكامل لا الرجز وقيل: رجز مخروم، أفديه (**بأبي،**) وهو (**شبيه بالنبيّ**) ﷺ، فشبيه خبر

وعن محمد بن سيرين عن أنس: كان ـ يعني الحسين ـ أشبههم برسول الله ﷺ. رواهما البخاري.

وعنده عن الزهري عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي ﷺ: لم أر قبله ولا بعده مثله، أخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد الثالث، وأجيب: بأنه يحمل النفي على عموم الشبه، والإثبات على معظمه.

مبتدأ محذوف، وفيه إشعار بعلية الشبه للفدية أو التفدير، هو مفدي بأبي، شبيه، فيكون خبر بعد خبر، قاله الطيبي، وجعله قسمًا، وأنه لم يلغه النهي بعيد جدًا، (ليس) هو (شبيهًا بعلي) كذا رواه أبو الوقت بالنصب، ولغيره شبيه بالرفع.

قال ابن مالك: بناء على أن ليس حرف عطف، كما يقول الكوفيون، فيكون مثل لا، ويجوز أن يكون شبيه اسم ليس، وخبرها ضمير متصل، حذف استغناء بنيته عن لفظه، والتقدير ليس شبيه، ونحوه قوله ﷺ في خطبته يوم النحر: أليس ذو الحجة في حذف الضمير المتصل خبرًا لكان وأخواتها، وعند أحمد: كانت فاطمة ترقص الحسن وتقول: ابني شبيه بالنبي، ليس شبيهًا بعلي.

قال الحافظ: وفيه إرسال، فإن كان محفوظًا، فلعلها تواردت في ذلك مع أبي بكر، أو تلقي ذلك أحدهما من الآخر، أو عرف أبو بكر أن فاطمة كانت تقول ذلك، فتابعها على تلك المقالة (وعلي يضحك) من فعل أبي بكر وقوله هذا سرور، أو عجبًا، لأن الغالب أن كل أحد يشابه أباه، لكنه جذبه عرقه لرسول الله ﷺ، ولذا سماه ابنه، وجعل نسبه منه، كذا قيل.

(وعن محمد بن سيرين عن أنس:) أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، فجعل في طست، فجعل ينكث، وقال: في حسنه شيء، فقال أنس: (كان يعني الحسين أشبههم برسول الله ﷺ،) وكان مخضوبًا بالوسمة، (رواهما البخاري) في المناقب، (وعنده،) أي البخاري في مناقبيهما أيضًا، (عن الزهري، عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه،) أي أكثر شبهًا (بالنبي ﷺ من الحسن بن علي،) فتعارضت الروايتان عن أنس، (وهذا،) أي المذكور من الروايتين، ونظم الصديق (قد يعارضه قول علي في صفة النبي ﷺ، لم أر قبله ولا بعده، مثله أخرجه الترمذي في الشمائل، كما تقدم في المقصد الثالث،) لأنه يفيد أن لا مشابهة بينه وبين أحد، فيشمل الحسنين وغيرهما، وما قبله يفيد انهما شبيهان به.

(وأجيب: بأنه يحمل النفي) في قول علي (على عموم الشبه) التام، بحيث يماثله أحد بجميع صفاته الظاهرة، (والإثبات) من أنس والصديق (على معظمه) إلا في جميعه، (وقول

وقو أنس: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي قد يعارضه رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين - يعني بالياء - أشبههم بالنبي ﷺ ويمكن الجمع بأن يكون أنس قا ما وقع في رواية الزهري عنه في حياة الحسن، لأنه يومئذٍ كان أشد شبهًا بالنبي ﷺ من أخيه الحسين. وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك، أو المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه، كان من عدا الحسن؛ ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبهًا به في بعض أعضائه، فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانىء بن هانىء الهمداني عن علي قا : الحسن أشبه رسو الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

وقد عدوا من كان له شبه بالنبي ﷺ سوى الحسن والحسين، جعفر بن أبي طالب، وقد قا عليه الصلاة والسلام لجعفر أشبهت خلقي وخلقي قا

أنس: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن) (بفتح الحاء) **(ابن علي، قد يعارضه رواية ابن سيرين)** عنه **(السابقة)** قريبًا جدًا: (**ان الحسين، يعني بالياء أشبههم بالنبي ﷺ، ويمكن الجمع)**، كما قا الحافظ: **(بأن يكون أنس)** قا ما وقع في رواية **(الزهري، عنه في حياة الحسن)** (بالفتح)، **(لأنه يومئذ ان أشد شبهًا بالنبي ﷺ من أخيه الحسين)** (بالضم)).

(وأما ما وقع في رواية ابن سيرين) عنه، **(فكان بعد ذلك،)** كما هو ظاهر من سياقه، كما في الفتح، أي أنه قا ذلك بعد قتل الحسين، كما مر في سياق الحديث، وذلك بعد موت الحسن بزمان، **(أو المراد بمن فضل)** أنس **(عليه الحسين في الشبه،)** بقوله كان أشبههم برسو الله ﷺ، (**ان من عدا الحسن،)** فكأنه قا : إلا الحسن، فهو أشبه به من الحسين، وهذا بمعنى ما قبله لوقوعه بعد موت الحسن كما عرفت، وقد رأيته في الفتح، والمراد بالواو، فجعله جوابًا واحدًا، **(ويحتمل)** في الجمع أيضًا، **(أن يكون ل منهما ان أشد شبهًا به في بعض أعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانىء بن هانىء الهمداني)** ربالسكون)، الكوفي، مستور، تابعي، روى له أصحاب السنن الأربعة **(عن علي، قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر،)** أي فيما بين الرأس والصدر، **(والحسين أشبه النبي ﷺ)** في **(ما ان أسفل من ذلك،)** فيجوز بحذف في في الموضعين، وبقية كلام الحافظ وقع في رواية الاسماعيلي عن الزهري عن أنس: كان الحسن أشبههم وجهًا بالنبي ﷺ، وهو يؤيد حديث علي هذا، **(وقد عدوا من ان له شبه بالنبي ﷺ سوى الحسن والحسين)** جماعة من الهاشميين وغيرهم، فمن بني هاشم **(جعفر بن أبي طالب)**.

(وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر أشبهت خلقي) (بفتح فسكون) **(وخلقي)**

الترمذي حديث حسن صحيح. وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب. وأبو سفيٰن بن الحٰرث بن عبد المطلب. ومسلم بن عقيل بن أبي طالب ومن غير بني هاشم: السائب بن يزيد المطلبي، الجد الأعلى للإمام الشافعي.

وعبد الله بن عامر بن كريز ـ بضم الكاف وفتح الراء ـ.

وكابس بن ربيعة بن عدي رجل من أهل البصرة، وجه إليه مغوية، وقبله بين عينيه وأقطعه قطيعة، وكان أنس إذا رآه بكى.

(**وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر أشبهت خلقي**) (بفتح فسكون) (**وخلقي**) (بضمتين وضم فسكون)، أي أشبه خلقك خلقي وخلقك خلقي.

(**قال الترمذي: حديث حسن صحيح**،) وهو في البخاري وغيره من حديث البراء، (**وابنه عبد الله بن جعفر**) الجواد ابن الجواد، (**وقثم**) بمنع الصرف للعلمية، والعدل التقديري عن قاثم، أي معط (**ابن العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيٰن بن الحرث بن عبد المطلب، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب؛ ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد**،) بتحتية قبل الزاي، كذا في النسخ، كالفتح، والذي في الإصابة السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (**المطلبي، الجد الأعلى للإمام الشافعي**).

ذكر الخطيب بلا إسناد أن السائب أسلم يوم بدر، وكان صاحب راية بني هاشم مع المشركين، فأسر، ففدى نفسه وأسلم، ويقال؛ إنه كان ممن يشبه النبي ﷺ. انتهى باختصار، (**وعبد الله بن عامر بن كريز، بضم الكاف وفتح الراء**) وسكون التحتية وزاي منقوطة) ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، ولد على عهده ﷺ، وأتى به إليه وهو صغير، فقال: هذا شبهنا، وجعل يتفل عليه ويعوذه، فجعل يبلع ريق النبي ﷺ، فقال ﷺ: انه لمسقي، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر له الماء، حكاه ابن عبد البر، مات سنة سبع أو ثمان وخمسين، وله أخبار في الجود كثيرة، (**وكابس**) (بكاف فألف فموحدة فسين مهملة)، وصحف من قال بتحتية، وقول القرطبي المحفوظ عابس بالعين، تعقب بأن الصحيح خلافه (**ابن ربيعة بن عدي رجل من أهل البصرة**،) وهو من بني سلمة بن لؤي، (**وجه إليه مغوية وقبل بين عينيه**) لشبهه بالمصطفى، (**وأقطعه قطيعه، وكان أنس**) بن ملك (**إذا رآه بكى**) شوقًا له عليه السلام.

قال الشفاء: بلغ مغوية أن كابس بن ربيعة يشبه النبي ﷺ، فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وقبل بين عينيه، واقطعه المرغاب لشبهه صورة النبي ﷺ، والمرغاب (بكسر الميم وسكون الراء وغين معجمة فألف فموحدة) اسم أرض بمرو أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة،

فهؤلاء عشرة، ونظمهم شيخ الإسلام والحفاظ أبو الفضل بن حجر فقال:

شبه النبي لعشر سائب وأبي سفيٰن والحسنين الطاهرين هما

وجعفر وابنه ثم ابن عامر هم ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم: سبعة وعشرين. وممن كان يشبهه فاطمة ابنته، وإبراهيم ولده. وولد جعفر، عبد اللّٰه ـ السابق ـ وأخوه عون. وكان يشبهه أيضًا من أهل البيت غير هؤلاء: إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان يقال له: الشبيه. قال الشريف محمد بن أسعد النسابة في الزورة الأنيسة لمشهد السيدة نفيسة أنه

(**فهؤلاء عشرة ونظمهم شيخ الإسلام والحفاظ أبو الفضل بن حجر، فقال**) في الفتح:

(شبه النبي لعشر سائب وأبي سفٰين والحسنين الطاهرين هما

وجعفر وابنه ثم ابن عامر هم ومسلم كابس يتلوه مع قثما)

ثم قال بعد أن ذكر أنه وجد غير هذه العشرة مما بلغ بتحريره خمسة عشر قال: وقد غيرت بيتي هكذا:

شبه النبي ليه سائب وأبي سفيٰن والحسنين الخال أمهما

وجعفر ولديه وابن عامر كا بس ونجلي عقيل بسة قثما

فقوله: ليه، بالياء والهاء، وهما في الحساب بخمسة عشر، وأما اللام الداخلة على ذلك، فمتعلق بالخبر، أي شبه النبي كائن ليه، ومراده بنجلي عقيل ابنه مسلم السابق وحفيده قٰسم بن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل الآتي، (**وعدهم بعضهم سبعة وعشرين،**) ونوزع في ذلك، (**وممن كان يشبهه فاطمة ابنته وإبراهيم ولده وولد جعفر عبد اللّٰه السابق، وأخوه عون،**) وأما أخوهما محمد بن جعفر فشبيه أبي طالب، كما في الحديث المرفوع، فقول محمد بن حبيب: أنه كان يشبه المصطفى غلط، (**وكان يشبهه أيضًا من أهل البيت غير هؤلاء**) ممن هو متأخر عنهم (**إبراهيم بن الحسين بن الحسن،**) الذي في الفتح إبراهيم بن عبد اللّٰه بن الحسن بن الحسن (**بن علي بن أبي طالب،**) فسقط من قلم المصنف عبد اللّٰه، وزاد ياء في الحسن، فإنه ممن وافق اسمه اسم أبيه.

وفي التقريب عبد اللّٰه بن الحسن بن الحسن بن الهاشمي المدني، ثقة جليل القدر، (**ويحيى بن القٰسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان يقال له الشبيه،**) وسبب تلقيبه بذلك، كما (**قال الشريف محمد بن أسعد**

كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام، تشبه خاتم النبوة، وكان إذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي ﷺ وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركًا، ولذا وصف بالشبيه. وقُسم بن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.

وعلي بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي، شيخ بصري من أتباع التابعين. والمراد بالشبه هنا، الشبه بالبعض، وإلا فتمام حسنه ﷺ منزه عن شريك، كما قال الأبوصيري ـ رحمه اللّٰه ـ وأجاد:

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما أشرت إليه في المقصد الثالث.

وقد أطلت المقال، وإنما جرني إلى ذلك ذكر حمل الصديق الحسن بن

النسابة في الزورة الأنيسة لمشهد السيدة نفيسة: أنه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة، شامة قدر بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة، وكان إذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي ﷺ، وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركًا، ولذا وصف بالشبيه) لشبهه، (وقُسم بن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل بن أبي طالب،) فكل هؤلاء مذكور في كتب الأنساب، أنه كان يشبهه عليه السلام، كما في الفتح (وعلي بن علي بن نجاد) (بنون وجيم خفيفة)، كما في التقريب (ابن رفاعة، الرفاعي) بالفاء نسبة إلى جده رفاعة المذكور (شيخ بصري) لا بأس به، روى له أصحاب السنن (من أتباع التابعين،) يوافقه قول التقريب من السابقة، يعني: كبار أتباع التابعين، ويخالفه قوله في الفتح أنه تابعي صغير، وكان عابدًا ذكر ابن سعد أنه كان يشبه النبي ﷺ.

زاد الحافظ والمهدي، الذي يخرج في آخر الزمان جاء أنه يشبه النبي ويواطىء اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه، وذكر ابن يونس في تاريخ مصر عبد اللّٰه بن أبي طلحة الخولاني، وأنه شهد فتح مصر، وأمره عمر أن لا يمشي إلا مقنعًا، لأنه كان يشبه النبي ﷺ، قال: وكان له عبادة وفضل، (والمراد بالشبه هنا الشبه بالبعض وإلا فتمام حسنه ﷺ منزه عن شريك، كما قال الأبوصيري،) صوابه البوصيري (رحمه اللّٰه: وأجاد):

(منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم)

(كما أشرت إليه في المقصد الثالث، وقد أطلت المقال، وإنما جرني إلى ذلك ذكر حمل الصديق الحسن بن علي على عاتقه المشعر بالإكرام من أفضل البشر بعد

علي على عاتقه، المشعر بالإكرام من أفضل البشر بعد النبيين، لأهل البيت المحمدي، وحملهم على الأعناق، لا سيما مع قوله ـ رضي اللّٰه عنه ـ لقرابة رسول اللّٰه ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، فلما تضمن الحديث الشبه الكريم جرني الكلام إليه، وهذا وقع لي كثيرًا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد.

وقد روي أنه ﷺ قال: العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه، لا تؤذوا العباس فتؤذوني، من سب العباس فقد سبني. أخرجه البغوي في معجمه.

وقال ﷺ للعباس أيضًا: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم للّٰه ولرسوله، ثم قال: يا أيها الناس، من آذى عمي فقد آذاني، فإنما

النبيين) بإجماع أهل السنة، وإلزامًا للشيعة بما صح عن علي كرم اللّٰه وجهه، أن أبا بكر أفضل منه **(لأهل البيت المحمدي، وحملهم على الأعناق:)** جمع عنق وهو والعاتق متقاربان، فلا مخالفة بين هذا وقوله قبله على عاتقه، **(لا سيما مع قوله رضي اللّٰه عنه لقرابة رسول اللّٰه ﷺ: أحب إلي أن أصل من قرابتي،)** ومر شرحه، **(فلما تضمن الحديث،)** أي قول أبي بكر بأبي شيبة بالنبي **(الشبه الكريم، جرني الكلام إليه)** إلى ذكر من كان يشبهه، **(وهذا وقع لي كثيرًا في هذا المجموع)** المواهب، **(بل في غالبه، لكنه لا يخلو عن فرائد)**: جمع فريدة درة ثمينة تحفظ في ظرف على حدة لنفاستها وإضافتها إلى **(الفوائد)** من إضافة المشبه به للمشبه، كلجين الماء، والمعنى: أنها تشتمل على فوائد تشبه في النفاسة اللآليء النفيسة.

(وقد روي أنه ﷺ قال: العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه،) لأننا من أصل واحد وهو الجد، **(لا تؤذوا العباس)** بشيء من الأذى، ولو قل **(فتؤذوني)** .

زاد في حديث آخر: ومن آذاني فقد آذى اللّٰه فعليه لعنة اللّٰه، ملء السماء وملء الأرض، رواه أبو نعيم وغيره: **(«من سب العباس فقد سبني» أخرجه،)** أبو القسم عبد اللّٰه محمد بن عبد العزيز، **(البغوي)** الكبير، ثم البغدادي أحد الحفاظ، متقدم على محيي السنة البغوي بزمان **(في معجمه،)** أي كتابه المؤلف في معرفة الصحابة،

وروى الترمذي، وقال: حسن غريب، وصححه الحاكم من حديث ابن عباس: «العباس مني وأنا منه»، **(وقال ﷺ للعباس أيضًا،)** لما دخل عليه مغضبًا، فقال: ما أغضبك؟، قال: يا رسول اللّٰه ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا بينهم تلاقوا الوجوه ببشر، وإذا لقونا بغير ذلك، فغضب ﷺ حتى احمر وجهه، ثم قال: **(والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل)** وصف طردي، فالمراد ما يشمل الأنثى **(الإيمان)** الكامل **(حتى يحبكم)** معاشر آل البيت، أو الخطاب للعباس، والجمع

عم الرجل صنو أبيه. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وفي قوله: «لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم» الإشارة إلى الإيمان الحقيقي المنجي، وهو التصديق القلبي، وبين المحبة والإيمان ارتباط من جهة أن المحبة ميل القلب إلى المحبوب، والإيمان التصديق القلبي، فيجتمعان في القلب، وجعلهما متلازمين، فيلزم من نفي أحدهما نفي الآخر، ثم علل هذه المحبة بكونها للّه ورسوله، فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك، ثم جعل أذاه كأذى نفسه، لأنه عضوه وعصبه، ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الأب، فكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه، فقال: «فإنما عم الرجل صنو أبيه» وهو بكسر الصاد المهلمة وسكون النون، أي: مثل أبيه، قال ابن الأثير: وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد، يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، انتهى.

وجلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكساء ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده

للتعظيم (**للّه ولرسوله، ثم قال: «يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه»، رواه الترمذي**) والنسائي وأحمد عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الصحابي، ابن الصحابي .

(**وقال**) الترمذي: حديث (**حسن صحيح**،) وصححه الحاكم، ومر الحديث في الأعمام، (**وفي قوله: لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم، الإشارة إلى الإيمان الحقيقي المنجي**) من عذاب الخلد، (**وهو التصديق القلبي**،) لأنه إذا عري عنه لا يكون إيمانًا، (**وبين المحبة والإيمان ارتباط من جهة أن المحبة ميل القلب إلى المحبوب، والإيمان التصديق القلبي، فيجتمعان في القلب، وجعلهما متلازمين، فيلزم من نفي أحدهما نفي الآخر**،) فهذا سر تعبيره بذلك دون أن يقول: لا يؤمن رجل حتى يحبكم، (**ثم علل هذه المحبة بكونها للّه ورسوله، فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك**) من نحو جاه ومال، (**ثم جعل أذاه كأذى نفسه، لأنه عضوه وعصبه، ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الأب**) في الشفقة والتعظيم، (**فكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه، فكذلك عمه**،) وإن كان دون الأب في ذلك، (**فقال: فإنما عم الرجل صنو أبيه، وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون، أي مثل أبيه**،) أي شريكه في الخروج من أصل واحد، وهو الجد.

(**قال ابن الأثير: وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد**،) ومنه قوله تعالى: ﴿صنوان﴾ [الرعد: ٤]، (**يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد**)، هو عبد المطلب. (**انتهى. وجلله**) (**بالجيم**)، أي العباس، أي غطاه وستره النبي (**عليه الصلاة والسلام، و**) جلل (**بنيه بكساء**،)

مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبًا إلا سترته اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وبين ابن السري في روايته: أن بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة: الفضل وعبد اللّٰه وعبيد اللّٰه وقثم ومعبد وعبد الرحمٰن. قال: وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه الشملة، قال: فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا أمن.

وروى أنه ﷺ قال لعقيل بن أبي طالب: إني أحبك حبين، حبًا لقرابتك مني، وحبًا لما كنت أعلم من حب عمي لك، قال الطبري: أخرجه أبو عمر،

ولأحمد وغيره: أن أصحاب الكساء علي وفاطمة وابناهما، وجمع للتعدد، (**ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده،**) ذكورهم وإناثهم، وقوله في رواية: أنت وبنوك تغليب، (**مغفرة ظاهرة،**) تضبط جوارحهم عن المعاصي، وتجللها بما يجملهم من النور المشاهد، (**وباطنة**) بأن تصون أسرارهم من نحو كبر وغل وحسد، هكذا فسرهما شيخنا في الأعمام جزمًا، وهو أحسن من قوله هنا: قال المراد بالظاهرة الذنوب التي ظهرت عليه، بأن عرف صدورها منه وبالباطنة مغفرة ذنوب صدرت منه ولم يطلع عليها أحد؛ (**لا تغادر**) (بمعجمة، ثم مهملة) أي لا تترك (**ذنبًا إلا سترته**) بعدم وقوعه، أو العقاب عليه، (**اللهم احفظه في ولده، رواه الترمذي وقال: حسن غريب**)، عن ابن عباس قال: قال ﷺ إذا كان غداة الاثنين فائتني أنت وولدك حتى أدعو لكم بدعوة ينفعك اللّٰه بها وولدك، فغدا وغدونا معه، فألبسنا كساء، ثم قال: اللهم اغفر، فذكره، (**وبين ابن السري**) (بفتح السين وكسر الراء) (**في روايته أن بنيه،**) أي العباس، (**الذين جللوا بالكساء كانوا ستة: الفضل وعبد اللّٰه وعبيد اللّٰه**) (بضم العين) (**وقثم ومعبد وعبد الرحمن،**) وهم لأم الفضل، وفيهم يقول القائل:

ما أنجبت نجيبة من بعل ... كستة من بطن أم الفضل

(**قال: وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة، وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي،**) أي من، فليس المراد التخصيص، فلا ينافي قوله ذلك لغيرهم، (**فاسترهم من النار**) امنعهم من دخولها وارتكاب ما يوجب عذابها، فهو مجاز عن ذلك، إذ الستر ما يمنع المستور ويحجبه، وشبه بعد التجوز قوله: (**كسترهم،**) أي كستري إياهم، كما ورد بهذا اللفظ (**بهذه الشملة**) التي هي الكساء، سمي شملة، لأنه يشتمل به، فليس المراد الشملة العرفية الآن التي تلف على الرأس، (**فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا أمن،**) أي قال: آمين معجزة.

(**وروي أنه ﷺ قال لعقيل بن أبي طالب: إني أحبك حبين، حبًا لقرابتك مني،**) لأنك ابن عمي، (**وحبًا لما كنت أعلم من حب عمي لك،**) زيادة على باقي أولاده.

والبغوي.

وروى الدارقطني أنه ﷺ قال يوم حنين: أبو سفيٰن بن الحٰرث خير أهلي، أو من خير أهلي.

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد: أن رسول اللّٰه ﷺ قال: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله اللّٰه النار. واعلم أنه قد اشتهر أربعة ألفاظ يوصفون بها: الأولى: آله عليه الصلاة والسلام. والثانية: أهل بيته. والثالثة: ذو القربى. والرابعة: عترته.

فأما الأولى: فذهب قوم إلى أنهم هم أهل بيته، وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس، وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه.

(قال الطبري:) محب الدين: **(أخرجه أبو عمر)** بن عبد البر، **(والبغوي)** أبو القٰسم في معجمه، والغرض منه تأنيسه لئلا يتوهم أنه لتأخر إسلامه، لكونه في فتح مكة، أو قبله بيسير، أنه لا منزلة عنده له، وليس فيه أنه أحب إليه من علي وجعفر.

(وروى الدارقطني أنه ﷺ قال يوم حنين): المذكورة في التنزيل (أبو سفيٰن بن الحٰرث) ابن عبد المطلب: (**خير أهلي، أو من خير أهلي**) بالشك من الراوي، والمعنى على اللفظ الثاني، قال ذلك لأنه ثبت يوم حنين.

(وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد) الخدري: **(أن رسول اللّٰه ﷺ قال: لا يبغضنا)** (بضم أوله وكسر ثالثه المعجم) **(أهل البيت أحد إلا أدخله اللّٰه النار)** جزاء لقبيح ما اقترف.

(واعلم أنه قد اشتهر أربعة ألفاظ يوصفون بها،) أي يوصف بها أهله، اللفظة **(الأولى: آله عليه الصلاة والسلام، والثانية أهل بيته، والثالثة ذو القربى، والرابعة عترته،)** (بكسر العين وسكون الفوقية)؛ **(فأما الأولى فذهب قوم إلى أنهم هم أهل بيته،)** الذين يقوم بأمرهم من نفقة وكسوة، وإن لم يكونوا من بني هاشم، كزوجاته.

(وقال آخرون: هم الذين حرمت عليهم الصدقة،) أي الزكاة، وهم بنو هاشم على قول لملك أو وبنو المطلب على قول الشافعي؛ **(وعوضوا عنها خمس الخمس،)** وعلى هذا فلا يدخل من هو من غير نبيهما، وإن كان من أقاربه، ولا زوجاته ﷺ، **(وقال قوم: من دان)** آمن وتعبد **(بدينه، وتبعه فيه)** عطف تفسير. **(وأما اللفظة الثانية، وهي أهل بيته، فقيل: من ناسبه**

وأما اللفظة الثانية، وهي أهل بيته، فقيل: من ناسبه إلى جده الأدنى، وقيل من اجتمع معه في رحم، وقيل من اتصل به بنسب أو بسبب.

وأما اللفظة الثالثة: وهي ذو القربى، فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾** [الشورى/٢٣] قالوا: يا رسول اللّٰه، من هؤلاء الذين أمرنا اللّٰه بمودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما».

إلى جده الأدنى) الأقرب عبد المطلب، فمن ناسبه فيمن فوقه، كإخوته المشاركين للمصطفى في الانتساب إلى هاشم، وكالمطلب ونوفل وعبد شمس، المشاركين في عبد مناف ليسوا من أهل بيته على هذا.

(**وقيل: من اجتمع معه في رحم**،) أي قرابة من جهة أبيه أو أمه، (**وقيل: من اتصل به بنسب**،) أي بسببه، (**أو بسبب**) كأصحابه؛ (**وأما اللفظة الثالثة وهي ذو القربى، فروى الواحدي في تفسيره بسنده**،) ومن قبله ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، كلهم بإسناد فيه مقال، (**عن ابن عباس، قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾** [الشورى: ٢٣] **قالوا: يا رسول اللّٰه من هؤلاء الذين أمرنا اللّٰه بمودتهم؟، قال: علي وفاطمة وابناهما**) الحسن والحسين، اللذان سيولدان بعد، لأن الآية مكية؛ وفي تفسير ابن عطية اختلف في معناها، فقال ابن عباس وغيره: نزلت بمكة، ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع أذاهم، أي ما أسألكم على القرءان والدين والدعاء إلى اللّٰه إلا أن تودوني لقرابة بيني وبينكم فتكفوا عني أذاكم.

قال ابن عباس وابن إسحٰق وقتادة: لم يكن في قريش بطن إلا ولرسول اللّٰه ﷺ فيه سبب أو صهر، فالآية على هذا استعطاف ودفع أذى، وطلب سلامة منهم، وذلك كله منسوخ بآية السيف، ويحتمل على هذا التأويل؛ أن معنى الآية استدعاء نصرهم؛ أي لا أسألكم غرامة ولا شيئًا إلا أن تودوني لقرابتي منكم وأن تكونوا أولى بي من غيركم.

وقال مجاهد: المعنى إلا أن تصلوا رحمي باتباعي، وقال ابن عباس أيضًا: ما يقتضي أنها مدنية، وسببها أن قومًا من شباب الأنصار فاخروا المهاجرين، ومالوا بالقول على قريش، فنزلت الآية في ذلك على معنى: فتراعوني، لا تودوني في قرابتي وتحفظوني فيهم، وقال: هذا المعنى في الآية على ابن الحسين، واستشهد بالآية حين سبق إلى الشام أسيرًا، وهو تأويل ابن جبير وعمرو بن شعيب، وعلى هذا التأويل قال ابن عباس: قيل: من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم، قال: علي وفاطمة وابناهما، وقيل: هم ولد عبد المطلب.

وأما اللفظة الرابعة: وهي عترته، فقيل: العشيرة، وقيل الذرية. فأما العشيرة فهي الأهل الأدنون، وأما الذرية: فنسل الرجل، فأولاد بنت الرجل ذريته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ومن ذريته داود﴾ إلى قوله: ﴿وعيسى﴾ [الأنعام/٨٤ ـ ٨٥]، ولم يتصل عيسى بإبراهيم إلا من جهة أمه مريم.

فهذه الذرية الطاهرة، قد خصوا بمزايا التشريف، وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضلة ضيف، وألبسوا رداء الشرف، ومنحوا بمزيد الإكرام والتحف.

وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء، لمزيد شرفهم.

قال ابن عطية: وقريش كلها عندي قربى وإن كانت تتفاضل، وقد روي مرفوعًا: «من مات على حب آل محمد مات شهيدًا، ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة».

وقال ابن عباس أيضًا: جمعت الأنصار للنبي ﷺ مالاً وساقته إليه، فرده إليهم ونزلت الآية، وقال أيضًا: معنى الآية مودة الطاعة والتزلف إلى اللّٰه، كأنه قال: إلا أن تودوني، لأني أقربكم من اللّٰه، وأريد هدايتكم، وأدعوكم إليها.

وقال الحسن البصري: معناها إلا أن تتوددوا إلى اللّٰه بالتقرب إليه، وقيل: معناها إلا أن تتوددوا بعضكم لبعض، وتصلوا قراباتكم، فالآية على هذا أمر بصلة الأرحام.

وذكر النقاش عن ابن عباس ومقاتل الكلبي والسدي، أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ [سبأ: ٤٧] والصواب أنها محكمة، وعلى كل قول، فالاستثناء منقطع، وإلا بمعنى لكن، انتهى.

(وأما اللفظة الرابعة، وهي عترته، فقيل: العشيرة وقيل الذرية، فأما العشيرة فهي الأهل الأدنون،) أي الأقربون، **(وأما الذرية فنسل الرجل)** ذكورًا وإناثًا، **(فأولاد بنت الرجل ذريته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ومن ذريته داود﴾ [الأنعام: ٨٤]الآية إلى قوله: وعيسى، و)** وجه الدلالة أنه **(لم يتصل عيسى بإبراهيم إلا من جهة أمه مريم،)** إذ لا أب له بناءً على أن ضمير ذريته لإبراهيم، كما قال جماعة، وقال آخرون: إنه لنوح، والدلالة قائمة أيضًا، إذ لم يتصل به إلا بواسطة أمه مريم على أنه: من كان من ذرية إبراهيم هو من ذرية نوح، لأنه جده الأعلى، **(فهذه الذرية)** النبوية **(الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا،)** أي شملوا **(بواسطة السيدة فاطمة بفضل ضيف)** زائد على من سواهم **(وألبسوا رداء الشرف، ومنحوا،)** أي خصوا **(بمزيد الإكرام والتحف:)** جمع تحفة (، **وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف، كالعباسيين)** ذرية العباس، **(والجعافرة)** ذرية جعفر بن أبي طالب **(بالشطفة الخضراء لمزيد**

والسبب في ذلك ـ كما قيل ـ أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارًا أخضر وألبسهم ثيابًا خضرًا ـ لكون السواد شعار العباسيين، والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها، والأحمر مختلف في كراهته، والأصفر شعار اليهود بآخرة. ثم انثنى عزمه عن ذلك، ورد الخلافة لبني العباس، فبقي ذلك شعار الأشراف العلويين من الزهراء، لكنهم اختصروا الثيب إلى قطعة من ثوب أخضر توضع على عمائمهم شعارًا لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن.

قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من «أنباء الغمر بأبناء العمر»: وفيها أمر السلطان الأشراف أن يمتازوا عن الناس بعصائب جمع عصابة خضر على العمائم، ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما، وفي ذلك يقول الأديب أبو عبد الله بن

شرفهم والسبب في ذلك، كما قيل: أن المأمون) عبد الله الخليفة العباسي بن هٰرون الرشيد (أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة) حبًا في علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، فعهد المأمون إليه بالخلافة من بعده بعدما أراد أن يخلع نفسه ويفوضها إليه في حياته، فمنعه بنو العباس، فمات قبله، فأسف عليه، (فاتخذ لهم شعارًا أخضر وألبسهم ثيابًا خضرًا،) عطف تفسير، (لكون السواد شعار العباسيين، والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها، والأحمر مختلف في كراهته،) وجوازه وحرمته على ما سبق في اللباس، (والأصفر شعار اليهود بأخرة) (بفتحتين، أي: بأخرة الأمر)، (ثم انثنى عزمه عن ذلك) بموت علي الرضا قبله سنة ثلاث ومائتين، ولم يكمل خمسين سنة (ورد الخلافة لبني العباس) برجوعه عن العزم الأول، لأنها لم تخرج عنهم، (فبقي ذلك شعار الأشراف العلويين) أولاد علي (من الزهراء) فاطمة، (لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة من ثوب أخضر توضع على عمائمهم،) هي المسماة بالشطفة (شعارًا لهم، ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن،) ولم يبين مبدأ انقطاعه، ومات المأمون في رجب سنة ثمانية عشر ومائتين (قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من إنباء) ،بكسر الهمزة وإسكان النون وموحدة، أي أخبار (الغمر) (بضم الغين المعجمة وإسكان الميم وبالراء)، أي الذين لم يجربوا الأمور، هذا أصله استعمل في من لم يشتغل بعلم التواريخ، وما قد كان (بأبناء) (بفتح الهمزة وسكون الباء وبنون جمع ابن) (العمر) (بضم المهملة وسكون الميم اسم كتاب للحافظ ابن حجر)، (وفيها أمر السلطان) شعبان (الأشراف) جمع شريف، (أن يمتازوا عن الناس بعصائب: جمع عصابة خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما، وفي ذلك

جابر الأندلسي.

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وللأديب شمس الدين الدمشقي رحمه الله:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهمو بها شرفًا ليفرقهم من الأطراف

والأشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن الناصر.

وأما أصحابه رضوان الله عليهم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح/٢٩]، إلى آخر السورة.

لما أخبر الله سبحانه وتعالى أن سيدنا محمدًا ﷺ رسوله حقًا من غير شك

يقول **الأديب أبو عبد الله**) محمد (**بن جابر الأندلسي**،) نزيل حلب الأعمى، شارح الألفية، الشهير بالأعمى والبصير:

(جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر)

يعني جعلوا تلك العلامة ليعرف أن لابسها من أبناء فاطمة، فيميزون عن غيرهم من الآل، وما علموا أنهم لا حاجة لهم فيها، لأن نور النبوة يميزهم عما عداهم. (**وللأديب شمس الدين**) محمد بن إبراهيم (**الدمشقي رحمه الله**،) وهو من أحسن ما قيل في ذلك:

(أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهمو بها شرفًا ليفرقهم من الأطراف)

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره، (**والأشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر**) أي محمد بن قلاون ولي وعمره عشر سنين في شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة، فبقي إلى أن خنق في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، فهذا ما أراده مما يتعلق بآلة ﷺ، (**وأما أصحابه رضوان الله عليهم، فقال الله سبحانه وتعالى**) في الثناء على نبينا وعليهم: (﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح: ٢٩] **إلى آخر السورة. لما أخبر الله سبحانه وتعالى أن سيدنا محمدًا** ﷺ **رسوله حقًا من غير شك ولا ريب، قال:**) جواب لما،

ولا ريب، قال: محمد رسول اللّٰه، وهذا مبتدأ وخبر. وقال البيضاوي وغيره: جملة مبينة للمشهود به، يعني قوله تعالى: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**﴾ إلى قوله: ﴿**وكفى باللّٰه شهيدًا**﴾ [الفتح/٢٨]، قال: ويجوز أن قوله «رسول اللّٰه» صفة، و «محمد» خبر محذوف انتهى.

وهذه الآية مشتملة على كل وصف جميل.

وفي نسخة بحذف، قال علي: إن لما ظرف لقال في قوله، فقال اللّٰه سبحانه: أي قال حين أخبر، فلا جواب لها، ومقول القول (**محمد رسول اللّٰه، وهذا مبتدأ وخبر**) عند الجمهور، استوفى فيه تعظيم منزلته ﷺ، ورجحه ابن عطية.

(**وقال البيضاوي وغيره: جملة**) خبرية (**مبينة للمشهود به،**) أي للرسول الذي شهد اللّٰه بأن أرسله، (**يعني قوله تعالى**: ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾)، ملتبسًا (بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، (**إلى قوله: ﴿وكفى باللّٰه شهيدًا﴾**) [النساء: ٧٩]، أي شاهدًا عندكم بهذا الخبر، ومعلمًا به، أو شاهدًا على هؤلاء الكفار المنكرين أمره ﷺ، الرادين في صدره، ومعاقبًا لهم بحكم الشهادة، فالآية على هذا وعيد للكفار الذين شاحوا في أن يكتب محمد رسول اللّٰه، فرد اللّٰه عليهم بها، وقوله: والذي معه ابتداء خبره أشداء، ورحماء خبر ثان، فعلى هذا اختص النبي ﷺ بوصفه وهؤلاء بوصفهم، قاله ابن عطية. (**قال**) البيضاوي: (**ويجوز أن قوله رسول اللّٰه صفة**) لمحمد، (**و**) قوله: (**محمد خبر محذوف،**) أي هو أو مبتدأ، والذين معه معطوف عليه، وخبرهما أشداء على الكفار. (**انتهى**) قول البيضاوي بما زدته، وحكاه ابن عطية عن قوم من المتأولين، وزاد: ورحماء خبر بعد خبر، وعلى هذا اشترك الجميع في الشدة والرحمة، والأول عندي أرجح، لأنه خبر مضاد لقول الكفار، لا يكتب محمد رسول اللّٰه. انتهى.

(**وهذه الآية**) هو الذي أرسل رسوله بالهدى (**مشتملة على كل وصف جميل**) له من حيث الأمر والنهي، وغيرهما مما يؤيد رسالته كالإخبار بالغيب والشفاعة العظمى، والإخبار بالجنة والنار وما فيها للطائع والعاصي، ولواء الحمد وغير ذلك، فلا يرد أن الآية لا تشمل جميع الصفات، إذ لا تعرض فيها للشفاعة ونحوها، وفي نسخة بحذف كل، وفي ابن عطية: الآية تعظيم لأمره ﷺ وإعلام بأنه يظهره على جميع الأديان، ورأى بعضهم أن لفظ يظهره يقتضي محو غيره به، فقال: هذا الخبر يظهر الموجود عند نزول عيسى، فإنه لا يبقى في وقته دين غير الإسلام، وهو قول الطبري والثعلبي، ورأى قوم أن الإظهار هو الإعلام، وهو موجود الآن، فإن دين

ثم ثنّى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة/٥٤] فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار، والرحمة والبر بالأخيار.

ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام، فمن نظر إليهم أعجبه سمتهم وهديهم، لخلوص نياتهم، وحسن أعمالهم.

قال لملك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا»، وصدقوا، فإن هذه الأمة

الإسلام قد عم أكثر الأرض، وظهر على كل دين، **(ثم ثنى)** على الإعراب الأول **(بالثناء على أصحابه، فقال: والذين معه أشداء:)** جمع شديد أصله أشدداء، أدغم لاجتماع المثلين **(على الكفار رحماء بينهم،)** أما على الإعراب الثاني، فالثناء عليه وعلى أصحابه جميعًا، كما مر لأن الجملة ثناء واحد، ثم كونها ثناء على أصحابه كلهم هو قول الجمهور.

وحكى الثعلبي عن ابن عباس: إن الإشارة للذين معه إلى من شهد الحديبية، وقرىء بنصب أشداء ورحماء على الحال أو المدح، والخبر تراهم، **(كما قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة﴾)** [المائدة: ٥٤] عاطفين **(﴿على المؤمنين أعزة﴾)** أشداء **(﴿على الكافرين﴾،)** بناءً على أن هذه الآية في الصحابة، وفي الجلال أنها إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موته ﷺ، وأنه قال عليه السلام في قوله: فسوف يأتي الله بقوم هم قوم هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري، رواه الحاكم في صحيحه، **(فوصفهم)** في آية الفتح **(بالشدة والغلظة،)** بقوله: أشداء **(على الكفار والرحمة والبر بالأخيار،)** بقوله: رحماء بينهم، **(ثم أثنى عليهم:)** مدحهم **(بكثرة الأعمال،)** بقوله: تراهم ركعًا سجدًا أي ترى هاتين الحالتين كثيرًا فيهم **(مع الإخلاص التام،)** بقوله: يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، **(فمن نظر إليهم)** بعين البصيرة، **(أعجبه سمتهم)** سكينتهم ووقارهم، **(وهديهم)** الذي هم عليه، الدال على الخير وإظهار الحق والقيام به، **(لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم،)** فإن الظاهر عنوان الباطن.

(قال لملك) الإمام: **(بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام)** في زمان عمر، **(يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين:)** أصفياء عيسى وأول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور، وهو البياض، كما في الأنوار **(فيما بلغنا)** لأنهم لم يدركوهم، قال لملك: **(وصدقوا،)** أي النصارى في قولهم هذا، **(فإن هذه الأمة المحمدية، خصوصًا الصحابة**

المحمدية، خصوصًا الصحابة، لم يزل ذكرهم معظمًا في الكتب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه**﴾ أي فراخه ﴿**فآزره**﴾ أي شده وقواه ﴿**فاستغلظ**﴾ شب فطال ﴿**فاستوى على سوقه يعجب الزراع**﴾ قوته وغلظه وحسن منظره. فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ [الفتح/٢٩].

لم يزل ذكرهم معظمًا في الكتب) الإلهية، (**كما قال سبحانه وتعالى ذلك**) الوصف المذكور (﴿**مثلهم**﴾) [البقرة: ١٧]، وصفهم، أو صفتهم العجيبة الشأن (**في التوراة**) مبتدأ وخبر، (**ومثلهم في الإنجيل**) مبتدأ خبره، (**كزرع**،) قاله قوم من أهل التأويل، وقال مجاهد وجماعة: إنه مثلهم في الكتابين، فقوله: ومثلهم في الإنجيل عطف عليه، وقوله: كزرع تمثيل يختص بالقرءان، وقال آخرون: المثلان جميعًا في التوراة والإنجيل، وقوله: كزرع هو على كل الأقوال، وفي أي كتاب منزل فرض مثلاً للنبي وأصحابه في أنه بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون، فهم كالشطء، قاله ابن عطية، فحاصل مغايرته لما قبله أنه عليه يختص بالقرءان، وعلى قول الآخرين: لا يختص به، بل في جميع الكتب، وعلى كل الأقوال عند هؤلاء الجماعة، لا أنه إجماع حقيقي، كما توهم، (**أخرج شطأه، أي فراخه**،) يقال: أشطأت الشجرة إذا أخرجت غصونها، وأشطأ، الزرع إذا أخرج شطأه وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل.

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عباس شطأه(بفتح الطاء والهمز دون مد، وقرأ الباقون بسكون الطاء)، (**فآزره، أي شده وقواه**،) مأخوذ من الأزر القوة والشدة، وقيل: معناه: ساواه طولاً، وفاعله الشطء عليهما، ويحتمل على الأول أن فاعله الزرع، لأن كل واحد منهما يقوي صاحبه.

قال ابن عطية (**فاستغلظ شب، فطال فاستوى**:) قوي واستقام (**على سوقه**) أصوله جمع ساق (**يعجب الزراع**،) أي زراعه جملة في موضع الحال، (**قوته**) بالنصب بدل اشتمال من الزراع والرفع فاعل يعجب، (**وغلظه وحسن منظره**،) وإذا أعجبهم فأحرى أن يعجب غيرهم، لأنه لا عيب فيه، إذا أعجب العارفين بالعيوب، ولو كان معيبًا لم يعجبهم، (**فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع**) وقد بدؤا في قلة وضعف، فكثروا وقووا على أحسن الوجوه، وهنا تم المثل، وقوله: (**ليغيظ بهم الكفار**) ابتداء كلام قبله محذوف، تقديره: جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار، أي المشركين.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه اللّٰه ـ في رواية عنه ـ تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء.

والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة، ويكفي ثناء اللّٰه عليهم ورضاه عنهم، وقد وعدهم اللّٰه مغفرة وأجرًا عظيمًا، ووعد اللّٰه حق وصدق لا يخلف، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

و «من» في قوله «منهم» لبيان الجنس.

واختلف في تعريف الصحابي:

قال الحسن: من ذلك قول عمر بمكة: لا أعبد اللّٰه سرًا بعد اليوم، **(ومن هذه الآية انتزع)** (بالنون والمثناة والزاي المنقوطة والعين المهملة)، أي استدل واستخرج **(الإمام مالك رحمه اللّٰه في رواية عنه)** ضعيفة في المذهب، **(تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم)** أي الصحابة **(يغيظونهم)** أي الروافض، **(ومن غاظه الصحابة، فهو كافر)** لأن اللام في الآية للتعليل، إما لما قبلها، أي إنما شبههم بذلك ليغيظ بهم الكفار، فالمؤمن ليس عنده غيظ منهم، وإما علة لقوله بعد وعد اللّٰه الذين آمنوا منهم، أي إنما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم، فلا يغيظ بالصحابة مؤمنًا من غيرهم، فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه إليه اجتهاده، وهو بالظاء المشالة، وبالضاد أيضًا لغة فيه لا إبدال، وفي أن الغيظ والغضب بمعنى، أو الغيظ أشد الغضب، أو الكمين في النفس، أو الغضب للقادر، والغيظ للعاجز خلاف.

(وقد وافقه،) أي مالكًا **(على ذلك جماعة من العلماء،)** فلم ينفرد بهذا القول، **(والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة)** جدًا، وحسبك قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، أخرجه الأئمة الستة، **(ويكفي ثناء اللّٰه عليهم)** في آيات عديدة، **(ورضاه عنهم،)** لقد رضي اللّٰه عن المؤمنين، **(وقد وعدهم اللّٰه)** تعالى، بقوله ﴿وعد اللّٰه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم **(مغفرة وأجرًا عظيمًا)**﴾[الفتح/ ٢٩] هو الجنة ووعد بهما أيضًا من بعدهم في آيات أخر، **(ووعد اللّٰه حق وصدق لا يخلف، لا مبدل لكلماته:)** أحكامه ووعده بنقض أو خلف، **(وهو السميع)** لما يقال، **(العليم)** بما يفعل، **(ومن في قوله منهم لبيان الجنس)** .

قال ابن عطية: وليست للتبعيض، لأنه وعد مدح للجميع، **(واختلف في تعريف الصحابي)** نسبة إلى الصاحب من نسبة الحزبي إلى كلية، كالمفتي، **(فقيل: هو من صحب**

فقيل: هو من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين. وإليه ذهب البخاري. وسبقه إليه شيخه ابن المديني، وعبارته ـ كما قال شيخنا ـ: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحابه. انتهى. وهذا هو الراجح.

النبي ﷺ) في زمن نبوته ولو لحظة، **(أو رآه)** كذلك في حال حياته، وإن لم يجالسه حال كونه وقت الصحبة، أو الرؤية **(من المسلمين)** العقلاء، ولو أنثى، أو عبدًا، أو صبيًا، أو جنيًا، أو ملكًا على ما يأتي، وأو للتقسيم، والضمير المنصوب للنبي ﷺ، أو للصاحب، **(وإليه ذهب البخاري،)** فعرفه بذلك في أول فضائل الصحابة من صحيحه، **(وسبقه إليه شيخه)** علي ابن عبد الله بن جعفر السعدي، مولاهم أبو الحسن **(بن المديني،)** البصري، ثقة، ثبت، إمام أعلم أهل عصره بالحديث، وعلله حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني. وقال فيه شيخه سفيٰن بن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني.

وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين على الصحيح، **(وعبارته كما قال شيخنا)** السخاوي، وأخرجه ابن منده في المستخرج عنه كما في الفتح، بلفظ: **(من صحب النبي ﷺ، أو رآه ولو ساعة،)** لحظة **(من نهار،)** أو ليل، وعبر بنهار لأن التعارف والاجتماع إنما يكون فيه غالبًا، **(فهو من أصحابه)** خبر المبتدأ، الذي هو من الموصول، وصحب صلته ودخول الفاء في الخبر لتضمن الابتداء معنى الشرط. **(انتهى.)**

قيل: يرد عليه توقف معرفة الشيء على نفسه، فيدور، لأن صحب يتوقف على الصحابي وعكسه، لكن يمكن أن مراده بصحب الصحبة اللغوية، وبالصحابي المعنى الاصطلاحي، قاله السخاوي، **(وهذا،)** أي الاكتفاء بمجرد الرؤية، بلا مجالسة، ولا مماشاة، ولا مكالمة، **(هو الراجح،)** وهو مذهب جمهور المحدثين والأصوليين لشرف منزلته ﷺ، فإنه كما صرح به غير واحد، لو رآه مسلم، أو رأى مسلمًا لحظة طبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيىء للقبول، فإذا قابله النور المحمدي، أشرق عليه، فظهر أثره في قلبه، وملأ جوارحه؛ والصحبة لغة تتناول ساعة فأكثر وأهل الحديث، كما قال النووي نقلوا الاستعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة، وإليه ذهب الآمدي واختاره ابن الحاجب، وقد عد في الإصابة من حضر معه ﷺ حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينهما من الأعراب، وكانوا أربعين ألفًا لحصول رؤيتهم له ﷺ وان لم يرهم هو، بل: ومن كان مؤمنًا به في زمن الإسراء ان ثبت انه ﷺ كشف له في ليلته عن جميع من في الأرض، فرآه، ولم يلقه لحصول الرؤية من جانبه ﷺ.

قال في الإيعاب، ويتجه أنه حيث وقع بصره ﷺ على مجنون محكوم بإسلامه، أفاده ذلك الصحبة أخذًا من هذا، ومن الصغير غير المميز، فإن حكمهما واحد عند الفقهاء.

والتقييد بـ «الإسلام» يخرج من صحبه أو رآه من الكفار، ولو اتفق إسلامه بعد موته.

لكن يرد على التعريف: من صحبه أو رآه مؤمنًا به ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، كعبيد الله بن جحش، فإنه ليس بصحابي اتفاقًا، وكذلك ابن خطل، وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي ﷺ بعد موته، ثم لحقه الخذلان - والعياذ بالله تعالى - في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه. وقد أخرج له أحمد في

قال المصنف وهذا: كغيره يرد قول الدماميني: ليس الضمير المستتر في قول البخاري، أو رآه يعود على النبي ﷺ، لأنه يلزم عليه أن يكون من وقع عليه بصره ﷺ صحابيًا، ولا قائل به، انتهى.

فإن في نفيه الخلاف نظرًا كبيرًا، **(والتقييد بالإسلام)** في قوله من المسلمين **(يخرج من صحبه، أو رآه من الكفار، ولو اتفق إسلامه بعد موته)** عليه السلام، أو في حياته ولم يره بعد الإسلام، **(لكن يرد على التعريف من صحبه، أو رآه مؤمنًا به، ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد إلى الإسلام، كعبيد الله)** (بتصغير العبد) **(ابن جحش،)** فإنه كان أسلم وهاجر إلى الحبشة، فلحقه الخذلان فيها، فتنصر ومات على نصرانيته، **(فإنه ليس بصحابي اتفاقًا، وكذلك ابن خطل،)** فإنه كان أسلم، ثم ارتد وقتل على ردته في فتح مكة **(وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، وهو ممن أسلم في الفتح)** لمكة، **(وشهد حجة الوداع)** معه ﷺ، **(وحدث عن النبي ﷺ بعد موته)** بحديث، وهو قوله: أمرني رسول الله ﷺ أن أقف تحت صدر راحلته، وهو واقف بالموقف بعرفة، وكان رجلاً صيتًا. فقال: يا ربيعة، قل يا أيها الناس ان رسول الله يقول لكم تدرون أي بلد هذا... الحديث، رواه ابن إسحق وأحمد وغيرهما.

قال في الإصابة: فذكره لأجله من لم يمعن النظر في أمره، منهم: البغوي وأصحابه ابن شاهين، وابن السكن، والباوردي والطبراني، وتبعهم ابن منده وأبو نعيم، وأخرجه ابن خزيمة والحاكم من وجه آخر، عن ابن عباس، قال: أمر النبي ﷺ ربيعة بن أمية، فذكره، فلو لم يرد في أمره إلا هذا لكان عده في الصحابة صوابًا، لكن ورد أنه ارتد في زمن عمر، كما قال، **(ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله تعالى في خلافة عمر، فلحق بالروم، وتنصر بسبب شيء أغضبه.)** .

قال في الإصابة: روى يعقوب بن شيبة في مسنده أن الصديق كان من أعبر الناس للرؤيا، فأتاه ربيعة بن أمية، فقال: إني رأيت في المنام كأني في أرض معشبة خصبة، وخرجت منها إلى

مسنده، وإخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده، فينبغي أن يزاد في التعريف: ومات على ذلك.

فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام، لكنه لم يرد النبي ﷺ ثانيًا بعد عوده، فالصحيح أنه معدود في الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس

أرض مجدبة، كالحة، ورأيتك في جامعة من حديد عند سرير إلى الحشر، فقال: إن صدقت رؤياك، فستخرج من الإيمان إلى الكفر، وأما أنا فإن ذاك ديني، جمع لي في أشد الأشياء إلى يوم الحشر، قال: فشرب ربيعة الخمر في زمن عمر، فهرب منه إلى الشام، ثم هرب إلى قيصر، فتنصر ومات عنده؛ وذكر في الاستيعاب هذه القصة مختصرة، وأن عمر هو الذي عبرها له، ولعبد الرزاق والنسائي عن سعيد بن المسيب؛ أن عمر غرب ربيعة بن أمية في الخمر إلى خيبر، فلحق بهرقل، فتنصر، فقال عمر: لا أغرب بعده أحدًا أبدًا، وله قصة أخرى مع عمر قبل هذه، ذكرها لملك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة: ان خولة بنت حكيم دخلت على عمر، فقالت: إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة موحدة، فحملت منه، فخرج عمر يجر رداءه فزعًا، فقال: هذه المتعة لو كنت تقدمت فيها لرجمته.

(وقد أخرج له) لربيعة **(أحمد في مسنده)** حديثه هذا، كما في الفتح، **(وإخراجه له مشكل ولعله،)** وفي الفتح: ولعل من أخرجه، أي أحمد وغيره ممن سبق، كابن اسحق والبغوي، ومن بعده **(لم يقف على قصة ارتداده،)** ولوا وقفوا عليها ما وسعهم إخراجه، **(فينبغي أن يزاد في التعريف، ومات على ذلك)** ليخرج من ارتد بعد أن رآه مؤمنًا، ومات على الردة، هكذا قاله الحافظ، كشيخه العراقي، وتعقب بأنه يسمى قبل الردة صحابيًا، ويكفي ذلك في صحة التعريف، إذ لا يشترط فيه الاحتراز عن المنافي العارض، ولذا لم يحترزوا في تعريف المؤمن عن الردة العارضة لبعض أفراده، فمن زاد في التعريف أراد تعريف من يسمى صحابيًا بعد انقراض عصر الصحابة، لا مطلقًا، وإلا لزمه أن لا يسمى الشخص صحابيًا في حال حياته، ولا يقول بهذا أحد، كذا قرره الجلال المحلي.

وقال السخاوي في شرح الألفية: انتزع بعضهم من قول الأشعري: من مات مرتدًا تبين انه لم يزل كافرًا لأن الاعتبار بالخاتمة صحة إخراجه فإنه يصح أن يقال لم يره مؤمنًا لكن في هذا الانتزاع نظر لأنه حين رؤياه كان مؤمنًا في الظاهر وعليه مدار حكم الشرع فيسمى صحابيًا وحينئذ فلا بد من القيد المذكور. انتهى.

وبه يعلم انه لا وجه لجزم صاحب الإيعاب بما للأشعري، وقوله: إنه أولى من اعتذار المحلي، **(فلو ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، لكنه لم ير النبي ﷺ ثانيًا بعد عوده، فالصحيح انه معدود في الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث)** (بشين معجمة وعين مهملة

ونحوه ممن وقع له ذلك، وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد.

لكن قال الحافظ زين الدين العراقي: إن في ذلك نظرًا كبيرًا ، فإن الردة محبطة للعمل عند أبي حنيفة، ونص عليه الشافعي في الأم، وإن كان الرافعي قد حكى عنه أنها إنما تحبط بشرط اتصالها بالموت، وحينئذٍ فالظاهر أنها محبطة للصحبة المتقدمة، أما من ارتد ثم عاد إلى الإسلام في حياته ﷺ كعبد الله بن أبي صرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الإسلام.

وهل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه، أو يكتفى بحصول مجرد الرؤية؟ قال الحافظ ابن حجر: محل نظر، وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة

ومثلثة) **(ابن قيس)** بن معد يكرب، الكندي، أبي محمد الكوفي، مات سنة أربعين أو إحدى وأربعين، وهو ابن ثلاث وستين **(ونحوه،)** كعطارد بن حاجب التميمي **(ممن وقع له ذلك)** الارتداد، والعود للإسلام، ولم ير المصطفى، **(وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد)** للصحابة، **(لكن قال الحافظ زين الدين العراقي؛ ان في ذلك نظرًا كبيرًا، فإن الردة محبطة للعمل عند أبي حنيفة)** ولملك وأكثر العلماء، **(ونص عليه الشافعي في الأم،)** وأجيب؛ بأن معنى نص الأم إنها تحبط الثواب لأنفس العمل، قاله في الإيعاب، **(وان كان الرافعي قد حكى عنه،)** أي الشافعي، **(أنها إنما تحبط بشرط اتصالها بالموت،)** وهو المعتمد عند الشافعية،**(وحينئذ، فالظاهر أنها محبطة للصحبة المتقدمة،)** أي لثوابها لا لعملها الذي، والصحبة أو الرؤية فيعتد به في عده صحابيًا وتخريج أحاديثه في المسانيد، كما يعتد بما فعله المسلم قبل ردته من صلاة وزكاة وصيام ونحوها، فلا يعيد ذلك إذا ارتد، ثم عاد إلى الإسلام وإن سقط ثوابه بالردة وحينئذ فلا نظر؛ **(أما من ارتد ثم عاد إلى الإسلام في حياته ﷺ، كعبد الله بن أبي صرح، فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الإسلام،)** سواءً اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، هذا هو الصحيح المعتمد والشق الأول لا خلاف في دخوله، وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالاً، وهو مردود لاطباق أهل الحديث على عد الأشعث في الصحابة، قاله في ديباجة الإصابة. **(وهل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه،)** أي يعد مميزًا، كأن يأكل وحده ويشرب وحده، لا تمييزًا لشخص المرئي، بأنه زيد أو عمرو، لاستدلاله بقصة ابن أبي بكر، **(أو يكتفي بحصول مجرد الرؤية)** من الرائي للنبي ﷺ وان لم يميز.

(قال الحافظ ابن حجر) في الفتح: **(محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني،)** أنه لا يشترط التمييز، **(فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق، وإنما ولد**

النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، كما ثبت في الصحيح أن أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن تدخل مكة، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة.

ومنهم من بالغ، فكان لا يعد في الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية.

قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، كما ثبت في الصحيح، أن أمه أسماء بنت عميس) (بضم العين وفتح الميم وإسكان التحتية وسين مهملة) الصحابية **(ولدته في حجة الوداع قبل أن تدخل مكة، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة،)** وقتل محمد بن الصديق سنة ثمان وثلاثين بمصر، وكان علي كرم الله وجهه يثني عليه، فهو وان لم تصح نسبة الرؤية إليه لعدم تمييزه صحابي من حيث أن النبي ﷺ رآه؛ وكعبد الله بن الحٰرث بن نوفل وعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ممن حنكه النبي ﷺ ودعا له، فهؤلاء ونحوهم مذكورون في الصحابة خلافًا للسفاقسي شارح البخاري، حيث قال في حديث عبد الله بن صعير، وكان ﷺ مسح وجهه عام الفتح، إن كان عبد الله هذا عقل ذلك أو عقل عنه كلمة له صحبة، وإلا كانت له فضيلة، وهو في الطبقة الأولى من التابعين، وإليه ذهب العلائي، حيث قال بعضهم: لا صحبة له ولا رؤية، وحديثه مرسل، وهو وإن سلم له الحكم على حديثهم بالإرسال، فهم من حيث الرواية أتباع، فهو فيما نفاه مخالف للجمهور، ولأجل اختيار عد من لم يميز في الصحابة، كان في بيت الصديق أربعة صحابة في نسق محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة، قاله السخاوي.

قال الحافظ: ومع ذلك، فأحاديث هؤلاء مراسيل؛ والخلاف بين الجمهور وبين أبي إسحق الاسفرايني ومن وافقه على رد المراسيل مطلقًا، حتى مراسيل الصحابة لا تجري في أحاديث هؤلاء، لأن مراسيلهم من قبيل مراسيل كبار التابعين، لا من قبيل مراسيل الصحابة، الذين سمعوا من النبي ﷺ، وهذا مما يلغز به، فيقال: صحابي، حديثه مرسل، لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة.

(ومنهم من بالغ، فكان لا يعد في الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية،) كما جاء عن عاصم الأحول، قال: رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ، غير أنه لم يكن له صحبة، أخرجه أحمد هذا مع كون عاصم قد روى عبد الله بن سرجس عدة أحاديث، وهي عند مسلم وأصحاب السنن، وأكثرها من رواية عاصم عنه، ومن جملتها قوله: إن النبي ﷺ استغفر له، فهذا رأي عاصم أن الصحابي من تكون له الصحبة العرفية، قاله الحافظ.

وروي عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدًا، أو غزا معه غزوة فصاعدًا. والعمل على خلاف هذا القول.

ومنهم من اشترط في ذلك أن يكون حين اجتماعه بالغًا، وهو مردود أيضًا، لأنه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من أحداث الصحابة.

وأما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع منها، فإن كان كابن أم مكتوم الأعمى فهو صحابي جزمًا، فالأحسن أن يعبر بـ«اللقاء» بدل الرؤية.

(وروي عن سعيد بن المسيب، أنه كان لا يعد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدًا، أو غزا معه غزوة فصاعدًا،) قال ابن الصلاح: وكأن المراد بهذا إن صح عنه راجع إلى المحكي عن الأصوليين، ولكن في عبارته ضيق يوجب أن لا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلي، ومن شاركه في فقد ظاهر ما اشترطه فيه ممن لا نعلم، خلافًا في عده في الصحابة.

قال الزين العراقي: ولا يصح هذا عن ابن المسيب، ففي الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث، وقال تلميذه الحافظ: **(والعمل على خلاف هذا القول،)** لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة، لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع، ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية، أو اجتمع به، لكن فارقه عن قرب، كما جاء أنه قيل لأنس: هل بقي من الصحابة غيرك، قال: لا .مع أنه كان في ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الإعراب.

(ومنهم من اشترط في ذلك أن يكون حين اجتماعه بالغًا،) قال العراقي: وهو قول شاذ، قال تلميذه الحافظ: **(وهو مردود أيضًا، لأنه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه،)** كأخيه ومحمود بن الربيع وكثيرين **(من أحداث الصحابة،)** والمحدثون يدخلونهم.

(وأما التقييد بالرؤية، فالمراد به عند عدم المانع منها،) كالعمى، **(فإن كان كابن أم مكتوم الأعمى، فهو صحابي جزمًا، فالأحسن)** كما قال العراقي **(أن يعبر باللقاء بدل الرؤية)** ليدخل الأعمى، وقال المصنف: إنه يدخل في قوله من صحب، وكذا في قولهم: أو رآه النبي على ما لا يخفى، وقول الحافظ العراقي في دخول الأعمى الذي جاء إليه ﷺ، ولم يصحبه، ولم يجالسه في قول البخاري: من صحب النبي ورآه نظر ظاهره أن نسخته، ورآه بواو العطف من غير ألف، فيكون التعريف مركبًا من الصحبة والرؤية معا، فلا يدخل الأعمى كما قال، لكن في جميع ما وقفت عليه من الأصول المعتمدة، أو التي للتقسيم، وهو الظاهر، لا سيما وقد صرح

قال الحافظ زين الدين العراقي: وقولهم «من رأى النبي ﷺ» هل المراد رآه في حال نبوته، أو أعم من ذلك، حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة كزيد بن عمرو بن نفيل، فقد قال النبي ﷺ: إنه يبعث أمة وحده، وقد ذكره في الصحابة أبو عبد الله بن منده، وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش إلى بعد زمن البعثة، وأسلم ثم مات ولم يره، ولم أرَ من تعرض لذلك، ويدل على أن المراد: رآه بعد نبوته، أنهم ترجموا في الصحابة من ولد للنبي ﷺ كابراهيم وعبد الله، ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقسم، انتهى.

غير واحد؛ بأن البخاري تبع في هذا التعريف شيخه ابن المديني والمنقول عنه، أو بالألف، انتهى.

(**قال الحافظ زين الدين العراقي**) في شرحه لمنظومته، (**وقولهم**) الصحابي (**من رأى النبي ﷺ**) مؤمنًا، (**هل المراد رآه في حال نبوّته، أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة، كزيد بن عمرو بن نفيل،**) القرشي، العدوي، والد سعيد، أحد العشرة، (**فقد قال النبي ﷺ، أنه،**) أي زيدًا (**يبعث أمة وحده،**) أخرجه الطيالسي عن سعيد؛ انه قال للنبي ﷺ: إن أبي كان كما رأيته، وكما بلغك، فاستغفر له، قال: نعم إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، وأخرج البراز عن جابر: سألنا رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو، فقلنا إنه كان يستقبل القبلة ويقول ديني دين إبراهيم والهي إله إبراهيم قال: ذاك أمة وحده، يحشر بيني وبين يدي عيسى ابن مريم، (**وقد ذكره في الصحابة أبو عبد الله بن منده**) والبغوي وغيرهما، بناء على أن الشرط مطلق الإيمان، لكن قال في الإصابة: فيه نظر، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين؛ ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي، وهو من رأى النبي مؤمنًا به، هل يشترط كون رؤيته بعد البعثة، فيؤمن به حين يراه، أو بعد ذلك، أو يكفي كونه مؤمنًا، بأنه سيبعث، كما في قصة هذا وغيره، وجزم في مقدمة الإصابة؛ بأنه ليس بصحابي.

قال السخاوي وهو الظاهر، قال: وزاد لفظة به في التعريف، ليخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، على أنه يستغني عن ذلك بإطلاق وصف النبوّة، إذ المطلق يحمل على الكامل، (**وكذلك لو رآه قبل النبوة، ثم غاب عنه وعاش إلى بعد زمن البعثة، وأسلم، ثم مات ولم يره، ولم أر من تعرض لذلك،**) وهو محل احتمال، والراجح أنه غير صحابي.

(**ويدل على أن المراد رآه بعد نبوّته، أنهم ترجموا في الصحابة من ولد للنبي ﷺ كإبراهيم**) من مارية القبطية، (**وعبد الله**) من خديجة، وفي أنه غير الطيب والطاهر، وأنهما لقبان له خلاف، (**ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوّة، ومات قبلها، كالقاسم،**) لكن ترجم له ابن الأثير

وهل يختص جميع ذلك بني آدم، أم يعم غيرهم من العقلاء؟ محل نظر. أما الجن، فالراجح دخولهم لأن النبي ﷺ بعث إليهم قطعًا، وهم مكلفون، فيهم العصاة والطائعون، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة، وإن كان ابن الأثير عاب ذلك على أبي موسى فلم يستند في ذلك إلى حجة،

في أسد الغابة، ثم شيخ الإسلام في الإصابة، بناء على أن المراد مطلق الإيمان. **انتهى** كلام العراقي.

وأما من رآه وآمن به بعد البعثة وقبل الدعوة، كورقة بن نوفل، فصحابي، كما جزم به ابن الصلاح وفي نظم العراقي للسيرة:

وهو الذي آمن بعد ثانيا وكان برًا صادقًا مواتيا

أي بعد خديجة، وقول الحافظ حديث الصحيح ظاهر في أنه أقر بنبوّته، ولكنه مات قبل أن يدعو الناس إلى الإسلام، فيكون مثل بحيرًا، وفي إثبات الصحبة له نظر، تعقبه تلميذه البرهان البقاعي، فقال: هذا من العجائب كيف يماثل بين من آمن بأنه قد بعث بعد ما جاءه الوحي، فانطبق عليه تعريف الصحابي الذي ذكره في نخبته، بمن آمن من أنه سيبعث، ومات قبل أن يوحى إليه.

قال العلامة البرماوي: ليس ورقة من هذا النوع لاجتماعه به بعد الرسالة لما صح في الأحاديث أنه جاء له بعد مجيء جبريل وإنزال ﴿اقرأ﴾، وبعد قوله: أبشر يا محمد أنا جبريل أرسلت إليك، وإنك رسول هذه الأمة، وقول ورقة: أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد، وإن أدرك ذلك لأجاهدنّ معك فحكاية، ابن منده الخلاف في إسلامه، وقول الذهبي الأظهر انه مات بعد النبوة، وقبل الرسالة بعيد لما ذكرنا، فهو صحابي قطعًا، بل أول الصحابة، كما كان شيخنا شيخ الإسلام السراج البلقيني يقرره. (انتهى).

وتقدم هذا في أول من أسلم، (**وهل يختص جميع ذلك** بني آدم، **أم يعم غيرهم من العقلاء محل نظر، أما الجن، فالراجح دخولهم، لأن النبي ﷺ بعث إليهم قطعًا**) بالإجماع والنصوص، (**وهم مكلفون، فيهم العصاة والطائعون، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره**،) وهذا لفظ الفتح، وعبر في الإصابة؛ بأنه يتعين ذكره (**في الصحابة، وإن كان ابن الأثير**) الحافظ عز الدين في أسد الغابة (**عاب ذلك على أبي موسى**) المديني، (**فلم يستند في ذلك إلى حجة**،) فليس ذلك بمعيب لما ذكر.

وقد قال ابن حزم: قد أعلمنا الله أن نفرًا من الجن آمنوا وسمعوا القرءان منه ﷺ: فهم

وأما الملائكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة إليهم، فإن فيه خلافًا بين الأصوليين، حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته، وعكس بعضهم.

وهذا كله لمن رآه وهو في قيد الحياة الدنيوية، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيًا، وإلا لعد من اتفق أنه رأى جسده المكرم وهو في قبره المعظم، ولو في هذه الأعصار، وكذلك من كشف له من الأولياء عنه ﷺ فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه الصلاة

صحابة فضلاء، (**وأما الملائكة فيتوقف عدهم في ذلك**) أي الصحابة (**على ثبوت البعثة إليهم فإن فيه خلافًا بين الأصوليين حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته**) ورجحه السبكي والبارزي وابن كثير، (**وعكس بعضهم**) فنقل الإجماع على عدمه، قال في الإصابة: وفي صحة بناء هذه المسألة على هذا الأصل نظر لا يخفى. انتهى.

أي لأنه لا دخل لذلك في تحقق الصحبة، فسواء قلنا بعث إليهم أم لا نحكم بصحبة من رآه، من الملائكة، (**وهذا كله لمن رآه وهو في قيد الحياة الدنيوية، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه**) قال في الإصابة، كما وقع ذلك لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر؛ إن صح، (**فالراجح أنه ليس صحابيًا**) لأنها حياة أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا، كما يأتي، (**وإلا لعد من اتفق أنه رأى جسده المكرم، وهو في قبره المعظم، ولو في هذه الأعصار**) ولم يعدوه صحابيًا، وهذا كلام الحافظ.

قال السخاوي: وسبقه إلى ترجيح ذلك شيخه العراقي والبدر الزركشي؛ وعليه فيزاد في التعريف قبل انتقاله من الدنيا، وجزم البلقيني بأنه يعد صحابيًا لحصول شرف الرؤية له وان فاته السماع، قال وقد ذكره في الصحابة، يعني أبا ذؤيب الذهبي في التجريد، وقال العلائي: لا يبعد أن يعطى حكم الصحبة لشرف ما حصل له من رؤيته قبل دفنه وصلاته عليه، قال: وهو أقرب من عد المعاصر الذي لم يره أصلاً فيهم، أو الصغير الذي ولد في حياته، وقال الزركشي ظاهر كلام ابن عبد البر، نعم لأنه أثبت الصحبة لمن أسلم في حياته وإن لم يره، فيكون من رآه قبل الدفن أولى. انتهى.

وفيه نظر، ففي الإصابة أن المخضرمين، وهم الذين عاصروه ولم يروه ليسوا صحابة باتفاق علماء الحديث، وان كان بعضهم ذكر بعضهم في كتب معرفة الصحابة، فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم إلا لقربهم لتلك الطبقة، لا أنهم من أهلها، وممن أفصح بذلك ابن عبد البر، فغلط من زعم أنه يقول إنهم صحابة، وأحاديث هؤلاء مرسلة باتفاق صرح به ابن عبد البر نفسه في التمهيد وغيره من كتبه. (**وكذلك من كشف له من الأولياء عنه ﷺ، فرآه كذلك**) في

والسلام، إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحجة الحياة ليست دنيوية، وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا، وأما من رآه في المنام، وإن كان قد رآه حقًا فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابيًا، ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة.

وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خير خلق الله، وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين، لما في البخاري من حديث عبد الله أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وله من حديث عمران بن حصين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال

قبره (على طريق الكرامة، كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه الصلاة والسلام)، لا يكون صحابيًا (**إذ حجة من أثبت الصحبة**،) كالسراج البلقيني (**لمن رآه قبل دفنه؛ أنه مستمر الحياة، وهذه الحجة**) ضعيفة، إذ هذه (**الحياة ليست دنيوية، وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا**،) فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى، قاله الحافظ، وهو تعليل حسن؛ وأما تعليل العراقي في التقييد، بأن النبوة انقطعت بالموت، فغير مرضي، ولذا قال ابن جماعة فيه بحث وتأمل، وقد أضرب العراقي نفسه في شرحه عنه، فجزم بالحكم فقط، فكأنه رجع عنه، قاله السخاوي، وبه يعلم ما في تبعية البقاعي له بقوله، لأن الإخبار الذي هو معنى النبوة انقطع. انتهى.

وهذا كله لمن رآه يقظة، (**وأما من رآه في المنام وإن كان رآه حقًا**،) لأن الشيطان لا يتمثل به، (**فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابيًا، ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة**،) لأن النائم لا يضبط ما يقال، له فلو رآه يقظة وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه، ولا يعد صحابيًا، وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به، قاله شيخنا.

(**وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم**) أي الصحابة (**خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين**،) خلافًا لمن قال بتفضيل الملك على البشر مطلقًا، ومر بسطه في المقصد السادس، (**لما في البخاري**) ومسلم وغيرهما (**من حديث عبد الله**) بن مسعود؛ (**أن النبي ﷺ قال: خير الناس**) أهل (**قرني**،) أي عصري من الاقتران في الأمر الذي يجمعهم، يعني الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة أبي الطفيل آخرهم موتًا، وإن اعتبر ذلك من وفاته ﷺ كان

عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا.

قال في فتح الباري: والقرن أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويطلق على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها، من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة، وما عدا ذلك فقد قال به قائل، وقال صاحب المحكم: هو القدر المتوسط من أعمار أهل

مائة سنة أو تسعين أو سبعًا وتسعين، (**ثم الذين يلونهم**) أي القرن الذي بعدهم، وهم التابعون، ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة إن اعتبر من سنة مائة، (**ثم الذين يلونهم**) وهم اتباع التابعين نحوًا من خمسين سنة إلى حدود عشرين ومائتين، فظهر بهذا أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار كل زمان، كما قاله الحافظ، ومر هذا الحديث مرتين في الخصائص، (**وله**) أي البخاري ولمسلم أيضًا (**من حديث عمران بن حصين**) .

قال رسول الله ﷺ: (**خير أمتي قرني**) أي أهله الصحابة، (**ثم الذين يلونهم**) التابعون، (**ثم الذين يلونهم**) أتباعهم.

(**قال عمران: فلا أدري أذكر**) ﷺ (**بعد قرنه مرتين**) (بالميم)، وفي رواية قرنين (**أو ثلاثًا**)، وفي نسخة أو ثلاثة.

قال الحافظ: وقع مثل هذا الشك في حديث ابن مسعود وأبي هريرة عند مسلم، وبريرة عند أحمد، وجاء في أكثر الطرق بلا شك منها عند مسلم عن عائشة: قال رجل يا رسول الله أي الناس خير؟، قال: القرن الذي، أنا فيه ثم الثاني، ثم الثالث، وللطبراني: وسمو به ما يفسر به هذا السائل، وهو ما أخرجاه من طريق بلال بن سعد بن تميم، عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس خير؟، فقال أنا وقرني، فذكر مثله، وللطيالسي من حديث عمر رفعه: خير أمتي القرن الذي أنا منهم، ثم الثاني، ثم الثالث، ولابن أبي شيبة والطبراني عن جعدة بن هبيرة إثبات قرن رابع، ولفظه خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الآخرون أودى. ورجاله ثقات، إلا أن جعدة مختلف في صحبته.

(**قال في فتح الباري: والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة**،) أسقط من الفتح، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس، يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل، (**ويطلق**) القرن (**على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها**،) فقيل: (**من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، لكن لم أر من صرح بالتسعين**) (بفوقية قبل السين) (**ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك، فقد قال به قائل**،) أسقط من الفتح، وذكر الجوهري الثلاثين والثمانين، وفي حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة،

كل زمن، وهذا أعدل الأقوال.

والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وتقدم في أول المقصد الأول حديث: «بعثت من خير قرون بني آدم» وفي رواية بريدة عند أحمد: «خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم».

وقد ضبط الأئمة من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان

وهو المشهور، وقال صاحب المطالع: القرن أمة هلكت، فلم يبق منهم أحد، ولم يذكر صاحب المحكم الخمسين، وذكر من عشرة إلى سبعين، (**وقال صاحب المحكم: هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن، وهذا أعدل الأقوال**،) وبه صرح ابن الأعرابي، وقال: إنه مأخوذ من الأقران، ويمكن أن يحمل عليه المختلف من الأقوال المتقدمة ممن قال: إن القرن أربعون فصاعدًا، أما من قال إنه دون ذلك، فلا يلتئم على هذا القول، هكذا في الفتح قبل قوله: (**والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وتقدم في أول المقصد الأول حديث**) البخاري في صفة النبي ﷺ، عن أبي هريرة مرفوعًا: (**«بعثت من خير قرون** بني آدم) قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه»، هذا بقية الحديث.

(**وفي رواية بريدة**) بن الحصيب الصحابي الشهير (**عند أحمد**) مرفوعًا: (**خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم**،) وهو يتناول الصحابة، ومن أسلم في زمنه ولم يره، كالنجاشي وغيره وان لم يكونوا صحابة، (**وقد ضبط الأئمة من الحفاظ**) للحديث: (**آخر من مات من الصحابة على الإطلاق**) في جميع الأرض، لا باعتبار النواحي والبلدان (**بلا خلاف**) بين أهل الحديث، فقالوا: هو (**أبو الطفيل عامر بن واثلة**) (بكسر المثلثة) ابن عبد الله بن عمرو بن جحش بن جزي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن علي بن كنانة الكناني، ثم (**الليثي**) نسبة إلى جده ليث بن بكر المذكور، صحابي، مكي، ابن صحابي، قال في الجامع: ويقال اسمه عمر، وغلبت عليه كنيته، وفي الإصابة: هو مشهور باسمه وكنيته جميعًا، رأى رسول الله ﷺ وهو شاب، وحفظ عنه أحاديث.

قال ابن عدي: له صحبة، وروى أيضًا عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابن عباس ونافع بن عبد الحرث وغيرهم، وروى عنه الزهري وأبو الزبير وآخرون. وقال ابن السكن: جاءت عنه روايات ثابتة؛ أنه رأى النبي ﷺ. وأما سماعه منه فلم يثبت؛ وذكر ابن سعد عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الطفيل، قال: كنت أطلب النبي ﷺ فيمن يطلبه في الغار... الحديث، وهو ضعيف لأنه لا خلاف أن أبا الطفيل لم يكن ولد تلك الليلة، وأظن هذا

موته سنة مائة على الصحيح، وقيل سنة سبع ومائة، وقيل: سنة عشر ومائة، وهو الذي صححه الذهبي، وهو مطابق لقوله ﷺ - قبل وفاته بشهر -: فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد، وفي رواية مسلم

من رواية أبي الطفيل عن أبيه.

وذكر البخاري في التاريخ الصغير عن أبي الطفيل، قال: أدركت ثمان سنين من حياة النبي ﷺ. قال أبو عمر: كان يعترف بفضل أبي بكر وعمر، لكنه يقدم عليًا، **(كما جزم به مسلم في صحيحه)** ومصعب الزبيري وابن منده.

وأخرج مسلم عنه: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري، **(وكان موته سنة مائة)** من الهجرة **(على الصحيح،)** كما قال غير واحد، وفي الألفية:

ومات آخرًا بغير مريه أبو الطفيل عامر عام مايه

وقيل سنة اثنتين و ائة حكاه ابن عبد البر وغيره **(وقيل: سنة سبع ومائة،)** قاله مبارك بن فضالة **(وقيل سنة عشر ومائة،)** قال جرير بن حازم: كنت بمكة سنة عشر ومائة، فرأيت جنازة، فسألت عنها، فقيل لي: أبو الطفيل، وقيل: مات بالكوفة؛ قال السخاوي: والصحيح بمكة، فيكون آخر من مات من الصحابة بمكة أيضًا، كما جزم به ابن حبان وابن منده، **(وهو الذي صححه الذهبي)** في الوفيات، والحافظ في التهذيب في ترجمة عكراش، **(وهو مطابق لقوله ﷺ قبل وفاته بشهر،)** كما في حديث جابر عند مسلم، وفي الصحيحين عن ابن عمر: صلى بنا النبي ﷺ العشاء، فلما سلم قام، فقال: أرأيتكم ليلتكم هذه، **(فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه،)** وفي رواية: على ظهر **(الأرض ممن هو اليوم عليها أحد)** .

قال ابن عمر: يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن، أي ممن ترونه أو تعرفونه عند محبته أو المراد أرضه التي بها نشأ ومنها بعث كجزيرة العرب المشتملة على الحجاز ونجد وتهامه، فهو على حد قوله تعالى: ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ [المائدة: ٣٣]، أي بعض الأرض التي صدرت الجناية فيها، فليست أل للاستغراق، فلا حجة فيه لمن استدل به على موت الخضر، لاحتمال انه في غير هذه الأرض المعهودة، ولئن سلم ان أل استغراقية، فقوله أحد عموم محتمل، إذ على وجه الأرض الجن والإنس، والعمومات يدخلها التخصيص بأدنى قرينة، وإذا احتمل الكلام وجوها سقط به الاستدلال، قاله الشيخ قطب الدين القسطلاني.

وقال النووي: المراد أن كل من كان تلك الليلة على وجه الأرض لا يعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قل عمره قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي حياة أحد يولد بعد تلك الليلة مائة سنة.

(وفي رواية مسلم: أرأيتكم،) قال الحافظ: بفتح المثناة، لأنها ضمير المخاطب،

أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه ليس من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة.

وأما ما ذكر أن عكراش بن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذاك غير صحيح، وإن صح فمعناه أنه استكمل المائة بعد الجمل، لا أنه بقي بعدها مائة

والكاف ضمير ما لا محل له من الاعراب، والهمزة الأولى للاستفهام، والرؤية بمعنى العلم أو البصر، أي أعلمتم أو أبصرتم (**ليلتكم هذه**) وهي منصوبة على المفعولية، والجواب المحذوف تقديره، قالوا: نعم، قال: فاضبطوها. انتهى.

فتجويز قراءته (بضم الهمزة وكسر الراء وضم الفوقية)، أي أراني اللَّه في منامي حالكم خطأ نشأ من عدم الوقوف على شيء، (**فإنه ليس من نفس منفوسة**) أي مخلوقة يومئذ، (**تأتي عليها مائة سنة**،) وعلى المصنف رحمه اللَّه مؤاخذة، فليس الحديث في مسلم، كما قال، فإنما فيه كالبخاري: أرأيتكم ليلتكم هذه في صدر حديث ابن عمر، وبعده قوله: فإن على رأس مائة سنة... الخ. ما مر، وأما فإنه ليس من نفس... الخ، فليس في أوله أرأيتكم ليلتكم هذه، فلفظ مسلم عن جابر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند اللَّه، وأقسم باللَّه ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة، ثم أخرجه من وجه آخر عن سالم عن جابر، قال: قال نبي اللَّه: «ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة»، فقال سالم: تذاكرنا ذلك عنده، إنما هي كل نفس مخلوقة يومئذ.

وأخرج مسلم أيضًا عن أبي سعيد، قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة، فقال: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، هذا ووجه المطابقة ان المتبادر من قوله على رأس مائة سنة أنها محسوبة من وقت إخباره، فيكون موت أبي الطفيل سنة عشر ومائة، لأن التاريخ من الهجرة، وقد أقام بالمدينة عشر سنين، ولعل وجه الأول الصحيح مع ظهور هذا، أن المراد على رأس مائة سنة من الهجرة، لأنه ﷺ أمر بالتاريخ منها على ما روي وإن كان المشهور، أن ذلك في زمن عمر، (**وأما ما ذكر ان عكراش**) (بكسر المهملة وسكون الكاف وآخره معجمة) (**ابن ذؤيب**) (تصغير ذئب) التميمي، السعدي، وقول ابن منده المنقري فيه نظر، لأنه من ولد مرة بن عبيد أخي منقر بن عبيد، وفي حديثه نفسه: بعثني بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم، أخرجه الطبراني وغيره، قال ابن سعد: صحب النبي ﷺ وسمع منه، وقال ابن حبان: له صحبة إلا إني لست بالمعتمد على إسناد خبره، (**عاش بعد يوم الجمل مائة سنة**) على ما ذكر ابن قتيبة في المعارف وابن دريد في الاشتقاق؛ أنه شهد الجمل مع عائشة، فقالت للأحنف: كأنكم به وقد أتي به قتيلاً، أو به جراحة لا تفارقه حتى يموت، فضرب ضربة على أنفه عاش بعدها مائة سنة، وأثر الضربة، (**فذاك غير صحيح**) لمنافاته للحديث النبوي، (**وإن صح، فمعناه**

سنة، كما نص عليه الأئمة، وأما ما ذكر من أمر «بابارتن» ونحوه فكل ذلك لا يروج على من له أدنى مسكة من العقل، كما قاله الأئمة.

وأما آخر الصحابة موتًا بالإضافة إلى النواحي فقد أفردهم ابن منده.

أنه استكمل المائة بعد) وقعة (**الجمل، لا أنه بقي بعدها مائة سنة،**) وإلا لاقتضى ذلك أن يكون عاش إلى دولة بني العباس، وهو محال (**كما نص عليه الأئمة،**) منهم الحافظ، فقال: ما ذكر في الإصابة وشيخه العراقي، فقال هذا باطل أو مؤول، وكذا توقف في صحته البلقيني؛ (**وأما ما ذكر من أمر بابارتن،**) قال في الإصابة: بالفوقية، ويقال: بالطاء، بدلها الهندي شيخ خفي، ذكره بزعمه دهرًا طويلاً إلى أن ظهر على رأس القرن السادس، فادعى الصحبة، وروى عنه ابنه محمود وجماعة، عددهم ثم قال: ولم أجد له في كتب المتقدمين ذكرًا، وذكره الذهبي في تجريده، فقال رتن: الهندي شيخ ظهر بعد الستمائة بالمشرق وادعى الصحبة، فسمع منه الجهال، أو لا وجود له، بل اختلق اسمه بعض الكذابين، وإنما ذكرته تعجبًا، كما ذكر أبو موسى سر باتك الهندي، وذكره في الميزان، فقال: رتن وما أدراك ما رتن شيخ دجال بلا ريب، ظهر بعد الستمائة، فادعى الصحبة والصحابة لا يكذبون، وهذا جرى على الله ورسوله، وقد ألفت في أمره جزءًا، وقد قيل: انه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ومع كونه كذابًا، فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من أسمج الكذب والمحال، قلت: وزعم الاربكي انه سمع منه بعد ذلك في سنة خمس وخمسين، وستمائة وما زلت أتطلب الجزء المذكور حتى وقفت عليه بخط مؤلفه، فكتبت منه ما أردته هنا، فذكره مع زيادة عليه بما يستحيا من نسبة كثير من أحاديثه إلى أقل الناس، فضلاً عن سيد الخلق، وقد وقفت على جزء الذهبي، وهو نحو كراس في النصف (**ونحوه،**) وهم سر باتك الهندي (بفتح السين وسكون الراء، فموحدة، فألف ففوقية فكاف) ملك الهند زعم أنه رأى النبي ﷺ مرة بمكة ومرة بالمدينة، ومات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وكان زعم انه مضت عليه سبعمائة وخمس وعشرون سنة، وزاد عليه من زعم أنه مات ابن ثمانمائة وأربع وتسعين سنة، وجبير بن الحرث الأعرابي ادعى الصحبة سنة ست وسبعين وخمسمائة، والربيع بن محمود المارديني ادعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وجعفر بن نسطور الرومي ادعى الصحبة في خمسين وثلاثمائة، وأبوه نسطور، وزعم انه عاش بعده ﷺ ثلاثمائة سنة، ومعمر بن بريك (بموحدة ومهملة وكاف مصغرًا) ادعاها سنة سبع وعشرين وستمائة، والمعمر اختلقه بعض الكذابين، وأنه عمر أربعمائة سنة، وقيس بن تميم وأبو الخطاب ومكلبة وبسر بن عبد الله، (**فكل ذلك لا يروج على من له أدنى مسكة**) شيء قليل (**من العقل**) يمنعه عن الوقوع فيما لا يليق، (**كما قاله الأئمة،**) وأخبار هؤلاء وأكاذيبهم مذكورة في الميزان ولسانه وغيرهما.

(**وأما آخر الصحابة موتًا بالإضافة إلى النواحي**) أي البلدان، (**فقد أفردهم ابن منده**)

وأما قوله: ثم الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم، وهم التابعون، ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين. واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين. لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟

والذي ذهب إليه ابن عبد البر هو الأول، كما قدمت ذلك في خصائص هذه الأمة من المقصد الرابع، واحتج لذلك ـ سوى ما تقدم ـ بحديث مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى آخره خير أم أوله. قال الحافظ ابن حجر: وهو حديث

بالتصنيف، وتكفل بذلك في الألفية، فلا حاجة إلى الإطالة بايراده.

(وأما قوله) ﷺ **(ثم الذين يلونهم، فهم أهل القرن الذين بعدهم، وهم التابعون)** للصحابة على اختلاف طبقاتهم، **(ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين،)** فالقرن الرابع لا يحكم لهم بتفضيل؛ بل في بقية خبر الصحيحين السابق، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، فأثبت لهم صفة الذم، **(واقتضى هذا الحديث)** لتعبيره بثم **(أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين)** ولا نزاع في ذلك، **(لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة إلى المجموع)** فلا يستلزم الحكم على كل واجد **(أو الافراد)** فيستلزم ذلك وإليه ذهب الجمهور، **(والذي ذهب إليه ابن عبد البر هو الأول، كما قدمت ذلك في خصائص هذه الأمة من المقصد الرابع، واحتج لذلك سوى ما يقدم بحديث مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى)** بالرأي والاستنباط **(آخره خير أم أوله)** .

قال البيضاوي: نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيريه، وأريد به نفي التقارب لاختصاص كل منهم بخاصية توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء، لا يمكن إنكارها، والحكم بعدم نفعها، فإن الأولين آمنو بما شاهدوا من المعجزات، وتلقوا دعوة الرسول بالإجابة والإيمان، والآخرون آمنوا بالغيب بما تواتر عندهم من الآيات، واتبعوا من قبلهم بالإحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد، اجتهد الآخرون في التحرير والتلخيص، وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد؛ فكل سعيه مشكور وأجره موفور. انتهى.

وقال الطيبي: تمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم، فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع، فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيرية، فالمراد وصف الأمة قاطبة، سابقها ولاحقها، أولها وآخرها بالخيرية، وإنها ملتحمة بعضها مع بعض، مرصوصة كالبنيان على حد قول الانمارية: هم كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفاها، وقول الشاعر:

حسن، له طرق وقد يرتقى بها إلى درجة الصحة.

وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير ـ أحد التابعين ـ بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدركن المسيح أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير منكم، ثلاثًا، ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها».

ان الخيار من القبائل واحد وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الأمة بأسرها مرتبطة بعضها مع بعض في الخيرية، بحيث أبهم أمرها وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وهو قريب من سوق المعلوم، مساق غيره فيما معناه قوله:

تشابه يومًا بأسه ونواله فما نحن ندري أي يوميه أفضل

فيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغر محجل

ومعلوم علمًا جليًا أن يوم نداه الغمر أفضل من يوم بأسه، لكن الندى لما لم يكن إلا بالبأس أشكل عليه الأمر، فقال ما قال، وكذلك أمر المطر والأمة. انتهى.

(**قال الحافظ ابن حجر، وهو حديث حسن له طرق،**) فأخرجه أحمد من حديث عمار، وصححه ابن حبان وأحمد والترمذي عن أنس، وأبو يعلى عن علي، والطبراني عن ابن عمر، (**وقد يرتقى بها إلى درجة الصحة،**) قال: وأغرب النووي، فعزاه في فتاويه إلى مسند أبي يعلى من حديث أنس، بإسناد ضعيف، مع أنه عند الترمذي بإسناد أقوى منه من حديث أنس، وصححه ابن حبان من حديث عمار، وأجاب عنه النووي بما حاصله: أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان، الذين يدركون عيسى ويرون ما في زمنه من الخير والبركة وانتظام كلمة الإسلام ودحض أمر الكفر، فيشتبه الحال على من شاهد ذلك، أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه يندفع بصريح قوله ﷺ: «خير القرون قرني». انتهى كلام الحافظ.

وتقدم عن الطيبي جوابان أدق من هذا الجواب؛ (**وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير**) (بجيم وموحدة مصغرًا) (**ابن نفير**) (بنون وفاء مصغر) الحمصي الثقة، ر،، له مسلم والأربعة، ومات سنة ثمان عشرة ومائة، (**أحد التابعين،**) وأبوه تابعي، مخضرم، وجده صحابي، وقد روى الحاكم وغيره، الحديث هذا عن أبيه جبير بن نفير، (**بإسناد حسن، قال: قال رسول الله ﷺ: ليدركن المسيح،**) وفي رواية الحاكم: ليدركن الدجال (**أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير منكم،**) أو تحتمل الشك وغيره، قال ذلك (**ثلاثًا، ولن يخزي**) (بضم أوله)، أي يذل ويهين (**الله أمة أنا أولها والمسيح،**) وفي رواية الحاكم وعيسى: (**آخرها،**) بل كما أعز أولها بي، كذلك يعز آخرها بعيسى، فيقتل الدجال ولا يقبل إلا الإسلام.

وروى أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني - رفعه -: تأتي أيام للعامل فيها أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم وهو شاهد لحديث مثل أمتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم أجر خمسين منكم لا يدل على أفضلية غير الصحابة، لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضًا: الأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل.

فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من فضيلة المشاهدة، فلا يعدله فيها أحد، ولا ريب أن من قاتل معه أو في زمانه بأمره، أو أنفق شيئًا من ماله بسببه، لا يعدله أحد في الفضل بعده كائنًا من كان، قال تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق**

(**وروى أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني**) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون) صحابي مشهور بكنيته، قيل: اسمه جرثوم أو جرثومة، أو جرثم أو جرهم، وقيل: غير ذلك، وفي اسم أبيه أيضًا خلاف، مات سنة خمس وسبعين، وقيل: بعد الأربعين، (**رفعه: تأتي أيام للعامل فيها أجر خمسين**) ممن عمل في غيرها، (**قيل: منهم**) من أهل تلك الأيام، (**أو منا**) معاشر الصحابة (**يا رسول الله، قال: «بل منكم»**) لأنهم أقاموا الدين وتمسكوا به، وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، فكانوا عند ذلك غرباء، فزكت أعمالهم؛ ويشهد له حديث مسلم عن أبي هريرة، رفعه: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»، (**وهو شاهد لحديث»، مثل**) بفتحتين (**أمتي مثل المطر**) لأنه بمعناه، وما كان كذلك يسمى شاهدًا؛ (**لكن حديث للعامل منهم أجر خمسين منكم**) المذكور، (**لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة، لأن مجرد زيادة الأجر**) التي دل عليها الحديث (**لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة**) لجواز أنها الصفات قامت بهم، كالتمسك بالدين مع شدة المانع منه وزيادة حبهم للمصطفى، مع أنهم ما رأوه، وزيادة اليقين والإيمان بالغيب، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب؛ (**وأيضًا الأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي**) أو شاهده النبي (ﷺ **من فضيلة المشاهدة**) ولو مرة، (**فلا يعدله فيها أحد**) وذلك لا يكون لغير الصحابة ولو بلغوا ما بلغوا.

وفي الشفاء: أن رجلاً قال للمعافى بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معٰوية؟، فغضب وقال: لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد؛ معٰوية صاحبه وصهره وأمينه على وحي الله، (**ولا ريب أن من قاتل معه أو في زمانه بأمره، أو أنفق شيئًا**) قليلاً أو كثيرًا (**من ماله بسببه، لا يعدله أحد في الفضل بعده كائنًا من كان**) فكلام ابن عبد البر ليس على إطلاقه في حق جميع الصحابة؛

من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ [الحديد/١٠] وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده.

فمحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة، وقد ظهر أنه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك. وبهذا يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة.

فإنه صرح باستثناء أهل بدر والحديبية، لا كما فهمه القرطبي أنه قد يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من جميعهم.

(قال تعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾** [الحديد: ١٠]،) لمكة (**﴿وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾**،) وكلا وعد الله الحسنى، وهي الجنة، وبهذه الآية استدل ابن حزم على أن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، لأنهم المخاطبون بالآية.

وقال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فثبت أنهم من أهل جنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار، ولا يرد أن التقييد بالإنفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك، وكذلك التقييد بالإحسان في قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾ [التوبة: ١٠٠]، مخرج لمن لم يتصف بذلك؛ لأن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب، فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة، (**وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه، وبلغه لمن بعده**،) فلا يعدله أحد ممن يأتي بعده؛ لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم. (**فمحصل النزاع**) حينئذٍ بين الجمهور وابن عبد البر (**يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة، وقد ظهر أنه فاز**:) ظفر (**بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك**،) وذلك لا يعدله شيء، لأنه بمجردها ينطق الأعرابي الحلف بالحكمة، وتشرق في قلبه الأنوار، (**وبهذا يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة**؛) بأن دلالتها على الفضيلة من حيث العمل لا مطلقًا، فلا يرد أن المشاهدة لا يساويها شيء.

قال في الإصابة: وقد كان تعظيم الصحابة، ولو قل اجتماعهم مقررًا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم؛ ففي كتاب أخبار الخوارج لمحمد بن قدامة المروزي، برجال ثقات عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا ننزل رفاقًا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا في رفقة فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات فيهم امرأة حبلى ومعنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة: أيسرك أن تلدي غلامًا؟، قالت: نعم، قال: إن أعطيتني شاة ولدت غلامًا فأعطته، فسجع لها أسجاعًا، ثم عمد إلى الشاة، فذبحها

ثم إن الصحابة على ثلاثة أصناف: الأول: المهاجرون، الثاني: الأنصار وهم الأوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم، الثالث: من أسلم يوم الفتح.

قال ابن الأثير في «الجامع»: والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهذا على سبيل الإجمال، وأما على سبيل التفصيل، فإن جماعة من سباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين، وإنما سباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار، ثم هم بعد ذلك متفاوتون، فرب متأخر في الإسلام أفضل من متقدم عليه، مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح.

وطبخها، فأكلنا منها، فلما علم أبو بكر بالقصة، قام فتقيأ كل شيء أكله، ثم رأيت ذلك البدوي قد أتى به عمر بن الخطاب، وقد هجى الأنصار، فقال لهم عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدري ما نال فيها لكفيتموه، ولكن له صحبة، فتوقف عمر عن معاتبته فضلاً عن معاقبته، لعلمه أنه لقي النبي ﷺ؛ وذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء، (**ثم إن الصحابة على ثلاثة أصناف**):.

(**الأول: المهاجرون،**) والمراد بهم من عدا الأنصار ومن أسلم يوم الفتح، وهلم جرا، فعد الصحابة ثلاثة من هذه الحيثية، كما في الفتح.

(**الثاني: الأنصار:**) اسم إسلامي لهم، سماهم الله به لما فازوا به دون غيرهم من إيوائه ونصره ﷺ، وإيواء من معه ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، (**وهم الأوس والخزرج**) ابنا حارثة بن ثعلبة، جداهما الأعليان، واسم أمهم قيلة (بفتح القاف وسكون التحتية) (**وحلفاؤهم ومواليهم،**) لأن الأنصار قالت: يا رسول الله إن لكل قوم أتباعًا، وإنا قد اتبعناك، فادع الله أن يجعل أتباعنا منا.

قال النبي ﷺ: «اللهم اجعل أتباعهم منهم»، كما في الصحيح، والأتباع: الحلفاء والموالي.

(**الثالث: من أسلم يوم الفتح،**) فما بعده إلى الوفاة النبوية.

(**قال ابن الأثير في الجامع**) للأصول: (**والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهذا على سبيل الإجمال،**) أي الحكم على الجملة، لا على كل واحد؛ (**وأما على سبيل التفصيل، فإن جماعة من سباق الأنصار،**) كأصحاب العقبة (**أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين، وإنما سباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار:**) جمع سابق، (**ثم هم،**) أي المهاجرون (**بعد ذلك متفاوتون**) في الفضل، (**فرب متأخر في الإسلام أفضل من متقدم عليه**) فيه، (**مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح،**) فإنه تقدم على عمر في الإسلام، بحيث قيل: إنه أول من أسلم،

وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبًا على طبقات، وممن قسمهم كذلك الحاكم في «علوم الحديث»:

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سباق المسلمين: مثل: خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر أو زيد بن حارثة، وبقية العشرة، وقد تقدم الخلاف في أول من أسلم في المقصد الأول.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة، بعد إسلام عمر بن الخطاب حمل النبيَّ ﷺ ومن معه من المسلمين إلى دار الندوة، فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة.

الطبقة الثالثة: الذين هاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من أذى المشركين أهل مكة، منهم: جعفر بن أبي طالب، وأبو سلمة بن عبد الأسد.

الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى، وهم سباق الأنصار إلى الإسلام،

وعمر أفضل منه بإجماع، مع أنه سبقه أربعون إلى الإسلام.

(**وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبًا على طبقات**،) واختلفوا في عدها، (**وممن قسمهم كذلك الحاكم**) أبو عبد الله (**في**) كتاب (**علوم الحديث**،) الذي يعبر المتأخرون بالمصطلح: (**الطبقة الأولى قوم أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سباق المسلمين، مثل خديجة بنت خويلد**،) التي لم يسبقها إلى الإسلام رجل ولا امرأة إجماعًا، حكاه غير واحد، (**وعلي بن أبي طالب وأبي بكر، أو زيد بن حارثة، وبقية العشرة**،) وبلال وورقة بن نوفل، (**و**) هما مع من سمى المصنف هنا، هم الذين (**قد تقدم الخلاف في أول من أسلم**) منهم (**في المقصد الأول**) مع الترجيح أو الجمع.

(**الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة**،) دار قصي بن كلاب، وهي لغة الاجتماع، لأنهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها، فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر، ولا يعقدون لواء حرب إلا فيها، وخرج إليها ﷺ (**بعد إسلام عمر بن الخطاب**،) وإظهار إسلامه، فبايعوه حينئذٍ فيها، وإليه أشار بقوله: (**حمل**) عمر (**النبي ﷺ ومن معه من المسلمين إلى دار الندوة، فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة**،) فطبقتهم تلي الأولى.

(**الطبقة الثالثة: الذين هاجروا إلى الحبشة**) بأمره ﷺ (**فرارًا بدينهم من أذى المشركين، أهل مكة، منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد الأسد**) المخزومي، وكانت هجرتهم للحبشة مرتين أولى وثانية.

(**الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى**) الذين اجتمعوا به ﷺ عند جمرة العقبة، (**وهم

وكانوا ستة، وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلاً، وقد تقدمت أسماء أهل العقبتين في المقصد الأول.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين من الأنصار، منهم: البراء بن معرور، وعبد اللّٰه بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة، وسعد بن الربيع، وعبد اللّٰه بن رواحة.

الطبقة السادسة: المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى المدينة.

الطبقة السابعة: أهل بدر الكبرى. قال ﷺ لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة: وما يدريك، لعل اللّٰه اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم.

سباق الأنصار إلى الإسلام، وكانوا ستة، وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلاً، وقد تقدمت أسماء أهل العقبتين في المقصد الأول، فلا حاجة إلى إعادته.

(**الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين،**) وقيل: خمسًا وسبعين (**من الأنصار،**) لفظ الحاكم، وأكثرهم من الأنصار، (**منهم البراء**) بفتح الباء والراء والمد مخففًا (**ابن معرور**) بفتح الميم وإسكان المهملة وضم الراء وسكون الواو، ثم راء، وكان أول من بايع ليلتئذ، ويقال أسعد بن زرارة (**وعبد اللّٰه بن عمرو بن حرام**) بمهملتين الشهيد بأحد، وهو أبو جابر (**وسعد بن عبادة**) سيد الخزرج، (**وسعد**) (**بسكون العين**) (**بن الربيع**) المستشهد بأحد، (**وعبد اللّٰه بن رواحة**) الشهيد بمؤتة.

(**الطبقة السادسة: المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته، وهو بقباء**) بضم القاف (**قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى**) داخل (**المدينة**) المنوّرة.

(**الطبقة السابعة: أهل بدر الكبرى، قال ﷺ: لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة**) البدري، المتقدمة في فتح مكة: (**وما يدريك**) يا عمر (**لعل اللّٰه اطلع على هذه العصابة من أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**).

قال النووي: الرجاء هنا راجع إلى عمر، لأن وقوع هذا الأمر محقق عند الرسول؛ وقال الحافظ: هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، وقد قال العلماء: الترجي في كلام اللّٰه وكلام الرسول للوقوع، وعند أحمد وأبي داود بالجزم، ولفظه أن اللّٰه اطلع على أهل بدر.... الخ، واتفقوا على

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة، قال ﷺ: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد رواه مسلم.

الطبقة العاشرة: الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح، كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاصي، ومثل بعضهم بأبي هريرة لكن قال الحافظ العراقي، لا يصح التمثيل به، فإنه هاجر قبل الحديبية، عقيب خيبر بل في أواخرها.

الطبقة الحادية عشر: الذين أسلموا يوم الفتح، وهم خلق كثير، فمنهم من أسلم طائعًا، ومنهم من أسلم كارهًا ثم حسن إسلام بعضهم، والله أعلم بهم.

الطبقة الثانية عشر: صبيان أدركوا النبي ﷺ ورواه يوم الفتح وبعده في حجة

أن هذه البشارة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها، **(رواه ، سلم)** والبخاري في مواضع.

(الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية،) بالتخفيف والتشديد.

(الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة؛ قال ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله) للتبرك والامتثال **(من أصحاب الشجرة أحد» رواه مسلم)** من حديث أم مبشر، ففي هذا وما قبله تبشير أهل بدر والشجرة بالجنة، وقولهم العشرة المبشرة بالجنة لورود النص عليهم بأسمائهم في حديث واحد، وفي مسلم وغيره عن جابر مرفوعًا: «لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية».

(الطبقة العاشرة: الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح) لمكة، **(كخالد بن الوليد)** سيف الله المخزومي، **(وعمرو بن العاصي)** السهمي، **(ومثل بعضهم بأبي هريرة، لكن قال الحافظ العراقي: لا يصح التمثيل به، فإنه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر، بل في أواخرها،)** أي خيبر، كذا قال: ولا أدري ما هذا، فالحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست، وخيبر كانت في بقية المحرم سنة سبع، فحاصرها، وفي أواخرها قدم أبو هريرة رضي الله عنه، فكيف يكون هاجر قبل الحديبية، مع أن خيبر بعدها؟، وقد قالوا في قوله تعالى: ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ [الفتح: ١٨]، إنه فتح خيبر، كما مر ذلك مفصلاً، فالتمثيل به صحيح.

(الطبقة الحادية عشر: الذين أسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير،) أزيد من ألفين، **(فمنهم من أسلم طائعًا، ومنهم من أسلم كارهًا، ثم حسن إسلام بعضهم، والله أعلم بهم).**

(الطبقة الثانية عشرة: صبيان أدركوا النبي ﷺ، ورواه يوم الفتح وبعده في حجة

الوداع وغيرهما، كالسائب بن يزيد.

ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الأقوال.

وأما عدة أصحابه ﷺ، فمن رام حصر ذلك رام أمرًا بعيدًا، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا اللّٰه تعالى، لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى أن مات النبي ﷺ، وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري أن كعب بن مٰلك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: وأصحاب رسول اللّٰه ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني الديوان، لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك.

وقد روي أنه سار عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة، وإلى حنين في

الوداع وغيرهما،) .أي غير وقتي الفتح وحجة الوداع.

قال السخاوي: يعني من عقل منهم ومن لم يعقل، **(كالسائب بن يزيد)** الكندي، صحابي له أحاديث قليلة، وحج به في حجة الوداع، وهو ابن سبع سنين، ومات بالمدينة، وهو آخر من مات بها سنة إحدى وتسعين، وقيل: قبلها.

قال ابن الصلاح: ومنهم من زاد على اثنتي عشرة طبقة، وقال ابن سعد إنهم خمس طبقات: الأولى البدريون، الثانية من أسلم قديمًا ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدًا فما بعدها، الثالثة من شهد الخندق فما بعدها، الرابعة مسلمة الفتح فما بعدها، الخامسة الصبيان والأطفال ممن لم يغز، **(ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الأقوال،)** لقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»، أخرجه الشيخان.

(وأما عدة أصحابه ﷺ، فمن رام حصر ذلك رام أمرًا بعيدًا، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا اللّٰه تعالى،) ولذا قال العراقي: إن ذلك يتعذر **(لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى أن مات النبي ﷺ، وتفرقهم في البلدان والبوادي)**.

(وقد روى البخاري أن كعب بن مٰلك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك وأصحاب رسول اللّٰه ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ،) قال الحافظ: بالتنوين فيهما، وفي رواية مسلم بالإضافة، ولابن مردويه: ولا يجمعهم ديوان حافظ، أي لا يجمعهم ديوان مكتوب، وهو يقوي رواية التنوين، **(يعني)** لفظ البخاري يريد **(الديوان،)** وهو من كلام الزهري، وأراد بذلك الاحتراز عما وقع في حديث حذيفة؛ أن النبي ﷺ قال: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام، وقد ثبت أن أول من دون الديوان عمر، **(لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده، كتبوك، وقد روي أنه سار عام الفتح)** لمكة **(في عشرة آلاف من المقاتلة، وإلى حنين في اثني عشر ألفًا،)** وقيل: غير

اثني عشر ألفًا، وإلى حجة الوداع في تسعين ألفًا، وإلى تبوك في سبعين ألفًا، وقد روي أنه قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا، والله أعلم بحقيقة ذلك.

ثم إن أفضلهم على الإطلاق عند أهل السنة إجماعًا أبو بكر ثم عمر رضي

ذلك فيهما، (وإلى حجة الوداع في تسعين ألفًا) (بالتاء قبل السين)، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفًا، ويقال أكثر من ذلك، حكاه البيهقي، (وإلى تبوك في سبعين ألفًا) (بسين فموحدة)، وقيل: غير ذلك كما مر.

(**وقد روي أنه قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا**) من رجل وامرأة؛ وجاء عن أبي زرعة الرازي أنه قيل له: أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث، فقال: ومن قال ذا فلق الله أنيابه، هذا قول الزنادقة، قبض ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية: ممن رآه وسمع منه، فقيل له: هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه، قال: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع، كل رآه وسمع منه بعرفة.

قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب: أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة، فكيف بغيرهم.

قال الحافظ: ولم يحصل لجميع من جمع أسماء الصحابة العشر من أساميهم بالنسبة إلى قول أبي زرعة: هذا قول جميع ما في الاستيعاب ثلاثة آلاف وخمسمائة، وزاد عليه ابن فتحون قريبًا من ذلك، وبخط الحافظ الذهبي على التجريد: لعل الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا لم ينقصوا، قال: ورأيت بخطه أيضًا أن جميع من في أسد الغابة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسًا وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع. انتهى.

وعن الشافعي: قبض ﷺ عن ستين ألفًا ثلاثون بالمدينة وثلاثون في قبائل العرب وغيرها، وعن أحمد قبض، وقد صلى خلفه ثلاثون ألف رجل، وكأنه عنى بالمدينة، فلا يخالف ما فوقه، (**والله أعلم بحقيقة ذلك**؛) فإن كل من قال شيئًا، إنما حكاه على قدر تتبعه ومبلغ علمه، أو أشار بذلك إلى وقت خاص وحال، فإذاً لا تضاد بين كلامهم.

وعن ملك: مات بالمدينة نحو عشرة آلاف نفس من الصحابة، (**ثم إن أفضلهم على الإطلاق عند أهل السنة إجماعًا**،) منهم (**أبو بكر**) الصديق، (**ثم عمر رضي الله عنهما**،) وإلزامًا لمن خالفهم بما ثبت عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه في صحيح البخاري، عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟، قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمن، فقلت: ثم أنت؟، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

اللَّه عنهما. عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول اللَّه ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري.

وفي رواية عبيد اللَّه بن عمر عن نافع: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ فلا نفاضل بينهم. رواه البخاري أيضًا.

وقوله: «لا نعدل بأبي بكر» أي لا نجعل له مثلاً.

ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر: كنا نقول - ورسول اللَّه ﷺ حي -: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. زاد الطبراني في رواية: فيسمع رسول اللَّه ﷺ ذلك فلا ينكره.

(**عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: كنا نخير**) (بضم النون وفتح الخاء وشد التحتية المكسورة)، كما ضبطه من يغول عليه، أي ننظر (**بين الناس في زمان رسول اللَّه ﷺ**؛) بأن نقول فلان خير من فلان، (**فنخير**) أي نفضل (**أبا بكر، ثم**) نفضل بعده (**عمر، ثم عثمان بن عفان، رواه البخاري**) في مناقب أبي بكر من طريق يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر (**وفي رواية عبيد اللَّه**) (بضم العين) (**ابن عمر**) (بضمها أيضًا)، (**عن نافع**،) عن ابن عمر، كما في البخاري: (**كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر**) في الفضل (**أحدًا**) من الصحابة، لا من الأنبياء، (**ثم عمر، ثم عثمان**) (بفتح الراء والنون مجرور بالعطف)، قال المصنف: ولأبي ذر(برفع الراء والنون)، (**ثم نترك أصحاب النبي ﷺ، فلا نفاضل بينهم، رواه البخاري أيضًا**) في مناقب عثمان، وهو من أفراده، (**وقوله: لا نعدل بأبي بكر، أي لا نجعل له مثلاً**،) بل نجعله أفضل الصحابة، (**ولأبي داود من طريق سالم، عن**) أبيه عبد اللَّه (**بن عمر: كنا نقول ورسول اللَّه ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده**) في رتبة الفضل (**أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان**،) وليس المراد البعدية الزمانية، فإن فضل أبي بكر كان ثابتًا في الحياة النبوية، كما دل عليه حديث الباب، قاله الحافظ، فقول المصنف: المراد بالبعدية الزمانية، أما في الرتبة، فالأفضل بعد الأنبياء أبو بكر، مراده الزمانية في الوجود، يعني: أن فضل الصديق في الوجود الزماني عقب فضله ﷺ، فلا مخالفة بينه وبين كلام الحافظ، هكذا قرره شيخنا أبو عبد اللَّه البابلي رحمه اللَّه.

وقال شيخنا: تقريرًا يجوز أنه أتى به لدخول المصطفى نفسه في قوله أمة، ففيه إشارة إلى أنه أرسل إلى نفسه.

(**زاد الطبراني في رواية**) له: (**فيسمع رسول اللَّه ﷺ ذلك، فلا ينكره**،) فصرح في

وروى خيثمة بن سليمٰن في «فضائل الصحابة» من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر: قال كنا نقول: إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمٰن استوى الناس، فيسمع النبي ﷺ ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمٰن بعد أبي

هذه الزيادة بسماع ذلك وسكوته عليه.

قال الحافظ: اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا، لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمٰن، ومن تقديم بقية العشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك، فالظاهر ابن عمر إنما أراد بهذا النفي؛ أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم تفضيل الثلاثة ظهورًا بينًا، فيجزمون به، ولم يكونوا حينئذٍ اطلعوا على التنصيص، ويؤيده ما رواه البزار عن ابن مسعود، قال: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب، رجاله موثقون، وهو محمول على أن ابن مسعود قاله بعد قتل عمر، وقد حمل أحمد حديث ابن عمر على ما يتعلق بالترتيب في التفضيل، واحتج بالتربيع بعلي، بحديث سفينة، مرفوعًا: «الخلافة ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا».

أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبان وغيره، وقال الكرماني: لا حجة في قوله: كنا نترك، لأن الأصوليين اختلفوا في صيغة كنا نفعل، لا في صيغة كنا لا نفعل، لتصور تقرير الرسول في الأول دون الثاني، وعلى تقرير أن يكون حجة، فما هو من العمليات حتى يكفي فيه الظن، ولو سلمنا فقد عارضه ما هو أقوى منه، ثم قال: ويحتمل أن يكون ابن عمر أراد أن ذلك كان وقع لهم في بعض أزمنة النبي ﷺ، فلا يمنع ذلك أن يظهر بعد ذلك لهم.

وقال الخطابي: إنما لم يذكر ابن عمر عليًا، لأنه أراد الشيوخ وذوي الأسنان الذين كان ﷺ إذا حز به أمر شاورهم، وكان علي في زمانه حديث السن، قال: ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي، ولا تأخيره عن الفضل بعد عثمٰن، وما اعتذر به من جهة السن بعد لا أثر له في التفضيل المذكور. انتهى.

ويقوي رده ما ورد أنه ﷺ استشار عليًا في أسارى بدر، كما مر في غزوتها؛ **(وروى خيثمة بن سليمٰن)** الحافظ **(في)** كتاب **(فضائل الصحابة من طريق سهيل)** (بضم السين) **(ابن أبي صالح)** ذكوان المدني، صدوق، تغير حفظه بأخرة، روى له الجميع، لكن البخاري روى له مقرونًا بغيره وتعليقًا، مات في خلافة المنصور، **(عن أبيه)** ذكوان السمان، الزيات، المدني، ثقة، ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، مات سنة إحدى ومائة، **(عن ابن عمر قال: كنا نقول إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمٰن: استوى الناس)** في التأخير عن الثلاثة، على معنى أن جملتهم مفضولون بالنسبة إليهم، فلا ينافي أن فيهم من يفضل بقيتهم، فعلي أفضل، تلك الجملة

بكر وعمر.

وأهل السنة على أن عليًا بعد عثمٰن. وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمٰن. وممن قال به سفيٰن الثوري.

وقيل: لا يفضل أحدهما على الآخر، ونقل ذلك عن مٰلك في المدونة، وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان.

مطلقًا، **(فيسمع النبي ﷺ ذلك، فلا ينكره)**.

وهكذا أخرجه الإسمٰعيلي من وجه آخر بدون آخره، **(وفي ذلك تقديم عثمٰن بعد أبي بكر وعمر وأهل السنة،)** لفظ الفتح كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة **(على أن عليًا بعد عثمٰن، وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمٰن، وممن قال به سفيٰن الثوري)** وحكاه عن أهل السنة من الكوفيين، وحكي عن أهل السنة من البصريين تقديم عثمٰن، فقيل للثوري: فما تقول أنت؟، قال: أنا رجل كوفي.

قال الخطابي: لكن ثبت عن الثوري في آخر قوليه تقديم عثمٰن.

قال ابن كثير: وهذا المذهب ضعيف مردود وإن نصره ابن خزيمة والخطابي، وقد قال الدارقطني: من قدم عليًا على عثمٰن، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وسبقه إليه الثوري نفسه، فروى الخطيب بسند صحيح، عنه: من قدم عليًا على عثمٰن فقد أزرى باثني عشر ألفًا، مات ﷺ وهو عنهم راض، قال ذلك سفيٰن الثوري بعد المصطفى باثنتي عشرة سنة، بعد أن مات في خلافة أبي بكر في الردة، وفي خلافة عمر في الفتوح والطاعون العام، وعمواس، وغير ذلك من لا يحصى.

(وقيل: لا يفضل أحدهما على الآخر، ونقل ذلك عن مٰلك في المدونة،) ففيها في آخر كتاب الديات، أن مالكًا سئل: أي الناس أفضل بعد نبيهم؟، فقال: أبو بكر، ثم عمر، أو في ذلك شك، قيل له، فعلي وعثمٰن، قال: ما أدركت أحدًا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه، ونرى الكف عن ذلك، **(وتبعه جماعة، منهم)** تلميذه **(يحيى بن)** سعيد **(القطان،)** ومن المتأخرين ابن حزم، وإليه يومىء قول إمام الحرمين: تتعارض الظنون في عثمٰن وعلي، لكن قد حكى القاضي عياض عن مٰلك: الرجوع عن الوقف إلى تفضيل عثمٰن، وقال: إنه المشهور عن مٰلك والثوري، وكافة أئمة الحديث والفقه، وكثير من المتكلمين.

وقال القرطبي: إنه الأصح عن مٰلك إن شاء الله.

قال عياض: ويحتمل أن يكون كفه وكف من اقتدى به لما كان شجر في ذلك من

وقال ابن معين: من قال أبو بكر وعمر وعثمٰن، وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة، ولا شك أن من اقتصر على عثمٰن ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم.

وقد ادعى ابن عبد البر أن حديث الاقتصار على الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمٰن خلاف قول السنة أن عليًا أفضل الناس بعد الثلاثة.

وتعقب: بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله،

الاختلاف والتعصب، **(وقال:)** يحيى **(بن معين: من قال أبو بكر وعمر وعثمٰن)** أفضل من غيرهم، **(وعرف لعلي سابقته وفضله، فهو صاحب سنة)** فذكر له: من يقول أبو بكر وعمر وعثمٰن، ويسكتون، فتكلم فيهم كلام غليظ، وبهذا طعن ابن عبد البر في حديث ابن عمر، وتعقب بأن ابن معين أنكر رأي قوم زعموا، وهم العثمانية الذين يغلون في حب عثمٰن، وينقصون عليًا، **(ولا شك أن من اقتصر على عثمٰن، ولم يعرف لعلي فضله، فهو مذموم، وقد ادعى ابن عبد البر؛ أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمٰن خلاف قول أهل السنة؛ أن عليًا أفضل الناس بعد الثلاثة؛)** قال: فدل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر غلط، وإن كان السند إليه صحيحًا، **(وتعقب بأنه لا يلزم من سكوتهم، إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله)** على الدوام علي من بعده.

قال الحافظ: فإن الإجماع المذكور إنما حدث بعد الزمن الذي قيده به ابن عمر، فيخرج حديثه عن أن يكون غلطًا، وأظن أن ابن عبد البر، إنما أنكر الزيادة التي وقعت في رواية عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، ثم نترك أصحاب رسول الله، فلا نفاضل بينهم، لكن لم ينفرد بها نافع، فقد تابعه الماجشون عن ابن عمر، أخرجه خيثمة، ومع ذلك، فلا يلزم من تركهم التفاضل، إذ ذاك أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيله على من سواه، وقد اعترف ابن عمر بتقديم علي على غيره.

أخرج أحمد بإسناد حسن عن ابن عمر، قال: كنا نقول في زمن النبي ﷺ: رسول الله خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمٰن، ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، زوجه رسول الله ﷺ ابنته، وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر.

وأخرج النسائي عن العلاء بن عرار (بمهملات)، قلت لابن عمر: أخبرني عن علي وعثمٰن، الحديث وفيه: وأما علي، فلا تسأل عنه أحدًا، وانظر إلى منزلته من رسول الله ﷺ، قد سد أبوابنا في المسجد، وأقر بابه. ورجاله رجال الصحيح، إلا العلاء، وقد وثقه ابن معين وغيره.

فالمقطوع به بين أهل السنة: القول بأفضلية أبي بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما، فالجمهور على تقديم عثمٰن، وعن مٰلك الوقف، والمسألة اجتهادية، ومستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم اللّٰه لخلاف نبيه، وإقامة دينه، فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة.

وقال الإمام أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة تمام العشرة، يعني: طلحة والزبير وسعدًا وسعيدًا وعبد الرحمٰن بن عوف وأبا عبيدة عامر بن الجراح.

وقد جاء في بعض طرق حديث ابن عمر تقييد الخيرية المذكورة والأفضلية بما يتعلق بالخلافة، وذلك فيما أخرجه ابن عساكر عن عبد اللّٰه بن يسار، عن سالم، عن ابن عمر، قال: إنكم لتعلمون إنا كنا نقول على عهد رسول اللّٰه ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمٰن، يعني: في الخلافة، كذا في أصل الحديث، ومن طريق عبيد اللّٰه عن نافع عن ابن عمر: كنا نقول في عهد رسول اللّٰه ﷺ: من يكون أولى الناس بهذا الأمر، فنقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمٰن. انتهى.

وإذا علمت هذا، (**فالمقطوع به بين أهل السنة القول بأفضلية أبي بكر، ثم عمر،**) ولكن اختلفوا هل، مستندهم في ذلك قطعي، وإليه ذهب الأشعري، وعليه يدل قول مٰلك: أو في ذلك شك، أو ظني، وعليه الباقلاني، واختاره إمام الحرمين، (**ثم اختلفوا فيمن بعدهما، فالجمهور على تقديم عثمٰن، وعن مٰلك الوقف،**) ثم رجع عنه، (**والمسألة اجتهادية**) في حد ذاتها، وذلك لا ينافي الإجماع على بعض أفرادها، وهو العمران، ولم يفهم هذا من قال صوابه إجماعية، (**ومستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم اللّٰه لخلافة نبيه وإقامة دينه،**) أي اللّٰه أو نبيه، (**فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة**).

وقد روى البيهقي في الاعتقاد عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمٰن، ثم علي، (**وقال الإمام أبو منصور**) عبد القاهر التميمي، (**البغدادي،**) الماتريدي: (**أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة تمام العشرة، يعني طلحة**) بن عبيد اللّٰه التميمي، (**والزبير**) بن العوام، (**وسعدًا**) (بسكون العين)، (**وسعيدًا**) (بكسرها العدوي)، (**وعبد الرحمن بن عوف**) الزهري، (**وأبا عبيدة عامر بن الجراح،**) أمين هذه الأمة، قال بعض: وانظر الأفضل من هؤلاء ومن يليه، فإني ما رأيته، ولم يبين من الأفضل بعد العشرة من الصحابة لاشتهاره، ففي الألفية:

فالستة الباقون فالبدرية ‌ ‌ ‌ فأحد فالبيعة المرضية

وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: عشرة في الجنة، أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمٰن في الجنة، وعلي في الجنة والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال له القوم ننشدك الله، من العاشر؟ فقال: نشدتموني بالله، سعيد بن زيد في الجنة، يعني نفسه.

(**وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد**) العدوي؛ (**أنه قال: قال رسول الله ﷺ: عشرة،**) زاد تمام في فوائد من قريش: (**في الجنة، أبو بكر، في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمٰن في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير**) في الجنة، (**وطلحة**) في الجنة، (**وعبد الرحمن بن عوف**) في الجنة، (**وأبو عبيدة بن الجراح**) في الجنة، (**وسعد بن أبي وقاص**) لمالك الزهري في الجنة:.

هكذا ورد في الحديث، لفظ في الجنة عقب كل واحد، (**فعد هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال له:**) لسعيد (**القوم**) الذين حدثهم: (**ننشدك الله،**) أي نسألك بالله أن تخبرنا (**من العاشر، فقال: نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة، يعني نفسه،**) وكان سكت كراهية لرواية تزكية نفسه، لكن لما ناشدوه الله لم يكن له بد من التحديث، وسلك ﷺ مسلك الإطناب، فلم يقتصر على ذكر الجنة، في قوله عشرة في الجنة بل قالها عقب كل واحد قصدًا للإيضاح، غب الإيضاح ردًا على الفرق الطاغية الطاعنة في بعضهم، فكما يجب على البليغ في مظان الإجماع الإيجاز، كذا الواجب في موارد التفصيل أن يشبع ويفصل:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ثم لا تدافع بين هذا الحديث وبين ما ورد من تبشير غيرهم بها، كالحسنين وأمهما وجدتهما وعائشة، ومن لا يحصى، لأن العدد لا ينفي الزائد، ولأن العشرة خصوا بأنهم بشروا بها دفعة واحدة، وغيرهم وقع مفرقًا، أو اقتصر عليهم، لأن عظمة الله ملكت صدورهم، وصفت أرواحهم، ورفعت الحجب عن قلوبهم، فلاحظوا العز والجلال، فلم يضرهم الثناء لموت شهواتهم وحياة قلوبهم بالله، وأما غيرهم، فكف عنهم خوفًا عليهم، كيف وقد كان عند أولئك من الخوف ما اقتضى أن يقول الصديق: ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن، وأن يقول الفاروق: الويل لعمران، لم يغفر الله له، فإن التبشير بالجنة لا يلزم منه الأمن من البعد عن كمال القرب، وإنما اللازم الأمن من النار، على أن الوعد لا يمنع الدهشة، والخوف عند الصدمة الأولى، ولذا كانوا باكين، خاشعين، خائفين من سوء العاقبة، لاحتمالات باقية، ثم هذا الحديث صحيح له طرق كثيرة.

وعن أبي موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه، أنه خرج إلى المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: وجه هٰهنا، فخرجت في أثره حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول اللّٰه ﷺ حاجته، فتوضأ فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بوابًا للنبي ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر، فدفع الباب فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر،

(وعن أبي موسى) عبد اللّٰه بن قيس (الأشعري رضي اللّٰه عنه؛ أنه خرج إلى المسجد)

وفي رواية الصحيحين، عن سعيد بن المسيب، عن أبي موسى: أنه توضأ في بيته، ثم خرج منه، قال: فقلت لألزمن رسول اللّٰه ﷺ، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، (فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا:) خرج و (وجه).

قال الحافظ: كذا للأكثر (بفتح الواو وتشديد الجيم)، أي توجه، أو وجه نفسه، وللكشميهني (بسكون الجيم، بلفظ الاسم مضافًا إلى الظرف)، وهو (ههنا) أي جهة كذا، (فخرجت في أثره) (بكسر الهمزة وسكون المثلثة، ولأبي ذر بفتحهما) زاد في رواية سعيد: أسأل عنه (حتى دخل بئر أريس:) (بفتح الألف وكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة، ثم مهملة) بستان بالمدينة معروف بالقرب من قباء، يجوز فيه الصرف وعدمه، وفي بئرها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمٰن، ذكره الحافظ.

وفي المصنف: أنه مصروف في الفرع، أي النسخة المكتتبة من نسخة الشرف اليونيني من البخاري، ونص عليه ابن مٰلك، (فجلست عند الباب وبابها) أي الحديقة (من جريد حتى قضى رسول اللّٰه ﷺ حاجته، فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قفها:) (بضم القاف وشد الفاء) الدكة التي تجعل حول البئر، وأصله ما غلظ من الأرض وارتفع، والجمع قفاف، كما في الفتح، زاد المصنف: أو حافة البئر.

وفي رواية سعيد في الصحيحين: وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت، (فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بوابًا للنبي ﷺ اليوم) زاد البخاري في الأدب: ولم يأمرني، وله في مناقب عثمٰن؛ أنه ﷺ أمره بحفظ باب الحائط، وعند أبي عوانة والروياني، فقال: يا أبا موسى أملك على الباب، فانطلق فقضى حاجته وتوضأ، ثم جاء فقعد على قف البئر، وفي الترمذي، فقال لي: يا أبا موسى أملك على الباب فلا يدخلن علي أحد.

قال الحافظ: فيجمع بأنه لما حدث نفسه بذلك، صادف أمر النبي ﷺ؛ بأن يحفظ عليه الباب. وأما قوله: ولم يأمرني، فيريد أنه لم يأمره أن يستمر بوابًا، وإنما أمره بذلك قدر ما يقضي حاجته ويتوضأ، ثم استمر هو من قبل نفسه، فقول الداودي: هذا من مختلف الحديث، كأنه

فقلت على رسلك ثم ذهبت إلى رسول اللّٰه ﷺ فقلت: هذا أبو بكر يستأذن، فقال: إئذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول اللّٰه ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول اللّٰه ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول اللّٰه ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد اللّٰه بفلان خيرًا ـ يريد أخاه ـ يأت به، فإذا أنا بإنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب، فقلت على رسلك، ثم جئت إلى النبي ﷺ فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: إئذن له وبشره بالجنة فجئت، فقلت: له ادخل ورسول اللّٰه ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل فجلس مع رسول اللّٰه ﷺ في القف عن يساره

خفي عليه وجه هذا الجمع، ثم قول أبي موسى هذا لا يعارض قول أنس: لم يكن له ﷺ بواب، لأن مراد أنس لم يكن له بواب مرتب على الدوام، **(فجاء أبو بكر)** الصديق، **(فدفع الباب)** مستأذنًا في الدخول، كما في رواية، **(فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر فقلت على رسلك)** (بكسر الراء)، أي تمهل وتأن، **(ثم ذهبت إلى رسول اللّٰه ﷺ، فقلت: هذا أبو بكر يستأذن)** في الدخول عليك، **(فقال: ائذن)** (بهمزة وصل مكسورة بعدها ياء ساكنة، لأن الهمزتين متى اجتمعتا، والثانية ساكنة وجب إبدالها من جنس حركة ما قبلها)، **(له وبشره بالجنة؛ فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول اللّٰه ﷺ يبشرك بالجنة)**.

زاد في رواية للبخاري: فحمد اللّٰه، **(فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول اللّٰه ﷺ معه في القف، ودلّى رجليه في البئر، كما صنع رسول اللّٰه ﷺ، وكشف عن ساقيه)** موافقة للمصطفى، وليكون أبلغ في بقائه على حالته وراحته، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك، فربما استحيا منه ﷺ، فرفع رجليه.

قال أبو موسى: **(ثم رجعت، فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني)**.

قال الحافظ: كان له أخوان أبو رهم وأبو بردة وقيل: إن له أخًا آخر اسمه محمد، وأشهرهم أبو بردة واسمه عامر، وقد أخرج عنه أحمد في مسنده حديثًا، **(فقلت: إن يرد اللّٰه بفلان خيرًا يريد أخاه)** أحد المذكورين **(يأت به، فإذا أنا بإنسان يحرك الباب)** مستأذنًا لا دافعًا ليدخل بلا إذن، ففي رواية للبخاري: فجاء رجل فاستفتح، وفي أخرى: فجاء رجل يستأذن، وفيه حسن الأدب في الاستئذان، **(فقلت: من هذا؟، قال: عمر بن الخطاب، فقلت)** له: **(على رسلك، ثم جئت إلى النبي ﷺ، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن)** في الدخول عليك، **(فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فجئت فقلت له: أدخل ورسول اللّٰه ﷺ يبشرك بالجنة)**.

ودلى رجليه في البئر، فرجعت فجلست وقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء فحرك الباب، فقلت من هذا؟ قال: عثمن بن عفان، فقلت على رسلك، وجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فجئت فقلت: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملىء، فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها

زاد في رواية للبخاري: فحمد الله، **(فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلّى رجليه في البئر،)** ولم يقل، وكشف عن ساقيه، كما قال في الصديق، **(فرجعت، فجلست وقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به،)** يريد أخاه، **(فجاء إنسان، فحرك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عثمن بن عفان فقلت على رسلك، وجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال:)** زاد في رواية للبخاري: فسكت هنيهة، ثم قال: **(ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه،)** هي البلوى التي صار بها شهيد الدار من أذى المحاصرة والقتل وغيره، وقد ورد عنه ﷺ ما هو أصرح من هذا، فروى أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمر رجل، فقال: يقتل فيها هذا يومئذٍ ظلمًا، قال: فنظرت، فإذا هو عثمن، **(فجئت، فقلت: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك).**

زاد في رواية للبخاري: فحمد الله ثم قال: الله المستعان، وفي أخرى: فدخل وهو يحمد الله، ويقول: اللهم صبرًا، ولأحمد: فجعل يقول: اللهم صبرًا حتى جلس، **(فدخل، فوجد القف قد ملىء)** بالمصطفى والعمرين، **(فجلس وجاهه)** (بضم الواو وبكسرها)، أي مقابله **(من الشق الآخر،)** وللبيهقي في الدلائل عن زيد بن أرقم، قال: بعثني النبي ﷺ، فقال: انطلق حتى تأتي أبا بكر، فقل له: إن النبي يقرأ عليك السلام، ويقول: أبشر بالجنة، ثم انطلق إلى عمر كذلك، ثم انطلق إلى عثمن كذلك، وزاد بعد بلاء شديد، قال: فانطلق، فذكر أنه وجدهم على الصفة التي قال له، وقال: أين نبي الله؟، قلت: في مكان كذا وكذا، فانطلق إليه، وقال في عثمن: فأخذ بيدي حتى أتينا رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن زيدًا قال لي كذا: والذي بعثك بالحق ما تغنيت ولا تمنيت، ولا مسست ذكري بيمين مذ بايعتك، فأي بلاء يصيبني؟، قال: هو ذاك.

قال البيهقي: إسناده ضعيف، فإن كان محفوظًا احتمل أن يكون ﷺ أرسل زيدًا قبل أن يجيء أبو موسى، فلما جاؤوا كان أبو موسى قد قعد على الباب، فراسلهم على لسانه بمثل ما أرسل به إليهم زيد بن أرقم والله أعلم.

(قال شريك) بن عبد الله بن أبي نمر المدني، صدوق، يخطىء، مات في حدود أربعين

قبورهم. رواه أحمد ومسلم وأبو حاتم وأخرجه البخاري.

وأخرج أبو داود نحوه عن أبي سلمة عن نافع بن عبد الحٰرث الخزاعي قال: دخل رسول اللّه ﷺ حائطًا من حوائط المدينة، فقال لبلال: أملك علي الباب، فجاء أبو بكر يستأذن... فذكر نحوه. قال الطبراني: وفي حديث أن نافع بن عبد الحٰرث

ومائة: **(قال سعيد بن المسيب: فأولتها)** أي جمعية الصاحبين معه ﷺ، ومقابلة عثمٰن له **(قبورهم)** من جهة مصاحبة العمرين له في الدفن، وانفراد عثمٰن عنهم في البقيع، وفيه وقوع التأويل في اليقظة، وهو الذي يسمى الفراسة، وليس المراد خصوص صورة الجلوس الواقعة.

وفي رواية عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب: فأولت ذلك انتباذ قبره من قبورهم.

أخرجه أبو عوانة والروياني للبخاري في الفتن: اجتمعت ههنا، وانفرد عثمٰن، ولو ثبت الخبر الذي أخرجه أبو نعيم عن عائشة في صفة القبور الثلاثة: أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، لكان فيه تمام التشبيه، لكن سنده ضعيف، وعارضه ما هو أصح منه.

وأخرج أبو داود والحاكم عن القٰسم بن محمد قال: قلت لعائشة رضي اللّه عنها: يا أمتاه اكشفي لي عن قبر رسول اللّه ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي.... الحديث، وفيه: فرأيت رسول اللّه ﷺ وصاحبيه، فإذا أبو بكر رأسه بين كتفيه، وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ، قاله الحافظ، **(رواه أحمد)** في المسند، **(ومسلم)** في فضائل عثمٰن، **(وأبو حاتم)**.

(وأخرجه البخاري) في المناقب والفتن، **(وأخرج أبو داود نحوه)** من طريق إسمٰعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو، **(عن أبي سلمة)** بن عبد الرحمٰن، **(عن نافع بن عبد الحٰرث)** بن خالد بن عمير بن الحٰرث بن عمرو بن غسان **(الخزاعي)** روى عن النبي ﷺ، وروى عنه أبو الطفيل وغيره، ذكره ابن سعد فيمن أسلم يوم الفتح، وقال أبو عمر: كان من كبار الصحابة وفضلائهم، ويقال: إنه أسلم يوم الفتح ولم يهاجر، وأنكر الواقدي أن يكون له صحبة، وذكره في الصحابة ابن حبان، والعسكري وآخرون، وحديثه في السنن ومسند أحمد: «من سعادة المرء الجار الصالح».

ووقع في رواية إبرٰهيم الحربي نافع بن الحٰرث بإسقاط عبد، والصواب إثباته، وأمره عمر على مكة، كما في الإصابة، زاد في تقريبه، وبها مات ولم يذكر سنة موته، **(قال: دخل رسول اللّه ﷺ حائطًا)** بستانًا **(من حوائط المدينة، فقال لبلال: أملك علي الباب:)** احفظه من الداخلين علي إلا بإذن، **(فجاء أبو بكر يستأذن، فذكر نحوه،)** فهذا فيه أن البوّاب يومئذٍ بلال، وأخرجه الطبراني من حديث أبي سعيد بنحوه.

هو الذي كان يستأذن.

وهذا يدل على تكرار القصة، لكن صوب الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عدم التعدد، وأنها عن أبي موس، ووَهَّم القول بغيره وأنشد لنفسه:

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر أبو بكر عثمٰن بن عوف علي عمر

ولأبي الوليد بن الشحنة:

أسماء عشر رسول اللّه بشرهم بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمٰن طلحة بو بكر بن عوف بن جراح الزبير عمر

(قال الطبراني: وفي حديث) عند أحمد من طريق يزيد بن هٰرون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة؛ (إن نافع بن عبد الحٰرث هو الذي كان يستأذن، وهذا يدل على تكرار القصة) لأبي موسى وبلال ونافع، (لكن صوّب الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عدم التعدد،) بعد أن قال: وهذا إن صح حمل على التعدد، ثم ظهر لي أن فيه، وهما من بعض رواته، (وأنها عن أبي موسى) فقط، (ووهم القول بغيره،) لأن الإمام أحمد رواه من طريق موسى بن عقبة، عن أبي سلمة، عن نافع، فذكره، وفيه: فجاء أبو بكر، فاستأذن، فقال لأبي موسى فيما أعلم: ائذن له.

وأخرجه النسائي من طريق أبي الزناد، عن أبي سلمة، عن نافع بن عبد الحٰرث، عن أبي موسى، وهو الصواب، فرجع الحديث إلى أبي موسى، واتخذت القصة. انتهى.

(وأنشد) الحافظ ابن حجر (لنفسه) بيتين، جمع في ثانيهما العشرة، قال السخاوي: ولم يسبق إليه، وسمعتهما منه مرارًا:

(لقد بشر الهادي من الصحب زمرة بجنات عدن كلهم فضله اشتهر)
(سعيد زبير سعد طلحة عامر أبو بكر عثمٰن بن عوف علي عمر)

(ولأبي الوليد بن الشحنة:)

(أسماء عشر رسول اللّه بشرهم بجنة الخلد عمن زانها وعمر)
(سعد سعيد علي عثمٰن طلحة بو بكر بن عوف بن جراح الزبير عمر)

فجمعهم في بيت، لكن بيت الحافظ أرق، كما لا يخفى، وقوله: عمن زانها وعمر، أي عمرها بالقصور والغرف والأنهار وغير ذلك، وهو اللّه خالقها سبحانه وتعالى، لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وتعسف من قال: أي بشرهم بأنهم يدخلون الجنة، يزينونها

فإن قلت: من اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم، ولكن محبته لبعضهم تكون أكثر، هل يكون آثمًا به أم لا؟

أجاب شيخ الإسلام الولي بن العراقي: بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضًا. نعم إن أحببنا غاير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، لكنه أحب عليًا أكثر من أبي بكر مثلاً، فإن كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك، إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررنا، وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلا بلسانه، وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر، وهذا لا يجوز، وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه

ويعمرونها، (فإن قلت: من اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم، ولكن محبته لبعضهم تكون أكثر، هل يكون آثمًا به أم لا،) يأثم بذلك، لأن المحبة ليست في قدرته.

(أجاب شيخ الإسلام الولي بن العراقي) في الأجوبة المكية نحو كراسين: (بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل، ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضًا،) والنقيضان لا يجتمعان، فلا يتصور عقلاً أن نحب أحدهما من جهة الدين ولأجله، ونحب الآخر من تلك الجهة أكثر منه.

(نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه، فلا تناقض في ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لكنه أحب عليًا أكثر من أبي بكر، مثلاً فإن كانت المحبة المذكورة محبة دينية، فلا معنى لذلك، إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررنا، وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلا بلسانه، وأما بقلبه فهو مفضل لعلي، لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر، وهذا لا يجوز) لمخالفة النصوص، وقد قال عبد الرزاق: أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه، ولو لم يفضلهما ما فضلتهما، كفى بي إزراء أن أحب عليًا، ثم أخالف قوله: (وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية، لكونه

من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله أعلم. انتهى.

وقد روى الطبري في «الرياض» وعزاه للملاء في «سيرته» عن أنس مرفوعًا، إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمٰن وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج.

وأخرج الحافظ السلفي في «مشيخته» من حديث أنس مرفوعًا: حب أبي بكر واجب على أمتي.

وأخرج الأنصاري عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر، ليت أني لقيت

من ذرية علي، أو لغير ذلك من المعاني، فلا امتناع فيه والله أعلم. انتهى) جواب الولي بن العراقي.

(وقد روى الطبري) الحافظ محب الدين المكي **(في الرياض)** النضرة في فضائل العشرة، **(وعزاه للملاء)** (بفتح الميم وشد اللام) عمر الموصلي، كان يملأ من بئر بجامع الموصل احتسابًا، وكان إمامًا عظيمًا، زاهدًا، ناسكًا، وكان السلطان نور الدين الشهيد يشهد قوله، ويقبل شفاعته لجلالته **(في سيرته عن أنس، مرفوعًا: «إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمٰن وعلي، كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج»،)** فحبهم فرض عين على كل أحد كما أفاده التشبيه **(فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج)** أي لا ثواب له في فعل ذلك، وإن سقط عنه الطلب.

(وأخرج الحافظ) أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، الأصبهاني، **(السلفي)** (بكسر السين وفتح اللام وبالفاء) نسبة إلى جده أحمد لقبه سلفة، أي غليظ الشفة، كان حافظًا، ناقدًا، متقنًا، دينًا، خيرًا، أوحد زمانه في علوم الحديث، روى عنه الحفاظ، مات سنة ست وسبعين وخمسمائة **(في مشيخته)** التي سمعها من خلائق بعدة مدائن **(من حديث أنس، مرفوعًا: «حب أبي بكر واجب على أمتي»،)** ولابن عدي عن أنس، رفعه: «حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما نفاق».

وأخرج أحمد، وصححه الحاكم وغيره عن أبي عبيد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة، فقالت: أيسب رسول الله ﷺ فيكم، فقلت: سبحان الله، قالت سمعته يقول من سب عليًا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله.

(وأخرج الأنصاري عنه،) أي عن أنس رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر**

إخواني فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه، نحن إخوانك، قال: لا، أنتم أصحابي، إخواني الذين لم يروني، وصدقوا بي وأحبوني، حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده، قالوا: يا رسول اللَّه، أما نحن إخوانك؟ قال: لا، أنتم أصحابي، ألا تحب يا أبا بكر قومًا أحبوك بحبي إياك؟ قال: فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك.

ليت إني لقيت،) وفي رواية: رأيت (**إخواني**) في الحياة الدنيا، ويحتمل تمني لقائهم بعد الموت، قاله عياض، وقال غيره: لعله ﷺ أراد أن ينقل أصحابه من علم اليقين، إلى عين اليقين ويراهم هو ومن معه، (**فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه نحن إخوانك قال: لا أنتم أصحابي،**) حمل الباجي الأخوّة على الإيمان، ولا شك أن الصحبة أخص، فقال: لم ينف أخوّتهم، بل ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة واختصاصهم بها، وإنما منع أن يسموا إخوانًا، لأن التسمية والوصف على سبيل المدح يجب أن تكون بأفضل الصفات، وللصحابة بالصحبة درجة لا يلحقهم فيها أحد، فيجب أن يوصفوا بها. انتهى.

وقبله عياض، ثم النووي، وزاد: فهؤلاء أخوة صحابة، والذين لم يأتوا أخوة ليسوا صحابة، وحملها ابن عبد البر على أخوة العلم والقيام بالحق عند قلة القائمين به، المقول فيهم، وهو يخاطب أصحابه للعامل منهم أجر سبعين منكم وغير ذلك مما وصفهم به، ورأى أن هذه الأخوّة أخص من مطلق الصحبة.

قال الأبي: ولا يبعد كل من الحملين (**إخواني الذين لم يروني وصدقوا بي وأحبوني حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده،**) فإن قيل أن أريد تمني لقائهم وهو حي، فهم حينئذٍ في علم اللَّه لا وجود لهم في الخارج، والمعدوم لا يرى، أجيب بأن اللقاء كالرؤية بمعنى العلم، وهو يتعلق بالمعدوم، أو هو لقاء ورؤية تمثيل، تمني أن يمثلوا له كما مثلت له الجنة في عرض الحائط، وإن هذا من رؤية الكون، وزوى الأرض له حتى رأى مشارقها ومغاربها كرامة من اللَّه له، وإن كان المراد تمني لقائهم بعد الموت يلزم منه تمنيه، وقد قال: «لا يتمنين أحدكم الموت».

وأجيب بمنع الملزومية وإن سلمت، فالمنع لما قال لضر نزل به، قال الأبي: وهذا كله على أنه تمن حقيقي، وقد لا يكون حقيقيًا، وإنما هو تشريف لقدر أولئك الإخوان، (**قالوا: يا رسول اللَّه أما**) (بفتح الهمزة وخفة الميم استفتاح) (**نحن إخوانك،**) كأنهم سألوه بعد سؤال الصديق، وجوابه له بالتعميم زيادة في الاستثبات، ولذا أجابهم بما أجاب به، حيث (**قال: لا أنتم أصحابي ألا**) (بالفتح والتخفيف حرف استفتاح) (**تحب يا أبا بكر قومًا أحبوك بحبي إياك،**) أي بسببه، (**قال: فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك**) أمر له بذلك صريحًا بعد حثه عليه وفيه، وفي

فمحبة من أحبه الرسول عليه الصلاة والسلام كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة الرسول الله ﷺ، كما أن محبته عليه الصلاة والسلام علامة على محبة الله تعالى. وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم. فمن أحب شيئًا أحب من يحب، وأبغض من يبغض، قال تعالى: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله﴾ [المجادلة/ ٢٢] فحب آل بيته ﷺ وأصحابه وأولاده وأزواجه من الواجبات المتعينات، وبغضهم من الموبقات المهلكات.

ومن محبتهم وجوب توقيرهم، وبرهم والقيام بحقوقهم، والاقتداء بهم بأن

إثبات الأخوة لهؤلاء دليل على علو رتبتهم، وأنهم حازوا فضيلة الآخرية، كما حاز الصحابة فضيلة الأولية، وهم الغرباء المقول فيهم: بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء، والخلفاء المدعو لهم بقوله: رحم الله خلفائي والقابضون على دينهم عند الفتن، المشار إليهم بقوله: القابض على دينه كالقابض على الجمر، وهم المؤمنون بالغيب، إلى غير ذلك مما لا يعسر على الفطن استخراجه من الأحاديث، (**فمحبة من أحبه الرسول عليه الصلاة والسلام كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة الرسول ﷺ، كما أن محبته عليه الصلاة والسلام علامة على محبة الله تعالى**،) وتقدم ذلك مبسوطًا؛ (**وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم و**) بغض من (**سبهم، فمن أحب شيئًا أحب من يحب**) ذلك الشيء، فالمفعول مقدر، (**وأبغض من يغض**،) لأن هواه مع حبه.

(**قال تعالى: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون﴾**) [المجادلة: ٢٢] يصادقون (**﴿من حاد الله ورسوله**،) ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة: ٢٢]، (**فحب آل بيته ﷺ وأصحابه وأولاده، وأزواجه من الواجبات المتعينات**) على كل أحد، (**وبغضهم من الموبقات المهلكات**) وقد قال ﷺ: «حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما كفر، وحب الأنصار من الإيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب من الإيمان، وبغضهم كفر، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة».

أخرجه ابن عساكر عن جابر، بلفظه: وأبو نعيم والديلمي، عنه بلفظ: «ومن حفظني فيهم، فلا لعنه الله» ولهذا شواهد كثيرة.

(**ومن محبتهم وجوب توقيرهم**:) تعظيمهم وموالاتهم ونصرهم بكل ما يليق بهم قولاً وفعلاً، (**وبرهم**) باحسان طاعتهم وتحري محابهم، وانزال كل منهم منزلته، فقوله: (**والقيام**

يمشي على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم، والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال، وحسن الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم. فقد أثنى عليهم اللَّه تعالى في الكتاب المجيد، ومن أثنى اللَّه عليه فهو واجب الثناء، والاستغفار لهم، قالت عائشة: أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول اللَّه ﷺ فسبوهم رواه مسلم وغيره وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه.

قال سهل بن عبد اللَّه التستري: لم يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوقر أصحابه ولم يعزَّ أوامره.

ومما يجب أيضًا: الإمساك عما شجر بينهم، أي وقع بينهم من الاختلاف، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعين، القادحة

بحقوقهم والاقتداء بهم، بأن يمشي على سننهم،) أي طريقتهم **(وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال،)** لأنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، فإنهم على هدى أضاءت في مشكاتهم الأنوار النبوية؛ **(وحسن الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثنى عليهم)** مدحهم اللَّه تعالى **(في الكتاب المجيد)** في غير ما آية، **(ومن أثنى اللَّه عليه، فهو واجب الثناء والاستغفار لهم،)** أي طلب المغفرة لهم من اللَّه بنحو: رضي اللَّه عنهم.

(قالت عائشة: أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول اللَّه ﷺ) بالاستغفار، **(فسبوهم،)** فخالفوا الأمر، فوقعوا في الخبال، **(رواه مسلم وغيره، وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه)** لأنهم مغفور لهم مبشرون بالجنة كلهم، كما مر تقريره.

(قال سهل بن عبد اللَّه التستري:) (بضم الفوقية وإسكان المهملة وفتح الفوقية الثانية)، وحكي ضمها، وبالراء نسبة إلى تستر بلد بالأهواز، أو بخوزستان، صالح، زاهد، عابد، عالم، ورع، صاحب كرامات مر غير مرة، **(لم يؤمن بالرسول ﷺ)** إيمانًا كاملاً، **(من لم يوقر أصحابه)** بتعظيمهم وحبهم **(ولم يعز)** أي يبجل ويعظم **(أوامره،)** بأن لم يمتثلها واجبة أو مندوبة، **(ومما يجب أيضًا الإمساك،)** أي السكوت، يقال: أمسك عن ذكره إذا سكت، وهو مجاز صار حقيقة فيه **(عما،)** أي عن كل أمر **(شجر بينهم، أي وقع بينهم من الاختلاف،)** مأخوذ من الشجر المختلف، المتداخل أغصانه بعضها في بعض، وفي حديث: «إياكم وما شجر بين أصحابي»، **(والإضراب)** الترك والإعراض **(عن أخبار المؤرخين)** التي نقلوها، عنهم فإنها تورث تنقيص بعضهم **(وجهلة الرواة)** الذين رووا قصصًا باطلة تؤدي لسوء الظن ببعضهم

في أحد منهم، قال ﷺ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وأن يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم، ومعدود في مآثرهم، مما يطول إيراد بعضه.

وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات، فسبهم والطعن فيهم إذا كان مما يخالف الأدلة القطعية كفر، كقذف عائشة رضي الله عنها، وإلا فبدعة وفسق. قال عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس احفظوني في

(وضلال) (بضم الضاد وشد اللام جمع ضال) **(الشيعة)** الذين شايعوا، أي تابعوا عليًا رضي الله عنه، وبالغوا فيه، وقالوا: إن الخلافة له ولأولاده دون غيرهم، وافتروا أخبارًا باطلة، وهو من إضافة الصفة للموصوف، أي الشيعة الضالة، وهي صفة كاشفة معرفة لا مقيدة، فلا يتوهم أن منهم فرقة غير ضالة، أو هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه، أعني قوله: **(والمبتدعين)** فإن البدعة أقسام، والمراد ابتداع العقائد الفاسدة، كالخوارج وبعض المعتزلة، **(القادحة)** بالقاف صفة إخبار أي الذامة والمنقصة بذكر ما يؤدي إليه **(في أحد منهم)** أي الصحابة. **(قال ﷺ إذا ذكر أصحابي)** بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات، **(فأمسكوا)** وجوبًا عن الخوض في ذكرهم بما لا يليق، فإنهم خير الأمة، وهذا صدر حديث تمامه: «وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»، رواه الطبراني عن ابن مسعود وعن ثوبان، وابن عدي عن ابن عمر وسنده ضعيف، كما قال العراقي، وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدها كلها مقال، وقال غيره: إنه حسن لاعتضاده بشواهده، **(وأن يلتمس)** أي يطلب، وأصله إدراك ظاهر البشرة، فعبر به عن مطلق الطلب **(لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات)** لأنها أمور وقعت باجتهاد منهم، لا لأغراض نفسية ومصالح دنيوية، كما يظن الجهال، فهم مأجورون أصابوا أو أخطأوا، **(ويخرج)** (بضم أوله مجهول) **(لهم أصوب المخارج)** بأن يحمل على أمر يخرجه عن عده عيبًا إلى إلحاقه بالمحاسن، **(إذ هم أهل ذلك)** أي مستحقون لحمل ما صدر منهم على أمور حسنة محمودة، **(كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود في مآثرهم مما يطول إيراد بعضه، وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات)** وهو أن كلا أداه اجتهاده إلى أن الحق ما فعله فتعين عليه، وإن كان أخطأ كمعاوية مع علي، فإنه مصيب باتفاق أهل الحق، ومعاوية مأجور وإن أخطأ، **(فسبهم والطعن فيهم إذا كان مما يخالف الأدلة القطعية كفر، كقذف عائشة رضي الله عنها)** بما برأها الله منه في القرءان **(وإلا فبدعة وفسق.)** .

قال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل، وخص ذلك بعض

أختاني وأصهاري وأصحابي، لا يطالبنكم اللّه بمظلمة أحد منهم، فإنها ليست مما يوهب. رواه الخِلَعي.

وقال عليه الصلاة والسلام: اللّه اللّه في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه، ومن آذى اللّه فيوشك أن يأخذه. رواه المخلص الذهبي.

الشافعية بالخلفاء الأربعة، وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك عنه، لما تضمنه من تكذيبه ﷺ.

(قال عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس احفظوني في أختاني:) جمع ختن (بفتحتين) كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ، وعند العامة ختن الرجل زوج بنته، وكل شيء من قبل الزوج حمو، فالمراد من بينه وبينه علاقة بسبب تزويجه، أو التزوج منه، **(وأصهاري:)** جمع صهر.

قال الجوهري: أهل المرأة عند الخليل، قال: ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعًا. **(وأصحابي)** تعميم بعد تخصيص لإفادة التعميم في الأمر بالتنصيص. **(لا يطالبنكم اللّه)** معاشر الناس أجمعين **(بمظلمة)** (بفتح اللام وكسرها) وهو أكثر وأشهر **(أحد منهم،)** أي المذكورين، وهي ما تؤخذ ظلمًا وجورًا، فيطالب به ويشكي ممن أخذه، **(فإنها ليست مما يوهب،)** لأنها حق العباد.

وفي الحديث: «ذنب لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر، فأما الذي لا يغفر فالشرك باللّه، وأما الذي يغفر فذنب العبد بينه وبين اللّه، وأما الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضًا»، رواه الطبراني في الكبير والصغير عن سلمان.

وفي الأوسط عن أبي هريرة، كلاهما مرفوعًا، وهذا ونحوه معناه الوعيد الشديد، فلا ينافي قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨]، وتعسف من قال: إنه في حق الصحابة باب من أبواب الشرك، لأن مبغضهم مبغض للّه ورسوله، لأن اللّه فضلهم وأثنى عليهم، وجعلهم وزراء رسوله وأنصار دينه، وبغض من هذه صفته بغض لمن هو معه، وهو بغض لمن أرسله، فلا يوهب، واللّه لا يغفر أن يشرك به، **(رواه الخلعي)** (بكسر الخاء المعجمة وفتح اللام) أبو الحسن علي بن الحسين الموصلي نسبة إلى بيع الخلع، لأنه كان يبيعها لملوك مصر، وولد بها في محرم سنة خمس وأربعمائة، وكان فقيهًا، شافعيًا، صالحًا، له كرامات وتصانيف وروايات متسعة، ولي قضاء مصر يومًا واحدًا، ثم استعفى واختفى بالقرافة، ومات بمصر في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وهذا بعض أخرجه الطبراني وابن منده، وأورده في الشفاء

وهذا الحديث ـ كما قال بعضهم ـ خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم، والترهيب عن بغضهم، وفيه إشارة إلى أن حبهم من

عن خالد بن سعيد بن العاصي أن النبي ﷺ لما قدم من حجة الوداع صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني راض عن أبي بكر، فاعرفوا له ذلك، أيها الناس إني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، فاعرفوا ذلك لهم، أيها الناس إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية، أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني، لا يطلبنكم أحد منهم بمظلمة، فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدًا.

(**وقال عليه الصلاة والسلام: الله الله**) (بالنصب على التحذير بعامل يجب حذفه)، قال الطيبي: أي اتقوا الله، ثم اتقوا الله (**في**) حق (**أصحابي**،) لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم، أو التقدير أذكركم الله في حق أصحابي وتعظيمهم. انتهى.

وكرره للتأكيد والحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص، (**لا تتخذوهم غرضًا**:) (بمعجمتين) هدفًا ترمونهم بقبيح الكلام، كما يرمى الهدف بالسهام (**بعدي**،) أي بعد وفاتي، والظرف متعلق بالفعل، لا صفة غرضًا، والخطاب لمن بعده، (**فمن أحبهم**) وصان أعراضهم (**فقد أحبني**) .

لفظ الترمذي: فبحبي أحبهم، أي فبسبب حبه إياي أو حبي إياهم، أي إنما أحبهم لحبه إياي، أو لحبي إياهم، (**ومن أبغضهم فقد أبغضني**) .

لفظ الترمذي: فببغضي أبغضهم، أي فبسبب بغضه إياي، (**ومن آذاهم**) بما يسوءهم (**فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**،) وذلك لا يضره، يا عبادي إنكم إن تبلغوا ضري فتضروني، فإنما آذى نفسه، كما قال: (**ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**) يهلكه ويستأصله بعذابه، ويأخذه أخذ عزيز مقتدر، (**رواه المخلص**) (بشد اللام المكسورة) **أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن** (**الذهبي**،) وأبعد المصنف النجعة، فقد رواه الترمذي في المناقب من حديث عبد الله بن مغفل، وفيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف في الحفظ، وفي الميزان في الحديث اضطراب، (**وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم**،) ووجه الوصية نحو البعدية، وخص الوعيد بها لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعض أصحابه زعمًا من المؤذي حب بعض آخر منهم، وهذا من باهر آياته، وقد كان حريصًا على حفظهم والشفقة عليهم في حياته.

روى البيهقي عن ابن مسعود، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ألا لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر»، (**وفيه إشارة**

الإيمان، وبغضهم كفر، لأنه إذا كان بغضهم بغضًا له كان كفرًا بلا نزاع، للحديث السابق: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه.

وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه، حتى كان أذاهم واقع عليه وواصل إليه ﷺ. و«الغرض»: الهدف الذي يرمى فيه.

فهو نهي عن رميهم مؤكدًا ذلك بتحذيرهم الله منه، وما ذاك إلا لشدة الحرمة.

وروي مرفوعًا: من سب أحدًا من أصحابي فاجلدوه. أخرجه تمام في فوائده.

وقال ملك بن أنس وغيره ـ فيما ذكره القاضي عياض ـ من أبغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق. قال: ونزع بآية الحشر ﴿والذين جاؤا من بعدهم﴾ الآية.

إلى أن حبهم من الإيمان،) لأنه يحب الله ورسوله، وذلك أصل الإيمان، **(وبغضهم كفر، لأنه إذا كان بغضهم بغضًا له)**، أي سببه بغضه له **(كان كفرًا بلا نزاع للحديث السابق: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه،)** أما إذا لم يكن سببه ذلك، فلا يكون كفرًا، **(وهذا)** الحديث **(يدل على كمال قربهم منه، بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان أذاهم واقع عليه وواصل إليه،)** بقوله: ومن آذاهم فقد آذاني (ﷺ، **والغرض)** كما قال الجوهري وغيره: **(الهدف الذي يرمى فيه)** بالسهام، وهذا في الحسي، وما هنا معنوي، **(فهو نهي عن رميهم)** بقبيح الكلام، وإسناد أمور قبيحة لهم، **(مؤكدًا ذلك بتحذيرهم الله،)** أي عقوبته **(منه،)** أي من أجل رمي أصحابه، لأن نصب الله على التحذير بعامل واجب الحذف لقيام التكرير مقامه، ولولاه حسن إظهاره، قاله ابن ملك، وقيل: يجوز إظهاره مع قبحه: **(«وما ذاك إلا لشدة الحرمة،)** لأنه تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح، **(وروي مرفوعًا: «من سب أحدًا من أصحابي فاجلدوه»،)** تعزيرًا ولا يقتل خلافًا لبعض المالكية والشافعية.

(أخرجه تمام في فوائده) الحديثية، وأخرجه الطبراني في الثلاثة عن علي مرفوعًا: «من سب الأنبياء قتل، ومن سب أصحابي جلد».

قال في اللسان: رواته كلهم ثقات إلا عبيد الله بن محمد العمري، شيخ الطبراني، فله مناكير، منها هذا الحديث.

(وقال ملك بن أنس) الإمام، **(وغيره فيما ذكره القاضي عياض)** في الشفاء: **(من أبغض الصحابة)** وسبهم، كما في الشفاء، فسقط من قلم المصنف، **(فليس له في فيء المسلمين حق،)** عقوبة له على بغضه، والفيء ما نيل من الكفار بعدما تضع الحرب أوزارها، ويطلق على

المقصد الثّامن
في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات
وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات

ما يشمل الغنيمة، ولذا قيل: إنهما كالفقير والمسكين إذا افترقا، اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، فيعاقب المبغض بمنع نصيبه من غنيمة أو فيء.

وقال التلمساني: أراد لملك بذلك أنه قد خرج عن المسلمين، أي لأن الفيء إنما يكون للمسلمين.

(قال) عياض: (ونزع) (بنون وزاي منقوطة وعين مهملة)، أي استدل واحتج لملك (بآية، الحشر: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾) [الحشر: ١٠] ووجه الاستدلال أنه جعل ما أفاء الله على رسوله حقًا للمهاجرين والأنصار، والذين جاؤوا من بعدهم مقيدًا، بقوله: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾، فالجملة حال، أي القائلين ذلك، فهو شرط في استحقاقهم الفيء، فمن أبغضهم وسبهم لا حق له فيه، ولله الحمد والمنة، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ونسألك إتمام النعمة بالإتمام، وأفضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام.

(المقصد الثامن)

(في طبه ﷺ) (بكسر الطاء اسم مصدر من طبه طبًا بالفتح) إذا داواه، والمراد بيان أنه كان يصف ما يتداوى به من الأمراض البدنية والقلبية (لذوي الأمراض) (بفتح الهمزة جمع مرض بالفتح).

قال البيضاوي: هو حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال الخاص به، ويوجب الخلل في أفعاله، ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها، كالجهل وسوء العقيدة، والحسد والضغينة، وحب المعاصي، لأنها مانعة من نيل الفضائل، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية، زاد في نسخة: والأعراض: (بفتح الهمزة) ما ينشأ عن المرض من الآلام والأورام، وأكثر النسخ بحذفها، وهو المطابق لما مر في الديباجة، فمراده بالمرض ما يشمل ما نشأ عنه، (والعاهات،) أي الآفات: جمع عاهة في تقدير فعله (بفتح العين) (وتعبيره،) أي تفسيره (الرؤيا) مصدر عبر بالتشديد للمبالغة، وأنكرها الأكثرون وقالوا: المسموع التخفيف، كقوله تعالى: تعبرون، لكن أثبتها الزمخشري اعتمادًا على بيت أنشده المبرد:

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا

اعلم أنه لا سبيل لأحد إلى الإحاطة بنقطة من بحار معارفه، أو قطرة مما أفاضه الله عليه من سحائب عوارفه، وأنت إذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم، وخصه به من بدائع الحكم، وحسن سيره، وحكم حديثه، وإنبائه بأنباء القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى مع الخضر، ويوسف مع إخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، وأشباه ذلك، وبدء الخلق، وأخبار الدار الآخرة، وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وإظهار أحوال الأنبياء وأممهم، وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم، وإعلامه بمكتوم وإعلامه شرائعهم، ومضمنات كتبهم وغير

وتبعه في القاموس، (**وإنبائه بالأنباء**) أي إخباره بالأخبار (**المغيبات:**) الأمور التي ستقع قبل وقوعها بإلهام أو وحي، (**اعلم أنه لا سبيل،**) لا طريق (**لأحد**) توصله (**إلى الإحاطة بنقطة من بحار معارفه،**) أي إلى حقيقة شيء من معارفه التي هي كالبحار، لأنه إنما يحيط من الأشياء بالظواهر، ولا يصل عقل إلى حقيقة البواطن وإضافة البحار إلى المعارف من إضافة المشبه به للمشبه، (**أو قطرة مما أفاضه الله عليه من سحائب عوارفه،**) إذ لا طريق إلى شيء من الحقائق التي أوتيها، فالمراد منه، كالمراد مما قبله، (**وأنت إذا تأملت ما منحه الله تعالى به،**) أي أعطاه وضمنه معنى خص، فعداه بالباء (**من جوامع الكلم،**) أي الكلم الجوامع للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، كما قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»، واختصر لي الكلام اختصارًا، (**وخصه به من بدائع الحكم**) التي لم يسبق بها، (**وحسن سيره:**) جمع سيرة، (**وحكم حديثه وإنبائه بأنباء**) إخباره بأخبار (**القرون السالفة**) الأمم الماضية التي لم يصل علمها إلينا إلا منه ﷺ، وهو بهذا المعنى يخالف المغيبات بتفسيره المتقدم، فهما متغايران (**والأمم البائدة،**) أي الهالكة (**والشرائع الدائرة،**) أي التي نسيت وترك العمل بها، حتى كأنها محيت، بحيث لم يبق لها أثر، (**كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى**) الكليم بن عمران (**مع الخضر،**) المختلف في نبوته، وصحح جمع نبوته (**ويوسف**) نبي الله (**مع إخوته،**) وليسوا بأنبياء على الصحيح، (**وأصحاب الكهف:**) الغار في الجبل، مر لي الإلمام بشيء من قصتهم في المقصد الأول، (**وذي القرنين**) اسمه الصعب، والأصح أنه كان رجلاً صالحًا لا نبيًا، كما قيل، وهو الأكبر، وذو القرنين الأصغر اسمه الإسكندر كافر، والحق أن الذي في القرءان هو الأول، وإليه أشار البخاري بذكره قبل إبراهيم ومر بسط ذلك في الأول (**وأشباه ذلك، وبدء الخلق وأخبار الدار الآخرة وما في التوراة:**) كتاب موسى (**والإنجيل:**) كتاب عيسى، (**والزبور:**) كتاب داود، (**وصحف إبراهيم**) العشرة، (**و**) صحف (**موسى**) غير التوراة، (**وإظهار أحوال الأنبياء وأممهم، وأسرار علومهم ومستودعات:**)

ذلك مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك فضلاً عما أضافه من العلم ومحاسن الآداب والشيم، والمواعظ والحكم، والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين الأدلة الواضحات، إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة، وإشاراته حجة، كاللغة والمعاني والبيان والعربية، وقوانين الأحكام الشرعية، والسياسات العقلية،

محفوظات (**سيرهم، وإعلامه بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم، وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها**) من أخبارهم، (**ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها،**) لحقيتها وثبوتها عندهم، (**بل أذعنوا**) أي انقادوا (**لذلك**) ولم يستعصوا، (**فضلاً:**) زيادة (**عما أضافه من العلم،**) وانتصابه على المصدر.

قال أبو حيان: لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب (**ومحاسن الأدب**) رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

قال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وقال نحوه الأزهري: فالأدب اسم لذلك، والجمع آداب، كسبب وأسباب، (**والشيم**) (بكسر المعجمة وفتح الياء) جمع شيمة، كسدرة وسدر الطبيعة التي خلق عليها الإنسان (**والمواعظ،**) أي أمور الترغيب والترهيب، (**والحكم:**) جمع حكمة، أي جوامع الكلم المحكمة، المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة، (**والتنبيه على طرق الحجج العقليات،**) أي الإرشاد إلى نصب الأدلة العقلية، وكيفية إلزام الخصم بها، نحو: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، قل: يحييها الذي أنشأها أول مرة، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، (**والرد على فرق الأمم**) الضالة من عباد الكواكب وغيرهم (**ببراهين الأدلة الواضحات،**) الظاهرات لسهولة ألفاظها، بحيث يفهمها كل من يسمعها، ويحفظها لقلتها، مع دلالتها على معانيها المبهمة الكثيرة، فليس فيها اختصار مخل، ولا عبارة مغلقة (**إلى فنون،**) أي أنواع (**العلوم،**) متعلق بقوله، أو لا إضافة (**التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة**) (مثلثة القاف)، (و) اتخذوا (**إشاراته حجة**) على ما يستنبطونه منها، (**كاللغة والمعاني والبيان والعربية**) (من عطف الكل على بعض أجزائه أو العام على الخاص)، فإنهم قسموه إلى اثني عشر قسمًا: لغة وصرف واشتقاق ونحو ومعان وبيان وعروض وقافية وخط وقرض الشعر وإنشاء الرسائل والخطب والمحاضرات، ومنه التواريخ.

قال السيوطي: والمراد بالمحاضرات ما تحاضر به صاحبك من نظم أو نثر أو حديث أو نادرة أو مثل سائر، وأما البديع، فجعلوه ذيلاً لا قسمًا برأسه، وقد يطلق علم العربية، ويراد به

ومعارف عوارف الحقائق القلبية، إلى غير ذلك من ضروب العلوم، وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته، كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد... قضيتَ بأن مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد، تنقطع دون نفاده الأدلاء، وأن بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء.

وهذا المقصد ـ أعزك الله ـ يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات

اعلم أنه ﷺ كان يعود من مرض أصحابه، حتى لقد عاد غلامًا

النحو فقط، (وقوانين الأحكام الشرعية،) أي قواعدها التي يستخرج منها أحكام جزئيات موضوعاتها (والسياسات العقلية،) أي الآداب والتدبيرات المستفادة من العقل، (**ومعارف عوارف الحقائق القلبية**) هي عشر مقامات، ينزلها السائرون إلى الله تعالى، سميت حقائق لأن المنازل منازل تحقيق، من جهة أن السائرين فيها، إلى الله عند نزولهم فيها وتحققهم بها يظهر لهم حقيقة كل شيء وسره عند إتمامها، فتظهر لهم الحقائق كما هي عليه في حضرة العلم، بلا تغيير ولا تبديل، وأول هذه المقامات العشرة المكاشفة، ثم المشاهدة، ثم المعاينة، ثم الحياة، ثم القبض، ثم البسط، ثم السكر، ثم الصحو، ثم الاتصال، ثم الانفصال، قاله في لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، (**إلى غير ذلك من ضروب العلوم،**) أي أصنافها، (**وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته، كالطب والعبارة**) (بكسر العين مصدر عبر الرؤيا مخففًا فسرها) (**والحساب، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد،**) لعدم إمكان واحد منهما، (**قضيت**) جواب قوله أولاً، وأنت إذا تأملت، أي حكمت، (**بأن مجال**) (بجيم)، أي ميدان (**هذا الباب،**) أي امتداد الفكر (**في حقه عليه الصلاة والسلام**) ممتد متسع جدًا، (**تنقطع دون نفاده**) (بدال مهملة)، أي، فراغه (**الأدلاء:**) جمع دليل، وهو ما يفيد المعنى ويحصله، (**وأن بحر علمه ومعارفه زاخر**) (بزاي وخاء معجمتين)، أي ممتلىء طافح (**لا تكدره الدلاء:**) جمع دلو، (**وهذا المقصد أعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول:**) الطب والتعبير والإنباء بالمغيبات.

(الفصل الأول)

(**في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات: اعلم**) قبل الشروع في المقصود، (**أنه ﷺ كان يعود من مرض أصحابه**) العظيم منهم وغيره، والمراد بالأصحاب هنا مطلق الاجتماع ولو كفارًا، لئلا يخرج من عادهم وهم كفار، كأبي طالب وابن أبي المنافق والغلام، فإنه كان حين

كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول وكان يهوديًا، كما روى البخاري وأبو داود من حديث أنس: أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فعاده النبي ﷺ فقعد عند رأسه، فقال: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القٰسم فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار.

عيادته يهوديًا، كما أفاده بقوله: **(حتى لقد عاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه)** أبا طالب، **(وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول وكان يهوديًا)** ولم يسلم الثاني، والله يهدي من يشاء، **(كما روى البخاري)** في الجنائز والجهاد والطب، **(وأبو داود،)** وكذا النسائي **(من حديث أنس)** بن مالك **(أن غلامًا من اليهود)** .

قال الحافظ: لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب العتبية حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس، وهو غريب ما وجدته عند غيره، ووقع للمصنف في الطب أن اسمه عبدوس، وهو تصحيف، **(كان يخدم النبي ﷺ، فمرض، فعاده النبي ﷺ، فقعد عند رأسه، فقال: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده)** لفظ البخاري، وفي رواية أبي داود: عند رأسه أخرجه عن سليمٰن بن حرب شيخ البخاري فيه، وكذا للإسمٰعيلي عن أبي خليفة عن سليمان **(فقال أطع أبا القٰسم)** لتحققه صدقه وإن كان يهوديًا، **(فأسلم)** في رواية النسائي عن إسحٰق بن راهويه عن سليمٰن المذكور، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، **(فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار،)** في رواية أبي داود وأبي خليفة: أنقذه بي من النار، وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته، إذ مرض، وفيه حسن العهد، وفيه استخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله: أنقذه بي من النار دلالة على صحة إسلامه، وعلى أن الصبي إذ عقل الكفر ومات عليه؛ أنه يعذب. انتهى.

ووجه صحة إسلام الصبي ظاهر من عرضه عليه، كما قال، ولأن الغلام الابن الصغير وإطلاقه على الرجل مجاز، كما في المصباح وغيره، ولا يرده قول القاموس الغلام الطار الشارب، والكهل ضد أو من حين يولد إلى أن يشب لما علم من استعماله المجازات كثيرًا، وتجويز أن المراد بالغلام الصغير لا بقيد كونه صبيًا، وقد يشعر به قوله: أنقذه من النار ممنوع، فالأصل الحقيقة، وقد فهمها منه البخاري، فترجم عليه في الجنائز باب: إذا أسلم الصبي، فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، وترجم في الجهاد باب، كيف يعرض الإسلام على الصبي؟ نعم دلالته على أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب، لعله كان قبل أن

وكان ﷺ يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله ويقول: كيف تجدك؟

وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود، قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر، وهما ماشيان، فواجداني أغمي علي، فتوضأ النبي ﷺ ثم صب وضوأه علي فأفقت، فإذا النبي ﷺ، وعند أبي داود: فنفخ في وجهي فأفقت. وفيه: أنه ﷺ قال: يا جابر لا أراك ميتًا من وجعك هذا.

وفي حديث أبي موسى عند البخاري مرفوعًا: أطعموا الجائع، وعودوا المرضى، وفكوا العاني.

يعلم ﷺ بأنه لا يعذب، وأنه في الجنة، كما هو الأصح من عشرة أقوال، (**وكان ﷺ يدنو:**) يقرب (**من المريض ويجلس عند رأسه**) تواضعًا وشفقة على خلق الله، (**ويسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك،**) أي كيف تجد نفسك على أي حالة.

(**وفي حديث جابر**) بن عبد الله الأنصاري (**عند البخاري**) في التفسير والطب والفرائض، (**ومسلم والترمذي وأبي داود، قال: مرضت، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر**) الصديق عام حجة الوداع، (**وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي،**) وفي رواية: لا أعقل شيئًا، (**فتوضأ النبي ﷺ**) الوضوء الشرعي، (**ثم صب وضوأه**)، أي الماء الذي توضأ به (**علي، فأفقت**) من ذلك الإغماء، (**فإذا النبي ﷺ**) موجود عندي، وبقية الحديث، فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟، فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث.

(**وعند أبي داود: فنفخ في وجهي فأفقت، وفيه أنه ﷺ قال: يا جابر لا أراك ميتًا من وجعك هذا،**) وفيه علم من أعلام النبوة، فإنه مات بالمدينة بعد سنة سبعين من الهجرة، عن أربع وتسعين سنة، وفيه أن وضوء العائد للمريض إذا كان إمامًا في الخير يتبرك به، وإن صبه ماء وضوئه يرجى نفعه، وقيل: كان مرض جابر الحمى المأمور بإبرادها بالماء، وصفة ذلك أن يتوضأ الرجل المرجو خيره وبركته ويصب فضل وضوئه عليه، قاله ابن بطال وغيره؛ وظاهر السياق وقوع الإغماء حال مجيئهما، وقيل: دخولهما عليه، ولا تتوقف مشروعية العيادة على علم المريض بالعائد، لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله، وما يرجى من بركة دعاء العائد ووضع يده على المريض، والمسح على جسده والنفث عليه عند التعويذ.

(**وفي حديث أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري، (**عند البخاري**) في الطب، (**مرفوعًا:**) اختصار لقوله: قال رسول الله ﷺ (**أطعموا الجائع، وعودوا المرضى، وفكوا العاني**) (بعين مهملة ونون مكسورة خفيفة، أي خلصوا الأسير بالفداء) وجمع المرضى لكثرة

وعنده من رواية البراء: أمرنا ﷺ بسبع، وذكر منها عيادة المريض.

وعند مسلم: خمس تجب للمسلم على المسلم، فذكرها منها.

قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب، يعني الكفاية، كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون على الندب على التواصل والألفة.

وعند الطبري: يتأكد في حق من ترجى بركته، ويسن في من يراعى حاله، ويباح فيما عدا ذلك.

أنواع المرض واختلافها وأفراد الجائع والعاني، لأن كلاً منهما صفة واحدة وإن كثرت أفرادهما، **(وعنده)** أي البخاري، وكذا عند مسلم **(من رواية البراء)** بن عازب: **(أمرنا)** رسول الله **(ﷺ بسبع، وذكر منها عيادة المريض)**، أي زيارته، ولفظه: أمرنا بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام وإجابة الداعي وإبرار القسم ونصر المظلوم، ونهانا عن خواتم الذهب وعن الحرير والاستبرق والديباج والميثرة الحمراء والقسي وآنية الفضة والميثرة (بكسر الميم وسكون التحتية وفتح المثلثة بلا همز)، وقال النووي: بالهمز، وهي وطاء كانت النساء تصنعه لأزواجهن في السروج، يكون من الحرير والديباج وغيرهما، والنهي واقع على ما هو من الحرير والقسي (بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة) ثياب تنسب إلى القس بساحل بحر مصر، وفي أبي داود؛ أنها ثياب من الشام، أو من مصر مصبغة فيها أمثال الأترج.

(وعند مسلم) في كتاب الأدب من صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **(خمس تجب للمسلم على المسلم،)** أي تطلب طلبًا مؤكدًا يقرب من الواجب، **(فذكرها منها،)** ولفظه خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم: رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز، وله وجه آخر حق المسلم على المسلم ست، فذكر الخمسة، وزاد: وإذا استنصحك فانصح له، وليس المراد الحصر، ففي حديث آخر: للمسلم على المسلم ثلاثون حقًا.

(قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر) في قوله: وعودوا المرضى محمولاً **(على الوجوب، يعني:)** وجوب **(الكفاية، كإطعام الجائع وفك الأسير،)** المذكورين معه، **(ويحتمل أن يكون)** محمولاً **(على الندب)** حثًا **(على التواصل والألفة)** (بضم الهمزة) الأنس والمحبة والاجتماع، **(وعن الطبري: يتأكد)** فعل العيادة، أو هو بفوقيتين، فلا يقدر فعل **(في حق من ترجى بركته،)** لينال منها المريض، **(ويسن في)** حق **(من يراعي حاله،)** أي المريض، بتعهده فيما يحتاج إليه، كشراء دواء وتهيئة حاجته منه، **(ويباح فيما عدا ذلك،)** المذكور من الحالين،

وهو فرض كفاية عند الحنفية، كما قال أبو الليث في «مقدمته».

واستدل بعموم قوله: «عودوا المرضى» على مشروعية العيادة في كل مرض، لكن استثنى بعضهم: الأرمد، وردَّ: بأنه قد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم، قال: عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني، رواه أبو داود وصححه الحاكم.

وأما ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعًا: ثلاثة ليس لهم عيادة، الرمد والدمل والضرس، فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى ابن أبي كثير.

ويؤخذ من إطلاقه أيضًا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه. وهو قول

وقد تجب، كأن علم به ضررًا يزول بعيادته، وتحرم إن أدت إلى ضر يلحقه، كتضرره بدخوله عليه، أو رؤية محارمه، وتكره إن ترتب على دخوله أمر يكرهه المريض، (**وهو فرض كفاية عند الحنفية، كما قال أبو الليث**) أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسمٰعيل النسفي، الفقيه، الواعظ، مات سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (**في مقدمته**) المشهورة، (**واستدل بعموم قوله: عودوا المرضى على مشروعية العيادة في كل مرض، لكن استثنى بعضهم الأرمد،**) أي وجع العين، (**ورد بأنه قد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم**) بن زيد الأنصاري، الخزرجي، مات سنة ست أو ثمان وستين، (**قال: عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني**) (بشد الياء على التثنية)، قاله ابن رسلان، (**رواه أبو داود**) سليمٰن بن الأشعث، (**وصححه الحاكم**) محمد بن عبد الله النيسابوري.

(**وأما ما أخرجه البيهقي**) في الشعب، (**والطبراني**) في الأوسط، وابن عدي من حديث مسلمة بن علي الخشني، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي جعفر، عن أبي هريرة، (**مرفوعًا: ثلاثة ليس لهم عيادة،**) أي لا تندب عيادتهم، لا إنها لا تجوز في رواية ثلاث: لا يعاد صاحبهن (**الرمد،**) أي وجع العين، (**والدمل:**) (بضم الدال وفتح الميم مثقلة ومخففة) الخراج الصغير، وإن تعدد، (**والضرس،**) أي الذي به وجع الضرس وغيره من الأسنان، وفي رواية: وصاحب الضرس وصاحب الدمل، (**فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى ابن أبي كثير،**) لأنه أخرجه من طريق هقل، عن الأوزاعي، عن يحيى ابن أبي كثير، وجعله من قوله لم يجاوزه، قال: أعني البيهقي، وهو الصحيح، فقد قال زيد بن أرقم: رمدت، فعادني النبي ﷺ، فإن ثبت النهي أمكن أن يقال: إنها لكونها من الآلام التي لا ينقطع صاحبها غالبًا بسببها، وقال الحافظ: تصحيحه وقفه لا يوجب الحكم بوضعه، إذ مسلمة، وإن كان ضعيفًا لم يخرج بكذب، فجزم ابن الجوزي بوضعه، وهم، (**ويؤخذ من إطلاقه،**) أي قوله: عودوا المرضى

الجمهور، وجزم الغزالي في «الأحياء»: بأنه لا يعاد إلا بعد ليال ثلاث، واستند إلى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس: كان النبي ﷺ لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث. وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي، وهو متروك، قال أبو حاتم هو حديث باطل.

(**أيضًا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه، وهو قول الجمهور**) من العلماء، زاد الحافظ: وإنها لا تتقيد بوقت دون وقت، لكن جرت العادة بها طرفي النهار، (**وجزم الغزالي في الإحياء، بأنه لا يعاد إلا بعد ليال ثلاث، واستند إلى حديث أخرجه ابن ماجه**) في الجنائز من سننه، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، والبيهقي في الشعب، كلهم من حديث مسلمة بن علي، قال: حدثنا ابن جريج عن حميد الطويل، (**عن أنس: كان النبي ﷺ لا يعود مريضًا إلا بعد ثلاث**) من الأيام تمضي من ابتداء مرضه، قيل: ومثل العيادة تعهده وتفقد أحواله، قال الزركشي: وهذا يعارضه أنه عاد زيد بن أرقم في رمده قبلها. انتهى.

ويمكن أن ذلك أغلب أحواله، فلا معارضة إن صح الخبر، (**و**) لكن (**هذا حديث ضعيف**) جدًا، (**تفرد به مسلمة**) بفتح الميمين (**ابن علي**) بضم العين مصغرًا، وكان يكره تصغير اسمه، وإنما صغر في أيام بني أمية مراغمة من الجهلة، كما في التبصير، وهو الخشني (بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين)، الدمشقي، مات قبل سنة تسعين ومائة، (**وهو متروك،**) أي تركوا الرواية عنه لضعفه، وما روي له إلا ابن ماجه.

(**قال أبو حاتم: هو حديث باطل**) موضوع، ونقله الذهبي في الميزان وأقره، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وتعقبوا بأنه ضعيف فقط لا موضوع؛ فإن مسلمة لم يجرح بكذب، كما قاله الحافظ، فلا التفات لمن غر بزخرف القول، فقال: هو موضوع، كما قال الذهبي وغيره، لكنه إذا راج على البيهقي وابن ماجه، فلا ملام على من راج عليه بعدهما، فهذا كلام فارغ لا يتمشى على القواعد، فإن المدار على الإسناد، فإن تفرد به كذاب أو وضاع، فحديثه موضوع، وإن كان ضعيفًا فالحديث ضعيف فقط، ودعوى رواجه غير مسموعة، لأن دأب المحدثين إذا أبرزوا الحديث بسنده، فقد برؤوا من عهدته، على أن مسلمة لم يتفرد به، كما زعم المصنف، فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده من حديث عباد بن كثير، عن ثابت عن أنس، قال: كان النبي ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبًا عاله، وإن كان شاهدًا ازاره، وإن كان مريضًا عاده، وعباد ضعيف.

وأخرج الديلمي من حديث أبي عصمة عن عبد الرحمٰن بن الحٰرث، عن أبيه، عن أنس، رفعه: «المريض لا يعاد حتى يمرض ثلاثة أيام»، وأبو عصمة ضعيف، فقد تابع عباد مسلمة في شيخ شيخه حميد، في روايته عن أنس، وتابعه أيضًا الحٰرث في روايته عن أنس، فأين التفرد وله

ولا نطيل بإيراد ما ورد في فضل العبادة خوف الملل، ويكفي حديث أبي هريرة، مما حسنه الترمذي مرفوعًا: من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً، وهذا لفظ ابن ماجه.

وفي سنن أبي داود عن أنس مرفوعًا: من توضأ فأحسن الوضوء، وعاد أخاه المسلم محتسبًا، بُوعِدَ من جهنم مسيرة سبعين خريفًا.

وفي حديث أبي سعيد عن ابن حبان في صحيحه مرفوعًا: خمس من

شاهد من طريق آخر، رواه الطبراني في الأوسط من طريق نصر بن حماد، وأبو الحرث الوراق عن روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث، ونصر ضعيف.

قال ابن عدي: ومع ذلك، فيكتب حديثه، قال السخاوي: وهذه الطرق يتقوى بعضها ببعض، ولذا أخذ بمضمونها جماعة، فقال النعمان بن أبي عياش الزرقي، أحد التابعين الفضلاء، من أبناء الصحابة، فيما أخرجه في الشعب، وابن أبي الدنيا: عيادة المريض بعد ثلاث.

وقال الأعمش عند البيهقي: كنا نقعد في المجلس، فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه، فإن كان مريضًا عدناه، وهذا يشعر باتفاقهم على هذا، وليس في صريح الأحاديث ما يخالفه، وما رواه الطبراني، عن ابن عباس: عيادة المريض أول يوم سنة، فما كان بعد ذلك فتطوع، ورواه البزار بلفظ، وما زاد بعد ذلك فنافلة، فيحتمل أن مزاده أول مرة؛ وقوله سنة يريد سنة النبي ﷺ على الصحيح، (ولا نطيل بإيراد ما ورد في فضل العبادة خوف الملل، ويكفي حديث **أبي هريرة)** عند الترمذي وابن ماجه، **(مما حسنه الترمذي مرفوعًا،)** أي قال: قال ﷺ: **(من عاد مريضًا،)** زاد في رواية الترمذي: أو زار أخًا له في الله، **(ناداه مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك وتبوّأت،)** أي سكنت **(من الجنة منزلاً)** نسب السكنى إليه مبالغة، لأنه جزاء لفعله، **(وهذا لفظ ابن ماجه،)** وكذا هو لفظ الترمذي، لكن بالزيادة بالمذكورة، ورواه ابن حبان بلفظ: أن النبي ﷺ قال: إذا عاد الرجل أخاه، أو زاره، قال الله: طبت وطاب ممشاك، وتبوّأت منزلاً في الجنة.

(وفي سنن أبي داود عن أنس، مرفوعًا: من توضأ فأحسن الوضوء،) بفعل سننه وفضائله وتجنب مكروهاته، **(وعاد أخاه المسلم محتسبًا)** أجره على الله، **(بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفًا،)** أي عامًا، ويحتمل أن المراد التكثير.

(وفي حديث أبي سعيد) سعد بن ملك الخدري، **(عن ابن حبان في صحيحه،)** برجال

علمهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا، وشهد جنازة وصام يومًا، وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة.

وعند أحمد عن كعب مرفوعًا: من عاد مريضًا، خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها. زاد الطبراني: وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج.

ولم يكن ﷺ يخص يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات، وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة، ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه، فخاف على استحلال سبته، ومن سفك دمه، فقال: له إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت، فتركه

ثقات، **(مرفوعًا: خمس)** من الخصال **(من علمهن في يوم،)** أي يوم جمعة، **(كتبه الله،)** أي قدر أوامر الملائكة أن تكتب له أنه **(من أهل الجنة،)** وهذا علامة على حسن الخاتمة، وبشرى له بذلك: **(من عاد مريضًا،)** أي زاره في مرضه، ولو أجنبيًا، **(وشهد جنازة،)** أي حضرها وصلى عليها، **(وصام يومًا،)** وفي رواية أبي يعلى: وصام يوم الجمعة، أي تطوعًا، **(وراح إلى الجمعة)** إلى محل صلاتها، **(وأعتق رقبة،)** أي خلصها من الرق لوجه الله، وظاهره أنه لا يكتب له ذلك إلا بفعل الخمس في يوم واحد يكون يوم جمعة، أي جمعة كانت، وعند أحمد عن معاذ مرفوعًا: خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنًا على الله، من عاد مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته وسلم الناس، منه وسلم من الناس.

(وعند أحمد عن كعب) بن لملك، **(مرفوعًا)** عن النبي ﷺ: **(من عاد مريضًا خاض في الرحمة)** حال ذهابه لعيادته، **(فإذا جلس عنده استنقع فيها،)** أي شملته وعمت جميع أجزائه، **(زاد الطبراني)** في روايته لهذا الحديث: **(وإذا قام من عنده، فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج،)** أي حتى يعود إلى مكانه الذي جاء منه للعيادة، فأفاد الحديث خوضه فيها ذاهبًا وراجعًا، والاستنفاع مدة جلوسه عنده، **(ولم يكن ﷺ يخص يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات،)** ولكن جرت العادة بها طرفي النهار، كما مر عن الحافظ، ومن آدابها عدم تطويل الجلوس عنده، فربما شق على المريض أو على أهله، **(وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك)** سلطان **(قد مرض، وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته، فمنعه، فخاف على استحلال سبته)** إن جاء، **(ومن سفك دمه)**

الملك، ثم أشيع ذلك، وصار كثير من الناس يعتمده.

ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي: أن العيادة تستحب في الشتاء ليلاً، وفي الصيف نهارًا، ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء، وبطول النهار في الصيف، فيحصل له بالعيادة استرواح.

وينبغي اجتناب التطبب من أعداء الدين، من يهودي ونحوه، فإنه مقطوع بغشه سيما إن كان المريض كبيرًا في دينه أو علمه، خصوصًا إن كان هذا العدو يهوديًا، لأن قاعدة دينهم: أن من نصح مسلمًا فقد خرج عن دينه، وأن من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم، حلال لهم سفك دمه، ولا ريب أن من خاطر بنفسه يخشى عليه أن يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء.

وقد كثر الضرر في هذا الزمن بأهل الذمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله تعالى يرحم القائل:

إن لم يجيء، (**فقال له: إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك، ثم أشيع ذلك، وصار كثير من الناس يعتمده،**) ويعتقد أنه يضر المريض.

(**ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي:**) بضم الفاء نسبة إلى فراوة بلدة قرب خوارزم (**أن العيادة تستحب في الشتاء ليلاً، وفي الصيف نهارًا، ولعل الحكمة في ذلك**) إن صح (**أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء، وبطول النهار في الصيف، فيحصل له بالعيادة استرواح،**) أي راحة في نفسه بالزيادة (**وينبغي اجتناب التطبب من أعداء الدين، من يهودي ونحوه**) نصراني، (**فإنه مقطوع بغشه**) للمسلمين، (**سيما إن كان المريض كبيرًا في دينه أو علمه،**) فإنهم يتقربون بالسعي في فقد المسلمين له، (**خصوصًا إن كان هذا العدو يهوديًا، لأن قاعدة دينهم**) الباطل؛ (**أن من نصح مسلمًا فقد خرج عن دينه،**) وقد حكي أن الإمام المازري مرض، فكان يطبه يهودي، فقال له يومًا: يا سيدي مثلي يطب مثلكم، وأي قربة أجدها أتقرب بها في ديني مثل أن أفقدكم للمسلمين، فشفي وقرأ الطب، فكان يفزع إليه فيه، كما يفزع إليه في الفقه رحمه الله، (**وإن من استحل السبت، فهو مهدر الدم عندهم، حلال لهم سفك دمه،**) والمسلمون يستحلونه، فيعملون فيه ما يرى اليهودي تحريمه، (**ولا ريب أن من خاطر بنفسه يخشى عليه أن يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء، وقد كثر الضرر في هذا الزمن بأهل الذمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله تعالى يرحم القائل:**)

لعن النصارى واليهود فإنهم بلغوا بمكرهم بنا الآمالا
خرجوا أطباء وحسابًا لكي يتقسموا الأرواح والأموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم، ففي حديث أبي سعيد الخدري، قال ﷺ: «إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك يطيب نفسه»، مثل أن يقول له: لا بأس عليك، طهور إن شاء الله، ووجهك الآن أحسن، وما أشبه ذلك.

وقد يكون من هذا أن يذكر له الأجور الداخلة عليه في مرضه، وأن المرض كفارة، فربما أصلح ذلك قلبه، وأمن من خوف زلل ونحوه.

وقال بعضهم: في هذا الحديث نوع شريف جدًا من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش

(لعن النصارى واليهود فإنهم بلغوا بمكرهم بنا الآمالا)
(خرجوا أطباء وحسابًا لكي يتقسموا الأرواح والأموالا)

(ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى، وتقوية قلوبهم)، كما في البخاري عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كان إذا دخل على مريض يعوده، قال: لا بأس طهور إن شاء الله.

(ففي حديث أبي سعيد الخدري) عند الترمذي وابن ماجه، بإسناد ضعيف، **(قال ﷺ: إذا دخلتم على مريض)** تعودونه، **(فنفسوا له في أجله،)** أي وسعوا له وأطمعوه في طول الحياة، أو اذهبوا حزنه فيما يتعلق بأجله، قال الطيبي: في أجله متعلق بنفسوا مضمنًا معنى التطميع، أي طمعوه في طول أجله، واللام للتأكيد والتنفيس التفريج، **(فإن ذلك يطيب نفسه)** فيرتاح، وقد قيل للرشيد وهو عليل: هون عليك وطيب نفسك، فإن الصحة لا تمنع من الفناء، والعلة لا تمنع من البقاء، فارتاح لذلك، ولفظ الحديث عند الترمذي وابن ماجه: فإن ذلك لا يرد شيئًا، وهو يطيب بنفس المريض، **(مثل أن يقول له: لا بأس عليك طهور إن شاء الله)** (بفتح الطاء، أي مطهر من الذنوب)، **(ووجهك الآن حسن، وما أشبه ذلك)** مما يدخل السرور عليه، **(وقد يكون من هذا أن يذكر له الأجور الداخلة عليه في مرضه، وأن المرض كفارة)** للذنوب، **(فربما أصلح ذلك قلبه وأمن من خوف زلل ونحوه)**.

(وقال بعضهم:) هو ابن القيم **(في هذا الحديث نوع شريف جدًا من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش**

به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، ويساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطب. وفي تفريج نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخال السرور عليه تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي. وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم له، ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم.

قال في الهدي: وكان ﷺ يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجد، وعما يشتهيه، فإن اشتهى شيئًا وعلم أنه لا يضره أمر له به، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه، ويدعو له، ويصف له ما ينفعه في علته، وربما كان يقول

به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، ويساعد على دفع العلة، أو تخفيفها، الذي هو غاية تأثير الطب) بالأدوية، **(وفي تفريج نفس المريض وتطييب قلبه وإدخال السرور عليه)** بالكلام **(تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها)** (الواو بمعنى)، أو **(فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم،)** ولا يعارض ذلك ندب التنبيه على الوصية، لأنه يقول مع ذلك: الوصية لا تنقص الأجل، بل العامل بالسنة ترجى له البركة في عمره، وربما تكون الوصية بقصد امتثال الشرع سببًا لزيادة العمر، ونحو ذلك **(قال في الهدي)** النبوي لابن القيم: **(وكان ﷺ يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد)** نفسه.

روى أحمد والترمذي عن أنس، قال: دخل ﷺ على مريض يعوده وهو في الموت، فسلم عليه، فقال: كيف تجدك، قال: بخير يا رسول الله، أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال ﷺ: لم يجتمعا في قلب رجل عند هذا الموطن إلا أعطاه الله رجاءه وآمنه مما يخاف، **(وعما يشتهيه، فإن اشتهى شيئًا وعلم أنه لا يضره أمر له به،** و) كان **(يضع يده على جبهته،)** ففي حديث سعد بن أبي وقاص: ثم وضع يده على جبهته بعد مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي، **(وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له)**.

ففي الصحيحين عن عائشة: أنه ﷺ كان إذا أتى مريضًا، أو أتي به إليه، قال: أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، **(ويصف له ما ينفعه في علته)** مرضه، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، كما في حديث جابر المتقدم قريبًا، **(وربما كان يقول للمريض: لا بأس عليك)** هو **(طهور)** (بفتح الطاء، أي مطهر لك من ذنوبك) **(إن**

للمريض: لا بأس عليك، طهور إن شاء اللّه تعالى، وربما كان يقول: كفارة وطهور.

وقالت عائشة رضي اللّه عنها: كان ﷺ إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول: بسم اللّه. رواه أبو يعلى بسند صحيح.

وأخرج الترمذي بسند لين من حديث أبي أمامة رفعه من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته ويسأله كيف هو، وعند ابن السني بلفظ: كيف أصبحت أو كيف أمسيت؟

وإذا علمت هذا، فاعلم أن المرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان.

فأما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم ﷺ عن ربه

شاء اللّه تعالى) دعاء لا خبر، **(وربما كان يقول: كفارة وطهور،)** وفيه استحباب مخاطبة العائد للعليل بما يسليه من ألمه، وتذكيره بالكفارة لذنوبه والتطهير لآثامه.

(وقالت عائشة رضي اللّه عنها: كان ﷺ إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذي يألم) (بفتح اللام)، أي يتوجع منه، **(ثم يقول: بسم اللّه)** أداويك، **(رواه أبو يعلى بسند صحيح،)** وفي نسخ بسند حسن، **(وأخرج الترمذي بسند لين،)** أي ضعيف، قال الترمذي: إسناده ليس بذاك، وقال في موضع آخر فيه علي بن زيد ضعيف، **(من حديث أبي أمامة)** صدى بن عجلان، **(رفعه من تمام عيادة المريض،)** أي مكملاتها ومتمماتها **(أن يضع أحدكم،)** يعني العائد **(يده على جبهته)** حيث لا عذر، **(ويسأله كيف هو،)** أي كيف حاله، وبقية رواية الترمذي، وتمام تحيتكم بينكم المصافحة.

(وعند ابن السني، بلفظ،) ويقول له: **(كيف أصبحت)** إذا عاده في الصباح، **(أو كيف أمسيت)** إذا عاده في المساء، فإن ذلك ينفس عن المريض، هذا بقية رواية ابن السني.

قال ابن بطال: في وضع اليد على المريض تأنيس له، وتعرف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربما رقاه ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحًا، وقد يعرف العلاج، فيعرف العلة، فيصف له ما يناسبه.

(وإذا علمت هذا فاعلم أن المرض نوعان، مرض القلوب،) أي فسادها بنحو الحسد وسوء العقيدة، وهو مجاز، **(ومرض الأبدان)** خروجها عن الاعتدال، وهو حقيقي، ولكل منهما طب ودواء يعالج به؛ **(فأما طب القلوب،)** هكذا في أكثر النسخ، وهي المناسبة لقوله الآتي، وأما طب الأجساد، ولأن القصد ذكر الطب لا المرض، **(ومعالجتها)** عطف تفسير.

تعالى، لا سبيل لحصوله إلا من جهته، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة ألبتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقي ذلك إلا من جهة سيدنا محمد ﷺ.

وأما طب الأجساد، فمنه ما جاء في المنقول عنه ﷺ، ومنه ما جاء عن غيره، لأنه ﷺ إنما بعث هاديًا وداعيًا إلى الله وإلى جنته، ومعرفًا بالله، ومبينًا لأمته

وفي نسخة: فأما مرض القلوب، وهي أنسب بما قبلها، لكن القصد ذكر الطب لا المرض إلا أن يقدر مضاف أي فأما طب مرض القلوب أو أن نفس معرفة مرضها لا يكون إلا من جهته كالرياء والشرك الخفي ونحو ذلك، وعلى هذا، فمعالجتها عطف مغاير، (**فخاص بما جاء به الرسول الكريم ﷺ عن ربه تعالى،**) أي مقصور عليه، لا يعلم إلا من جهته، إما نصًا كالأحاديث الواردة فيما يصلح القلوب ويمنعها من الاعتقادات الباطلة والجهالات، وإما استنباطًا، كالأحكام التي استنبطها الأئمة من الأحاديث قياسًا عليها، أو استخراجًا من القواعد التي دلت عليها الأحاديث، (**لا سبيل لحصوله إلا من جهته،**) كالصفة اللازمة لما قبله، وعلله بقوله: (**فإن صلاح القلوب أن تكون**)، أي كونها (**عارفة بربها وفاطرها**)، فاتصافها بذلك عين صلاحها، وخص الرب والفاطر إشارة إلى نعمتي الإيجاد والتدبير، فإنه أنعم عليهم بالإيجاد، ثم بتدبير مصالحهم والقيام بها أبدًا ما بقوا، (**وبأسمائه وصفاته وأفعاله،**) أي أنه متى تعلقت إرادته بشيء كان، (**وأحكامه**) التي شرعها من إيجاب وندب وغيرهما (**و**) صلاح القلوب أيضًا، (**أن تكون مؤثرة لرضاه ومحابه،**) أي أنها تحرص على ذلك وتقدمه على غيره، وإن كان فيه غاية المشقة عليها، (**متجنبة لمناهيه ومساخطه:**) جمع مسخط، كمقعد ضد الرضا، وهو الغضب، وهو ارتكاب ما نهى عنه، فالمراد منهما واحد، أو أنه من عطف المسبب على السبب، (**ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك**) المذكور من كونها عارفة... الخ.

(**ولا سبيل إلى تلقي ذلك إلا من جهة سيدنا محمد ﷺ؛**) هذا غير قوله أولاً: لا سبيل إلى حصوله، لأنه وجوده نفسه، والثاني قبوله وأخذه عنه، فاختلف السبيلان.

(**وأما طب الأجساد، فمنه ما جاء في المنقول عنه ﷺ،**) فيجب اعتقاد حقيته، وأنه إن تخلف حصول الشفاء عنه، فذلك لمانع قام بالمريض أو الدواء، (**ومنه ما جاء عن غيره**) ولم يكن كل طب الأجساد منه، (**لأنه ﷺ إنما بعث**) هاديًا، فالتعليل لمقدر فهم من السياق، (**وداعيًا إلى الله وإلى جنته، ومعرفًا بالله**) ما يجب له وما يستحيل عليه وغير ذلك من العقائد، (**ومبينًا لأمته مواقع رضاه**) النافعة لهم، (**وآمرًا لهم بها، و**) مبينًا لهم، (**مواقع سخطه**) الضارة

مواقع رضاه وآمرًا لهم بها، ومواقع سخطه وناهيًا لهم عنها، ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم، وأخبار تخليق العالم، وأمر المبدأ والمعاد، وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها أسباب ذلك.

وأما طب الأجساد فجاء من تكميل شريعته، ومقصودًا لغيره، بحيث أنه إنما يستعمل للحاجة إليه، فإذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم إلى علاج القلوب وحفظ صحتها، ودفع أسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود بإصلاح الجسد، وإصلاح الجسد بدون إصلاح القلب لا ينفع، وفسد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جدًا، وهي مضرة زائلة، تعقبها المنفعة الدائمة التامة.

وإذا علمت هذا، فاعلم أن ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا

لهم **(وناهيًا لهم عنها،)** بوحي الله وأمره له بذلك، **(ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل، وأحوالهم مع أممهم،)** أي مخبرهم بأحوال الأنبياء مع أممهم، أو بأخبار الأنبياء الذين صدرت منهم الأخبار إلى أممهم، كقول صالح: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ [الأعراف/ ٧٣]، **(وأخبار تخليق،)** أي خلق **(العالم،)** كأخباره عن خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والأرض بعد ذلك دحاها، والجبال أرساها **(وأمر المبدأ والمعاد)** الرجوع يوم القيامة، **(وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها، وأسباب ذلك)** المذكور من شقاوة وسعادة، ولما نشأ من الحصر؛ بأنه إنما بعث هاديًا... الخ سئل هو: فلما تكلم على كثير من أمور الطب، أجاب عنه بقوله: **(وأما طب الأجساد، فجاء من تكميل شريعته، و)** جاء **(مقصودًا لغيره)** لا لذاته، **(بحيث أنه إنما يستعمل للحاجة إليه،)** أي عند الحاجة إليه **(فإذا قدر الاستغناء عنه كأن صرف الهمم إلى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع أسقامها وحميتها)** (بكسر الحاء) منعها **(مما يفسدها هو المقصود بإصلاح الجسد،)** ويجوز كما يفهم من هذا الكلام؛ أنه قسيم لمقدر، أي: فأما طب القلوب وإصلاحها فهو المقصود من شرعه، وأما طب الأجساد... الخ.

وبهذا جزم في الشرح، وجوز الأول في تقريره، **(وإصلاح الجسد بدون إصلاح القلب لا ينفع،)** بل قد يضر، **(وفساد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جدًا،)** لأنه إنما يترتب عليها فوات غرض دنيوي لا يؤثر خللاً في الدين، **(وهي مضرة زائلة)** (مصدر ميمي بمعنى الضرر)، **(تعقبها المنفعة الدائمة التامة)** بالخلود في جنات النعيم؛ **(وإذا علمت هذا، فاعلم أن ضرر الذنوب في القلوب، كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها،)** أي أنواعها

وسببه الذنوب والمعاصي، فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا اللّٰه.

فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه اللّٰه في القلب، والمعصية تطفىء ذلك النور، وللإمام الشافعي رضي اللّٰه تعالىٰ عنه:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور اللّٰه لا يؤتاه عاصي

ومنها: حرمان الرزق، ففي المسند: وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

(في الضرر، وهل في الدنيا والآخر شر وداء:) (بالفتح والمد) مرض، (إلا وسببه الذنوب والمعاصي،) بمعنى الذنوب، فحسن العطف اختلاف اللفظ، (فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة) الضرر (بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا اللّٰه.)

(فمنها حرمان العلم،) أي أن المعاصي سبب في حصول ذلك وقيامه بالعبد، (فإن العلم نور يقذفه اللّٰه في القلب،) وفائدته امتثال الأوامر واجتناب النواهي، (والمعصية تطفىء ذلك النور،) فيكون إما سببًا لحرمانه، بحيث لا يدرك شيئًا منه، وإما سببًا لعدم ترتب فائدته عليه، بل قد يكون علمه الذي حصله ضررًا عليه في الدارين، (وللإمام الشافعي رضي اللّٰه تعالى عنه:

(شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي)
(وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور اللّٰه لا يؤتاه عاصي)

وذكر ابن القيم: لما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وقور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إني أرى اللّٰه قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تظلمه بالمعصية، (ومنها: حرمان الرزق) الحلال، أو البركة فيه، (ففي المسند) لأحمد، والظاهر أن المراد الحديث المسند، أي المرفوع لقول مغلطاي: إذا كان الحديث في أحد الستة لا يجوز لحديثي نقله من غيرها. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد وأبو يعلى وابن منيع والطبراني والضياء في المختارة والعسكري عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إن الدعاء يرد القضاء، وان البر يزيد في العمر، (وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»،) ثم قرأ رسول اللّٰه ﷺ: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون﴾ [القلم: ١٧، ١٨].

ويروى عن ابن مسعود، رفعه: إن الرجل ليذنب الذنب، فيحرم به الشيء من الرزق، وقد كان هبيء، وانه ليذنب فينسى به الباب من العلم قد كان علمه، وانه ليذنب، فيمنع به قيام الليل وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، ويعارضها ما أخرجه الطبراني عن أبي سعيد، رفعه: «ان

ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه، بينه وبين الله تعالى، لا يوازيها ولا يقارنها لذة أصلا.

ومنها: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه، أو متعسرًا عليه.

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها، كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادًا فيه، يراه كل أحد.

الرزق لا تنقصه المعصية، ولا تزيده الحسنة، وترك الدعاء معصية».

وعند العسكري بسند ضعيف، عن ابن مسعود، رفعه: «ليس أحد بأكسب من أحد قد، كتب الله النصيب والأجل، وقد قسم المعيشة والعمل، والرزق مقسوم وهو آت على ابن آدم على أي سيرة سارها، ليس تقوى تقي بزائده، ولا فجور فاجر يناقصه،وبينه وبين ستر وهو في طلبه».

وعند ابن أبي الدنيا وغيره مرفوعًا: «إن الرزق ليطلب العبد، كما يطلبه أجله»، وفي ذا المعنى أحاديث، ويمكن الجمع بينها كما أشرت إليه؛ بأن الذي يحرمه الرزق الحلال أو البركة فيه أو صرفه في وجوه الخير ونحو ذلك، فلا معارضة.

وأسلفت في مراتب الوحي شيئًا من ذلك، (**ومنها: وحشه يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالى لا يوازيها**) أي يقابلها، يقال: وازاه موازاة، أي حاذاه، (**ولا يقارنها**) (بالنون)، أي لا يجتمع معها (**لذة أصلاً**) بالعبادات وإن فعلها.

قال وهيب ابن الورد لمن سأله: أيجد طعم العبادة من عصى الله سبحانه؟، قال: لا، ولا من هم بالمعصية.

(**ومنها: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه**) بحيث لا يصل إليه بوجه، (**أو متعسرًا عليه**) بحيث يناله تعب في الوصول إليه.

(**ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم**) الأسود (**إذا ادلهم**) أي اشتد سواده وكثفت ظلمته، (**وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع**) الأمور القبيحة المخالفة للشرع، وإن أطلقت البدع على غير القبيح، فليس المراد هنا كما هو بين، (**والضلالات والأمور المهلكة، وهو لا يشعر، وتقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادًا فيه يراه كل أحد**) بحاسة البصر.

ومنها: أنه يوهن القلب والبدن.

ومنها: حرمات الطاعة، وتقصير العمر، ومحق البركة، ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب، كما ينقص بأسباب، وقيل: تأثير المعاصي في محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة هي حياة القلب، فليس عمر المرء إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره، فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها. وبالجملة: فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقة. ومنها: أن المعصية تورث الذل. ومنها: أنها تفسد العقل، فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفىء نور العقل.

ومنها: أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن**

(**ومنها: انه يوهن القلب والبدن:**) يضعفهما.

(**ومنها حرمات الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة،**) وأجاب عن سؤال: هو أن الأجل مكتوب، فكيف يتأتى نقصه أو زيادته، بقوله: (**ولا يمتنع زيادة، العمر بأسباب، كما ينقص بأسباب**) باعتبار ما في صحف الملائكة، أما باعتبار علم الله، فلا يزيد ولا ينقص.

(**وقيل: تأثير المعاصي في محق العمر، إنما هو بأن،**) أي بسبب أن (**حقيقة الحياة هي حياة القلب، فليس عمر المرء إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره**) النافعة له، (**فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها؛ وبالجملة، فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية،**) التي تحصل له نفع الدارين.

(**ومنها: أن المعصية تورث الذل،**) أي كونه يصير ذليلاً محتقرًا بين الناس، وان لم يطلعوا على ما فعله (**ومنها: أنها تفسد العقل،**) فيرى الصواب خطأ، والخطأ صوابًا، (**فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفىء نور العقل،**) فيصير كالمجنون.

(**ومنها: انها تزيل النعم،**) كما اشتهر، ومعناه صحيح، ولم أقف عليه.

قال السخاوي: (**وتحل النقم**) (بضم التاء وكسر الحاء من أحله)، كذا أنزله به، (**فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب،**) كما قال تعالى: (﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾) [الشورى: ٣٠]، بسبب المعاصي، والفاء، لأن ما شرطية أو مضمنة معناه، ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية، (**ويعفو عن**

كثير﴾ [الشورى/٣٠] ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته، فإن الذنوب

كثير) من الذنوب، فلا يعاقب عليها، والآية مخصوصة بالمجرمين، فإن أصاب غيرهم، فلأسباب أخر، منها: تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، قاله البيضاوي: (**ولقد أحسن القائل:**) هو أبو الحسن الكندي القاضي فيما أسنده عنه البيهقي:

(**إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم**)

وفي رواية فإن المعاصي بدل الذنوب.

(**وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم**)

حطها بحاء وطاء مهملتين، أي احفظها، وبقية القصيدة:

وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن قصور وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نابهم كالحلم

وقد يشهد لصدر الأبيات قوله ﷺ: «ما عظمت نعمة اللّه على عبد إلا عظمت مؤنة الناس عليه، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال»، رواه البيهقي وأبو يعلى والعسكري عن معاذ، وللطبراني والبيهقي عن ابن عمر، رفعه: إن للّه أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم»، وللبيهقي عن أبي هريرة، رفعه: «ما من عبد للّه عليه نعمه أسبغها عليه إلا جعل إليه شيئاً من حوائج الناس، فإن تبرم بهم فقد عرض تلك النعمة للزوال»، قال السخاوي: وبعضها يؤكد بعضًا.

وعن الفضيل بن عياض: «أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من اللّه عليكم، فاحذروا أن تملوا النعم فتصير نقمًا»، أخرجه البيهقي.

(**ومن عقوباتها أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته،**) أي أسباب هلاكه، ومادة الشيء ما يكون الشيء حاصلاً معه بالقوة فيتسبب حصوله عنها كالآلة التي تركب منها السرير مثلا (**فإن الذنوب هي أمراض متى استحكمت قتلت، ولا بد كما أن البدن لا يكون**

هي أمراض متى استحكمت قتلت ولا بد، كما أن البدن لا يكون صحيحًا إلا بغذاء يحفظ قوته، واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته، وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب، لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة يحفظ قوته، واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة، وحمية توجب له حفظ الصحة، وتجنب ما يضادها، وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة، والتقوى اسم متناول لهذه الأمور الثلاثة، فما فات منها فات من التقوى بقدره.

وإذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة، فإنها تستجلب المواد المؤذية، وتوجب التخليط المضاد للحمية، وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح. فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الأخلاط ومواد المرض، وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها، كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد أحسن القائل:

صحيحًا إلا بغذاء) (بمعجمتين ممدود) **(يحفظ قوته، واستفراغ:)** أي علاج **(يستفرغ،)** يخرج **(المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته،)** فتؤدي إلى الأمراض أو الهلاك عادة، **(وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه، ويخشى ضرره)** من مرض أو هلاك، **(فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان،)** من بيانية أو تبعيضية، أي: أشياء هي الإيمان **(والأعمال الصالحة،)** أو بأمور هي بعض مكملات الإيمان، والأعمال الصالحة **(تحفظ قوته،)** وإطلاق الغذاء على ذلك مجاز، لأنه لغة ما يتغذى به من الطعام والشراب، **(واستفراغ بالتوبة النصوح)** لغة من النصح، وهو صفة التائب، فإنه ينصح نفسه بالتوبة، وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة في النصح، أو من النصاحة، وهي الخياطة، كأنها تنصح ما خرق الذنب.

قاله البيضاوي: **(يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة، وحمية)** عن المعاصي **(توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها، وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى، اسم متناول لهذه الأمور الثلاثة:)** الغذاء والاستفراغ والحمية، **(فما فات منها فات من التقوى بقدره،)** فتكون ناقصة؛ **(وإذا تبين هذا، فالذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة، فإنها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط المضاد،)** المخالف **(للحمية، وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح، فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض، وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها؛)** مراده تقريب المعقول بالمحسوس، أي تأمل بدن عليل موصوف بما ذكر، **(كيف تكون صحته وبقاؤه)** استفهام توبيخي بمعنى النفي، أي لا تكون له صحة ولا بقاء،

جسمك بالحمية حصنته مخافة من ألم طاري
وكان أولى بك أن تحتمي عن المعاصي خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر، واستعمل الحمية باجتناب النواهي، واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح، لم يدع للخير مطلبًا، ولا للشر مهربًا، وفي حديث أنس: ألا أدلكم على دائكم ودوائكم، ألا إن داءكم الذنوب، ودواؤكم الاستغفار.

فقد ظهر لك أن طب القلوب ومعالجتها لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة الرسول ﷺ بواسطة الوحي.

والقلب العليل شبيه بالبدن العليل، فإذا تراكمت عليه الخطايا، بحيث اشتدت غفلته وإعراضه عن اللّٰه، وما تدارك ما يوقظه من تلك الغفلة، بل تمادى على ضلاله، كيف يرجى قربه من اللّٰه والدراجه في الصالحين، لا يكون ذلك إلا أن يحفه اللّٰه بالرحمة، فيوفقه إلى عمل صالح يكون سببًا لنجاته، (**ولقد أحسن القائل:**)

(**جسمك بالحمية حصنته مخافة من ألم طاري**)
(**وكان أولى بك أن تحتمي عن المعاصي خشية النار**)

(فمن حفظ **القوة بامتثال الأوامر، واستعمل الحمية باجتناب النواهي، واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح، لم يدع للخير مطلبًا،**) أي لم يترك شيئاً من الأسباب التي تسوق إلى الرحمة والقرب من اللّٰه، (**ولا للشر مهربًا،**) بزنة جعفر: موضع يذهب إليه الفأر خوفًا، أي لم يترك سببًا من الأسباب التي تدفع الشر عنه، وتبعده عن النار وعذابها؛ بل إذا اتقى هرب الشر عنه كما يفر الخائف من عدو يريد البطش به.

(**وفي حديث أنس**) قال: قال رسول اللّٰه ﷺ (**ألا أدلكم على دائكم**) (بفتح الدال ممدود)، أي مرضكم (**ودوائكم:**) شفائكم من المرض (بفتح الدال والمد)، وحكى الجوهري وغيره(كسر الدال لغة)، وهي شاذة، قاله عياض: (**ألا إن داءكم الذنوب،**) لأنها سبب إلى دخول النار، وذلك أعظم من كل الأمراض، وفي التنزيل: ولعذاب الآخرة أشق، (**ودواؤكم الاستغفار،**) أي التوبة والإقلاع عن الذنوب، والندم والعزم على أن لا يعود: وهذا الحديث رواه البيهقي عن أنس مرفوعًا.

قال المنذري: وقد روي عن قتادة من قوله، وهو أشبه بالصواب، (**فقد ظهر لك**) مما ذكر (**أن طب القلوب ومعالجتها لا سبيل:**) طريق (**إلى معرفته إلا من جهة الرسول ﷺ، بواسطة الوحي**) بملك أو غيره.

وأما طب الأجساد فغالبه يرجع إلى التجربة. ثم هو نوعان:

نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر، بل فطر اللّٰه على معرفته الحيوانات، مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب، وهذا لا يحتاج فيه إلى معالجته طبيب.

ونوع يحتاج إلى النظر والفكر، كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال، وهو إما حرارة وإما برودة، وكل منهما، إما إلى رطوبة أو يبوسة، أو إلى ما يتركب منهما، وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده، والدفع قد يقع من خارج البدن، وقد يقع من داخله وهو أعسرهما، والطريق إلى معرفته بتحقيق السبب والعلامة.

فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه، أو عكسه، وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه، ومدار ذلك على ثلاثة أشياء:

حفظ الصحة.

والاحتماء عن المؤذي.

(**وأما طب الأجساد، فغالبه يرجع إلى التجربة، ثم هو نوعان: نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر، بل فطر اللّٰه على معرفته الحيوانات،**) عاقلة وغيرها، (**مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب، وهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب**) لمعرفة الحيوانات كلها له، (**ونوع يحتاج إلى النظر والفكر، كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال، وهو إما حرارة وإما برودة، وكل منهما إما**) مائل (**إلى رطوبة أو يبوسة، أو إلى ما يتركب منهما، وغالب ما يقاوم:**) يقابل ويعالج (**الواحد منها بضده،**) وقد يعالج بموافقة لخاصية فيه على زعم الحكماء، (**والدفع قد يقع من خارج البدن،**) كالأدهان والاستحمام بالأدوية، (**وقد يقع من داخله، وهو أعسرهما، والطريق إلى معرفته بتحقيق،**) أي معرفة (**السبب**) الذي حدث منه المرض، (**والعلامة**) التي يستدل بها على معرفته، وفي نظم ابن سينا:

فإن أصل الطب أن تدري المرض والسبب الحادث منه والعرض

(**فالطبيب الحاذق،**) الماهر في علم الطب، (**هو الذي يسعى في تفريق ما يضر**) (بضم الياء من أضر رباعيًا)، ولذا عداه بالباء في قوله: (**بالبدن**) ويتعدى بنفسه ثلاثيًا، نحو: لن يضروكم إلا أذى (**جمعه**) فاعل يضر (بفتح فسكون) (**أو عكسه**)، أي جمع ما يضر بالبدن تفريقه، (**وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه،**) أي زيادة ما يضر بالبدن نقصه، (**ومدار ذلك على ثلاثة أشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة،**)

واستفراغ المادة الفاسدة.

وقد أشير إلى الثلاثة في القرءان:

فالأول: قوله تعالىٰ: ﴿**فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ [البقرة/١٨٤] وذلك أن السفر مظنة النصب، وهو من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر، وكذلك القول في المرض.

والثاني: وهو الحمية، من قوله تعالىٰ: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ [النساء/٢٩] فإنه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد، وقال تعالىٰ في آية الوضوء ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا**﴾ [المائدة/٦] فأباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذٍ له من داخل أو خارج.

والثالث: من قوله تعالى: ﴿**أو به أذى من رأسه ففدية**﴾ [البقرة/١٩٦] فإنه

بإخراج الدم والإسهال والقيء، (**وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن، فالأول قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر﴾**) [البقرة: ١٨٤]، أي مسافر (فعدة)، أي فعليه عدد (**من أيام أخر**) يصومها بدله، (**وذلك ان السفر مظنة النصب،**) بفتحتين التعب، (**وهو من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام ازداد، فأبيح الفطر، وكذلك القول في المرض،**) ففي هذا الإشارة إلى حفظ الصحة، (**والثاني، وهو الحمية من قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾**) [النساء: ٢٩]، **فإنه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد،**) واحتج بذلك عمرو بن العاصي، وأقره النبي ﷺ، كما رواه أبو داود وغيره.

(**وقال تعالى في آية الوضوء: ﴿وان كنتم مرضى﴾**) [المائدة: ٦]، مرضًا يضره الماء (**﴿أو على سفر﴾،**) أي مسافرين وأنتم جنب، أو محدثون، (**﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾،**) المكان المعد لقضاء الحاجة، أي أحدث، (**﴿أو لامستم النساء﴾،**) وفي قراءة بلا ألف، وكلاهما بمعنى من اللمس، وهو الجس باليد، قاله ابن عمر، وقال ابن عباس: هو الجماع، (**﴿فلم تجدوا ماء﴾،**) تطهرون به بعد الطلب والتفتيش، وهو عائد لما عدا المرضى (**﴿فتيمموا:**) اقصدوا (**صعيدًا طيبًا﴾،**) طاهرًا، (**فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل أو خارج،**) فهو أصل الحمية؛ (**والثالث**) مأخوذ (**من قوله تعالى:**) ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى

أشير بذلك إلى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم، لاستفراغ الأذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس تحت الشعر، لأنه إذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الأبخرة منها. فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه.

فقد أرشد اللّه تعالى عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده.

وفي الصحيحين من حديث عطاء عن أبي هريرة قال: رسول اللّه ﷺ: «ما أنزل اللّه داء إلا أنزل له شفاء».

يبلغ الهدى محله﴾ [البقرة: ١٩٦]، فمن كان منكم مريضًا (﴿**أو به أذى من رأسه**﴾،) كقمل وصداع، فحلق في الإحرام، (﴿**ففدية**﴾) عليه من صيام لثلاثة أيام أو صدقة أو نسك، (**فإنه أشير بذلك إلى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم**،) بقوله: ولا تحلقوا رؤوسكم، (**لاستفراغ**،) أي لأجل إخراج (**الأذى الحاصل من البخار المحتقن**:) المحتبس المجتمع (**في الرأس تحت الشعر، لأنه إذا حلق رأسه تفتحت المسام، فخرجت تلك الأبخرة منها**،) فترتاح، (**فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه**) من باب قياس لا فارق، (**فقد أرشد اللّه تعالى عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده**،) وقد قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨].

(**وفي الصحيحين من حديث عطاء**) بن أبي رباح: (بفتح الراء والموحدة) (**عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ ما أنزل اللّه داء**،) أي مرضًا، وللإسمعيلي: من داء بزيادة من (**إلا أنزل له شفاء**،) أي دواء، وجمعه أشفية، وجمع الجمع آشاف، وشفاه يشفيه أبرأه، وطلب له الشفاء، كأشفاه، قاله المصنف، وهو صريح في أن الشفاء اسم للدواء، وقال شيخنا: أي أنزل له دواء يكون سببًا للشفاء، فإذا استعمله المريض، وصادف المرض حصل له الشفاء، سواء كان الداء قلبيًا أو بدنيًا. انتهى.

قال الكرماني: أي ما أصاب اللّه أحدًا بداء إلا قدر له دواء، أو المراد بإنزالهما إنزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الأرض من الدواء والداء. انتهى.

قال المصنف: فعلى الأول المراد بإنزال التقدير، وعلى الثاني إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي مثلاً، أو إلهام لغيره. انتهى.

وقيل: معنى الإنزال إعلامه عباده، ومنع بأن الحديث أخبر بعموم الإنزال لكل داء ودوائه، وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك، كما يصرح به خبر علمه، من علمه وجهله من جهله.

وقيل: عامة الأدواء، والأدوية بواسطة إنزال الغيث الذي تتولد به الأغذية والأدوية وغيرهما،

وأخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ إن الله لم ينزل داء إلاَّ أنزل له شفاء فتداووا.

وعند أحمد من حديث أنس: إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا .

وعند البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد وأصحاب السنن، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أسامة بن شريك، رفعه: تداووا عباد الله، فإن الله

وهذا من تمام لطف الرب بخلقه، كما ابتلاهم بالأدواء أعانهم عليها بالأدوية، وكما ابتلاهم بالذنوب أعانهم عليها بالتوبة والحسنات الماحية.

(**وأخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم، عن ابن مسعود رضي الله عنه**) عن النبي ﷺ، (**بلفظ: أن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء**) .

قال بعضهم: الداء علة تحصل بغلبة بعض الأخلاط، والشفاء رجوعها إلى الاعتدال، وذلك بالتداوي، وقد يحصل بمحض لطف الله بلا سبب.

وقال ابن سينا: الداء هيئة ناسخة للصحة، تخرج البدن عن المجرى الطبيعي، وعرفه غيره بأنه المخرج للبدن عن المجرى الطبيعي، بتناول أو غالب من الأخلاط.

قال الرازي: وهذا أوجه لعمومه، (**فتداووا**) وجوبًا في الأمراض القلبية، وندبًا أو إباحة في الأمرض البدنية، إن لم يترتب على ترك التداوي هلاك أو ترك واجب، وإلا وجب التداوي، وقد يحرم، كقدح عين أدى للصلاة مستلقيًا عند جمع من المالكية، وصحح بعضهم: وهو مذهب الشافعية جوازه.

(**وعند أحمد من حديث أنس**) مرفوعًا: (**إن الله حيث خلق الداء**) ظرف مكان بالاعتبار، أي قدره وأوجده في بدن أو عضو، (**خلق الدواء فتداووا**،) فإن أصيب الدواء واستعمل على وجهه برىء.

(**وعند البخاري في**) كتاب (**الأدب المفرد، وأحمد وأصحاب السنن**) الأربعة، (**وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم، عن أسامة بن شريك**) الثعلبي (بمثلثة ومهملة)، صحابي تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح، (**رفعه**) فقال: أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده، كأن على رؤوسهم الطير، فسئل عن التداوي، فقال: (**تداووا عباد الله**،) كذا في كثير من النسخ بدون يا، ومثله في الجامع.

وفي بعض النسخ: يا عباد الله، ومثله في شرح المصنف للبخاري: فلعلهما روايتان، وصفهم بالعبودية إيذانًا بأن التداوي، لا يخرجهم عن التوكل الذي هو من شرطها، أي تداووا ولا تعتمدوا في الشفاء على التداوي بل كونوا عباد الله متوكلين عليه، (**فإن الله لم يضع داء إلا**

لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدًا وهو الهرم وفي لفظ إلا السام- وهو بمهملة مخففًا- الموت، يعني إلا داء الموت، أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه. وستثناء الهرم في الرواية الأولى إما لأنه جعله شبيهًا بالموت، والجامع بينهما نقص الصحة، أو لقربه من الموت وإقضائه إليه، ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعًا، والمعنى: لكن الهرم لا دواء له.

ولأبي داود، عن أبي الدرداء، رفعه: إن اللّه عز وجل جعل كل داء دواء، فتداووا، ولا تداووا بحرام.

وضع له شفاء،) وهو سبحانه لو شاء لم يخلق داء، وإذا خلقه لو شاء لم يخلق له دواء، وإذا خلقه لو شاء لم يأذن في استعماله، لكنه أذن، فمن تداوى، فعليه أن يعتقد حقًّا ويوقن يقينًا بأن الدواء لا يحدث شفاء ولا يولده، كما أن الداء لا يحدث سقمًا ولا يولده، لكن الباري سبحانه يخلق الموجودات واحدًا عقب آخر على ترتيب هو أعلم بحكمته **(إلا داءً واحدًا)** وفي رواية: غير داء واحد، قال أبو البقاء: لا يجوز في غير هنا إلا النصب على الاستثناء من داء، **(وهو الهرم)** (بفتحتين)، أي الكبر، وليس في الرواية لفظ، وهو كما في شرحه كالفتح والجامع.

قال أبو البقاء: الهرم يجوز رفعه بتقدير هو، وجره على البدل من داء المجرور بغير، ونصبه على إضمار، أعني، **(وفي لفظ إلا السام، وهو بمهملة مخففًا الموت، يعني: إلا داء الموت، أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه، واستثناء الهرم في الرواية الأولى إما لأنه جعله شبيهًا بالموت)** أي بدائه وداء الموت لا دواء له، فكذا الهرم لمشابهته له في نقص الصحة كما قال، **(والجامع بينهما نقص الصحة)** في الجملة، وإن كان في المشبه به انتهاؤها دون المشبه، أي الهرم، فلا يقال: الموت مزيل للصحة من أصلها، لا منقص لها، **(أو لقربه من الموت وإقضائه إليه،)** لأن الموت يعقبه، كما يعقب الداء، قاله ابن العربي، وجعله أولى من انقطاع الاستثناء، وهو عطف على قوله، لأنه جعله.

(ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعًا، والمعنى: لكن الهرم لا دواء له،) فلا ينجع فيه التداوي، **(ولأبي داود عن أبي الدرداء)** عويمر العجلاني، **(رفعه،)** فقال: قال ﷺ **(إن اللّه عز وجل جعل لكل داء دواء،)** لطفًا منه بخلقه، **(فتداووا)** متوكلين على اللّه، **(ولا تداووا بحرام،)** بحذف إحدى التاءين في تداووا.

وفي البخاري: إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم، فلا يجوز التداوي بالحرام.

وروى مسلم عن جابر، مرفوعًا: لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى.

فالشفاء متوقف على إصابة الداء الدواء بإذن الله تعالى. وذلك أن الدواء قد

(**وفي البخاري:**) تعليقًا عن ابن مسعود، وبين الحافظ؛ أنه جاء من طرق صحيحة إليه (**إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم**) من الأمراض القلبية والنفسية، أو الشفاء الكامل المأمون الغائلة (**فيما حرم**) بالبناء للفاعل، ويجوز للمفعول (**عليكم،**) لأنه سبحانه وتعالى لم يحرمه إلا لخبثه عناية بعباده وحمية لهم وصيانة عن التلطخ بدنسه، وما حرم عليهم شيئًا إلا عوضهم خيرًا منه، فعدولهم عما عوضه لهم إلى ما منعهم منه يوجب حرمان نفعه؛ ومن تأمل ذلك هان عليه ترك المحرم المردي، واعتاض عنه النافع المجدي والمحرم، وأن أثر في إزالة المرض، لكنه يعقب بخبثه سقمًا قلبيًا أعظم منه، فالمتداوي به ساع في إزالة سقم البدن بسقم القلب، وبه علم أنه لا تدافع بين الحديث.

وآية: أن في الخمر منافع ، وحمل المنافع في الآية على منفعة الاتعاظ، أي أن من رأى حالته اتعظ به، فإن السكران هو والكلب واحد، يلحس في ذا مرة، وذا مرة تكلف بارد، (**فلا يجوز التداوي بالحرام،**) وقد روى الطبراني في الكبير، وأبو يعلى عن أم سلمة، قالت: نبذت نبيذًا في كوز، فدخل رسول الله ﷺ وهو يغلي، فقال: ما هذا؟، قلت: اشتكت ابنة لي، فنقعت لها هذه، فقال ﷺ: «لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».

(**وروى مسلم**) في الطب، والإمام أحمد (**عن جابر مرفوعًا: لكل داء**) (بفتح الدال ممدود)، وقد يقصر (**دواء،**) أي شيء مخلوق مقدر له، (**فإذا أصيب دواء الداء**) بالبناء للمفعول، والأصل: فإذا أصاب المريض دواء الداء المناسب له، سواء أصابه بتجربة أو أخبار عارف، واستعمله على القدر الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي (**برأ بإذن الله تعالى،**) لأن الشيء يداوى بضده غالبًا، لكن قد يدق حقيقة المرض وحقيقة طبع الدواء، فيقل الفقه بالمتضادين، ومن ثم أخطأ الأطباء، فمتى كان مانعًا بخطأ أو غيره، تخلف البرء، فإن تمت المضادة حصل البرء لا محالة، فصحت الكلية واندفع التدافع، هذا أحد محملي الحديث.

وقيل: هو عام مخصوص، والمراد، لكل داء يقبل الدواء، (**فالشفاء متوقف على إصابة،**) أي ملاقاة (**الداء الدواء بإذن الله تعالى،**) بحيث لا يكون بينهما حائل، ولا ثم مانع كما يأتي، (**وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية،**) أي الصفة، كاستعماله على

يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجح، بل ربما أحدث داء آخر.

وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمي بطب أهل البيت: ما من داء إلا وله دواء، فإذا كان كذلك بعث اللّٰه عز وجل ملكًا ومعه ستر فيجعله بين الداء والدواء، فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء، فإذا أراد اللّٰه برأه أمر الملك فرفع الستر، ثم يشرب المريض الدواء فينفعه اللّٰه تعالى به.

وفي حديث ابن مسعود رفعه: «إن اللّٰه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»، رواه أبو نعيم وغيره.

جوع أو شبع مفرطين، أو أخطأ في تركيبه، كاختلال بعض أجزائه، أو أوقد عليه إلى حد يفسده، أو لم يوقد عليه إلى حد استوائه المطلوب له، (**أو الكمية**) أي المقدار، ككون المناسب للمرض درهمين، فاستعمل أكثر أو أقل، (**فلا ينجع**) (بنون فجيم فمهملة)، أي لا يظهر أثره، (**بل ربما أحدث داء آخر**) ثار من ذلك الدواء.

(**وفي رواية علي**) أمير المؤمنين، (**عند الحميدي في كتابه المسمى بطب أهل البيت: ما من داء إلا وله دواء، فإذا كان كذلك**) أي لكل داء دواء وأطلع اللّٰه المريض على دواء مرضه، واستعمله على الوجه المطلوب في استعماله، ولكن يرد اللّٰه شفاءه حالاً بذلك الدواء، (**بعث اللّٰه عز وجل ملكًا**) فهو مرتب على مقدر دل عليه ما بعده، وأحاديث أخر، وإلا فقوله: بعث لا يترتب بظاهره، على أن لكل داء دواء، (**ومعه ستر:**) (بكسر السين له وسكون الفوقية)، شيء يستتر به، (**فيجعله بين الداء والدواء، فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء**) لوجود الستر، (**فإذا أراد اللّٰه برأه أمر الملك، فرفع الستر، ثم يشرب المريض الدواء، فينفعه اللّٰه تعالى به،**) أي يبرأ بإذن اللّٰه.

(**وفي حديث ابن مسعود، رفعه: إن اللّٰه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه**) بإلهام اللّٰه تعالى له واطلاعه عليه، (**وجهله من جهله**) بإخفاء اللّٰه تعالى عنه إياه، فإذا شاء اللّٰه الشفاء يسر ذلك الدواء، ونبه مستعمله بواسطة أو دونها، فيستعمله على وجهه، وفي وقته فيبرأ، وإذا أراد هلاكه أذهله عن دوائه، وحجبه بمانع فهلك، وكل ذلك بمشيئته وحكمه، كما سبق في علمه؛ ولقد أحسن القائل:

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدور

(**رواه أبو نعيم وغيره،**) كالنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه، ورواه

وفيه إشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد.

وأما قوله «لكل داء دواء» فيجوز أن يكون على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن طبيب معرفتها، ويكون قد جعل اللّٰه لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً، لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم اللّٰه تعالى. ولهذا علق ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء، وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ، ثم يعتريه بعد ذلك الداء، والدواء

الحاكم أيضًا من حديث أبي سعيد، بزيادة، إلا السأم وهو الموت، (**وفيه إشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد**) لقوله: جهله من جهله.

(**وأما قوله**) ﷺ: (**لكل داء دواء، فيجوز أن يكون على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة**) كالسم، (**والأدواء التي لا يمكن طبيب معرفتها**) لخروجها عن قواعد علمه، (**ويكون قد جعل اللّٰه لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً**) طريقًا يهديهم إليها، (**لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم اللّٰه تعالى**) كما قالت الملائكة: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾، جزم القرطبي، فقال: هذه كلية صادقة العموم، لأنها خبر عن الصادق، عن الخالق جل وعلا ألا يعلم من خلق، فالداء والدواء خلقه، والشفاء والهلاك فعله، وربط الأسباب بالمسببات حكمته وحكمه، وكل ذلك بقدر لا معدل عنه. انتهى.

(**ولهذا علق ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء**) بقوله: إذا أصيب دواء الداء برأ بإذن اللّٰه، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده.

قال المازري رحمه اللّٰه: فيه بيان واضح، لأنه قد علم أن الأطباء يقولون: المرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده، وحفظ الصحة بقاؤه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض، وبقراط يقول: الأشياء تداوى بضدها، ولكن قد يدق ويغمض حقيقة المرض، وحقيقة طبع الدواء فيقل الفقه بالمضادة، ومن هنا يقع الخطأ من الطبيب، فقد يظن الطبيب العلة عن مادة حارة، فتكون عن غير مادة أو عن مادة، باردة، أو عن مادة حارة دون الحرارة التي ظنها، فلا يحصل الشفاء؛ فكأنه ﷺ نبه بآخر كلامه على ما قد يعارض به أوله، فيقال: قلت: لكل داء دواء، وكثير من المرضى يداوون، فلا يبرؤون، فقال: إنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة، لا لفقد الدواء، وهذا واضح.

(**وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ، ثم يعتريه بعد ذلك الداء والدواء**) يستعمل ولا يقدر، يعتريه كما هو ظاهر (**بعينه**) تأكيد للدواء، ويقدر مثله في الداء، أي

بعينه فلا ينجع، والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الداء، فرب مرضين تشابها، ويكون أحدهما مركبًا، لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبًا، فيقع الخطأ من هناك، وقد يكون متحدًا لكن يريد اللَّه أن لا ينجع، وهنا تخضع رقاب الأطباء.

وفي مجموع ما ذكرناه من الأحاديث الإشارة إلى إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات، والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك.

وقد سئل الحٰرث بن أسد المحاسبي في كتاب «القصد» من تأليفه: هل

والدواء الذي يستعمله هو الدواء الأول بعينه، **(فلا ينجع،)** أي: يظهر أثره، **(والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الداء، فرب مرضين تشابها، ويكون أحدهما مركبًا)** من حرارة وبرودة، مثلاً، **(لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبًا،)** بل من حرارة فقط أو برودة فقط، **(فيقع الخطأ من هناك، وقد يكون متحدًا، لكن، يريد اللَّه أن لا ينجع، وهنا تخضع رقاب الأطباء،)** ولذا قيل:

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبرئ غيره فيما مضى

وقال آخر:

إن الطبيب لذو عقل ومعرفة ... ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

(وفي مجموع ما ذكرناه من الأحاديث الإشارة إلى أن إثبات الأسباب) وترتب مسبباتها عليها، لأمره بالتداوي، **(وإن ذلك لا ينافي التوكل)** على اللَّه، لأن التداوي من قدر اللَّه، ففيه حجة على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كل شيء بقضاء وقدر، فلا حاجة للتداوي، وحجة العلماء هذه الأحاديث ونحوها، ويعتقد أن اللَّه هو الفاعل، وأن التداوي أيضًا من قدر اللَّه، فلا ينافي التوكل، **(كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك،)** كالأمر بقتال الكفار وبالتحصن، ومجانبة الإلقاء باليد إلى التهلكة، مع أن الأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها، ولا بد من وقوع المقدورات.

(وقد سئل الحٰرث بن أسد المحاسبي) (بضم الميم وكسر المهملة)، سمي بذلك

يتداوى المتوكل؟ قال: نعم، قيل له من أين لك ذلك؟ قال: من وجود ذلك عن سيد المتوكلين، الذي لم يلحقه لاحق، ولا سبقه في التوكل سابق، محمد خير البرية ﷺ. قيل له: ما تقول في خبر النبي ﷺ: «من استرقى واكتوى بريء من التوكل؟» قال: بريء من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب»، وأما من سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدواء والاسترقاء.

فجعل المحاسبي التوكل بعضه أفضل من بعض.

وقال في «التمهيد»: إنما أراد بقوله: «بريء من التوكل» إذا استرقى الرقى المكروهة في الشريعة، أو اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي، وكذلك

لكثرة محاسبته لنفسه، مرت ترجمته مرارًا (**في كتاب القصد، من تأليفه: هل يتداوى المتوكل، قال: نعم، قيل له: من أين لك ذلك؟، قال: من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق،**) أي لم يبلغ أحد ممن بعده مقامه في التوكل، (**ولا سبقه في التوكل سابق، محمد خير البرية ﷺ،**) فإنه تداوى كثيرًا، وأمر به، (**قيل له: ما تقول في خبر النبي ﷺ**) الذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي؟، وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم عن المغيرة بن شعبة، مرفوعًا: (**«من استرقى واكتوى بريء من التوكل»،**) لفظه عند المذكورين: من اكتوى واسترقى، فقد بريء من التوكل، (**قال:**) معناه (**بريء من توكل، المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر، فقال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب»**) هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

أخرجه الشيخان وغيرهما، يعني: بريء من توكل الخواص المعرضين عن أسباب الدنيا، الذين لا يلتفون إلى شيء من علائقها؛ (**وأما من سواهم من المتوكلين، فمباح لهم الدواء والاسترقاء، فجعل المحاسبي التوكل بعضه أفضل من بعض،**) ولا يشكل عليه استدلاله على تداوي المتوكلين بوجوده من سيدهم، لأنه فعله لئلا يشق على من لم يبلغ درجة الخواص، ولأنه مشرع.

(**وقال**) أبو عمر يوسف بن عبد البر (**في التمهيد:**) لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (**إنما أراد**) ﷺ (**بقوله: بريء من التوكل إذا استرقى الرقى المكروهة في الشريعة،**) وهي ما كان بغير اللسان العربي، وما لا يعرف معناه، لجواز كونه شركًا، وبغير أسماء الله وصفاته وكلامه في الكتب المنزلة؛ أما الرقي بالقرآن وأسماء الله تعالى وصفاته، والرقى المروية، فلا

قوله: «لا يسترقون» معناه الرقى المخالفة للشريعة، و«لا يكتوون» وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضه عن اللَّه تعالى وعن أن الشفاء من عنده. وأما إذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة، وكان ناظرًا إلى رب الدواء، يتوقع الشفاء منه، وقصد بذلك استعمال بدنه إذا صح للَّه تعالى، وإتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه، فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدواء شيئًا، استدلالاً بفعل سيد المتوكلين إذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره، انتهى.

تخرج عن التوكل، بل هو باق على حاله لا ينقص منه شيء، وقد قال ﷺ للذي رقي بالفاتحة، وأخذ أجرًا من أخذ برقية باطل، فقد أخذت برقية حق، وقال: اعرضوا عليَّ رقاكم فعرضوها، فقال: لا بأس بها إنما هي مواثيق، كأنه خاف أن يقع فيها شيء مما كانوا يتلفظون به ويعتقدونه من الشرك في الجاهلية، (**أو اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي**،) باعتماده عليه ذاهلاً عن التوكل على اللَّه الذي يخلق عنده الشفاء، (**وكذلك قوله: لا يسترقون معناه الرقى المخالفة للشريعة، ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي، ومعرضة عن اللَّه تعالى، وعن أن الشفاء من عنده**،) فهذا هو البرىء من التوكل؛ (**وأما إذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة، وكان ناظرًا إلى رب الدواء، ويتوقع الشفاء منه**،) وإن استعماله إنما هو امتثالاً لربط الأسباب بمسبباتها، (**وقصد بذلك استعمال بدنه إذا صح**) من دائه (**للَّه تعالى، وإتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه، فتوكله باق على حاله، لا ينقص منه، الدواء شيئًا**) منه (**استدلالاً بفعل سيد المتوكلين**، **إذ**) تعليلية (**عمل بذلك في نفسه و**) في (**غيره. انتهى**) كلام التمهيد، وهو نفيس؛ ونحوه قول البيهقي في الشعب: برىء من التوكل، لأنه ركب ما يستحب التنزه عنه من الاكتواء، لما فيه من الخطر ومن الاسترقاء، بما لا يعرف من كتاب اللَّه تعالى، وذكره لجواز أن يكون شركًا، فقد روينا الرخصة فيه بما يعلم من كتاب اللَّه تعالى، أو ذكره من غير كراهة، وإنما الكراهة فيما لا يعلم من لسان اليهود وغيرهم، أو استعملها معتمدًا عليها، لا على اللَّه تعالى فيما وضع فيها من الشفاء، فصار بهذا أو بارتكابه المكروه بريئًا من التوكل، فإن لم يوجد واحد من هذين وغيرهما من الأسباب المباحة، لم يكن صاحبها بريئًا من التوكل. انتهى.

وقال ابن قتيبة: الكي نوعان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي برىء من التوكل، لأنه يريد دفع القدر، وهو لا يدفع، والثاني: كي الجرح إذا فسد، والعضو إذا قطع، فهو الذي شرع التداوي فيه؛ فإن كان لأمر محتمل، فخلاف الأولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار، لأمر غير محقق.

وقد تبيَّن أن التداوي لا ينافي التوكل، بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة.

وحكى ابن القيم: أنه ورد في خبر إسرائيلي، أن الخليل عليه الصلاة والسلام قال: يا رب ممن الداء؟ قال: مني، قال: ممن الدواء؟ قال: مني قال: فما بال الطبيب؟ قال: رجل أرسل الدواء على يديه.

قال: وفي قوله ﷺ: «لكل داء دواء» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على ذلك الدواء، والتنفيس عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء، وبرد من حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، وقويت نفسه وانبعثت جرارته الغزيزية، وكان ذل سببًا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية

(وقد تبين؛ أن التداوي لا ينافي التوكل، بل) هو من جملته، إذ (لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة،) أي تعاطي (الأسباب التي نصبها الله تعالى، مقتضيات) (بكسر الضاد) (لمسبباتها قدرًا وشرعًا،) وذلك أنه إذا باشرها وترتبت عليها مسبباتها، علم أن ذلك لحكمة منه تعالى، حيث خلق الشفاء عند مباشرتها، فكمل بذلك اعتقاده أن الله هو المنفرد بالإيجاد، وأن لا فعل لغيره، (وأن تعطيلها،) أي الأسباب بعدم العمل بها واعتقاد أن لا يحصل أثر عند مباشرتها، (يقدح في نفس التوكل،) إذ لو صدق في التوكل لعمل ما أمر به من السبب معتمدًا على الله، (كما يقدح في الأمر) بها، (والحكمة) في خلق الشفاء عندها.

(وحكى ابن القيم: أنه ورد في خبر إسرائيلي أن الخليل) إبراهيم (عليه الصلاة والسلام قال: يا رب ممن الداء) المرض (قال: مني، قال ممن الدواء، قال: مني، قال): فإذا كان منك، (فما بال الطبيب،) أي حاله وما يحصل منه حتى يعالج المريض ليصح، أو يحفظ صحته، أو نحو ذلك مما يحصل بفعله وحاصله: فأي حاجة للطبيب؛ (قال: رجل أرسل الدواء على يديه،) ليس هو الفاعل بنفسه، وإنما فعله بإجرائي ما هو سبب لإزالة المرض ونحوه.

(قال) ابن القيم: (وفي قوله ﷺ لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب) المعالج، (وحث على ذلك الدواء والتنفيس عليه،) أي كشف الكربة عنه، (فإن المريض إذا استشعرت نفسه؛ أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء،) أي بالأثر المصلح لبدنه الذي يترتب على الدواء الذي يستعمله لما رجاه من حصول النفع به، سمي ذلك الأثر روحًا، تشبيهًا بروح الحياة، (وبرد) (بضم الراء وفتحها) (من حرارة اليأس،) أي سكنت حرارته (وانفتح له باب الرجاء، وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوانية

والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته. انتهى.

فإن قلت: ما المراد بالإنزال في قوله في الأحاديث السابقة «إلا أنزل الله له دواء» وفي الرواية الأخرى «شفاء» فالجواب: أنه يحتمل أن يكون عبر بالإنزال عن التقدير، ويحتمل أن يكون المراد أنزل علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ.

وأين يقع طب حذاق الأطباء، الذي غايته أن يكون مأخوذًا من قياس أو مقامات وحدس وتجربة، من الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى رسوله ﷺ بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عند حذاق الأطباء من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاء به النبي ﷺ. بل هٰهنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجربتهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب، واعتماده على الله تعالى

والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته) بإذن الله. **(انتهى)** وهذا مشاهد.

(فإن قلت ما المراد بالإنزال في قوله في الأحاديث السابقة: إلا أنزل الله له دواء، وفي الرواية الأخرى شفاء،) وهما بمعنى، على ما ذكر المصنف كما مر؛ **(فالجواب أنه يحتمل أن يكون عبر بالإنزال عن التقدير،)** أي قدر الله تعالى له دواء، **(ويحتمل أن يكون المراد أنزل علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ)** وغيره من الأنبياء، وبالإلهام لغيرهم، أو المعنى: أنزل الغيث الذي تتولد منه الأغذية والأدوية وغيرهما، أو معنى الإنزال إعلام عباده، ورد بأنه أخبر بعموم الإنزال لكل داء ودوائه، وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك، ومر هذا كله **(وأين يقع)** استفهام إنكاري، أي لا يقع **(طب حذاق الأطباء، الذي غايته أن يكون مأخوذًا من قياس أو مقامات،)** كذا في نسخ، ولعله معاناة، وفي نسخ: أو مناطات، أي متعلقات، **(وحدس وتجربة)** مونخا **(من الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى رسوله ﷺ بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عند حذاق الأطباء من الطب إلى هذا الوحي، كنسبة ما عندهم من العلوم، إلى ما جاء به النبي ﷺ،)** وهي لا تعد شيئًا بالنسبة إلى الوحي، **(بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض،)** من في من الأدوية بيانية لما في قوله: **(ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجربتهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه، والإنكسار بين يديه، والصدقة والصلاة والدعاء، والتوبة**

والتوكل عليه والانكسار بين يديه، والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق والتفريج عن المكروب.

فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لم يصل إليه علم أعلم الأطباء، وقد جربت ذلك ـ والله ـ مرات ، فوجدته يفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية.

ولا ريب أن طب النبي ﷺ متيقن البرء، لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة، وطب غيره أكثره حدس أو تجربة، وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة، وذلك لمانع قام بالمستعمل، من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول. وأظهر الأمثلة في ذلك القرءان العظيم، الذي هو شفاء لما في الصدور، ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في اعتقاده والتلقي بالقبول، بل لا يزيد المنافق إلا رجسًا إلى رجسه، ومرضًا إلى مرضه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرءان لا يناسب إلا الأرواح الطيبة

والاستغفار، والإحسان إلى الخلق،والتفريج عن المكروب،فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها،فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء،وقد جربت ذلك،والله مرات،فوجدته يفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية.) ذكر ذلك،وأقسم عليه محدثًا بنعمة الله تعالى،وحثًا على تلقي ما جاء في ذلك من الأحاديث بالقبول، فمن فعله ولم ينجح معه،فلمانع قام به،كما قال: (ولا ريب أن طب النبي ﷺ متيقن البرء) باستعماله،(لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة،) أي من جهة النبوة،(وطب غيره أكثره حدس أو تجربة،) يخطىء ويصيب،(وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة،وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به،و) ضعف (تلقيه بالقبول،) لا لأنه قد يتخلف في نفسه،لأنه محال،(وأظهر الأمثلة في ذلك القرآن العظيم، الذي هو شفاء لما في الصدور، ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به، لقصوره في اعتقاده، و) قصور (التلقي بالقبول؛ بل لا يزيد المنافق إلا رجسًا إلى رجسه،) كفرًا إلى كفره، لكفره به، (ومرضًا إلى مرضه) ضعف اعتقاده، كما قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ [التوبة: ١٢٧]، إلى أن قال: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم﴾ [التوبة: ١٢٥]، (فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة) الطاهرة من ضعف الاعتقاد ونحوه، (كما أن شفاء القرءان لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية) بكمال القبول والاعتقاد، (فإعراض عن طب

والقلوب الحية. فإعراض عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرءان الذي هو الشفاء النافع.

وكان علاجه ﷺ للمرض على ثلاثة أنواع:

أحدها: بالأدوية الإلهية والروحانية.

والثاني: بالأدوية الطبيعية.

والثالث: بالمركب من الأمرين.

(النوع الأول)

(في طبه ﷺ بالأدوية الإلهية)

اعلم ان اللّٰه تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط أعم ـ ولا أنفع ولا أعظم

النبوة) إلى التلقي عن الأطباء وعملهم بما يصفون، **(كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرءان، الذي هو الشفاء النافع،)** وهم ملومون على ذلك غير معذورين؛ وإذا أعرضوا عن القرءان القطعي، لم يستبعد إعراضهم عن الطب النبوي الظني، وإن كانوا ملومين فيهما، ونازع شيخنا؛ بأنه لا يلزم من إعراضهم عن القرءان، وإن كانوا غير معذورين، إعراضهم عن الطب النبوي، لجواز أن إعراضهم عن القرءان، لأنه في أعلى طبقات البلاغة، تقصر عقولهم عن إدراكه، ومن ثم قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النمل: ٤٤]، بخلاف ما جاء به ﷺ، فهو قريب من أفهامهم، لأنه من جنس كلام البشر، فحقهم التمسك به وعدم الإعراض عنه، لعلمهم أنه حق، ولفهمهم معناه. انتهى.

وفيه: أن الاستشفاء بالقرءان لا يتوقف على إدراك معناه، فلا دخل لكونه في أعلى طبقات البلاغة هنا، إذ مجرد تلاوته أو كتابته كافية في الاستشفاء.

(وكان علاجه ﷺ للمرض على ثلاثة أنواع: أحدها بالأدوية الإلهية والروحانية، والثاني بالأدوية الطبيعية،) أي التي توافق طبيعة المريض، وهي مزاجه المركب من الأخلاط الأربعة، **(والثالث بالمركب من الأمرين،)** بأن يدعو بدعاء ومعه دواء يوافق الطبيعة

(النوع الأول)

(في طبه ﷺ بالأدوية الإلهية)

(اعلم أن اللّٰه تعالى لم ينزل من السماء شفاءً قط أعم،) أي أشمل، **(ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أنجع،)** أي أشد تأثيرًا **(في إزالة الداء من القرآن، فهو للداء شفاء، ولصدأ:)**

ولا أنجع في إزالة الداء ـ من القرءان، فهو للداء شفاء، ولصدأ القلوب جلاء، كما قال تعالى: ﴿وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء/٨٢].

ولفظة «من» ـ كما قال الإمام فخر الدين ـ ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرءان شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضًا من الأمراض الجسمانية.

أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر وذلك المرض الروحاني نوعان: الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة، وأشدها فسادًا الاعتقادات الفاسدة في

(بالهمز والقصر) وسخ (القلوب،) أي ما يعلوها من ظلمة الذنوب، فإطلاق الصدأ عليه مجاز، (جلاء) (بكسر الجيم والمد) كشف لها، وعبر في الأول بشفاء، وفي الثاني بجلاء، تنبيهًا على أن الثاني ليس داءً قائمًا بالعضو، لكنه نتغطيته للقلب، بحيث يمنع من وصول ما ينفع من حلول الحق فيه، طلب جلاؤه منه لينتفع بما يصل إليه من المواعظ والأحكام، واقتصر في قوله الآتي: الذي هو القرآن شفاء من الأمراض على الشفاء، إشارة إلى أن الصدأ كالداء الذي يقوم بالعضو، فزواله شفاء، (**كما قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**) [الإسراء: ٨٢]، استدلال على قوله، فهو للداء شفاء؛ وأما دلالته على كونه أعظم، فلعله من قرينة خارجية، أو من التنوين في شفاء المفيد للتعظيم، مع دعوى أنه لا أعظم منه، واستفادة الأمرين، أعني شفاءً، وجلاءً من قوله شفاءً وقوله: ورحمة للمؤمنين زيادة على مدعاه، (**ولفظة من، كما قال الإمام فخر الدين**) الرازي: (**ليست للتبعيض،**) لئلا يكون بعضه ليس شفاء، مع أنه كله شفاء؛ (**بل للجنس، والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن،**) كأنه لوحظ أن المراد بالقرآن معناه اللغوي، الشامل لكل منزل، كالتوراة والإنجيل والزبور، وللذكر، وأن القرآن بالمعنى الشرعي نوع من هذا الجنس ضرورة؛ أن المنزل على المصطفى نوع من الجنس.

وقال البيضاوي: من للبيان، فإنه كله كذلك، وقيل: للتبعيض، والمعنى.

أن منه ما يشفي المرض، كالفاتحة وآيات الشفاء. انتهى.

ولا يخفى أن البيان يستدعي مبينًا اسم مفعول، وهو قوله: ما هو شفاء، وقدم عليه البيان اهتمامًا بشأنه وتعظيمًا له، (**شفاء من الأمراض الروحانية،**) وهي ما لا تؤثر ظاهرًا في الجسم، سمي روحانيًا لتعلقه بالروح الذي هو قوام البدن، فإطلاق المرض عليه مجاز، نحو: في قلوبهم مرض، (**وشفاء أيضًا من الأمراض الجسمانية**) (بكسر الجيم)، التي تظهر في الجسم.

(**أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية، فظاهر، وذلك المرض الروحاني نوعان:**) النوع الأول: (**الاعتقادات الباطلة، و**) النوع الثاني: (**الأخلاق المذمومة،**) كما يأتي، (**وأشدها**

الإلهية والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرءان مشتمل عى دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة. ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخط في هذه المطالب، والقرءان مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القرءان شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني. وأما الأخلاق المذمومة فالقرءان مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال المحمودة، فكان القرءان شفاء من هذا النوع من المرض. فثبت أن القرءان شفاء من جميع الأمراض الروحانية.

وأما كونه شفاء من الأمراض الجمسانية، فلأن التبرك بقراءته ينفع كثيرًا من الأمراض. وإذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى

فسادًا الاعتقادات الفاسدة في الإلهية،) كاعتقاد بعض الفلاسفة، أنه تعالى لا يعلم الجزئيات، وكنفي المعتزلة الصفات الذاتية عنه، ونحو ذلك، **(والنبوات والمعاد،)** كنفيه أصلاً، أو نفي المعاد الجسماني، **(والقضاء والقدر والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخط في هذه المطالب، والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب، لا جرم)** بمعنى حقًا، والعامل فيه **(كان،)** والمعنى: كان حقًا **(القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني،)** ويحتمل أنه معمول للكاشفة.

قال شيخنا: ولعله الأقرب لقربه منه، ولأن الأصل عدم تقديره مؤخرًا، قال الفراء: لا جرم في الأصل، بمعنى: لا بد ولا محالة، ثم كثرت، فحولت إلى معنى القسم، وصارت بمعنى حقًا، ولذا يجاب باللام نحو لا جرم، لأفعلن.

(وأما الأخلاق المذمومة) قسيم لمقدر، فهم من الكلام السابق، **(فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد، و)** مشتمل على **(الإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال المحمودة، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض، فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية،)** تفريع على ما قدمه؛ أنه شفاء للاعتقادات الفاسدة والأخلاق المذمومة.

(وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية، فلأن التبرك بقراءته ينفع كثيرًا، من الأمراض،) كما شوهد كثيرًا **(وإذا اعتبر،)** كذا في نسخ: بمعنى اعتد، وفي أخرى: اعترف،

المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارًا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد أفلا تكون قراءة القرءان العظيم المشتمل على ذكر جلال اللّه وكبريائه، وتعظيم الملائكة المقربين، وتحقير المردة والشياطين سببًا لحصول النفع في الدين والدنيا.

ويتأيد ما ذكرنا بما روي أن النبي ﷺ قال: من لم يستشف بالقرءان فلا شفاه اللّه.

ونقل عن الشيخ أبي القسم القشيري ـ رحمه اللّه ـ أن ولده مرض مرضًا شديدًا حتى أشرف على الموت، واشتد عليه الأمر، قال: فرأيت النبي ﷺ في المنام فشكوت إليه ما بولدي فقال: أين أنت من آيات الشفاء؟ فانتبهت فأفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب اللّه، وهي قوله تعالى:

﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة/١٤].

وهي أنسب (**الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات؛ بأن لقراءة الرقى المجهولة، والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارًا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد، أفلا تكون قراءة القرآن العظيم**،) ينبغي أن تجعل الفاء في أفلا مؤخرة، والأصل فألا، لتكون الفاء داخلة على جواب الشرط، أما جعلها في محلها عاطفة على مقدر بعد الهمزة، كما هو أحد المذهبين، فيرد عليه؛ أن جواب الشرط إذا كان طلبيًا يجب اقترانه بالفاء، وهو هنا كذلك، لأن الاستفهام طلب (**المشتمل على ذكر جلال اللّه وكبريائه، وتعظيم الملائكة المقربين، وتحقير المردة الشياطين سببًا لحصول النفع في الدين والدنيا، ويتأيد ما ذكرنا بما روي أن النبي ﷺ، قال: من لم يستشف بالقرآن**،) أي من لا يعتد بطلب كونه شافيًا، لاعتقاده عدم الشفاء به، وبهذا حسن تفريع الجواب، بقوله: (**فلا شفاه اللّه**.) وسقطت معارضته لأحاديث الأمر بالدواء.

(**ونقل عن الشيخ أبي القسم**) عبد الكريم بن هوازن (**القشيري**،) العلم الشهير، صاحب الرسالة (**رحمه اللّه: أن ولده مرض مرضًا شديدًا حتى أشرف منه على الموت، واشتد عليه الأمر، قال: فرأيت النبي ﷺ في المنام، فشكوت إليه ما بولدي، فقال: أين أنت من آيات الشفاء؟**،) أي التي ذكر فيها الشفاء، والاستفهام تعجبي من شكوى مرض ولده، ولم يستعمل آيات الشفاء المزيلة للمرض، والغرض منه إرشاده إلى استعمالها، لا أنه تعجب حقيقي، ولا توبيخه، لأنه قبل ذلك لم يكن عالمًا؛ بأنها سبب للشفاء، (**فانتبهت فأفكرت فيها، فإذا هي في ستة مواضع من كتاب اللّه، وهي قوله: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾**،) مما بهم (**﴿وشفاء﴾**)

﴿وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس/٥٥٧] ·
﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ [النحل/٦٩].
﴿وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء/٨٢].
﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء/٨٠].
﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ [فصلت/٤٤].

قال: فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال، أو كما قال.

وانظر رقية اللديغ بـ«الفاتحة» وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع.

دواء (﴿لما في الصدور﴾) [يونس: ٥٧]، من العقائد الفاسدة والشكوك، (﴿يخرج من بطونها﴾،) أي النحل (**شراب**) هو العسل، (﴿**مختلف ألوانه**﴾) بالبياض والحمرة، وغيرهما، (﴿**فيه شفاء** لـ اس﴾) من الأوجاع، قيل لبعضها، كما دل عليه تنكير شفاء، أو لكلها بضميمته إلى غيره.

قال السيوطي: وبدونها بنيته، وقد أمر به النبي ﷺ من استطلق بطنه (﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء**﴾،) من الضلالة (﴿**ورحمة للمؤمنين**﴾،) به، (﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾) من الأمراض (﴿**قل هو للذين آمنوا هدى**﴾) من الضلالة (﴿**وشفاء**﴾) من الجهل، (**قال: فكتبتها**) على هذا الترتيب الموافق لترتيب القرآن، كما هو ظاهره، قال شيخنا: ولعله ليس بشرط في حصول المقصود بها، فلو قرأها أو كتبها على غير هذا الترتيب، لم يمنع من حصول الشفاء بها. انتهى.

والاظهر خلافه، فإن للترتيب تأثيرًا عندهم، (**ثم حللتها بالماء وسقيته إياها، فكأنما نشط من عقال**) ما يعقل به البعير، (**أو كما قال:**) شك، ولعله اختار ذلك على مجرد تلاوتها، ليصل أثر الحروف لبدن المريض، فيكون أبلغ.

وفي الكواكب الدرية في ترجمة القشيري المذكور: مرض له ولد، بحيث أيس منه، فرأى الحق تعالى في النوم، فقال: اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه، أو اكتبها في إناء واسقه إياه، ففعل فعوفي. انتهى.

فلعل الواقعة تعددت في الولد نفسه، أو في غيره، فإنه كان له عدة أولاد، ولعله نسي الرؤيا الأولى حتى رأى الثانية منهما، فأخبر بهما جميعًا تحدثًا بنعمة رؤية الله ورسوله، (**وانظر**) نظر تأمل وتدبر (**رقية اللديغ**) (بدال مهملة وغين معجمة) (**بالفاتحة، وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع**،) تجد تحقيق كون القرآن شفاء من جميع الأدواء والعلل، (**وتأمل قوله عليه**

وتأمل قوله عليه السلام في بعض أدعيته: «وأن تجعل القرءان العظيم ربيع قلبي، وشفاء صدري» أي فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله.

وفي حديث علي عند ابن ماجه مرفوعًا: خير الدواء القرءان.

وههنا أمر ينبغي أن يتفطن له، نبه عليه ابن القيم: وهو أن الآيات والأذكار والأدعية التي يستشفي بها، ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا

السلام في بعض أدعيته، وأن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري،) يأتي الحديث تامًا في طبه من داء الهم والكرب، عن مسند أحمد، لكن بلفظ: أن تجعل بلا واو، **(أي فيكون)** القرآن **(بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن إلى صحته واعتداله)**.

(وفي حديث علي) أمير المؤمنين، **(عند ابن ماجه مرفوعًا: «خير الدواء القرآن»،)** أي خير الرقية ما كان بشيء من القرآن لأنه دواء القلوب والأرواح والأبدان، وكلام الرحمٰن الذي فضله كفضل الله تعالى على خلقه، وفيه آيات مخصوصة، تعرفها الخواص لإزالة الأمراض والأعراض، وممن اعتنى بذلك الغزالي وغيره، **(وههنا أمر ينبغي أن يتفطن، له نبه عليه ابن القيم، وهو أن الآيات والأذكار والأدعية التي يستشفي:)** يطلب الشفاء **(بها)** من الله **(ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي)** تتطلب **(قبول المحل،)** يعني المرقي بها **(وقوة همة الفاعل وتأثيره،)** بمزيد صلاحه وتقواه **(فمتى تخلف الشفاء، كان لضعف تأثير الفاعل،)** كسيف قاطع في يد ضعيف أو جبان، **(أو لعدم قبول المحل المنفعل،)** أي الذي من شأنه أن يتأثر بقبول الدواء أو الذي يظهر فيه أثر الدعاء عادة، فلا ينافي قوله لعدم قبول المحل، فالمريض الذي أيس منه، إذا رقي أو دعي له، فتخلفه لعدم قبول المريض، فالفاعل ذلك معتدٍ إذ اللائق بمن رأى علامات الموت ترغيبه في الآخرة والتوبة والرجاء وتحسين الظن بالله ونحو ذلك، **(أو لمانع قوي فيه، يمنع أن ينجع فيه الدواء)** بالأدوية الإلهية، كتراكم الذنوب، **(كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء،)** وإن كان في نفسه نافعًا.

أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان الدواء في نفس فعالة، وهمة مؤثرة أثر في إزالة الداء.

وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في رفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، وأما الحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وقد روى الحاكم حديث:

(**وقد يكون نافع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام، كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول،**) بخلاف ما إذا لم تقبله، فلا يظهر أثره، بل قد يضرها، (**وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان الدواء في نفس فعالة وهمة مؤثرة أثر في إزالة الداء، وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب، ولكنه قد يتخلف أثره عنه إما لضعفه،**) أي الدعاء (**في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان،**) كما قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف: ٥٥]، أي بالتشدق ورفع الصوت، وقد فسره زيد بن أسلم بالجهر، وأبو مجاز بسؤال منازل الأنبياء، وسعيد بن جبير بالدعاء على المؤمن بالشر.

أخرج ذلك ابن أبي حاتم، وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما، عن سعيد بن أبي وقاص، أنه سمع ابنًا له يدعو ويقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها، وأعوذ بك من النار وسلاسلها، وأغلالها، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وقرأ هذه الآية، وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، (**وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء،**) بأن يرى أن جميع الأفعال منه، وأنه لا شريك له في شيء منها، حتى لو جرى على يده شفاء أو نحوه، كان ذلك إنما هو بخلق الله لما حصل على يده من الشفاء أو غيره.

(**وأما الحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم،**) كما في حديث: فأنى يستجاب له، (**ورين الذنوب على القلوب،**) أي: الصدأ الحاصل عليها من ارتكاب الذنوب، وأشير إلى ذلك في خبر؛ أن العبد إذا أذنب ذنبًا حصل في قلبه، نكتة سوداء حتى يسود قلبه فذلك السواد الذي يشبه الصدأ هو المعبر عنه بالرين، (**واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وقد**

واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه.

ومن أنفع الأدوية الدعاء، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنه نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب، والجمعية بالكلية على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، كثلث الليل الأخير، مع الخضوع والانكسار، والذل والتضرع، واستقبال القبلة، والطهارة ورفع اليدين، والبداءة بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، بعد التوبة والاستغفار والصدقة، وألح في المسألة، وأكثر التملق والدعاء، والتوسل إليه

روى الحاكم) في الدعاء والذكر من مستدركه، ومن قبله الترمذي في الدعوات، وقال: غريب وضعفه النووي والعراقي والحافظ: **(حديث)** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، **(واعلموا أن الله لا يقبل)** وفي رواية، لا يستجيب **(دعاء)** (بالمد) **(من قلب غافل)** (بالإضافة ويجوز عدمها وتنوينهما) **(لاه)** أي: لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن الحضور مع مولاه، مشغول بما أهمه من أمر دنياه.

قال الإمام الرازي: أجمعت الأمة على أن الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني قليل النفع، عديم الأثر، قال: وهذا الاتفاق غير مختص بمسألة معينة، ولا بحالة مخصوصة، **(ومن أنفع الأدوية الدعاء، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل)**.

وقد روى أبو الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعًا: «الدعاء يرد البلاء»، ورواه الديلمي، بلفظ: يرد القضاء.

وروى الترمذي، عن ابن عمر رفعه: أن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وللطبراني عن عائشة، مرفوعًا: الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وأن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة، وللترمذي، وقال حسن غريب، عن سلمان مرفوعًا: لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، ولأحمد والطبراني، وصححه ابن حبان والحاكم، عن ثوبان، رفعه: لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وللطبراني عن معاذ، مرفوعًا: لن ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله، **(وهو سلاح المؤمن)** كما رواه أبو يعلى والحاكم عن علي، مرفوعًا: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض»، **(وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب)** مع الله، **(والجمعية بالكلية على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، كثلث الليل الأخير)** وساعة يوم الجمعة، وسماع الأذان **(مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع، واستقبال القبلة، والطهارة، ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بعد التوبة)** الندم والعزم على

بأسمائه وصفاته، والتوجه إليه بنبيه ﷺ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، لا سيما إن دعا بالأدعية التي أخبر ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.

ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى اللّٰه تعالى والالتجاء إليه في كل ما ينوب الإنسان.

وأما الرقى فاعلم أن الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء اللّٰه تعالى، هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن اللّٰه

عدم العود» (**والاستغفار والصدقة وألح في المسألة،**) لقوله ﷺ: «إن اللّٰه يحب الملحين في الدعاء»، رواه الطبراني وغيره.

(**وأكثر التملق والدعاء والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، والتوجه إليه بنبيه ﷺ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا،**) لجمعه شروط الدعاء وآدابه، (**لا سيما إن دعا بالأدعية التي أخبر ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم،**) كدعوة ذي النون، واللّٰه لا إله إلا هو الحي القيوم، (**ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى اللّٰه تعالى والالتجاء إليه في كل ما ينوب الإنسان**) بشرط غلبة ظن الإجابة، بحيث تكون أغلب على القلب من الرد، لأن الداعي إذا لم يكن جازمًا، لم يكن رجاؤه صادقًا، وإذا لم يصدق الرجاء لم يخلص الدعاء، إذ الرجاء هو الباعث على الطلب، ولا يتحقق الفرع بدون تحقق الأصل، ولأن الداعي إذا لم يدع اللّٰه على يقين أنه يجيبه، فعدم إجابته إما لعجز المدعوّ، أو نحله، أو عدم علمه بالابتهال، وذلك كله على الحق تقدس محال، ولذا قال: ادعو اللّٰه وأنتم موقنون بالإجابة.

قال الكمال بن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحرير النغم إظهارًا للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم أن قصده إعجاب الناس به، فكأنه يقول: اعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء، كما يفعله قراء هذا الزمان يصدر ممن فهم معنى الدعاء، والسؤال، وما ذاك إلا نوع لعب، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدى سؤاله مطلبه، بتحرير النغم من رفع وخفض وتطريب وترجيح، كالتغني نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني، فاستبان أن ذلك من مقتضيات الخيبة والحرمان. انتهى.

(**وأما الرقى:**) (بضم الراء وفتح القاف جمع رقية اسم للمرة من التعويذ)، (**فاعلم أن الرقي**) (بفتح الراء وسكون القاف مصدر رقى، أي التعويذ، ويصح ضم الراء وفتح القاف)، بتقدير أن الرقى الحاصلة (**بالمعوذات وغيرها من أسماء اللّٰه تعالى هو الطب الروحاني إذا**

تعالى، لكن لما عزَّ هذا النوع، فزع الناس إلى الطب الجسماني.

وفي البخاري، من حديث عائشة، أنه ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والإخلاص فيكون من باب التغليب، أو المراد الفلق والناس.

وكذلك كل ما ورد التعويذ في القرءان، كقوله تعالىٰ: ﴿**وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين**﴾ [المؤمنون/٩٧].

وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن مسعود: أن رسول

كان على لسان الأبرار:) جمع بر، وهو الصادق، أو المتقي **(من الخلق؛)** بأن يصدر منهم قراءة أو كتابة، (حصل الشفاء بإذن الله تعالى، لكن لما هذا النوع)، أي: قل لقلة أهله **(فَزِع)** (بفتح الزاي وكسرها، أي لجأ) **(الناس إلى الطب الجسماني)** بالأدوية.

(وفي البخاري) ومسلم، كلاهما في الطب **(من حديث عائشة: أنه ﷺ كان ينفث)** (بضم الفاء وكسرها بعدها مثلثة، أي ينفخ نفخًا لطيفًا أقل من التفل) **(على نفسه في المرض الذي مات فيه،)** كالمرض الذي قبله، فاستمر ذلك ولم ينسخ **(بالمعوذات)** (بكسر الواو).

قال عياض: فائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة، أو الهواء الذي ماسه الذكر، كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر، وفيه تفاؤل بزوال الألم وانفصاله، كانفصال ذلك النفث.

وبقية الحديث: فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها، فسألت الزهري كيف ينفث؟، قال: كان ينفث على يديه، ثم يمسح بهما وجهه، وقائل: سألت معمرًا، راوية عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قال بعضهم: لعله ﷺ لما علم أنه آخر مرضه، وارتحاله عن قريب ترك ذلك، **(وهي،)** أي المعوذات **(الفلق والناس والإخلاص، فيكون من باب التغليب،)** أي أطلق على الإخلاص اسم التعويذ لوقوعها مع المعوذتين، **(أو المراد الفلق والناس)** فقط، إما مجازًا من باب تسمية الجزء باسم الكل، أو بناءً على أن أقل الجمع اثنان، وفي أنه حقيقي أو مجازي، كالتغليب قولان: وقد روى ابن خزيمة وابن حبان وابن عبد البر، عن عائشة: كان ﷺ إذا اشتكى قرأ على نفسه بقل هو الله أحد والمعوذتين، وهذا يرجح أو يقتن التغليب، ولذا قال الحافظ المعتمد؛ أنه تغليب، لا لأن أقل الجمع اثنان، أو باعتبار أن المراد الكلمات التي يتعوذ بها من السورتين، **(وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القرآن)** فإنه من الطب الروحاني، **(كقوله تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾)** [المؤمنون: ٩٧]، نزغاتهم مما يوسوسون به.

(وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث) عبد الرحمن بن حرملة، عن

اللَّه ﷺ كان يكره عشر خصال، فذكر منها الرقي إلا بالمعوذات، ففي سنده عبد الرحمٰن بن حرملة، قال البخاري: لا يصح حديثه. وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالإذن في الرقية بالفاتحة.

وأما حديث أبي سعيد عند النسائي: كان ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فأخذ بهما وترك ما سواهما، وحسنه الترمذي، فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل على الأولوية، ولا سيما مع

(ابن مسعود؛ أن رسول اللَّه ﷺ كان يكره عشر خصال، فذكر منها الرقي إلا بالمعوذات، ففي سنده عبد الرحمٰن بن حرملة) بن عمرو الأسلمي، المدني، مات سنة خمس وأربعين ومائة.

(قال البخاري: لا يصح حديثه،) فلا يرد على قولنا: وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القرآن، **(وعلى تقدير صحته،)** لأن مسلمًا روى له، كأصحاب السنن الأربعة.

وفي التقريب: أنه صدوق، ربما أخطأ، **(فهو منسوخ بالإذن في الرقية بالفاتحة،)** أي إقرار الذي رقي بها على ذلك، وقوله: وما يدريك أنها رقية، خذوها، أي الشياه واضربوا لي معكم بسهم، كما في الصحيحين.

هذا ولفظ الحديث عند من عزاه لهم لتكميل الفائدة، عن ابن مسعود: أن رسول اللَّه ﷺ كان يكره عشر خصال: الصفرة، وتغيير الشيب، وجر الإزار، والتختم بالذهب، والتبرج بالزينة لغير محلها، والضرب بالكعاب، والرقى إلا بالمعوذات، وعقد التمائم، وعزل الماء لغير محله، وفساد الصبي غير محرمه، والصفرة الخلوق بالزعفران، والتبرج، أي تبرج النساء في غير محلها (بفتح الحاء وتكسر)، وهو تزين المرأة لزوجها، والكعاب: جمع كعب، وهو فصوص النرد، وعزل الماء، قال الخطابي: هو أن يعزل الرجل ماءه عن فرج المرأة، وهو محل الماء.

قال في النهاية: وفيه التعريض بإتيان الدبر، وفساد الصبي، أي فطمه قبل أوانه، أو وطء المرضع، فيعرضها للحمل، فيفسد الصبي، وربما قطع اللبن بحملها، وغير محرمه معناه لم يبلغ بالكراهة، . التحريم عائد إلى فساد الصبي فقط.

(وأما حديث أبي سعيد عند النسائي) والترمذي وابن ماجه: **(كان ﷺ يتعوذ من الجان،)** أي يقول أعوذ باللَّه من الجان، كما جزم به بعض الشراح، **(وعين الإنسان:)** من ناس ينوس إذا تحرك، وذلك يشترك فيه الإنس والجن، وعين كل ناظر، **(حتى نزلت المعوذتان)** الفلق والناس، **(فأخذ بهما وترك ما سواهما)**.

(وحسنه الترمذي،) فقال: حسن غريب، وصححه الضياء في المختارة، **(فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل على الأولوية،)** أي أن التعوذ بهما أولى من التعوذ

ثبوت التعوذ بغيرهما. وإنما اجتزأ بهما لما اشتملنا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً.

وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

ـ أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

ـ وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

ـ وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

بغيرهما، (**ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما**،) هكذا قاله الحافظ: يعني من القرآن وغيره، وقال غيره: وترك ما سواهما مما كان يتعوذ به من الكلام غير القرآن، لما ثبت أنه كان يرقى بالفاتحة تارة، وبالمعوذتين أخرى، وكلام الحافظ أحسن، (**وإنما اجتزأ بهما**) (بجيم، ثم زاي فألف)، أي اكتفى بهما، لكونهما كافيتين عما سواهما، كما أرشد إلى ذلك، بقوله: (**لما اشتملنا عليه من جوامع الاستعاذة**،) فهذه النسخة مساوية لنسخة اختارهما، أي قدمهما ورجحهما على غيرهما، وليس المراد على الأولى؛ أنه اكتفى بهما وإن لم يكونا كافيتين، بدليل السياق والتعليل، (**من كل مكروه جملة وتفصيلاً**،) إذ الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح، والاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب، وهو الليل إذا أظلم، أو القمر إذا غاب تتضمن الاستعاذة من شر ما انتشر فيه من الأرواح الخبيثة، والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن، ومن شر حاسد تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية.

والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر الإنس والجن، المشار له بقوله الوسواس، أي الذي يوسوس للآدمي عند غفلته عن ذكر الله، الخناس: الذي يخنس عند ذكر الله، من الجنة والناس، بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي، لقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أو من الجنة، بيان له، والناس عطف على الوسواس، واعترض الأول؛ بأن الناس، لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن.

وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب، وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك.

(**وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط**،) الأول: (**أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته**، و) الثاني: أن تكون (**باللسان العربي**،) ولم يقيده بما يفهم معناه، لأن الغالب على لسان العرب فهمه لمستعمله، (**أو بما يعرف معناه من غيره**،) لا ما لا يعرف، لجواز كونه شركًا، (و) الثالث: (**أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله**

واختلفوا في كونها شرطًا، والراجح أنه لا بد من اعتبارها.

وفي صحيح مسلم من وحديث عوف بن مالك: قال كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقي إذا لم يكن فيه شرك.

وله من حديث جابر: نهى رسول الله ﷺ عن الرقي، فجاء آل عمرو بن

تعالى،) وهذا الشرط لا بد منه للجواز، فإن انتفى لم يجز، بل ربما جر إلى الكفر، **(واختلفوا في كونها،)** أي اجتماع الثلاثة **(شرطًا،)** ليحصل المقصود بها أولاً **(والراجح أنه لا بد من اعتبارها)** ليحصل المقصود، لأنه عند انتفائها قد يحصل، وقد لا يحصل، وهو الغالب، هكذا قال في الحاشية، وقال في تقريره قوله، وأجمعوا يخالف قوله، واختلفوا إلا أن يؤول؛ بأن معناه شرطًا في الجواز، كما دل عليه قوله بعد، والشرط الثالث لا بد منه، أي للجواز، فالثلاثة لحصول القصد، ولكن الثالث للجواز أيضًا، فإذا انتفى انتفى الجواز، بل ربما جر إلى الكفر. انتهى، وفيه شيء مع قوله: أجمعوا على جواز.

(وفي صحيح مسلم و) أبي داود **(من حديث عوف بن مالك)** الأشجعي، صحابي مشهور من مسلمة الفتح وسكن دمشق ومات سنة ثلاث وسبعين، **(قال: كنا نرقي)** (بفتح النون وسكون الراء) **(في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى)** لنا **(في ذلك؟)** أنفعله أم نتركه؟ وفيه استفهام العالم عما جهل حكمه، **(فقال: اعرضوا)** (بكسر الهمزة والراء بينهما عين مهملة ساكنة) وهي همزة وصل تسقط في الدرج وتثبت في الابتداء مكسورة)، أي أبرزوا **(على رقاكم)** لأني العالم الأكبر، المتلقي عن معلم العلماء ومفهم الحكماء، فلما عرضوها عليه، قال: **(لا بأس بالرقي)**، أي جائزة **(إذا لم يكن فيه)**، أي فيما رقي به **(شرك)**، أي شيء يوجب اعتقاده الكفر، أو شيء من كلام أهل الشرك، الذي لا يوافق أصول الإسلام، ولذا منع الرقي بالسرياني والعبراني، ونحوهما مما جهل معناه خوف الوقوع في ذلك، وفيه أن على المفتي أن يسأل المستفتي عما أبهمه في السؤال قبل الجواب، وجواز الرقي بما لا ضرر فيه، وإن كان بغير أسماء الله وكلامه، لكن إذا فهم معناه، والحث على السعي في إزالة المرض والضرر عن المسلمين بكل ممكن جائز.

(وله،) أي لمسلم بمعنى روى أيضًا **(من حديث جابر)** بن عبد الله: **(نهى رسول الله ﷺ عن الرقي)** خوف الوقوع في محذور، فجاء آل عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري، الصحابي المشهور، قال في مقدمة الفتح، وفي موطأ ابن وهب التصريح بعبارة بن حزم من آل عمرو،

حزم بن يزيد الأنصاري، فقالوا: يا رسول اللَّه، إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، قال: اعرضوها علي، قال: فعرضوا عليه، فقال: ما أرى بأسًا، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه.

وقد تمسك قوم بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقي يؤدي إلى الشرك فإنه يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطًا. والشرط الأخير لا بد منه.

(فقالوا: يا رسول اللَّه إنه) أي الشأن والحال، **(كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب،)** وإنك نهيت عن الرقي.

هذا سقط من قلم المصنف، وهو في مسلم وغيره، قال النووي: أجاب العلماء عنه بأجوبة، أحدها كان نهي أول، ثم نسخ ذلك وأذن فيها، وفعلها واستقر الشرع على الإذن، والثاني: أن النهي عن الرقي المجهولة، والثالث: أن النهي كان لقوم يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها، كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء كثيرة، **(قال: اعرضوها علي قال: فعرضوا عليه،)** الرقية التي كانوا يرقون بها، **(فقال: ما أرى بأسًا: من استطاع)** منكم **(أن ينفع أخاه)** في الدين، **(فلينفعه)** ندبًا مؤكدًا، وقد يجب في بعض الصور، وحذف المنتفع به لإرادة التعميم، فيشمل كل ما ينتفع به من رقية، أو علم، أو جاه، أو مال، أو نحو ذلك.

فقول الفردوس: يعني بالرقية فيه نظر، وفيه قوله منكم الساقطة من قلم المصنف، إشارة إلى أن نفع الكافر أخاه بنحو صدقة عليه لا يثاب عليه في الآخرة، وهو ما عليه جمع، والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة.

وفي رواية لمسلم أيضًا عن جابر قال: لدغت رجلاً منا عقرب ونحن جلوس مع رسول اللَّه ﷺ، فقال رجل: يا رسول اللَّه أرقى، فقال: من استطاع، فذكره.

قال التوربشتي: كأن السائل عرف أن من حق الإيمان اعتقاد أن المقدور كائن لا محالة، ووجد الشرع يرخص في الاسترقاء ويأمر بالتداوي وبالاتقاء عن مواطن المهلكات، فأشكل عليه الأمر، كما أشكل على الصحب حين أخبروا أن الكتاب يسبق على الرجل، فقالوا: ففيم العمل، **(وقد تمسك قوم بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها،)** لأن نفعها يبعدها عن التأدية إلى الشرك، **(لكن دل حديث عوف)** المذكور؛ على **(أنه مهما كان من الرقي يؤدي إلى الشرك فإنه يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطًا،)** ولو جربت منفعتها، **(والشرط الأخير)** هو أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها **(لا بد منه،)**

وقال قوم: لا يجوز الرقية إلا من العين واللدغة، لحديث عمران بن حصين: لا رقية إلا من عين أو حمة.

وأجيب: بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مسّ أو نحو ذلك، لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن أحوال شيطانية من إنس أو جن، يلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية. وقد وقع عند أبي داود من حديث أنس مثل حديث عمران وزاد: أو دم، وفي مسلم من حديث أنس أيضًا رخص رسول الله ﷺ في

فإن اعتقد أن تأثيرها بذاتها لم يجز الرقي بها، بل ربما أدت إلى الكفر.

(**وقال قوم: لا يجوز الرقية إلا من العين واللدغة، لحديث عمران بن حصين**) عند البخاري موقوفًا: (**«لا رقية إلا من عين»**) يصيب العائن بها غيره إذا استحسنه عند رؤيته، (**أو حمة**) (بضم الحاء المهملة وخفة الميم).

قال في النهاية: وقد تشد، وأنكره الأزهري، وهي السم، وتطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السم يخرج منها، وأصلها حمو أو حمى بوزن صرد والهاء فيه عوض عن الواو المحذوفة أو الياء.

وقال الخطابي: الحمة اسم ذوات السموم، وقد تسمى إبرة العقرب، والزنبور حمة، لأنها مجرى الشم، وكذا رواه مسلم عن بريدة بن الحصيب موقوفًا عليه، لكن رواه أبو داود، وصححه الحاكم من حديث أنس، عن النبي ﷺ.

(**وأجيب؛ بأن معنى الحصر فيه؛ أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية**) من الأمراض والأوجاع، لورود الرقية في ذلك، (**فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل:**) (بفتح الخاء المعجمة وسكون الموحدة) جنون، وشبهه كالهوج والبله والخبل (بفتح الباء أيضًا) الجنون، كما في المصباح، (**أو مس**) من جن غير عقله، وصيره كالمجنون، (**أو نحو ذلك، لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن أحوال شيطانية من إنس أو جن، ويلتحق بالسم**) الحاصل من لدغة العقرب (**كل ما عرض للبدن من قرح**) (بفتح القاف وضمها)، (**ونحوه من المواد السمية،**) فتطلب الرقية من ذلك كله.

(**وقد وقع عند أبي داود،**) وصححه الحاكم (**من حديث أنس،**) عن النبي ﷺ (**مثل حديث عمران**) الموقوف عليه، (**وزاد**) في حديث أنس: (**أو دم**) لا يرقأ، هذا بقيته عند أبي داود، فبان بهذه الزيادة أن الحصر ليس بمراد.

(**وفي مسلم من حديث أنس أيضًا: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين**

الرقية من العين والحمة والنملة وفي حديث آخر والأذن، ولأبي داود من حديث الشفاء بنت عبد اللّه أن النبي ﷺ قال: «ألا تعلمين هذه ـ يعني حفصة رقية النملة»؟

والنملة: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

وقيل: المراد بالحصر يعني الأفضل، أي لا رقية أنفع، كما قيل: لا سيف أقطع إلا ذو الفقار.

والحمة والنملة،) فزيادة النملة تعطي أن الحصر ليس بحقيقي.

(**وفي حديث آخر: والأذن،)** أي وجع الأذن، فهذه ثلاث، ورد النص عليها الدم والنملة والأذن، فليس الحصر بمراد، (**ولأبي داود من حديث الشفاء)** (بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء والمد)، كما قاله ابن الأثير وغيره، وضبطها ابن نقطة وغيره بالقصر، وهو المعتمد (**بنت عبد اللّه)** بن عبد شمس القرشية العدوية، لها أحاديث، وهي غير الشفاء بنت عوف التي حضرت ولادته ﷺ: (**أن النبي ﷺ قال)** لها: (**ألا تعلمين هذه، يعني حفصة)** بنت عمر أم المؤمنين، (**رقية النملة،)** فقالت: بسم اللّه ضلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدًا، اللهم اكشف الباس رب الناس، ترقى بها على عود سبع مرات، وتقصد مكانًا نظيفًا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق، وتطليه على النملة، ذكر المصنف فيما يأتي.

وفي النهاية قيل: إن هذا الكلام لعب وممازحة، كقوله للعجوز: لن يدخل الجنة عجوز، وذلك أن رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء، يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال: العروس تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفتعل، غير أن لا تعصي الرجل، فأراد ﷺ بهذا المقال: تأبين حفصة، لأنه ألقى إليها سرًا، فأفشته. انتهى.

(**والنملة)** (بفتح النون) وإسكان الميم (**قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد،)** كالساق، سمي بذلك لأن صاحبه يحس في مكانه، كأن نملة تدب عليه وتعضه، وقال الخطابي: هي قروح تخرج في الجنبين، ويقال: إنها قد تخرج في غير الجنب، ترقى فتذهب بإذن اللّه تعالى.

(**وقيل: المراد بالحصر)** في حديث، لا رقية إلا من عين أو حمة، (**يعني الأفضل، أي: لا رقية أنفع)** ولا أولى من رقية هذين، لما فيهما من زيادة الضرر، (**كما قيل)** في شرح خبر: لا سيف إلا ذو الفقار، الذي أخرجه الحسن بن عرفة عن أبي جعفر الباقر، قال: نادى ملك من السماء يوم بدر: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي؛ أن معناه: (**لا سيف أقطع إلا ذو**

وقال قوم: المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه، ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما.

وروى أبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم عن ابن مسعود، رفعه إن الرقى والتمائم والتولة شرك.

والتمائم: جمع تميمة وهي خرزة أو قلادة تعلق في الرأس، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات.

والتِوَلَة: بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا ـ شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر.

وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند

الفقار:) اسم لأحد أسيافه ﷺ، فلا ينافي أن السيوف كثيرة، وفي نسخة: بحذف اقطع، ولعلها لا تصح لقوله، كما قيل: نعم. لو قال كما في خبر لتعين حذفها.

(**وقال قوم، المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء،**) لئلا يقع به فيسيء اعتقاده، ولأنها طب روحاني، وأطباء الأدوية الجسمانية ينهون عن استعمال الدواء بلا مرض، (**والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه، ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما،**) وله وجه.

(**وروى أبو داود وابن ماجه**) والإمام أحمد، (**وصححه الحاكم،**) وأقره الذهبي (**عن ابن مسعود، رفعه: إن الرقى والتمائم**) (بفوقية فميمين بينهما همزة)، (**والتولة**) (بكسر التاء وضمها) (**شرك،**) أي: من الشرك سماها شركا، لأن المتعارف منها في عهده ما كان معهودًا في الجاهلية، وكان مشتملاً على ما يتضمن الشرك، ولأن اتخادها يدل على اعتقاد تأثيرها ويفضي إلى الشرك، قاله البيضاوي، وقال الطيبي: المراد بالشرك اعتقاد أن ذلك سبب قوي وله تأثير، وذلك ينافي التوكل والانخراط في زمرة الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.

(**والتمائم: جمع تميمه، وهي**) في الأصل (**خرزة أو قلادة تعلق في الرأس**) للأولاد لدفع العين، ثم توسعوا فيها، فسموا بها كل عوذة، (**كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات**) بذاته، فلذا أطلق عليه اسم الشرك.

(**والتولة بكسر المثناة**) الفوقية وضمها كما في ابن رسلان (**وفتح الواو واللام مخففًا، شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها**) إليها، (**وهو ضرب من السحر**).

وفي القاموس: التولة، كهمزة السحر، أو شبهة وخرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها، كالتولة، كعنبة فيهما، (**وإنما كان ذلك من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع**

غير اللَّه، ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء اللَّه وكلامه. فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى. ولا خلاف في مشروعية الفزع واللجا إليه سبحانه وتعالى، في كل ما وقع وما يتوقع.

وقال بعضهم: المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي له بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر اللَّه تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم، والتعوذ بمردتهم، ويقال: إن الحية لعداوتها بالطبع لبني ءادم تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذلك اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر اللَّه وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من شوب الشرك.

وعلى كراهة الرقي بغير كتاب اللَّه علماء الأمة.

من عند غير اللَّه،) وهكذا كان اعتقادهم، **(ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء اللَّه وكلامه،)** ولا من عقلها تبركًا بذكر اللَّه، عالمًا لا انه لا كاشف إلا اللَّه، **(فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى،)** ففيه رد على القوم الذين حملوا النهي على ما قبل الوقوع، **(ولا خلاف في مشروعية الفزع واللجا)** عطف تفسير **(إليه سبحانه وتعالى في كل ما وقع وما يتوقع،)** فهذا الاتفاق يرد أيضًا على أولئك القوم.

(وقال بعضهم: المنهي عنه من الرقي هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي له، بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر اللَّه تعالى وأسمائه ما يشوبه،) يخلطه المعزم وغيره **(من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم:)** عتاتهم الخارجين عن الطاعة، **(ويقال: إن الحية لعداوتها بالطبع لبني ءادم تصادق الشياطين، لكونهم أعداء بني ءادم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين، أجابت وخرجت من مكانها، وكذلك اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء،)** أي أسماء الشياطين **(سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر اللَّه وأسمائه، خاصة)** وكتابه من ذكره، **(وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من شوب الشرك، وعلى كراهة الرقي بغير كتاب اللَّه علماء الأمة،)** يريد وبغير أسمائه وذكره.

وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية، مما لا يعقل معناه، فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى شرك.

والثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز، فإن كان مأثورًا فيستحب.

والثالث: ما كان بأسماء غير الله تعالى من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش قال: فهذا ليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله تعالى به والتبرك بأسمائه، فيكون تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقي بكتاب الله، وبما يعرف من ذكر الله. فقلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما تعرف من كتاب الله وذكر الله.

وفي الموطأ: أن أبا بكر قال لليهودية التي كان ترقي عائشة: أرقيها

(**وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام: أحدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه، فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك، أو يؤدي إلى شرك، والثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه، فيجوز**) اتفاقًا، (**فإن كان مأثورًا**) عن النبي ﷺ أو أصحابه، (**فيستحب**) فعله، (**والثالث: ما كان بأسماء غير الله تعالى من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات، كالعرش**).

(**قال: فهذا ليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله تعالى به والتبرك بأسمائه، فيكون تركه أولى إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به،**) كأن وصفه بأوصاف تقتضي تعظيمه حتى استحق أن يتبرك به، ويجعل ذكره سببًا لشفاء المريض، (**فينبغي أن يجتنب، كالحلف بغير الله تعالى،**) المختلف في كراهته وحرمته.

(**وقال الربيع**) بن سليمان: (**سألت الشافعي عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله، فقلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين، قال: نعم إذا رقوا بما تعرف**) (بفتح التاء وكسر الراء) يا ربيع (وبضم التاء فتح الراء) صفة لما، أي برقية تعرف (وبتحتية مبني للمفعول) (**من كتاب الله،**) لعل المراد به ما يعظمونه، كغير المبدل من التوراة والانجيل، ويحتمل العموم، ويقيد جواز تمكينهم من القرءان بمن رجي إسلامه منهم.

قال شيخنا: (**وذكر الله**) تعالى، (**وفي الموطأ**) في كتاب الجامع، عن يحيى بن سعيد

بكتاب الله. قال النووي وقال القاضي عياض: واختلف قول مٰلك في رقية اليهودي والنصراني المسلم، وبالجواز قال الشافعي والله أعلم.

وروى ابن وهب عن مٰلك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط، والذي يكتب خاتم سليمٰن، وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم، رقية الذي يصاب بالعين.

روى مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لبسقته العين».

أي أن الإصابة بالعين شيء ثابت موجود، وهو من جملة ما تحقق كونه.

قال المازري: أخذ الجمهور بظاهر الحديث، وأنكره طوائف من المبتدعة

الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمٰن؛ **(أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقى عائشة،)** لفظه: أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر: **(أرقيها بكتاب الله)** القرءان والتوراة ان كانت معربة بالعربي، أو أمن تغييرهم لها.

(قال النووي: وقال القاضي عياض، واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم) بالجواز وعدمه، **(وبالجواز قال الشافعي، والله أعلم)** بالصواب من القولين، **(وروى ابن وهب عن مٰلك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط، والذي يكتب خاتم سليمٰن، وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم)** تعليل للكراهة **(رقية الذي يصاب بالعين،)** أي هذا بيان ما يرقى به المصاب بالعين، وأنها حق، **(روى مسلم)** في الطب من صحيحه، والإمام أحمد، **(عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ العين حق، ولو كان شيء سابق القدر)** (بفتحتين)، أي: لو فرض أن لشيء قوة بحيث يسبق القدر **(لسبقته العين،)** لكنها لا تسبق القدر، فكيف غيرها، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة.

قال القرطبي: فلو مبالغة في تحقيق إصابة العين جرى مجرى التمثيل، إذ لا يرد القدر شيء، فإنه عبارة عن سابق علم الله ونفوذ مشيئته، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه فهو كقولهم: لأطلبنك ولو تحت الثرى ولو صعدت السماء وقال البيضاوي معناه أن إصابة العين لها تأثير ولو أمكن أن يعاجل القدر شيء فيؤثر في إفناء شيء وزواله قبل أوانه المقدر لسبقته العين **(أي أن الإصابة بالعين شيء ثابت موجود،)** تفسير لقوله: حق، **(وهو من جملة ما تحقق كونه،)** أي وجوده بالفعل، لا أنه بطريق الإمكان.

(قال المازري:) (بفتح الزاي وكسرها نسبة إلى جزيرة بصقلية) كما في الديباج وغيره؛ وتقدم مرارًا **(أخذ الجمهور بظاهر الحديث)** من تأثيرها بارادة الله وخلقه، **(وأنكره طوائف من**

لغير معنى، لأن كل شيء ليس محالاً في نفسه، ولا يؤدي إلى قلب حقيقة، ولا إفساد دليل، فهو من مجوزات العقول. فإذا أخبر الشارع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى. وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة.

وقد إشتكى بعض الناس هذه الإصابة فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟

وأجيب: بأن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون. وقد نقل عن بعض من كان معيانًا أنه قال: إذا رأيت شيئًا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني. ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد، ولو وضعتها بعد طهرها لا يفسد. ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد.

المبتدعة لغير معنى،) كقول بعض الطبائعيين: لا شيء إلا ما يدركه الحواس الخمس، وما عدا ذلك لا حقيقة له، وهذا لا معنى له، (**لأن كل شيء ليس محالاً في نفسه، ولا يؤدي إلى قلب حقيقة، ولا إفساد دليل، فهو من مجوزات العقول،**) أي من الأمور التي تقول العقول بإمكانها، وكل ما جوزته وجاء في السنة وجب قبوله والأخذ بظاهره، كما أشار له بقوله: (**فإذا أخبر الشارع بوقوعه، لم يكن لإنكاره معنى**) سوى العناد والمكابرة، (**وهل من فرق بين إنكارهم هذا،**) أي إصابة العين استفهام انكاري بمعنى النفي، أي لا فرق بين إنكارهم هذا (و) بين (**إنكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة،**) ومعلوم انه لا يعبأ به، بل قد يكون كفرًا.

(**وقد اشتكى بعض الناس هذه الإصابة، فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟**) اسم مفعول من عانه، إذا أصابه بالعين تقول، كما في الفتح: عنت الرجل أصبته بعينك، فهو معين ومعيون؛ (**وأجيب بأن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون،**) فيحصل له الضرر بتقدير اللّه.

(**وقد نقل عن بعض من كان معيانا**) (بكسر الميم شديد الإصابة بالعين كعيون) (**أنه قال: إذا رأيت شيئًا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني،**) أي فإذا خرجت قد تصل إلى بدن المعيون، (**ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد، ولو وضعتها بعد طهرها لا يفسد،**) وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسها، كما في الفتح، (**ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء**) (بالمد مؤنس أرمد، كحمراء مؤنس أحمر) (**فيرمد،**) ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو.

وقال المازري: زعم بعض الطبائعيين أن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد. وهو كإصابة السم من نظر الأفعى، وأشار إلى منع الحصر في ذلك مع تجويزه. وإن الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها اللّه تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر، وهل ثم جواهر حقيقة أو لا؟ هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه. ومن قال ممن ينتمي إلى الإسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن ثم جواهر لطيفة غير مرئية ينبعث من العائن فتتصل بالمعيون، وتتخلل مسام جسمه، فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد أخطأ بدعوى القطع، ولكنه

(وقال المازري: زعم بعض الطبائعيين أن العائن ينبعث:) يخرج **(من عينه قوّة سمية تتصل بالمعين فيهلك:)** يموت **(أو يفسد)** جسمه أو عقله، **(وهو كإصابة السم من نظر الافعى:)** حية رقشاء، دقيقة العنق، عريضة الرأس، لا تزال مستديرة على نفسها، لا ينفع منها ترياق ولا رقية، فالمراد أن جنسًا من الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن، وعبارة المازري عقب قوله: فيهلك أو يفسد، قالوا: ولا يمتنع هذا، كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الأفعى والعقرب، تتصل باللديغ فيهلك، وان كان غير محسوس لنا، فكذا العين، وهذا غير مسلم لانا بينا في علم الكلام أن لا فاعل إلا اللّه، وبينا فساد القول بالطبائع، وأن المحدث لا يفعل في غيره شيئاً، فبطل ما قالوه، ثم المنبعث من العين ان كان عرضًا فباطل لأنه لا يقبل الانتقال وان كان جوهرًا فباطل أيضًا لأن الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسد لبعضها بأولى من عكسه، فبطل ما قالوه.

(وأشار) المازري **(إلى منع الحصر في ذلك،)** أي خروج سمية من عين العائن **(مع تجويزه)** خروجها، لا على سبيل القطع، **(وإن الذي يتمشى على طريقة أهل السنة: أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها اللّه تعالى، أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر، وهل ثم جواهر حقيقة)** تخرج من العين، ولفظ المازري خفية، أي غير ظاهرة، **(أو لا هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه،)** إذ لا مستند لذلك، وإنما هو من مجوّزات العقل، وإنما يقطع بنفي الفعل عنها وإضافته إلى اللّه.

(ومن قال ممن ينتمي) ينتسب **(إلى الاسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن ثم)** هناك **(جواهر لطيفة غير مرئية ينبعث من العائن، فتتصل بالمعيون، وتتخلل مسام جسمه، فيخلق الباري)** سبحانه **(الهلاك عندها، كما يخلق الهلاك عند شرب السم)** وعند قطع الرأس، **(فقد أخطأ بدعوى القطع،)** إذ لا دليل عليه، **(ولكنه جائز أن يكون عادة ليس ضرورة ولا طبيعة)**

جائز أن يكون عادة ليس ضرورة ولا طبيعة. انتهى.

وهو كلام سديد. وليس المراد بالتأثير المعنى الذي يذهب إليه الفلاسفة، بل ما أجرى اللَّه به العادة من حصول الضرر للمعيون. وقد أخرج البزار بسنده عن جابر رفعه: أكثر من يموت بعد قضاء اللَّه وقدره بالنفس. قال الراوي: يعني العين.

وقد أجرى اللَّه العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك، كذلك الاصفرار عند رؤية من يخافه. وكثير من

ألجأ العقل إليها. (انتهى) كلام المازري، (**وهو كلام سديد،**) أي صواب، لموافقته مذهب أهل السنة.

وقال ابن العربي: الحق أن اللَّه تعالى يخلق عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكة، وقد يرفعه قبل وقوعه بالرقية، (**وليس المراد بالتأثير المعنى الذي يذهب إليه الفلاسفة؛**) أن إصابة العين صادرة عن تأثير النفس بقوتها فيه، فأول ما تؤثر في نفسها، ثم تؤثر في غيرها، وقيل: إنما هو سم في عين العائن يصيب بلفحه عند التحديق إليه، كما يصيب لفح سم الأفعى من يتصل به، كما في الفتح؛ (**بل**) المراد (**ما أجرى اللَّه به العادة من حصول الضرر للمعيون**) بخلق اللَّه تعالى.

(**وقد أخرج البزار**) والبخاري في التاريخ، والطيالسي والحكيم الترمذي (**بسنده،**) قال الحافظ، وتبعه السخاوي بسند حسن وصححه الضياء (**عن جابر، رفعه: أكثر من يموت**) من أمتي، كما في البزار وغيره، فكأنه سقط من قلم المؤلف (**بعد قضاء اللَّه وقدره،**) أي بعد تحتمهما فيما سبق، فهو حال من الخبر، أو المبتدأ عند سيبويه (**بالنفس**).

(**قال الراوي: يعني العين،**) لأنه جاء صريحًا عند من عزيناه لهم بلفظ بالعين، قال الحكيم الترمذي: وذلك لأن هذه الأمة فضلت باليقين على سائر الأمم، فحجبوا أنفسهم بالشهوات، فعوقبوا بآفة العين، فإذا نظر أحدهم بعين الغفلة، كانت عينه أعظم، والذم له ألزم، ﴿قل إن الهدى هدى اللَّه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾، فلما فضلهم اللَّه باليقين لم يرض منهم أن ينظروا إلى الأشياء بعين الغفلة، وتتعطل منة اللَّه عليهم وتفضيله لهم؛ (**وقد أجرى اللَّه العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه،**) أي يستحي منه (**من الخجل،**) هو كالاستحياء، (**فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك**) النظر، (**وكذلك الاصفرار عند رؤية من يخافه، وكثير من الناس يسقم**) (بفتح الياء

الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه. وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات لشدة ارتباطها بالعين، وليست هي المؤثرة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وكيفياتها وخواصها، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة.

والحاصل: أن التأثير بإرادة الله وخلقه ليس مقصورًا على الاتصال الجسماني، بل يكون تارة به، وتارة بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بتوجه الروح، كالذي يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله تعالى، وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي، إن صادف البدن ـ لا وقاية له ـ أثر فيه، وإلا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء انتهى ملخصًا من فتح الباري وغيره.

قال ابن القيم: والغرض العلاج النبوي لهذه العلة، فمن التعوذات والرقى:

والقاف)، يمرض (**بمجرد النظر إليه وتضعف قواه، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات لشدة ارتباطها بالعين،**) لفظ الفتح، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، أي نسبة مجازية، (**وليست هي المؤثرة، وإنما التأثير للروح والأرواح مختلفة في طبائعها وكيفياتها وخواصها، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها:**) صفتها (**الخبيثة، والحاصل أن التأثير بإرادة الله وخلقه،**) وعبارة الفتح، والمعنى أن الذي يصيب من الضرر بالعادة عند نظر الناظر إنما هو بقدر الله تعالى السابق لا بشيء يحدثه الناظر في المنظور، (**ليس مقصورًا على الاتصال الجسماني، بل يكون تارة به، وتارة بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية وأخرى بتوجه الروح،**) وهذا الحادث بلا مماسة العين بشيء من أجزاء المعيون، (**كالذي يحدث**) في البدن (**من**) الشفاء من المرض ونحوه بسبب (**الأدعية والرقي والالتجاء إلى الله تعالى، وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صادف البدن**) حال كونه، (**لا وقاية له،**) أي غير متحصن بشيء يمنع من تأثير العين، كالأدعية وخشب شجر المخيط.

قال السخاوي: بلغني ان الولي العراقي لم يكن يفارق رأسه، فتبعته (**أثر فيه**) الضرر بخلق الله، (**وإلا لم ينفذ فيه السهم، بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء. انتهى ملخصًا من فتح الباري وغيره**).

(**قال ابن القيم: والغرض العلاج النبوي**) الوارد في الأحاديث من الرقي بالأدعية ونحوها

الإكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية نحو: أعوذ بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامة.

(لهذه العلة،) أي إصابة العين، **(فمن التعوّذات والرقى الإكثار من قراءة المعوّذتين،)** لحديث عائشة السابق: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوّذات وينفث، ولحديثها أيضًا: كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، ثم يقرأ قل هو اللّه أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري.

(والفاتحة) لحديث الصحيحين في الذي رقى اللديغ بالفاتحة، فقال ﷺ: وما أدراك أنها رقية. وروى البيهقي في الشعب، عن جابر، رفعه: ألا أخبرك بخير سورة نزلت في القرءان قلت: بلى، قال: فاتحة الكتاب، قال راويه: وأحسبه قال: فيها شفاء من كل داء. وله ولسعيد بن منصور، عن أبي سعيد مرفوعًا: «فاتحة الكتاب شفاء من السم»، وللديلمي عن عمران بن حصين، مرفوعًا: «في كتاب اللّه عز وجل ثمان آيات للعين، لا يقرأها عبد في دار فتصيبهم في ذلك اليوم عين إنس أو جن فاتحة الكتاب سبع آيات وآية الكرسي»، هكذا في نسخة صحيحة بخط الحافظ ابن حجر من الفردوس للديلمي، فأوهم السخاوي في قوله، فذكر منها الفاتحة وآية الكرسي، والصواب أن يسقط قوله، فذكر منها لإيهامه انه بقي ست آيات، مع أنه بين أن السبع الفاتحة وآية الكرسي الثامنة، بقوله ﷺ: «فاتحة الكتاب سبع آيات وآية الكرسي»، يعني الثامنة، **(وآية الكرسي)** سميت بذلك لذكره فيها.

روى الديلمي، عن أبي إمامة: سمعت عليًا يقول: ما أرى رجلاً أدرك عقله في الإسلام يبيت حتى يقرأ هذه الآية: ﴿اللّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ إلى قوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾، فلو تعلمون ما هي، أو ما فيها لما تركتموها، على حال أن رسول اللّه ﷺ قال: أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش، ولم يؤتها نبي قبلي؛ قال علي: فما بت ليلة منذ سمعته من رسول اللّه ﷺ حتى أقرأها، قال أبو أمامة: وما تركتها منذ سمعتها من علي، ثم سلسله الباقون إلى الديلمي، وفي خبر سيدة البقرة آية الكرسي، أما إن فيها خمس كلمات، في كل كلمة خمسون بركة.

(ومنها: التعوذات النبوية، نحو: أعوذ بكلمات اللّه:) صفاته القائمة بذاته، وقيل: العلم، لأنه أعم الصفات، وقيل: القرءان، وقيل: جميع ما أنزله على أنبيائه، لأن الجمع المضاف إلى المعارف يعم **(التامة،)** أي الفاضلة التي لا يدخلها نقص **(من كل شيطان وهامة)** (بشد الميم) ما له سم يقتل، كالحية، قاله الأزهري، وجمعها هوام مثل دابة ودواب، وقد يطلق على ما لا يقتل، كالحشرات، كقوله ﷺ لكعب بن عجرة: أيؤذيك هوام رأسك، يعني القمل على

ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وبرأ وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمٰن.

وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه. كما قال ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: ألا بركت عليه.

الاستعارة بجامع الأذى، **(ومن كل عين لامة،)** أي مصيبة بسوء، وهي كل ما يخاف من فزع وشر، قاله المجد.

وفي النهاية: أي ذات لمم، ولذا لم يقل ملمة، واللمم طرف من الجنون يلم بالإنسان، أي يقرب منه ويعتريه؛ **(ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات،)** بالجمع، وفي السابقة بالافراد.

قال الحكيم الترمذي: وهما بمعنى، فالمراد بالجمع الجملة، وبالواحدة ما تفرق في الأمور والأوقات، ووصفها بالتمام إشارة إلى إنها خالصة من الريب والشبه، وتمت كلمات ربك صدقًا وعدلاً، **(التي لا يجاوزهن،)** لا يتعداهن **(بر:)** (بفتح الباء) تقي محسن، **(ولا فاجر:)** مائل عن الحق، أي لا ينتهي علم أحد إلى ما يزيد عليها **(من شر ما خلق وبرأ وذرأ،)** قيل: هما بمعنى خلق.

قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿هو الذي ذرأكم في الأرض﴾ [الملك: ٢٤].

وقال: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤]، فذكر الثلاثة لافادة اتحاد معناها، وقيل: البرء والذرء يكون طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل، والخلق لا يلزم فيه ذلك، **(ومن شر ما ينزل من السماء)** من العقوبات، كالصواعق، **(ومن شر ما يعرج فيها)** مما يوجب العقوبة، وهو الأعمال السيئة، **(ومن شر ما ذرأ:)** خلق **(في الأرض)** على ظهرها، **(ومن شر ما يخرج منها)** مما خلقه في بطنها،**(ومن شر فتن الليل والنهار)** الواقعة فيهما وهو من الإضافة إلى الظرف **(ومن شر طوارق الليل والنهار:)** جمع طارق، وهو الحادث الآتي بالليل، وإطلاقه على الآتي نهارًا على سبيل الاتساع **(إلا طارقًا)** نصب، لأنه استثناء متصل من كلام موجب، فهو منصوب.

وفي نسخة: بالجر بدلاً من طوارق، لأنه نفى معنى، أي فلا يصيبني شيء من طوارق الليل إلا طارق **(يطرق)** (بضم الراء)، أي يأتي **(بخير يا رحمٰن،)** وفي ختمه بذلك مزيد الاستعطاف.

(وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين، فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه،) لأنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، **(كما قال ﷺ لعامر بن ربيعة)** بن كعب بن

ومما يدفع إصابة العين: قول ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه.

ومنها رقية جبريل النبي ﷺ كما رواه مسلم: بسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس أو عين حاسد. اللَّه يشفيك، بسم اللَّه أرقيك.

وعنده أيضًا من حديث عائشة: كان جبريل يرقي النبي ﷺ إذا اشتكى: بسم اللَّه يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر كل

لملك العنزي (بنون ساكنة وزاي منقوطة) حليف الخطاب، أسلم قديمًا، وهاجر وشهد بدرًا، ومات ليالي قتل عثمن، (لما عان سهل) (بسكون الهاء) (ابن حنيف) (بضم المهملة وفتح النون وسكون التحتية وبالفاء) ابن واهب الأنصاري، الأوسي، البدري، مات في خلافة علي. (ألا) (بالفتح والتشديد)، بمعنى هلا، وبها جاء في بعض طرقه: (بركت عليه) أي قلت بارك اللَّه فيك، فإن ذلك يبطل ما يخاف من العين ويذهب تأثيره، قاله الباجي.

(**ومما يدفع إصابة العين قول ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه**) كما قال تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه﴾ [الكهف: ٣٩]، وقال ﷺ: «من رأى شيئًا فاعجبه، فقال: ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه لم يضره»، رواه البزار وابن السني عن أنس، ففيهما استحباب هذا الذكر عند رؤية ما يعجب. واستدل لملك بالآية على استحبابه لكل من دخل منزله، كما قاله ابن العربي، وأخرج ابن أبي حاتم، عن مظرف قال: كان لملك إذا دخل بيته قال: ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه، قلت له: لم تقول هذا؟، قال: ألا تسمع اللَّه تعالى يقول: وتلا الآية.

وأخرج عن الزهري مثله، (**ومنها: رقية جبريل النبي ﷺ، كما رواه مسلم**) في الطب عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد اشتكيت، قال: نعم، قال: (**بسم اللَّه أرقيك**) (بفتح الهمزة) من رقى يرقي، كرمى يرمي (**من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس أو عين حاسد**).

قال عياض: يحتمل أن يريد بالنفس نفس الحيوان، ويحتمل أن يريد بها العين، لأن النفس تطلق على العين، يقال: أصابته نفس، أي عين، والنافس العائن، وتطلق النفس والعين على أشياء أخر ليست مرادة هنا (**اللَّه يشفيك**) (بفتح أوله) يعافيك، (**بسم اللَّه أرقيك**) ختمه بما بدأه به، ليكون أنجع، فإن في تكرار الرقية نفعًا مشاهدًا، (**وعنده**) أي مسلم (**أيضًا**) في الطب (**من حديث عائشة: «كان جبريل يرقى النبي ﷺ إذا اشتكى»**) أي مرض، والشكاية المرض، وليس المراد أنه أخبر بما يجد من الألم والاستقراء، يدل ان تداويه أو أكثره، إنما هو بالرقي لا بأدوية، لأن الأدوية إنما تستعمل في الأمراض التي من قبل فساد المزاج، ومزاجه ﷺ خير الأمزجة، قاله أبو عبد اللَّه الأبي: (**بسم اللَّه**) لفظ مسلم، قال: بسم اللَّه (**يبريك**).

ذي عين.

وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه: العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا.

وظاهر الأمر الوجوب، وحكى المازري فيه خلافًا وصحح الوجوب، وقال: متى خشي الهلاك وكان اغتسال العائن مما جرت العادة بالشفاء به فإنه يتعين، وقد تقرر أنه يجب بذل الطعام للمضطر، وهذا أولى.

قال القرطبي: الاسم هنا المسمى، فكأنه قال: الله يبريك، كما قال: سبح اسم ربك الأعلى، أي سبح ربك، والاسم في الأصل عبارة عن الكلمة الدالة على المسمي، والمسمى هو مدلولها إلا انه يتوسع، فيوضع الاسم موضع المسمى مسامحة، فتدبر هذا، فإنه موضع كثر فيه الغلط وتاه فيه كثير من الجهال، **(ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد،)** خصه بعد التعميم لخفاء شره، **(ومن شر كل ذي عين)** عطف خاص على عام، لأن كل عائن حاسد، ولا عكس، فلما كان الحاسد أعم، كان تقديم الاستعاذة منه أهم، قال عياض: فيه دليل على أن الحسد يؤثر في المحسود ضررًا ما في جسمه، بمرض أو في ماله، وذلك باذن الله سبحانه.

وقال ابن القيم: أعاذه من الحاسد، لأن روحه مؤذية للمحسود، مؤثرة فيه أثرًا بينًا، لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين.

(وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين،) أعاده لأنه ترك سابقًا بقيته، وهي: **(وإذا استغسلتم،)** أي إذا طلب منكم أيها المتهمون بأنكم عنتم غسل الأعضاء الآتي بيانها، **(فاغسلوا»)** ندبًا أو وجوبًا، وهو الأصح كما يأتي، ولأحمد والطبراني، وصححه الحاكم من حديث ابن عباس: العين حق تستترل الحالق (بحاء مهملة) الجبل العالي.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة رفعه: العين حق، وزاد أحمد برجال الصحيح من حديثه، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم، وحديث: العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر، رواه أبو نعيم وابن عدي من حديث جابر، وابن عدي من حديث أبي ذر، وفي إسنادهما مقال، **(وظاهر الأمر)** في قوله: فاغسلوا **(الوجوب،)** لأنه الأصل فيه.

(وحكى المازري: فيه خلافًا) بالوجوب والندب **(وصحح الوجوب،)** وتبعه القرطبي، فقال: هو خطاب للعائن إذا فهم انه أصاب بالعين، فيجب عليه الغسل، ويبعد **(وقال)** المازري: ويبعد الخلاف فيه **(متى خشي الهلاك، وكان اغتسال العائن مما جرت العادة بالشفاء به، فإنه يتعين، وقد تقرر أنه يجب بذل الطعام للمضطر، وهذا أولى،)** قال: وبهذا التقرير يرتفع

ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال. قال الحافظ بن حجر: وقد وقع في حديث سهل بن حنيف عند أحمد والنسائي: أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كان بشعب الخرار من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل - أي صرع - وسقط إلى الأرض. فأتى

الخلاف.

وقال ابن عبد البر: الأمر للوجوب، لأن الأمر حقيقته الوجوب، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينفعه ولا يضره، لا سيما إذا كان بسببه، وكان هو الجاني عليه»، فواجب على العائن الغسل، (**ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال**).

(**قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع**،) وفي نسخة: وقعت: أي صفة الاغتسال (**في حديث سهل بن حنيف**) (بضم ففتح)، (**عند أحمد والنسائي**،) سقط من قلم المصنف قول الحافظ، وصححه ابن حبان من طريق الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، وبه يصح قوله (**إن أباه**) أي أبا أبي أمامة وهو سهل بن حنيف، أما على السقط ففاسد، إذ تصير الصحبة لحنيف، ولا صحبة له، إنما هي لابنه سهل، (**حدثه: أن النبي ﷺ خرج، وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كان بشعب الخرار:**) (بفتح الخاء المعجمة والراء الأولى الشديدة) موضع قرب الجحفة، قاله ابن الأثير وغيره، وقال ابن عبد البر: موضع بالمدينة، وقيل: من أوديتها. انتهى.

لكن يؤيد الأول قوله (**من الجحفة: اغتسل سهل بن حنيف**،) وفي رواية لملك عن محمد بن أبي أمامة، عن أبيه: فنزع، أي سهل جبة كانت عليه، (**وكان أبيض حسن**،) أي مليح (**الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة، فقال: ما رأيت كاليوم**،) أي ما رأيت في يوم جلدًا في البياض والحسن كهذا الجلد، (**ولا جلد مخبأة**) (بضم الميم وخاء معجمة وموحدة وهمز)، وهي المخدرة المكنونة التي لا تراها العيون ولا تبرز للشمس فتغيرها. - يعني: أن جلد سهل كجلد المخبأة إعجابًا بحسنه.

وفي رواية مالك المذكورة: ولا جلد عذراء بدل مخبأة، فكأنه جمع بينهما، فاقتصر كل راو على ما سمعه، أو أحدهما بالمعنى، لكن لا شك أن مخبأة أخص، (**فلبط سهل**) (بضم اللام وكسر الموحدة وطاء مهملة)، (**أي صرع وسقط إلى الأرض**) وزنًا ومعنى.

وقال ابن وهب: لبط: وعك، وكأنه فسره برواية لملك بلفظ: فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، جمعًا بين الروايتين لاتحاد القصة والمخرج، ولا يتعين لجواز أن سقوطه من شدة وعكه، وهذا أولى إبقاء للفظين على حقيقتهما.

رسول الله ﷺ فقال: هل تتهمون من أحد؟ قالوا: عامر بن ربيعة، فدعا عامرًا، فتغيظ عليه، فقال: علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برَّكت. ثم قال: اغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره، ثم كفأ القدح ففعل ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

زاد في رواية: حتى ما يعقل لشدة الوجع، **(فأتى رسول الله ﷺ)** زاد لملك عن ابن شهاب، عن أبي أمامة، فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل بن حنيف؟؛ والله ما يرفع رأسه، **(فقال: هل تتهمون من أحد)** عانه؟، **(قالوا:)** نتهم **(عامر بن ربيعة)**، وكأنهم لما قالوا ذلك ذهب ﷺ إلى سهل لتثبت الخبر منه.

ففي رواية لملك، عن محمد بن أبي أمامة، عن أبيه: فأتى رسول الله ﷺ، فأخبر أن سهلاً وعك، وانه غير رائح معك، فأتاه ﷺ، فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر بن ربيعة، **(فدعا عامرًا، فتغيظ عليه، فقال: علام،)** أي لم، وفيه معنى الإنكار **(يقتل أحدكم أخاه)** في الإسلام، أي يكون سببًا في قتله بالعين، زاد في رواية: وهو غني عن قتله، **(هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت)** به، كما هو الرواية، قال أبو عمر: أي قلت: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه، فيجب على كل من أعجبه شيء أن يبارك، فإذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة.

وقال الباجي: أي قلت: بارك الله فيك، وللنسائي وابن ماجه عن أبي إمامة، وابن السني عن عامر بن ربيعة، كلاهما مرفوعًا: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة».

وروى ابن السني، عن سعيد بن حكيم قال: كان ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئًا بعينه، قال: اللهم بارك فيه ولا تضره، **(ثم قال اغتسل له)** ولملك عن محمد: توضأ له، وظاهر أنه ليس المراد الوضوء ولا الغسل الشرعيين، بل الصفة التي بينها، بقوله: **(فغسل)** عامر **(وجهه ويديه،)** وفي رواية بدل هذا، وظاهر كفيه **(ومرفقيه،)** زاد في رواية: وغسل صدره **(وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح،)** زاد في رواية، قال: وحسبته قال: وأمر فحسا منه حسوات، **(ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره)** وظاهره، أو صريحه أن الصاب غير العائن.

ووقع عند ابن ماجه عن أبي أمامة: ثم دعا ﷺ بماء، فأمر عامرًا أن يتوضأ، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصب عليه **(ثم كفأ)** (بالهمز)، أي قلب **(القدح، ففعل ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس)** لزوال علته.

قال المازري: المراد بداخلة إزاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن: (بفتح الحاء

قال المازري: وظن بعضهم أنه كناية عن الفرج. انتهى.

وزاد القاضي عياض: أن المراد ما يلي جسده من الإزار. وقيل: أراد موضع الإزار من الجسد، وقيل: أراد وركه لأنه معقد الإزار.

ورأيت مما عزي لخط شيخنا الحافظ أبي الخير السخاوي: قال ابن بكير راويه عن مالك: إنه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد.

وقال ابن الأثير في النهاية: كان من عادتهم أن الإنسان إذا أصابته العين من أحد جاء الى العائن بقدح فيه ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى، ثم يدخل يده

المهملة وسكون القاف موضع الإزار، وقيل: الخاصرة فقط، وهذا التفسير نقله ابن عبد البر عن ابن حبيب، وقال نحوه ابن وهب عن مالك.

(قال المازري): **(وظن بعضهم أنه كناية عن الفرج،)** والجمهور على الأول. **(انتهى)** كلام المازري.

(وزاد القاضي عياض: أن المراد ما يلي جسده من الإزار) بيان لما، فداخلة الإزار على قوله هي القطعة من الإزار التي تلاقي البدن، **(وقيل: أراد موضع الإزار من الجسد،)** أي انه يغسل من بدنه ما ستره الإزار، فما قبله فسرها بما يلاقي البدن من الثوب، وهذا بما يلاقيه الثوب من البدن .

(وقيل: أَراد وركه:) بفتح الواو وكسرها وسكون الراء، وبفتحها وكسر الراء ما فوق الفخذ مؤنثة، كما في القاموس، فقوله **(لأنه معقد الإزار،)** وجهه أنه لما كان قريبًا من محل عقده سماه معقدًا، **(ورأيت مما عزى لخط شيخنا الحافظ أبي الخير)** محمد بن عبد الرحمٰن **(السخاوي)**.

(قال ابن بكير:) هو يحيى بن عبد اللّٰه بن بكير المخزومي، مولاهم المصري، وقد ينسب إلى جده ثقة في الليث، وتكلموا في سماعه من مالك مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة **(راويه،)** أي الحديث **(عن مالك)** وهو من جملة رواة الموطأ؛ **(إنه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد)**.

(وقال ابن الأثير في النهاية: كان من عادتهم أن الإنسان إذا أصابته العين من أحد جاء إلى العائن بقدح فيه ماء، فيدخل كفه فيه، فيتمضمض) بغرفة منه **(ثم يمجه في القدح، ثم)** يأخذ منه ماء **(يغسل وجهه فيه،)** أي القدح مرة واحدة، **(ثم يدخل يده اليسرى)** في

اليمنى فيصب على يده اليسرى، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى، ثم يدخل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى المستعمل على رأس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرأ بإذن اللّٰه تعالى، انتهى.

قال المازري: وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل، فلا يرد لكونه لا يعقل معناه.

القدح، (**فيصب على يده اليمنى**) صبة واحدة، (**ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على يده اليسرى**،) واحدة (**ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن**) واحدة، (**ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على مرفقه الأيسر**) صبة واحدة، (**ثم يدخل يده اليسرى، فيصب على قدمه اليمنى**،) واحدة (**ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على قدمه اليسرى**) صبة واحدة (**ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى**) صبة واحدة فيهما، (**ثم يغسل داخل إزاره، ولا يوضع القدح بالأرض**) حتى يفرغ، (**ثم يصب ذلك الماء المستعمل**) فاعل يصب (**على رأس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة، فيبرأ باذن اللّٰه تعالى. انتهى**) كلام النهاية.

وأصله من رواية ابن أبي ذئب عن الزهري، وقال: إنه من العلم. رواه ابن أبي شيبة.

قال ابن عبد البر: وهو أحسن ما فسر به، لأن الزهري راوي الحديث، زاد عياض: أن الزهري أخبر أنه أدرك العلماء يصفونه، واستحسنه علماؤنا، ومضى به العمل، قال: وجاء من رواية عقيل عن الزهري مثله، إلا أن فيه الابتداء بغسل الوجه قبل المضمضة، وفيه في غسل القدمين، أنه لا يغسل جميعهما، وإنما قال: ثم يفعل مثل ذلك في طرف قدمه اليمنى من عند أصول أصابعه، واليسرى كذلك. انتهى.

وهو أقرب لقول الحديث: وأطراف رجليه، وهذه الصفة تنفع بعد استحكام النظرة، فأما عند الإصابة وقبل الاستحكام، فقد أرشد ﷺ إلى ما يدفعه، بقوله: ألا بركت عليه، وفي رواية: فليدع بالبركة كما مر.

(**قال المازري: وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل، فلا يرد لكونه لا يعقل معناه**،) قال: وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات.

وقال ابن العربي: إن توقف فيه متشرع قلنا اللّٰه ورسوله أعلم، وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة، أو متفلسف؛ فالرد عليه أظهر، لأن عنده أن الأدوية تفعل بقواها، وقد تفعل بمعنى لا يدرك، ويسمون ما هذا سبيله: الخواص.

قال ابن القيم: ومن علاج ذلك والاحتراز عنه، ستر محاسن من يخاف عليه العين، بما يردها عنه، كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة: أن عثمٰن بن عفان رأى صبيًا مليحًا، فقال: دسموا نونته لئلا تصيبه العين، ثم قال في تفسيره، ومعنى دسموا نونته: أي سودوا نونته، والنونة: النقرة التي تكون في ذقن الصغير.

(**وقال ابن العربي: إن توقف فيه متشرع، قلنا: اللّٰه ورسوله أعلم،**) يعني أنه من التعبد كغيره من الأحكام التعبدية، (**وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة،**) فوجب قبوله وان لم يعقل معناه، (**أو متفلسف، فالرد عليه أظهر، لأن عنده أن الأدوية تفعل بقواها، وقد تفعل**) عنده (**بمعنى لا يدرك، ويسمون ما هذا سبيله الخواص،**) أي أنها تفعل بخاصية فيها، فليكن ذلك على قوله مثله، وهذا مجاراة للخصم وإن لم يقل به.

وقال ابن القيم: هذه الصفة لا ينتفع بها من أنكرها، ولا من سخر بها، ولا من شك فيها، أو فعلها مجربًا غير معتقد، وإذا كان في الطبيعة خواص لا يعرف الأطباء عللها، بل هي عندهم خارجة عن القياس وإنما تفعل بالخاصة، فما الذي ينكر جهلتهم من الخواص الشرعية، هذا مع أن في المعالجة بالاغتسال مناسبة لا تأباها العقول الصحيحة، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها، وهذا علاج النفس الغضبية، بوضع اليد على بدن الغضبان، فيسكن، فكان أثر تلك العين كشعلة من نار وقعت على جسد، ففي الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة، ثم لما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لشدة النفوذ فيها، ولا شيء أرق من المغابن، فكان في غسلها إبطال لعملها، ولا سيما أن للأرواح الشيطانية في تلك المواضع اختصاصًا، وفيه أيضًا وصول أثر الغسل إلى القلب من أرق المواضع وأسرعها نفاذًا، فتطفأ تلك النار التي أثارتها العين بهذا الماء. انتهى.

(**قال ابن القيم: ومن علاج ذلك،**) أي دفع العين قبل حصولها (**والاحتراز عنه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه، كما ذكره البغوي**) المتأخر، محيي السنة، صاحب التفسير (**في كتاب شرح السنة أن عثمٰن بن عفان رأى صبيًا مليحًا،**) أي حسنًا، (**فقال: دسموا نونته لئلا تصيبه العين، ثم قال**) البغوي (**في تفسيره،**) أي تفسير هذا اللفظ في كتاب شرح السنة: (**ومعنى دسموا نونته، أي سودوا نونته، والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصغير:**) (بفتح الذال والقاف) مجتمع اللحيين من أسفلهما.

وذكر عن أبي عبد اللَّه الساجي أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة، فكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر إلى شيء إلا أتلفه، فقيل لأبي عبد اللَّه: احفظ ناقتك من العائن، فقال ليس له إلى ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين غيبة أبي عبد اللَّه، فجاء إلى رحله فنظر إلى الناقة فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد اللَّه فأخبر أن العائن قد عانها وهي كما ترى. فقال: دلوني عليه، فوقف عليه فقال: بسم اللَّه حَبْس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، رددت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير. فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها. انتهى.

(وذكر:) وأخرجه ابن عساكر وغيره **(عن أبي عبد اللَّه)** واسمه سعيد بن يزيد **(الساجي:)** (بسين مهملة وجيم) نسبة إلى الساج الخشب، كان له آيات باهرة وكرامات ظاهرة؛ **(أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة،)** نشطة خفيفة، **(فكان في الرفقة رجل عائن، قلما نظر إلى شيء إلا أتلفه، فقيل لأبي عبد اللَّه: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين)** (بالنون) أي ترصد **(غيبة)** أي وقت غيبة، **(أبي عبد اللَّه، فجاء إلى رحله، فنظر إلى الناقة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد اللَّه، فأخبر أن العائن قد عانها وهي كما ترى، فقال: دلوني عليه،)** فدلوه على مكانه، **(فوقف عليه، فقال: بسم اللَّه حبس)** (بفتح فسكون)، كما سمعته من الوالد مرارًا ناقلاً له عن شيخه الأجهوري، فهو مبتدأ خبره بسم اللَّه، أي منع **(حابس،)** أي مانع تأثير ضرر عين العائن، **(وحجر يابس)** يصيب العائن، **(وشهاب قابس:)** كوكب يحرق العائن، **(رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه،)** ممن هو على شكله، أو المراد أحب الأشياء إليه، فيصدق ببعض أجزائه كعينيه، **(فارجع البصر هل ترى من فطور:)** صدوع وشقوق، **(ثم ارجع البصر كرتين:)** كرة بعد كرة **(ينقلب:)** يرجع **(إليك البصر خاسئًا:)** ذليلاً لعدم إدراك خلل، **(وهو حسير:)** منقطع عن رؤية خلل، **(فخرجت حدقتا العائن، وقامت الناقة لا بأس بها)** لفك العين عنها. **(انتهى)** وهذا من المجربات في إزالة أثر العين.

ومما يدفع العين أيضًا ما ذكره القاضي حسين، أحد أئمة الشافعية، قال: نظر بعض الأنبياء إلى قومه يومًا فاستكثرهم وأعجبوه، فمات منهم في ساعة سبعون ألفًا، فأوحى اللَّه إليه أنك عنتهم، ولو أنك إذ عنتهم حصنتهم لم يهلكوا، قال: وبأي شيء أحصنهم، فأوحى اللَّه إليه، تقول: حصنتكم بالحي القيوم الذي لا يموت أبدًا ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة

وفي حديث هذا الباب من الفوائد: أن العائن إذا عرف يقضى عليه بالاغتسال، وأن الاغتسال من النشرة النافعة، وأن العين قد تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب، ومن الرجل الصالح، وأن الذي يعجبه الشيء يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة، ويكون ذلك رقية منه، وأن الإصابة بالعين قد تقتل.

وقد اختلف في جريان القصاص بذلك:

فقال القرطبي: لو أتلف العائن شيئًا ضمنه، ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة، وهو في ذلك كالساحر القاتل بسحره عند من لا يقتله كفرًا. انتهى.

ولم تتعرض الشافعية للقصاص، بل منعوه وقالوا: إنه لا يقتل غالبًا ولا يعد

إلا بالله العلي العظيم.

قال المعلق عن القاضي: وكانت عادة القاضي حسين إذا نظر إلى أصحابه فأعجبه سمتهم وحسن حالهم حصنهم بهذا.

(**وفي حديث هذا الباب: من الفوائد أن العائن إذا عرف يقضى عليه بالاغتسال**) على الوجه المتقدم، (**وإن الاغتسال من النشرة:**) (بضم النون) رقية يعالج بها المجنون والمريض، كما في القاموس: (**النافعة**) وتأتي للمصنف صفتها في الكلام على السحر، (**وإن العين قد تكون مع الإعجاب، ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح،**) إذ لا شك أن عامر بن ربيعة من الصالحين، إذ هو من أهل بدر، وأسلم قديمًا، (**وإن الذي يعجبه الشيء يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة، ويكون ذلك رقية منه،**) من قوله: ألا بركت، (**وأن الإصابة بالعين قد تقتل،**) لقوله: علام يقتل أحدكم أخاه.

(**وقد اختلف في جريان القصاص بذلك، فقال القرطبي: لو أتلف العائن شيئًا ضمنه، ولو قتل، فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه، بحيث يصير عادة، وهو في ذلك كالساحر القاتل بسحره عند من لا يقتله كفرًا**) وأما عندنا، فيقتل قتل بسحره أم لا، لأنه كالزنديق (**انتهى**) كلام القرطبي بما زدته.

(**ولم تتعرض الشافعية للقصاص،**) أي لم يقولوا به، فلا ينافي قوله: (**بل منعوه،**) وإلا فمنعهم القصاص تعرض، (**وقالوا: إنه،**) أي النظر الذي يصيب به (**لا يقتل غالباً، ولا يعد**

مهلكًا. وقال النووي في «الروضة»: ولا دية فيه ولا كفارة، لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام، دون ما يختص ببعض الناس وبعض الأحوال مما لا انضباط له، كيف ولم يقع منه فعل أصلاً، وإنما غايته حسد وتمن لزوال النعمة، وأيضًا: فالذي ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص، ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة، فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين، انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ولا يعكر عليه إلا الحكم بقتل الساحر، فإنه في معناه، والفرق بينهما عسر.

ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم: أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلة الناس، وأن يلزم بيته، فإن كان فقيرًا رزقه ما يقوم به، فإن ضرره

مهلكًا).

(**وقال النووي في الروضة: ولا دية فيه ولا كفارة، لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الأحوال مما لا انضباط له، كيف**) يقتص من العائن (**ولم يقع منه فعل أصلاً، وإنما غايته حسد وتمن لزوال النعمة**) (عطف تفسير، لحسد)، (**وأيضًا: فالذي ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص، ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة، فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين. انتهى**).

لكن يقال عليه لما حصل زوال الحياة بالإصابة بالعين وإن لم يتعين في الأصل طلب بما يطلب به من أزال الحياة بالضرب مثلاً.

(**قال الحافظ ابن حجر: ولا يعكر عليه إلا الحكم بقتل الساحر، فإنه في معناه**) أي العائن، فإن السحر ليس بمنضبط ولا عام، والذي ينشأ عن حصول مكروه لا يتعين في زوال الحياة، (**والفرق بينهما** عسر).

قال شيخنا: ويمكن الفرق بأن الساحر يحصل منه أفعال يضاف إليها القتل عادة، كالعزائم التي يقصد بها القتل، ولذا قالوا: يثبت السحر، بقوله: قتلته بسحري، وسحري يقتل غالبًا، أو بالقسم الفلاني، وشهد عدلان كانا يعرفان السحر وتابا أن هذا القسم يقتل غالبًا انتهى وتعسفه لا يخفى.

(**ونقل ابن بطال**) العلامة أبو الحسن علي، (**عن بعض أهل العلم أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلة الناس:**) مخالطتهم، (**وأن يلزم بيته، فإن كان فقيرًا رزقه:**) أعطاه (**ما يقوم به**) وجوبًا من بيت المال وكف أذاه عن الناس، (**فإن ضرره أشد من ضرر**

اشد منضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع أكله من حضور الجماعة. قال النووي: وهذا القول صحيح متعين لا يعرف من غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته ﷺ.

زاد المصنف هنا وفي شرحه في التي كان يرقى بها عن عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن ملك فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول اللّه ﷺ؟ قال: بلى، قال: قل اللّهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا. رواه البخاري.

وقوله: «اذهب الباس»: بغير همزة للمواخاة، وأصله الهمز.

المجذوم الذي منعه عمر) بن الخطاب والعلماء بعده **(من مخالطة الناس، وأشد من ضرر الثوم)** بضم المثلثة **(الذي منع آكله،)** أي منعه النبي ﷺ **(من حضور الجماعة)** بالمسجد لئلا يؤذي المسلمين، ومن ضرر المؤذيات من المواشي التي يؤمر بإبعادها إلى حيث لا يتأذى بها .، هذا بقية نقل ابن بطال.

(قال النووي:) تبعًا لعياض، **(وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه)** فيعمل به، **(ذكر رقيته ﷺ،)** هذه الترجمة للبخاري بلفظ: باب رقية النبي ﷺ.

(زاد المصنف هنا، وفي شرحه في التي كان يرقى بها) غالبًا من الرقى العامة، لا في داء بعينه، فلا يرد أن ما كان يرقى به لا يختص بهذه **(عن عبد العزيز)** بن صهيب البناني بموحدة ونونين، البصري، مات سنة ثلاثين ومائة، **(قال: دخلت أنا وثابت)** بن أسلم البناني أبو محمد البصري، مات سنة بضع وعشرين ومائة وله ست وثمانون سنة **(على أنس بن ملك فقال ثابت: يا أبا حمزة)** بمهملة وزاي كنية أنس، **(اشتكيت)** بضم التاء، أي مرضت.

وفي رواية: إني اشتكيت، **(فقال أنس: ألا)** (بتخفيف اللام للعرض والتنبيه **(أرقيك)** بفتح الهمزة **(برقية رسول اللّه ﷺ،)** من إضافة المصدر إلى فاعله، أي بالرقية التي كان يرقى بها، وحديث مسلم السابق في المصنف يدل على أن الإضافة في مثل هذه للمفعول، كما في الفتح، **(قال)** ثابت: **(بلى)** ارقني، **(قال: قل اللهم رب الناس مذهب)** بضم الميم وكسر الهاء **(البأس:)** الشدة **(اشف)** بكسر الهمزة **(أنت الشافي،)** فيه جواز تسمية اللّه تعالى بما ليس في القرءان ما لم يوهم نقصًا، وكان له أصل في القرءان كهذا، ففيه: وإذا مرضت فهو يشفين، **(لا شافي إلا أنت،)** إذ لا ينفع الدواء إلا بتقديرك، **(شفاء)** بالنصب على أنه مصدر اشف، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ، أي هو **(لا يغادر سقمًا)** بفتحتين وبضم ثم سكون **(رواه البخاري)** في الطب.

(وقوله: أذهب،) كذا في النسخ تبعًا للفتح، مع أن المصنف قدمه بلفظ: مذهب، وضبطه

وفي قوله: «لا شافي إلا أنت» إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير اللّٰه وإلا فلا ينجع.

وقوله: «لا يغادر» ـ بالعين المعجمة ـ أي لا يترك.

وفي البخاري إيضًا عن مسروق عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، واشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما». وقوله «يمسح بيده» أي على الوجع.

في شرحه (بضم الميم) **(البأس بغير همز للمواخاة)** لقوله الناس، **(وأصله الهمز)**.

زاد المصنف في شرحه، وفي الفرع (بالهمز على الأصل).

(وفي قوله: لا شافي إلا أنت إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير اللّٰه، وإلا فلا ينجع) جواب الشرط الأول، وجواب الثاني، وهو: وإلا محذوف، أي نجع، أي إن لم يصادف لم ينجع، وإن صادف نجع.

(وقوله: لا يغادر ـ بالغين المعجمة ـ، أي لا يترك) سقمًا إلا أذهبه.

(وفي البخاري أيضًا:) تلو هذا الحديث، وبعده بباب **(عن مسروق)** بن الأجدع بن مَلك الهمداني، الوداعي، الكوفي، الفقيه، العابد، المخضرم، مات سنة اثنتين، ويقال: سنة ثلاث وستين **(عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعوّذ)** (بضم الياء وكسر الواو الثقيلة وذال معجمة)، أي يطلب من اللّٰه عصمة **(بعض أهله)**.

قال الحافظ: لم أقف على تعيينه، **(يمسح بيده اليمنى)** على الوجع، على طريق التفاؤل لزوال ذلك الوجع قاله الطبري، وظاهر الحديث: كان المسح بحائل أم لا، لكن الأولى بلا حائل إلا لمانع، ككون المرض بالعورة، **(ويقول: اللهم رب الناس أذهب)** (بهمزة مفتوحة قبل الذال) **(البأس)**.

قال المصنف: (بالهمز في فرع اليونينية، والمشهور حذفه ليناسب سابقه) **(واشفه)** (بكسر الهاء)، أي العليل، أو هي هاء السكت، **(وأنت الشافي)** بإثبات الواو في الكلمتين للحموي والمستملي، وحذفها فيهما للكشميهني، **(لا شفاء)** (بالمد مبني على الفتح والخبر محذوف، أي حاصل لنا أو له **(إلا شفاؤك شفاء)**) أي اشف (شفاء لا **يغادر سقمًا**) (التنوين للتقليل).

(وقوله: يمسح بيده، أي على الوجع) تفاؤلاً لزوال ذلك الوجع، **(وقوله: إلا شفاؤك،**

وقوله «إلا شفاؤك» بالرفع بدل من موضع: لا شفاء.

وعن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ كان يرقي يقول: «امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت. رواه البخاري أيضًا.

وفي صحيح مسلم، عن عثمٰن بن أبي العاص، أنه شكا إلى رسول اللّه ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم اللّه، ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر.

بالرفع بدل من موضع لا شفاء).

وقال في المصابيح: الكلام في عرابه، كالكلام في لا إله إلا اللّه، ولا يخفى أنه بحسب صدر الكلام نفي لكل إله سواه تعالى، وبحسب الاستثناء إثبات له وللألوهية، لأن الاستثناء من النفي إثبات، لا سيما إذا كان بدلاً، وأنه يكون هو المقصود بالنسبة، ولهذا كان البدل الذي هو المختار في كل كلام تام غير موجب بمنزلة الواجب في هذه الكلمة الشريفة، حتى لا يكاد يستعمل لا إله إلا اللّه بالنصب، ولا إله إلا إياه، فإن قيل: كيف يصح، مع أن البدل هو المقصود، والنسبة إلى المبدل منه سلبية فالجواب إنما وقعت النسبة إلى البدل بعد النقض بإلا، فالبدل هو المقصود المعتبر في المبدل منه، لكن بعد نقضه ونفي النفي إثبات.

(**وعن عائشة رضي اللّه عنها: أن رسول اللّه ﷺ كان يرقي**) (بفتح أوله وكسر القاف) وهو بمعنى قوله في الرواية قبله: كان يعوذ، حال كونه (**يقول: امسح،**) أي أزل، وهو بمعنى الرواية قبله: أذهب (**البأس**) الضرر (**رب الناس، بيدك الشفاء**) لا بيد غيرك، (**لا كاشف له،**) أي المرض (**إلا أنت**) وهو بمعنى قوله: اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت، (**رواه البخاري أيضًا:**) تلو الحديث قبله من الباب المذكور، وهذا من إفراده عن مسلم.

(**وفي صحيح مسلم عن عثمٰن بن أبي العاصي،**) الثقفي، الطائفي، استعمله النبي ﷺ على الطائف، ومات بالبصرة في خلافة معٰوية؛ (**أنه شكا إلى رسول اللّه ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم**).

وفي الموطأ قال عثمٰن: وبي وجع قد كاد يهلكني، (**فقال**) له (**النبي ﷺ: ضع يدك**) اليمنى (**على الذي تألم**) (بفتح اللام) (**من جسدك**) .

وفي رواية الطبراني والحاكم: ضع يمينك على المكان الذي تشتكي، فامسح بها سبع مرات، وفي الموطأ، فقال: امسحه بيمينك سبع مرات، (**وقل: بسم اللّه،**) أي هذا اللفظ (**ثلاثًا**) من المرات، (**وقل سبع مرات أعوذ:**) أعتصم (**بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**) من

وإنما كرره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة.

[ذكر طبه ﷺ من الفزع والأرق المانع من النوم]

عن بريدة قال: شكا خالد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل

وجعي هذا، كما زاده في حديث أنس عند الترمذي، وحسنه، والحاكم، وصححه عن محمد بن سالم، قال: قال لي ثابت البناني: يا محمد إذا اشتكيت، فضع يدك حيث تشتكي، ثم قل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترًا، قال: فإن أنس بن ملك حدثني: أن رسول الله ﷺ حدثني بذلك.

وفي رواية الطبراني والحاكم عن عثمن أنه يقول ذلك في كل مسحة من السبع. ومعنى أحاذر: أخاف، زاد في رواية الموطأ: قال عثمن: فقلت ذلك، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم، وهذا من الأدوية الإلهية والطب النبوي، لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته.

قال بعضهم: ويظهر أنه إذا كان المريض نحو طفل، أن يقول من يعوّذه من شر ما يجد ويحاذر، وأن يقول: أعيذك، قال شيخنا: ويحتمل أن يقول هذا اللفظ مطلقًا، تبركًا بالمروي، ويلاحظ أن المعنى ما أجده بهذا المريض وأخافه عليه، لكن يؤيد الأول حديث البخاري عن ابن عباس: كان ﷺ يعوّذ الحسن والحسين: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ويقول: إن أباكما كان يعوّذ بهما اسمعيل وإسحق، **(وإنما كرره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء)** الطبيعي **(لإخراج المادة،)** أي لاستقصاء إخراجها، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها، وقد حض ﷺ على السبع في غير ما موضع، بشرط قوّة اليقين وصدق النية.

ذكر طبه ﷺ من الفزع والأرق المانع من النوم

الفزع: الخوف والأرق، (بفتحتين) السهر بالليل، ولم يذكر تحت الترجمة شيئًا للفزع، فلعله أراد الأرق ونحوه من كل ما يحذر، ومنه الفزع، وربما يشعر به قول الحديث: من شر خلقك كلهم، ويحتمل؛ أنه بيض لذكر حديث لافزع فنسي، وقد روى ملك في الموطأ عن يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ: إني أروع في منامي، فقال له ﷺ: قل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، **(عن بريدة)** ابن الحصيب (بالتصغير فيهما وحاء وصاد مهملتين) الأسلمي، الصحابي المشهور، **(قال: شكا خالد)** بن الوليد المخزومي سيف الله **(إلى**

من الأرق، فقال ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط علي أحد منهم أو يبغي علي، عزَّ جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك». رواه الترمذي.

[ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حر المصيبة ببرد الرجوع إلى الله تعالى]

في المسند مرفوعًا: ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: «إنا للَّه وإنا إليه

النبي ﷺ، **فقال: يا رسول اللَّه ما أنام الليل من الأرق:)** السهر، ثم يحتمل أنه أراد الليل كله أو معظمه، كخبر: لا يضع العصا عن عاتقه، **(فقال** ﷺ: **إذا أويت)** (بقصر الهمزة) على الأفصح، قال شيخ الإسلام وغيره: إن كان أوى لازمًا كما هنا، فالقصر أفصح وإن كان متعديًا، كالحمد للَّه الذي آوانا، فالمد أفصح، عكس ما وقع لبعضهم **(إلى فراشك،)** أي انضممت إليه ودخلت فيه لتنام، **(فقل)** استحبابًا: **(اللهم رب السموات السبع وما أظلت،)** أي سترت، **(ورب الأرضين السبع)** ، كما في الترمذي،فسقط من المصنف: **(وما أقلت،)** أي حملت، **(ورب الشياطين وما أضلت:)** أغوت، وعبر بما إرادة للعموم، نحو: للَّه ما في السموات وما في الأرض، **(كن لي جارًا،)** أي مجيرًا، مؤمنًا لي مما أخاف **(من شر خلقك كلهم جميعًا،)** جمع بين التأكيدين زيادة في التأكيد، **(أن يفرط)** (بضم الراء، أي يتعدى) **(على أحد منهم)** بكلام أو غيره، يؤذيني **(أو يبغي علي،)** أي يظلمني ويعتدي **(عز:)** غلب **(جارك)** من أجرته، **(وجل:)** عظم **(ثناؤك)** (بالمد) مدحك، فلا يمكن إحصاؤه، **(ولا إله غيرك)** يرجى لكشف الضر وإجابة الدعاء، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، **(رواه الترمذي)** في سننه.

ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حر المصيبة ببرد الرجوع إلى الله تعالى

(في المسند) يطلق، كما في الألفية على المرفوع وعلى المتصل، وهو المراد بقوله، **(مرفوعًا:)** ولا ينبغي أن يريد مسند أحمد لئلا يعاب بقصر العزو له، مع أن هذا الحديث أخرجه أحمد ومسلم ومالك وأصحاب السنن، عن أم سلمة، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **(ما من أحد،)** وفي رواية: ما من مسلم، وأخرى: ما من عبد.

قال الطيبي: نكرة وقعت في سياق النفي، وضم إليها من الاستغراقية لإفادة الشمول **(تصيبه مصيبة،)** أي مصيبة كانت، لقوله ﷺ: كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة، رواه ابن السني.

راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها».

قال في الهدى البنوي: وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته.

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله تعالى حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير.

قال الباجي: لفظ مصيبة موضوع في أصل كلام العرب لكل من ناله خير أو شر، لكن خص في عرف الاستعمال بالرزايا والمكاره، (فيقول:) زاد في رواية، كما أمره الله، أي بالثناء والتبشير لقائله المقتضى ندبه، والمندوب مأمور به على المختار في الأصول، (إنا لله) ملكًا وعبيدًا يفعل بنا ما يشاء (وإنا إليه راجعون) في الآخرة فيجازينا، (اللهم أجرني) (بقصر الهمزة وضم الجيم وسكون الراء).

قال عياض: يقال أجر (بالقصر والمد)، والأكثر أنه مقصور لا يمد، أي اعطني أجري وجزاء صبري وهمي (في مصيبتي، واخلف) (بقطع الهمزة وكسر اللام) (لي خيرًا منها إلا أجره الله:) أثابه وأعطاه الأجر (في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها،) فينبغي لكل من أصيب بمصيبة أن يفزع إلى ذلك تأسيًا بكتاب الله وسنة رسوله.

قال ابن جريج: ما يمنعه أن يستوجب على الله ثلاث خصال، كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها، صلوات الله ورحمته والهدى، قاله أبو عمر بن عبد البر.

وبقية الحديث قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها: فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ.

(قال) ابن القيم (في الهدي النبوي: وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته:) الدنيا، (وآجلته:) الآخرة، (فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق،) أي اتصف (العبد بمعرفتهما، تسلى عن مصيبته،) وصبر (أحدهما) أي الأصلين؛ (إن العبد وأهله وماله ملك لله تعالى حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير،) وقد ضربت المثل بالعارية أم سليم لزوجها أبي طلحة لما مات ابنه منها أبو عمير وتحته في جانب البيت، وكان أبو طلحة خارجًا عنه، فلما جاء قال: كيف الغلام؟، قالت: هدأت نفسه، وأرجو أنه استراح، وقربت له العشاء، فتعشى، ثم تطيبت وتعرضت له حتى واقعها، فلما أراد أن يخرج، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا قد أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات وبالسيئات، فإذا كانت هذه الحالة بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء.

قال: ومن علاجه أن يطفىء نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وأنه لو فتش العالم لم ير في إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وإن سرور الدنيا أحلام نوم، أو ظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت دارًا حبرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور، إلا خبأت له يوم شرور. قال ابن مسعود: لكل فرحة ترحة،

عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟، قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، فغضب وقال: تركتني حتى تلطخت، ثم أخبرتني بابني، واسترجع، ثم صلى مع النبي ﷺ، ثم أخبره بما كان منهما، فقال: لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما.

وفي رواية: اللهم بارك لهما، فجاءت بعبد الله بن أبي طلحة، قال بعض الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد، كلهم قد قرأوا القرءان، كما مر ذلك مبسوطًا في الصحيحين وغيرهما.

(**والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردًا**،) كما قال تعالى: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردًا﴾ [مريم: ٨٠]، (**كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن**) يأتي (**بالحسنات**) إن كان محسنًا، (**وبالسيئات**) إن كان مسيئًا، (**فإذا كانت هذه الحالة بداية العبد ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسى**،) أي يحزن (**على مفقود، ففكره في مبدئه، ومعاده**) عوده يوم القيامة، (**من أعظم علاج هذا الداء، قال: ومن علاجه أن يطفىء نار مصيبته ببرد التأسي**:) الاقتداء (**بأهل المصائب، وأنه لو فتش العالم لم ير فيه إلا مبتلي، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه**، وإن سرور الدنيا أحلام نوم،) تشبيه بليغ بحذف الأداة، (**أو ظل زائل**) عن قريب، (**إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا ساءت دهرًا**،) زمنًا طويلاً، (**وإن متعت قليلاً**) بشيء من زهرتها (**منعت طويلاً، وما ملأت دارًا حبرة**) (بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة)، أي نعمة وسعة (**إلا ملأتها عبرة**) (بفتح المهملة) الدمع قبل أن يفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء: جمعها عبرات، كما في القاموس، (**ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور**).

(**قال ابن مسعود**) عبد الله الصحابي: (**لكل فرحة ترحة**) (بفتح الفوقية وسكون الراء)،

وما مليء بيت فرحًا إلا مليء ترحًا.

[ذكر طبه ﷺ من داء الهم والكرب بدواء التوجه إلى الرب]

والكرب عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا اللّه العظيم الحليم، لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم، لا إله إلا اللّه رب السموات السبع ورب الأرضين ورب العرش الكريم. رواه الشيخان.

وقوله «عند الكرب» أي عند حلول الكرب.

هم: (وما مليء بيت فرحًا إلا مليء ترحًا) (بفتحتين)، أي هما.

ذكر طبه ﷺ من داء الهم والكرب بدواء التوجه

إضافة بيانية، أي بدواء هو التوجه (إلى الرب،) الهم الفكر فيما يتوقع حصوله من أذى حزن، كما في السبل، وفي القاموس: الهم: الحزن، جمعه هموم، (والكرب:) الحزن بالنفس، كالكربة بالضم، والإضافة بيانية فيهما، أي من داء هو الهم والكرب، أو المراد بالداء الأثر الحاصل من الهم، من نحو سهر ومرض وصفرة ونحول، فالإضافة حقيقية.

(عن ابن عباس: أن رسول اللّه ﷺ كان يقول عند الكرب) (بفتح الكاف وسكون الراء فموحدة)، وهو ما يدهم الإنسان، فيأخذ بنفسه، فيغمه ويحزنه: (لا إله إلا اللّه العظيم:) المطلق، البالغ أقصى مراتب العظمة، الذي لا يتصوره عقل، ولا يحيط بكنهه بصيرة، ولا شيء يعظم عليه، (الحليم:) الذي لا يستفزه غضب، ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام، فيؤخره مع القدرة عليه، (لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم) (بالجر) (لا إله إلا اللّه رب السموات السبع، ورب الأرضين، ورب العرش الكريم) (بجره)، كالعظيم قبله نعت للعرش في رواية الجمهور.

ونقل ابن التين عن الداودي؛ أنه رواه برفع العظيم والكريم نعتان للرب، أو نعتان للعرش، على أنه خبر مبتدأ محذوف، قطع عما قبله للمدح، ورجح بحصول توافق القرائن، ورجح بعضهم الأول، بأن وصف الرب بالعظيم والكريم أولى من وصف العرش بهما، وتعقب بأن وصف ما يضاف للعظيم بالعظيم أقوى في تعظيم العظيم، وقد نعت الهدهد عرش بلقيس؛ بأنه عرش عظيم، ولم ينكر عليه سليمن، ووصف العرش بالكرم، لأن الرحمة تنزل منه، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين.

قال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه يقتضي التربية، (رواه الشيخان) في الدعوات بهذا اللفظ من طريق هشام، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، (وقوله عند الكرب، أي عند حلول الكرب،) أي نزوله وقيامه به، (وعند مسلم) من

وعند مسلم: كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب.

وعنده أيضًا: كان إذا حز به أمر ـ وهو بفتح المهملة والزاي ـ أي هجم عليه او غلبه.

قال الطبري: معنى قول ابن عباس «يدعو»، وإنما هو تهليل وتعظيم، يحتمل أمرين: أحدهما، أن المراد تقديم ذلك قبل الدعاء، كما عند عبد بن حميد «كان إذا حزبه أمر قال...» فذكر الذكر المأثور، وزاد: ثم دعا. قال الطبري: ويؤيد هذا ما روى الأعمش عن إبرٰهيم قال: كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء. ثانيهما: ما أجاب به ابن عيينة وقد سئل عن الحديث الذي فيه «أكثر ما كان يدعو به النبي ﷺ بعرفة: لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له» الحديث. فقال سفيٰن: هو ذكر وليس فيه

طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس: أن رسول اللّٰه ﷺ (كان يدعو بهن،) أي بالكلمات المذكورة بعطف التفسير، بقوله: (ويقولهن عند الكرب،) فذكره بمثل حديث هشام، غير أنه قال رب السموٰت والأرض، قاله مسلم، أي أنه أسقط رب قبل الأرض، وهذا على عادة مسلم في تحري الألفاظ، (وعنده أيضًا) من طريق يوسف بن عبد اللّٰه بن الحٰرث عن أبي العالية، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ (كان إذا حز به أمر) فذكر مثله، (وهو بفتح المهملة والزاي) المنقوطة وموحدة، (أي هجم عليه أو غلبه،) وهما متقاربان.

(قال الطبري: معنى قول ابن عباس: يدعو، وإنما هو تهليل وتعظيم يحتمل أمرين).

(أحدهما أن المراد تقديم ذلك قبل الدعاء،) ولا يبعده قوله يدعو بهن، لأن المراد يدعو ملتبسًا أو متوسلاً بهن، (كما عند) (بالنون) (عبد) بلا إضافة (ابن حميد،) أحد الحفاظ، أي كما رواه في مسنده، بلفظ: (كان إذا حز به أمر قال فذكر الذكر المأثور،) أي: لا إله إلا اللّٰه إلى آخره، (وزاد: ثم دعا،) وكذا هو عند أبي عوانة في مستخرجه، بلفظ: ثم يدعو، ورواه الطبراني في الكبير، وزاد في آخره: اصرف عني شر فلان، أي يعينه باسمه، فإن له أثرًا بينًا في دفع شره.

(قال الطبري: ويؤيد هذا ما روى الأعمش) سليمٰن بن مهران، (عن إبرٰهيم) النخعي، (قال: كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء،) أي قدمه عليه، فالظرف بيان للمقدم عليه، (استجيب له، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء) في الاستجابة وعدمها.

(ثانيهما: ما أجاب به) سفيان (بن عيينة، وقد سئل عن الحديث الذي فيه أكثر ما كان يدعو به النبي ﷺ بعرفة: لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له الحديث،) وقد رواه

دعاء، ولكن قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء

ابن أبي شيبة عن علي، مرفوعًا: «أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، **(فقال سفيٰن: هو ذكر وليس فيه دعاء، ولكن قال النبي ﷺ)** فيما يرويه **(عن ربه عز وجل،)** بواسطة الملك أو بدون واسطة، وجهان في جميع الأحاديث الإلهية: **(من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)** تصريح الدعاء.

(وقال أمية بن أبي الصلت) عبد الله بن ربيعة الثقفي: كان يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث، وينشد في ثنائه الشعر المليح، ويطمع في النبوة، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ومات في حصار الطائف سنة ثمان كافرًا.

وفي مسلم عن الشريد بن سويد: أنه أنشد النبي ﷺ من شعر أمية مائة بيت، وفي ابن عساكر وغيره مرفوعًا: «آمن شعر أمية بن أبي الصلت وكفر قلبه» **(في مدح عبد الله بن جدعان)** (بضم الجيم وإسكان الدال، ثم عين مهملتين، فألف، فنون) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، يكنى أبا زهير، وهو أحد من حرم الخمر في الجاهلية، وابن عم عائشة، ولذا قالت للنبي ﷺ: إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك؟، فقال: لا. إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

رواه مسلم: **(أأذكر حاجتي أم قد كفاني،)** يحتمل أن الاستفهام تقريري والظاهر أنه استفهام إنكاري أي لا أذكرها بل قد كفاني **(حياؤك)** بفتح المهملة والتحتية والمد، عن ذكر حاجتي، **(إن شيمتك:)** (بمعجمة) طبيعتك التي خلقت عليها **(الحياء،)** المقتضى مزيد الكرم، المغني عن ذكر الحاجة، ويحتمل أنه (،بكسر الحاء وموحدة فيهما) أي عطاؤك بلا عوض **(إذا أثنى عليك،)** أي مدحك **(المرء يومًا:)** قطعة من الزمان لا حقيقة اليوم، **(كفاه من تعرضك)** (مصدر مضاف لمفعوله)، أي كفاه من سؤاله لك، أو من طلب معروفك **(الثناء)** أي ثناؤه عليك، وأنشده غير المصنف من تعرضه الثناء، وهو ظاهر، والمعنى على الضبط الأول: إن الثناء عليك يحملك على البحث عن حاجة المثني والتقيد بأمره، فيكفيه ذلك عن ذكرها. وعلى الثاني: إن عطاءك بمعنى إعطائك، يغني ذا الحاجة عن السؤال، ويجعل مجرد الثناء كافيًا، بل لا يحتاج إليه، فإن مجرد علمك بالحاجة كاف في بذل معروفك، فليس القصد بالثناء إلا مجرد

فهذا المخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف بالخالق.

ثم إن حديث ابن عباس هذا ـ كما قال ابن القيم ـ قد اشتمل على توحيد الإلهية والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والإحسان والتجاوز عن المسيء، ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش والكرسي، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها، والربوبية التامة تستلزم توحيده، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له، وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل

الحضور عندك، وبعد البيتين:

كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
فأرضك كل مكرمة بناها بنو تيم وأنت لها سماء

(فهذا المخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف بالخالق.)

وأيد الاحتمال الثاني بحديث سعد بن أبي وقاص، رفعه: دعوة ذي النون إذ دعا، وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له.

أخرجه الترمذي والنسائي، وفي لفظ للحاكم: فقال رجل: كانت ليونس، خاصة أم للمؤمنين عامة، فقال ﷺ: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨]، **(ثم إن حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم)** في زاد المعاد في هدى خير العباد، **(قد اشتمل على توحيد الإلهية والربوبية)** بكلمة الإخلاص، وكونه رب كل شيء، وذلك أصل التنزيهات الجلالية، **(ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم)** بقوله: العظيم الحليم، **(وهاتان الصفتان،)** أي التوحيد والوصف **(مستلزمتان لكمال القدرة)** من لفظ العظيم، لأن العظمة دالة على كمال القدرة **(والرحمة والإحسان والتجاوز عن المسيء،)** بقوله: الحليم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية، **(ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش والكرسي)**.

كذا في بعض النسخ، وفي أكثرها سقوطه والكرسي، وهو الذي في الهدي **(الذي هو،)** أي العرش **(سقف المخلوقات)** لارتفاعه عن جميعها، فهو مظل على جميع العالم، كالسقف، **(وأعظمها)** جرمًا، **(والربوبية التامة تستلزم توحيده، وإنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له، وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له،**

كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه، وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه. فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور وما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولى أو أحرى. ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور. وإنما يصدق هذه الأمور من أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه حقائقها.

قال ابن بطال: حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم فقال له شيخ: إن أبا بكر بن علي قد سعي به عند السلطان فسجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي

وسلب كل نقص وتمثيل عنه،) وذلك أصل التنزيهات الجلالية، كما قاله الطيبي؛ **(وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه،)** إذ الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، كما مر، **(فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب)** إذا ورد عليه ما سبق عند علمه بكمال العظمة... الخ **(أولى أو حرى)** عطف مساوٍ حسنه اختلاف اللفظ، **(ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه إلى سعة البهجة،)** أي إلى السعة الحاصلة للداعي بسبب ما قام به من البهجة **(والسرور، إنما يصدق هذه الأمور من أشرقت فيه،)** أي في ذاته **(أنوارها وباشر قلبه حقائقها،)** لا من لم يصل إلى ذلك.

(قال ابن بطال،) العلامة المحدث أبو الحسن علي شارح البخاري: **(حدثني أبو بكر الرازي،)** **(قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم)** الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني، صاحب الحلية وغيرها، **(فقال له شيخ: إن أبا بكر بن علي،)** لفظ ابن بطال، وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي، عليه مدار الفتيا، **(قد سعى به عند السلطان، فسجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح،)** أي تنزيه الله تعالى **(لا يفتر)** عنه فهو منه كغيره من الملائكة، كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل، كما قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار

النبي ﷺ قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج اللّٰه عنه، قال: فأصبحت فأخبرته فدعا به، فلم يمكث إلا قليلاً حتى أخرج.

وفي حديث علي عند النسائي وصححه الحاكم: لقنني رسول اللّٰه ﷺ هذه الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها: لا إله إلا اللّٰه الكريم العظيم، سبحان اللّٰه تبارك اللّٰه رب العرش العظيم، والحمد للّٰه رب العالمين. وفي لفظ: «الحليم الكريم» في الأول، وفي لفظ: لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له العليم العلي العظيم، لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وفي لفظ لا إله إلا اللّٰه الحليم الكريم سبحانه، تبارك وتعالى رب العرش العظيم، الحمد للّٰه رب العالمين. أخرجها كلها النسائي.

لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠]، (فقال لي النبي ﷺ: قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج اللّٰه عنه) بخلاصه من السجن، (قال: فأصبحت، فأخبرته) بهذا المنام (فدعا به، فلم يمكث إلا قليلاً حتى أخرج) من السجن.

(وفي حديث علي عند النسائي، وصححه الحاكم) وابن حبان: (لقنني:) خاطبني شفاهًا، وفهمني (رسول اللّٰه ﷺ هذه الكلمات، وأمرني إن نزل بي كرب:) حزن يأخذ بنفسي، (أو شدة) من نحو مرض، (أن أقولها،) وهي: (لا إله إلا اللّٰه الكريم،) المعطي فضلاً، (العظيم) الذي لا شيء يعظم عليه، (سبحان اللّٰه:) تنزيهًا له عما لا يليق بعلي قدره، (تبارك اللّٰه) تعالى وتكاثر خيره، (رب العرش العظيم) (بالجر فقط)، هنا صفة للعرش لا بالرفع لتقدم وصف اللّٰه تعالى به، (والحمد للّٰه رب العالمين،) أي ملك جميع الخلائق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن، إلى غير ذلك، وغلب في جمعه (بالياء والنون) أولو العلم على غيرهم، وهو من العلامة، لأنه علامة على موجده.

(وفي لفظ: الحليم الكريم في الأول،) أي أنه أبدل العظيم بالحليم.

(وفي لفظ:) أي رواية (لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، العليم) لكل معلوم، أو البالغ في العلم، فعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات، محيط بها، سابق على وجودها، (العلي) فعيل من العلو، وهو البالغ في علو مرتبته إلى حيث لا رتبة إلا وهي منحطة عنه، (العظيم لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له،) أعاده ليكون أنجع وأغلب.

(وفي لفظ: لا إله إلا اللّٰه، الحليم الكريم، سبحانه تبارك وتعالى رب العرش العظيم، الحمد للّٰه رب العالمين، أخرجها كلها النسائي) أحمد بن شعيب المصري، أبو عبد الرحمٰن،

وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع طرفه إلى السماء فقال: سبحان اللّه العظيم، وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم.

وعنده أيضًا من حديث أنس: أنه ﷺ كان إذا حز به أمر قال: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث.

قال العلامة ابن القيم: وفي تأثير قوله: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» في رفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة «الحياة» متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة «القيومية» متضمنة لجميع صفات الأفعال. ولهذا كان الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو اسم الحي القيوم، والحياة

أحد الحفاظ، فينبغي للمكروب أن يأتي بجميع هذه الروايات، لأنها كلها فيها حث أكيد، واختلاف ألفاظها إن كان من الرواة، فيتأكد ذكر جميعها حتى يصادف لفظ النبي ﷺ، وإن كان نطق بجميعها في أوقات، فيتعين التأسي به في ذكر جميعها.

(**وروى الترمذي عن أبي هريرة؛ أن رسول اللّه ﷺ كان إذا أهمه الأمر:**) أقلقه وأزعجه، (**رفع طرفه**) بصره (**إلى السماء**) مستغيثًا متضرعًا، (**فقال: سبحان اللّه العظيم، وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم،**) من أبنية المبالغة، والقيم معناه: القائم بأمور الخلق ومدبر العالم في جميع أحواله، والقيوم: القائم بنفسه مطلقًا لا بغيره، ويقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به، (**وعنده أيضًا من حديث أنس أنه ﷺ كان إذا حز به**) (بحاء مهملة وزاي وموحدة مفتوحات) (**أمر،**) أي هجم عليه، أو غلبه، أو نزل به هم، أو غم، وفي رواية: حزنه (بنون)، أي أوقعه في الحزن، يقال: أحزنني الأمر وحزنني، فأنا محزون، ولا يقال: محزن.

ذكره ابن الأثير، (**قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**) مما نزل بي؛ (**قال العلامة ابن القيم: وفي تأثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث في رفع هذا الداء:**) الكرب الذي نزل به (**مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال،**) لأن معنى القيوم: الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه على أحسن الأحوال وأجمعها، (**ولهذا كان الاسم الأعظم الذي إذا دعي به**) اللّه سبحانه (**أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو اسم الحي القيوم**) في أحد الأقوال، والإضافة بيانية، أي الاسم الذي هو الحي القيوم، (**والحياة التامة**) صفة (**تضاد جميع الآلام والأسقام، ولهذا لما**

التامة تضاد جميع الآلام والأسقام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات. فالتوسل بصفة «الحياة والقيومية» له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال. فلهذا الاسم «الحي القيوم» تأثير عظيم خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم.

وروى أبو داود عن أبي بكر الصديق، أن رسول اللّٰه ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

وفي هذا الدعاء- كما قاله في زاد المعاد- من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيده، والاعتماد عليه وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه كله ولا يكله إلى نفسه، والتوسل إليه بتوحيده، مما له تأثير في دفع

كملت حياة أهل الجنّة، لم يلحقهم هم، ولا غم، ولا حزن، ولا شيء من الآفات، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة،) أي يخالفها **(ويضر بالأفعال)** (بضم أوله من أضر لتعديه بالباء)، فإن تعدى بنفسه، فمن ضر نحو: لن يضروكم، **(فلهذا الاسم الحي القيوم تأثير عظيم خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات، ولهذا كان ﷺ إذا اجتهد في الدعاء، قال: يا حي يا قيوم،)** كما في الحديث قبله.

(وروى أبو داود) في الأدب، وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان، وصححه **(عن أبي بكر الصديق،)** كذا في النسخ والذي في أبي داود: ومن ذكرت معه إنما هو عن أبي بكرة، واسمه نفيع بن الحرث: **(إن رسول اللّٰه ﷺ قال: دعوات المكروب)** المغموم المحزون، أي الدعوات النافعة له، المزيلة لكربه، وكأنه جمعها لاشتمالها على أفراد، كأنها محيطة بجميع دعوات المكروب، لاشتمالها على ما هو جامع لكشف كل كرب، أو المراد: أن هذا من جملتها **(«اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»)** ختمه بهذه الكلمة الحضورية الشهودية إشارة إلى أن الدعاء إنما ينفع المكروب ويزيل كربه إذا كان مع حضور وشهود، ومن شهد فيه بالتوحيد والجلال مع جمع الهمة وحضور البال، فهو حري بزوال الكرب في الدنيا، والرحمة ورفع الدرجات في العقبى.

(وفي هذا الدعاء، كما قاله في زاد المعاد) في هدى خير العباد؛ **(من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه كله، ولا يكله إلى نفسه،)** ولا أقل قليل، لقوله: طرفة عين، **(والتوسل إليه**

هذا الداء.

وكذا قوله في حديث أسماء بنت عميس عند أبي داود مرفوعًا: كلمات الكرب: اللَّه ربي لا أشرك به شيئًا.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ما أصاب عبدًا همّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي

بتوحيده) شيء عظيم **(مما له)** (بميمين)، متعلق بما قدرنا **(تأثير)** نفع زائد على غيره **(في دفع هذا الداء.**

وفي نسخة: ما له (بميم واحدة، وهو المبين المقدم عليه بيانه) أي في هذا الدعاء شيء عظيم له تأثير من تحقيق الرجاء إلى آخره؛ **(وكذا قوله في حديث أسماء بنت عميس)** (بمهملتين مصغر الخثعمية، صحابية لها أحاديث، وهي أخت ميمونة أم المؤمنين)، **(عند أبي داود، مرفوعًا: كلمات الكرب:)** الدعوات النافعة له بشرط صدق النية وخلوص الطوية: **(اللَّه)** (بالرفع مبتدأ والخبر) **(ربي لا أشرك به،)** أي بعبادته **(شيئًا)** من الخلق برياء أو طلب أجر، كمن يسره أن يطلع على عمله، أو المراد: لا أشرك بسؤاله أحدًا غيره، كما قال تعالى: ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا﴾ [الجن: ٢٠].

وقد رواه بأتم منه ابن أبي الدنيا، عن أسماء بنت عميس، قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: من أصابه غم أو سقم أو شدة أو لأواء أو أزل، فقال: اللَّه اللَّه ربي، لا أشرك به، كشف ذلك عنه، ورواه الخطيب عنها مرفوعاً: «إذ انزل بأحدكم غم، أو هم، أو سقم، أو لأواء وأزل، فليقل: اللَّه اللَّه ربي، لا أشرك به شيئًا ثلاث مرات».

وللطبراني في الأوسط، عن عائشة مرفوعًا: «إذا أصاب أحدكم هم أو لأواء، فليقل: اللَّه اللَّه ربي، لا أشرك به شيئًا».

وللنسائي عن عمر بن عبد العزيز، مرسلاً، مرفوعًا: إذا أصاب أحدكم هم، أو حزن، فليقل سبع مرات: اللَّه اللَّه ربي، لا أشرك به شيئًا، وذكر الجلالة مرتين استلذاذًا بذكره واستحضارًا لعظمته وتأكيدًا للتوحيد، فإنه الاسم الجامع للصفات الجلالية والجمالية والكمالية.

(وفي مسند الإمام أحمد) وابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم، **(من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: ما أصاب عبدًا،)** أي مسلمًا، ففي رواية الثلاثة. المذكورين: ما أصاب مسلمًا قط **(هم:)** فكر فيما يتوقع حصوله من أذى، **(ولا حزن)** (بضم فسكون)، **(فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك)** (برفع ابن صفة ثانية لعبدك، فهو من تعدد الصفات، بحذف العاطف، فتكتب الألف والمراد بالعبد والأمة الجنس الصادق بجميع أصوله، وبهذا يظهر قوله

بيدك، ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرءان العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب اللّٰه حزن وهمه، وأبدله مكانه فرحًا.

وإنما كان هذا الدعاء بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده، يصرفها كيف يشاء، وإثبات القدر، وأن أحكام الرب تعالى نافذة في عبده، ماضية فيه، لا انفكاك له عنها، ولا حيلة له في دفعها، واللّٰه سبحانه وتعالى عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده، ثم توسله

الآتي: وعبودية آبائه وأمهاته، (**ناصيتي بيدك**) الناصية قصاص الشعر، جمعها النواصي، كما في المصباح.

وفي القاموس: وقصاص الشعر مثلثة، حيث ينتهي منبته من مقدمه ومؤخره، ولم يرد الناصية خاصة، فهو كخبر الخيل في نواصيها الخير (**ماض**،) أي: نافذ (**في حكمك**،) لا انفكاك لي عنه، ولا حيلة في دفعه، (**عدل في قضاؤك**:) حكمك، لا جور فيه ولا ظلم، (**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك**،) أي جنسه، فيصدق بجميع كتبه المنزلة، (**أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت**:) اختصصت (**به في علم الغيب عندك**،) فلم يطلع عليه أحدًا، (**أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**،) لأرتع في زهور معارفه، (**ونور صدري**).

وفي رواية ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم: ونور بصري بدل صدري، فينبغي للداعي أن يجمع بينهما، (**وجلاء**) (بكسر الجيم والمد)، أي كاشف (**حزني وذهاب همي، إلا أذهب اللّٰه حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا**،) أي سرورًا.

وفي رواية الثلاثة الذين ذكرتهم: إلا أذهب اللّٰه همه وأبدله مكان حزنه فرحًا، قالوا: يا رسول اللّٰه، أفلا نتعلم هذه الكلمات، قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن، (**وإنما كان هذا الدعاء**) المذكور (**بهذه المنزلة**) الرتبة العلية، (**لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية آبائه وأمهاته**،) وذلك صفة الإنسان الحقيقية، (**وإن ناصيته**،) أي: جملته (**بيده**) قدرته، (**يصرفها**،) أي يقلبها (**كيف يشاء**،) وعبر عن ذلك بالناصية، إشارة إلى أنه بمنزلة الأسير الذي يجره آسره بشعر رأسه، ليفعل به ما يريده، (**وإثبات**) (بالجر عطف على عبودية الداعي) (**القدر**) (بفتحتين)، (**وإن أحكام الرب تعالى نافذة**) (بالمعجمة) (**في عبده، ماضية فيه**،) هو بمعنى ما قبله، حسنه اختلاف اللفظ، (**لا انفكاك له عنها، ولا حيلة له في دفعها**) عنه بوجه، (**واللّٰه**

بأسماء الرب تعالى التي سمي بها نفسه، ما علم العباد منها، وما لم يعلموا، ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى اللَّه تعالى، وأقربها تحصيلاً للمطلوب، ثم سؤاله أن يجعل القرءان العظيم لقلبه ربيعًا، كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وأن يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة، وبه يتم معاش العباد، وأن يجعله شفاء همه وغمه فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها، فإذا صدق العليل في استعمال هذا الدواء أعقبه شفاء تامًا.

وفي سنن أبي داود، عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول اللَّه ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة

سبحانه وتعالى عدل في هذه الأحكام، غير ظالم لعبده،) لأنه المالك الحقيقي، **(ثمّ توسله)** (بالجر عطفًا على اشتماله المجرور باللام، أو على الاعتراف) **(بأسماء الرب تعالى التي سمى بها نفسه، ما علم العباد منها وما لم يعلموا، ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل،)** وهي ما يتقرب به إلى الشيء، **(وأحبها إلى اللَّه تعالى، وأقربها تحصيلاً للمطلوب، ثم سؤاله)** (بالجر عطف على توسله)، وهي أولى من نسخة: ثم سأله **(أن يجعل القرآن العظيم لقلبه ربيعًا، كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان،)** أي يسعى وينشط، فهو تشبيه بليغ، أو استعارة، **(وأن يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة، وبه يتم معاش العباد، وأن يجعله شفاء همه وغمه، فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء،)** يزيله بحيث لا يبقى له أثر، **(ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع:)** جمع طبع، وهو الصدأ والدنس، كما في القاموس، **(والأصدية:)** جمع صدأ، وهو الوسخ الذي يعلو الحديد، فهما متقاربان، ولذا أفرد الضمير في قوله: **(وغيرها،)** لأن المراد منها شيء واحد، وهو الآثار التي تكون في الثياب ونحوها من الدنس، **(فإذا صدق العليل في استعمال هذا الدواء، أعقبه شفاءً تامًا،)** وصدقه باليقين التام، وصدق النية وخلوص الطوية، وأن لا يقصد به التجربة، لأن قاصد ذلك عنده شك.

(وفي سنن أبي داود) في الصلاة، **(عن أبي سعيد الخدري)** سعد بن مٰلك بن سفيٰن الصحابي بن الصحابي، **(قال: دخل رسول اللَّه ﷺ ذات يوم المسجد)** النبوي، **(فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة)**، غير منسوب ولا مسمى، ويجوز أنه أبو أمامة بن ثعلبة الحرثي، لكن أفرده ابن منده، وتبعه أبو نعيم بالترجمة، عنه وعن الباهلي، فهو غيرهما، كما أشار إليه في

ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة، فقال: هموم لزمتني وديون يا رسول اللَّه، فقال: أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب اللَّه عز وجل همك، وقضى عنك دينك، قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. قال: ففعلت ذلك

الإصابة، (**فقال: يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة، فقال: هموم لزمتني وديون يا رسول اللَّه، فقال: أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب اللَّه عز وجل همك وقضى عنك دينك، قلت: بلى يا رسول اللَّه**) علمني، (**قال: قل إذا أصبحت:**) دخلت في الصباح، (**وإذا أمسيت:**) دخلت في المساء، فصريحه المبادرة لقول ذلك أول الليل وأول النهار: (**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن**) (بفتح الحاء المهملة والزاي)، كما ضبطه المصنف كغيره، وهو الرواية: مصدر حزن كتعب، وهو المناسب، لكونه مستعاذًا منه من الاسم الذي هو الحزن (بضم فسكون).

وفي البخاري: البخل، والبخل واحد مثل الحزن، والحزن، أي (بضم فسكون فيهما، وبفتحتين فيهما، وليس العطف لاختلاف اللفظين مع اتحاد المعنى)، كما ظن، بل الهم في أمر يتوقع، والحزن فيما وقع قبل، والهم من الحزن الذي يذيب الإنسان، فهو أشد من الحزن، وهو خشونة في النفس، فالفرق بينهما بالشدة والضعف، (**وأعوذ بك من العجز:**) القصور عن فعل الشيء ضد القدرة، فهو ما لا يستطيعه الإنسان، (**والكسل**) ترك الشيء والتراخي عنه مع كونه يستطيعه، (**وأعوذ بك من الجبن:**) (بضم الجيم وسكون الموحدة) الخوف والخور من تعاطي الحرب ونحوها، خوفًا على المهجة، (**والبخل:**) ضد الكرم، (**وأعوذ بك من غلبة الدين،**) أي استيلائه وكثرته، (**وقهر الرجال:**) غلبتهم.

وقال التوربتشي: غلبة الدين: أن يثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله، وقهر الرجال: الغلبة، لأن القهر يراد به السلطان، ويراد به الغلبة، كما هنا لما في رواية، وغلبة الرجال، كأنه أراد هيجان النفس من شدة الشبق وإضافته إلى المفعول، أي يغلبهم ذلك إلى هذا المعنى سبق فهمي، ولم أجد في تفسيره نقلاً.

وقال بعضهم: قهر الرجال جور السلطان، وقال الطيبي: من مستهل الدعاء إلى قوله، والجبن يتعلق بإزالة الهم، والآخر بقضاء الدين، فعليه قوله: وقهر الرجال إما أن يكون إضافته إلى الفاعل، أي قهر الدائن إياه وغلبته عليه بالتقاضي، وليس معه ما يقضي دينه، أو إلى المفعول؛ بأن لا يكون له أحد يعاونه على قضاء دينه من رجاله وأصحابه.

فأذهب الله همي، وقضى ديني عني.

وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية أشياء، كل اثنين منها قرينان مزدوجان: فالهم والحزن أخوان، والعجز والكسل أخوان، والجبن والبخل أخوان، وضَلَع الدين وقهر الرجال أخوان، فحصلت الاستعاذة من كل شر.

(قال) أبو أمامة: (**ففعلت ذلك**،) أي لازمت هذا الدعاء صباحًا ومساءً، (**فأذهب الله همي وقضى ديني عني**).

قال في الإصابة: ظاهر سياق أول الحديث أنه من حديث أبي سعيد، وآخره أنه من رواية أبي أمامة، هذا وقد أخل المزي بترجمته في التهذيب والأطراف، وأغفله أبو أحمد الحاكم في الكنى. انتهى.

ولا مخالفة، والحديث إنما هو من رواية أبي سعيد، وقول الأنصاري: قلت: بلى يا رسول الله، من نقل أبي سعيد عنه بتقدير قال: قلت كما صرح بلفظ قال: ففعلت، ولذا أغفله المزي في كتابيه، لأنه لم يرو الحديث، إنما الراوي أبو سعيد، (**وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية أشياء، كل اثنين منها قرينان مزدوجان،**) أي متشاكلان، (**فالهم والحزن أخوان،**) إذ المكروه الوارد على القلب إن كان من مستقبل يتوقعه أحدث الهم، أو من ماض أحدث الحزن، (**والعجز والكسل أخوان،**) لأن التخلف عن أسباب الخير، إن كان لعدم قدرة فالعجز، أو لعدم إرادته فالكسل، (**والجبن والبخل أخوان،**) لأن عدم النفع، إن كان بالبدن فالجبن، أو بالمال فالبخل، (**وضلع الدين**) (بفتح المعجمة واللام)، أي ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله، حيث لا يجد وفاء، لا سيما مع المطالبة، (**وقهر الرجال أخوان،**) فإن استيلاء الغير إن كان بحق فضلع الدين، أو بباطل فقهر الرجال، (**فحصلت الاستعاذة من كل شر،**) وهذا قالوه في حديث البخاري وغيره، عن أنس رضي الله عنه: كان ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال، فأتى به المصنف وإن كان لفظ حديثه وغلبة الدين، لأنه بمعنى ضلع الدين.

قال بعض العارفين: يجب التدقيق في فهم كلام النبوّة ومعرفة ما انطوى تحته من الأسرار، ولا يقف مع الظاهر، فالمحقق ينظر ما سبب حصول القهر من الرجال، فيجده الحجاب عن شهود كونه سبحانه هو المحرك لهم حتى قهروه، فيرجع إلى ربه، فيكفيه قهرهم، والواقف مع الظاهر لا يشهده من الحق، بل من الخلق، فلا يزال في قهر، ولو أنه شهد الفعل من الله، لزال القهر ورضي بحكم الله، فما وقعت الاستعاذة إلا من سبب القهر الذي هو الحجاب.

وفي سنن أبي داود ـ أيضًا ـ عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من لزم الاستغفار جعل اللَّه له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

وإنما كان الاستغفار له تأثير في دفع الهم والضيق لأنه قد اتفق أهل الملل وعقلاء مل أمة أن المعاصي والفساد يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب، وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: من كثرت همومه فليكثر من قول: لا حول

(**وفي سنن أبي داود أيضًا**) والنسائي وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، (**عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من لزم الاستغفار**،) أي داوم عليه، وفي رواية أحمد والحاكم: من أكثر من الاستغفار (**جعل اللَّه له من كل هم فرجًا**) (بفتح الفاء والراء والجيم)، أي كشفًا وخلوصًا منه، (**ومن كل ضيق مخرجًا**) من ذلك الضيق، (**ورزقه من حيث لا يحتسب**:) يخطر بباله، مقتبس من قوله تعالى: ﴿ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، لأن من داوم الاستغفار وقام بحقه، كان متيقنًا وناظرًا إلى قوله تقدس: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾ [الأنعام: ١٠ - ١١].

قال الحكيم الترمذي: أشار بالإكثار إلى أن الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة، والعذاب عذابان: أدنى وأكبر، فالأدنى عذاب الذنوب، فإذا كان الإنسان متيقظًا على نفسه، فكلما أذنب أو عاب تبعهما استغفارًا، لم يبق في وبالهما وعذابهما، وإذا لها عن الاستغفار تراكمت ذنوبه، فجاءت الهموم والضيق والعسر والعناء والتعب، فهذا عذابه الأدنى، وفي الآخرة عذاب النار؛ وإذا استغفر تنصل من الهم، فصار له من الهموم فرج، ومن الضيق مخرج، ورزقه من حيث لا يحتسب، (**وإنما كان الاستغفار له تأثير في دفع الهم والضيق، لأنه قد اتفق أهل الملل وعقلاء كل أمة**) على (**أن المعاصي والفساد يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب**،) نحو: الغل والحسد والكبر واحتقار الناس، (**وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار**،) لا ينجع فيها غيرهما.

(**وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ: من كثرت همومه فليكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا باللَّه**،) ولا حد للإكثار، وحدد بعضهم أقله بثلاثمائة.

(**وثبت في الصحيحين: أنها كنز من كنوز الجنة**،) ففيهما كالسنن الأربع عن

ولا قوة إلا بالله. وثبت في الصحيحين أنها كنز من كنوز الجنة، وفي الترمذي: أنها باب من أبواب الجنة، وفي بضع الآثار: أنه ما ينزل ملك من السماء ولا يصعد إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى الطبراني من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال: يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا.

أبي موسى: أن النبي ﷺ قال له: قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة.

قال الكرماني: أي كالكنز في كونه نفيسًا مدخرًا، مكنونًا عن أعين الناس، وقال الطيبي: هذا التركيب ليس باستعارة لذكر المشبه، وهو الحوقلة، والمشبه به وهو الكنز، ولا التشبيه العرفي، لبيان الكنز بقوله: من كنوز الجنة، بل هو من إدخال الشيء في جنس، وجعله أحد أنواعه على التغليب، فالكنز إذًا نوعان: المتعارف وهو المال الكثير، يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ، والثاني غير المتعارف، وهو هذه الكلمة الجامعة، المكتنزة بالمعاني الإلهية، لما أنها محتوية على التوحيد الخفي، لأنه إذا نفيت الحيلة والاستطاعة عما من شأنه ذلك، وأثبتت لله على سبيل الحصر بإيجاده واستعانته وتوفيقه، لم يخرج شيء من ملكه وملكوته.

(**وفي الترمذي: أنها باب من أبواب الجنة**،) أي أن المكثر لها له باب، أحد أبوابها الثمانية يدعى للدخول منه.

(**وفي بعض الآثار: إنه ما ينزل ملك من السماء، ولا يصعد إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله**،) أي بقولها.

(**وروى الطبراني**) وابن صصرى في أماليه (**من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ما كربني أمر**) (بفتح الكاف والراء) أي شق علي (**إلا تمثل لي جبريل**،) أي جاءني بصورته المثالية، (**فقال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك**،) أي الألوهية، (**ولم يكن له ولي من**) أجل (**الذل**،) أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر، (**وكبره تكبيرًا**:) عظمه عظمة تامة من اتخاذ الولد والشريك والذل، وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك، للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرده في صفاته.

روى أحمد عن معاذ الجهني، مرفوعًا: آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا... الخ السورة، أمره جبريل أن يثق بالله ويسند أمره إليه في استكفاء ما ينوبه مع التمسك بقاعدة التوكل،

وفي كتاب ابن السني من حديث أبي قتادة عن النبي ﷺ: من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل.

وعنده ـ أيضًا ـ من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: **﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾** [الأنبياء/٨٧].

وعرفه؛ أن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده، ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون.

وعن بعض السلف: أنه قال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق، ذكره الزمخشري.

(**وفي كتاب ابن السني**) (بضم السين وشد النون)، الحافظ أبي بكر، أحمد بن محمد بن إسحٰق الدينوري، صاحب التصانيف (**من حديث أبي قتادة**) الحٰرث، ويقال: عمرو أو النعمان بن ربعي (بكسر الراء وسكون الموحدة فمهملة) الأنصاري، السلمي، المدني، شهد أحدًا وما بعدها، ولم يصح شهوده بدرًا، ومات سنة أربع وخمسين على الأصح الأشهر.

(**عن النبي ﷺ من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة**) لله ما في السموات إلى آخرها (**عند الكرب أغاثه الله عز وجل،**) أي فرج كربه وأزاله، (**وعنده،**) أي ابن السني (**أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص**) مالك الزهري، أحد العشرة، (**قال: قال رسول الله ﷺ إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه**) كربه، قدم على الإخبار بها حثًا عليها وتنويهًا بنفعها، ليلقى البال لها (**كلمة أخي يونس**) بن متى، (**فنادى في الظلمات:**) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، (**أن،**) أي بأن (**لا إله إلا أنت،**) أي أنت القادر على حفظ الإنسان حيًا في بطن الحوت، ولا قدرة لغيرك على ذلك، ثم أردفه بقوله: (**سبحانك إني كنت من الظالمين،**) في ذهابي من بين قومي بلا إذن، تصريحًا بالعجز والانكسار وإظهارًا للذلة والافتقار.

قال الحسن: ما نجا إلا بإقراره على نفسه بالظلم، وإنما قبل منه ولم يتقبل من فرعون حين قال: لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، لأن يونس ذكرها في الحضور والشهود، وفرعون ذكرها في الغيبة تقليدًا لبني إسرائيل، ذكره الإمام الرازي، ثم المنادى به، لا إله إلا أنت... الخ، وما قبله إخبار عن صفة ما كان يقوله يونس وقتًا وصفة، فنبه ﷺ بذكر الآية بتمامها على بيان صفته التي كان عليها وقت الدعاء من التضرع والتذلل، وإن وقته كان شديد العظم كربه، وهذا قد رواه الترمذي والنسائي وابن أبي الدنيا، عن سعد بن أبي وقاص، رفعه: ألا أخبركم بشيء، إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا، دعا به ربه ففرج عنه، قالوا: بلى قال: دعاء ذي

وعند الترمذي: لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له.

وروى الديلمي في مسند الفردوس، عن جعفر بن محمد ـ يعني الصادق ـ قال: حدثني أبي عن جدي أنه ﷺ كان إذا حز به أمر دعا بهذا الدعاء: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك علي ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمت بها علي قلَّ لك بها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لك بها صبري، فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قلَّ عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدًا، ويا ذات النعمة التي لا تحصى

النون، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

(**وعند الترمذي**) أيضًا والنسائي والحاكم، عن سعد مرفوعًا: دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، (**لم يدع بها رجل مسلم**) بنية صادقة صالحة (**في شيء قط إلا استجيب له،**) وفي رواية: إلا استجاب اللّه له، أي لأنها لما كانت مسبوقة بالعجز والانكسار ملحوقة بهما، صارت مقبولة: أم من يجيب المضطر إذا دعاه، فإن قيل: هذا ذكر لا دعاء، أجيب؛ بأنه ذكر يفتتح به الدعاء، ثم يدعو بما شاء، أو هو كما ورد: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، كما مر.

(**وروى الديلمي في مسند الفردوس، عن جعفر بن محمد، يعني الصادق:**) لصدقه في مقاله من سادات آل البيت، (**قال: حدثني أبي**) محمد الباقر، (**عن جدي**) علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب مرسلاً، لأن جده تابعي؛ (**أنه ﷺ كان إذا حز به**) (بفتح الحاء المهملة والزاي والموحدة) أي هجم عليه، أو غلبه (**أمر**) هم، أو غم، (**دعا بهذا الدعاء: اللهم احرسني**) (بضم الراء) احفظني (**بعينك التي لا تنام واكنفني،**) أي استرني (**بركنك الذي لا يرام:**) لا يقدر على طلبه، (**وارحمني بقدرتك علي،**) لأن ذلك شأن الكرم الرحمة مع القدرة، (**فـ**) بسبب ذلك (**لا أهلك، وأنت رجائي،**) أي مرجوي في جميع أموري، (**فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك بها شكري،**) أي قيامي بواجبها من الطاعات، (**وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري، فلم يحرمني**) (بفتح أوله وضمه وكسر الراء)، أي يمنعني من نعمه من حرم، كضرب وأحرم، (**ويا من قل عند بليته صبري، فلم يخذلني**) (بضم الذال) يترك نصرتي، (**ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني**) (بفتح الياء والضاد)، يكشف مساوىء، فأفتضح، وهذا من مزيد تواضعه ﷺ واستغراقه في شهود الجلال، وإلا، فمن يشكر ومن يصبر إذا لم يشكر ولم يصبر هو، وأي

عددًا، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وبك أدرأ في نحور الأعداء والجبارين، اللهم أعني على ديني بالدنيا، وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حظرته علي، يا من لا تضره الذنوب، ولا ينقصه العفو، هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك، إنك أنت الوهاب، أسألك فرجًا قريبًا وصبرًا جميلاً، ورزقًا واسعًا، والعافية من البلايا، وشكر العافية - وفي رواية وأسألك تمام العافية وأسألك دوام العافية: وأسألك الشكر على العافية - وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خطيئة له فضلاً عن خطايا، وهو أيضًا من باب التعليم لأمته (**يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدًا**،) بل هو دائم، (**ويا ذا النعمة التي لا تحصى عددًا**).

وفي نسخة: النعماء، والأولى أنسب، لأنها التي يتعلق بها العد، وأما النعماء، فصفة له تعالى بمعنى الأنعام، لا يتعلق بها العد، لأن الصفة لا تعدد فيها ولا تكثر، (**أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد، وبك أدرأ**:) (بفتح الهمزة وسكون الدال وبالراء) أدفع (**في نحور الأعداء والجبارين**:) العتاة المتكبرين، (**اللهم أعني على ديني بالدنيا، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظني فيما غبت عنه**) من الأفعال التي لا استحضرها، أو من الأهل والمال.

وفي نسخة: فيما غبت عني، بالتثقيل وفتح تاء الخطاب، والمعنى واحد، (**ولا تكلني إلى نفسي فيما حظرته**) (بحاء مهملة وظاء معجمة، أي منعته) (**عليّ**،) بل إلى توفيقك لئلا أوقع فيما حظرته، (**يا من لا تضره الذنوب، ولا ينقصه العفو، هب لي ما لا ينقصك**) وصوله إلي، وهو عفوك.

وفي نسخة: ما لا ينفعك، والمعنى عليهما: هب لي ما لا ينقص شيئًا من قدرك، ولا ينفعك شيء منه، لو لم توصله لي، (**واغفر لي ما لا يضرك**،) وهو الذنوب، (**إنك أنت الوهاب**:) كثير النعم، دائم العطاء: صيغة مبالغة من الهبة، وهي العطية بلا سبب سابق، ولا استحقاق ولا مقابلة ولا جزاء، (**أسألك فرجًا قريبًا وصبرًا جميلاً**،) لا جزع فيه، (**ورزقًا واسعًا، والعافية من البلايا، وشكر العافية**) (مصدر جاء على فاعله، كناشئة الليل بمعنى نشوء الليل).

(**وفي رواية: وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية**،) أي السلامة من الأسقام، (**وأسألك الشكر على العافية**،) أعادها مظهرة، لأن مقام الدعاء يطلب فيه البسط، لأنه مقام خطاب وخضوع، (**وأسألك الغنى**) (بكسر الغين والقصر) (**عن الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**،) ختم بها الدعاء لما فيه من التوحيد الخفي كما مر.

[ذكر طبه ﷺ من داء الفقر]

عن ابن عمر: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن الدنيا أدبرت عني وتولت، قال له: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون، قل عند طلوع الفجر: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم، استغفر اللَّه مائة مرة تأتيك الدنيا

ذكر طبه ﷺ من داء الفقر

أي مداواته قولاً أو فعلاً، بأن يفعل ما هو سبب للشفاء أو يأمر به، ومثله يقال في نظائره، والإضافة في داء الفقر بيانية، **(عن ابن عمر أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه إن الدنيا أدبرت عني)** بعد الغنى، ويحتمل أنه فقير من أول أمره، والأول أولى لاحتياج الثاني لتأويل أدبرت، بمعنى: لم تأتني، وبعده لا يخفى، لا سيما مع قوله: **(وتولت،)** إذ حقيقة الإدبار والتولي إنما يكون بعد المجيء.

وفي رواية المستغفري: قلت ذات يدي، **(قال له: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق، وبه،)** أي التسبيح **(يرزقون)** (استفهام)، أي كيف يغيب عنك علم ذلك، والقصد من الاستفهام حثه على قول ذلك ليأتيه الغنى، وعبر في الملائكة بالصلاة التي أريد بها مطلق الثناء، لجزمهم باتصافه تعالى بجميع صفات الكمال، وليس أحد منهم يصفه بخلاف ذلك، مع اعترافهم بأنهم ما عبدوه حق عبادته، وفي الخلائق بالتسبيح، لأنهم من حيث هم بقطع النظر عن المؤمنين ينسبون إليه ما لا يليق به، كالشريك، فناسب التعبير بالتسبيح الذي هو التنزيه عما لا يليق، **(قل عند طلوع الفجر،)** وفي رواية المستغفري ما بين الفجر إلى أن تصلي الصبح، وهي مفسرة للعندية، فالحديث واحد: **(سبحان اللَّه،)** أي تنزيهه عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، **(وبحمده)** (الواو للحال)، أي أسبحه ملتبسًا بحمدي له، أو عاطفة، أي أسبحه وأثني عليه بحمده، أو الحمد مضاف للفاعل، والمراد لازمه، أي ما يوجبه من التوفيق، وعلى العطف، فهي جملة أخرى، والتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام، وقدم التسبيح، لأنه من التخلي بمعجمة على التوحيد، لأنه من التحلي (بمهملة)، **(سبحان اللَّه العظيم،)** كرر هذه تأكيدًا، ولأن الاعتناء بشأن التنزيه أكثر من جهة كثرة المخالفين، ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة نحو: سبحان وسبح بلفظ الأمر، وسبح بلفظ الماضي، ويسبح بلفظ المضارع، ولأن التنزيهات تدرك بالعقول بخلاف الكمالات، فإنها تقصر عن إدراك حقائقها.

قال بعض المحققين: حقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السنة، كما في العالم؛ لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل، فأما علمه، فلا سبيل إليه، قاله الحافظ: **(استغفر اللَّه)**.

صاغرة، فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال: يا رسول الله لقد أقبلت على الدنيا فما أدري أين أضعها. رواه الخطيب في رواة مٰلك.

[ذكر طبه ﷺ من داء الحريق]

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم

قال تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم، ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا﴾ [هود: ٣]، أي بطيب عيش وسعة رزق إلى أجل مسمى هو الموت، ويؤت كل ذي فضل، أي عمل فضله، أي جزاءه في الآخرة (**مائة مرة تأتيك،**) كذا في جميع النسخ (بالياء)، على أنه جواب إذا مقدرة، وهي غير جازمة، أي فإنك إذا فعلت ذلك تأتيك، وإلا فالواجب حذفها، لأنها في جواب الأمر، أو يقال هو لم يقصد به الجزاء (**الدنيا صاغرة:**) ليلة حقيرة، والمراد بسهولة بلا تعب ولا مشقة.

زاد في رواية المستغفري: راغمة، (**فولى الرجل، فمكث**) مدة (**ثم عاد، فقال: يا رسول الله لقد أقبلت علي الدنيا**) بكثرة، (**فما أدري أين أضعها**) من كثرتها، (**رواه الخطيب**) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الحافظ (**في رواة مٰلك**) أي في كتابه المؤلف فيمن روي عن مٰلك الإمام، فبلغ بهم ألفًا إلا سبعة رووا عن مٰلك وزاد عليه غيره كثيرًا، وكذا رواه المستغفري.

ذكر طبه ﷺ من داء الحريق

روى ابن السني وابن عدي وابن عساكر من طريق ابن لهيعة، والطبراني في الدعاء من طريق عبد الرحمٰن بن الحرث، كلاهما (**عن عمرو بن شعيب**) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي، السهمي، صدوق، مات سنة ثمان عشرة ومائة، (**عن أبيه**) شعيب، صدوق، ثبت سماعه من جده عبد الله، فالضمير في (**عن جده**) لشعيب، وإن عاد على عمرو ابنه حمل على جده الأعلى الصحابي، فالحديث متصل، وقد اختلف في الاحتجاج برواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وأصح الأقوال أنها حجة مطلقًا إذا صح السند إليه.

قال ابن الصلاح: وهو قول أكثر أهل الحديث حملاً للجد عند الإطلاق على الصحابي عبد الله بن عمرو دون ابنه محمد، والد شعيب لما ظهر لهم من إطلاقه ذلك، فقد قال البخاري: رأيت أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحٰق بن راهويه وأبا عبيد وأبا خيثمة وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده: ما تركه أحد منهم وثبتوه، فمن الناس بعدهم، وقول ابن حبان: هي منقطعة، لأن شعيبًا لم يلق عبد الله مردود، فقد صح سماع شعيب من جده عبد الله بن عمرو، كما صرح به البخاري في التاريخ وأحمد، وكما رواه الدارقطني

الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه.

فإن قلت ما وجه الحكمة في إطفاء الحريق بالتكبير، أجاب صاحب زاد المعاد: بأنه لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، وكان للشيطان إعانة عليه

والبيهقي في السنن بإسناد صحيح.

وذكر بعضهم: أن محمدًا مات في حياة أبيه، وإن أباه كفل شعيبًا ورباه، وقيل: لا يحتج به مطلقًا، وقيل: إن أفصح بأن جده عبد الله قبل وإلا فلا، وقيل: إن استوعب ذكر آبائه بالرواية عنهم صريحًا قبل، وإلا فلا. انتهى ملخصًا من شرح زين الحفاظ على ألفيته التي اقتصر فيها على الأصح بقوله:

والأكثر احتجوا بعمرو حملاً   له على الجد الكبير الأعلى

(**قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الحريق فكبروا،**) أي قولوا: الله أكبر، وكرروا كثيرًا، وينبغي الجهر به مخلصًا لله، ممتثلاً لأمر رسوله، مستحضرًا ما لله من عظيم القدرة، (**فإن التكبير يطفئه**) (بضم الياء)، إذا صدر عن كمال إخلاص وقوة يقين، وتخصيصه للإيذان بأن من هو أكبر من كل شيء حري بأن يقهر النار ويطفئها.

قال النووي: ويسن أن يدعو معه بدعاء الكرب، وفي تفسير الطبري: إذا كتب أسماء أهل الكهف في شيء وألقي في النار أطفئت، وينبغي أن يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنه يصرف عنه البلاء، وأن يقول ما قال إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، وهذا الحديث رواه البيهقي من الوجه المذكور، بلفظ: استعينوا على إطفاء الحريق بالتكبير، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الطبراني، بلفظ: اطفؤا الحريق بالتكبير، ومن حديث ابن عباس عند ابن عدي، بلفظ: إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإنه يطفىء النار، ومن حديث ابن عباس وجابر، بلفظ: إذا وقعت كبيرة أو هاجت ريح عظيمة، فعليكم بالتكبير، فإنه يجلي العجاج الأسود، فانجبر بذلك ما فيه من ضعف ابن لهيعة، مع أنه لم ينفرد به، بل تابعه عبد الرحمٰن بن الحرث، كما علم.

(**فإن قلت ما وجه الحكمة في إطفاء الحريق بالتكبير،**) قلت: (**أجاب صاحب زاد المعاد**) في هدى خير العباد؛ (**بأنه لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خلق منها،**) أي إنها أعظم الأجزاء التي خلق منها، إلا أنها متمحضة من النار، بل العناصر الأربعة مجتمعة فيه، لكن لما غلبت النار على بقية العناصر جعل مخلوقًا منها.

وفي البيضاوي: من نار السموم، ومن نار باعتبار الغالب، كذا قال شيخنا: (**وكان فيه،**) أي الحريق، أي لهب النار (**من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، وكان للشيطان**

وتنفيذ له، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهما هدي الشيطان، وإليهما يدعو، وبهما يهلك بني آدم، فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض بالبغي والفساد، وكبرياء اللّه تعالى تقمع الشيطان وفعله، فلهذا كان تكبير اللّه له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء اللّه تعالى لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان. وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك. انتهى.

ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له أثرًا عظيمًا لم أجده لغيره، ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان في سنة ست وثمانين وثمانمائة، معلنة بالتكبير.

إعانة عليه،) أي على وجود الحريق؛ بأن يتسبب في إيصال النار إلى نحو الحطب، فيحصل الحريق، **(وتنفيذ له،)** أي جعله مؤثرًا فيما يصل إليه فيفسده، **(وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهما هدى الشيطان،)** أي صفته التي هو عليها، **(وإليهما يدعو)** الناس، **(وبهما يهلك بني آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض بالبغي والفساد، وكبرياء اللّه تعالى تقمع،)** أي تذل **(الشيطان وفعله،)** فتمنعه الفساد، **(فلهذا)** جواب: لما كان الحريق دخلته الفاء على القليل، ولو حذف، فلهذا، واقتصر على قوله: **(كان تكبير اللّه له أثر في إطفاء الحريق،)** لكان أولى لاحتياجها لمقدر تدخل عليه تكون علة للجواب، مقدمة على معلولها، والأصل: فكان تكبير اللّه له أثر في إطفاء الحريق، لهذا **(فإن كبرياء اللّه تعالى لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار:)** سكون لهبها، المؤدي إلى طفئها، **(التي هي مادة الشيطان، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك. انتهى.)** كلام ابن القيم.

(ولقد جربت ذلك بطيبة) لما احترقت **(في سنة خمس وتسعين وثمانمائة، فوجدت له أثرًا عظيمًا لم أجده لغيره، ولقد شاع وذاع رؤية طيور)** بيض **(بحريق طيبة،)** أي وقت حريقها، أي حريق مسجدها فقط، ولم يصل إلى جوف الحجرة شيء من هدم هذا الحريق، **(الواقع في)** الثلث الأخير من ليلة **(ثالث عشر رمضان في سنة ست وثمانين وثمانمائة، معلنة)** تلك الطيور **(بالتكبير،)** كالذي يكفها عن بيوت الجيران، وذلك عبرة وموعظة أبرزها اللّه تعالى للإنذار، فخص بها حضرة النذير ﷺ، وقد ثبت؛ أن أعمال أمته تعرض عليه، فلما ساءت ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجازي بها في موضع عرضها، قاله الشريف السمهودي، وبسط القصة في تاريخه.

[ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به من داء الصرع]

في الصحيحين أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك. فقالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف

ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به

بكسر الطاء وضمها، كما في القاموس، أي يداوي به **(من داء الصرع:)** مرض يشبه الجنون، **(في الصحيحين: إن امرأة)** روى البخاري في الطب ومسلم في الأدب، عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟، قلت بلى، قال هذه المرأة السوداء **(أتت النبي ﷺ)** اسمها سعيرة (بمهملات مصغر) الأسدية، كما في تفسير ابن مردويه، وهو عند المستغفري في الصحابة، وأخرجه أبو موسى في الذيل.

قال المستغفري في كتابه: شعيرة (بالشين المعجمة والصحيح بالمهملة)، قال في الإصابة: وذكرها ابن منده، وتبعه أبو نعيم (بالمعجمة والقاف)، ويقال: بكاف بدل القاف، والصواب: أنها (بمهملتين).

وفي البخاري عن عطاء: انه رأى أم زفر، تلك امرأة طويلة على ستر الكعبة (بكسر السين)، أي جالسة عليها معتمدة، ففي حديث ابن عباس عند البزار؛ انها قالت إني أخاف الحب أن يجردني، فدعا لها، فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها.

وذكر ابن سعد وعبد الغني في المبهمات، عن الزبير بن بكار، عن سليمٰن بن عبد الله، عن شيخ من أهل مكة، قال: هي أم زفر ماشطة خديجة، العجوز التي قال ﷺ: إنها كانت تغشانا زمن خديجة، وكلام أبي عمر يقتضي أنهما واحدة، وقال أبو موسى: انه محتمل، قال في الإصابة: وهو بعيد، والعلم عند الله، **(فقالت: إني أصرع)**.

وفي رواية للطبراني والخطيب: إني امرأة أغلب على عقلي، **(وإني أتكشف)** (بفتح الفوقية والشين المعجمة المشددة) ولأبي ذر: أنكشف (بنون ساكنة بدل الفوقية، وكسر المعجمة مخففة، **(فادع الله لي)** أن يشفيني من ذلك الصرع، **(قال: إن شئت صبرت)** على ذلك، **(ولك الجنّة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك)** من ذلك الصرع.

وفي رواية المستغفري من وجه آخر، عن عطاء: ان ابن عباس قال له: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة، فأراني حبشية عظيمة، فقال: هذه سعيرة الأسدية، أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن بي هذه، تعني الريح، فادع الله أن يشفيني مما بي، فقال: إن شئت دعوت الله يعافيك مما بك ويثبت لك حسناتك وسيئاتك، وإن شئت فاصبري ولك الجنة، **(فقالت: أصبر)**

فدعا لها.

قال العلامة ابن القيم: الصرع صرعان، من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديـة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء.

فأما علاج صرع الأرواح الخبيثة فيكون بأمرين: أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإنه

والجنة، كما زاده في رواية المستغفري، (**قالت: فإني أتكشف**،) روي بالوجهين السابقين أيضًا، (**فادع اللّه**،) زاد أبو ذر لي: (**أن لا أنكشف**،) بالوجهين أيضًا، (**فدعا لها**) ﷺ بعدم الكشف، وتجويز أنه دعا بزوال الصرع خلاف الواقع، ولعبد الرزاق عن الحسن؛ أنها كانت تخنق في المسجد، فجاء إخوتها النبي ﷺ، فشكوا ذلك إليه، فقال: إن شئتم دعوت اللّه فبرئت، وإن شئتم كانت كما هي، ولا حساب عليها في الآخرة، فخيرها إخوتها، فقالت: دعوني كما أنا فتركوها؛ فإن صح هذا، فكأنهم لما أخبروها عنه، جاءت لتسأله بنفسها، وتسمعه وتسأله أن لا تنكشف، وإلا فما في الصحيحين أصح.

ووقع في رواية عن ابن عباس: وفي سعيرة نزلت، ولا تكونوا كالتي نفضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، كانت تجمع الصوف والشعر والليف، فتغزل كبة عظيمة، فإذا ثقلت عليها نقضتها، فقال اللّه: يا معشر قريش، لا تكونوا مثل سعيرة فتنقضوا أيمانكم بعد توكيدها، أخرجها ابن خزيمة قائلاً: أنا ابرأ إلى اللّه من عهدة هذا الإسناد.

(**قال العلامة ابن القيم: الصرع صرعان من الأرواح الخبيثة الأرضية**،) يعني الشياطين، لاستحسان تلك الصورة الإنسية، أو المجرد إيقاع الأذية، (**وصرع من الأخلاط الردية**،) بسبب انحباسها من شدة تعرض في بطون الدماغ ومجاري الأعصاب المحركة، فيمنع الأعضاء الرئيسة عن انفصالها منعا غير تام، أو بخار رديء يسرع إليه من بعض الأعضاء، فلا يبقى الشخص معه منتصبا، بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة.

(**والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء، فأما علاج صرع الأرواح الخبيثة، فيكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه**) بأن يكون صرعه خفيفًا له معه شعورًا، ويكون في ابتدائه قبل غيبوبته، أو بعد الإفاقة، لئلا يعود عليه، فلا يرد أنه لا يتأتى له ذلك مع قيام العارض به، (**وصدق توجهه إلى فاطر**،) خالق (**هذه الأرواح وبارئها**) (عطف مساوٍ) حسنه اختلاف اللفظ، (**والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ**:) توافق (**عليه القلب واللسان**) بأن ينطق مع حضور القلب واعتقاد حقية ما يقوله بلسانه؛

هذا نوع المحاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بالأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًا. والثاني: من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: اخرج منه، أو يقول: بسم الله أو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: وقد كان النبي ﷺ يقول: اخرج عدو الله أنا رسول الله. وكان بعضهم يعالج ذلك بآية الكرسي ويأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين.

قال: ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخوصًا بسبب دماغي أنس من برئه، وكذلك إذا حصل له في صغره واستمر به إلى هذه السن. قال:

(فإنه هذا:) العلاج لدفع الصارع عنه **(نوع المحاربة والمحارب، لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح، إلا بالأمرين؛ أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًا،)** فإن فقدا أو أحدهما لم ينتصف **(والثاني من جهة المعالج فيه بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا،)** أي صدق التوجه والتعوذ الصحيح، وحال المعالجين أنهم يجتهدون في علاجهم ويتفاوتون فيه، فيكون في بعضهم قوة وشدة، **(حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله: أخرج منه،)** فالغاية لمقدر دل عليه السياق، **(أو يقول: بسم الله، أو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله)** هكذا في نسخ، بلفظ: يقول مضارعًا فيهما، أي إن بعض المعالجين يكتفي بقوله: أخرج لشدة قوته وتمكنه، وبعضهم يضم إليه ما يؤثر في الإزالة؛ بأن يقول: بسم الله، أو لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني: ونحوهما مما عهد استعماله لعلاج المصروع.

وفي نسخة: بموحدة، أي أن بعضهم يكتفي بقوله: أخرج، أو يكتفي بقول: بسم الله ونحوه، ولا يستعمل العزائم القوية التأثير لشدتها عليهم، **(قال: وقد كان النبي ﷺ يقول: أخرج عدو الله)** (بالنصب نداء بحذف الأداة)، **(أنا رسول الله، وكان بعضهم يعالج ذلك بآية الكرسي، ويأمر بكثرة قراءة المصروع)** آية الكرسي، إذا كان أهلاً للقراءة، ليدفع عن نفسه، **(و)** يأمر **(من يعالجه بها،)** أي بكثرة قراءتها، **(وبقراءة المعوذتين)** (بكسر الواو)، قل أعوذ برب الفلق وتاليها.

(قال) ابن القيم: **(ومن حدث له الصرع وله خمس وعشرون سنة،)** أي بلغ ذلك السن، **(وخصوصًا بسبب دماغي ليس من برئه، وكذلك إذا حصل له في صغره واستمر به إلى هذا السن)**، أي بلوغ خمس وعشرين، **(قال: فهذه المرأة التي جاء في الحديث أنها كانت تصرع**

فهذه المرأة التي جاء في الحديثأنها كانت تصرع وتنكشف بجواز أن يكون صرعها من هذا النوع فوعدها ﷺ بصبرها على هذا المرض بالجنة.

ولقد جربت الإقسام بالنبي ﷺ على الله تعالى مع قوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار**﴾ إلى آخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا.

ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغثت به ﷺ في ذلك، فجيء إلي بصارعها في المنام بأمر النبي ﷺ فوبخته وأقسم أن لا يعود إليها، فاستيقظت وما بها قَلَبَة ومن ثم لم يعد إليها فلله الحمد.

[ذكر دوائه ﷺ من داء السحر]

و.. كشف، بجواز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها ﷺ بصبرها على هذا المرض بالجنة).

روى عبد الرزاق عن طاووس: كان ﷺ يؤتي بالمجانين، فيضرب صدر أحدهم فيبرأ، فأتي بمجنونة يقال لها أم ظفر، فضرب صدرها، لم تبرأ، ولم يخرج شيطانها، فقال ﷺ: هو بغيتها في الدنيا، ولها في الآخرة خير، (**ولقد جربت الإقسام بالنبي ﷺ على الله تعالى**) في إزالة الصرع (**مع**) قراءة (**قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾** [الفتح: ٢٩]، **إلى آخر سورة الفتح، في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا**:) زال عنهما الصرع، (**ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف**،) بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر في سنة خمس وثمانين وثمانمائة، واستمر بها الصرع أيامًا، (**واستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك، فجيء إلي بصارعها في المنام، بأمر النبي ﷺ فوبخته، وأقسم أن لا يعود إليها**).

وفي المقصد الأخير: فأتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها، فقال لقد أرسله لك النبي ﷺ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها، (**فاستيقظت وما بها قلبة**) (بفتح القاف واللام والموحدة، أي وجع)، (**ومن ثم**،) أي من هذا الوقت، (**لم يعد إليها، فلله الحمد**).

وفي المقصد الأخير: ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة أربع وتسعين.

ذكر دوائه ﷺ من داء السحر

الدواء: (بالفتح والمد) ما يداوى به (وبكسر الدال اسم مصدر)، والمراد هنا ما يشمل

قال النووي: السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد يكون كفرًا، وقد لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا، وأما تعليمه وتعلمه فحرام، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستيب منه، ولا يقتل عندنا، وإن تاب قبلت توبته. وقال لملك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله.

والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق، لأن الساحر عنده كافر، كما ذكرنا، وعندنا: ليس بكافر، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق.

قال القاضي عياض: وبقول لملك قال أحمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة

الأشياء التي يداوى بها والمداواة، فإنه ﷺ بين للناس ما يداوى به، وتداوى هو أيضًا لإزالة السحر، عنه (**قال النووي: السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع**).

وفي الصحيح مرفوعًا: «اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر»، (**وقد يكون كفرًا، وقد لا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة،**) فليس السحر عندهم على المعتمد كفرًا بذاته، بل بما ضم إليه، (**فإن كان فيه قول**) مما يكفر به قائله، (**أو فعل،**) كعبادة شمس ونحوها، (**يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا**) يكون كفرًا بمجرده، (**وأما تعليمه وتعلمه فحرام،**) ولو قصد به دفع ضرورة السحر عن نفسه، أو عن غيره، أو معرفة حقائق الأشياء عند الأكثر لخوف الافتتان والاضرار، (**وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله**) فقط لفعله الحرام، ولا استتابة، لأنه لم يكفر، (**واستتيب منه**) إن كفر به، (**ولا يقتل عندنا،**) أي الشافعية، (**وإن تاب قبلت توبته،**) كالمرتد.

(**وقال لملك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب،**) أي لا تطلب منه التوبة، (**و**) إن تاب (**لا تقبل توبته، بل يتحتم قتله،**) لأنه لا تعرف توبته حتى تقبل منه، (**والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق**) (بزنة قنديل)، قيل: هو المنافق، والأكثر أنه الذي لا يتمسك بدين، وفي القاموس الزنديق (بالكسر) من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة ولا بالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، (**لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا، وعندنا ليس بكافر**).

قال الماوردي: مذهب الشافعي انه لا يكفر بالسحر، ولا يجب به قتله، ويسأل عنه، فإن اعترف معه بما يوجب كفره كفر بمعتقده لا بسحره، وكذا لو اعتقد إباحته كفر باعتقاده لا بسحره، فيقتل حينئذ بما انضم إلى السحر لا بالسحر، (**وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق،**) وعند لملك لا.

(**قال القاضي عياض: وبقول لملك قال أحمد بن حنبل، وهو مروي عن جماعة من**

من الصحابة والتابعين.

قال أصحابنا: فإذا قتل الساحر بسحره إنسانًا واعترف أنه مات بسحره وأنه يقتل غالبًا فعليه القصاص. وإن قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة، وتكون الدية في ماله لا على عاقلته، لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني.

قال أصحابنا: ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة، وإنما يتصور باعتراف الساحر. انتهى.

واختلف في السحر:

فقيل: هو تخييل فقط، ولا حقيقة له، وهو اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية وطائفة.

الصحابة والتابعين، قال أصحابنا) الشافعية: (**فإذا قتل الساحر بسحره إنسانًا**) ذكر أو أنثى، (**واعترف**) حقيقة (**أنه مات بسحره، وانه يقتل غالبًا**) وحكمًا، كقتله بنوع كذا، وشهد عدلان تابا؛ أنه يقتل غالبًا، فهذا عمد، (**فعليه القصاص**) حيث وجدت المكافأة، (**وإن قال مات به، ولكنه قد يقتل، وقد لا يقتل، فلا قصاص، وتجب الدية والكفارة، وتكون الدية في ماله لا على عاقلته، لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني، قال أصحابنا: ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة، وإنما يتصور باعتراف الساحر. انتهى.**)

قال شيخنا: قد يتصور بأن يتوب اثنان من السحرة، ويشهدا على الساحر؛ بأنهما شاهداه، يستعمل القسم الفلاني لقتل فلان، وهو يقتل غالبًا، أو بأن يقر بأنه قتل بالقسم الفلاني، فيشهدان عليه؛ بأن ذلك القسم يقتل غالبًا.

(**واختلف في السحر، فقيل: هو تخييل فقط،**) أي يخيل إلى المسحور أنه يفعل الشيء ولم يفعله، (**ولا حقيقة له،**) وإليه ذهب المعتزلة، (**وهو اختيار أبي جعفر الاستراباذي**) (بكسر الهمزة والفوقية وسكون السين المهملة وفتح الراء والموحدة فألف فمعجمة)، (**من الشافعية،**) ذكره العبادي وبالغ في مدحه، وقال: لم أقف على تاريخ وفاته، (**وأبي بكر**) أحمد بن علي بن الحسين (**الرازي،**) الإمام الحافظ، (**من الحنفية،**) له تصانيف (**وطائفة،**) كالبغوي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه/٦٦]، قال المصنف: ولا حجة فيها، أي الآية، لأنها وردت في هذه القصة، وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل.

قال النووي، والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

قال شيخ الإسلام أبو الفضل العسقلاني: لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: إنه تخييل فقط منع ذلك، والقائلون بأن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعًا من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانًا مثلاً وعكسه، فالذي عليه الجمهور هو الأول.

قال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر، لأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو مزج بين قوى

(**قال النووي والصحيح:**) وهو مذهب أهل السنة، (**إن له حقيقة،**) ويكون بالقول والفعل، ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين، (**وبه قطع،**) أي جزم (**الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب،**) كقوله: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، إذ لو كان تخييلاً ما حصلت الفرقة به، (**والسنة الصحيحة المشهورة،**) وهي كثيرة.

(**قال شيخ الإسلام أبو الفضل العسقلاني: لكن محل النزاع**) بين الفريقين: (**هل يقع بالسحر انقلاب عين،**) كجعل البشر جمادًا أو حمارًا، (**أو لا**) يقع ذلك، (**فمن قال: إنه تخييل فقط منع ذلك، والقائلون؛ بأن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط، بحيث يغير المزاج، فيكون نوعًا من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة، بحيث يصير الجماد حيوانًا مثلاً، وعكسه**) الحيوان جمادًا، (**فالذي عليه الجمهور هو الأول**).

قال الدميري: والثاني واضح البطلان، لأنه لو قدر على هذا القدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت.

(**قال المازري:**) في شرح مسلم (**جمهور العلماء على إثبات السحر،**) أي إن له حقيقة، لأن الله ذكره في القرآن العزيز، وأنه يتعلم، وأنه مما يكفر به ومما يفرق به بين المرء وزوجه، وفي الحديث أنه أشياء دفنت وأخرجت، وكيف يتعلم ما لا حقيقة له، هذا كله في كلام المازري وعطف عليه قوله، ولأن العقل، وفي غالب نسخ المصنف بحذفها تعليل لما اقتصر عليه من كلام المازري، وهو (**لأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق،**) مضموم بعضه إلى بعض، تشبيها بلفق الثوب، (**أو تركيب أجسام،**) كما وقع لسحرة فرعون، (**أو مزج،**) أي خلط (**بين قوى على ترتيب مخصوص،**) فيخلق الله عند

على ترتيب مخصوص. ونظير ذلك ما وقع من حذاق الأطباء من مزج بعد العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعًا.

وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكره الله في قوله: ﴿**يفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ [البقرة/١٠٢]، لكون المقام مقام تهويل. فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره الله تعالىٰ.

قال المازري: والصحيح من جهة العقل أن يقع به أكثر من ذلك، قال: والآية ليست نصًا في منع الزيادة، وإن قلنا إنها ظاهرة في ذلك.

ثم قال: والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة، أن السحر يكون بمعاناه أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد من سحره، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، إنما تقع غالبًا

ذلك التأثير، (**ونظير ذلك ما وقع من حذاق الأطباء:**) مهرتهم، العارفين بغوامض الطب ودقائقه، (**من مزج:**) خلط (**بعد العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده، فيصير بالتركيب نافعًا**).

(**وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكره الله في قوله: يفرقون به بين المرء وزوجه،**) بأن يحدث الله عنده النشوز والاختلاف، وبغض كل منهما للآخر ابتلاء منه، (**لكون المقام مقام تهويل،**) أي تفريع، (**فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره الله تعالى،**) وهو لم يذكره.

(**قال المازري: والصحيح من جهة العقل أن يقع به أكثر من ذلك،**) قيد بالعقل لأنه في مقام الرد على الموافقين على مقتضى العقل، فلا يرد عليه أنه وقع في الخارج ما يزيد على ذلك بكثير.

وقد حكى القرافي وغيره: أنه لم يبلغ أحد في السحر إلى الغاية التي وصل إليها القبط أيام دلوكا ملكة مصر بعد فرعون، فإنهم وضعوا السحر على البرابي، وصوروا فيها صور عساكر الدنيا، فأي عسكر قصدهم أتوا إلى ذلك العسكر المصور، فما فعلوه به من قلع الأعين وقطع الأعضاء وقع نظيره للعسكر القاصد لهم، فتحامتهم العساكر، وأقاموا ستمائة سنة، والنساء هن الملوك والأمراء بمصر بعد غرق فرعون وجنوده.

(**قال: والآية ليست نصًا في منع الزيادة، وإن قلنا: إنها ظاهرة في ذلك،**) أي منع الزيادة، (**ثم قال**) المازري: (**والفرق بين السحر**) على قول الأشاعرة: إن به يقع خرق العادة، (**والمعجزة**) للنبي، (**والكرامة**) للولي (**أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال، حتى يتم للساحر ما يريد من سحره، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، إنما تقع غالبًا اتفاقًا**) بدون قصد.

اتفاقًا، وأما المعجزة فتمتازُ عن الكرامة بالتحدي.

ونقل إمام الحرمين: الإجماع على أن السحر لا يقع إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على يد فاسق. ونقل نحوه النووي في «زيادة الروضة» عن المتولي.

وينبغي أن يعتبر حال من يقع منه الخارق، فإن كان متمسكًا بالشريعة متجنبًا للموبقات، فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر.

وقال القرطبي: والسحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجود تركيبها وأوقاتها، وأكثره تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم

(وأما المعجزة، فتمتاز عن الكرامة بالتحدي،) لأن النبي يتحدى بها ويعجز بها الخلق، فتدل على صدقه، والولي والساحر لا يتحديان بها، ولا يعجزان بها الخلق، ولو تحديا بها لم تنخرق لهما العادة، وأيضًا يفرق بين الولي والساحر؛ بأنه يكون إخراقها له دليل فسقه وكفره، والولي لا يكون ذلك علمًا على ذلك فيه، هذا أيضًا كلام المازري.

(ونقل إمام الحرمين: الإجماع على أن السحر لا يقع إلا من فاسق،) أي لا يظهر أثره، كذا قال شيخنا: (وإن الكرامة لا تظهر على يد فاسق،) وإنما تقع على يد ولي عامل بالطاعات، مجتنب للمعاصي، فلو وقعت على يد فاسق، فقد تكون معونة من الله تعالى له واصطفاء بتوفيقه للمتوبة، وقد تكون استدراجًا والعياذ بالله تعالى.

(ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي: وينبغي أن يعتبر حال من يقع منه الخارق، فإن كان متمسكًا بالشريعة،) عاملاً لما أمرت به، (متجنبًا للموبقات،) أي المهلكات من المعاصي، (فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر،) وهذا مفاد الإجماع المذكور.

(وقال القرطبي) في شرح مسلم: دل القرآن في غير ما آية، والسنة في غير ما حديث؛ على أن السحر موجود وله أثر في المسحور، فمن كذب بذلك، فهو كافر مكذب لله ولرسوله، ومنكر لما علم بالعيان، ثم أن منكره في السر زنديق، وفي الظاهر مرتد، كذا في القرطبي قبل قوله: (والسحر حيل صناعية، يتوصل إليها بالاكتساب، غير) (نصب استثناء) (أنها لدقتها،) أي غموضها وخفاء معناها، (لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته،) أي السحر (الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها،) أي أزمانها التي تركب فيها، (وأكثره

عند من لا يعرف ذلك، كما قال تعالى عن سحرة فرعون ﴿**وجاؤوا بسحر عظيم**﴾ [الأعراف/١١٦]، مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيا.

وقال أبو بكر الرازي في «الأحكام»: أخبر الله تعالى أن الذين ظنه موسى أنها تسعى لم يكن سعيًا حقيقيًا، وإنما كان تخييلاً، وذلك أن عصيهم كانت مجوفة وقد ملئت زئبقًا، وكذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقًا، وقد حفروا قبل ذلك أسرابًا وجعلوا لها آزاجًا وصلوها نارًا، فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزئبق حركها، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير، فلما أثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته، فظن من رآها أنها تسعى، ولم تكن تسعى حقيقة، انتهى.

تخييلات بغير حقيقة،) كعلم السيمياء، **(وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾)**.

في فنه روى أنهم ألقوا حبالاً غلاظًا وخشبًا طوالاً، كأنها حيات ملأت الوادي، وركب بعضها بعضًا، كما في البيضاوي، **(مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيًا،)** بخلاف العصي، فإنها انقلبت حقيقتها خرقًا للعادة وإظهارًا للمعجزة، هذا بقية كلام القرطبي.

(وقال أبو بكر الرازي في الأحكام: أخبر الله تعالى: أن الذي ظنه موسى أنها تسعى،) بقوله: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، **(لم يكن)** ما ظهر من سعيها **(سعيًا حقيقيًا، وإنما كان تخييلاً)** سحروا أعين الناس واسترهبوهم، أي خوفوهم حيث صيروها حيات تسعى، **(وذلك أن عصيهم كانت مجوفة، قد ملئت زئبقًا)** (بكسر الزاي والباء، بينهما همزة ساكنة، ويجوز تخفيفها)، **(وكذلك الحبال كانت من أدم،)** أي جلد **(محشوة زئبقًا، وقد حفروا قبل ذلك أسرابًا:)** جمع سرب (بفتحتين)، بيت في الأرض لا منفذ له، **(وجعلوا له آزاجًا:)** جمع أزج (بفتح الألف والزاي وجيم)، مثل سبب وأسباب: بيت بيني طولاً، كما في المصباح.

وفي القاموس: ضرب من الأبنية، ويجمع أيضًا على أزج (بضمتين) وأزجة كفيلة **(وصلوها نارًا، فلما طرحت على ذلك الموضع وحمى الزئبق حركها، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير، فلما أثقلته كثافة الحبال والعصي:)** جمع عصا، **(صارت تتحرك بحركته، فظن من رآها أنها تسعى:)** تمشي، **(ولم تكن تسعى حقيقة. انتهى)**.

وفي البيضاوي: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، وذلك أنهم لطخوها بالزئبق، فلما

قال القرطبي: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرًا في القلوب كالحب والبغض وبإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكر أن ينقلب الجماد حيوانًا، أو عكسه، بسحر الساحر.

وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ سُحِر، حتى إن كان ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟

ضربت عليها الشمس اضطربت، فخيل إليه أنها تتحرك. انتهى.

ولا مخالفة لجواز أنهم ملأوا أجوافها بالزئبق، ولطخوها به من خارج أيضًا، ووضعوا الأسراب في محل الشمس، وصلوها نارًا زيادة في الإرهاب.

(**قال القرطبي**) عقب ما مر، عنه: (**والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرًا في القلوب، كالحب والبغض، وبإلقاء الخير والشر**) والتفرقة بين المرء وزوجه، ويحول بين المرء وقلبه، كما في القرطبي أيضًا، (و) تأثيرًا (**في الأبدان بالألم والسقم**) كل ذلك مدرك بالمشاهدة، وإنكاره معاندة، هكذا في القرطبي: (**وإنما المنكر أن ينقلب الجماد حيوانًا: أو عكسه بسحر الساحر**،) كما مر بيانه.

(**وقد ثبت في البخاري**) ومسلم (**من حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ سحر**) (بالبناء للمجهول) (**حتى إن**) (مخففة من الثقيلة، أي أنه) (**كان ليخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما فعله**).

وفي رواية لهما أيضًا: أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن، (**حتى إذا كان ذات ليلة**) من إضافة المسمى إلى الاسم، أو ذات مقحمة، (**عند عائشة**) لفظ البخاري: حتى إنه كان ذات يوم، أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، قال المصنف: بالشك من الراوي، والمستدرك منه هو قولها: وهو عندي، أي لكنه لم يكن مشتغلاً بي، بل بالدعاء، أو من قولها: كان يخيل إليه، أي أن السحر أثر في بدنه، لا في عقله وفهمه، بحيث أنه توجه إلى الله تعالى، ودعا على الوضع الصحيح والقانون المستقيم، قاله في الكواكب.

وفي رواية للبخاري أيضًا: حتى إذا كان ذات يوم بلا شك، بل بالجزم بيوم، فليس فيه رواية بالجزم بليلة، كما فعل المصنف (**دعا ودعا**،) أي كرر الدعاء.

وفي رواية للبخاري أيضًا: دعا الله ودعاه، وفي مسلم: فدعا، ثم دعا، ثم دعا بالتكرير ثلاثًا، وهو المعهود من عادته، قال عياض: أي أظهر العجز والافتقار إلى الله، لعلمه أنه لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، (**ثم قال: يا عائشة أشعرت**) (بفتحات وبضم العين أيضًا، وكسر تاء

أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال من طبه قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطه وجف طلع نحلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان،

الخطاب»، أي أعلمت (**أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه**») قال عياض: أي أجابني فيما دعوته، فسمي الدعاء استفتاء، والجواب فتيًا، لأن الداعي طالب، والمجيب مسعف، فاستعير أحدهما للآخر.

زاد غيره: أو المعنى أجابني عما سألته عنه، لأن دعاءه كان لأن يطلعه على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر.

زاد في رواية: قلت: وما ذاك، قال: (**أتاني رجلان**») قال القرطبي: أي ملكان في صورة رجلين، وظاهره أنه في اليقظة، ويحتمل في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي. انتهى.

وقال المصنف في قوله: ما وجع الرجل إشعار بوقوع ذلك في المنام، إذ لو كان يقظة لخاطباه وسألاه.

وفي رواية الإسمعيلي: فانتبه من نومه ذات يوم، لكن في حديث ابن عباس، عند ابن سعد: فهبط عليه ملكان، وهو بين النائم واليقظان.

وفي رواية الطبراني: أتاني ملكان، وعند ابن سعد: بسند منقطع أنهما جبريل وميكائيل، (**فقعد أحدهما عند رأسي**) هو جبريل، كما جزم به الدمياطي، (**والآخر**) ميكائيل (**عند رجلي**) (بشد التحتية مثنى)، (**فقال: أحدهما**) جبريل أو ميكائيل لصاحبه.

وفي رواية: فقال: الذي عند رأسي للآخر وعند الحميدي: فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: قال الحافظ وكأنها أصوب، (**ما وجع الرجل**») أي ما مرضه، (**قال: مطبوب**») أي مسحور، يقال: طب الرجل إذا سحر، فكنى بالطب عن السحر، كما كني بالسليم عن اللديغ.

قال ابن الأنباري: الطب من أسماء الأضداد، يقال للعلاج والسحر، وهو من أعظم الأدواء، ورجل طبيب، أي حاذق، سمي طبيبًا لفطنته، قاله عياض: (**قال من طبه**») أي سحره.

(**قال لبيد**:) (بفتح اللام وكسر الموحدة) (**ابن الأعصم**) (بمهملتين) بوزن الأحمر، زاد في رواية للشيخين، اليهودي من بني زريق (بضم الزاي وفتح الراء وقاف)، وفي طبقات ابن سعد؛ أن متولي السحر أخوات لبيد، وكن أسحر منه وأنه هو الذي دفنه، (**قال: في أي شيء**) طبه، (**قال: في مشط**) (بكسر الميم وضمها وسكون ثانيه)، ويجوز الضم، والجمع أمشاط: الآلة التي يمشط بها.

وفي رواية القابسي: مشاط الحديد، وغلط قاله الحافظ، وفي القاموس: المشط مثلثة: آلة

فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة

يمتشط بها، وفي القرطبي: (بضم الميم)، وأحد الأمشاط التي يمتشط بها، ويطلق على نبت صغير يقال له نبت الذئب، وعلى سلاميات ظهر القدم والعظم العريض من الكف، فيحتمل أن الذي كان فيه أحد الأربعة، **(ومشاطة:)** (بضم الميم وفتح المعجمة مخففة، فألف، فطاء مهملة) ما يخرج من الشعر عند التسريح، وللبيهقي من حديث ابن عباس: من شعر رأسه، ومن أسنان مشطه، وفي رواية للبخاري: ومشاقة (بالقاف بدل الطاء)، قال الحافظ: وهما بمعنى، وقيل: بالقاف ما يمشط من الكتان. انتهى.

وفي البخاري: يقال المشاطة، أي: بالطاء ما يخرج من الشعر إذا مشطوا لمشاقة، أي: بالقاف من مشاقة الكتان، **(وجف طلع نخلة:)** (بضم الجيم وشد الفاء) الغشاء الذي يكون على الظلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلذا قيده بقوله: **(ذكر)** بالتنوين، كنخلة، على أن لفظ ذكر صفة لجف، وللمستملي وجب بموحدة بدل الفاء بمعنى واحد.

وقال القرطبي: إنه بالموحدة داخل الطلعة إذا خرج منها الكفري، قاله شمر، وللكشميهني: وجف (بالفاء) طلعة (بتاء تأنيث)، قاله المصنف.

(قال: وأين هو قال في بئر ذروان) (بفتح المعجمة وسكون الراء)، وفي رواية لهما: ذي أروان (بفتح الهمزة وسكون الراء) وصوبه أبو عبيد البكري والأصمعي.

قال المصنف: وكلاهما صحيح، وعلى الأول: هو من إضافة الشيء لنفسه، قيل: والأصل أروان، ثم لشدة الاستعمال سهلت الهمزة، فصارت ذروان (بمعجمة بدل الهمزة)، وهي بئر كانت معروفة بالمدينة في بستان بني زريق.

زاد في رواية: تحت راعوفة في بئر ذروان (براء فألف) في رواية الأكثر، ولبعضهم (بلا ألف فعين فواو ففاء) حجر يترك في البئر عند الحفر، ثابت لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي والناظر فيها، وقيل: في أسفل البئر، يجلس عليه الذي ينظفها، لا يمكن قلعه لصلابته؛ **(فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه)**.

وعند ابن سعد عن ابن عباس: فبعث إلى علي وعمار، فأمرهما أن يأتيا البئر، وعنده أيضًا من مرسل عمر بن الحكم: فدعا جبير بن إياس الزرقي، وهو ممن شهد بدرًا فدله على موضعه في بئر ذروان، فاستخرجه، قال: ويقال إن الذي استخرجه قيس بن محصن الزرقي.

قال الحافظ: ويجمع بأنه أعان جبيرًا على ذلك، وباشر بنفسه، فنسب إليه؛ وأن النبي ﷺ وجههم أولاً، ثم توجه فشاهدها بنفسه، **(فجاء)** ﷺ بعد أن رجع، **(فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة)** (بضم النون وتخفيف القاف) **(الحناء)** (بكسر المهملة والمد)، يعني أن ماء البئر أحمر،

الحناء، وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، فقلت يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًا، فأمر بها فدفنت.

وفي رواية للبخاري أيضًا: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئر التي رأيتها، قالت عائشة: أفلا تنشرت؟ قال: أما الله شفاني، وأكره أن أثير على الناس

كالذي ينقع فيه الحناء، أي أنه تغير لرداءته، أو لما خالطه مما ألقي فيه، **(وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)** في التناهي في كراهتها وقبح منظرها.

ويحتمل أن يريد رؤوس الحيات، فالعرب تسمي بعض الحيات شيطانًا، وهي حية قبيحة المنظر هائلة جدًا، **(فقلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته، قال: قد عافاني الله)** منه، **(فكرهت أن أثور)** (بضم الهمزة وفتح المثلثة وكسر الواو مشددة) **(على الناس فيه)**.

وللكشميهني: منه **(شرًا)** من تذكر المنافقين السحر وتعلمه ونحو ذلك، فيؤذي المسلمين وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة. **(فأمر بها)**، أي بالبئر **(فدفنت)** (بالبناء للمجهول)؛ **(وفي رواية للبخاري أيضًا: فأتى)** ﷺ **(البئر حتى استخرجه)**، فهذه معارضة للتي قبلها، ولرواية: أفلا أخرجته، قال: لا، قال المهلب: اختلف الرواة على هشام في إخراج السحر المذكور، فأثبته سفيٰن بن عيينة، وجعل سؤال عائشة عن النشرة، ونفاه عيسى بن يونس، وجعل سؤالها عن الاستخراج، ولم يذكر الجواب، وصرح به أبو أسامة ولفظه، فقلت: يا رسول الله أفأخرجته؟، قال: لا، والنظر يقتضي ترجيح رواية سفيٰن لتقدمه في الضبط، ويؤيده: أن النشرة لم تقع في رواية أبي أسامة وزيادة سفيٰن مقبولة، لأنه أثبتهم، ولا سيما أنه كرر استخراج السحر في روايته مرتين، يعني بالمرة الأولى في قوله: قال: فاستخرج، فيبعد من الوهم، وزاد ذكر النشرة، وجعل جوابه ﷺ عنها بدلاً عن الاستخراج، وقد يجمع بأن الاستخراج المنفي في رواية أبي أسامة غير الاستخراج المثبت في رواية سفيٰن؛ فالمثبت هو استخراج الجف من البئر، والمنفي استخراج ما حواه، قال: وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلموا السحر. انتهى من فتح الباري.

(فقال) ﷺ لعائشة: **(هذه البئر التي رأيتها)** (براء فهمزة مفتوحتين)، وفي رواية: أريتها (بضم الهمزة وكسر الراء)، وحذف المصنف من هذه الرواية؛ فكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين، قال: فاستخرج، وهو مبني للمجهول، وفاعل قال النبي ﷺ، كما في المصنف، **(قالت عائشة: أفلا تنشرت،)** أي فعلت النشرة وهي الرقية التي يعالج بها المريض، **(قال: أما الله شفاني،)** عبارة المصنف في شرحه: أما والله (بتخفيف الميم)، والله جربوا والقسم ولابن عساكر وأبوي ذر والوقت: أما والله، بالتشديد فقد شفاني. انتهى.

شرًا.

وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل ـ بسند ضعيف ـ في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي عليه الصلاة والسلام أنهم وجدوا وترًا فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت سورة الفلق والناس، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة.

وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن عليًا وعمارًا لما

فما ساقه هنا لا يوافق رواية منهما، **(وأكره أن أثير على الناس شرًا)** بتذكر السحر، وقد وقع في رواية لمسلم: أن عائشة قالت: أفلا أحرقته؟، قال القاضي عياض: كذا في جميع النسخ، قيل: صوابه أخرجته، كما في الرواية الأخرى، لأنه المناسب لقوله: كرهت أن أثير على الناس شرًا، أي بإخراجه، لأنه إذا أخرج فقد يوقف على عقه وصفته فيتعلم، وكفى بذلك شرًا، قال: وعندي إن أحرقته صواب، ولا يعترض بما تقدم، لأنها تعني بحرقها حين يخرجها، بل أحرقتها أظهر للذي أرادت من إتلاف عينه وإبطال عمله، وما يتوقع من شره مع بقائه لم يغير.

وقال القرطبي: عُندي أن رواية أحرقته أولى، وتعني لبيدًا صانع السحر، فأجابها بأنه يثير شرًا بين المسلمين واليهود لما كان لهم من العهد والذمة، فلو قتلته لثارت فتنة، وتحدث الناس: أن محمدًا يقتل من عاهد. انتهى، وهذا فيه بعد، وكلام عياض أظهر.

(وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل) النبوية **(بسند ضعيف،)** لأن فيه الكلبي، عن أبي صالح، وهم ضعيفان، **(في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ؛ أنهم وجدوا وترًا)** (بفتح الواو والفوقية). **(فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت سورة الفلق والناس، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة،)** ولفظ البيهقي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مرض ﷺ مرضًا شديدًا، فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما ترى قال: طب، قال: وما طب؟، قال: سحر، قال: من سحره؟، قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟، قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في ركية، فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الركية فاحرقوها، فلما أصبح ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر، فأتى الركية، فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الركية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق: ١]، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ [الناس: ١]، وفي سياقه نكارة ومخالفة لحديث الصحيحين ظاهرة.

(وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع، عن ابن عباس: أن عليًا وعمارًا لما بعثهما

بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه.

وفي رواية ذكرها في فتح الباري: فنزل رجل البئر فاستخرجه وأنه وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال النبي ﷺ وإذا فيه أبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألمًا، ثم يجد بعدها راحة.

وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر، كما أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفًا في بني زريق، وكان ساحرًا، فقالوا: أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمدًا فلم نصنع شيئًا، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحرًا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير.

النبي ﷺ لاستخراج السحر، وجدا طلعة لنخلة، (**فيها إحدى عشرة عقدة، فذكر نحوه**) من نزول السورتين وانحلال العقد بقراءتهما.

(**وفي رواية ذكرها في فتح الباري: فنزل رجل البئر فاستخرجه، وإنه وجد في الطلعة تمثالاً**) بكسر الفوقية، أي صورة (**من شمع**) بفتح الميم، وتسكن الذي يستصبح به، (**تمثال النبي ﷺ**) بالنصب بدل من تمثالاً، (**وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين**) بكسر الواو، (**فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألمًا**) في بدنه، (**ثم يجد بعدها راحة،**) وهذا كالذي قبله صريح في أنه استخرج ما حواه الجف، فيتأكد الجمع المتقدم.

(**وقد بين الواقدي**) محمد بن عمر بن واقد (**السنة التي وقع فيها السحر، كما أخرجه عنه**) تلميذه محمد (**بن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم**) المدني، صدوق (**مرسل،**) لأن عمر من أواسط التابعين، (**قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة، ودخل المحرم سنة سبع، جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفًا في بني زريق**) بتقديم الزاي مصغر، (**وكان ساحرًا، فقالوا: أنت أسحرنا:**) أعلمنا بالسحر، (**وقد سحرنا محمدًا، فلم نصنع شيئًا**) ينكؤه، (**ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحرًا ينكؤه**) بوزن يمنعه، (**فجعلوا له ثلاثة دنانير،**) فسحره.

ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة، وفي رواية وهيب عن هشام ستة أشهر.

ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعون يومًا من استحكامه.

وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث ﷺ فيها في السحر، حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري: أنه لبث سنة. قال الحافظ ابن حجر: وقد وجدناه موصولاً بالإسناد الصحيح فهو المعتمد.

وقال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويزها بعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أن نرى جبريل يكلمه وليس هو ثَمَّ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء.

ومر أن عند ابن سعد أن متولي السحر أخوات لبيد، وكن أسحر منه، وأنه هو الذي ألقاه في البئر.

(**ووقع في رواية أبي ضمرة:**) بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم أنس بن عياض الليثي، المدني (**عند الإسمٰعيلي: فأقام أربعين ليلة**).

(**وفي رواية وهيب:**) بالتصغير ابن خالد بن عجلان البصري، (**عن هشام**) بن عروة، راوي حديث الباب، عن أبيه، عن عائشة: أقام (**ستة أشهر**) في السحر، (**ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعون يومًا من استحكامه:**) اتقانه وشدته.

(**وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث ﷺ فيها في السحر حتى ظفرت به،**) أي وجدته، وأصل معناه الفوز والفلاح (**في جامع معمر عن الزهري،**) مرسلاً (**إنه لبث سنة**).

(**قال الحافظ ابن حجر: وقد وجدناه موصولاً**) عند أحمد والإسمٰعيلي (**بالإسناد الصحيح، فهو المعتمد،**) إذ الموصول مع صحة إسناده مقدم على المرسل عند التعارض.

(**وقال المازري**) في شرح مسلم: (**أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة،**) أي شرفها ورفعتها، (**قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل،**) وهذه كلمة حق أريد بها باطل، (**وزعموا أن تجويزها،**) أي فعلة السحر بهم، والأظهر تجويزه (**بعدم**) يبطل (**الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أن جبريل يكلمه، وليس هو، ثم**) بفتح المثلثة وشد الميم، أي هناك موجودًا، (**وأنه يوحي إليه، ولم يوح إليه**

قال المازري: وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله عز وجل، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، انتهى.

وقال غيره: لا يلزم من أنه يظن أنه يفعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ليقظة قلبه وسلامة ذهنه، فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور، أنه يظهر

بشيء).

(**قال المازري: وهذا كله مردود**) وباطل، (**لأن الدليل**) وهو المعجزات، كما في كلام المازري (**قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله عز وجل، وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل**) لا يلتفت إليه؛ (**وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة**) بضم فسكون، أي معرض (**لما يعرض للبشر، كالأمراض**).

وقد صح أنه كان يوعك كما يوعك رجلان زيادة في أجره، (**فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له،**) وعليه يحمل الحديث، فلا طعن فيه مع صحته باتفاق (**مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين. انتهى**) ما نقله من المازري. وبقيته: وقد قال بعض الناس معنى الحديث أنه يخيل إليه أنه وطىء إحدى زوجاته ولم يطأ، وقد يخيل للإنسان في المنام مثل هذا، فلا يبعد أن يتخيله ﷺ في اليقظة.

وقال بعض أصحابنا: يمكن أن يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة خياله، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، فلا يبقى لاعتقاد الملحد طريق، وهذا هو معنى قوله: (**وقال غيره لا يلزم من أنه يظن أنه يفعل الشيء ولم يكن فعله؛ أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر، يخطر ولا يثبت ليقظة قلبه وسلامة ذهنه، فلا يبقى على هذا للملحد حجة،**) فكان اللائق أن المصنف يقول: ونقل عن بعض أصحابه لإيهامه أن المازري لم يذكره، لا سيما مع فصله بلفظ. انتهى.

(**وقال القاضي عياض**) في الشفاء وفي شرح مسلم: ظهر لي ما هو أجلى وأبعد عن

له من نشاطه ومن سابق عادته الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى «حتى كاد ينكر بصره» أي صار كالذي ينكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء تخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته. ويؤيد جميع ما تقدم: أنه لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر.

قال بعضهم: وقد سلك النبي عليه الصلاة والسلام في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر به، واحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون

مطاعن الملحدة من نفس الحديث، ففي بعض طرقه سحره يهود حتى كاد ينكر بصره، وفي بعضها حبس عن عائشة سنة، وعند البيهقي عن ابن عباس: مرض ﷺ وحبس عن النساء والطعام والشراب، فدلت هذه الطرق أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده، لا على عقله، و **(يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور)** في قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن **(أنه يظهر له من نشاطه)** أي طيب نفسه للعمل، كما في الأساس، **(ومن سابق عادته)** قبل السحر **(الاقتدار)** (بالرفع فاعل يظهر أي قدرته)، **(على الوطء، فإذا دنا)** قرب **(من المرأة فتر)** (بفاء ففوقية ضعف) **(عن ذلك)** فلم ينهض له **(كما هو شأن المعقود)** الممنوع عن الجماع بالسحر، وتسميه العامة المربوط وهذا جواب سؤال هو: إذا قلت: إن السحر لم يؤثر إلا في ظاهر بدنه، يرد عليك أن تخيل ما لم يقع واقعًا، يقتضي خللاً في الذهن والإدراك؛ وحاصل الجواب أنه لا يقتضيه كما كرره، **(ويكون قوله في الرواية الأخرى)** وهي رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب وعروة: سحر يهود بني زريق رسول الله ﷺ، فجعلوه في بئر، **(حتى كاد)** أي قارب **(ينكر بصره)** أي: ما أبصر، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر، **(أي صار كالذي ينكر بصره)** لا إنه أنكره حقيقة، **(بحيث أنه إذا رأى الشيء تخيل أنه على غير صفته)** للضعف الطارئ في بصره من السحر، **(فإذا تأمله عرف حقيقته)** لأن تميزه باق على حاله، لم يطرأ عليه شيء.

(ويؤيد جميع ما تقدم) من الأجوبة **(أنه لم ينقل عنه ﷺ في خبر من الأخبار)** المروية في قصة السحر **(أنه قال قولاً، فكان بخلاف ما أخبر)** إلى هنا كلام عياض بمعناه.

(قال بعضهم: وقد سلك النبي ﷺ في هذه القصة مسلكي التفويض:) التسليم **(وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم)** (عطف تفسير) **(لأمر ربه واحتسب الأجر)** عند الله **(في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي:)** خاف **(من تماديه أن يضعفه عن)**

عبادته جنح إلى التداوي. فقد أخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: احتجم النبي ﷺ على رأسه، يعني حين طب، ثم جنح إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية في الكمال.

وقال ابن القيم: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والتوجه، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره، وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به، كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا كان غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها، انتهى ملخصًا.

ويعكر عليه حديث الباب، وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه، وصدق توجهه إلى الله وملازمة ورده، ولكن يمكن الانفصال عن

فنون،) أي أنواع **(عبادته جنح إلى التداوي)**.

(فقد أخرج أبو عبيد) القٰسم بن سلام بالتشديد البغدادي، الإمام المشهور، الثقة الفاضل، المصنف، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين، **(من مرسل عبد الرحمٰن بن أبي ليلى)** الأنصاري، المدني، ثم الكوفي، ثقة من كبار التابعين، مات سنة ثلاث وثمانين، **(قال: احتجم النبي ﷺ على رأسه، يعني حين طب،)** أي سحر، **(ثم جنح إلى الدعاء،)** فدعا ربه مرارًا، **(وكل من المقامين:)** التفويض وتعاطي الأسباب **(غاية في الكمال،)** فلذا سلكهما.

(وقال ابن القيم: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة) بضم النون **(مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والتوجه)** إلى الله، **(فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، معمورًا بذكره، وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به، كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، قال: وسلطان،)** أي قوة **(تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة،)** حتى قال الفخر الرازي: لا يظهر تأثير السحر إلا على فاسق، **(ولهذا كان غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة،)** يعني الشياطين **(إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها)**.

(انتهى ملخصًا ويعكر عليه حديث الباب؛ وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه إلى الله وملازمة ورده) من صلاة وذكر وتلاوة وغير ذلك؛ **(ولكن يمكن**

ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب، وإن ما وقع به عليه الصلاة والسلام لبيان تجويز ذلك عليه.

وأما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر، فذكر ابن بطال: أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فتدق بين حجرتين ثم يضرب ذلك بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل، ثم يحسو منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه ما كان به، وهو جيد للرجل إذا حتبس عن أهله.

وممن صرح بجواز النشرة، المزني عن الشافعي، وأبو جعفر الطبري وغيرهما.

الانفصال،) أي التخلص والتباعد **(عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب،)** كما يؤخذ من قوله غالب ما يؤثر؛ **(وإن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك عليه،)** ويمكن الانفصال أيضًا؛ بأنه إنما قال سلطان، أي قوة وشدة، والذي وقع له ﷺ ليس بسلطانه، إذ لم يغير شيئًا من عقله، ولا نقص شيء من عبادته، مع أن الذي سحر به كان بالغًا في القوة، بحيث لو فعل مثله بغيره من ضعفاء القلوب، لاشتد مرضه وأقعد واختل عقله وترك العبادة؛ وكذا قول الرازي: لا يظهر تأثيره إلا على فاسق، أي كل الظهور المخل بالعقل.

(وأما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر، فذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه) بن كامل اليماني، التابعي المشهور؛ **(أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فتدق بين حجرتين، ثم يضرب ذلك بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل،)** أي قل هو اللّه أحد والمعوذتان، **(ثم يحسو:)** يملأ فمه **(منه ثلاث حسيات،)** يبتلعها، **(ثم يغتسل به،)** أي بالباقي بعد الحسو، **(فإنه يذهب عنه ما كان به)** من السحر، **(وهو جيد للرجل إذا احتبس،)** أي منع **(عن)** جماع **(أهله، وممن صرح بجواز النشرة المزني)** إسمعيل، **(عن الشافعي)** الإمام، **(وأبو جعفر)** محمد بن جرير **(الطبري وغيرهما،)** كالشعبي ويحيى بن سعيد، وجاءت بها آثار، واستدل لجوازها بقول عائشة: أفلا تنشرت، فلم ينكر عليها، وإنما قال: أما اللّه فقد شفاني.

وقال الحسن البصري: هي من السحر، وفي أبي داود عن جابر: النشرة من عمل الشيطان، وأجيب؛ بأن المراد بها التي كانت الجاهلية تعالج بها وتعتقد تأثيرها.

وقد نقل الطيبي عن بعضهم: أن النشرة نوع من الرقي والعلاج، يعالج بها من يظن أنه مس من الجن، وفي الحديث: لعل طبًا، أي سحرًا أصابه فنشره، أي رقاه بـ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق: ١]، ويقال أيضًا: نشره إذا كتب له نشرة، قاله أبو عبد اللّه الأبي.

قال ابن الحاج في «المدخل»: كان الشيخ أبو محمد المرجاني أكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولأولاده ولأصحابه فيجدون على ذلك الشفاء، وأخبر رحمه الله أن النبي عليه الصلاة والسلام أعطاها له في المنام، وقال: إنه مرة رأى النبي عليه الصلاة والسلام قال له: ما تعلم ما عمل معك ومع أصحابك في هذه النشرة، نقله عنه خادمه، وهي هذه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه﴾ [التوبة/ ١٢٨]، إلى آخر السورة ﴿وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء/٨٢]، ﴿لو أنزلنا هذا القرءان على جبل﴾ [الحشر/٢١]، [الحشر/ ٢١]، إلى آخر السورة، وسورة الإخلاص والمعوذتين، ثم يكتب: اللهم أنت المحيي وأنت المميت، وأنت الخالق وأنت البارىء وأنت المبلي، وأنت الشافي، خلقتنا من ماء مهين، وجعلتنا في قرار مكين إلى قدر معلوم، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، يا من بيده الابتلاء والمعافاة، والشفاء والدواء، أسألك بمعجزات نبيك محمد عليه الصلاة والسلام، وبركات

(قال ابن الحاج في المدخل: كان الشيخ أبو محمد المرجاني أكثر تداويه بالنشرة، يعملها لنفسه ولأولاده ولأصحابه، فيجدون على ذلك الشفاء) بإذن الله، (وأخبر رحمه الله أن النبي ﷺ أعطاها له في المنام، وقال) أيضًا؛ (أنه مرة رأى النبي ﷺ قال له: ما تعلم ما عمل معك ومع أصحابك؟،) استفهام تقرير لينبهه على عظم فائدتها وتلقيها بالقبول التام (في هذه النشرة، نقله عنه خادمه، وهي هذه ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾،) أي منكم محمد ﷺ، (﴿عزيز﴾) شديد (﴿عليه ما عنتم﴾،) أي عنتكم ولقاؤكم المكروه، (﴿حريص عليكم﴾) أن تهتدوا (﴿بالمؤمنين رؤوف﴾) شديد الرحمة (﴿رحيم﴾،) بهم يريد لهم الخير، (إلى آخر السورة ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾) مر أن هذه إحدى آيات الشفاء (﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾، إلى آخر السورة، وسورة الإخلاص والمعوذتين،) أي وسورة المعوذتين، (ثم يكتب: اللهم أنت المحيي وأنت المميت، وأنت الخالق وأنت البارىء، وأنت المبلي) بالأمراض ونحوها، (وأنت الشافي،) منها (خلقتنا من ماء مهين) ضعيف، وهو المني، (وجعلتنا في قرار مكين،) أي حريز، وهو الرحم (إلى قدر معلوم،) وهو وقت الولادة، (اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى،) تأنيث الأحسن، (وصفاتك العلا:) المرتفعة عن جميع الصفات، (يا من بيده الابتلاء:) الاختبار والامتحان بالأمراض (والمعافاة) منها، (والشفاء والدواء، أسألك بمعجزات نبيك محمد ﷺ وبركات خليلك إبراهيم وحرمة

خليلك إبرٰهيم وحرمة كليمك موسى عليه السلام، اللهم أشفه.

[ذكر رقية تنفع لكل شكوى]

عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اشتكى منكم شيئًا فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطبيبين أنزل رحمة من عندك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ بإذن الله. رواه أبو داود في سننه.

كليمك موسى عليه السلام، اللهم اشفه:) عافه مما به.

ذكر رقية تنفع لكل شكوى

أي مرض، **(عن أبي الدرداء)** عويمر الأنصاري، الصحابي الجليل، أول مشاهده أحد، مات في خلافة عثمٰن، وقيل: عاش بعد ذلك، **(قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: من اشتكى منكم شيئًا،)** أو اشتكاه أخ له، هكذا لفظ الحديث عند أبي داود، فسقط من المصنف أو نساخه واو للتنويع، **(فليقل)** بعد وضع يده على الوجع قياسًا على ما سبق: **(ربنا،)** جوز شيخنا رفعه خبر مبتدأ، أي أنت ربنا، ونصبه منادى، أي: يا ربنا، والمتبادر على رفعه أنه مبتدأ خبره **(اللّٰه،)** وصفته **(الذي في السماء تقدس اسمك،)** أي تنزه، ويؤيد النصب كاف الخطاب في اسمك، إذ الأصل عدم الالتفات، وخص التنزيه بالسماء، لكون تمامه إنما هو فيها، وإن وجد منه في الأرض فليس كالسموٰت، فإن سكانها ملائكة لا يعصون اللّٰه ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأما الأرض فأكثرها كفار وعبدة أوثان، لا يقدسون اسمه حق تقديسه، **(أمرك في السماء والأرض)** نافذ، **(كما رحمتك في السماء)** عامة في أهلها من الملائكة وغيرهم، **(فاجعل رحمتك في الأرض)** عامة، كالسماء.

وحكمة ذلك أن ظهور الرحمة في السماء، كالمحقق الظاهر لكل أحد، لسلامة أهلها من الذنوب والبلايا، فسأل أن يجعلها في الأرض بحفظ أهلها من الذنوب، وبمغفرة ما اقترفوه منها، **(واغفر لنا حوبنا)** بالضم، أي ذنبنا العظيم، وقرىء شاذًا (بالفتح) مصدر حاب حوبًا، وقيل: الضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة تميم، **(وخطايانا أنت رب الطبيبين:)** جمع طبيب، أي المداوين، وفي بعض النسخ: المطببين، أي الطالبين للطب، أي الدواء، لكن الذي رأيته في النسخ الصحيحة من غير المصنف هو الأول، **(أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ بإذن اللّٰه، رواه أبو داود في سننه)** والنسائي. كما يأتي قريبًا.

[رقيته ﷺ من الصداع]

روى الحميدي في «الطب» عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال: كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يتعوذ من الصداع، بسم الله الرحمٰن الرحيم، بسم الله الكبير وأعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار. ورواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأصاب أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ورم في رأسها، فوضع رسول الله عليه الصلاة والسلام يده على ذلك من فوق الثياب فقال: بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك، بسم الله. صنع ذلك ثلاث مرات، وأمرها أن تقول ذلك، فقالت ذلك ثلاثة أيام. فذهب الورم.

رقيته ﷺ من الصداع

بزنة غراب وجع الرأس، ويأتي للمصنف قريبًا بسط حقيقته، (**روى الحميدي**) أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي، صاحب الجمع بين الصحيحين (**في الطب**) النبوي، (**عن يونس بن يعقوب**،) (**عن عبد الله**،) (**قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الصداع**،) فيقول (**بسم الله الرحمٰن الرحيم بسم الله الكبير**) عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول، أو معناه أكمل الموجودات وأشرفها، وعلى الوجهين هو من أسماء التنزيه، (**وأعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار**:) (بفتح النون وفتح العين المهملة) فار منه الدم أو صوت لخروج الدم، كما في القاموس، (**ومن شر حر النار، ورواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما**،) فله طريقان، (**وأصاب أسماء بنت أبي بكر**) الصديق (**رضي الله عنهما ورم في رأسها، فوضع رسول الله ﷺ يده على ذلك من فوق الثياب**،) لأنه لم تمس يده الشريفة يد امرأة غير حلائله، (**فقال: بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك**) هذه المذكورة، ويحتمل دعوته إلى الإسلام والشرائع، فإنها أعظم منزلة عند الله، أي بدعوة نبيك العباد إليك التي حصل بها الهدى وتحمل بسببها المشاق، توسل إلى الله تعالى بتلك الحالة ليكون أنجع في الإجابة، كما في قصة أصحاب الكهف (**الطيب**) بوزن سيد أي الطاهر أو الزكي لأنه لا أطيب منه (**المبارك**) العظيم البركة وهي لفظ جامع لأنواع الخير (**المكين**) (فعيل من المكانة)، أي ذي الرفعة والشرف (**عندك**،) ومن ذلك أن قرنت ذكره بذكرك، (**بسم الله صنع ذلك**) المذكور من وضع اليد والقول (**ثلاث مرات، وأمرها أن تقول ذلك فقالت ذلك**،) الدعاء (**ثلاثة أيام**) في

رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي.

[رقيته ﷺ من وجع الضرس]

روى البيهقي أن عبد الله بن رواحة شكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وجع ضرسه، فوضع عليه الصلاة والسلام يده على خده الذي فيه الوجع وقال: اللهم أذهب عنه سوء ما يجده وفحشه، بدعوة نبيك المكين المبارك عندك، سبع مرات، فشفاه الله قبل أن يبرح.

وروى الحميدي أن فاطمة رضي الله عنها أتت رسول الله عليه الصلاة والسلام تشكو ما تلقى من ضربان الضرس، فأدخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تألم، فقال: بسم الله وبالله، أسألك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء، فإن مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك، أن تشفي ما بفاطمة بنت خديجة من الضر كله، فسكن ما بها.

كل يوم ثلاث مرات، **(فذهب الورم، رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي)**.

رقيته ﷺ من وجع الضرس

بالكسر: السن مذكر ما دام له هذا الاسم، فإن قيل فيه: سن، فمؤنث، فالتذكير والتأنيث باعتبار لفظين وتذكير الأسماء وتأنيثها سماعي، كما في المصباح وغيره.

(روى البيهقي أن عبد الله بن رواحة) الخزرجي، البدري، الأمير الشهيد بمؤته **(شكا إلى النبي ﷺ وجع ضرسه، فوضع ﷺ يده على خده الذي فيه الوجع وقال: اللهم أذهب عنه سوء ما يجده وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات، فشفاه الله قبل أن يبرح،)** أي يزول من مكانه.

(وروى الحميدي: أن فاطمة رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ تشكو ما تلقى من ضربان الضرس،) أي شدة وجعه، **(فأدخل سبابته اليمنى، فوضع يده على السن الذي تألم،)** أي يقوم بها الألم، وهو الوجع، وعبر بالذي نظر الآن المحدث عنه الضرس، وهو مذكر، وإلا فالأولى التي، لأن السن مؤنثة سماعًا، **(فقال: بسم الله وبالله، أسألك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء،)** ومن ذلك وجود عيسى من غير أب، **(فإن مريم لم تلد غير عيسى،)** فهو تعليل لمقدر **(من روحك)** أضافه إليه تعالى تشريفًا له **(وكلمتك،)** أي قول كن، ولم يقل ولدت عيسى من روحك، لئلا يوهم أنها ولدت غير عيسى من غير روحه، **(أن تشفي ما بفاطمة بنت خديجة)** لم يقل بنتي، لأنه مقام تضرع وانكسار، فنسبها إلى أمها كأنها أجنبية منه، ليكون

ومن الغريب: ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري إمام مقام الخليل بمكة، ورأيته يفعله غير مرة، وضع يده على رأس الموجوع ضرسه، ويسأل عن اسمه واسم أمه وعن المدة التي يريد المألوم أن لا يألمه فيها، فيقول: سبع سنين أو تسع سنين مثلاً بالوتر، قالوا: فما يرفع يده إلا وقد سكن ألمه، ويمكث المدة المذكورة لا يألمه، كما أشيع ذلك واشتهر.

ومما جرب أن يكتب على الخد الذي يلي الوجع: بسم الله الرحمٰن الرحيم. ﴿**قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون**﴾ [الملك/ ٢٣]، وإن شاءت كتب ﴿**وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم**﴾ [الأنعام/ ١٣].

[رقية لعسر البول]

الدعاء أنجع (**من الضر كله، فسكن ما بها**،) ومناسبة ذكر مريم دون غيرها من النساء ما بينها وبين فاطمة من الفضل، فكأنه قال: كما أكرمت مريم بتلك العجيبة أكرم فاطمة بذهاب وجعها. (**ومن الغريب ما شاع وذاع عن شيخنا المحب**) قاضي القضاة محمد بن الإمام رضي الدين (**الطبري**،) المكي، المتوفى آخر ليلة الأربعاء، ثامن عشر صفر، سنة أربع وتسعين وثمانمائة بمكة، كما في شرح المصنف للبخاري، وليس هو المحب الطبري، الحافظ أحمد المشهور، لأنه متقدم على المصنف بزمان، مات سنة أربع وتسعين وستمائة، (**إمام مقام الخليل بمكة**).

وفي شرحه للبخاري إمام الحرم، الشريف المكي: وما هنا أخص، (**ورأيته يفعله غير مرة، وضع يده على رأس الموجوع ضرسه، ويسأل عن اسمه واسم أمه، وعن المدة التي يريد المألوم أن لا يألمه فيها، فيقول: سبع سنين أو تسع سنين، مثلاً بالوتر قالوا: فما يرفع يده إلا وقد سكن ألمه، ويمكث المدة المذكورة لا يألمه، كما أشيع ذلك واشتهر**) بمكة، ولم يبين أكان يقرأ أو يقول شيئًا مع وضع يده، أو بمجرد وضعه يذهب اللّٰه تعالى الألم كرامة له.

(**ومما جرب أن يكتب على الخد الذي يلي الوجع: بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم** ﴿**قل هو الذي أنشأكم**﴾) خلقكم (﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾) القلوب (﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾) ما مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم، (**وإن شاءت كتب**) مع هذه الآية أو بدونها (﴿**وله ما سكن**﴾) أي حل (﴿**في الليل والنهار**﴾) أي كل شيء، فهو ربه وخالقه ومالكه، (﴿**وهو السميع**﴾) لما يقال، (﴿**العليم**﴾،) بما يفعل.

رقية لعسر البول

روى النسائي عن أبي الدرداء أنه أتاه رجل يذكر أن أباه احتبس بوله، فأصابه حصاة البول، فعلمه أبو الدرداء رقية سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، أنت رب المتطببين فأنزل شفاء من شفائك، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع. فيبرأ بإذن الله أمره أن يرقيه بها، فرقاه بها فبرأ. وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث أبي داود.

[رقية الحمى]

عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وهي موعوكة، وهي تسب الحمى، فقال: لا تسبيها فإنها مأمورة ولكن لو شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله عنك، قالت: فعلمني، قال: قولي: اللهم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق

أي احتباسه، (**روى النسائي عن أبي الدرداء أنه أتاه رجل يذكر أن أباه احتبس بوله:**) امتنع من الخروج، (**فأصابه حصاة البول، فعلمه أبو الدرداء رقية سمعها من النبي ﷺ؛**) أنه قال: من اشتكى منكم شيئًا، أو اشتكاه أخ له، فليقل: (**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك:**) تنزه عما لا يليق بعلي كما لك، (**أمرك**) نافذ (**في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض واغفر لنا ذنوبنا:**) الكبائر.

وفي الرواية السابقة: حوبنا (**وخطايانا:**) الصغائر، (**أنت رب المتطببين**) (بموحدتين: جمع متطبب، وهو الطالب للدواء)، (**فأنزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع، فيبرأ بإذن الله، وأمره أن يرقيه بها، فرقاه بها فبرأ، وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث أبي داود،**) أي روايته عن أبي الدرداء مرفوعًا بدون قصة الرجل.

رقية الحمى

(**عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وهي موعوكة،**) أي قام بها الوعك وهو الحمى، (**وهي تسب الحمى، فقال: لا تسبيها، فإنها مأمورة**) من الله تعالى بالقيام بك، فلا ذنب لها، (**ولكن لو شئت علمتك كلمات، إذا قلتهن،**) هكذا في نسخ متعددة صحيحة (بتاء فوقية تليها هاء)، وفي بعض النسخ: قلتيهن بزيادة تحتية بين التاء التي هي الفاعل، والهاء التي هي المفعول، إما للإشباع، أو لغة ردية، ولا يصح أن تكون التاء للتأنيث والياء هي الفاعل، لأن ياء الفاعل لا تكون مع الماضي، (**أذهبها الله عنك، قالت: فعلمني، قال: قولي اللهم**)

من شدة الحريق، يا أم مِلدم، إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس، ولا تنتني الفم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهًا آخر قال فقالتها فذهبت عنها، رواه البيهقي.

وقد جرب ذلك ـ كما رأيته بخط شيخنا ـ ولفظه: اللهم ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق، وأعوذ بك من فورة الحريق، يا أم ملدم، إن كنت آمنت بالله واليوم الآخر، فلا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، ولا تفوري على الفم، وانتقلي إلى من يزعم أن مع الله إلها آخر، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

ويكتب للحمى المثلثة ـ مما ذكره صاحب الهدي ـ على ثلاث ورقات لطاف: بسم الله فرَّت، بسم الله مرَّت. بسم الله قلَّت، ويأخذ كل يوم ورقة

جلدي الرقيق،) أي ارحمه، **(وعظمي الدقيق)** (بالدال)، أي ليس بغليظ **(من شدة الحريق،)** أي لهب الحمى، **(يا أم ملدم)** (بكسر الميم وإسكان اللام، فدال مهملة مفتوحة فميم).

قال في النهاية: كنية الحمى، والميم الأولى زائدة، وألدمت عليه الحمى أي دامت، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة: **(إن كنت آمنت باللّٰه العظيم، فلا تصدعي الرأس، ولا تنتني الفم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، وتحولي عني إلى من اتخذ مع اللّٰه إلهًا آخر،)** فيه جواز الدعاء على المشركين بالأمراض.

(قال) أنس: **(فقالتها،)** أي هذه الكلمات، **(فذهبت عنها، رواه البيهقي؛ وقد جرب ذلك،)** فليس تأثير هذا الدعاء خاصًا بعائشة، **(كما رأيته بخط شيخنا)** بمخالفة قليلة في اللفظ، **(ولفظه: اللهم ارحم عظمي الدقيق)** (بالدال) **(وجلدي الرقيق)** (بالراء، وكل منهما معناه خلاف الغليظ)، **(وأعوذ بك من فورة الحريق، يا أم ملدم إن كنت آمنت باللّٰه واليوم الآخر)** (يوم القيامة) **(فلا تاكلي اللحم، ولا تشربي الدم، ولا تغوزي على الفم، وانتقلي إلى من يزعم أن مع اللّٰه إلهًا آخر،)** لعله يرتدع فيوحد اللّٰه، **(فإني أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا عبده ورسوله)**.

(ويكتب للحمى المثلثة) التي تلازم ثلاثة أيام، ثم تقلع، ثم تأتي كذلك ثلاثًا **(مما ذكره صاحب الهدي)** ابن القيم فيه **(على ثلاث ورقات لطاف،)** أي صغار: **(بسم اللّٰه فرت)** (بالفاء)، أي ذهبت بسرعة، **(بسم اللّٰه مرت،)** أي جازت، بمعنى أنها لا تستقر. **(بسم اللّٰه قلت)** (بالقاف)، أي عدمت، لأن القلة قد تنتهي إلى العدم، **(ويأخذ كل يوم ورقة، ويجعلها في فمه،**

ويجعلها في فمه ويبلعها بماء.

وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرءان وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه.

قال ابن الحجاج في «المدخل»: وقد كان الشيخ أبو محمد المرجاني لا تزال الأوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية، فمن كان به ألم أخذ ورقة منها فاستعملها فيبرأ بإذن الله تعالى، وكان المكتوب فيها: أزلي لم يزل، ولا يزال، يزيل الزوال، وهو لا يزال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿**وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ [الإسراء/ ٨٢].

وقال المروزي: بلغ أبا عبد الله أني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم، بسم الله وبالله ومحمد رسول الله، يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين، اللهم رب جبريل

ويبلعها بماء،) بحيث يزيل الماء صورة الحروف حتى لا يلاقي النجاسة في الباطن، قاله شيخنا بناءً على مذهبه؛ أن الباطل نجس معفوّ عنه، أما على مذهبنا أنه طاهر ولا يحكم له بالنجاسة حتى يخرج، فلا يحتاج إلى إزالة الماء صورة الحروف، **(وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن، وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه،)** أي القرآن.

(قال ابن الحجاج في المدخل: وقد كان الشيخ أبو محمد المرجاني لا تزال الأوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية،) أي زاوية الشيخ، **(فمن كان به ألم أخذ ورقة منها فاستعملها، فيبرأ بإذن الله تعالى، وكان المكتوب فيها أزلي)**.

قال صاحب مختار الصحاح: الأزل القدم، يقال: أزلي ذكر بعض أهل العلم؛ أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا بالاختصار، فقالوا: يزلي، ثم أبدلت الياء ألفًا، لأنها أخف، **(لم يزل ولا يزال يزيل الزوال،)** أي الإعراض، **(وهو لا يزال)** باق، **(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)**.

زاد في نسخة: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾، **(وقال المروزي)** أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم ثقة حافظ: **(بلغ أبا عبد الله)** أحمد بن حنبل **(إني حممت، فكتب لي من الحمى،)** أي من أجلها **(رقعة فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم، بسم الله وبالله ومحمد رسول الله، يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأرادوا به كيدًا،)** وهو الحرق، **(فجعلناهم الأخسرين)** في مرادهم، ومناسبتها للحمى أنها من فيح جهنم، كما في

وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك أي كبريائك إله الحق آمين.

ومما جرب للخراج، ونقله صاحب زاد المعاد، أن يكتب عليه ﴿**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا**﴾ [طه/١٠٥، ١٠٦، ١٠٧].

ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض، أو شيء نظيف، حديث ابن عباس: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، وكأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**﴾ [الأحقاف/٣٥].

الحديث (**اللهم رب جبريل وميكئيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوّتك وجبروتك، أي كبريائك إله الحق**) منادى بحذف الأداة (**آمين،**) ختم بها الدعاء رجاءً للإجابة.

(**ومما جرب للخراج**) بضم الخاء المعجمة وخفة الراء فألف فجيم، قال في المصباح: كغراب بثر الواحدة خراجة، (**ونقله صاحب زاد المعاد**) ابن القيم فيه: (**أن يكتب عليه ﴿ويسألونك عن الجبال﴾**) كيف تكون يوم القيامة، (**﴿فقل﴾**) لهم: (**﴿ينسفها ربي نسفا﴾**،) بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح (**﴿فيذرها قاعا﴾**) منبسطًا (**﴿صفصفا﴾**) مستويا (**﴿لا ترى فيها عوجًا:**) انخفاضا (**﴿ولا أمتا﴾**،) ارتفاعا.

(**ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال**) بالخاء المعجمة نسبة إلى الخل (**عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض**) (بجيم فألف فميم)، قال في المقدمة: إناء معروف من فضة أو غيرها، وهو مستدير ٧ قعر له غالبًا. انتهى.

ومعلوم أن أحمد لا يكتب في إناء فضة، (**أو شيء نظيف**) إن لم يكن جامًا أبيض.

(**حديث ابن عباس:**) كلمات الفرج (**لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين،**) مر شرحه قريبًا، ويزيد على كتابة هذا الحديث كتابة قوله تعالى: (**﴿كأنهم يوم يرونها﴾**،) أي الساعة (**﴿لم يلبثوا﴾**) في قبورهم (**﴿إلا عشية أو ضحاها﴾**) إلا عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما طرفا النهار وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة، (**﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾**) من

قال الخلال: أخبرنا أبو بكر أن أبا عبد الله جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال: قل له يجيء بجام واسع وزعفران. قال المروزي: ورأيته يكتب لغير واحد.

وفي «المدخل»: يكتب في آنية جديدة: اخرج أيها الولد من بطن ضيق إلى سعة هذه الدنيا، اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين إلى قدر معلوم، ﴿**لو أنزلنا هذا القرءان على جبل**﴾ [الحشر/٢١]، إلى آخر السورة، ﴿**وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ [الإسراء/٨٢] وتشربه النفساء، ويرش منه على وجهها. قال الشيخ المرجاني: أخذته عن بعض السادة، فما كتبته لأحد إلا نجح في وقته. انتهى.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مر عيسى عليه والسلام على امرأة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت: يا كلمة الله ادع الله لي أن يخلصني مما أنا فيه

العذاب في الآخرة لطوله، (﴿**لم يلبثوا**﴾) في الدنيا في ظنهم (﴿**إلا ساعة من نهار**﴾) وكتابة هذا كله في الجام واضح ان كان كبيرًا يسع ذلك، وإلا كتب عليه وعلى جوانبه.

(**قال الخلال**) الحسن بن علي بن محمد أبو علي، ثقة حافظ، نزيل مكة، وبها مات: (**أخبرنا أبو بكر**) أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم الثقة الحافظ: (**أن أبا عبد الله**) أحمد بن حنبل، (**جاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله تكتب:**) خبر بمعنى الطلب أو نقدر الهمزة، أي تكتب (**لامرأة قد عسر عليها ولدها،**) أي خروجه.

وفي نسخة: الولادة (**منذ يومين، فقال قل له يجيء بجام:**) إناء أبيض، أو نظيف (**واسع وزعفران، قال المروزي: ورأيته يكتب لغير واحد، وفي المدخل**) لابن الحاج: (**يكتب في آنية جديدة أخرج أيها الولد من بطن ضيق**) بالتذكير، لأن البطن مذكر (**إلى سعة هذه الدنيا، أخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين إلى قدر معلوم ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ إلى آخر السورة ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**،) ويمحى بالماء (**وتشربه النفساء،**) أي التي تعسرت عليها الولادة، سماها نفساء تفاؤلا؛ بأن الولد يخرج فتصير نفساء، (**ويرش منه على وجهها**).

(**قال الشيخ المرجاني: أخذته عن بعض السادة، فما كتبته لأحد إلا نجح،**) أي ولد (**في وقته انتهى**).

(**وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مر عيسى عليه السلام على امرأة، وقد اعترض ولدها في بطنها، فقالت يا كلمة الله،**) أي يا من هو مكوّن بكلمة الله وأمره الذي هو، كن بلا

فقال عيسى: يا خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس خلصها، قال: فرمت بولدها قال: فإذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها.

ومما يكتب أيضًا لذلك، ويكون في إناء نظيف: **﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت، وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾** [الأنشقاق/ ١، ٢، ٣، ٤]، وتشرب الحامل منه وترش على بطنها فتضع سريعًا.

ومما يكتب للرعاف على جبهة المرعوف **﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيض الماء وقضي الأمر﴾** [هود/ ٤٤]، ولا يجوز كتبها بدم الراعف كما يفعله بعض الجهال، فإن الدم نجس فلا يجوز أن يكتب به كلام الله.

ومما يكتب لعرق النسى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللهم رب كل شيء، ومليك كل شيء، وخالق كل شيء، أنت خلقتني وخلقت عرق النسى فيَّ فلا

واسطة أب ولا نطفة، (**ادع الله لي أن يخلصني مما أنا فيه، فقال عيسى: يا خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس خلصها، قال: فرمت بولدها،**) أي ولدته، (**قال: فإذا عسر على المرأة ولدها،**) أي خروجه، (**فاكتبه لها، ومما يكتب أيضًا لذلك ويكون في إناء نظيف ﴿إذا السماء انشقت وأذنت:**) سمعت وأطاعت في الانشقاق (**لربها وحقت،**) أي حق لها أن تسمع وتطيع، (**﴿وإذا الأرض مدت﴾**) زيد في سعتها كما يمد الاديم، ولم يبق فيها بناء ولا جبل، (**وألقت ما فيها**) من الموتى على ظهرها، (**وتخلت**) عنه، (**وتشرب الحامل منه وترش على بطنها، فتضع سريعًا**) بإذن الله.

(**ومما يكتب للرعاف**) خروج الدم من الأنف، ويقال: هو الدم الخارج نفسه (**على جبهة المرعوف، ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾**) الذي نبع منك، فشربته دون ما نزل من السماء، فصار أنهارًا وبحارًا، (**﴿ويا سماء أقلعي﴾**) أمسكي عن المطر، فأمسكت (**﴿وغيض﴾**) نقص (**﴿الماء وقضي الأمر﴾**) أي تم أمر هلاك قوم نوح، (**ولا يجوز كتبها بدم الراعف، كما يفعله بعض الجهال فإن الدم نجس، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله**) عزَّ وجل.

(**ومما يكتب لعرق النسى**) بزنة حصى عرق في الفخذ، والتثنية نسيان، كما في المصباح: (**بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم رب كل شيء، ومليك كل شيء، وخالق كل**

تسلطه عليَّ بأذى، ولا تسلطني عليه بقطع، واشفني شفاء لا يغادر سقمًا، لا شافي إلا أنت.

وأما حفيظة رمضان لا آلاء إلا آلاؤك يا الله، أنت سميع عليم محيط به علمك كعسلهون، ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ [الاسراء/١٠٥] إلى آخرها..

قال شيخنا: اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان أنها حفيظة رمضان، تحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات، وتكتب آخر جمعة منه، وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر، وبعضهم بعد صلاة العصر.

وهذه بدعة لا أصل لها، وإن وقعت في كلام غير واحد من الأكابر، بل أشعر كلام بعضهم بورودها في حديث ضعيف، وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدًا، حتى وهو قائم على المنبر في أثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى.

شيء، أنت خلقتني وخلقت عرق النسى فيَّ، فلا تسلطه عليَّ بأذى، ولا تسلطني عليه بقطع، واشفني شفاء لا يغادر،) أي لا يترك (سقمًا، لا شافي إلا أنت،) فلا يكون إلا بمشيئتك.

(وأما حفيظة رمضان) أي الألفاظ التي تكتب فيه للحفظ، فهي: (لا آلاء إلا آلاؤك) (بالمد فيها) أي: لا نعم إلا نعمك، (يا الله أنت،) وفي نسخة: إنك (سميع عليم محيط به علمك، كعسلهون) (بكاف فعين مهملة مفتوحتين، فسين مهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فهاء فواو فنون)، (﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾،) وقوله (إلى آخرها) لم يقع في كلام شيخه.

(قال شيخنا) السخاوي في المقاصد: هذه ألفاظ (اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب، وجملة بلدان إنها حفيظة رمضان) أضيفت إليه لوقوع كتبها فيه، (تحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات، وتكتب آخر جمعة منه، وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر، وبعضهم بعد صلاة العصر، وهذه بدعة لا أصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الأكابر، بل أشعر كلام بعضهم بورودها في حديث ضعيف. وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدًا حتى وهو قائم على المنبر في أثناء خطبته حين يرى من يكتبها،) ليرجع عن هذه البدعة. (انتهى) كلام شيخه.

وفي التحفة: جزم أئمتنا وغيرهم بحرمة كتابة وقراءة الكلمات الأعجمية التي لا يعرف معناها، وقول بعض: كعسلهون: حية محيطة بالعرش رأسها على ذنبها لا يعوّل عليه، لأن مثل

[ذكر ما يقي من كل بلاء]

عن أبان بن عثمٰن عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي. قال: فأصاب أبان بن عثمٰن الفالج، فجعل الذي يسمع منه الحديث ينظر إليه، فقال لمُلك تنظر إليَّ فوالله ما كذبت على عثمٰن ولا كذب عثمٰن على رسول الله ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما

ذلك لا مدخل للرأي فيه، فلا يقبل فيه إلا ما ثبت عن معصوم على انها بهذا المعنى لا تلائم ما قبلها في الحفيظة، وهو لا آلاء إلا آلاؤك يا اللّٰه، كعسلهون، بل هذا اللفظ في غاية الايهام، ومن ثم قيل إنها اسم صنم أدخلها ملحد على جهلة العوام، وكأن بعضهم أراد دفع ذلك الايهام، فزاد بعد الجلالة محيط به علمك، كعسلهون، أي كإحاطة تلك الحية بالعرش، وهو غفلة عما تقرر أن هذا لا يقبل إلا ما صح فيه عن معصوم، وأقبح من ذلك ما اعتيد في بعض البلاد من صلاة الخمس في هذه الجمعة عقب صلاتها، زاعمين إنها تكفر صلوات العام، أو العمر المتروكة، وذلك حرام لوجوه لا تخفى. انتهى.

ذكر ما يقي، (أي يحفظ قائله) **من كل بلاء**

فلا يصل إليه بلاء، وهذه غير قوله سابقًا رقية تنفع لكل شكوى، لأن تلك تزيل ما حل به من المرض؛ (**عن أبان بن عثمٰن**) بن عفان الأموي، المدني، الثقة، مات سنة خمس ومائة، (**عن أبيه**) ذي النورين، (**قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: من قال بسم اللّٰه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسي،**) أي حين يدخل وقت المغرب، (**لم تصبه فجاءة**) (بضم الفاء والمد)، وفي لغة بزنة تمرة، أي بغتة (**بلاء حتى يصبح:**) يدخل وقت الصبح، (**ومن قالها**) ثلاث مرات (**حين يصبح:**) يدخل وقت الصبح، (**لم تصبه فجاءة بلاء حتى يمسي،**) فينبغي المحافظة عليها مساءً وصباحًا.

(**قال: فأصاب أبان بن عثمٰن الفالج:**) (بالفاء والجيم) مرض يحدث في أحد شقي البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته، وربما كان في الشقين، ويحدث بغتة، (**فجعل الذي يسمع منه الحديث ينظر إليه**) نظر تعجب، كأنه يقول لم جاءك هذا العارض، (**فقال**) أبان: (**لملك تنظر إلي، فواللّٰه ما كذبت على عثمٰن**) يعني أباه، (**ولا كذب عثمٰن على رسول اللّٰه ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني،**) يعني الفالج (**غضبت**) (بغين فضاد معجمتين فموحدة)،

أصابني غضبت فنسيت أن أقولها. رواه أبو داود، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعنده: فكان أبان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه فقال له أبان: ما تنظر إلي، أما إن الحديث كما حدثتك ولكن لم أقله يومئذ ليمضي الله قدره.

[ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء]

وذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي الإفريقي، في كتابه «أخبار أفريقية» عن أنس بن مٰلك مرفوعًا: من قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات برىء من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا، منها الجنون والجذام والبرص والريح.

ويشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه الصلاة

(**فنسيت**) بسبب الغضب (أن أقولها).

وفي نسخة: عصيت (بمهملتين وتحتية من العصيان)، أي فعلت ما كان سببًا للنسيان، وهو المعصية، وسماه معصية وإن لم يكن كذلك على عادتهم من عدم التقصير ما أمكن، فيعدون نحو خلاف الأولى عصيانًا.

(**رواه أبو داود، ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وعنده،**) أي الترمذي: (**فكان أبان قد أصابه طرف فالج،**) أي بعضه، (**فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر إلى أما**) (بالفتح وخفة الميم)، (**إن الحديث كما حدثتك، ولكن لم أقله يومئذ،**) أي يوم أصابه (**ليمضي**) أي لينفذ (**الله قدره**) السابق في علمه.

ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء

(ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي، **الأفريقي**) بفتح الهمزة نسبة إلى أفريقية، من كبار بلاد المغرب، كذا في اللب وفي المراصد إفريقية: (بالكسر اسم لبلاد واسعة ومملكة يسيرة) (**في كتابه أخبار أفريقية، عن أنس بن مٰلك مرفوعًا: «من قال بسم الله الرحمٰن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات برىء»،**) أي عوفي (**من ذنوبه**) بمحوها عنه (**كيوم ولدته أمه،**) فيصير بلا ذنب، (**وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا، منها: الجنون والجذام والبرص والريح،**) أي ما يصيبه من الأرواح الخبيثة، (**ويشهد له،**) أي يقويه ويدل على أن له أصلاً.

(**ما رواه الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من قول لا حول**

والسلام أكثروا من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» فإنها من كنز الجنة.

قال مكحول: فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه، كشف الله عنه سبعين بابًا من الضر أدناها الفقر.

وروى الطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: من قال لا حول ولا قول إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم.

ومن ذلك في الأمان من الفقر:

عن أبي موسى قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: من قال لا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها من كنز الجنة»،) أي ثوابها نفيس مدخر في الجنة، كما يدخر الكنز ويحفظ في الدنيا، فإن الأكمل إنما طريقه التشبيه، شبه نفس ثواب مدخر في الجنة بنفس: مال مدخر تحت الأرض في أن كل واحد منهما معد للانتفاع به بأبلغ انتفاع.

(قال مكحول) الشامي أبو عبد الله، ثقة، فقيه، كثير الإرسال، مات سنة بضع عشرة ومائة؛ **(فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ)** (بفتح الميم والجيم)، أي لا متحصن **(من الله إلا إليه، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر، أدناها الفقر)**.

وفي نسخة: أدناهن، والأولى أولى، لأن جمع الكثرة فيما لا يعقل إفراد الضمير الراجع إليه أولى من جمعه.

قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، إذ مكحول لم يسمع من أبي هريرة.

قال المنذري: ورواه النسائي والبزار مطولاً ورفعًا، ولا منجأ من الله إلا إليه، ورواتهما ثقات محتج بهم، ورواه الحاكم، وقال: صحيح ولا علة له، وفي رواية له، وصححها أيضًا قال: يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟، قلت: بلى يا رسول الله، قال: تقول لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

(وروى الطبراني) في الأوسط، والحاكم **(عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء)** مائة إلا واحدة، **(أيسرها الهم)**.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقب بأن فيه بشر بن رافع ضعيف، **(ومن ذلك في الأمان من الفقر عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري، **(قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقراً أبدًا، رواه ابن أبي الدنيا)**

ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدًا. رواه ابن أبي الدنيا.

وروى الطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ومن أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب يرفعه: من قال كل يوم وليلة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، مائة مرة كان له أمانًا من الفقر، وأنسًا من وحشة القبر، واستفتح به باب الغنى، واستقرع به باب الجنة. قال بعض رواته: لو رحلتم في هذا الحديث إلى الصين ما كان كثيرًا. ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي.

[ذكر دواء داء الطعام]

روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود: من قال حين يوضع الطعام: بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء، لا يضر مع اسمه داءًا،

عبد الله بن محمد الحافظ.

(وروى الطبراني) في الأوسط **(عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:)** من ألبسه الله نعمة، فليكثر من الحمد لله، ومن كثرت ذنوبه فليستغفر الله، **(ومن أبطأ عليه رزقه)** أي تأخر عليه مجيئه، **(فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله)** فإن رزقه يأتيه بسهولة من حيث لا يعلم، وترك المصنف أول الحديث اقتصارًا على مراده منه.

(وعن جعفر) الصادق **(بن محمد)** الباقر، **(عن أبيه)** محمد بن علي، **(عن جده)** زين العابدين علي بن الحسين **(عن علي بن أبي طالب، يرفعه: من قال كل يوم و)** كل **(ليلة لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة، كان له)** ذلك **(أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر، واستفتح به باب الغنى)** (بكسر المعجمة) ضد الفقر، أي طلب فتحه **(واستقرع به باب الجنة،)** أي توسل إلى قرع بابها ليفتح له.

(قال بعض رواته: لو رحلتم في هذا الحديث إلى الصين،) مملكة بالمشرق بعيدة، منها الأواني الصينية **(ما كان كثيرًا، ذكره عبد الحق)** بن عبد الرحمن بن عبد الله الأشبيلي، الحافظ، الفقيه، المالكي، الزاهد، الورع، صاحب التصانيف العديدة، مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة **(في كتاب الطب النبوي،)** وأخرجه أبو نعيم والديلمي والخطيب في رواة مالك.

ذكر دواء داء الطعام

(روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود: من قال حين يوضع الطعام) قبل أن

جعل فيه رحمة وشفاء. لم يضره ما كان.

[ذكر داء أم الصبيان]

عن علي قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان. رواه ابن السني، وذكره عبد الحق في «الطب النبوي».

وأم الصبيان: هي الريح التي تعرض لهم، فربما يخشى عليهم منها.

وسر التأذين ـ كما قاله صاحب تحفة الودود في أحكام المولود ـ أن يكون أول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حين يولد

يأكل منه (**بسم الله خير الأسماء،**) الكائنة (**في الأرض وفي السماء لا يضر مع اسمه داءًا، جعل فيه رحمة وشفاء، لم يضره**) ذلك الطعام (**ما كان**) ولو كان شأنه أن فيه ضررًا ببركة اسم الله.

ذكر داء أم الصبيان

(**عن علي قال: قال رسول الله ﷺ من ولد له مولود**) ذكر أو أنثى، (**فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان، رواه ابن السني، وذكره عبد الحق في الطب النبوي،**) وإسناده ضعيف، (**وأم الصبيان هي الريح التي تعرض لهم، فربما يخشى عليهم منها**).

قال بعضهم: كذا قيل، وأولى منه قول الحافظ ابن حجر: أم الصبيان هي التابعة من الجن، (**وسر،**) أي حكمة (**التأذين، كما قاله صاحب تحفة الودود،**) أي ذي الود وفي نسخة: المودود (بميم قبل الواو)، لمناسبة قوله (**في أحكام المولود،**) وهو العلامة ابن القيم: (**أن يكون أول ما يقرع سمع المولود كلماته،**) أي المذكور من الأذان والإقامة، (**المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك** كالتلقين، **له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو: كان يرصده حين**

فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه.

النوع الثاني
في طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية
[ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة]

اعلم أن الصداع ألم في بعض أجزاء الرأس أو كله، فما كان منه أحد جانبي الرأس لازمًا سمي شقيقة ـ بوزن عظيمة ـ وسببه أبخرة مرتفعة إلى الدماغ، أو أخلاط حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ، فإن لم تجد منفذًا أحدثت الصداع، وإن مال إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة، وإن ملك كل الرأس أحدث داء البيضة تشبيهًا ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كله.

يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه) بالمولود، فيقل ضرره.

(النوع الثاني)

(في طبه ﷺ بالأدوية الطبيعية)

أي الموافقة للطبيعة، سواء عالج بها نفسه أو غيره، وأل في النوع عهدية، والمعهود ما عبر عنه سابقًا بالأدوية الطبيعية فذكر هنا إيضاحًا.

ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة

بمعجمة وقافين عطف خاص على عام، كما يفيده قوله: **(اعلم أن الصداع ألم في بعض أجزاء الرأس أو كله، فما كان منه في أحد جانبي الرأس لازمًا)** زاد في الفتح: أو في مقدمه، **(سمي شقيقة بوزن عظيمة)** أي كما يسمى صداعًا، ومفهومه: أن غير الملازم لا يسمى شقيقة، لكن الحافظ لم يقيده بلازمًا، **(وسببه أبخرة مرتفعة إلى الدماغ)** من المعدة، **(أو أخلاط حارة أو باردة ترتفع:)** تصعد من المعدة **(إلى الدماغ، فإن لم تجد)** تلك الأبخرة أو الأخلاط **(منفذًا)** تخرج منه، كانسداد مسام الشعر، **(أحدثت الصداع، وإن مال)** البخار، أو المرتفع **(إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة،)** فالمحدث هو الألم، وهو غير المائل، **(وإن ملك كل الرأس أحدث داء البيضة،)** أي الداء المسمى بالبيضة، وهي وجود الألم في جميع الرأس، **(تشبيهًا ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كلها،)** كذا في جميع النسخ مؤنثًا، باعتبار أنه بضعة من الجسد، أو باعتبار الهامة، وإلا فالواجب كله، إذ الرأس مذكر اتفاقًا.

وأسباب الصداع كثيرة: منها ما تقدم، ومنها ما يكون عن ورم في المعدة أو في عروقها، أو ريح غليظة فيها، أو لامتلائها، ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقيء والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام، ومنها ما يحدث من الأعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى، ومنها ما يحدث عن حادث في الرأس كضربة تصيبه أو ورم في صفاق الدماغ، أو حمل شيء ثقيل يضغط الرأس، أو تسخينه بشيء خارج عن الاعتدال، أو تبريده بملاقاة الهواء أو الماء في البرد.

وأما الشقيقة: فهي في شرايين الرأس وحدها، وتختص بالموضع الأضعف

وفي الفتح: وان ملك قمة الرأس، وهو ظاهر في أنها أعلاه، لأن القمة (بكسر القاف) أعلى الرأس، كما في القاموس، ويحتمل أن يراد بها كل الرأس، فيوافق ظاهر المصنف.

(وأسباب الصداع كثيرة، منها ما تقدم، ومنها ما يكون عن ورم في المعدة) نفسها، **(أو في عروقها، أو ريح غليظة فيها، أو لامتلائها)** بكثرة الأكل، **(ومنها ما يكون من الحركة العنيفة** الشديدة، **كالجماع والقيء والاستفراغ)** للجهد في دم واسهال ونحوهما.

وفي الفتح: والاستفراغ الناشيء عن جماع أو حمام أو غيرهما، **(والسهر)** الكثير، **(وكثرة الكلام)** لا سيما العالي، **(ومنها: ما يحدث من الأعراض النفسانية، كالهم والحزن والجوع)** المفرط **(والحمى، ومنها ما يحدث عن حادثٍ في الرأس، كضربة تصيبه، أو ورم في صفاق الدماغ)** (بكسر الصاد المهملة، وزن كتاب)، أي الجلد الأسفل الذي تحت الجلد، الذي عليه شعر الرأس، وهو الذي يعبر عنه الفقهاء بالسمحاق، ولعل إضافته للدماغ مع أن بينه وبين العظم قبل الدماغ، الجلدة التي تسمى خيطة الدماغ، لقربه من الدماغ في الجملة، أو لكونه حافظة في الجملة، **(أو حمل شيء ثقيل يضغط)** (بفتح أوله وسكون الضاد وفتح الغين المعجمتين)، من باب نفع، أي يعصر **(الرأس)** أي كأنه يعصره بحيث يصيره كأن أجزاءه انضم بعضها إلى بعض، لشدة ثقل ذلك الشيء عليه، **(أو تسخينه)** بالخفض عطفًا على ضربة **(بشيء خارج عن الاعتدال)** كلبس ثقيل برأسه، أو دهنه بشيء زائد في التسخين، أو أكل العقاقير المسخنة بقوة، فعدل عن قول الفتح أو تسخينه بلبس شيء خارج عن الاعتدال لافادة التعميم، وأن اللبس كالمثال، **(أو تبريده بملاقاة الهواء أو الماء في البرد)** لا في الحر.

(وأما الشقيقة، فهي) الكائنة **(في شرايين الرأس)** (بشين معجمة مفتوحة فراء فألف فتحتيتين فنون، جمع شريان بفتح المعجمة وكسرها مع سكون الراء)، أي العروق النابضة، أي

من الرأس. وعلاجها بشد العصابة.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة أنه ﷺ كان ربما أخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج.

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في مرض موته وارأساه وأنه خطب وقد عصب رأسه. فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس.

وفي البخاري من حديث ابن عباس: احتجم ﷺ وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به. وقد جاءت مقيدة في بعض طرق ابن عباس نفسه، فعند أبي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم في وسط رأسه. وقد قال الأطباء: إنها نافعة جدًا.

المتحركة (وحدها) دون غيرها، (وتختص بالموضع الأضعف من الرأس، وعلاجها بشد العصابة) (بكسر العين) ما عصب به، كالعصب والعمامة كما في القاموس.

(وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة) بن الحصيب بتصغيرهما (أنه ﷺ كان ربما أخذته الشقيقة، فيمكث اليوم) تارة، (واليومين) أخرى، (لا يخرج) لما فيه من الوجع زيادة في أجره.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي اللّه عنها: ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول اللّه ﷺ؛ (وفي الصحيح) عن عائشة (انه ﷺ قال في مرض موته: وارأساه،) فيه أن ذكر الوجع ليس شكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاك وهو راض، فالمعول في ذلك على القلب، لا على نطق اللسان، وقد بسط المصنف هذا المعنى في المقصد الأخير، (وإنه خطب) في مرض موته، أي وعظ الناس وأوصاهم، (وقد عصب رأسه،) أي شده بعصابة، (فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس،) بتخفيف الوجع.

(وفي البخاري من حديث ابن عباس: «احتجم ﷺ وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به»،) زاد في رواية عند البخاري بماء يقال له: لحى جمل، أي بمنزل فيه ماء يسمى لحى (بفتح اللام وسكون المهملة)، والإفراد، وفي رواية لحيا بالثنية، وجمل (بفتح الجيم والميم) موضع بطريق مكة عند عقبة الجحفة، وأطلق في قوله: في رأسه، (وقد جاءت مقيدة بما في بعض طرق) حديث (ابن عباس نفسه، فعند أبي داود) سليمٰن بن داود بن الجارود (الطيالسي، في مسنده من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم في وسط رأسه،) وكذا جاء في حديث عبد اللّه بن بحينة عند البخاري بهذا اللفظ، فتحمل عليه روايته المطلقة (وقد قال

وورد أنه ﷺ احتجم أيضًا في الأخدعين والكاهل. أخرجه الترمذي وحسنه، وأبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم.

وقد قال الأطباء: الحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف.

وقد ورد في حديث ضعيف جدًا، أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد اللّٰه بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه: الحجامة في الرأس تنفع في سبع، من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين. وعمر متروك، رماه الفلاس وغيره بالكذب.

وروى ابن ماجه في سننه أن النبي ﷺ كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء،

الأطباء: إنها،) أي الحجامة في وسط الرأس (**نافعة جدًا، وورد انه ﷺ احتجم أيضًا في الأخدعين**) (بخاء معجمة ودال وعين مهملتين)، قال أهل اللغة: عرقان في سالفة العنق، كما في الترغيب، وفي المصباح: هما عرقان في موضع الحجامة، (**والكاهل**) ما بين الكتفين، وفي المصباح: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى، وفيه ست فقرات، قال أبو زيد: الكاهل من الإنسان خاصة، ويستعار لغيره وهو ما بين كتفيه، وقال الأصمعي: هو موصل العنق، وفي الكفاية: هو الكتد.

(**أخرجه الترمذي، وحسنه أبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم،**) كلهم عن أنس، ولفظ الترمذي: كان يحتجم في الأخدعين والكاهل، ولفظ أبي داود: أن النبي ﷺ احتجم ثلاثًا في الأخدعين والكاهل.

(**وقد قال الأطباء: الحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف، وقد ورد في حديث ضعيف جدًا أخرجه ابن عدي من طريق عمر**) (بضم العين) (**ابن رياح**) (بكسر الراء وتحتانية)، العبدي، البصري، الضرير، (**عن عبد اللّٰه بن طاوس**) بن كيسان اليماني، ثقة، فاضل، من رجال الجميع، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، (**عن أبيه**) طاووس، يقال: إنه لقب واسمه ذكوان الفارسي، فقيه، ثقة، فاضل، مات سنة ست ومائة، (**عن ابن عباس رفعه: الحجامة في الرأس تنفع من سبع: من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين، وعمر**) بن رياح (**متروك رماه الفلاس**) (بالفاء) الصيرفي اسمه عمرو (بفتح العين) ابن علي الباهلي، البصري، ثقة، حافظ، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، روى له الستة. (**وغيره بالكذب**) في الحديث، فلهذا ترك.

(**وروى ابن ماجه في سننه أن النبي ﷺ كان إذا صدع**) (بشد الدال مبني للمفعول)،

ويقول: إنه نافع بإذن الله من الصداع. وفي صحته نظر.

وهو علاج خاص بما إذا كان الصداع من حرارة ملتهبة، ولم يكن عن مادة يجب استفراغها، وإذا كان كذلك نفع فيه الحناء نفعًا ظاهرًا. قالوا: وإذ دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع، وهذا لا يختص بوجع الرأس بل يعم جميع الأعضاء.

وفي تاريخ البخاري وسنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ ما شكا إليه أحد وجعًا في رأسه إلا قال له احتجم، ولا شكا وجعًا في رجليه إلا قال له اختضب بالحناء.

قال المجد: صدع بالضم تصديعًا، ويجوز في الشعر صدع، كعنى، فهو مصدوع، فقصر التخفيف على الشعر (**غلف**) (بفتح المعجمة واللام مخففة ومثقلة)، أي ضمخ (**رأسه بالحناء**) (بالكسر والمد)، (**ويقول: انه نافع باذن الله من الصداع، وفي صحته نظر**).

(**وهو علاج خاص بما إذا كان الصداع من حرارة ملتهبة،**) أي قوية، (**ولم يكن**) ناشئًا (**عن مادة يجب استفراغها،**) فلا ينجع فيه الا استفراغ هذه المادة، وإذا كان من برد لم ينفع فيه الحناء، بل يزيده لبردها، (**وإذا كان كذلك،**) أي حارًا لم ينشأ عن مادة، (**نفع فيه الحناء نفعًا ظاهرًا،**) لأن المرض يعالج بضده، (**قالوا: وإذا دق وضمدت**) (بخفة الميم وشدها مبني للمجهول، أي شدت (**به الجبهة مع الخل سكن الصداع، وهذا لا يختص بوجع الرأس، بل يعم جميع الأعضاء،**) أي وجعها كلها.

(**وفي تاريخ البخاري وسنن أبي داود**) والترمذي وابن ماجه، كلهم عن سلمى خادم رسول الله ﷺ: (**إن رسول الله ﷺ ما شكا إليه أحد وجعًا في رأسه إلا قال له: احتجم، ولا شكا وجعًا في رجليه إلا قال له اختضب،**) الرواية أخضبهما (**بالحناء**).

قال الترمذي: حديث غريب، إنما نعرف من حديث قائد.

(**وفي الترمذي عن علي بن عبد الله**) بن أبي رافع: كذا وقع مكبرًا، قال الحافظ: والصواب عبيد الله، يعني مصغرًا ابن أبي رافع، مولى النبي ﷺ، (**عن جدته**) سلمى أم رافع زوج أبي رافع، صحابية لها أحاديث، (**وكانت تخدم النبي ﷺ، قالت: ما كان يكون برسول الله ﷺ قرحة:**) (بالقاف) واحدة القروح، التي تخرج في الجسد، (**ولا نكتة**) (بضم النون وسكون الكاف وفوقية) أي، أثر يسير (**إلا أمرني أن أضع عليها الحناء**) (بالمد).

وفي الترمذي عن علي بن عبد الله عن جدته ـ وكانت تخدم النبي ﷺ ـ قالت: ما كان يكون برسول الله ﷺ قرحة ولا نكتة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء.

[ذكر طبه ﷺ للرمد]

وهو مرض حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها، وسببه: انصباب أحد الأخلاط وأبخرة تصعد من المعدة إلى الدماغ، فإن اندفع إلى الخياشيم أحدث الزكام، أو إلى العين أحدث الرمد، أو إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخنان ـ بالخاء المعجمة والنون ـ، أو إلى الصدر أحدث النزلة، أو إلى القلب أحدث الشوصة، وإن لم ينحدر وطلب نفاذًا فلم يجد أحدث الصداع، كما تقدم.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة.

ذكر طبه ﷺ للرمد

لعله لم يقل لداء الرمد، لأنه لا يسمى مرضًا عرفًا، **(وهو مرض حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها)** الظاهر، كما زاده الحافظ **(وسببه انصباب أحد الأخلاط:)** أمزجة الإنسان الأربعة، **(وأبخرة)** الواو بمعنى أو، وفي نسخ: بأو **(تصعد من المعدة إلى الدماغ، فإن اندفع)** الحاصل من الأخلاط أو الأبخرة **(إلى الخياشيم:)** جمع خيشوم: بزنة فيعول أقصى الأنف **(أحدث الزكام)** بضم الزاي، وهو تحلب فضول رطبة من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين، وقد زكم كعنى، كما في القاموس، **(أو)** اندفع **(إلى العين، أحدث الرمد، أو إلى اللهاة)** بفتح اللام: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم، **(والمنخرين أحدث الخنان بالخاء المعجمة والنون، أو إلى الصدر أحدث النزلة)** بفتح النون، وهي كالزكام، **(أو إلى القلب أحدث الشوصة:)** بشين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فصاد مهملة وجع في البطن، أو ريح يتعقب في الأضلاع، أو ورم في حجابها من داخل، واختلاج العروق قاله القاموس، **(وإن لم ينحدر وطلب نفاذًا)** بالذال المعجمة أي خروجًا، **(فلم يجد)** منفذًا **(أحدث الصداع، كما تقدم)** أول الكلام.

(وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة) بفتح المهملتين الراحة، فقوله: **(وترك الحركة)** عطف سبب على مسبب.

وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر فقال: ادن وكل، فأخذت تمرًا فأكلت، فقال: تأكل تمرًا وبك رمد؟ فقلت: يارسول الله، أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله ﷺ.

وقد روي أنه ﷺ حمى إلى عليًا من الرطب لما أصابه الرمد.

وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

والكمأة: نبات لا ورق لها ولا ساق، يوجد في الأرض من غير أن يزرع.

(**وفي سنن ابن ماجه عن صهيب**) بن سنان الرومي، الصحابي الشهير، يقال اسمه عبد الملك، وصهيب لقب، مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، (**قال: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر، فقال: ادن وكل، فأخذت تمرًا، فأكلت، فقال:**) أ (**تأكل**) (فهمزة الاستفهام مقدرة)، ويأتي في النوع الثالث، ذكره بالهمزة (**تمرًا وبك رمد،**) والاستفهام للتوبيخ، ولا ينافي أمره له بالأكل لأنه عنده الخبز، فيصدق بالأكل، منه فقط، أو علم أنه لا يضره أكل التمر، وإنما قصد بالاستفهام المباسطة، (**فقلت: يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى،**) فيه أن رمده كان بإحدى عينيه فقط، (**فتبسم رسول الله ﷺ**) تعجبًا، لأنه إن كان يضره لم يفده المضغ من ناحية العين التي لا رمد بها.

(**وقد روي أنه ﷺ حمى إلى عليًا من الرطب لما أصابه الرمد،**) لأنه حار كالرمد فيقوي ضرره.

(**وفي البخاري**) ومسلم والترمذي، (**من حديث سعيد بن زيد**) بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة، (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الكمأة**) (بفتح الكاف وسكون الميم وهمزة مفتوحة)، وفي العامة من لا يهمزه واحدة الكمء (بفتح فسكون فهمز) مثل تمرة وتمر، وعكس ابن الأعرابي، فقال: الكمأة الجمع، والكمء الواحد على غير قياس، قال: ولم يقع في كلامهم نظير هذا سوى جبأة وجب، وقيل: الكمأة قد تطلق على الواحد وعلى الجمع، وقد جمعوها على أكمؤ، قال الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والعساقل (بمهملتين وقاف ولام) السراب، وكأنه أشار إلى أن محمل وجدان إلا كمؤ الفلوات (**من المن**) (بفتح الميم وشد النون)، زاد في رواية أبي نعيم من حديث أبي سعيد: والمن من الجنة، (**وماؤها شفاء للعين،**) أي لدائها، كذا لأكثر رواة البخاري، وكذا عند مسلم، وللمستملي: من العين، أي من داء العين، (**والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق، يوجد في**)

وروى الطبراني من طريق بن المنكدر عن جابر قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا: هو جدري الأرض، فبلغه ذلك فقال: إن الكمأة ليست جدري الأرض، ألا إن الكمأة من المن.

الأرض من غير أن يزرع).

زاد الحافظ: قيل: سميت بذلك لاستتارها، يقال: كمأ الشهادة إذا كتمها، ومادة الكمأة من جوهر أرض بخارى، يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء، وينميه مطر الربيع، فيتولد ويندفع متجسدًا، ولذا كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بالجدري مادة وصورة، لأن مادته رطوبة تندفع غالبًا عند الترعرع، وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة ومشابهتها له في الصورة ظاهرة.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: الكمأة جدري الأرض، فقال ﷺ: «الكمأة من المن» الحديث...

(وروى الطبراني من طريق) محمد **(بن المنكدر عن جابر، قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ، فامتنع قوم من أكلها، وقالوا: هو جدري الأرض،)** لمشابهته للجدري مادة وصورة، **(فبلغه)** ﷺ **(ذلك، فقال: إن الكمأة ليست جدري الأرض، ألا)** (بالفتح والتخفيف) **(إن الكمأة من المن).**

قال الحافظ: هذا الحديث والذي قبله، يعني حديث أبي هريرة، كل منهما صريح في أنه سبب لقوله: الكمأة من المن الحديث...، والعرب تسمي الكمأة أيضًا نبات الرعد، لأنها تكثر بكثرته، ثم تنفطر عنها الأرض، وهي كثيرة بأرض العرب، وتوجد بالشام ومصر، وأجودها ما كانت أرضه رملة قليلة الماء، ومنها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة، وهي باردة رطبة في الثالثة، رديئة للمعدة بطيئة الهضم.

زاد بعضهم: أكلها يورث القولنج والسكتة والفالج وعسر البول، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس، وإذا دفنت في الطين الرطب، ثم صلقت بالماء والملح والصعتر وأكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها، ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها، فلذا كان ماؤها شفاء للعين.

وقال ابن البيطار: الغذاء المتولد منه غليظ وليس برديء، الكيموس وينفع المعدة الحارة، لأنه بارد رطب وماؤه يجلو البصر، وإذا ربي به الاثمد نفع جدًا ودفع نزول الماء.

وقال ابن خالويه: يعصر ماؤه ويخلط به أدوية، فيكتحل به، وقال ابن العربي: الصحيح أنه ينفع من وجع العين مفردًا ومركبًا، وقال غيره: إن كان عن حرارة نفع مفردًا، وإلا مركبًا.

واختلف في قوله: «من المن»، فقيل: من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل، وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوًا، ومنه الترنجبيل فكأنه يشبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج.

وقال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غر تكلف ببذر ولا سقي، وإنما

(**واختلف في قوله: من المن**) أي في المراد به على ثلاثة أقوال، (**فقيل: من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل**) لأن في رواية لمسلم: من المن الذي أنزل على بني إسرائيل (**وهو الطل الذي يسقط على الشجر**) أي شجر البلوط.

قال المصنف: المن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر وينعقد عسلاً، ويجف جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجبيل، والمعروف بالمن ما وقع على شجر البلوط، معتدل، نافع للسعال الرطب والصدر والرئة، (**فيجمع ويؤكل حلوًا، ومنه الترنجبيل، فكأنه يشبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج**).

قال الحافظ عقب هذا: والقول الثاني: إن المعنى أنها من المن الذي امتن الله تعالى به على عباده عفوًا بغير علاج، قاله أبو عبيد وجماعة.

(**وقال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر**) وهذا ينبت في الأرض، (**وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي**) فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فيقع على الشجر فيتناولونه، ثم أشار، يعني الخطابي إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا منها ما يسقط على الشجر، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه؛ وهذا هو القول الثالث، وبه جزم الموفق عبد اللطيف البغدادي ومن تبعه، فقالوا: المن الذي أنزل على بني إسرائيل ليس هو ما يسقط على الشجر فقط، بل كان أنواعًا من الله عليهم بها، من النبات الذي يوجد عفوًا، ومن الطير الذي يسقط عليهم من غير اصطياد، ومن الطل الذي يسقط على الشجر، والمن مصدر بمعنى المفعول، أي ممنون به، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب، كان منا محضًا، وإن كانت جميع نعم الله على عبيده منا منه عليهم، لكن خص هذا باسم المن، لكونه لا صنع لأحد فيه، فجعل سبحانه وتعالى قوتهم في التيه الكمأة، وهي تقوم مقام الخبز، وأدمهم السلوى، وهي تقوم مقام اللحم، وحلواهم الطل الذي ينزل على الشجر، فكمل بذلك عيشهم، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: من

اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لأنها من الحلال المحض، الذي ليس في اكتسابه شبهة، ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر.

وقال ابن الجوزي: في المراد بكونها شفاء للعين قولان: أحدهما: أنه ماؤها حقيقة إلا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنها لا تستعمل صرفًا في العين، لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رأيين: أحدهما أن يخلط في الأدوية التي يكتحل بها، حكاه أبو عبيد، ثانيهما: أن تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر، فيكتحل بمائها، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة وتبقى النافع منه، ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع.

وقال آخر: تجعل الكمأة في قدر جديدة ويصب الماء عليها، ولا يطرح

المن، فأشار إلى أنها فرد من أفراده، فالترنجبيل كذلك فرد من أفراد المن، وإن غلب استعمال المن عليه عرفًا، ذكره الحافظ، ثم قال قوله: وماؤها شفاء للعين.

قال الخطابي: (**وإنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة، لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة، ويستنبط منه أن استعمال الحلال يجلو البصر**) والعكس بالعكس كما في كلام الخطابي عند الحافظ، زاد بعضهم: ويحلو البصيرة أيضًا.

(**وقال ابن الجوزي: في المراد بكونها شفاء للعين قولان: أحدهما: أنه ماؤها حقيقة، إلا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنها لا تستعمل صرفًا في العين، لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رأيين، أحدهما أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها،**) كالاثمد والتوتيا، (**حكاه أبو عبيد**).

قال الحافظ: ويصدق على هذا القول، أن بعض الأطباء قالوا: أكل الكمأة يجلو البصر، (**ثانيهما: أن تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها، ثم يؤخذ الميل**) (بكسر الميم) المرود، (**فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر، فيكتحل بمائها، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة وتبقي النافع منه، ولا يجعل الميل في مائها، وهي باردة يابسة، فلا ينجع**).

زاد الحافظ، وحكى إبراهيم الحربي، عن صالح وعبد الله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكيت أعينهما، فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بمائها، فهاجت أعينهما ورمدا.

قال ابن الجوزي، وحكى شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة، فاكتحل بها، فذهبت عينه.

(**وقال آخر: تجعل الكمأة في قدر جديدة ويصب الماء عليها، ولا يطرح فيها ملح،**

فيها ملح، ثم يؤخذ غطاء جديد نقي فيجعل على القدر، فما جرى على الغطاء من بخار الكمأة فذلك الماء الذي يكتحل به.

وقال ابن واقد: إن ماء الكمأة إذا عصر وربي به الإثمد كان من أصلح الأشياء للعين إذا اكتحل به وحده يقوي أجفانها، ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة، ويدفع عنها نزول النوازل. وقال أيضًا: إذا اكتحل بماء الكمأة بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصرة كثيرة.

ثم يؤخذ غطاء جديد نقي) (بنون فقاف) (من) الدنس، (**فيجعل على القدر، فما جرى،**) أي سال (**على الغطاء من بخار الكمأة، فذلك الماء الذي يكتحل به**).

(**وقال ابن واقد: إن ماء الكمأة إذا عصر وربي به الأثمد كان من أصلح الأشياء للعين، إذا اكتحل به وحده يقوي أجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة، ويدفع عنها نزول النوازل،**) ووصف الروح بالباصر بناءً على أن القوى التي في البدن تسمى أرواحًا، فيقال: الروح الباصر والروح السامع والروح الشام، كما قاله ابن القيم.

(**وقال**) ابن واقد: (**أيضًا إذا اكتحل بماء الكمأة بميل من ذهب، تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصر كثيرة،**) ولم يذكر المصنف القول الثاني، وهو: أن المراد ماؤها الذي تنبت به، فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربى به الأكحال، حكاه ابن الجوزي، عن أبي بكر بن عبد الباقي: فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء، كأنه يقول ابن القيم: هذا أضعف الوجوه.

قال الحافظ: وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفًا نظر، فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلاً، وهو: إن كان لتبريد ما بالعين من الحرارة، فماؤها مجردًا شفاء، وإلا فتستعمل مركبة، وبهذا جزم ابن العربي، فقال الصحيح: إنه ينفع بصورته في حال، وبإضافته في أخرى، وقد جرب ذلك فوجد صحيحًا.

نعم، جزا الخطابي بمال ابن الجوزي، فقال: تربى بالتوتيا وغيرها من الأكحال، ولا تستعمل صرفًا، لأنه يؤذي العين، وقال النووي: الصحيح، بل الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقًا، فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه، قال: وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان أعمى، فذهب بصره حقيقة، فكحل عينيه بماء الكمأة مجردًا، فشفي وعاد إليه بصره، وهو الشيخ العدل الأمين، الكمال بن عبد الدمشقي، صاحب صلاح، ورواية في الحديث، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به، فنفعه الله به، قلت: الكمال المذكور هو كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر، يعرف بابن عبد بغير إضافة الحرثي، الدمشقي، من أصحاب أبي طلفر الخشوعي، سمع منه جماعة من شيوخ شيوخنا، عاش ثلاثًا وثمانين سنة، ومات سنة

وقال ابن القيم: اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين، منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما، قال: والذي يزيل الإشكالات عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها خلقت في الأصل سليمة من المضار، عرض لها الآفات بأمور أخرى، من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها اللّه تعالى، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من اللّه، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة، واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله، ويدفع اللّه عنه الضرر لنيته والعكس بالعكس واللّه أعلم.

اثنتين وسبعين وستمائة قبل النووي بأربع سنين، وينبغي تقييد ذلك بمن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به، كما يشير إليه آخر كلامه، وهو ينافي قوله أولاً مطلقًا.

وقد أخرج الترمذي في جامعه بسند صحيح إلى قتادة، قال: حدثت أن أبا هريرة قال: أخذت ثلاثة أكمؤ، أو خمسًا، أو سبعًا فعصرتهن، فجعلت ماءهن في قارورة، فكحلت بها جارية لي، فبرئت. انتهى.

(**وقال ابن القيم: اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين، منهم المسيحي**) (بفتح الميم وكسر المهملة وسكون التحتية)، كما يفيده كلام التبصر (**وابن سيناء وغيرهما، قال: والذي يزيل الإشكالات عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها خلقت في الأصل سليمة من المضار، ثم عرض لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج، وغير ذلك من الأسباب التي أراد اللّه تعالى، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها؛ بأنها من اللّه، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة، بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع اللّه عنه الضرر لنيته، والعكس بالعكس، واللّه أعلم**) بالنيات، وهذا الحديث جاء عن جمع صحابة أبو سعد الخدري، وجابر عن أحمد، والنسائي وابن ماجه وابن عباس وعائشة عند أبي نعيم في الطب النبوي، ورواه ابن السني عن صهيب، رفعه: «عليكم بماء الكمأة الرطبة، فإنها من المن، وماؤها شفاء للعين».

قال عبد الملك بن عمير: فحدثت بهذا الحديث شهر بن حوشب، فلقيني بعد، فقال: الحديث الذي حدثتني به، لقد أخذ ابنًا لي من هذا الجذري، فشرب عيناه ما شاء اللّه منه حتى ذهبت عيناه، فأخذت الكمأة، فقطرت في عينيه قطرة قطرة، وعرفت أن اللّه عز وجل وتر يحب الوتر، حتى إذا كان الغد قطرت فيه ثلاثًا ثلاثًا، حتى إذا كان الغد قطرت فيه خمسًا خمسًا، حتى بلغت أحد عشر، فكأن ليس بعينيه نكبة.

وقال المستغفري: قال علي بن الجهم: دعاني المتوكل أمير المؤمنين، فقال: قد أكثرت

[ذكر طبه ﷺ من العذرة]

وهي - بضم المهملة وسكون الذال المعجمة - وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبًا، وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق، أو في الخرم الذي ينزل بين الأنف والحلق، وهو الذي يسمى سقوط اللهاة، وقيل: هو اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها، وقيل: هو موضع قريب من اللهاة، واللهاة - بفتح اللام - اللحمة التي في أقصى الحلق.

وفي البخاري، من حديث أم قيس بنت محصن الأسدية - أسد خزيمة - وهي

من الأدوية لعيني، فلا تزداد إلا رمدًا، فسل العلماء هل يعرفون حديثًا في ذلك؟، قال: فمضيت إلى أحمد بن حنبل، فسألته، فقال: روى شهر بن حوشب عن عبد الرحمٰن بن غنم، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»، قال: فرجعت إلى المتوكل، فأخبرته، فقال: ادع لنا يوحنا بن ماسويه، فدعوته، فقال له المتوكل: كيف يستخرج ماء الكمأة؟، قال: أنا أستخرج ذلك، فأخذ الكمأة، فقشرها ثم سلقها، فأنضجت أدنى النضج، ثم شقها وأخرج ماءها بالميل، فكحل به عين المتوكل، فبرأت في الدفعة الثانية، فعجب يوحنا، وقال: أشهد أن صاحبكم كان حكيمًا، يعني النبي ﷺ.

ذكر طبه ﷺ من العذرة

(**وهي بضم**) العين (**المهملة وسكون الذال المعجمة: وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبًا،**) قيل: سميت بذلك، لأنها تخرج غالبًا عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب تحت الشعرى العبور، ويقال لها أيضًا: العذارى، وطلوعها يقع في وسط الحر.

(**وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق، أو**) تخرج (**في الخرم الذي ينزل من الأنف والحلق،**) عبارة غيره، أو في الخرم الذي بين الأنف والحلق، (**وهو الذي يسمى سقوط اللهاة**).

(**وقيل: هو اللهاة**) نفسها، (**والمراد وجعها، سمي باسمها**) تسمية للحال باسم المحل، (**وقيل: هو موضع قريب من اللهاة، واللهاة:** (**بفتح اللام**) **اللحمة التي في أقصى الحلق،**) ويجمع على لهى ولهيات، مثل حصاة وحصى وحصيات، وعلى لهوات أيضًا، على الأصل كما في المصباح.

(**وفي البخاري**) ومسلم وأبي داود وابن ماجه، (**من حديث أم قيس،**) يقال: اسمها آمنة (**بنت محصن**) (بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون) (**الأسدية، أسد**

أخت عكاشة، أنها أتت رسول اللّٰه ﷺ بابن لها قد أعلقت عليه من العذرة، فقال النبي ﷺ: «علام تدغرون أولادكن بهذا العلاق؟ عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندي.

خزيمة) بن مدركة بن الياس بن مضر، احترازًا عن أسد ربيعة وغيره، وتلو هذا البخاري: وكانت من المهاجرات الأول، اللاتي بايعن النبي ﷺ، **(وهي أخت عكاشة)** (بالتشديد) ابن محصن، أحد من يدخل الجنة بغير حساب **(أنها أتت رسول اللّٰه ﷺ بابن لها)**.

قال الحافظ: لم أعرف اسمه، **(قد أعلقت)** وفي رواية: علقت (بشد اللام بدون ألف)، وصوب الحافظ وغيره الأول، وهما في البخاري، أما مسلم، فإنما فيه أعلقت بالألف، وهما بمعنى: لكن اللغويون إنما يقولون: أعلقت، أفاده عياض **(عليه)**.

وفي رواية للبخاري، عنه: وصوب ابن الأعرابي عليه، وهو ما في مسلم، وقال الخطابي: المحدثون يقولون عليه والصواب عنه، أي دفعت عنه، ومعنى أعلقت عليه أو ردت عليه العلوق، أي ما عذبته به **(من العذرة)**.

وقال النووي: أي عالجت رفع لهاته بإصبعها، وقال عياض: فسره سفيٰن برفع الحنك بالإصبع، وأبو عبيد برفع اللهاة وكل متقارب، **(فقال النبي ﷺ: علام)** بدون ألف بعد الميم، وفي رواية: بالألف، أي لأي شيء **(تدغرن أولادكن بهذا العلاق)** (بكسر العين وفتحها)، وفي رواية: الإعلاق، وهما بمعنى، ولكن أهل اللغة إنما يذكرون الإعلاق رباعي، وتفسيره غمز العذرة، قاله عياض، أي لأنه مصدر أعلقت.

وقال القرطبي: هو الأشهر لغة، حتى زعم بعضهم أنه لا يجوز العلاق، وقال ابن الأثير: يجوز على أن العلاق اسم المصدر الذي هو الإعلاق، كما قالوا في العطاء أنه اسم المصدر الذي هو الإعطاء، قال القرطبي: والرواية في العلاق (بكسر العين). انتهى.

وضبطه النووي بفتحها، فهما روايتان، وفي الكلام معنى الإنكار، أيْ على أي شيء تعالجن هذا الداء بهذه الآفة والمداواة الشنيعة، فلا تفعلن ذلك، ولكن **(عليكم)** (بالميم)، ورواه الكشميهني: عليكن (بالنون)، وهما باعتبار الأشخاص والأنفس، قاله المصنف: **(بهذا العود الهندي)** يعني: استعملوه على ما يأتي بيانه، **(فإن فيه سبعة أشفية:)** جمع شفاء، أي أدوية، **(منها ذات الجنب)** أي الألم العارض فيه من رياح غليظة مؤذية، وتسمى الشوصة، وقال الترمذي: هي السل.

قال القرطبي: وفيه بعد، والمعروف الأول، وفي الرواية للشيخين: فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء، منها: ذات الجنب، يسعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب، أي بأن يصب الدواء في أحد شقي الفم، ويسعط ابتداء كلام بيان لصفة التداوي، **(يريد)** ﷺ **(الكست)**

وقوله: «تدغرن» خطاب للنسوة، وهو بالغين المعجمة والدال المهملة، والدغر: غمز الحلق.

عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دمًا، فقال: ما هذا؟ به العذرة، أو وجع في رأسه، فقال: ويلكن لا تقتلن أولادكن، أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطًا هنديًا فلتحله

(بضم الكاف وسكون السين المهملة والتاء المثناة آخره)، وفي الطريق الآتي: (بالقاف، ثم السين، ثم الطاء، وهما لغتان)، (**وهو العود الهندي**).

قال ابن العربي: القسط نوعان: هندي، وهو أسود، وبحري، وهو أبيض؛ والهندي أشدهما حرارة، وقال القرطبي: البحري الأبيض أحد نوعي العود الهندي، قال الحافظ: كذا وقع الاقتصار في الحديث من السبعة على اثنين، فإما أن يكون ذكر السبعة، فاختصر الراوي، أو اقتصر عليه السلام على الاثنين، لوجودهما حينئذٍ دون غيرهما.

وقد ذكر الأطباء: من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول، ويقتل ديدان الأمعاء، ويدفع السم وحمى الربع والورد، ويسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع، ويذهب الكلف طلاء، فذكروا أكثر من سبعة.

وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي، وما زاد عليها بالتجربة، فاقتصر على ما هو بالوحي لتحققه، وقيل: ذكر ما يحتاج إليه دون غيره، لأنه لم يبعث بتفاصيل ذلك، قلت: ويحتمل أن تكون السبعة أصول صفة التداوي به، لأنها إما طلاء أو شرب أو تكميد أو تنطيل أو تبخير أو سعوط أو لدود؛ فالطلاء يدخل في المراهم ويحل بالزيت ويلطخ، وكذلك التكميد والشرب يسحق ويجعل في عسل أو ماء أو غيرهما، وكذا التنطيل والسعوط يسعط في زيت ويقطر في الأنف، وكذا الدهن والتبخير واضح، وتحت كل واحد من السبعة منافع لأدواء مختلفة، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم.

(**وقوله: تدغرن خطاب للنسوة، وهو بالغين المعجمة**،) المفتوحة مضارع دغر، كمنع، (**والدال المهملة**،) قال القرطبي: لا يجوز غيره، (**والدغر غمز الحلق**،) قال القرطبي: والمراد به هنا رفع الحنك، وأصله الدفع، ونهى عن ذلك لما فيه من تعذيب الصبي، ولعله يزيد في وجعه.

(و) أخرج أحمد وأصحاب السنن، (**عن جابر بن عبد الله، قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبي**) صغير، (**يسيل منخراه دمًا، فقال: ما هذا**) الذي بهذا الصبي، (**قالوا: به العذرة أو وجع في رأسه، فقال: ويلكن**) كلمة تقال لمن وقع في هلكة، ولا يترحم

بماء ثم تسعطه إياه. فأمرت عائشة فصنع ذلك للصبي فبرأ. الحديث.

وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها إلى مكانها، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة، وبالعلاق: وهو شيء يعلقونه على الصبيان، فنهاهم ﷺ عن

عليه بخلاف ويح، (**لا تقتلن أولادكن**،) أي لا تفعلن ما يكون سببًا لقتلهم، (**أيما امرأة**،) بزيادة ما لإفادة التعميم، (**أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه، فلتأخذ قسطًا**) (بضم القاف وبالطاء).

قال البخاري: وهو الكست، يعني بالكاف والفوقية، قال: مثل الكافور والقافور، ومثل كشطت وقشطت، وقرأ عبد الله بن مسعود: قشطت.

قال القرطبي: وهذا من التعاقب بين الحرفين، (**هنديًا**) يجلب من الهند، وهو نوعان: أسود وأبيض، ويقال له: بحري، وهو المراد هنا لحديث زيد بن أرقم: «تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت»، هذا مفاد كلام القرطبي، وفي شرح المصنف البحري: ما يجلب من اليمن، ومنه ما يجلب من المغرب، وزاد بعضهم: ثالثًا، يسمى بالقسط المر، وهو كثير ببلاد الشام، خصوصًا السواحل، قال في نزهة الأفكار: وأجودها البحري، وخياره الأبيض الخفيف، الطيب الرائحة، وبعده الهندي، وهو أسود خفيف، وبعده الثالث: وهو ثقيل، ولونه كالخشب البقس، ورائحته ساطعة، وأجود ذلك كله ما كان جديدًا، ممتلئًا غير متآكل بلدغ اللسان، وكل دواء مبارك نافع، (**فلتحله بماء**،) أي تحكه على حجر بالماء، كذا في المرقاة.

وقال القرطبي: أي يدق ناعمًا، (**ثم تسعطه**) (بفتح التاء والعين وبضم العين من سعط، كمنع ونصر، وبضم التاء وكسر العين من أسعط)، (**إياه**،) أي تصبه في أنفه.

قال القرطبي: وهل يسعط به مفردًا أو مع غيره، يسأل عن ذلك أهل المعرفة والتجربة، ولا بد من النفع به إذ لا يقول ﷺ إلا حقًا (**فأمرت عائشة، فصنع ذلك للصبي فبرأ، الحديث...**)

قال في المرقاة: وقد حصل هذا المرض لولدي، وألح به، فأرادوا أن يغمزوا حلقه على طريقة النساء، فمنعتهن من ذلك تمسكًا بالحديث، واستعملت له القسط، فشفي منه سريعًا، ولم يعاوده بعد ذلك، ووصفته لجماعة فبرؤوا منه، مصداق قوله ﷺ: (**وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها إلى مكانها، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق**) (بكسر العين وفتحها) (**وهو شيء يعلقونه على الصبيان**،) كالعوذة، وهذا بيان لمراده هنا، وإلا فالعلاق لغة ما يعلق به الشيء، ثم تفسيره مخالف لقوله في شرح البخاري: أعلقت عليه من العذرة، أي رفعت حنكه بإصبعها، ففجرت الدم، وفي الفتح والنهاية وغيرهما أنه كانت عادة النساء إذا أصاب الصبي العذرة، تعمد المرأة إلى خرقة تفتلها فتلاً شديدًا وتدخلها في أنفه، وتطعن ذلك

ذلك وأرشدهم إلى ما هو أنفع للأطفال وأسهل عليهم.

والسعوط: ما يصب في الأنف.

وقد استشكل معالجتها ـ أي العذرة ـ بالقسط مع كونه حارًا، والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان، وأمزجتهم حارة، لاسيما وقطر الحجاز حار؟

وأجيب: بأن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية، وأيضًا فالأدوية الحارة قد تنفع من الأمراض الحارة بالعرض كثيرًا، بل وبالذات أيضًا، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني، على أنا لو لم نجد شيئًا من التوجيهات لكان أمر المعجزة خارجًا عن القواعد الطبيعية.

الموضع، فينفجر منه دم أسود، وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمى دغرًا، فمعنى تدغرن أولادكن؛ أنها تغمز حلق الولد بإصبعها، فترفع ذلك الموضع وتكبسه بهذا العلاق.

زاد في النهاية: وكانوا بعد ذلك يعلقون عليه علاقًا، كالعوذة، (**فنهاهم ﷺ عن ذلك وأرشدهم إلى ما هو أنفع للأطفال وأسهل عليهم**،) فإنه يصل إلى العذرة فيقضها، لأنه حار يابس، (**والسعوط**) (بفتح السين وضم العين المهملتين) (**ما يصب في الأنف**.) أما بضم السين، فالفعل الذي هو صب الدواء في الأنف.

(وقد استشكل معالجتها أي العذرة بالقسط مع كونه حارًا) يابسًا، (**والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة، لا سيما وقطر الحجاز حار**،) فكيف يعالج الشيء بما يقويه.

(**وأجيب: بأن مادة العذرة**:) أصلها الذي تولدت منه (**دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تجفيف للرطوبة**) البلغمية، (**وقد يكون نفعه في هذا الداء**،) أي المرض (**بالخاصية**) وإن كان حارًا، (**وأيضًا فالأدوية الحارة قد تنفع من الأمراض الحارة بالعرض كثيرًا، بل وبالذات أيضًا**).

(**وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط**:) الباء زائدة، ولم تقع في الفتح (**مع الشب اليماني، على أنا لو لم نجد شيئًا من التوجيهات لكان أمر المعجزة خارجًا عن القواعد الطبيعية**،) أي لكان الشفاء مع وجود سبب منعه أمرًا خارقًا للعادة.

وقال النووي: اعترض من في قلبه مرض، فقال: أجمع الأطباء على أن مداواة ذات الجنب بالقسط خطر جدًا، لفرط حرارته.

[ذكر طبه ﷺ لداء استطلاق البطن]

في الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه - وفي رواية: استطلق بطنه - فقال: اسقه عسلاً، فسقاه فقال: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا،

قال المازري: وقد كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، فقد ذكر جالينوس؛ أن القسط ينفع من وجع الصدر، وذكر بعض قدماء الأطباء أنه يستعمل لجذب الخلط من باطن البدن إلى ظاهره، وهذا يبطل ما زعمه المعترض الملحد. انتهى.

والمازري أطال النفس في ذكر منافع القسط التي تطابق عليها الأطباء في كتبهم، ثم قال: فأنت ترى هذه المنافع التي ذكرها الأطباء، فتعلم أنه ممدوح شرعًا وطبًا.

ذكر طبه ﷺ لداء استطلاق البطن

(**في الصحيحين**) والترمذي والنسائي، كلهم في الطب، (**من حديث سعيد بن أبي عروبة، عن أبي المتوكل**) علي بن داود، ويقال بن دوآد (بضم الدال بعدها واو فهمزة)، الناجي (بنون وجيم)، البصري، ثقة، من رجال الجميع وأوساط التابعين، مات سنة ثمان ومائة، وقيل: قبلها، (**عن أبي سعيد**) سعد بن مُلك (**الخدري**،) الصحابي ابن الصحابي: (**أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن أخي**،) قال الحافظ: لم أقف على اسم واحد منهما (**يشتكي بطنه**،) أي وجع بطنه من إسهال حصل له من تخمة.

(**وفي رواية**) للشيخين أيضًا من حديث قتادة، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد، فقال: إن أخي (**استطلق**) (بفتح الفوقية واللام) (**بطنه**) (بالرفع، وضبطه في الفتح مبنيًا للمفعول، أي تواتر إسهال بطنه) قال المصنف: وكذا قال القرطبي في المفهم، هو بضم التاء مبنيًا للمفعول، فهو الرواية الصحيحة، فيكون أصله استطلق هو بطنه، فالسين زائدة لا للطلب.

قال الحافظ: استطلق، بضم المثناة وسكون الطاء المهملة وكسر اللام، بعدها قاف، أي كثر خروج ما فيه، يريد الإسهال، ولمسلم من طريق سعيد بن أبي عروبة: قد عرب بطنه، بمهملة، فراء مكسورة، فموحدة، أي فسد هضمه لاعتلال المعدة، ومثله ذرب (بذال معجمة بدل العين) وزنًا ومعنى؛ (**فقال: اسقه عسلاً**) صرفًا أو ممزوجًا، وعند الإسمعيلي: اسقه العسل، واللام عهدية، والمراد عسل النحل، لكونه المشهور عندهم، قاله الحافظ: أي عند النحاة الذي هو الإشارة إلى معهود في الذهن، لا عند البيانين؛ أنه الإشارة إلى حصة غير معينة، لأنه حينئذٍ لا يفيد أنه النحل إلا أن يراد النحل، ويراد بالحصة باعتبار القدر منه، (**فسقاه**) العسل فلم ينجع،

فقال: صدق اللَّه وكذب بطن أخيك.

وفي رواية لمسلم فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: اسقه عسلاً، فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال: صدق اللَّه

وفي رواية أحمد عن يزيد بن هٰرون فقال في الرابعة: اسقه عسلاً، قال فأظنه، قال: فسقاه فبرأ، فقال رسول اللَّه ﷺ: صدق اللَّه وكذب بطن أخيك.

قال الخطابي وغيره: أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ، يقال: كذب سمعك، أي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له، فمعنى: كذب بطن أخيك،

فأتى النبي ﷺ، **(فقال: إني سقيته)** العسل، **(فلم يزده إلا استطلاقًا)** بعد السقي، ففي السياق حذف مستفاد من هذا، **(فقال: صدق اللَّه)** في قوله: فيه شفاء للناس، **(وكذب)** أخطأ **(بطن أخيك،)** حيث لم يصلح لقبول الشفاء، لكثرة المادة الفاسدة التي فيه، ولذا أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، فلما كرر ذلك برأ، كما في الرواية الأخرى أنه سقاه الثانية والثالثة، فإن ما ساقه المصنف، لفظ رواية قتادة عن أبي المتوكل، التي ذكرها بقوله: وفي رواية استطلق بطنه ففيها اختصار عند البخاري.

أما رواية سعيد بن أبي عروبة، عن أبي المتوكل التي صدر بها، فهي تامة، ولفظها: فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الرجل الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه، فقال: فعلت، فلم يبرأ، فقال: صدق اللَّه وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ؛ فبين أن قوله: صدق اللَّه إنما كان بعد أن جاء ثلاث مرات.

(وفي رواية لمسلم: فقال له ثلاث مرات:) إني سقيته، فلم يزده إلا استطلاقًا، **(ثم جاء الرابعة، فقال: اسقه عسلاً، فقال: سقيته، فلم يزده إلا استطلاقًا،)** لجذبه المادة، وكونه أقل من كميته، **(فقال: صدق اللَّه)** وكذب بطن أخيك.

(وفي رواية أحمد، عن) شيخه **(يزيد بن هٰرون)** السلمي، مولاهم الواسطي بإسناده، **(فقال في الرابعة: اسقه عسلاً، قال: فأظنه قال: فسقاه فبرأ)** (بفتح الراء والهمز بوزن قرأ)، وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقولها (بكسر الراء بوزن علم، كما في الفتح، **(فقال رسول اللَّه ﷺ: صدق اللَّه وكذب بطن أخيك،)** ففي هاتين الروايتين؛ أنه قال ذلك بعد الرابعة.

قال الحافظ: والأرجح أنه قاله بعد الثالثة، وفي رواية: فسقاه فعافاه اللَّه سبحانه.

(قال الخطابي وغيره: أهل الحجاز يطلقون الكذب) الذي هو الإخبار، بخلاف الواقع عمدًا، أو سهوًا، أو جهلاً، لكن لا إثم فيهما، إنما هو في العمد **(في موضع الخطأ،)** الذي هو خلاف الصواب قولاً أو فعلاً، **(يقال: كذب سمعك، أي زل، فلم يدرك حقيقة ما قيل له)** بل

أي لم يصلح لقبول الشفاء بل ذل عنه.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: لعله ﷺ علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه الصلاة والسلام كان عالمًا سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريًا مجرى الكذب، فلهذا أطلق عليه هذا اللفظ.

وقد اعترض بعض الملحدة فقال: العسل مسهل، فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال؟

وأجيب: بأن ذلك جهل من قائله، بل هو كقوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم

أدرك الحكم على خلاف ما ألقي إليه وليس هو حقيقة الكذب، إذ الإخبار فيه بخلاف الواقع، فهو دليل على إطلاق الكذب في موضع الخطأ.

زاد عياض: وكذا يقولون كذب بصرك إذا لم يدرك ما رأى، قال الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

(**فمعنى كذب بطن أخيك، أي لم يصلح لقبول الشفاء، بل ذل عنه،**) قال بعضهم فيه: إن الكذب قد يطلق على عدم المطابقة في غير الخبر.

قال في المصابيح: هو على سبيل الاستعارة التبعية، وفيه إشارة إلى تحقق نفع هذا الدواء، (**وقال الإمام فخر الدين الرازي: لعله ﷺ علم بنور الوحي،**) كأنه لم يقل بالوحي، لأنه ينشأ عنه أنوار تشرق في صدره، بل في جميع بدنه، يظهر بها من المعاني اللطيفة والأسرار الخفية ما تقصر العبارة عن بيانه، (**أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال، مع كونه عليه الصلاة والسلام كان عالمًا؛ بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك، كان جاريًا مجرى الكذب**) بحسب ظاهر الحال، وإلا فإذا كان الغرض علمه بالوحي أنه لا يصلح الآن، وإذا كرر صلح، يكون البرء متوقفًا على تكرر السقي، فهو متوقع، (**فلهذا أطلق عليه هذا اللفظ،**) أي كذب.

(**وقد اعترض بعض الملحدة**) هذا الحديث، (**فقال: العسل مسهل:**) (بضم، فسكون) من أسهل، أي مطلق للبطن، (**فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال،**) مع أنه يزيده، وقد يؤدي إلى هلاكه.

(**وأجيب: بأن ذلك جهل من قائله،**) لأنه أطلق في محل التقييد، (**بل هو كقوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾**) [يونس: ٣٩]، وجه الشبه أن هؤلاء بادروا إلى إنكار نفع

يحيطوا بعلمه﴾ [يونس/٣٩] فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف، والتدبير وقوة الطبيعة، وعلى أن الإسهال يحدث من أنواع: منها الهيضة التي تنشأ عن تخمة، واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها، فإن احتاجت إلى مسهل أعينت ما دام بالعليل قوة، فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة أصابته فوصف له ﷺ العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها، وللمعدة خمل كخمل المنشفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل إليها، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط، ولا شيء في ذلك مثل العسل، لاسيما إن مزج بالماء الحار، وإنما لم

العسل من الإسهال، كما أن المشركين بادروا إلى إنكار كون القرآن منزلاً من عند اللّه، لعدم وصولهم إلى فهم معانيه وما يراد به؛ **(فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن)** لمن قام به، فليس علاج الشيخ كعلاج الصبي، **(والعادة،)** أي ما يعتاد له فعله من مشي وركوب وسهر ونوم ولبس وغير ذلك، **(والزمان،)** فليس دواؤه في نحو الصيف، كدوائه في نحو الشتاء، **(والغذاء المألوف،)** إذ قد يحدث المرض بمخالفته، فعلاجه برده إلى المألوف، **(والتدبير،)** أي التأمل في صفة استعمال الدواء بمعرفة قدره وصفة تركيبه وغير ذلك، ككونه يستعمل بعد غليه بالنار، أو تسخينه فقط، بحيث يزول برده، أو باردًا، **(وقوّة الطبيعة)** على القدر الذي يجعل من الدواء لها؛ **(و)** اتفقوا **(على أن الإسهال يحدث من أنواع، منها: الهيضة،)** أي المرض الناشيء من اجتماع فضول في المعدة، هذا المراد هنا بدليل قوله: **(التي تنشأ عن تخمة)** (بوزن رطبة)، أي فساد المعدة من الأخلاط المجتمعة فيها كما يأتي.

(واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها)، فلا يستعمل لها قابض لئلا تحتبس تلك الفضول، فيتولد منها مزيد الضرر، **(فإن احتاجت إلى مسهل أعينت ما دام بالعليل قوة)**، وحبسه عنه ضرر واستعجال مرض، **(فكان هذا الرجل، كان استطلاق بطنه من تخمة أصابته، فوصف له ﷺ العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة، من أخلاط لزجة)** (بزاي وجيم)، أي متعلقة بها **(تمنع استقرار الغذاء فيها، وللمعدة خمل)** (بكسر المعجمة وميم ساكنة)، **(كخمل المنشفة:)** (بكسر الميم اسم آلة) **(فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها، وأفسدت الغذاء الواصل إليها، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو:)** يزيل **(تلك الأخلاط، ولا شيء في ذلك)** نافع **(مثل العسل، لا سيما إن مزج بالماء الحار، وإنما لم يفسده في أول**

يفسده في أول مرة لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء، إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررًا آخر، فكأنه شرب منه أولاً مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء، فأمره بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشربات برأ بإذن الله تعالى.

وفي قوله ﷺ: «كذب بطن أخيك» إشارة إلى أن هذا الدواء نافع، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء، ولكن لكثرة المادة الفاسدة، فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها.

وقال بعضهم: إن العسل تارة يجري سريعًا إلى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضًا، وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعة لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهل، فإنكار وصفه بالمسهل مطلقًا قصور من المنكر.

مرة، لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء:) المرض **(إن قصر عنه)** (بفتحتين مخففًا)، كعقد، ومشددًا، أي عجز، كما في القاموس: **(لم يدفعه بالكلية وإن جاوزه، أو هي)** أضعف **(القوة، وأحدث ضررًا آخر، فكأنه)** أي الرجل **(شرب منه أولاً مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء، فأمره بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشربات برأ بإذن الله تعالى)** (بزنة قرأ) لغة أهل الحجاز ولغة غيرهم، كعلم) والسياق في المرض، أما من الدين، فبالثاني فقط.

(وفي قوله ﷺ: وكذب بطن أخيك إشارة إلى أن هذا الدواء نافع، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء، ولكن لكثرة المادة الفاسدة، فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها،) فشفي لما استفرغت.

(وقال بعضهم:) هو صاحب كتاب المائة في الطب، كما في الفتح: **(إن العسل تارة يجري سريعًا إلى العروق وينفذ معه جل الغذاء)** أكثره **(ويدر البول فيكون قابضًا، وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها)** (بذال معجمة وعين مهملة)، أي يؤثر فيها كتأثير النار أما بمهملة فمعجمة، فللذوات السموم، كالعقرب، **(حتى يدفع الطعام ويسهل البطن، فيكون مسهل، فإنكار وصفه،)** أي العسل **(بالمسهل مطلقًا قصور من المنكر).**

وقال القرطبي في المفهم: اعترض بعض زنادقة الأطباء هذا، فقال: أجمع الأطباء على أن العسل مسهل، فكيف يوصف لمن به الإسهال، وهذا كلام جاهل، بدليل صدق النبي ﷺ، وبصناعة الطب التي ينتمي إليها، أما الأول، فلأن من علم صدقه بدليل المعجزة، حقه إذا وجد

وقال ابن الجوزي: في وصفه ﷺ العسل لهذا المسهل أربعة أقوال:

أحدها: أن حمل الآية على عمومها في الشفاء أولى، وإلى ذلك أشار بقوله ﷺ: صدق الله، أي في قوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ فلما نبه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي بإذن الله تعالى.

الثاني: أن الوصف المذكور على المألوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الأمراض كلها.

الثالث: أن الموصوف له ذلك كان به هيضة، كما تقدم تقريره.

من كلامه ما يقصر عن إدراكه أن يعلم أن القول حق في نفسه، وينسب القصور إلى نفسه، ثم إن كان الصادق بين كيفية العمل بذلك الشيء، فليبحث عنه، فإذا انكشف له، علم أن ذلك هو الذي أراد الصادق، وهذا إنما يخاطب به علماء الطب المسلمون؛ وأما بيان جهله بصناعة الطب، فإنه حاد في النقل، حيث أطلق في محل التقييد، ونقل إجماعًا لا يصح، وبيان ذلك ما قاله الإمام المازري: الأشياء التي يفتقر فيها إلى تفصيل، قلما يوجد فيها مثل ما يوجد في صناعة الطب، فإن المريض المعين يجد الشيء دواء له في ساعة، ثم يصير داء له في الساعة التي تليها، لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه، فينتقل علاجه إلى شيء آخر بسبب ذلك، وذلك مما لا يحصى كثرة؛ وقد يكون الشيء شفاء في حالة، وفي شخص، فلا يطلب الشفاء به في سائر الأحوال، ولا في كل الأشخاص، والأطباء مجمعون على أن العلة الواحدة يختلف علاجها باختلاف السن، فذكر نحو ما في المصنف، ثم قال: وبه علم جهالة المعترض، ولسنا نستدل على صدقه ﷺ بصدق الأطباء، بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم، وإنما خرجنا على ما يصح من قواعدهم، لأنه ﷺ لا يكذب، وبينا به جهالة المعترض بالصفة التي ينتمي إليها. انتهى.

(**وقال ابن الجوزي في وصفه ﷺ: العسل لهذا المسهل**) (بضم، فسكون، ففتح)، أي الشخص المسهل (**أربعة أقوال، أحدها: إن حمل الآية على عمومها في الشفاء أولى**) بالقبول، (وإلى ذلك أشار، بقوله ﷺ: صدق الله، أي في قوله: فيه شفاء للناس، فلما نبه **على هذه الحكمة، تلقاها**) المسهول (**بالقبول، فشفي بإذن الله تعالى**).

(**الثاني: إن الوصف المذكور على المألوف من عادتهم،**) أي العرب (**من التداوي بالعسل في الأمراض كلها،**) وهذا ضعيف كما يأتي، بل باطل، إذ لو كان كذلك ما حسن استدلاله ﷺ، بقوله: صدق الله.

(**الثالث: إن الموصوف له ذلك كان به هيضة، كما تقدم تقريره،**) وهو وجيه، واقتصر عليه المازري وغيره.

الرابع: يحتمل أن يكون أمره بطبخ العسل قبل شربه، فإنه يعقد البلغم، فلعله شربه أو لا بغير طبخ، انتهى.

والثاني والرابع ضعيفان.

ويؤيد الأول حديث ابن مسعود: عليكم بالشفاءين العسل والقرءان أخرجه ابن ماجه والحاكم مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي شيبة والحاكم أيضًا موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح. وأثر علي: إذا اشتكى أحدكم فليستوهب من امرأته شيئًا من صداقها درهمًا فليشتر به عسلاً، ثم يأخذ ماء السماء، فيجمع هينئًا مريئًا مباركًا، أخرجه

(**الرابع:**) يحتمل (**أن يكون أمره بطبخ العسل قبل شربه، فإنه يعقد البلغم، فلعله شربه أولاً بغير طبخ. انتهى. والثاني والرابع ضعيفان،**) قد علم ضعف الثاني، ولعل وجه الرابع احتياجه إلى قرينة تدل عليه، أو أن القرينة دلت على خلافه.

(**ويؤيد الأول حديث ابن مسعود: عليكم،**) أي الزموا التداوي (**بالشفاءين: العسل:**) لعاب النحل، أو طل خفي يقع على الزهر وغيره، فتلقطه النحل، وقيل: بخار يصعد في الجو، فيستحيل ويغلظ بالليل، ويقع عسلاً، فتجنيه النحل وتغتذي به، فإذا شبعت جنت منه مرة أخرى، ثم تذهب به إلى بيوتها وتضعه فيها، لأنها تدخر لنفسها غذاءها، وقيل: إنها تأكل من الأزهار الطيبة والأوراق العطرة، فيقلب الله تلك الأجسام في داخل أبدانها عسلاً، ثم إنها تقيء ذلك، فهو العسل، وأصلحه الربيعي، ثم الصيفي، وأما الشتائي فرديء، وما يؤخذ من الجبال والشجر أجود مما يؤخذ من الخلايا، وهو بحسب مرعاه، ومن العجب أن النحل يأكل من جميع الأزهار، ولا يخرج منه إلا حلو، مع أن أكثر ما يجنيه مر، وله زهاء مائة اسم (**والقرآن،**) جمع في هذا الحديث بين الطب البشري والإلهي، وبين الفاعل الطبيعي والروحاني، وطب الأجساد وطب الأرواح، والسبب الأرضي والسماوي، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾.

(**أخرجه ابن ماجه والحاكم، مرفوعًا**) عن النبي ﷺ، وقال الحاكم: إنه على شرط الشيخين، (**وأخرجه ابن أبي شيبة والحاكم أيضًا، موقوفًا**) على ابن مسعود (**ورجاله رجال الصحيح،**) وقال البيهقي في الشعب الصحيح، موقوف على ابن مسعود، (**و**) يؤيده أيضًا (**أثر علي**) كرم الله وجهه: (**إذا اشتكى،**) أي مرض (**أحدكم، فليستوهب:**) يطلب (**من امرأته**) أن تهبه (**من صداقها درهمًا، فليشتر به عسلاً، ثم يأخذ ماء السماء،**) أي المطر، (**فيجمع**) دواء (**هنيئًا مريئًا مباركًا،**) لبركته من العسل الذي فيه شفاء للناس، ومن ماء السماء الذي قال تعالى فيه: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركًا﴾ [ق: ٩].

(**أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن،**) عن علي موقوفًا عليه، (**وروينا عنه،**)

ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن.

وروينا عنه رضي اللّٰه تعالى عنه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب اللّٰه في صحيفة وليغلسها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهمًا عن طيب نفس منها، فليشتر به عسلاً فليشربه فإنه شفاء.

قال الحافظ ابن كثير، بعد أن ذكره، أي من وجوه: قال اللّٰه تعالى: ﴿**ونننزل من القرءان ما هو شفاء**﴾ [الإسراء/٨٢] وقال: ﴿**ونزلنا من السماء ماء مباركًا**﴾ [ق/٩]، وقال: ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا**﴾ [النساء/٤] وقال في العسل: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾ [النحل/٦٩].

أي عن علي (**رضي اللّٰه تعالى عنه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء، فليكتب آية من كتاب اللّٰه،**) أي آية كانت (**في صحيفة، وليغسلها بماء السماء، وليأخذ من امرأته درهمًا،**) من صداقها، كما في الرواية قبلها، فيحمل المطلق على المقيد، (**عن طيب نفس منها،**) فإن خلا عن ذلك لم يفد، (**فليشتر به عسلاً فليشربه، فإنه شفاء**).

(**قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكره،**) أي أثر علي، (**أي**) إنه شفاء (**من وجوه**) أربعة: الأول: (**قال اللّٰه تعالى: ﴿ونننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركًا﴾ [ق: ٩]،**) كثير البركة، وهذا الوجه الثاني، (**وقال: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا﴾ [النساء: ٤]،**) تمييز محول عن الفاعل، أي إن طابت أنفسهن عن شيء من الصداق فوهبنه لكم، (**فكلوه هنيئًا**) طيبًا (**مريئًا،**) محمود العاقبة، لا ضرر فيه، وهذا الوجه الثالث.

(**وقال في العسل: ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل: ٦٩]،**) وهذا رابع الوجوه، وضمير فيه للعسل، وقول مجاهد للقرآن.

صحيح في نفسه، لكن ليس هو الظاهر من سياق الآية، لأنها إنما فيها ذكر العسل، ولم يتابع مجاهد على قوله هذا، ثم قيل: المراد بالآية الخصوص، أي شفاء من بعض الأدواء، ولبعض الناس، قال القرطبي: لأن شفاء نكرة في سياق الثبوت، فلا تعم، وجعلها بعض أهل الصدق على العموم، فكانوا يستشفون به في كل الأمراض لصدق القرآن، وكان ابن عمر لا يشتكي قرحة ولا شيئًا إلا جعل عليه العسل، فقيل له في ذلك، فقال: أليس اللّٰه تعالى يقول: ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل: ٦٩]، ومرض عوف بن لملك الأشجعي، الصحابي، فقال: ائتوني بماء، فإن اللّٰه تعالى يقول: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركًا﴾ [ق: ٩]، ثم قال: ائتوني بعسل، وتلا الآية، ثم قال: ائتوني بزيت، وتلا من شجرة مباركة، فخلط ذلك بعضه

[ذكر طبه ﷺ من يبس الطبيعة]

بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله ﷺ بماذا كنت تستمشين؟ قالت: بالشبرم، قال: حار حار ثم قالت: استمشيت بالسنى فقال النبي ﷺ: لو أن شيئًا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنى. قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وقد ذكره البخاري في

بيعض، وشربه فعوفي.

وعن أبي وجزة (بجيم وزاي)، أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى به، وهذا عمل بمطلق القرآن، وأصله صدق النية والله أعلم.

قال ابن بطال: يؤخذ من قوله: «صدق الله وكذب بطن أخيك»، الألفاظ لا تحمل على ظاهرها، إذ لو كان كذلك لبرأ العليل من أول شربة، فلما لم يبرأ إلا بعد التكرار، دل على أن الألفاظ تفتقر إلى معانيها.

قال الحافظ: ولا يخفى تكلف هذا الانتزاع . نعم يؤخذ منه أن الذي يجعل الله فيه الشفاء قد يتخلف لتتم المدة التي قدر الله تعالى فيها الداء، أي المرض.

ذكر طبه ﷺ من يبس الطبيعة

وهي المزاج المركب من الأخلاط، والإضافة لامية (**بما يمشيه**،) أي اليبس، أي يسهله (**ويلينه**) تليينًا دون الإسهال، فالعطف مغاير لا تفسير، وعدل عن وصف الطبيعة بالتمشية، لأن الذي يتصف بها، إنما هو يبسها لا نفسها الذي هو المزاج، ثم الطب الدواء النافع، فذكره النهي عن الشبرم تبعًا للإقرار على السنى، أو أراد بالطب ما يشمل دفع المضرة.

(**روى الترمذي وابن ماجه في سننه**،) وأحمد والحاكم (**من حديث أسماء بنت عميس**) (بمهملتين مصغر)، (**قالت: قال**) لي (**رسول الله ﷺ: بماذا**،) أي بأي دواء (**كنت تستمشين**،) أي تطلبين مشي بطنك، أي إخراج ما فيه، (**قالت: بالشبرم**) (بضم الشين المعجمة والراء، بينهما موحدة ساكنة، وآخره ميم)، وقد يفتح أوله، (**قال: حار حار**،) أي شديد الحرارة، فالثاني تأكيد لفظي، ويحتمل أن الثاني، (بجيم وشد الراء اتباع لحار بمهملتين)، كما في النهاية، يقال: حار جار، ويقال حار يار بمثناة تحتية على الاتباع أيضًا، (**ثم قالت: استمشيت بالسنى**) (بفتح السين والنون والقصر)، وقد يمد لا تحصى منافعه، (**فقال النبي ﷺ: «لو أن شيئاً كان فيه شفاء من الموت لكان في السنى»**،) مبالغة في كثرة منافعه.

(**قال أبو عيسى**) الترمذي: (**هذا حديث غريب**،) وصححه الحاكم وأقره الذهبي، (**وقد**

تاريخه الكبير من حديث أسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي.

وذكر أبو محمد الحميدي في كتاب «الطب» النبوي له أنه ﷺ قال: إياكم والشبرم فإنه حار حار، وعليكم بالسنى فتداووا به، فلو دفع الموتَ شيء لدفعه السنى.

وحكى عبد الحق الإشبيلي في كتاب «الطب» له أن المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بـ «المقصد والرجوع إلى اللّه تعالى» أن النبي ﷺ شرب السنى بالتمر.

وفي سنن ابن ماجه، من حديث عمرو بن بكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: سمعت عبد اللّه بن حرام، وكان ممن صلى مع رسول اللّه ﷺ القبلتين يقول

ذكره،) أي رواه (**البخاري في تاريخه الكبير من حديث أسماء بنت عميس، مثل ما ذكره الترمذي،**) أي بلفظه، (**وذكر أبو محمد**) اسمه محمد بن أبي نصر فتوح (**الحميدي،**) الحافظ صاحب الجمع بين الصحيحين (**في كتاب الطب النبوي له؛ أنه ﷺ قال: إياكم والشبرم،**) أي احذروا استعماله، (**فإنه حار حار، وعليكم بالسنى، فتداووا به، فلو دفع الموت شيء لدفعه السنى،**) لكنه لا يدفعه، فلا يدفعه السنى.

(**وحكى عبد الحق الإشبيلي**) (بكسر الهمزة والموحدة وسكون الشين المعجمة والتحتية قبل اللام نسبة إلى إشبيلية)، من أمهات بلاد الأندلس، حافظ كبير، مصنف، ففيه، (**في كتاب الطب، له أن المحاسبي**) (بكسر السين) الحرث بن أسد (**ذكر في كتابه، المسمى بالمقصد والرجوع إلى اللّه تعالى: أن النبي ﷺ شرب السنى بالتمر،**) أي وضعهما في الماء وشربه، كما يفيده شرب، أي ليبس الطبيعة، كما هو ظاهر السياق، وبوضعهما في الماء يندفع اجتماع حارين، المنهي عنه عند الأطباء لضرره.

(**وفي سنن ابن ماجه**) والحاكم، كلاهما في الطب (**من حديث عمرو بن بكر عن إبراهيم بن أبي عبلة**) (بفتح المهملة وسكون الموحدة)، واسمه شمر (بكسر المعجمة) ابن يقظان الشامي، يكنى أبا إسمعيل، تابعي صغير، ثقة، من شيوخ ملك ورجال الصحيحين، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة، (**قال: سمعت عبد اللّه بن حرام،**) كذا في النسخ، وصوابه كما في الإصابة والتقريب عبد اللّه بن أم حرام، وهو عبد اللّه بن عمرو، وقيل: ابن كعب الأنصاري، نزل بيت المقدس، وهو آخر من مات من الصحابة بها، وزعم ابن حبان أن اسمه سمعون، له هذا الحديث: (**وكان ممن صلى مع رسول اللّه ﷺ القبلتين،**) أي إليهما، وفي نسخة: للقبلتين،

سمعت رسول الله ﷺ يقوله: «عليكم بالسنى والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام»، قيل: يا رسول الله وما السام؟ قال: «الموت».

قالوا: والشبرم: قشر عرق شجرة، وهو حار يابس في الدرجة الرابعة، وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها لخطرها وفرط إسهالها.

وأما السنى: فهو نبت حجازي، وأفضله المكي، وهو دواء شريف مأمون الغائلة، قريب من الاعتدال، حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة، ومن خاصيته النفع من الوسواس

أي: الكعبة وبيت المقدس، (**يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليكم بالسنى والسنوت**).

قال ابن الأثير: يروى (بضم السين والفتح) أفصح، وفي الدر (بفتح السين) أفصح من ضمها، قال ابن الجوزي: (وبضم النون)، وفي القاموس: السنوت كتنور وسنور، (**فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام**) (بمهملة من غير همز)، (**قيل: يا رسول الله، وما السام؟، قال: الموت،**) فيه: أن الموت داء من جملة الأدواء، وقال الشاعر:

كذاك الموت ليس له دواء

قال الحاكم: حديث صحيح، ورده الذهبي بأن عمرو بن بكر اتهمه ابن حبان، وقال ابن عدي: له مناكير، (**قالوا: والشبرم قشر عرق شجرة،**) وفي النهاية حب يتداوى به، وقيل: هو الشيح، وفي القاموس الشبرم، كقنفذ، ويفتح: شجر ذو شوك، يقال: ينفع من الوباء ونبات آخر له حب كالعدس، وأصل غليظ ملآن لبنًا، والكل مسهل، واستعمال لبنه خطر، وإنما يستعمل أصله مصلحًا؛ بأن ينقع في الحليب يومًا وليلة، ويجدد اللبن ثلاث مرات، ثم يجفف وينقع في عصير الهندباء والرازيانج، ويترك ثلاثة أيام، ثم يجفف ويعمل منه أقراص مع شيء من التربذ والهليلج والصبر؛ فإنه دواء فائق، (**وهو حار يابس في الدرجة الرابعة، وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها، لخطرها وفرط إسهالها،**) وإنما أجازوه بالتدبير الذي رأيته عن القاموس، ولم يكتف بقوله: إياكم والشبرم، قصدًا للجمع بين السنة وبين ما تطابقت عليه الأطباء، ولدفع توهم أنه أريد بالحديث نهي أهل الحجاز لحرارة أرضهم.

(**وأما السنى، فهو نبت حجازي، أفضله المكي، وهو دواء شريف مأمون الغائلة،**) أي الفساد، أي لا ضرر فيه، (**قريب من الاعتدال، حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء،**) زاد القاموس: والبلغم، وزاد غيره: والدم، فهو موافق للأخلاط الأربعة، بعضها بالطبع، وبعضها بالخاصية على زعم الأطباء، (**ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة، ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي،**) أي الناشىء من غلبة خلط السوداء يقبض.

السوداوي.

قال الرازي: السنى والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة، والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم.

وأما السنوات، فقيل هو العسل، وقيل: رب عكة السمن يخرج خطوطًا سودًا على السمن، وقيل: حب يشبه الكمون وليس به، وقيل: هو الكمون الكرماني، وقيل: إنه الرازيانج، وقيل: إنه الشبت، وقيل: إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن.

قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب، أي: يخلط السنى مدقوقًا بالعسل المخالط للسمن، ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفردًا، لما في العسل والسمن من إصلاح السنى وإعانته على الإسهال.

(**قال الرازي: والسني والشاهترج:**) (بشين معجمة وجيم) بالفارسية ملك البقول، ويسميه أهل مصر هاتراج، (**يسهلان الأخلاط المحترقة، وينفعان من الجرب،**) بفتحتين خلط غليظ يحدث تحت الجلد من مخالطة البلغم الملح للدم، يكون معه بثور، وربما حصل معه هزال لكثرته، (**والحكة**) (بكسر الحاء داء يكون بالجسد)، وفي كتب الطب: هي خلط رقيق يحدث تحت الجلد، ولا يحدث منه مدة، بل شيء كالنخالة، وهو سريع الزوال، (**والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم،**) باختلاف الأمزجة، ولا يزاد على سبعة.

(**وأما السنوت، فقيل: هو العسل**) النحل، (**وقيل: هو رب عكة السمن، يخرج خطوطًا سودًا على السمن،**) فتلك الخطوط هي السنوت، (**وقيل: حب يشبه الكمون، وليس به،**) أي وليس هو الكمون، (**وقيل: هو الكمون الكرماني**) (بكسر الكاف عند الأكثر، وصحح ابن السمعاني فتحها وسكون الراء فيهما)، (**وقيل: إنه الراز يانج، وقيل: إنه الشبت**) (بفوقية المعروف، (**وقيل: إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن:**) (بكسر الزاي) السقاء الذي يجعل فيه.

(**قال بعض الأطباء: وهذا**) القول الأخير (**أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب**) في تفسير قوله: عليكم بالسني والسنوت، (**أي يخلط السنى**) حال كونه (**مدقوقًا بالعسل،**) متعلق بيخلط، (**المخالط للسمن، ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله،**) أي السني (**مفردًا لما في العسل والسمن من إصلاح السني وإعانته على الإسهال،**) لأن رطوبتهما تقاوم اليبس الذي

[ذكر طبه ﷺ للمفؤود]

وهو الذي أصيب فؤاده بمرض، فهو يشتكيه كالمبطون.

روى أبو داود عن سعد قال: مرضت مرضًا، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثدييَّ حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: إنك رجل مفؤود، فائت الحرث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل متطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلد بهن الفؤاد.

في السنى فتصلحه.

ذكر طبه ﷺ للمفؤود وهو الذي اصيب فؤاده

أي قلبه (**بمرض، فهو يشتكيه كالمبطون، روى أبو داود**) من طريق مجاهد، (**عن سعد**) ابن أبي وقاص، أحد العشرة، (**قال: مرضت مرضًا، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني:**) يزورني، (**فوضع يده على ثديي:**) تثنية ثدي (**حتى وجدت بردها على فؤادي:**) قلبي، (**فقال: إنك رجل مفؤود،**) أي تشتكي فؤادك، (**فائت الحرث بن كلدة**) (بفتح الكاف واللام)، ابن عمرو الثقفي، طبيب العرب، ذكره في الإصابة في القسم الأول، وقال: روى ابن إسحٰق لما أسلم أهل الطائف، تكلم نفر منهم في العبيد الذين نزلوا إلى النبي ﷺ، فأعتقهم، فقال: أولئك عتقاء الله، وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كلدة، قال غيره: وكان فيهم الأزرق مولى الحرث، ثم ذكر حديث أبي داود هذا، ثم قال: وقال ابن أبي حاتم: لا يصح إسلامه، وهذا الحديث يدل على جواز الاستعانة بأهل الذمة في الطب، قلت: وجدت له رواية في أمالي المحاملي.

وفي التصحيف للعسكري من طريق شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن الحرث بن كلدة، وكان أطب العرب، وكان يجلس في مقناة له، فقيل: له في ذلك، فقال: الشمس تثقل الريح وتبلي الثوب وتخرج الداء الدفين.

قال العسكري: المقناة (بالقاف والنون) الموضع الذي لا تصيبه الشمس، وقوله: تثفل، بمثلثة وفاء مكسورة، أي تغيره، وروى الحربي في غريب الحديث، وعبد الملك بن حبيب في كتاب الطب النبوي، له أن عمر سأل الحرث بن كلدة: ما الدواء؟، قال: الازم، يعني الحمية، وروى أنه لما احتضر اجتمع الناس إليه، فقالوا: أوصنا، فقال: لا تتزوجوا إلا شابة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا نضيجة، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم بالنورة في كل شهر، فإنها مذهبة للبلغم، ومن تغدى فلينم بعده، ومن تعشى فليمش أربعين خطوة. انتهى ببعض اختصار (**من ثقيف، فإنه رجل متطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة،**) أي التمر

وهذا الحديث من الخطاب العام الذي أريد به الخاص، كأهل المدينة ومن جاورهم. والتمر لأهل المدينة كالحنطة لغيرهم.

و«اللدود»: ما يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم.

وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء، سيما تمر المدينة، ولاسيما العجزة، وفي كونها سبعًا خاصية أخرى تدرك بالوحي.

وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره

المسمى بذلك، **(فليجأهن)** (بفتح الفاء وسكون اللام وفتح التحتية والجيم والهمز وضم الهاء وشد النون)، أي فليدقهن، وبه سميت الوجيئة، وهو تمر يبل بلبن، ثم يدق حتى يلتئم، كما في النهاية، وفي نسخة: فليحلهن، أي ينقعهن في الماء **(بنواهن،)** ليخرج خاصيته، ولكنها تصحيف مخالف للنهاية، **(ثم ليلد بهن الفؤاد)**.

وفي رواية ابن منده: مرض سعد، فعاده النبي ﷺ، فقال: إني لأرجو أن يشفيك الله، ثم قال للحرث بن كلدة: عالج سعدًا مما به، فذكر الحديث، فكان سعدًا لما أتى الحرث جاء به إلى النبي ﷺ، أو لقيه من غير مجيء، فقال له: عالج إلى آخره، فلا خلف، ثم حاصله؛ أنه ﷺ وصف الدواء، وإنما أمر الحرث بصنعه وتركيبه فقط.

(وهذا الحديث من الخطاب العام، الذي أريد به الخاص، كأهل المدينة ومن جاورهم، والتمر لأهل المدينة،) لكونه غذاءً لهم، **(كالحنطة لغيرهم،)** كأن الخطاب العام مأخوذ من قوله: فإنه رجل متطبب، ثم وصف له الدواء، فيفيد عمومه، حتى كأنه قيل: هذا دواء لكل مفؤود، مع أن المراد مفؤود خاص، كالمدني، وإلا فليس في الحديث خطاب عام البتة، لأنه إنما وصفه لشخص مدني في مرضه، **(واللدود)** (بفتح اللام ومهملتين) **(ما،)** أي الدواء الذي **(يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم،)** أي يصب من أحد جانبي فم المريض، وبضم اللام الفعل، كما في الفتح وغيره، زاد في المفهم، أو أدخل من هناك بإصبع **(وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء، سيما تمر المدينة، ولا سيما العجوة:)** نوع من أجود تمر المدينة.

قال القزاز: إنه مما غرسه النبي ﷺ بيده الكريمة، **(وفي كونها سبعًا، خاصية أخرى تدرك بالوحي)** لا بغيره، إذ لا مدخل للعقل في ذلك.

(وفي الصحيحين:) البخاري في الأطعمة والطب، ومسلم في الأطعمة، وأبو داود في الطب، والنسائي في الوليمة، كلهم من حديث عامر بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تصبح)** (بفوقية مفتوحة وصاد مهملة وموحدة مشددة)، أي أكل صباحًا قبل أن يأكل شيئًا، وأصل الصبوح والاصطباح تناول الشراب صبحًا، ثم استعمل في الأكل، لأن

ذلك اليوم سم ولا سحر.

شرب اللبن عند العرب بمنزلة الأكل، زاد في رواية للشيخين: كل يوم **(بسبع)** (بجر) سبع بالموحدة، رواه أبو ذر **(تمرات عجوة)** (بتنوينهما مجرورين)، فالثاني عطف بيان أو صفة، ورواه الأكثر سبع بدون باء، وتمرات بالتنوين، وعجوة (بالنصب عطف بيان أو صفة)، وروى تمرات عجوة، بإضافة تمرات لتاليه من إضافة العام للخاص **(من تمر العالية،)** أي القرى التي في الجهة العالية من المدينة، وهي جهة نجد، **(لم يضره)** (بضم الضاد المعجمة وشد الراء) من الضرر، وفي رواية: يضره (بكسر الضاد وسكون الراء) من ضاره يضيره ضيرًا إذا أضره، **(ذلك اليوم سم)** (بتثليث السين)، **(ولا سحر،)** وفي رواية: بتقديم سحر على سم، وفي أخرى: لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل.

قال المصنف: ومفهومه أن السر الذي في أكل العجوة من دفع ضرر السم والسحر يرتفع إذا دخل الليل.

قال الحافظ: ولم أقف في شيء من الطرق على حكم من تناول ذلك أول الليل، هل يكون كمن تناوله أول النهار حتى يندفع عنه ضرر السم والسحر إلى الصباح؟، قال: والذي يظهر خصوصية ذلك بالتناول أول النهار، لأنه حينئذٍ يكون الغالب أن تناوله على الريق، فيحتمل أن يلحق به من تناوله أول الليل على الريق، كالصائم.

قال تلميذه شيخنا الحافظ السخاوي: وقع في حديث الباب من رواية فليح، عن عامر بن سعد، قال: وأظنه قال: وإن أكلها حين يمسي لم يضره شيء حتى يصبح، رواه أحمد في مسنده؛ بل وقع عند الطبراني في الأوسط من حديث أبي طوالة، عن أنس، عن عائشة مرفوعًا: «من أكل سبع تمرات من عجوة المدينة في يوم»... الحديث، وفيه: ومن أكلهن ليلاً لم يضره. انتهى.

ثم قوله: من تمر العالية، ثبت في بعض طرق حديث سعد، وسقط من أكثرها، وفي مسلم عن عائشة، مرفوعًا: «إن في عجوة العالية شفاء، وإنها ترياق أول البكرة»، ورواه أحمد، بلفظ: في عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم.

وفي أبي داود عن جابر وأبي سعيد، والنسائي عن جابر، مرفوعًا: «العجوة من الجنَّة، وهي شفاء من السم»، أي: وذلك ببركة دعوته ﷺ لتمر المدينة، لا لخاصية في التمر، ثم هل ذلك خاص بزمنه ﷺ أو عام؟، قولان رجح بعضهم الأول، وقال الخطابي: وصف عائشة ذلك بعده ﷺ يرد قول من قال: إن ذلك خاص بزمنه.

نعم، من جربه وصح معه عرف استمراره، وإلا فهو مخصوص بزمانه، وأما التخصيص بالسبع، فقال النووي: لا يعقل معناه، كأعداد الصلوات ونصب الزكاة.

وقال القرطبي: الشفاء بالعجوة من باب الخواص التي لا تدرك بقياس ظني، قال: ومن

[ذكر طبه ﷺ لداء ذات الجنب]

في البخاري مرفوعًا: عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، منها ذات الجنب.

وفي الترمذي من حديث زيد بن أرقم قال: قال ﷺ: تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت.

أئمتنا من تكلف لذلك؛ بأن السموم إنما تقتل لإفراط بردها، فإذا داوم على التصبح بالعجوة، تحكمت فيه الحرارة، وأعانتها الحرارة الغريزية، فقاوم ذلك برودة السم ما لم يستحكم، لكن هذا يلزم منه رفع خصوصية عجوة المدينة، بل خصوصية العجوة مطلقًا، بل خصوصية التمر، فإن في الأدوية الحارة ما هو أولى من التمر، فتخصيص السبع لا يعلمه إلا اللّه، ومن أطلعه اللّه عليه. انتهى. وأيضًا، فإن سلم ذلك في السم لم يفد في السحر.

قال القرطبي: وقد جاء ذلك في مواطن كثيرة، كقوله ﷺ في مرضه: صبوا علي من سبع قرب، وقوله: «غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعًا»، وجاء هذا العدد في غير الطب، كقوله تعالى: ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات﴾ [يوسف: ٤٣] الآية، وحديث سبع، كسني يوسف، وكذا السبعون والسبعمائة، فما جاء من هذا العدد مجيء التداوي، فذلك لخاصية لا يعلمها إلا اللّه ومن أطلعه عليها، وما جاء في غيره، فالعرب تضع هذا العدد للكثر، لا لإرادة عدد بعينه ولا حصر.

قال المصنف: وقول ابن القيم إذا أديم أكل العجوة على الريق، يجفف مادة الدود ويضعفه، أو يقتله، فيه إشارة إلى أن المراد نوع خاص من السم، لكن سياق الحديث يقتضي التعميم، لأنه نكرة في سياق النفي؛ ويبقى القول في السحر، فالمصير إلى أن ذلك من سر دعائه ﷺ لتمر المدينة، ولكونه غرسه بيده الشريفة أولى.

ذكر طبه ﷺ لداء ذات الجنب

(في البخاري) ومسلم، **(مرفوعًا)** عن أم قيس بنت محصن، قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **(عليكم بهذا العود الهندي،)** أي استعملوه، **(فإن فيه سبعة أشفية،)** أي أدوية: جمع شفاء، كدواء وأدوية، وجمع الجمع: أشاف، **(منها: ذات الجنب،)** وأنه يسعط به من العذرة، فأخبر بسبعة وذكر ثنتين، إما لأنهما الموجودان حينئذٍ دون غيرهما، أو هو اختصار من الراوي، كما مر، **(وفي الترمذي)** والحاكم، وصححه **(من حديث زيد بن أرقم، قال: قال ﷺ تداووا من ذات الجنب بالقسط،)** (بضم القاف)، وفي لغة بالكاف بدل القاف **(البحري)**.

واعلم أن ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأعضاء، وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والأضلاع، فتحدث وجعًا.

فالأول هو ذات الجنب الحقيقي، الذي تكلم عليه الأطباء، ويحدث بسببه خمسة أمراض: الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري.

قال المازري: القسط صنفان بحري وهندي، والبحري هو القسط الأبيض، ويؤتى به من بلاد المغرب، وهو أفضل من الهندي وأقل حرارة منه، وقيل: هما حاران يابسان في الدرجة الثالثة، والهندي أشد حرًا، وتعقبه القرطبي بأن البحري الأبيض أحد نوعي العود الهندي، فكيف يؤتى به من بلاد المغرب، والفرض أنه هندي إلا أن يعني بالمغرب المغرب من بلاد الهند. انتهى.

وبه يعلم أنه لا تنافي بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق: يريد الكست، وهو العود الهندي، وقوله في حديث جابر المار أيضًا، فليأخذ قسطًا هنديًا، لأن المراد به أحد نوعي الهندي، وهو الأبيض البحري، كما في هذا الحديث؛ لكن في شرح المصنف؛ أن البحري يجلب من اليمن، ومنه ما يجلب من المغرب، **(والزيت)** المسخن؛ بأن يدق ناعمًا ويخلط به، ويدلك به محله، أو يلعق؛ فإنه نافع له محلل لمادته، مقو للأعضاء الباطنة، مفتح للسدد وغير ذلك.

قال بعض العلماء: على المريض والطبيب أن يعمل على أن الله أنزل الداء والدواء، وأن المرض ليس بالتخليط وإن كان معه، وأن الشفاء ليس بالدواء، وإن كان عنده، وإنما المرض بتأديب الله والبرء برحمته، حتى لا يكون كافرًا بالله مؤمنًا بالدواء، كالمنجم إذا قال: مطرنا بنوء كذا، ومن شهد الحكمة في الأشياء ولم يشهد مجريها، صار بما علم منها أجهل من جاهلها.

(واعلم أن ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن،) أي الداخل **(للأعضاء،)** أي فيها بحيث جعل كالبطانة، والمراد: الأعضاء الرئيسة، كالقلب والكبد ونحوهما، **(وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات:)** بكسر الصاد وتخفيف الفاء جمع صفاق.

قال في القاموس: ككتاب الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو ما بين الجلد والمصران، أو جلد البطن كله، **(والعضل:)** جمع عضلة (بفتح المهملة والمعجمة) كل عصبة معها لحم غليظ، **(التي في الصدر والأضلاع، فتحدث وجعًا، فالأول)** الذي هو ورم حار إلى آخره، **(هو ذات الجنب الحقيقي، الذي تكلم عليه الأطباء، ويحدث بسببه خمسة أمراض:**

ويقال لذات الجنب أيضًا: وجع الخاصرة، وهو من الأمراض المخوفة، لأنها تحدث بين القلب والكبد، وهو من سيىء الأسقام. والمراد بذات الجنب هنا الثاني، لأن القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوي به الريح الغليظة.

وقد حكى الإمام ابن القيم عن المسيحي أنه قال: العود حار يابس قابض، محبس للبطن، ويقوي الأعضاء الباطنة، ويطرد الريح ويفتح السدد، ويذهب فضل الرطوبة، نافع من ذات الجنب، جيد للدماغ. قال: ويجوز أن ينفع من ذات الجنب الحقيقية أيضًا إذا كان ناشئة عن مادة بلغمية، ولاسيما في وقت انحطاط العلة.

الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري،) أي تحرك العروق تحركًا شديدًا لأعلى وأسفل، حركة تشبه حركة المنشار.

(ويقال لذات الجنب أيضًا وجع الخاصرة،) مقتضى المقابلة أن يقول: وقد تطلق ذات الجنب على وجع الخاصرة، **(وهو من الأمراض المخوفة، لأنها تحدث بين القلب والكبد،)** تعليل مبني على التفسير الأول، الذي هو المعنى الحقيقي لذات الجنب، **(وهو من سيىء الأسقام،)** ولذا قال ﷺ: لما لدوه في مرضه، ظنًا منهم أن به ذات الجنب: ما كان الله ليسلطها علي، أي ما كان الله مريدًا لأن يسلطها علي رحمة بي ورأفة علي.

(والمراد بذات الجنب هنا الثاني،) المذكور بقوله: وقد يطلق على ما يعرض... الخ، **(لأن القسط، وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة).**

(وقد حكى الإمام ابن القيم عن المسيحي،) من فضلاء الأطباء؛ **(أنه قال: العود حار، يابس، قابض، محبس)** (بضم، فسكون، فكسر)، أي مانع **(للبطن)** من الإسهال، وهو عطف بيان لقابض، **(ويقوي الأعضاء الباطنة، ويطرد الريح، ويفتح السدد، ويذهب فضل الرطوبة،)** أي زيادتها، **(نافع من ذات الجنب، جيد للدماغ، قال: ويجوز أن ينفع من ذات الجنب الحقيقية أيضًا إذا كان ناشئة عن مادة بلغمية، ولا سيما في وقت انحطاط العلة،)** أي نقصانها.

قال المازري: اعترض بعض الملحدة على هذا الحديث، وقال القسط: لا ينفع من ذات الجنب لشدة حرارته والتداوي به خطر، وهذا باطل؛ فقد ذكر بعض قدماء الأطباء أن ذات الجنب الحادثة من البلغم، علاجها بالقسط.

وذكر ابن سينا وغيره؛ أن شربه ينفع من وجع الصدر، وقال جالينوس: ينفع من وجع الكبد والجنبين.

وقال بعض القدماء: إنه يستعمل لإسخان عضو وجلب خلط من باطن الجسد إلى ظاهره،

[ذكر طبه ﷺ لداء الاستسقاء]

عن أنس قال: قدم رهط من عرينة وعكل على النبي ﷺ. فاجتووا المدينة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال ﷺ: لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل، وحاربوا الله

وبهذا وصفه ابن سينا وهذا كله يبين كذب هؤلاء الملحدة، وقد تطابق الأطباء على أنه يدر البول والطمث، وينفع من السموم، ويحرك شهوة الجماع، ويقتل الدود وحب القرع في الأمعاء إذا شرب بعسل، ويذهب الكلف إذا طلي به، وينفع من ضعف الكبد والمعدة وبردهما، ومن حمى الورد والربع، ومن النافض لطوخًا بالزيت، ومن البرد الكامن والفالج والاسترخاء، فأنت ترى هذه المنافع التي ذكرها الأطباء، فصار ممدوحًا طبًا وشرعًا. انتهى ملخصًا وقدمته بنحوه.

ذكر طبه ﷺ لداء الاستسقاء

(عن أنس) بن لملك رضي الله عنه، **(قال: قدم رهط من عرينة:)** (بضم العين وفتح الراء المهملتين) حي من قحطان، **(وعكل:)** (بضم العين وسكون الكاف، فلام) حي من تيم الرباب، وعند أبي عوانة عن أنس: أربعة من عرينة وثلاثة من عكل، ولا يخالف رواية البخاري في الجهاد والديات عن أنس أن ناسًا من عكل ثمانية، لاحتمال أن الثامن من غير القبيلتين، وكان من أتباعهم، فلم ينسب **(على النبي ﷺ، فاجتووا المدينة)** (بجيم وواوين)، أي أصابهم الجوى، وهو داء الجوف إذا تطاول، أو كرهوا الإقامة بها لما فيها من الوباء، أو لم يوافقهم طعامها، **(فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ.)** وفي رواية للبخاري، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف؛ وله في أخرى؛ أن ناسًا كان بهم سقم، قالوا: يا رسول الله، آونا وأطعمنا، فلما صحوا، قالوا: إن المدينة وخمة، والظاهر؛ أنهم قدموا سقامًا من الهزال الشديد والجهد من الجوع مصفرة ألوانهم، فلما صحوا من السقم أصابهم من حمى المدينة، فكرهوا الإقامة بها، ولمسلم عن أنس: وقع بالمدينة الموم (بضم الميم وسكون الواو)، وهو ورم الصدر، فعظمت بطونهم، فقالوا: يا رسول الله إن المدينة وخمة، **(فقال ﷺ: لو خرجتم إلى إبل الصدقة، فشربتم من ألبانها وأبوالها)** لزال عنكم هذا المرض، أو لو للتمني، فلا يحتاج للجواب، وفي رواية: فاشربوا بالأمر الصريح، وأخرى: فرخص لهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا، أي لأنهم أبناء سبيل، وفي رواية: الحقوا بإبل رسول الله، وفي أخرى: هذه نعم لنا تخرج فاخرجوا فيها، وجمع بأن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة، وصادف بعثه ﷺ بلقاحه إلى المرعى، طلب هؤلاء الخروج، فأمرهم بالخروج مع راعيه، فرخص لهم في الشرب من إبل الصدقة، لأنهم أبناء سبيل كما علم، وأما لقاحه فبإذنه، **(فلما صحوا عمدوا:)** (بفتح الميم) قصدوا.

ورسوله، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا. رواه الشيخان.

وفي رواية للبخاري: فانطلقوا وشربوا، وفي أخرى: وصحوا، وأخرى، وسمنوا ورجعت إليهم ألوانهم، وكفروا بعد إسلامهم، وعمدوا (**إلى الرعاة فقتلوهم**) (بضم الراء) جمع راع كقضاة وقاض.

قال الحافظ: لم تختلف روايات البخاري في أن المقتول راعيه ﷺ، وفي ذكره بالأفراد، وكذا لمسلم، لكن عنده في رواية: ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم (بصيغة الجمع)، فيحتمل أن لإبل الصدقة رعاة، فقتل بعضهم مع راعي اللقاح النبوية، فاقتصر بعض الرواة عليه، وذكر بعضهم معه غيره، ويحتمل أن بعض الرواة ذكره بالمعنى، فتجوز في الإتيان بصيغة الجمع، وهذا أرجح، لأن أصحاب المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار راعيه ﷺ.

وفي صحيح أبي عوانة: فقتلوا أحد الراعيين، وجاء الآخر قد جزع، فقال: قد قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل، ولم أقف على اسم الآخر. انتهى.

(**واستاقوا الإبل:**) ساقوها من السوق، وهو السير العنيف، (**وحاربوا الله ورسوله،**) أي فعلوا فعل المحارب، (**فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم**) (بالمد)، أي وراءهم عشرين فارسًا، أميرهم كرز بن جابر على الصحيح (بضم الكاف وسكون الراء وزاي منقوطة)، ومرت القصة مبسوطة في المغازي، (**فأخذوا،**) وللبخاري: فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهار جيء بهم، (**فقطع**) (بخفة الطاء) (**أيديهم وأرجلهم**).

زاد الترمذي والإسمعيلي من خلاف، وبه رد الحافظ قول الداودي: فقطع يدي كل واحد ورجليه، (**وسمل أعينهم**) (بفتح المهملة والميم ولام مخففًا، أي فقأها بحديدة محماة).

قال الحافظ: لم تختلف روايات البخاري في أنه سمر (بالراء وخفة الميم)، وفي رواية لمسلم: باللام، قال الخطابي: السمل فقء العين بأي شيء كان، وبالراء لغة فيه، ومخرجها متقارب، وقد يكون من المسمار، يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت، قلت: وقع التصريح بالمراد عند البخاري في الجهاد وفي المحاربين، ولفظه: ثم أمر بمسامير فأحميت، ثم كحلهم بها، فهذا يوضح ما تقدم، ولا يخالف رواية اللام، لأنه فقء العين بأي شيء كان. انتهى.

(**وألقاهم في الشمس حتى ماتوا،**) وكانوا قطعوا يدي الراعي ورجليه، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، كما عند ابن سعد، فيكون ما فعل بهم قصاصًا كما أشار إليه أنس، بقوله: «إنما سمل ﷺ أعينهم، لأنهم سملوا أعين الرعاة»، رواه مسلم، ومال إليه جماعة، وإسناد الفعل في جميع ذلك إلى النبي ﷺ مجاز، والمراد أمر، كما صرح به في روايات أخر.

واعلـم أن الاستسقاء مرض مادي، سببه مادة غريبة باردة تـحلل الأعضاء فتربو بها، إما الأعضاء الظاهرة كلها، وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط.

وأقسامه ثلاثة: لحمي، وهو أصعبها، وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الأعضاء. وزقي: وهو الذي يجتمع معه في البطن الأسفل مادة مائية ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق، وهو أردأ أنواعه عند أكثر الأطباء. وطبلي: وهو الذي تنتفخ معه البطن بمادة ريحية، إذا ضربت عليه سمعت له صوتًا كصوت الطبل.

وإنما أمرهم عليه الصلاة والسلام بشرب ذلك، لأن في لبن اللقاح جلاء وتليينًا وإدرارًا وتلطيفًا وتفتيحًا للسدد، إذا كان أكثر رعيها الشيخ والقيصوم

(رواه الشيخان،) واللفظ لمسلم وزاد في رواية: قال سلام: فبلغني أن الحجاج قال لأنس: حدثني بأشد عقوبة عاقبه النبي ﷺ، فحدثه بهذا الحديث، فبلغ الحسن البصري، فقال: وددت أنه لم يحدثه بهذا، وللإسمعيلي: فوالله ما انتهى الحجاج حتى قام على المنبر، فقال: حدثنا أنس، فذكر الحديث، وقال: قطع النبي ﷺ الأيدي والأرجل، وسمر الأعين في معصية الله، أفلا نفعل مثل ذلك في معصية الله؟.

(واعلم أن الاستسقاء مرض مادي،) أي سببه مادة تفسد الجسد، كما قال: **(سببه مادة غريبة باردة تـحلل الأعضاء فتربو،)** أي تزيد **(بها إما الأعضاء الظاهرة كلها،)** بأن تنفتح مثلاً بسبب تلك المادة، **(وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط، وأقسامه ثلاثة: لحمي، وهو أصعبها)** من جهة شدته في البدن، **(وهو الذي يربو:)** يزيد **(معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو،)** أي تنتشر **(مع الدم في الأعضاء، و)** الثاني: **(زقي)** (بزاي وقاف)، **(وهو الذي يجتمع معه في البطن الأسفل مادة مائية ردية، يسمع لها عند الحركة خضخضة،)** أي تحرك واضطراب، **(كالماء في الزق،)** والمراد: أثر الخضخضة، وهو الصوت اللازم للتحرك، الناشىء عن التحريك لأنفسها، لأنها تحريك الماء والسويق، كما في القاموس، **(وهو أردأ أنواعه عند أكثر الأطباء)** من حيث تعسر دوائه وعلاجه، **(وطبلي: وهو الذي تنتفخ معه البطن بمادة ريحية إذا ضربت عليه سمعت له صوتًا كصوت الطبل،)** وهو أخفها، **(وإنما أمرهم عليه الصلاة والسلام بشرب ذلك)** اللبن والبول، **(لأن في لبن اللقاح جلاءً وتليينًا وإدرارًا وتلطيفًا وتفتيحًا للسدد إذا).**

والبابونـج والأقحوان والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء خصوصًا إذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع، مع بول الفصيل، وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول وإطلاقه البطن.

وأما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل: أن بعض الناس مرض بمعدته، فرأى الشيخ الجليل أبو محمد المرجاني النبي ﷺ وهو يشير بهذا الدواء، وهو أن يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى، ويكون ملتوتًا بالمصطكى بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز، يفعل ذلك سبعة أيام

وفي نسخة: إذ **(كان أكثر رعيها الشيح)** (بالكسر): نبت معروف **(والقيصوم:)** (فيعول) من نبات البادية، قال في القاموس: وهو صنفان أنثى وذكر، النافع منه أطرافه، وزهره مر جدًا، ويدلك البدن به للناقض، فلا يقشعر إلا يسيرًا، ودخانه يطرد الهوام، وشرب سحيقه نبأ نافع لعسر النفس والبول والطمث ولعرق النساء، وينبت الشعر ويقتل الدود **(والبابونـج:)** زهرة معروفة كثيرة النفع، **(والأقحوان:)** (بالضم) البابونج، كما في القاموس، فالعطف مرادف **(والإذخر:)** (بكسر الهمزة والخاء) نبات معروف ذكي الريح، وإذا جف ابيض، **(وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء، خصوصًا إذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل، وهو حار، كما يخرج من الحيوان،)** أي وقت خروجه قبل أن يبرد، **(فإن ذلك،)** أي ضم بول الفصيل إلى اللبن **(مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول وإطلاقه البطن،)** فيخرج الداء الذي فيه.

(وأما ضعف المعدة،) مستأنفًا ليس قسيمًا لشيء، وناسب ذكره عقب الاستسقاء، لأنه قد يكون سببًا في ضعفها إذا برىء، إذ سببه المادة المفسدة للمعدة، **(فذكر ابن الحاج في المدخل؛ أن بعض الناس مرض بمعدته، فرأى الشيخ الجليل أبو محمد)** عبد الله بن محمد القرشي، **(المرجاني،)** الإمام القدوة، الواعظ المفسر، أحد الأعلام في الفقه والتصوف، قدم مصر ووعظ بها، واشتهر في البلاد وامتحن، وأفتى العلماء بتكفيره، فلم يؤثروا، فعملوا عليه الحيلة، فقتل بتونس سنة تسع وسبعين وستمائة، كما في اللواقح، **(النبي ﷺ)** في المنام، **(وهو يشير بهذا الدواء، وهو أن يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى، ويكون ملتوتًا بالمصطكى)** (بالفتح والضم ويمد في الفتح فقط)، علك رومي أبيض نافع، والمقعدة، قاله القاموس، وفي المصباح: (بضم الميم وتخفيف الكاف)، والقصر أكثر من المد.

وقال ابن خالويه: يشدد فيقصر، ويخفف فيمد، وحكى ابن الأنباري: فتح الميم والتخفيف والمد، وحكى ابن الجواليقي ذلك، لكنه قال: والقصر، وكذا قال الفارابي، لكنه قال

ففعله فبرىء.

ومرض بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني أيضًا النبي ﷺ وهو يشير بهذا الدواء: أوقية ونصف أوقية عسل نحل، ودرهمان شونيز، ومثلهما آنيسون، ونصف أوقية من النعنع الأخضر، ومن القرنفل درهم، ومن القرفا نصف درهم، وشيء من قشر الليمون، مع قليل من الخل، ويعقد ذلك على النار، فاستعمله فبرىء.

ومرض آخر بسلس الريح، فرأى الشيخ المرجاني النبي ﷺ وهو يشير بهذا الدواء: شونيز ثلاثة دراهم، ومن خزامى درهمين ونصف، ومن الكمون الأبيض ثلاثة دراهم، ومثله من السعتر الشامي ومثله من الغليا، ووزن درهم من البلوط وهو ثمرة الفؤاد، وأوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من عسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل، ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق، وعند النوم وزن درهم

مصطكي: بالتاء والميم أصلية، وهي رومية معربة (**بعد دقها، ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز:**) (بفتح الشين) الحبة السوداء على الأشهر، (**يفعل ذلك سبعة أيام، ففعله فبرىء**) ببركة المصطفى، (**ومرض بعض الناس ببرد المعدة، فرأى الشيخ المرجاني أيضًا النبي ﷺ، وهو يشير بهذا الدواء، أوقية ونصف عسل نحل ودرهمان شونيز ومثلهما آنيسون، ونصف أوقية من النعنع**) (بزنة جعفر وهدهد)، أو كجعفر، وهم للجوهري بقل معروف أنجع دواء للبواسير، ضمادًا بورقه، وضماده بملح لعضة الكلب وللسعة العقرب، واحتماله قبل الجماع يمنع الحبل، ويقال: نعناع أيضًا كما في القاموس (**الأخضر، ومن القرنفل درهم، ومن القرفا نصف درهم، وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل، ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرىء**).

(**ومرض آخر بسلس الريح، فرأى الشيخ المرجاني النبي ﷺ، وهو يشير بهذا الدواء شونيز**) (بالجر بدل من هذا الدواء)، (**ثلاثة دراهم، ومن خزامي درهمين ونصف،**) بجره أيضًا عطف على شونيز قدم عليه متعلقة، وهو من خزامى، وهذا ظاهر، فلا وجه لمن قال صوابه درهمان، (**ومن الكمون الأبيض ثلاثة دراهم، ومثله من السعتر الشامي، ومثله من الغليا،**) أي من كل منهما ثلاثة دراهم (**ووزن درهم من البلوط**) (بفتح الموحدة وضم اللام مشددة)، (**وهو ثمرة الفؤاد،**) أي المسمى بذلك، وفي القاموس: البلوط كتنور شجر كانوا يغتذون بثمره قديمًا، بارد يابس، ثقيل، غليظ، ممسك للبول، وبلوط الأرض: نبات ورقه كالهندباء، مدر، مفتح، مضمر للطحال، (**وأوقية من الزيت المرقي، يجعل فيه من عسل النحل ما يعقد به، وهو ربع رطل، ويؤخذ منه غدوة النهار،**) أي أوله (**وزن درهمين على الريق، وعند النوم وزن درهم،**)

ونصف، فاستعمله فبرىء. ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي أخبره بهذا الدواء إنه ينفع لأدواء وهي: الريح، وسلس الريح، والمعدة وبرودتها، ووجع الفؤاد وألم الحيض، والنفاس، ولتعقد الرياح.

والزيت المرقي: صفته أن تأخذ شيئًا من الزيت الطيب، وتجعله في إناء نظيف وتحركه بعود وتقرأ عليه الإخلاص والمعوذتين، و ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ إلى آخر السورة ﴿**وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ ﴿**ولو أنزلنا هذا القرءان**﴾ إلى آخر السورة.

وحصل لآخر قولنج، فرأى الشيخ المرجاني النبي ﷺ فأشار بهذا الدواء: وهو أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل، ووزن درهم وصف من الزيت المرقي، وإحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه، ويفعل مثله عند النوم، يفعل ذلك حتى يبرأ، ويعمل له التلبنية ويستعملها بعد أن يفطر على ذلك،

ونصف فاستعمله فبرىء، ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص، الذي أخبره بهذا الدواء) على لسان المرجاني: (**إنه ينفع لأدواء**) أمراض عديدة، (**وهي: الريح وسلس الريح، والمعدة وبرودتها، ووجع الفؤاد، وألم الحيض والنفاس، ولتعقد الرياح والزيت المرقي، صفته أن تأخذ شيئًا من الزيت الطيب، وتجعله في إناء نظيف وتحركه بعود، وتقرأ عليه الإخلاص والمعوذتين، ﴿ولقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخر السورة، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ إلى آخر السورة،**) والظاهر أن هذه الصفة معلومة عندهم، إلا أنها علمها النبي ﷺ لذلك الشخص الذي قال له: إنه ينفع لأدواء عديدة، بدليل أنه في وصفه للمرجاني قال: والزيت المرقي، فيفيد أن صفة رقيته بهذا كانت معلومة عندهم قبل ذلك.

(**وحصل لآخر قولنج**) (بضم القاف وفتح اللام)، قال في القاموس: وقد تكسر لامه، أو هو مكسور اللام، (وبفتح القاف وبضم): مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثقل والريح، (**فرأى الشيخ**) المرجاني (**النبي ﷺ، فأشار بهذا الدواء، وهو أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل، ووزن درهم ونصف من الزيت المرقي، وإحدى وعشرين حبة من الشونيز، ويخلط الجميع، ثم يفطر عليه، ويفعل مثله عند النوم، يفعل ذلك حتى يبرأ، ويعمل له التلبينة**) (بفتح الفوقية وسكون اللام وكسر الموحدة، وسكون التحتية ونون مفتوحة فهاء)، وقد تحذف، (**ويستعملها بعد أن يفطر على ذلك، والتلبينة حساء**) (بفتح الحاء والسين المهملتين والمد)،

والتلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة، وربما عمل فيها عسل، ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج أو لحم الضأن، ففعله فبرأ بعد أن أعيا الأطباء.

ومرض آخر بوجع الظهر، فشكا ذلك للشيخ فرأى النبي ﷺ وهو يشير بهذا الدواء، وهو عسل نحل وشونيز ودهن الإلية والزيت المرقي، ورقيق البيضة، ويخلط ذلك كله، ويمده على الموضع ويدر عليه دقيق العدس بقشرة مع الحرمل بعدما يدق دقًا ناعمًا حتى يعود مثل الدقيق؛ ففعله فبرئ.

وشكا بعض الناس الدوخة في رأسه فرأى الشيخ النبي ﷺ في النوم فأشار إلى هذا الدواء: قرنفل وزنجبيل وقرفة وجوزة طيب وسنبل، من كل واحد درهم ونصف، وشونيز درهمين، يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل، فإذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون، فيكون عسل النحل غالبًا عليه، ففعله فبرئ، انتهى.

(**يعمل**) أي يطبخ (**من دقيق أو نخالة، وربما عمل فيها عسل،**) وربما عمل لبن، سميت بذلك تشبيهًا لها باللبن في بياضها ورقتها، (**ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج أو لحم الضأن، ففعله، فبرأ بعد أن أعيا الأطباء**).

وفي الصحيحين، عن عروة، عن عائشة: أنها كانت تأمر بالتلبينة للمريض وللمحزون على الهالك، وتقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن» (بضم الفوقية وكسر الجيم وشد الميم، وبفتح الفوقية وضم الجيم)، وفي رواية: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض»... الحديث.

قال القرطبي: روي مجمة (بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم)، أي تريح قلبه وتسكنه وتقويه، (**ومرض أخر بوجع الظهر، فشكا ذلك للشيخ**) المرجاني، (**فرأى النبي ﷺ وهو يشير بهذا الدواء، وهو عسل نحل وشونيز ودهن الإلية، والزيت المرقي ورقيق البيضة،**) المسمى عرفًا بياض البيض، (**ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع**) الموجوع، (**ويدر عليه دقيق العدس بقشره مع الحرمل:**) نبات بالبادية له حب أسود، وقيل: حب كالسمسم (**بعد ما يدق ناعمًا حتى يعود مثل الدقيق، ففعله فبرئ**) (بكسر الراء وفتحها)، (**وشكا بعض الناس الدوخة في رأسه، فرأى الشيخ**) المرجاني (**النبي ﷺ في النوم، فأشار إلى هذا الدواء: قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل، من كل واحد درهم ونصف، وشونيز درهمين، يدق الجميع ويطبخ، ويعقد بعسل النحل، فإذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون، ويكون عسل النحل غالبًا عليه، ففعله فبرئ. انتهى**) كلام المدخل، (**وهذا**)

وهذا وإن كان منامًا فقد عضدته التجربة مع إرشاد الشيخ المرجاني لذلك.

[ذكر طبه ﷺ من داء عرق النسا]

وهو بفتح النون والمهملة، المرض الحال بالعرق، والإضافة فيه من باب إضافة الشيء إلى محله. قيل: وسمي بذلك لأن ألمه ينسي ما سواه. وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي إلى آخر القدم وراء الكعب.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: دواء عرق النسا ألية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء، ثم يشرب على الريق في كل يوم جزاء. رواه ابن ماجه.

وهذا الدواء خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم، وهو أنفعه لهم، لأن

كله (**وإن كان منامًا فقد عضدته التجربة مع إرشاد الشيخ المرجاني لذلك**،) فلا بأس بالعمل به بصدق النية.

ذكر طبه ﷺ من داء عرق النسا ، وهو بفتح النون والمهملة

والقصر (**المرض الحال بالعرق**،) أي عرق الفخذ، (**والإضافة فيه من باب إضافة الشيء إلى محله**) المناسب لتفسيره، أن يقول من إضافة المحل إلى الحال فيه، وفي القاموس: أن النسا اسم للعرق نفسه لا للمرض، إذ قال: النسا عرق من الورك إلى الكعب، ويثنى نسوان ونسيان، قال الزجاج: لا تقل عرق النسا، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه. انتهى.

فيؤول إذا أضيف بأنه من إضافة المسمى إلى الاسم، (**قيل: وسمي بذلك، لأن ألمه ينسي ما سواه**،) فهو من النسيان، وقيل: من النسء التأخير، لأنه يطول ويتأخر برؤه، (**وهذا العرق ممتد من مفصل الورك، وينتهي إلى آخر القدم وراء الكعب**).

(**عن أنس**) بن ملك (**أن رسول الله ﷺ قال: دواء عرق النسا إلية شاة**) (بفتح الهمزة وإسكان اللام مخففًا).

قال ابن السكيت وجماعة: ولا تكسر الهمزة، ولا يقال ألية بالتشديد، والجمع أليات، مثل: سجدة وسجدات، والتثنية أليان، (بحذف التاء على غير قياس)، وبإثباتها في لغة على القياس (**أعرابية**) (التاء في شاة للوحدة، فيصدق بالذكر والأنثى، لكن في رواية: بألية، كبش ليس بالعظيم ولا بالصغير، وفي أخرى: كبش أسود، فتحمل رواية شاة على الذكر الأسود الذي ليس بكبير ولا صغير، لأن المطلق يحمل على المقيد، (**تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء**) متساوية، (**ثم يشرب على الريق في كل يوم جزاء**).

(**رواه ابن ماجه: وهذا الدواء خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم**) من غيرهم،

هذا المرض يحدث من يبس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة، فعلاجها بالإسهال. والألية فيها الخاصيتان: الإنضاج والتليين. وهذا المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين. وفي تعيين الشاة الأعرابية، قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها، وخاصية مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البر الحارة، كالشيح والقيصوم ونحوهما، وهذه إذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها، بعد أن تلطفه تغذية، وتكسبها مزاجًا ألطف منها ولاسيما الألية.

[ذكر طبه ﷺ من الورم]

والخراجات بالبط والبزل، يذكر عن علي رضي الله عنه قال: دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعوده، بظهره ورم، فقالوا: يا رسول الله، بهذه معدة فقال: بطوا عنه، قال علي: فما برحت حتى بطت، والنبي ﷺ شاهد.

لأن للمجاورة تأثيرًا، (وهو أنفعه لهم، لأن هذا المرض يحدث من يبس، وقد يحدث من مادة **غليظة لزجة،**) أي متعلقة، (**فعلاجها بالإسهال والإلية، فيها الخاصيتان: الإنضاج،**) وهو تهيئته للحالة التي يسهل خروجه بعدها، من أنضجت اللحم إذا سويته بالطبخ (**والتليين، وهذا المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين، وفي تعيين الشاة الأعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البر الحارة، كالشيح والقيصوم ونحوهما، وهذه**) الأعشاب (**إذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد أن تلطفه،**) أي تلطف تلك الأعشاب لحمها (**تغذية**) (بالرفع اسم صار)، (**وتكسبها مزاجًا ألطف منها، ولا سيما الإلية**).

ذكر طبه ﷺ من الورم

أي الغلظ من المرض، وجمعه أورام، والفعل ورم يرم (بكسر الراء فيهما) (**والخراجات**) (بخاء معجمة وجيم)، مخففًا: جمع خراج كغراب (**بالبط،**) أي الشق (**والبزل**) (بموحدة، وزاي عطف مرادف)، يقال: بزل الشيء إذا ثقبه وأخرج ما فيه، (**يذكر عن علي رضي الله عنه، قال: دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعوده بظهره ورم، فقالوا: يا رسول الله بهذه معدة:**) (بكسر الميم) قيح غليظ، (**فقال: بطوا،**) أي شقوا (**عنه،**) أي عما احتبس فيه، (**قال علي: فما برحت،**) أي زلت من مكاني (**حتى بطت والنبي ﷺ شاهد،**) أي حاضر.

[ذكر طبه عليه الصلاة والسلام بقطع العروق والكي جميعًا]

روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أُبي بن كعب طبيبًا، فقطع له عرقًا وكواه عليه.

وأخرج مسلم عن جابر: لما رمي سعد بن معاذ في أكحله، جسمه النبي ﷺ.

وروى الطحاوي، وصححه الحاكم عن أنس قال: كواني أبو طلحة في

ذكر طبه عليه الصلاة والسلام بقطع العروق والكي جميعًا

كما في الحديث الأول، وبالكي وحده كما في بقية الأحاديث التي ساقها، ولم يذكر الطب بقطع العرق وحده، وسواء كان ذلك في نفسه بناءً على تسليم أنه اكتوى، أو لغيره بإرشاده لمن يفعله في نفسه أو غيره.

(**روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب**) بن قيس الأنصاري، النجاري، سيد القراء، من فضلاء الصحابة، (**طبيبًا فقطع له عرقًا**) أي فصده (**وكواه عليه**).

وفي رواية لمسلم أيضًا، عن جابر، قال: رمى أبي يوم الأحزاب على أكحله، فكواه رسول الله ﷺ، أي أمر بكيه.

قال القرطبي: فيه دلالة على أنه لا يلي عمل الشيء إلا من يعرفه، وعلى جواز الكي إذا صحت منفعته أو دعت إليه حاجة، والنهي عنه إنما هو إذا وجد عنه غنى، ولذا لا يقال أن أبيا المشهود؛ بأنه اقرأ الأمة، وسعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمٰن لموته ليسا من السبعين ألفًا الذين لا يكتوون.

(**وأخرج مسلم عن جابر: لما رمي**) (بضم الراء مبني للمجهول) (**سعد بن معاذ**) يوم الخندق (**في أكحله:**) (بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الحاء المهملة) عرق في الذراع يفصد، قال الخليل: هو عرق الحياة، ويقال له نهر الحياة، في كل عضو منه شعبة، له اسم آخر، وإذا قطع في اليد لم يرقا الدم.

قال أبو حاتم: يقال له في اليد الأكحل، وفي الفخذ النسا، وفي الظهر الأبهر (**جسمه،**) أي قطع دمه بالكي (**النبي ﷺ**) بيده بمشقص، ثم ورمت الثانية فحسمه، هذا بقية الحديث في مسلم: (بميم مكسورة ومعجمة ساكنة، فقاف، فمهملة) نصل السهم الطويل.

(**وروى الطحاوي، وصححه الحاكم عن أنس قال: كواني أبو طلحة**) زيد بن سهل

زمن النبي ﷺ.

وعند الترمذي: أنه ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة.

وروى مسلم عن عمران بن حصين قال: كان يُسلَّم علي حتى اكتويت فتُرِكت، ثم تركت فعاد. وفي رواية: إن الذي كان انقطع عني رجع إلي، يعني تسليم الملائكة.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران: نهى رسول الله ﷺ عن الكي، فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا، الحديث.

الأنصاري زوج أم أنس (**في زمن النبي ﷺ**) لمرض اقتضى العلاج بالكي.

(**وعند الترمذي؛ أنه ﷺ كوى أسعد بن زرارة**) الأنصاري، الخزرجي، قديم الإسلام، شهد العقبات الثلاثة، ومات قبل بدر باتفاق، قال الواقدي: في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة، وصلى عليه النبي ﷺ ودفن بالبقيع، (**من الشوكة،**) هي حمرة تعلو الوجه، بلفظ: واحدة الشوك.

(**وروى مسلم عن عمران بن حصين**) (بمهملتين)، مصغر ابن عبيد الخزاعي أبي نجيد (بنون وجيم)، مصغر من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وكان مجاب الدعوة، بعثه عمر إلى البصرة ليفقه أهلها، فأقام إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين. وقيل: سنة ثلاث وأبوه صحابي، (**قال: كان يسلم علي**) (بالبناء للمفعول، أي كانت الملائكة تسلم علي (**حتى اكتويت**) قبل وفاته بسنتين، كما رواه الحرث بن أبي أسامة، (**ثم تركت الكي، فعاد:**) رجع إليَّ تسليم الملائكة.

وعند الدارمي عن مطرف، قال عمران بن حصين: إني محدثك بحديث؛ أنه كان يسلم علي، وأن ابن زياد أمرني فاكتويت، فاحتبس عني حتى ذهب أثر الكي.

(**وفي رواية**) لمسلم، أيضًا عن عمران: (**إن الذي كان انقطع عني**) بسبب الكي (**رجع إلي، يعني تسليم الملائكة،**) أي الحفظة، قال أبو عمر: يقول عنه لأهل البصرة؛ أنه كان يرى الحفظة، وكانت تكلمه حتى اكتوى، ففقده ثم عاد إليه؛ ومراد المصنف من سياق هذا معارضته للأحاديث قبله، الدالة على الجواز، ويأتي له الجمع قريبًا، وليس مراده الاستدلال به على الترجمة، وترجى أن وجه الدلالة إقراره ﷺ له بعد فعله فاسد، لأن عمران إنما اكتوى قبل موته بسنتين، كما رواه الحرث، وذلك بعد النبي ﷺ بأربعين سنة.

(**وروى أحمد وأبو داود والترمذي**) بسند قوي، (**عن عمران**) رضي الله عنه: (**نهى رسول الله ﷺ عن الكي، فاكتوينا، فما أفلحنا ولا أنجحنا،**) أي ما ظفرنا بمطلوبنا، وإنما اكتووا مع النهي، لأنهم فهموه على الكراهة، أو على خلاف الأولى، كما قاله المتن بعد أسطر. وفي

وإنما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنقطع مادته إلا به، ولهذا وصفه ﷺ ثم نهى عنه، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولذا كانت العرب تقول في أمثلتها: آخر الدواء الكي.

والنهي فيه محمول على الكراهة أو على خلاف الأولى، لما يقتضيه مجموع الأحاديث، وقيل: إنه خاص بعمران لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خطرًا فنهاه عن كيه، فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح

وقال ابن قتيبة: الكي نوعان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اكتوى. لأنه يريد أن يدفع القدر، والقدر لا يدافع، والثاني: كي

لفظ: فلم تفلحن ولم تنجحن، أي الكيات، ونجح كمنع... (الحديث،) كذا في النسخ: فيقتضي أن له بقية مع أنه ليس له بقية، وقد أحسن في شرحه تبعًا للحافظ، فلم يقل الحديث، (**وإنما يستعمل الكي في الخلط الباغي**،) أي المتجاوز في خروج الدم، يقال: بغى الجرح إذا تراخى إلى الفساد، ومنه البغي الظلم والاعتداء والفساد، (**الذي لا تنقطع مادته إلا به**،) أي الكي، (**ولذا وصفه ﷺ، ثم نهى عنه**،) فقال الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي، رواه البخاري عن ابن عباس: (**وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم**) (بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة) الإشراف على الهلاك وخوف التلف، (**ولذا كانت العرب تقول في أمثلتها: آخر الدواء الكي**،) وآخر الطب الكي.

قال السخاوي: كلام معناه أنه بعد انقطاع معرفة الشفاء يعالج به، ولذا كان أحد ما حمل عليه النهي عن الكي وجود طريق مرجو للشفاء سواه، (**والنهي فيه محمول على الكراهة، أو على خلاف الأولى لما يقتضيه مجموع الأحاديث**) السابقة وغيرها من جوازه والنهي عنه، فيجمع بينها بذلك.

(**وقيل: إنه**،) أي النهي (**خاص بعمران**،) يعني: ومن شابهه في مرضه، بدليل قوله: وأنهى أمتي عن الكي، (**لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خطرًا، فنهاه عن كيه، فلما اشتد عليه كواه**) حملاً له على التنزيه؛ (**فلم ينجح**:) لم يظفر بزوال الباسور ولا ينافي ذلك ما رواه الحرث في مسنده عن الحسن عن عمران أنه شكا بطنه، فلبث زمانًا طويلاً، فدخل عليه رجل، فأمره بالكي، فاكتوى قبل وفاته بسنتين، وكان يسلم عليه، فلما اكتوى فقده، ثم عاد إليه، لأن وجع بطنه نشأ من اشتداد الباسور، لأنه يحبس الريح والغائط.

(**وقال ابن قتيبة: الكي نوعان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل**

الجرح إذا فسد، والعضو إذا قطع، فهو الذي شرع التداوي له، فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير محقق.

وحاصل الجمع: أن الفعل يدل على الجواز، وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على أن تركه أرجح من فعله، ولهذا وقع الثناء على تاركه، وأما النهي عنه فإما على سبيل الاختيار والتنزيه، وإما عما لا يتعين طريقًا إلى الشفاء.

وقال بعضهم: إنما نهى ﷺ عنه مع إثباته الشفاء فيه إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك، ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء، فيتعجل الذي يكتوى التعذيب بالنار لأمر مظنون.

من اكتوى **لأنه يريد أن يدفع القدر، والقدر لا يدافع،)** إذ لا بد من وقوعه.

(والثاني: كي الجرح إذا فسد، والعضو إذا قطع، فهو الذي شرع التداوي له،) أي بالكي، **(فإن كان الكي لأمر محتمل، فهو خلاف الأولى، لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير محقق،)** إذ الشفاء بالدواء محتمل، فلا ينبغي فعله.

(وحاصل الجمع) بين الأحاديث **(أن الفعل يدل على الجواز، وعدم الفعل لا يدل على المنع،)** لجواز إن تركه خوفًا من الألم لا لمنع الفعل، **(بل يدل على أن تركه أرجح من فعله،)** لأن تركه مع الإخبار بأن فيه شفاء، وحرص النفس على الخلاص من المرض دليل على أن الترك لمرجح عنده، **(ولهذا وقع الثناء على تاركه)** في حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لقوله ﷺ: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

(وأما النهي عنه، فإما على سبيل الاختيار والتنزيه، وإما عما،) أي عن كي **(لا يتعين طريقًا إلى الشفاء،)** فما نكرة موصوفة.

(وقال بعضهم: إنما نهى ﷺ عنه مع إثباته الشفاء فيه،) بقوله: الشفاء في ثلاث... الحديث المار قريبًا.

ورواه البخاري أيضًا ومسلم من حديث جابر بلفظ: إن كان في شيء من أدويتكم شفاء، ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار، وما أحب أن أكتوي، **(إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم،)** أي يقطع **(الداء بطبعه، فكرهه لذلك،)** لأنه اعتقاد باطل، فالشافي إنما هو الله تعالى، فهو الذي يحسمه، **(ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء، فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون،)** فهو مكروه، أو خلاف الأولى.

قال في فتح الباري: ولم أر في أثر صحيح أن النبي ﷺ اكتوى، إلا أن القرطبي نسب إلى كتاب آداب النفوس للطبري أن النبي ﷺ اكتوى، وذكره الحليمي بلفظ: روي أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأُحد. قال الحافظ ابن حجر: والثابت في الصحيح في غزوة أحد أن فاطمة أحرقت حصيرًا فحشت به جرحه، وليس هذا الكي المعهود. انتهى.

ذكر طبه ﷺ من الطاعون

قال الخليل بن أحمد: الطاعون الوباء، وقال ابن الأثير: الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة، وقال القاضي أبو

(قال في فتح الباري: ولم أر في أثر صحيح أن النبي ﷺ اكتوى، إلا أن القرطبي نسب إلى كتاب آداب النفوس للطبري) محمد بن جرير **(أن النبي ﷺ اكتوى، وذكره الحليمي بلفظ: روي أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأحد، قال الحافظ ابن حجر)** تعقبًا عليهما: **(والثابت في الصحيح)** البخاري **(في غزوة أحد)** وفي غيرها، ومنه في الطب، وبوب عليه باب حرق الحصير ليسد به الدم، **(أن فاطمة أحرقت حصيرًا، فحشت به جرحه، وليس هذا الكي المعهود. انتهى)**.

يعني فإن كان ذلك مراد من قال: اكتوى، لم يصح إلا بتأويل؛ أنه أطلق الكي على الحشو برماد الحصير مجازًا، وقد جزم ابن التين؛ بأنه اكتوى، وابن القيم بأنه لم يكتو، ولفظ الصحيح عن سهل بن سعد: لما كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة، وأدمي وجهه، وكسرت رباعيته، كان علي يختلف بالماء في المجن، وجاءت فاطمة تغسل عن وجهه الدم، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة، عمدت إلى حصير، فأحرقتها وألصقتها على جرحه، فرقا الدم.

ذكر طبه ﷺ من الطاعون

بوزن فاعول من الطعن، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالاً على الموت العام، كالوباء، ويقال: طعن، فهو مطعون، وطعين إذا أصابه الطاعون، وإذا أصابه الطعن بالرمح، هذا كلام الجوهري، **(قال الخليل بن أحمد)** الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمٰن البصري، اللغوي، صاحب العروض والنحو، صدوق، عالم، عابد، مات بعد الستين ومائة، وقيل: سنة سبعين أو بعدها، **(الطاعون: الوباء)**.

(وقال ابن الأثير) في النهاية: في طعن **(الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأمزجة،)** فمفهوم هذا تغايرهما، وقال في وبأ الوباء: (بالقصر والمد والهمزة) الطاعون والمرض العام، فجعلهما جزئين من جزئيات الوباء، فمفهومه تساويهما.

بكر بن العربي: الطاعون المرض الغالب الذي يطفىء الروح، سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله، وقال أبو الوليد الباجي: هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات، بخلاف المعتاد من أمراض الناس. وقال القاضي عياض: أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض فسميت طاعونًا لشبهها بها في الهلاك. وقال النووي في تهذيبه: هو بثر وورم مؤلم جدًا يخرج مع لهب، ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان وقيء، ويخرج غالبًا في مراق البدن والآباط، وقد يخرج في الأيدي والأصابع وسائر الجسد.

وقال ابن سينا: الطاعون مادة سمية تحدث مرضًا قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ما يكون تحت الإبط، أو خلف الآذان، أو عند الأربية، وسببه ورم رديء: يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو، ويغير ما يليه،

(وقال القاضي أبو بكر) محمد (بن العربي) الفقيه الحافظ: (**الطاعون المرض الغالب الذي يطفىء الروح،**) أي يزيل قوته، وهو مجاز عن قتله، (**سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله**).

(**وقال أبو الوليد**) سليمان (**الباجي،**) الحافظ الفقيه: (**هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات، بخلاف المعتاد من أمراض الناس،**) فلا يعم ولا يختص بجهة.

(**وقال القاضي عياض: أصل الطاعون القروح:**) جمع قرح (**الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض، فسميت**) عموم الأمراض (**طاعونًا لشبهها بها،**) أي القروح (**في الهلاك**) لمن حلت به، (**وقال النووي في تهذيبه،**) أي كتاب تهذيب الأسماء واللغات: (**هو بثر**) (بموحدة، فمثلثة، فراء)، أي خراج صغير (**وورم مؤلم جدًا، يخرج مع لهب، ويسود ما حوله، أو يخضر، أو يحمر حمرة شديدة بنفسجية:**) نسبة إلى البنفسج، كسفرجل، والمكرر منه اللامان، ووزنه فعلل، كما في المصباح: (**كدرة**) متغيرة، (**ويحصل معه خفقان**) اضطراب قلب (**وقيء، ويخرج غالبًا في مراق البدن،**) أي ما لان منه، (**والآباط، وقد يخرج في الأيدي والأصابع وسائر الجسد،**) أي باقيه قسيم قوله غالبًا.

(**وقال ابن سيناء: الطاعون مادة سمية تحدث مرضًا قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن**) (بمعجمة وموحدة ونون) وهي الارفاغ والآباط (**من البدن**) الواحد، مغبن كمسجد، (**وأغلب ما يكون تحت الإبط، أو خلف الآذان، أو عند الاربية**) (بضم الهمزة وإسكان الراء وكسر الموحدة وتحتية مشددة).

ويؤدي إلى القلب كيفية ردية فيحصل القيء والغثيان والغشي والخفقان، وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسة، والأسود منه قلَّ من يسلم منه، وأسلمه الأحمر ثم الأصفر، والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس، وأما الوباء: فهو فساد جواهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده.

والحاصل: أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء، يسمى طاعونًا بطريق المجاز، لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت.

والدليل على أن الطاعون يغاير الوباء، أن الطاعون لم يدخل المدينة النبوية، وقد قالت عائشة: دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض اللّٰه، وقال بلال: أخرجونا إلى

قال الجوهري: أصل الفخذ، وأصله اربوة، فاستثقلوا التشديد على الواو، أي: فقلبوها ياء، (وسببه ورم رديء يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه) إلى سواد أو خضرة أو حمرة كدرة، (ويؤدي إلى القلب كيفية ردية، فيحصل القيء والغثيان والغشي والخفقان، وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسة، والأسود منه قل من يسلم منه) من الموت، (وأسلمه الأحمر، ثم الأصفر، والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة)، بالواو والهمز، وتقلب الهمزة ياءً، (ومن ثم أطلق على الطاعون وباءً، وبالعكس، وأما الوباء، فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده)، أي زيادته وقوته، (والحاصل،) أي حاصل المقام لا حاصل كلام ابن سينا (أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب الدم إلى عضو، فيفسده،) ولا ينافيه أنه وخز الجن، لجواز أن ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة، فتحدث منها المادة السمية، ويهيج الدم بسببها أو ينصب.

وقال الكلاباذي: يحتمل أن الطاعون قسمان: قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط من دم أو صفراء محترقة، أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن، وقسم يكون من وخز الجن، كما تقع الجراحات من القروح التي تخرج في البدن من غلبة بعض الأخلاط، وإن لم يكن هناك طعن، وتقع الجراحات أيضًا من طعن الإنس، (وإن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونًا بطريق المجاز، لاشتراكهما في عموم المرض به، أو كثرة الموت،) كما أشار إليه عياض، وإن كانا متغايرين، (والدليل على أن الطاعون يغاير الوباء أن الطاعون لم يدخل المدينة النبوية) قط.

(وقد قالت عائشة: دخلنا،) وفي رواية: قدمنا (المدينة، وهي أوبأ أرض اللّٰه، وقال

أرض الوباء.

والطاعون: من طعن الجن، وإنما لم تتعرض له الأطباء لكونه من طعن الجن، لأنه أمر لا يدرك بالعقل، وإنما عرف من الشارع، فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم، ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن وقوعه غالبًا في أعدل الفصول، وفي أصح البلاد هواء، وأطيبها ماء، ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى، والطاعون يذهب أحيانًا ويجيء أحيانًا على غير قياس ولا تجربة، فربما جاء سنة على سنة، وربما أبطأ سنين، وبأنه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان، والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير، ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو مثلهم في مزاجهم، ولو كان كذلك لعم جميع البدن، وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه، ولأن فساد الهواء يقتضي تغير الأخلاط وكثرة الأسقام، وهذا في الغالب يقتل بلا مرض، فدل على أنه طعن الجن. كما ثبت في الأحاديث الواردة في ذلك.

منها حديث أحمد والطبراني عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه

بلال: أخرجونا،) أي كفار قريش (إلى أرض الوباء،) ومر الحديثان في الهجرة، (والطاعون من طعن الجن، وإنما لم تتعرض الأطباء، لكونه من طعن الجن، لأنه أمر لا يدرك بالعقل، وإنما عرف من الشارع، فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم،) لكنها منقوضة، كما أشار إليه بقوله، (ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن،) وقد عبر في شرحه للبخاري بالاستدارك، فقال: لكن (وقوعه غالبًا في أعدل الفصول) من العام، وهو فصل الربيع، (وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء،) وذلك يبطل قول الأطباء أنه من فساد الهواء أو وباء البلاد، (و) أيضًا، (لأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض، لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى) في ساعة واحدة، (والطاعون يذهب أحيانًا ويجيء أحيانًا على غير قياس ولا تجربة، فربما جاء سنة على سنة، وربما أبطأ سنين،) فبطل كونه من فساد الهواء، (وبأنه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان، والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو مثلهم في مزاجهم، و) أيضًا (لو كان كذلك لعم جميع البدن، وهذا يختص بموضع من الجسد، لا يتجاوزه) إلى ما سواه، (ولأن فساد الهواء يقتضي تغير الأخلاط وكثرة الأسقام، وهذا في الغالب يقتل بلا مرض، فدل على أنه طعن الجن، كما ثبت في الأحاديث الواردة في ذلك، منها: حديث أحمد والطبراني،) وصححه الحاكم (عن أبي بكر،) اسمه عمرو أو

قال: سألت عنه رسول الله ﷺ فقال: هو وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة.

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: يقع في الألسنة، وهو في النهاية تبعًا لغريبي الهروي بلفظ «وخز إخوانكم» ولم أره بلفظ «إخوانكم» بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة، لا في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنثورة، وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد والطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا، ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم. انتهى.

عارم (**بن أبي موسى الأشعري**،) ثقة، من رجال الجميع، مات سنة ست ومائة، وكان أسن من أخيه أبي بردة، (**عن أبيه**) عبد الله بن قيس الأشعري، (**قال: سألت عنه**،) أي الطاعون (**رسول الله ﷺ، فقال: هو وخز**) (بفتح الواو وسكون المعجمة، بعدها زاي) (**أعدائكم من الجن**،) أي كفارهم، قال أهل اللغة: الوخز الطعن إذا كان غيرنا، فذو وصف طعن الجن بأنه وخز، لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر، فيؤثر في الباطن أولاً، ثم يؤثر في الظاهر، وقد لا ينفذ، وهذا بخلاف طعن الإنس، فإنه يقع من الظاهر إلى الباطن، فيؤثر في الظاهر أولاً، ثم يؤثر في الباطن، وقد لا ينفذ، كما في الفتح، (**وهو لكم شهادة**،) أي لكل مسلم وقع به، أو وقع في بلد هو فيها.

ففي البخاري عن عائشة؛ أنها سألت النبي ﷺ عن الطاعون، فأخبرها أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد.

(**قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: يقع**) هذا الحديث (**في الألسنة، وهو في النهاية تبعًا لغريبي الهروي**)، أي كتابه المؤلف في غريبي القرآن والحديث (**بلفظ: وخز إخوانكم ولم أره بلفظ إخوانكم بعد التتبع الطويل، البالغ**) الغاية (**في شيء من طرق الحديث المسندة**)، المروية بالأسانيد، (**لا في الكتب المشهورة**،) كالستة والمسانيد العشرة والمعاجيم، (**ولا في الأجزاء المنثورة**).

(**وقد عزاه بعضهم**:) هو صاحب كتاب آكام المرجان في أحكام الجان، كما في شرح المصنف (**لمسند أحمد والطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا، ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم. انتهى**).

قال المصنف: فإن قلت: فإذ كان الطعن من الجن، فكيف يقع في رمضان والشياطين تصفد فيه وتسلسل؟.

أجيب: باحتمال أنهم يطعنون قبل دخول رمضان، ولم يظهر التأثير إلا بعد دخوله، وقيل

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسل الله ﷺ يقول: الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم، فإذا

غير ذلك.

(وفي الصحيحين:) البخاري في ذكر بني إسرائيل والطب، وترك الحيل، ومسلم في الطب، وكذا النسائي (**من حديث أسامة بن زيد،**) الحب بن الحب، (**قال:**) وقد سأله سعد بن أبي وقاص: ما سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟، فقال أسامة: (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: الطاعون رجز**) (بالزاي) على المعروف، أي عذاب، ووقع لبعض الرواة رجس (بسين مهملة بدل الزاي).

قال الحافظ المحفوظ: (بالزاي)، والمشهور أن الذي بالسين الخبيث، أو النجس، أو القذر، ووجه عياض؛ بأن الرجس يطلق على العقوبة أيضًا.

وقد قال الفارابي والجوهري والراغب: الرجس العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ [يونس: ١٠٠]، (**أرسل على طائفة من بني إسرائيل**) لما كثر طغيانهم، (**وعلى من كان قبلكم،**) كذا في نسخ المصنف: (بالواو)، والذي في الصحيحين إنما هو بأو.

قال الحافظ: بالشك من الراوي، وفي رواية ابن خزيمة بالجزم، بلفظ: رجز سلط على طائفة من بني إسرائيل، والتنصيص عليهم أخص، فإن كان ذلك المراد، فكأنه أشار بذلك إلى ما جاء في قصة بلعام، فأخرج الطبري من طريق سليمن التيمي، أحد صغار التابعين، عن سيار أن رجلاً كان يقال له: بلعام، كان مجاب الدعوة، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام، فأتاه قومه، فقالوا: ادع الله عليهم، فقال: حتى أؤامر ربي، فمنع، فأتوه بهدية، فقبلها، وسألوه ثانيًا، فقال: حتى أؤامر ربي، فلم يرجع إليه بشيء، فقالوا: لو كره لنهاك، فدعا عليهم، فصار يجري على لسانه ما يدعو به على بني إسرائيل، فينقلب على قومه، فلاموه على ذلك، فقال: سأدلكم على ما فيه هلاكهم، ارسلوا النساء في عسكرهم ومروهن لا يمتنعن من أحد، فعسى أن يزنوا فيهلكوا، فكان فيمن خرج بنت الملك، فأرادها بعض الأسباط وأخبرها بمكانه، فمكنته من نفسها، فوقع في بني إسرائيل الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا في يوم، وجاء رجل من بني هرون ومعه الرمح، فطعنهما، وأيده الله، فانتظمهما جميعًا، وهذا مرسل جيد وسيار شامي موثق.

وذكر الطبري أيضًا هذه القصة عن محمد بن إسحق، عن سالم أبي النضر بنحوه، وسمى المرأة كشتاء: (بفتح الكاف وسكون المعجمة وفوقية)، والرجل زمري: (بكسر الزاي وسكون

سمعت به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه.

الميم وكسر الراء) رأس سبط شمعون، والذي طعنهما فنحاص (بكسر الفاء وسكون النون، ثم مهملة فألف فمهملة) ابن هٰرون وقال في آخره: فحسب من هلك من الطاعون سبعون ألفًا، والمقلل يقول عشرون ألفًا، وهذه الطريق تعضد الأولى.

وذكر ابن إسحٰق في المبتدأ أن بني إسرائيل لما كثر عصيانهم، أوحى اللَّه إلى داود فخيرهم بين ثلاث: إما أن أبتليهم بالقحط سنتين، أو العدو شهرين، أو الطاعون ثلاثة أيام، فأخبرهم، فقالوا: اختر لنا، فاختار الطاعون، فمات منهم إلى أن زالت الشمس سبعون ألفًا، وقيل: مائة ألف، فتضرع داود إلى اللَّه، فرفعه، وورد وقوع الطاعون في غير بني إسرائيل، فيحتمل أنه المراد بقوله: أو من كان قبلكم من ذلك، ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: أمر موسى بني إسرائيل أن يذبح كل رجل منهم كبشًا، ثم يخضب كفه في دمه، ثم يضرب به على بابه، ففعلوا، فسألهم القبط عن ذلك، فقالوا: إن اللَّه يبعث عليكم عذابًا، وإنا ننجوا منه لهذه العلامة، فأصبحوا وقد مات من قوم فرعون سبعون ألفًا، فقال فرعون عند ذلك لموسى: ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾، فدعا، فكشفه عنهم، وهذا مرسل جيد الإسناد.

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره، وابن جرير عن الحسن في قوله تعالى: ﴿الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ [البقرة: ٢٤٣]، قال: فروا من الطاعون، فقال لهم اللَّه: موتوا، ثم أحياهم ليكملوا بقية آجالهم، فأقدم من وفقنا عليه في المنقول ممن وقع الطاعون به من بني إسرائيل في قصة بلعام، ومن غيرهم في قصة فرعون، وتكرر بعد ذلك لغيرهم. انتهى.

(**فإذا سمعتم به بأرض، فلا تدخلوا عليه**،) لأنه تهوّر وإقدام على خطر وإلقاء إلى التهلكة، كمن أراد دخول دار، فرأى فيها حريقًا تعذر طفؤه، فعدل عن دخولها لئلا يصيبه، وليكون ذلك أسكن للنفس وأطيب للعيش، ولئلا يقعوا في اللوم المنهي عنه بلوم أنفسهم فيما لا لوم فيه، لأن الباقي والناهض لا يتجاوز واحد منهم أجله، (**وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارًا منه**،) لأنه فرار من القدر، فالأول تأديب وتعليم، والثاني تفويض وتسليم.

قال ابن عبد البر: النهي عن الدخول لدفع ملامة النفس، وعن الخروج للإيمان بالقدر. انتهى.

والأكثر على أن النهي عن الفرار منه للتحريم، وقيل: للتنزيه، ومفهوم الحديث جوازه لشغل عرض غير الفرار، وحكى عليه لاتفاق.

قال الحافظ: ولا شك أن الصور ثلاث: ومن خرج لقصد الفرار محضًا، فهذا يتناوله النهي

وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكمًا.

منها: أن الطاعون يكون في الغالب عامًا في البلد الذي يقع به، فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن هو بها، فلا يفيده الفرار، لأن المفسدة إذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثًا فلا يليق بالعاقل.

ومنها: أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره أو الكبر حيًا وميتًا.

وأيضًا: فلو شرع الخروج. فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء، وقد قالوا: إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر، وإدخال الرعب عليه بخلافه.

وقد جمع الغزالي بين الأمرين فقال: الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر

لا محالة، ومن خرج لحاجة متمحضة، لا لقصد الفرار أصلاً، ويتصور ذلك فيمن تهيأ للرحيل من بلد إلى بلد كان بها إقامته مثلا، ولم يكن الطاعون وقع، فاتفق وقوعه في أثناء تجهزه، فهذا لم يقصد الفرار أصلاً، فلا يدخل في النهي.

الثالث: من عرضت له حاجة فأراد الخروج إليها وانضم إلى ذلك، أنه قصد الراحة من الإقامة بالبلد التي وقع بها الطاعون، فهذا محل النزاع، كأن تكون الأرض التي وقع بها وخمة، والأرض التي يتوجه إليها صحيحة، فتوجه بهذا القصد إليها، فمن منع نظر إلى صورة الفرار في الجملة، ومن أجاز نظر إلى أنه لم يتمحض القصد للفرار، وإنما هو لقصد التداوي. انتهى.

(وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكمًا، منها: أن الطاعون يكون في الغالب عامًا في البلد الذي يقع به، فإذا وقع، فالظاهر مداخلة سببه لمن هو بها، فلا يفيده الفرار، لأن المفسدة إذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثًا، فلا يليق بالعاقل) فعله، إذ لا فائدة فيه، **(ومنها: أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره)** من الأمراض، **(أو الكبر)** ضائع المصلحة لفقد من يتعهده **(حيًا)** بالقيام بما يحتاجه، **(وميتًا)** بتجهيزه ودفنه، **(وأيضًا)** من الحكم، **(فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء، لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء)** الذين لا يقدرون على الخروج.

(وقد قالوا: إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف) بنحو قوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾ [الأنفال: ١٦]، **(لما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخلافه، وقد جمع الغزالي بين الأمرين،**

البدن، بل من حيث دوام الاستنشاق، فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن، فالخارج من البلد الذي سيقع به لا يسلم غالبًا مما استحكم به، وينضاف إلى ذلك أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم.

ومنها: ما ذكره بعض الأطباء: أن المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة أهله بهواء تلك البقعة فتألفها ويصير لهم كالأهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة لم توافقهم، بل ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة الردية التي حصل تكيف بدنها بها فأفسدته فمنع من الخروج

فقال:) إنما نهى عن الخروج كالدخول، مع أن سببه الطبي من الهواء، وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر وترك التوكل في نحوه مباح، لأن (**الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن، بل من حيث دوام الاستنشاق**) له، فإذا كان فيه عفونة بدأ، (**فيصل إلى القلب والرئة، فيؤثر في الباطن، ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن، فالخارج من البلد الذي سيقع به لا يسلم**،) وفي نسخة: لا يخلص (**غالبًا مما استحكم به**،) أي من أجل ما استحكم عنه من الداء.

قال الغزالي: لكنه توهم الخلاص، فيصير من جنس الموهومات كالطيرة، فلو تجرد هذا المعنى لم يكن منهيًا عنه، (و) لكنه (**ينضاف إلى ذلك**؛ أنه لو رخص للأصحاء في الخروج **لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم، فتضيع مصالحهم**) أحياءً وأمواتًا، وعبارة الغزالي: لو رخص للأصحاء في الخروج لم يبق بالبلد إلا من طعن، فيضيع حالهم فيكون هلاكهم محققًا وخلاصهم منتظرًا، كما أن صلاح الأصحاء منتظر، ولو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت، ولو خرجوا لم يقطع بالخلاص، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وينعكس هذا فيمن لم يدخل البلد، فإن الهواء لم يؤثر بباطنه، ولا بأهل البلد حاجة إليه، فإن لم يبق في البلد إلا مطعون وافتقروا لمتعهد، وقدم عليهم لم ينه عن الدخول، بل يندب للإعانة، ولأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، كما يؤخذ من تشبيه الفرار هنا بالفرار من الزحف، لأن فيه كسرًا لقلوب البقية وسعيًا في إهلاكهم. انتهى.

وهو نفيس، (**ومنها: ما ذكره بعض الأطباء أن المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة أهله بهواء تلك البقعة فتألفها ويصير لهم كالأهوية الصحيحة لغيرهم، فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة لم توافقهم، بل**) إضراب انتقالي، (**ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة الردية التي حصل تكيف بدنها بها، فأفسدته، فمنع من الخروج لهذه**

لهذه النكتة.

ومنها: أن الخارج يقول: لو أقمت لأصبت، والمقيم يقول: لو خرجت لسلمت، فيقع في اللو المنهي عنه.

وقال العارف بن أبي جمرة: البلاء إنما يقصد به أهل البقعة، لا البقعة نفسها، فمن أراد اللّٰه إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة، فأينما توجه يدركه، فأرشدنا الشارع إلى عدم النصب.

النكتة،) وهي متعلقة بنفس من يريد الخروج.

(**ومنها: أن الخارج يقول: لو أقمت لأصبت**) بالطاعون، (**والمقيم يقول: لو خرجت لسلمت، فيقع في اللو**) (بالفتح وشد الواو) (**المنهي عنه**) بقوله ﷺ: «إياك ولو فإن لو، من الشيطان».

رواه مسلم، ووقع عند بعض رواته بلفظ: اللوّ (بالتشديد)، قال عياض والمحفوظ خلافه. نعم روى النسائي وابن ماجه مرفوعًا: المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّٰه من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن باللّٰه ولا تعجز، فإن غلبك أمر، فقل: قدر اللّٰه وما شاء فعل، وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان؛ وللطبراني مرفوعًا: احرص على ما ينفعك واستعن باللّٰه ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قدر اللّٰه وما شاء فعل فإن لو مفتاح الشيطان، والجمع بين هذا وما ثبت من استعماله ﷺ لو، كقوله: لو سلك الناس واديًا، لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما قاله النووي، الظاهر أن النهي عن إطلاقها فيما لا فائدة فيه، أما من قالها تأسفًا على ما فات من طاعة اللّٰه، أو ما هو متعذر عليه منها، ونحو: هذا فيجوز، وعليه أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث، وقيل غير ذلك، وقد ترجم البخاري في كتاب التمني ما يجوز من اللو إشارة إلى ذلك، (**وقال العارف بن أبي جمرة**) (بجيم وراء): (**البلاء إنما يقصد به أهل البقعة لا البقعة نفسها، فمن أراد اللّٰه إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة**) (بفتح الميم)، (**فأينما توجه يدركه، فأرشدنا الشارع إلى عدم النصب،**) أي إلى ترك التعب فيما لا فائدة فيه.

قال ابن عبد البر: يقال ما فر أحد من الطاعون فسلم من الموت، ولم يبلغني عن أحد من حملة العلم أنه فر منه، إلا ما ذكر المدائني أن علي بن زيد جدعان هرب منه إلى السبالة، فكان يجمع كل جمعة ويرجع، فإذا رجع صاحوا به فر من الطاعون، فطعن فمات بالسبالة. انتهى.

لكن نقل عياض وغيره جواز الخروج من الأرض التي وقع بها الطاعون عن جماعة من الصحابة، منهم: علي والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين الأسود بن هلال ومسروق، وأنهما كانا

وقال ابن القيم: جمع ﷺ للأم في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه، كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو فيها تعرضًا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه، وإعانة الإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشدنا الله إليها، وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية، وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان.

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه، والصبر على أقضيته والرضا.

يفران منه.

ونقل ابن جرير: أن أباه موسى الأشعري كان يبعث بنيه إلى الأعراب من الطاعون، وعن عمرو بن العاصي؛ أنه قال: تفرقوا من هذا الرجز في الشعاب والأودية ورؤوس الجبال حملاً للنهي على التنزيه، وخالفهم الأكثر، وقالوا: إنه للتحريم، حتى قال ابن خزيمة: إنه من الكبائر التي يعاقب الله عليها إن لم يعطف، وهو ظاهر قوله ﷺ: «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها، كالشهيد، والفار منه كالفار من الزحف»، رواه أحمد برجال ثقات.

وروى الطبراني وأبو نعيم بإسناد حسن، مرفوعًا: الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الإبل تخرج في الآباط والمراق، من مات منه مات شهيدًا، ومن أقام به كان كالمرابط في سبيل الله، ومن فر منه كان كالفار من الزحف.

(**وقال ابن القيم: جمع ﷺ للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال،**) أي غاية (**التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو فيها تعرضًا للبلاء وموافاة،**) أي إتيانًا (**له في محل سلطانه:**) قوته وشدته، (**وإعانة الإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل**) إضراب انتقالي لا إبطالي؛ كأنه قيل: وأيضًا (**تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشدنا الله إليها،**) بنحو قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]، (**وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية.**

(**وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه،**) أي ففي حكمته (**معنيان**).

(**أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله تعالى،**) أي الاعتماد (**والتوكل عليه، والصبر على أقضيته والرضا**) بها.

والثاني: ما قاله أئمة الطب أنه يجب على من كان يحترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضيلة، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه، والخروج من أرض الوباء والسفر منها لا يكون إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدًا. هذا كلام أفضل المتأخرين من الأطباء، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما، انتهى.

[ذكر طبه ﷺ من السلعة]

أخرج البخاري في تاريخه، والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال: أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة، فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد أذتني، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه وعنان الدابة، فنفث في كفي، ووضع كفه على السلعة

(**والثاني: ما قاله أئمة الطب: إنه يجب على من كان يحترز عن الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضيلة،**) أي الزائدة نسبة إلى الفضل، وهو الزيادة، (**ويقلل الغذاء؛**) بأن لا يشبع، (**ويميل إلى التدبير المجفف**) للرطوبة الزائدة (**من كل وجه، والخروج**) مبتدأ (**من أرض الوباء، والسفر منها**) عطف عليه، والخبر (**لا يكون إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدًا، هذا كلام أفضل المتأخرين من الأطباء، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما. انتهى**) كلام ابن القيم.

وبه يظهر مطابقة الحديث لقول الترجمة: طبه من الطاعون، وإلا فظاهر الحديث ليس فيه طب منه، إنما فيه نهيه عن الخروج والدخول؛ وحاصل الجواب أنه نهي شرعي مشتمل على طب بدني، كما علم.

ذكر طبه ﷺ من السلعة

(**أخرج البخاري في تاريخه، والطبراني والبيهقي**) وابن السكن (**عن شرحبيل الجعفي:**) سمى ابن منده وابن فتحون أباه عبد الرحمن، وقال العسكري شرحبيل بن أوس، وقال ابن السكن ابن عقبة، (**قال: أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة**) (بكسر السين وفتحها وسكون اللام، وبفتحتين وبكسر السين وفتح اللام كعنبة، كما في القاموس، أي شيء كالغدة في كفه يتحرك بالتحريك.

قال الأطباء: هي ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه لها غلاف ويقبل الزيادة، لأنها خارجة عن اللحم، فتكون من قدر حمصة إلى قدر بطيخة، (**فقلت: يا رسول الله هذه السلعة قد أذتني تحول**) خبر بعد خبر كالعلة لأذيتها له؛ كأنه قيل: لأنها تحول (**بيني وبين قائم السيف أن أقبض،**) أي أضم (**عليه**) أصابعه، (**وعنان الدابة**) (بكسر العين لجامعها،

فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما أرى أثرها.

ومسح ﷺ وجه أبيض بن جمال وكان به القوباء فلم يمس من ذلك اليوم ومنها أثر، رواه البيهقي وغيره.

[ذكر طبه ﷺ من الحمى]

روى البخاري من حديث مُلك عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء البارد».

واختلف في نسبتها إلى جهنم، فقيل: حقيقة، واللهب الحاصل في جسم

أي يحول بينه وبين أن يقبض عليه أيضًا، وأسقط من لفظ الحديث، فقال ﷺ: ادن فدنوت، (**فنفث في كفي**) ليحصل الشفاء ببركة ريقه الشريف، (**ووضع كفه على السلعة، فما زال يطحنها بكفه،**) أي يدلكها، وعبر بالطحن عن الدلك مجازًا (**حتى رفعها،**) أي ما زال يكرر الدلك إلى أن رفع كفه (**عنها،**) أي السلعة، (**وما أرى أثرها**) لزواله والكف مؤنثة من الإنسان، وغيره قال ابن الأنباري: وزعم من لا يثوب به أن الكف مذكر، ولا يعرف تذكيرها ممن يوثق بعلمه، لكن في شرح البهجة أن تذكيرها لغة قليلة، (**ومسح ﷺ وجه أبيض بن حمال**) (بالمهملة وشد الميم المأربي، بسكون الهمزة وكسر الراء بعدها موحدة).

قال البخاري وابن السكن: له صحبة وأحاديث يعد في أهل اليمن، (**وكان به القوباء:**) (بضم القاف وفتح الواو، وقد تخفف بالسكون والمد) داء معروف.

زاد في رواية: فالتقمت أنفه، (**فلم يمس من ذلك اليوم، ومنها: أثر**) لزوالها ببركة اليد الميمونة، (**رواه البيهقي وغيره،**) كأبي داود والترمذي والنسائي في الكبرى، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، كما في الإصابة.

ذكر طبه ﷺ من الحمى

(**روى البخاري**) ومسلم، وكلاهما (**من حديث مُلك،**) عن نافع، عن ابن عمر، (**عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: الحمى من فيح جهنم**) (بفتح الفاء وسكون التحتية فحاء مهملة)، وفي حديث رافع بن خديج في الصحيحين: من فور بالراء بدل الحاء.

وفي رواية للبخاري، عنه: من فوح بالواو بدل التحتية، وكلها بمعنى، والمراد سطوع حرها ووهجه، (**فاطفؤوها**) (بقطع الهمزة وكسر الفاء، بعدها همزة مضمومة) (**بالماء البارد**) شربًا، وغسل أطراف أو جميع الجسد على ما يليق بالزمان والمزاج والمكان.

(**واختلف في نسبتها إلى جهنم، فقيل: حقيقة، واللهب الحاصل في جسم**

المحموم قطعة من جهنم، وقدر الله ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك، كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة، أظهرَها في هذه الدار عبرة ودلالة.

وقيل: الخبر ورد مورد التشبيه، والمعنى: أن حر الحمى شبيه بحر جهنم، تنبيهًا للنفوس على شدة حر النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها.

قوله «فأطفئوها» بهمزة قطع، أمر من: الأطفاء.

وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار.

المحموم قطعة من جهنم، وقدر الله ظهورها) في الدنيا **(بأسباب تقتضيها)** نذيرًا للجاحدين وبشيرًا للمقربين، **(ليعتبر العباد بذلك،)** فالتعذيب بها يختلف باختلاف محله، فيكون للمؤمن تكفيرًا لذنوبه وزيادة في أجوره، وللكافر عقوبة وانتقامًا، وإنما طلب ابن عمر كشفه، كما في البخاري عقب هذا الحديث، قال نافع: وكان عبد الله يقول: اللهم اكشف عنا الرجز، أي العذاب مع ما فيه من الثواب لمشروعية طلب العافية من الله، إذ هو قادر على أن يكفر سيئات عبده ويعظم ثوابه من غير أن يصيبه شيء يشق عليه، **(كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة أظهرها)** الله سبحانه **(في هذه الدار)** الدنيا **(عبرة:)** تذكيرًا ووعظًا **(ودلالة)** على ما عنده تعالى.

(وقيل: الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى: أن حر الحمى شبيه بحر جهنم) في كونه مذيبًا للبدن ومعذبًا له، **(تنبيهًا للنفوس على شدة حر النار، وإن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها،)** لتتعظ النفوس فتبعد عن الأسباب الموجبة للنار.

زاد المصنف في شرح البخاري: والأول أولى، قال الطيبي: من ليست بيانية حتى تكون بسببها، كقوله تعالى: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهي إما ابتدائية، أي الحمى نشأت وحصلت من فيح جهنم، أو تبعيضية، أي بعض منها، قال: ويدل لهذا التأويل ما في الصحيح: اشتكت النار إلى ربها، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فكما أن حرارة الصيف أثر من فيحها، كذلك الحمى حرارة غريزية تشتغل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق إلى جميع البدن.

(قوله: فأطفؤوها بهمزة قطع) مفتوحة **(أمر من الإطفاء)** الرباعي. **(وروى الطبراني)** مرفوعًا: **(الحمى حظ المؤمن من النار،)** أي نار جهنم، فإذا ذاق لهيبها في الدنيا لا يذوق لهيب جهنم في الأخرى، أي أنها تكفر ما يوجب النار وتسهل عليه الورود حتى لا يشعر به

وفي رواية نافع عن ابن عمر، عند الشيخين: قال رسول الله ﷺ: «إن الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» بهمزة وصل والراء مضمومة

أصلاً.

قال ابن القيم: ليس المراد أنها هي نفس الورود المذكور في القرآن، لأن سياقه يأبى حمله على الحمى قطعًا، لأنه تعالى وعد عباده كلهم بورود النار، فالحمى للمؤمن تكفر خطاياه، فتسهل عليه الورود، فينجى منه سريعًا. انتهى.

وهو رد لقول مجاهد في تفسير الآية: الحمى في الدنيا حظ المؤمن من الورود في الآخرة، رواه ابن أبي حاتم والبيهقي عنه، وقال الزين العراقي: إنما جعلت حظه من النار لما فيها من البرد والحر المغير للجسم، وهذه صفة جهنم، فهي تكفر الذنوب فتمنعه من دخول النار. انتهى.

يعني دخول عذاب لا الورود، هذا ولفظ الطبراني في الأوسط، عن أنس مرفوعًا: «الحمى حظ أمتي من فيح جهنم» ورواه في الكبير عن أبي ريحانة، رفعه: الحمى كير من جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار.

نعم، رواه ابن أبي الدنيا والعقيلي من حديث عثمان: الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة، ورواه البزار عن عائشة، والقضاعي والديلمي عن ابن مسعود، رفعه: الحمى حظ كل مؤمن من النار؛ وقول الحافظ أبي بكر بن العربي، قال بعض الغافلين: الحمى حظ المؤمن من النار، فهو مستثنى من هذا، أي الآية، فقال: وهذه غفلة عظيمة، بل لا بد لكل أحد من الصراط، فتلقح النار قومًا، وتقف دون آخرين، والكل وارد عليها. انتهى.

مراده أن جعل الحديث نفس الورود لمن حلت به الحمى، فيستثنى من الآية من نزلت به غفلة بدليل فحوى كلامه، لا إنه لم يقف على الحديث، كما ظنه بعضهم فتعجب منه، بأن للحديث طرقًا عديدة لا تخفى على من له أدنى ممارسة بالحديث.

(وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين، قال رسول الله ﷺ: أن الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم) الذي في البخاري في الطب، إنما هو باللفظ السابق من رواية ملك عن نافع، وفيه: قبله في صفة جهنم من بدء الخلق من رواية عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، مرفوعًا: «الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء»: فإنما فيه أنه قال: فأبردوها بدل قوله في الأولى: فاطفؤوها، وكذا رواه مسلم من طريق يحيى بن سعيد عن عبيد الله، عن نافع بلفظ: فأبردوها، ورواه من طريق ملك عن نافع باللفظ الأول، وهو: فاطفؤوها، وكذا رواه من طريق محمد بن زيد عن ابن عمر، ورواه من وجه آخر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، قال: إن

على المشهور وحكي كسرها الراء. وفي رواية ابن ماجه بالماء البارد.

وفي رواية همام عن أبي جمرة عند البخاري، قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فاحتبست أيامًا، فقال: ما حبسك؟ قلت: الحمى، قال: أبردها بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء، أو بماء زمزم، شك همام.

قال ابن القيم: قوله «بالماء» فيه قولان: أحدهما: أنه كل ماء، وهو

شدة الحمى من فيح جهنم فأطفؤوها بالماء؛ فلم أجد في واحد من الصحيحين بهذا اللفظ الذي ساقه المصنف، (فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور) في الرواية من بردت الحمى أبردها بردًا، بوزن قتلتها أقتلها قتلاً، أي أسكنت حرارتها، قال شاعر الحماسة:

إذا وجدت لهيب الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهرة فمن النار على الأحشاء تتقد

(وحكي كسرها)، أي (الراء) مع وصل الهمزة، وحكى عياض رواية بهمزة قطع مفتوحة وكسر الراء من إبراد الشيء إذا عالجه فصيره باردًا، مثل أسخنته إذا صيرته سخنًا، وأشار إليها الخطابي، وقال الجوهري: إنها لغة ردية، وقول أبي البقاء: الصواب وصل الهمزة وضم الراء، زاد القرطبي: وأخطأ من زعم قطعها فيه نظر بعد ثبوتها رواية عند عياض والخطابي، فيكفي في توجيهها أنها لغة وإن كانت ردية بمعنى مخالفة للقياس.

(وفي رواية ابن ماجه) من حديث أبي هريرة لا ابن عمر كما يوهمه المصنف: **(بالماء البارد)** شربًا وغسل أطراف، لأن البارد رطب ينساغ لسهولته، فيصل للطافته إلى أماكن العلة من غير حاجة إلى معاونة الطبيعة.

(وفي رواية همام) بن يحيى، **(عن أبي جمرة:)** بجيم وراء نصر بن عمران بن عصام الضبعي (بضم المعجمة وفتح الموحدة، بعدها مهملة) البصري، نزيل خراسان، مشهور بكنيته، ثقة، ثبت من رجال الجميع، مات سنة ثمان وعشرين ومائة.

(عند البخاري) في وصفه جهنم، **(قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة،)** وفي رواية أحمد: كنت أدفع الناس عن ابن عباس، **(فأخذتني الحمى، فاحتبست أيامًا)** عن المجيء له، **(فقال: ما حبسك،)** أي منعك، **(قلت: الحمى، قال: أبردها)** عنك **(بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء، أو بماء زمزم، شك همام)** (بفتح الهاء وشد الميم) ابن يحيى البصري، راوي الحديث عن أبي جمرة.

(قال ابن القيم: قوله بالماء فيه قولان: أحدهما: أنه كل ماء، وهو الصحيح، والثاني:

الصحيح. والثاني: أنه ماء زمزم. ثم قال بعد أن روى حديث أبي جمرة هذا، وراوي هذا قد شك فيه، ولو جزم به لكان أمرًا الأهل مكة بماء زمزم، إذ هو متيسر عندهم، وأمر غيرهم بما عندهم من المياه، انتهى.

وتعقب: بأنه وقع في رواية أحمد عن عفان عن همام: فابردوها بماء زمزم ولم يشك، وكذا أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم.

قال ابن القيم: واختلف من قال: إنه على عمومه: هل المراد به الصدقة بالماء أو استعماله على قولين، والصحيح أنه استعماله، وأظن الذي حمل من قال إن المراد به الصدقة أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى. ولم يفهم وجهه، مع أن لقوله وجهًا حسنًا وهو أن الجزاء من جنس العمل، فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد أخمد اللّٰه لهيب الحمى عنه جزاء وفاقًا، انتهى.

وقال الخطابي وغيره: اعترض بعض سخفاء الأطباء على هذا الحديث، بأن

أنه ماء زمزم) لحديث: فأبردوها بماء زمزم بدون شك، وبه جزم ابن حبان، فقال: إن شدة الحمى تبرد بماء زمزم دون غيره من المياه، **(ثم قال)** ابن القيم **(بعد أن روى،)** أي نقل **(حديث أبي جمرة هذا، وراوي هذا قد شك فيه،)** فليس بقيد، **(ولو جزم به لكان أمرًا لأهل مكة بماء زمزم، لأنه متيسر عندهم، وأمر غيرهم بما عندهم من المياه. انتهى)**.

(وتعقب بأنه وقع في رواية أحمد عن عفان) (بشد الفاء ونون)، والصرف على أنه من عفن، ومنعه على أنه من عف ابن مسلم بن عبد اللّٰه الباهلي، البصري، ثقة، ثبت، **(عن همام)** بن يحيى المذكور: **(فأبردوها بماء زمزم، ولم يشك)**.

(وكذا أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم،) فتعين أنه خطاب لأهل مكة خاصة، أما غيرهم فمطلق الماء.

(قال ابن القيم: واختلف من قال إنه على عمومه) في جميع المياه، **(هل المراد به الصدقة بالماء، أو استعماله على قولين، والصحيح أنه استعماله، وأظن الذي حمل من قال،)** وهو ابن الأنباري، كما نقله عنه الخطابي؛ **(أن المراد به الصدقة أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى، ولم يفهم وجهه،)** أي وجه استعماله فيها، **(مع أن لقوله:)** المراد الصدقة **(وجهًا حسنًا، وهو أن الجزاء من جنس العمل، فكما أخمد لهيب العطش)** حرارته **(عن الظمآن بالماء البارد، أخمد اللّٰه لهيب الحمى عنه جزاء وفاقًا. انتهى)**.

وهو وإن كان حسنًا، لكن رده الحافظ بأن صريح الأحاديث يرده، **(وقال الخطابي**

قال اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك، لأنه يجمع المسام، ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم، فيكون ذلك سببًا للتلف. وقد غلط بعض من ينسب إلى العمل، فانغمس في الماء لما أصابته الحمى، فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه، فأصابته علة صعبة كادت تهلكه، فلما خرج من علته قال قولاً سيئًا لا يحسن ذكره، وإنما أوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث.

والجواب: أن هذا الإشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر، فيقال له أولاً: من أين حملت الأمر على الاغتسال، وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلاً عن اختصاصها بالغسل، وإنما في الحديث الإرشاد إلى تبريد الحمى بالماء، فإن أظهر الوجود أو اقتضت صناعة الطب أن انغماس كل محموم في الماء أو صبه إياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد، وإنما قصده عليه الصلاة

وغيره،) كالمازري بمعناه: **(اعترض بعض سخفاء الأطباء)** (بسين وخاء معجمة، أي رقيقي العقل ناقصيه) **(على هذا الحديث بأن قال: اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك، لأنه يجمع المسام،)** أي يضم بعض أجزائها إلى بعض، فيسدها **(ويحقن البخار، ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم، فيكون ذلك سببًا للتلف:)** الموت، وزعم إجماع الأطباء على ذلك، كما في كلام المازري.

(وقد غلط بعض من ينسب إلى العمل) بالأحاديث، كذا في جميع ما رأينا من نسخ المتن، والذي في الفتح إلى العلم بتقديم اللام، **(فانغمس في الماء لما أصابته الحمى، فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه، فأصابته علة صعبة كادت تهلكه، فلما خرج من علته قال قولاً سيئًا:)** قبيحًا **(لا يحسن ذكره، وإنما أوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث).**

(والجواب أن هذا الإشكال صدر عن صدر مرتاب،) أي شاك **(في صدق الخبر، فيقال له: أولاً من أين حملت الأمر على الاغتسال،** و) الحال أنه **(ليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية)** الصفة، **(فضلاً عن اختصاصها بالغسل،)** فحمله عليه تحرض ونسبة ما لم يقله إليه، **(وإنما في الحديث الإرشاد إلى تبريد الحمى بالماء،)** إشارة إلى أن الأمر إرشادي، **(فإن أظهر الوجود، أو اقتضت صناعة الطب أن انغماس كل محموم في الماء، أو صبه إياه على جميع بدنه يضره، فليس هو المراد)** لاستحالة أن يأمر بما فيه ضرر.

وفي قوله: كل محموم تنكيت على المرتاب، إذ صناعة الطب لا تقتضي ذلك لكل محموم، بل بعض المحمومين ينفعهم، فيحمل الحديث عليه ولا يجعل عامًا، لكنه قصد إرخاء العنان مع الخصم، **(وإنما قصده عليه الصلاة والسلام استعمال الماء على وجه ينفع،**

والسلام استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به، وهذا كما وقع في أمره العائن بالاغتسال وأطلق، وقد ظهر من الحديث الآخر أنه لم يرد مطلق الاغتسال، وإنما أراد الاغتسال على كيفية مخصوصة، وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى بالماء ما صنعته أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما: فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئًا من الماء بين ثدييه وثوبه، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها، والصحابي، ولا سيما مثل أسماء التي كانت تلازم بيت النبي ﷺ أعلم بالمراد من غيرها.

وقد ذكر أبو نعيم وغيره، من حديث أنس رفعه: إذا حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر.

وقال المازري: لا شك أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجًا إلى التفصيل

فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به،) ولا يرد الحديث الصحيح بالعقل السخيف، (وهذا كما وقع في أمره العائن بالاغتسال وأطلق).

(وقد ظهر من الحديث الآخر؛ أنه لم يرد مطلق الاغتسال، وإنما أراد الاغتسال على كيفية،) أي صفة (مخصوصة) تقدمت، (وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى بالماء ما صنعته أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما،) المروي في الموطأ والصحيحين عن أسماء أنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها أخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها، قالت: وكان ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء، ففسر معناه بقوله: (فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئًا من الماء بين ثدييه وثوبه،) لأن الجيب ملاصق للصدر، (فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها،) وتقدمت: (والصحابي) (مبتدأ خبره مقدر، أي أعلم، وأما أعلم، المذكور في قوله، (ولا سيما مثل أسماء التي كانت ممن يلازم بيت النبي ﷺ، أعلم بالمراد) (فخبر) مثل لقوله: (من غيرها) بالتأنيث، هكذا قرره شيخنا، وهو أحسن من قوله في الحاشية: أعلم خبر قوله: والصحابي، وأنث في قوله: من غيرها، لكون القصة مع أسماء، فكأنها المراد من الصحابي، وكان الأولى أن يقول من غيره.

(وقد ذكر،) أي روى (أبو نعيم وغيره) كالطبراني والحاكم بسند قوي (من حديث أنس، رفعه: «إذا حم أحدكم:) (بالضم والتشديد) أصابته الحمى، (فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر») أي قبيل الصبح، فهذا الحديث المرفوع يؤيد فعل أسماء، فيكون المراد بالإبراد الرش لا الاغتسال، كما فهم المعترض.

(وقال المازري) في الرد عليه: (لا شك أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجًا إلى

حتى إن المريض يكون الشيء دواء له في ساعة فيصير داء له في الساعة الأخرى التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلاً فيتغير علاجه، ومثل ذلك كثير. فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال. والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف، وقوة الطباع. ويحتمل أن يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي ﷺ بالوحي، ويضمحل عند ذلك جميع كلام أهل الطب.

وجعل ابن القيم خطابه ﷺ في هذا الحديث خاصًا لأهل الحجاز وما والأهم، إذا كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية، الحادثة عن شدة حرارة الشمس. قال: وهذا ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالاً، لأن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق

التفصيل،) أي التبيين، **(حتى إن المريض يكون الشيء دواء له في ساعة، فيصير داء له في الساعة الأخرى التي تليها، لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه، مثلاً: فيتغير علاجه،)** ولذا قيل: الطب وقتي، وأن من تسامح المعالج قوله: يستعمل الدواء الفلاني في اليوم الآتي، **(ومثل ذلك كثير، فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن** للمريض (والزمان) الواقع فيه المرض، **(والعادة والغذاء المتقدم، والتأثير المألوف وقوة الطباع)**.

وفي كلام المازري: وأيضًا فالأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها؛ بأن يسقى الماء الشديد البرد. نعم، ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد، فلا يبعد أنه ﷺ أراد هذا النوع من الحمى والغسل على ما قالوه، أو قريب منه.

(ويحتمل أن يكون هذا في وقت مخصوص، فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي ﷺ بالوحي، ويضمحل عند ذلك جميع كلام أهل الطب)، لأنه معجز خارج عن قواعدهم.

(وجعل ابن القيم خطابه ﷺ في هذا الحديث،) بقوله: فأبردوها بالماء، أو فأطفؤوها بالماء، **(خاصاً لأهل الحجاز وما والاهم، إذ كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية، الحادثة عن شدة حرارة الشمس، قال: وهذا ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالاً، لأن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنتشر منه بتوسط الروح والدم**

إلى جميع البدن وهي قسمان: عرضية وهي الحادثة عن ورم أو حركة أو إصابة حرارة الشمس، أو القيظ الشديد ونحو ذلك، ومرضية وهي ثلاثة أنواع، وتكون عن مادة، ثم منها ما يسخن جميع البدن، فإذا كان مبدأ تعلقها بالروح فهي حمى يوم، لا تقلع غالبًا في يوم ونهايتها إلى ثلاث، وإن كان تعلقها بالأعضاء الأصلية، فهي حمى دق، وهي أخطرها. وإن كان تعلقها بالأخلاط سميت عفنية، وهي بعدد الأخلاط الأربعة: صفراوية، سوداوية، بلغمية، دموية، وتحت هذه الأنواع المذكورة أصناف كثيرة بسبب الأفراد والتركيب.

وإذا تقرر هذا فيجوز أن يكون المراد النوع الأول. فإنها تسكن بالانغماس في الماء البارد، وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره، ولا يحتاج إلى علاج آخر.

وقد قال جالينوس: لو أن شابًا خشن اللحم خصب البدن ليس في أحشائه ورم واستحم بماء بارد أو سبح فيه وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك.

في العروق إلى جميع البدن؛) وحاصله أنه ينفع لبعض الحميات دون بعضها، فيحمل عليه الحديث وهو وجيه، (**وهي،**) أي الحمى (**قسمان:**)

(**عرضية، وهي الحادثة عن ورم، أو حركة، أو إصابة حرارة الشمس، أو القيظ:**) الحر (**الشديد،**) وإن كان في ظل (**ونحو ذلك**).

(**ومرضية، وهي ثلاثة أنواع، وتكون عن مادة، ثم منها ما يسخن جميع البدن، فإذا كان مبدأ تعلقها بالروح، فهي حمى يوم لا تقلع غالبًا في يوم،**) صوابه كما في الفتح، لأنها تقلع، ومثله للمصنف في الشرح، وهو واضح، لأن على ما هنا كان اللائق تسميتها حمى يومين، (**ونهايتها إلى ثلاث، وإن كان تعلقها بالأعضاء الأصلية، فهي حمى دق، وهي أخطرها**) أشدها في الخطر بمعجمة فمهملة، أي الهلاك، (**وإن كان تعلقها بالأخلاط سميت عفنية، وهي بعدد الأخلاط الأربعة، أعني صفراوية، سوداوية، بلغمية، دموية، وتحت هذه الأنواع المذكورة أصناف كثيرة بسبب الإفراد والتركيب .اهـ**).

(**وإذا تقرر هذا، فيجوز أن يكون المراد النوع الأول،**) أي الصفراوية، (**فإنها تسكن بالانغماس في الماء البارد، وشرب الماء المبرد بالثلج**) بمثلثة وجيم (**وبغيره، ولا يحتاج إلى علاج آخر**).

(**وقد قال جالينوس**) في كتابه حيلة البرء، حكيم مشهور، عاش سبعًا وثمانين سنة، منها ستين سنة مداومًا على معرفة صناعة الطب وعلامات الدواء: (**لو أن شابًا خشن اللحم خصب البدن**) ناميه، (**ليس في أحشائه ورم استحم بماء بارد**) صبه عليه، (**أو سبح**) عام (**فيه وقت**

وقد تكرر في الحديث استعماله ﷺ الماء البارد في علته، كما في الحديث: «صبوا علي من ماء سبع قرب لم تحلل أوكيتهن». وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سيرة يرفعه الحمى قطعة من النار فأبردوها عنكم بالماء البارد. وكان رسول الله ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل، وصححه الحاكم، ولكن قال: في إسناده راو ضعيف.

وعن أنس يرفعه: إذا حم أحدكم فليسن علي رأسه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال. رواه الطحاوي وأبو نعيم في الطب.

القيظ:) شدة الحر (**عند منتهى الحمى، لانتفع بذلك**) لإذهابه آثار العفونة.

(**وقد تكرر في الحديث استعماله ﷺ الماء البارد في علته،**) أي مرض موته، (**كما في الحديث. صبوًا**) لفظ الصحيح هريقوا، ومعناه صبوا (**علي من ماء سبع قرب لم تحلل**) (بضم الفوقية وسكون المهملة وفتح اللام الأولى) (**أوكيتهن:**) جمع وكاء، الخيط الذي يربط به القربة، وحكمة السبع؛ أن له خاصية في دفع ضرر السم، وقد ورد أنه ﷺ قال: هذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم، يريد سم الشاة التي أكل منها بخيبر.

(**وفي المسند**) للإمام أحمد (**وغيره، من حديث الحسن**) البصري، (**عن سيرة**) بن جندب، (**يرفعه: الحمى قطعة من النار،**) أي نار جهنم، جعلها الله في الدنيا، (**فابردوها عنكم بالماء البارد، وكان رسول الله ﷺ، إذا حم**) (بالضم والتشديد) (**دعا بقربة من ماء، فأفرغها على رأسه، فاغتسل وصححه الحاكم**).

(**ولكن قال**) غيره (**في إسناده: راو ضعيف،**) فسقط من قلم المصنف فاعل، قال: إذ كون الحاكم يصححه، ويقول في إسناده ضعيف من المحال: فدع عنك ما يقوم في العقل من الاحتمال، (**وعن أنس يرفعه: إذا حم أحدكم،**) أي أصابته الحمى، (**فليسن**) (بضم السين المهملة وشد النون)، وروي (بشين معجمة)، وترجى الضياء المقدسي أنه تصحيف، وليس كما قال، ففي النهاية: الشن بالمعجمة الصب المتقطع، وبالمهملة الصب المتصل، وهذا يؤيد رواية الإعجام، إذ المعنى: فليرش (**على رأسه من الماء البارد**) رشا متفرقاً، ويؤيده أن ذا الحديث بعينه ورد بلفظ: فيرش كما مر قريبًا جدًا، وأيد أيضًا بما تقدم أن أسماء كانت ترش على بدن المحموم.

وقال العسكري: بمهملة، ويقال: بمعجمة (**من السحر،**) أي قبيل الصبح (**ثلاث ليال،**) فإنه نافع في الصيف، في القطر الحار في الحمى العرضية، أو الغب الخالصة، الخالية عن الورم والعتق والأعراض الردية والمواد الفاسدة، فتطفئها بإذن الله تعالى إذا كان فاعل ذلك من أهل

وأخرج الطبراني من حديث عبد الرحمٰن بن المرقع، رفعه: الحمى رائد الموت، وهي سجن الله في الأرض، فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الأذانين المغرب والعشاء. قال: ففعلوا فذهب عنهم الحمى.

وقد أخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعًا: إذا أصاب أحدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء، يستنقع في نهر جار، ويستقبل جريته،

الصدق واليقين.

(**رواه الطحاوي وأبو نعيم في الطب**) النبوي، والنسائي وأبو يعلى والطبراني والحاكم، وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وقال الحافظ: سنده قوي، وقال شيخه الهيثمي: رجاله ثقات.

(**وأخرج الطبراني من حديث عبد الرحمٰن بن المرقع**) (بضم الميم وفتح الراء وكسر القاف المشددة وعين مهملة)، السلمي، صحابي سكن مكة وشهد فتح خيبر، (**رفعه: الحمى رائد الموت،**) أي رسوله الذي يتقدمه، كما يتقدم الرائد قومه، فهي مشعرة بقدومه، فليستعد صاحبها له بالمبادرة إلى التوبة والخروج من المظالم، والاستغفار والصبر وإعداد الزاد، ولا ينافيه عدم استلزام كل حمى للموت، لأن الأمراض كلها من حيث هي مقدمات للموت ومنذرات به، وإن أفضت إلى سلامة جعلها الله تذكرة لابن آدم يتذكر بها الموت.

وقد روى أبو نعيم عن مجاهد: ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه، أتاه ملك الموت، فقال: أتاك رسول بعد رسول، فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا، (**وهي سجن الله في الأرض**) للمؤمن، يحبس بها عبده إذا شاء، ففتروها بالماء، هكذا زاد البيهقي وغيره من مرسل الحسن البصري، رفعه: وهو تفسير من المصطفى ولا عطر بعد عروس، (**فبردوا لها الماء في الشنان:**) (بكسر المعجمة) جمع شن بفتحها القربة البالية، (**وصبوه عليكم فيما بين الأذانين المغرب والعشاء، قال: ففعلوا، فذهب عنهم الحمى،**) وهذا الحديث رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب، والديلمي والقضاعي من حديث أنس، ورواه العسكري، وزاد بيان السبب عن أنس، قال: لما افتتح ﷺ خيبر وكانت مخضرة من الفواكه، وقع الناس فيها، فأخذتهم الحمى، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس الحمى رائد الموت، فذكر.

(**وقد أخرج الترمذي من حديث ثوبان**) الهاشمي، مولى النبي ﷺ، صحبه ولازمه ونزل بعده الشام، مات بحمص سنة أربع وخمسين، (**مرفوعًا: إذا أصاب أحدكم الحمى، وهي قطعة من النار**) حقيقة أو مجازًا، (**فليطفئها عنه بالماء،**) لأن الماء يطفىء النار، واستأنف بيانيًا في

وليقل: بسم اللَّه، اللَّهم اشف عبدك، وصدق رسولك، بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس، ولينغمس فيه ثلاث غمسات، ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ فخمس، وإلا فسبع، وإلا فتسع، فإنها لا تكاد تجاوز تسعًا بإذن اللَّه. قال الترمذي: غريب، وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه.

[ذكر طبه ﷺ من الحكة وما يولد القمل]

لما كانت الحكة لا تكون إلا عن حرارة ويبس وخشونة رخص ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمٰن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما، كما في البخاري عن قتادة أن أنسًا حدثهم أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمٰن بن عوف

جواب سؤال مقدر: ما معنى الإطفاء؟، فقال: (**يستنقع في نهر جار، ويستقبل جريته، وليقل: بسم اللَّه، اللهم اشف عبدك**،) لم يقل اشفني، لأن المقام مقام استعطاف وتذلل، ولا وصف أصدق من وصف العبودية، (**وصدق رسولك**) فيما أخبر أنه شفاء من الحمى (**بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس،**) ظرف لقوله: يستنقع، (**ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ، فخمس**) ينغمس فيها، فخمس خبره محذوف، (**وإلا فسبع، وإلا فتسع**) من الأيام، (**فإنها لا تكاد تجاوز تسعًا بإذن اللَّه،**) وهذا يحتمل أن يكون لبعض الحميات دون بعض، ويحتمل أنه خارج عن قواعد الطب، داخل في قسم المعجزات الخارق للعادة، ألا ترى كيف قال فيه صدق رسولك، وبإذن اللَّه، وقد شوهد وجرب، فوجد كما نطق به الصادق المصدوق ﷺ، قاله الطيبي، وقال الزين العراقي: عملت بهذا الحديث، فانغمست في بحر النيل، فبرئت منها، قال ولده: ولم يحم بعدها، ولا في مرض موته.

(**قال الترمذي:**) حديث (**غريب، وفي سنده سعيد**) (بكسر العين) (**ابن زرعة**) الحمصي، الجرار (بجيم ومهملتين)، الخزاف (بمعجمة وزاي)، من أواسط التابعين، (**مختلف فيه،**) أي في تضعيفه وتوثيقه، وفي التقريب أنه مستور.

ذكر طبه ﷺ من الحكة وما يولد القمل

الحكة: (بكسر الحاء) نوع من الجرب، ولم يذكر ما يتولد منه القمل، فلعله أراد أن سبب الترخيص في الحزير أنه يمنع ما يولد القمل، (**لما كانت الحكة لا تكون إلا عن حرارة ويبس وخشونة، رخص ﷺ،**) أي أباح (**للزبير بن العوام وعبد الرحمٰن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما، كما في البخاري**) في الجهاد واللباس ومسلم في اللباس من طريق سعيد، (**عن قتادة**) بن دعامة: (**أن أنسًا حدثهم أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمٰن بن عوف**)

والزبير بن العوام في قميص من حرير من حكة كانت بهما.

وفي رواية أن عبد الرحمٰن بن عوف والزبير شكيا إلى النبي ﷺ - يعني القمل - فأرخص لهما في لبس الحرير، قال فرأيته عليهما في غزاة.

وفي رواية رخص النبي ﷺ لعبد الرحمٰن بن عوف والزبير بن العوام في الحرير.

وفي رواية رخص، أو رُخِصَ لحكة كانت بهما.

القرشي، الزهري، **(والزبير بن العوام في)** لبس **(قميص من حرير من)** أجل **(حكة كانت بهما،)** ومن خصائصه ﷺ أن له أن يخص من شاء بما شاء، والحديث ظاهر في تخصيصهما بذلك.

وفي رواية لمسلم: في القميص الحرير في السفر من حكة كانت بهما، أو وجع كان بهما، **(وفي رواية)** للبخاري من طريق همام، عن قتادة، عن أنس **(أن عبد الرحمٰن بن عوف، والزبير شكيا)** (بالياء)، وفي رواية: شكوا (بالواو)، وصوبها ابن التين، لأن لام الفعل واو، كقوله تعالى: ﴿دعوا اللَّه ربهما﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وأجيب بأن في الصحاح يقال: شكيت وشكوت **(إلى النبي ﷺ، يعني القمل،)** لم يتعرض الحافظ، ولا المصنف لبيان فاعل، يعني: **(فأرخص)** (بفتح الهمزة وإسكان الراء)، **(لهما في لبس الحرير، قال)** أنس: **(فرأيته عليهما في غزاة)** ظاهره أن لبسهما له إنما هو لأجل القمل، وصادف بقاؤه عليهما إلى وجود الغزاة؛ لكن ترجم عليه البخاري في الجهاد باب الحرير في الحرب، وتبعه الترمذي، فترجم عليه ما جاء في لبس الحرير في الحرب، أخذًا من قوله في غزاة، وجعل الطبري جوازه في الغزو، ومستنبطًا من جوازه للحكة، فقال: دلت الرخصة في لبسه بسبب الحكة؛ أن من قصد بلبسه ما هو أعظم من أذى الحكة، كدفع سلاح العدوّ ونحو ذلك، أنه يجوز.

(وفي رواية) للبخاري أيضًا، من طريق يحيى القطان: أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس: (رخص **النبي ﷺ لعبد الرحمٰن بن عوف، والزبير بن العوّام في)** لبس (الحرير)، ولم يذكر في هذه الرواية العلة والسبب، فهو محمول على السابقة؛ وظاهر الروايات أنه لا فرق بين أبيض وغيره، ووقع عند أبي نعيم في الطب، عن عبد الرحمٰن أنه شكا إلى رسول اللَّه ﷺ القمل، فرخص له في لبس قميص من حرير أبيض.

(وفي رواية) للبخاري أيضًا، من طريق غندر، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس: **(رخص)** (بفتح الراء والخاء مبنيًا للفاعل)، **(أو رخص)** (بضم الراء وكسر الخاء مبنيًا للمفعول)، والشك من الراوي.

وقد أخرجه أحمد عن غندر، بلفظ: رخص رسول اللَّه ﷺ، وللبخاري في اللباس من

ويحتمل أن تكون إحدى العلتين بأحد الرجلين، أو أن الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة إلى السبب وتارة إلى المسبب.

قال النووي: هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه: أنه يجوز لبس الحرير للرجل إذا كانت به حكة لما فيه من البرودة، وكان للقمل وما في معنى ذلك. وقال مٰلك: لا يجوز، وهذا الحديث حجة عليه، انتهى.

وتعقب قوله: «لما فيه من البرودة» بأن الحرير حار.

طريق وكيع، عن شعبة: رخص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمٰن في لبس الحرير (**لحكة كانت بهما**،) وقد رجع ابن التين الرواية التي فيها الحكة على الرواية التي فيها، يعني القمل، وقال: لعل أحد الرواة تأوله فأخطأ، (و) جمع الداودي، فقال: (**يحتمل أن تكون إحدى العلتين بأحد الرجلين**،) زاد الحافظ: (**أو أن الحكة حصلت من القمل، فنسبت العلة تارة إلى السبب، وتارة إلى المسبب**،) ولفظ الحافظ: وتارة إلى سبب السبب.

(**قال النووي: هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه**،) كأبي يوسف؛ (**أنه يجوز لبس الحرير**) للرجل للضرورة، كما (**إذا كانت به حكة لما فيه من البرودة، وكذا للقمل، وما في معنى ذلك**،) كدفع الحر والبرد، ثم المشهور عند القائل بالجواز أنه لا يختص بالسفر.

وقال بعض الشافعية: يختص لورود الرخصة فيه، والمقيم يمكنه التداوي.

وحكى ابن حبيب عن ابن الماجشون أنه يستحب في الحرب، قال المهلب: لإرهاب العدو مثل الرخصة في الاختيال فيه، (**وقال مٰلك**) وأبو حنيفة: (**لا يجوز**) لبسه للرجل مطلقًا، (**وهذا الحديث حجة عليه. انتهى**).

ولا حجة فيه، لأنها قضية عين لا عموم لها، فتحتمل التخصيص، وهو المتبادر من قول أنس: رخص للزبير وعبد الرحمٰن، أي لا لغيرهما، وبه قال جماعة، لأن له أن يخص من شاء بما شاء، كترخيصه في النياحة لأم عطية، ولأبي بردة في التضحية بعناق من معز، وقال القرطبي: الحديث حجة على من منع إلا أن يدعي الخصوصية بالزبير وعبد الرحمٰن، ولا تصح تلك الدعوى، وتعقبه الحافظ بأن عمر جنح إلى ذلك، فروى ابن عساكر، عن ابن سيرين أن عمر رأى على خالد بن الوليد قميص حرير، فقال: ما هذا، فذكر له خالد قصة عبد الرحمٰن، فقال: وأنت مثل عبد الرحمٰن أو لك مثل ما لعبد الرحمٰن، ثم أمر من حضره فمزقوه، رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا.

(**وتعقب قوله لما فيه من البرودة؛ بأن الحرير حار**) بالمشاهدة، (**والصواب أن**

والصواب: أن الحكمة فيه إنما هي لخاصية فيه تدفع الحكة والقمل.

وقال ابن القيم: وإذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه، مسخنًا للبدن، وربما برد البدن بتسمينه إياه.

وقال الرازي: الابريسم أسخن من الكتان وأبرد من القطن، ويربي اللحم، وكل لباس خشن فإنه يهزل ويصلب البشرة، فملابس الأوبار والأصواف تسخن وتدفىء وملابس الكتان والحرير والقطن تدفىء ولا تسخن، فثياب الكتان باردة يابسة، وثياب الصوف حارة يابسة، وثياب القطن معتدلة الحرارة، وثياب الحرير ألين من ثياب القطن وأقل حرارة منه، ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة، لأن الحكة ـ كما قدمته ـ لا

الحكمة فيه إنما هي لخاصية فيه تدفع الحكة والقمل،) ويمكن الجواب عنه؛ بأنه لم يدع أنه بارد، وإنما قال: لما فيه من البرودة، وذلك لا يمنع أنه مشتمل على كل منهما، إلا أن الحرارة أغلب، لكن هذا عقلي، والحرارة والبرودة لا يجتمعان في لباس ولا مأكول، إنما يقال حار رطب، أو حار يابس، وكذا يقال في بارد، أما حار بارد فلا يجتمعان في شيء واحد.

(وقال ابن القيم: وإذا اتخذ منه)، أي الحرير (ملبوس كان معتدل الحرارة)، لأنه حار رطب (في مزاجه،) أي طبعه (مسخنا للبدن، وربما برد البدن بتسمينه إياه،) أي أحدث فيه البرد بسبب التسمين، فلذا وصفه للحكة.

(وقال الرازي: الابريسم:) (بفتح السين وضمها) الحرير، أو معرب كما في القاموس، وفي المصباح: معرب، وفيه لغات كسر الهمزة والراء والسين، وابن السكيت يمنعها، ويقول: ليس في الكلام افعيلل (بكسر اللام)، بل بالفتح مثل اهليلج واطريفل، والثانية فتح الثلاثة، والثالثة كسر الهمزة وفتح الراء والسين، (أسخن من الكتان، وأبرد من القطن، ويربي) (بموحدة بعد الراء، أي يزيد (اللحم،) أي يسمنه، (وكل لباس خشن، فإنه يهزل) (بضم الياء وكسر الزاي)، (ويصلب) (بضم الياء وكسر اللام المشددة وموحدة)، أي ييبس (البشرة) ويجففها، (فملابس الأوبار:) (بموحدة) جمع وبر للبعير، كالصوف للغنم، أي المتخذة منها، (والأصواف) المتخذة من صوف الغنم (تسخن وتدفىء) البدن لحرارتها ويبسها، (وملابس الكتان والحرير والقطن تدفىء ولا تسخن،) لأنه لا يبس فيها، (فثياب الكتان باردة يابسة، وثياب الصوف حارة يابسة، وثياب القطن معتدلة الحرارة، وثياب الحرير ألين من ثياب القطن، وأقل حرارة منه، ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة، كغيرها صارت نافعة من

تكون إلا عن حرارة ويبس وخشونة، فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة.

[ذكر طبه ﷺ من السم الذي أصابه بخيبر]

تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي أهدت إليه الشاة المسمومة، وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مٰلك أن امرأة يهودية أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية بخيبر، فقال: ما هذه؟ فقالت: هدية، وحذرت أن تقول من الصدقة فلا يأكل. فأكل النبي ﷺ وأكل أصحابه، ثم قال: أمسكوا،

الحكة لأن الحكة، كما قدمته لا تكون إلا عن حرارة ويبس وخشونة، فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة،) لكونها معتدلة الحرارة وخلوّها من اليبس والخشونة.

ذكر طبه ﷺ من السم الذي اصابه بخيبر

السم معروف، ويثلث، والجمع سموم وسمام، قاله القاموس، والأكثر فتح سينه، **(تقدم في غزوتها،)** أي خيبر **(قصة اليهودية،)** وهي زينب ابنة الحٰرث، كما سماها ابن إسحٰق وموسى بن عقبة، **(التي أهدت إليه الشاة المسمومة)** مبسوطة، وأنها أسلمت، كما قال الزهري وسليمٰن التيمي.

(وقد روى عبد الرزاق) بن همام بن نافع الحميري، مولاهم أبو بكر الصنعاني، ثقة، حافظ، له تصانيف، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة، **(عن معمر)** بن راشد الأزدي، مولاهم البصري، نزيل اليمن، ثقة، ثبت، فاضل، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، **(عن الزهري)** محمد بن مسلم بن شهاب أحد الأعلام، **(عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مٰلك)** الأنصاري، المدني، ثقة، من كبار التابعين، ويقال: ولد في عهد النبي ﷺ، ومات في خلافة سليمٰن؛ **(أن امرأة يهودية،)** هي زينب.

وفي أبي داود أنها أخت مرحب اليهودي، وبه جزم السهيلي، وعند البيهقي أنها بنت أخي مرحب، **(أهدت للنبي ﷺ شاة،)** أي عنزًا، كما في رواية **(مصلية)** (بفتح الميم وسكون الصاد)، أي مشوية **(بخيبر)** بعدما افتتحها، وبنى بصفية، **(فقال: ما هذه؟، فقالت: هدية وحذرت)** (بفتح الحاء وكسر الذال المعجمة، أي خافت)، ويجوز ضم الحاء وشد الذال، أي خوّفت **(أن تقول من الصدقة، فلا يأكل،)** وهو خلاف ما أرادته، **(فأكل النبي ﷺ،)** أي مضغ منها مضغة على ما عند ابن إسحٰق، ثم لفظها أو ابتلعها على ما عند غيره، وجمع بينهما بأنه

ثم قال للمرأة: هل سميت هذه الشاة؟ قالت من أخبرك؟ قال: هذا العظم، لساقها، وهو في يده، قالت: نعم، قال: لمَ؟ قالت: أردت إن كنت كاذبًا أن نستريح منك والناس، وإن كنت نبيًا لم يضرك. قال: فاحتجم النبي ﷺ ثلاثًا على كاهله.

وقد ذكروا في علاج السم أن يكون بالاستفراغات والأدوية التي تعارض فعل السم وتبطله، إما بكيفياتها وإما بخواصها، فمن عدم الدواء فليبادر إلى الدواء

ابتلع ما انفصل منها بريقه دون اللحمة، **(وأكل أصحابه)** الذين كانوا معه حينئذٍ، وكانوا ثلاثة على ما روى، وسمي منهم بشر بن البراء، **(ثم قال: امسكوا،)** أي كفوا عن الأكل، فإنها مسمومة.

وفي رواية: ارفعوا أيديكم، **(ثم قال للمرأة: هل سميت هذه الشاة؟، قالت: من أخبرك؟، قال: هذا العظم لساقها:)** ما بين الركبة والقدم مؤنثة، **(وهو)** أي العظم **(في يده،)** وهذا مخالف لرواية أبي داود عن جابر، والبيهقي عن أبي هريرة، قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع، والجواب أن المراد بالساق هنا الذراع، لأن الشاة لما كانت تمشي على أربع أطلق على ذراعها اسم الساق، وقد جاء عند ابن إسحٰق وغيره؛ أنها سألت، أي عضو من الشاة أحب إليه، قيل: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت باقي الشاة، ثم جاءت بها، وتناول ﷺ الذراع، فانتهش منها، فلما ازدرد لقمته، قال: ارفعوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة، **(قالت: نعم، قال: لم؟،)** وفي رواية ما حملك على ذلك؟، **(قالت: أردت إن كنت كاذبًا أن نستريح منك)** نحن **(والناس، وإن كنت نبيًا لم يضرك)**.

وعند ابن سعد، قالت: قتلت أبي وزوجي وعمي وأخي، ونلت من قومي، فقلت: إن كان نبيًا، فسيخبره الذراع، وإن كان ملكًا استرحنا منه. وتقدم عن صحيح البخاري أنه جمع اليهود، فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سمًا، قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك، قالوا: أردنا إن كنت كذابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك، ونسب الجعل لهم، لأنهم لما علموا به حين شاورتهم، وأجمعوا لها على سم معين، كأنهم جعلوه، ولذا قالوا: نعم، وكأنه جمعهم وسألهم بعدما سألها، فأجابوه بمثل ما أجابته به.

(قال: فاحتجم النبي ﷺ ثلاثة على كاهله،) أي بين كتفيه، كما في رواية: حجمه أبو هند، أو أبو طيبة بالقرن والشفرة، ويحتمل أنهما جميعًا حجماه، فقد روي أنه احتجم بين كتفيه في ثلاثة مواضع.

(وقد ذكروا في علاج السم أن يكون بالاستفراغات والأدوية التي تعارض فعل السم وتبطله:) تزيله تفسير للمعارضة، **(إما بكيفياتها وإما بخواصها، فمن عدم الدواء)** الذي نص

الكلي، وأنفعه الحجامة، ولاسيما إذا كان البلد حارًا والزمان حارًا، فإن القوة السمية تسري في الدم، فتبعثه في العروق والمجاري، حتى تصل إلى القلب والأعضاء، فإذا بادر المسموم وأخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته، فإن كان استفراغًا تامًا لم يضره السم، بل إما أن يذهب، وإما أن يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله، أو تضعفه.

ولما احتجم ﷺ احتجم على الكاهل، لأنه أقرب إلى القلب، فخرجت المادة السمية مع الدم، لا خروجًا كليًا بل بقي أثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله فضلاً وشرفًا.

الأطباء على إبطاله فعل السم بأن لم يجده أصلاً، أو عدم إفادته بعد استعماله، (**فليبادر إلى الدواء الكلي**،) أي الذي يعم السم وغيره، كإخراج الدم، فله دخل في علاج جميع الأمراض، (**وأنفعه الحجامة، ولا سيما إذا كان البلد حارًا**) كالحجاز، (**والزمان حارًا**) كالصيف، (**فإن القوة السمية تسري في الدم فتبعثه**،) أي تدخله (**في العروق والمجاري**:) المواضع التي يسري منها الدم إلى العروق، (**حتى تصل**) القوة السمية (**إلى القلب والأعضاء، فإذا بادر المسموم وأخرج الدم، خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته، فإن كان استفراغًا تامًا**) بأن خرج مع الدم السم، وأثره بتمامه، (**لم يضره السم، بل إما أن يذهب**) رأسًا، (**وإما أن يضعف، فتقوى عليه الطبيعة، فتبطل فعله أو تضعفه، ولما احتجم ﷺ احتجم على الكاهل، لأنه أقرب إلى القلب**،) فيه إفادة أنه احتجم في مقدم أعلى الظهر الذي يلي العنق، فيكون هو المراد برواية بين كتفيه، (**فخرجت المادة السمية مع الدم، لا خروجًا كليًا، بل بقي أثرها مع ضعفه**،) أي الأثر (**لما يريد الله من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة، زاده الله فضلاً وشرفًا**،) وذلك لا ينافي أنه أقر قول اليهود: وإن كنت نبيًا لم يضرك، لأن المراد الضرر على الوجه المعتاد في السم، ويدل لبقاء الأثر قول عائشة: كان ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم»، رواه البخاري تعليقًا، ووصله البزار والحاكم والإسمعيلي.

فهرس الجزء التاسع

من

شرح العلامة الزرقاني

على

المواهب اللدنيه للقسطلاني

الفهرس